الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية

قسم الحضارة الإسلامية



أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية

بعنوان

"المرقي في بعض مناقب القطب محمد الشرقي"

تأليف عبد الخالق العروسي، كان حيا سنة 1139هـ

دراسة وتحقيق

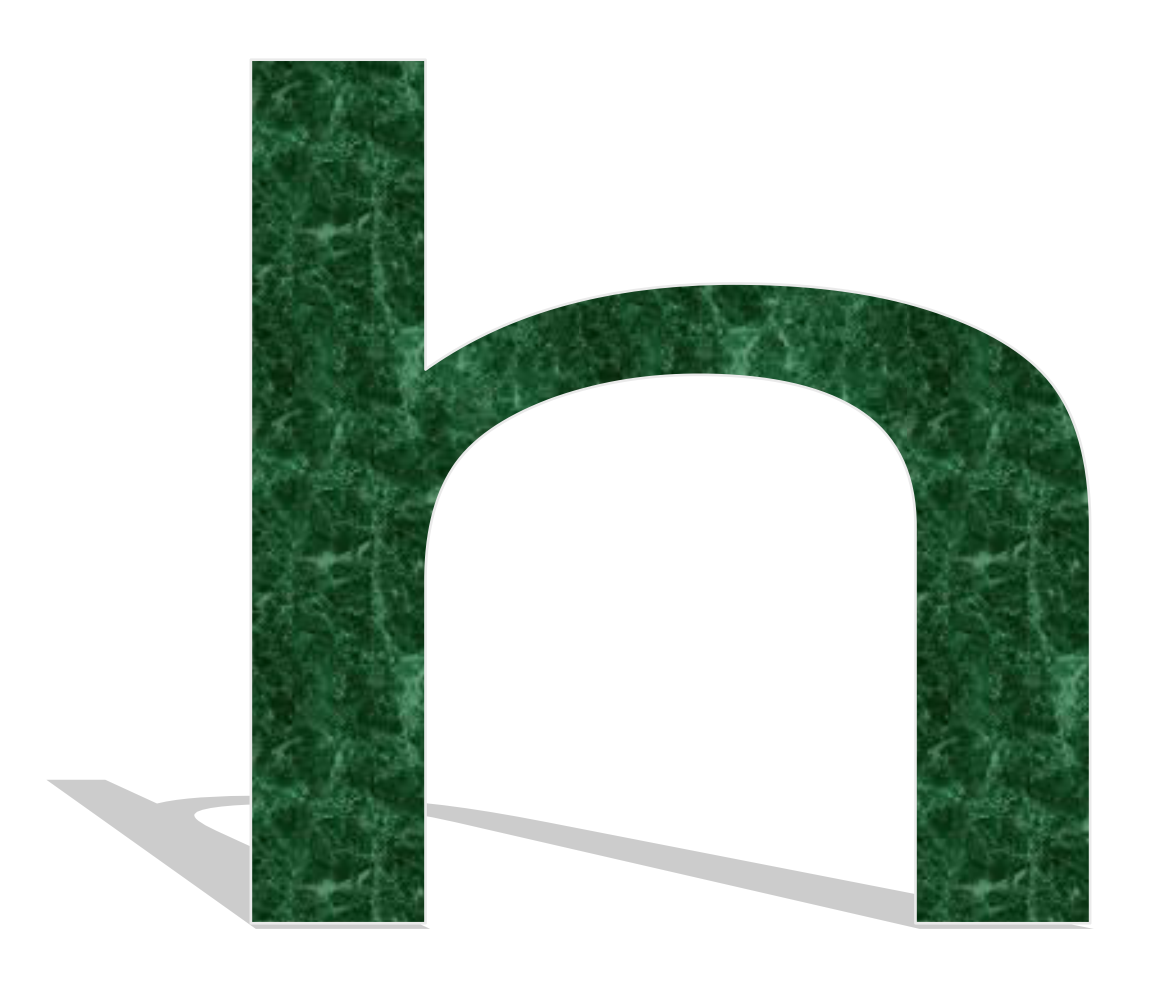
اعداد الطالب:	إشراف
حسين بوخلوة	أ.د: احمد الحمدي

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د محمد بن معمر	جامعة وهران 01	رئيسا
أ.د أحمد الحمدي	جامعة وهران 01	مشرفا مقررا
أ.د بوركبة محمد	جامعة وهران 01	عضوا مناقشا
أ.د عتو بلبروات	جامعة بلعباس	عضوا مناقشا
أ.د محمد بوشنافي	جامعة بلعباس	عضوا مناقشا

د محمد لعباسي **جامعة وهران 01** **عضوا مناقشا**

السنة الجامعية: 1438-1439هـ / 2017-2018م



إهـداء

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أسأل الله عزّ وجل أن يجعل ثواب هذا العمل في ميزان والدي رحمه الله تعالى، وأن يرزق الوالدة الشفاء العاجل.

كما أهدي هذا العمل المتواضع إلى الزوجة الكريمة والبنات، والأهل والأحباب، وكل من يعرف حسين بوخلوة، من قريب أو بعيد.

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل إلى المشرف صاحب الصبر والأناة الأستاذ الدكتور أحمد الحمدي على ما قدمه من نصح وتشجيع على إنجاز هذا العمل.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأساتذة قسم الحضارة الإسلامية، وعلى رأسهم صاحب التقدير الأستاذ الدكتور عبد المجيد بن نعمية والأستاذ الدكتور محمد بن معمر لتتلمذي عليهم.

كما أتقدم بالشكر والتقدير لأعضاء لجنة المناقشة الأساتذة الكرام لقبولهم تجشم عناء قراءة هذه الرسالة من أجل مناقشتها وتقويمها.

كما أشكر كل من كانت له يد في مساعدتي لإنجاز هذا البحث.

مقدمة

تعتبر المخطوطات إحدى أبرز المصادر التي تكتسي أهمية بالغة لما يمكن أن تقدمه من معلومات جديدة حول موضوعها ،لذا فإن تحقيقها تحقيقا علميا وإعادة بعثها من جديد من شأنه أن يشكل إضافة مصدر جديد للمعرفة العلمية وإتاحته أمام الباحثين.

ومن بين هذه المخطوطات تلك الكتب التي صنفها أصحابها ،وتم تصنيفها من قبل الباحثين فيما أصطلحوا على تسميته بكتب أدب المناقب،والحقيقة أن التصنيف المناقبي ليس بجديد في التراث الإسلامي،فقد اهتم المسلمون بتدوين مناقب أسلافهم كالصحابة رضوان الله عليهم والأئمة المجتهدين وغيره من العلماء البارزين،لكن هذا النوع من التصنيف الذي ظهر بالمغرب الإسلامي في حدود القرن السادس الهجري بدأ يتصف بنوع من الخصوصية . والسبب في ذالك هو أن هذا الأدب نمى وتطور مع نشأة التصوف وتطوره،وتمكنه في المجتمعات في المغرب الإسلامي ،وتزايد الطرق الصوفية ومعها ظاهرة الأولياء والصلحاء.

لقد اهتمت هذه المؤلفات في الغالب بكرامات المتصوفة وما يتعلق بحياتهم وعلاقاتهم بمريديهم ،والهدف من هذه الكتابات إظهار الولي كقدوة ومثال يحتذى به من خلال وصف حياته اليومية وقدراته الخارقة وهيبته وتمتعه بالقبول عند الله.

وعلى الرغم من الانتقادات التي وجهت لهذا الصنف الأدبي ،خاصة ما يتعلق بالإغراق في الكرامات وهو ما يناقض الطبيعة العلمية للكتابات التاريخية، وعدم اكتراثه بالمعطى الزمني، واعتماده الواسع على الروايات الشفوية،على الرغم من ذالك فلا يمكن إهمال هذه المصادر ،واعتبارها كوثائق تاريخية على جانب كبير من الأهمية يمكن الإفادة منها في جوانب متعددة.

لقد شكل التصوف منذ ظهوره في المغرب الإسلامي تيارا بارزا لا في الحياة الدينية فحسب ،بل في باقي جوانب الحياة السياسية وحتى العسكرية والاقتصادية ،فقد اكتسح التصوف المجتمعات بشقيها الريفية وفي المدن والحواضر وأصبح قوة اجتماعية وسياسية فاعلة، لقد أصبح التصوف ملاذا لفئات واسعة من المحرومين والضعفاء والمضطهدين والمهمشين،فأصبح بذالك مذهب اجتماعي وسياسي له حضوره القوي والفاعل.

ويبدوا أن المصادر التاريخية الكلاسيكية لم تعد تفي بالغرض من أجل دراسة معمقة لهذا الجانب ، لأنه هذه المصادر تولي اهتماما بالغا بالحدث السياسي والعسكري البارز وتهمل باقي الأحداث التي تبدوا بسيطة لكن تراكماتها أدت إلى تغيرات كبيرة داخل المجتمعات المختلفة، فلذلك كان لزاما البحث عن مصادر أخرى مكملة مدعمة ،ككتب الفتاوى والنوازل والتراجم والطب والمناقب وغيرها،

لقد اهتمت كتب المناقب عن جوانب خفية داخل المجتمع ،ما يتعلق بشبكة التصوف التي نسجت داخل المجتمع ،وحال الأفراد الذين قبلوا بالتصوف كشعار حياة ،وربما كممارسة سياسية للتعبير عن أرائهم ومواقفهم من الأنظمة القائمة.إذن ففي كتب المناقب إشارات هامة ليس في الجانب الفكري فقط بل حتى السياسي والاجتماعي.

و من بين الكتب المناقبية الكتاب الذي اخترنا العمل على تحقيقه ،وهو كتاب "المرقي في بعض مناقب القطب محمد الشرقي"لمؤلفه عبد الخالق بن محمد بن أحمد العروسي الذي عاش خلال القرن الثاني عشر الهجري،الثامن عشر الميلادي بالمغرب الأقصى،ألفه صاحبه حسبما هو واضح من عنوانه في جمع مناقب الشيخ محمد الشرق المتوفي سنة 1010هـ.

يستمد الكتاب أهميته من خلال الشخصية التي ترجم لها وهي شخصية محمد الشرقي مؤسس إحدى الزوايا الهامة التي عرفت باسم مؤسسها "الزاوية الشرقاوية"بمدينة أبي الجعد بتادلا،والدور الثقافي و الاجتماعي والسياسي الذي لعبته هذه الزاوية سواء في عهد مؤسسها أو خلفاؤه من أحفاده الذين جاؤوا من بعده ، رغم الهزات التي تلقتها هذه الزاوية مثل قرار هدمها عام 1200هـ--/1785-1786م على يد السلطان العلوي محمد بن عبد الله ،وذالك لتزايد نفوذها ومنافستها للسلطة القائمة،أما التهمة فهي إيوائها أهل الزيغ والفساد .

يعتبر كتاب المرقي أول تأليف وضع من أجل تخليد وحفظ تراث الزاوية الشرقاوية ،عن طريق الترجمة لمؤسسها ،و من خلال ذالك يمدنا الكتاب بإشارات هامة عن الجو العلمي والثقافي الذي ساد هذه الزاوية كالعلماء الذين مارسوا التدريس بها بما كانت توفره من استقرار وجو مريح ربما لبعدها عن مراكز القرار ويمكن أن نشير إلى أن المؤرخ الصفير الإفراني كان من الذين استقروا بالزاوية وأن استقراره بها كن العوامل التي ساعدته على إتمام كتابه نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي، كما ذكركتاب المرقي أعلاما درسوا وتخرجوا من هذه الزاوية.

يقدم لنا المرقي أيضا صورة من حالة التصوف خلال عهد السعديين والعلويين ،هذه الظاهرة التي أصبحت تشكل شبكة متينة نسجت على كافة ربوع المغرب وسيطرت على مساحات شاسعة منه مما جعل المخزن المغربي يواجه تعقيدات جمة وصعوبات كبيرة في بسط سلطانه على أغلب أراضيه، وهو ما جعله يلجأ إلى أسلوب القوة والعنف.

يركز الكتاب على الطريقة الشاذلية وامتدادها عبر أعلامها والترجمة لهم ،كعبد السلام بن مشيش ومحمد بن سليمان الجزولي وعبد العزيز التباع ،وهذه الطريقة هي طريقة الزاوية الشرقاوية عبر مؤسسها محمد الشرقي،وذالك بإيراد السند الذي يربط الشيخ الشرقي إلى أبي الحسن الشاذلي ،كما ترجم الكتاب للعلماء الذين كانت لهم صلة بالشيخ محمد الشرقي إضافة إلى بعض أبنائه وأحفاده.

ولم يخلوا الكتاب من إشارات سياسية ولو أنها قليلة ،ما يتعلق بالمراسلات بين محمد الشرقي وسلاطين الدولة السعدية خاصة السلطان أحمد المنصور الذهبي،والإشارة إلى ثورة الدلائيين وثورة ابن أبي محلي .وفي الكتاب أيضا أخبار عن السيرة النبوية وسيرة عمر ابن الخطاب وغيرهما،وحفل الكتاب بذكر عقائد التصوف المختلفة حيث نجد المؤلف يتبنى هذه الأفكار ويدافع عنها بقوة وهو ما يعكس انتشارها وتمكنها من المجتمع خلال الفترة.

قسمنا العمل إلى جانبين،جانب دراسي من أربع مباحث،خصصنا المبحث الأول للتعريف بأدب المناقب من حيث مفهومه اللغوي والاصطلاحي،ومضمونه،وتقاطعاته مع علوم أخرى كالتصوف والسير والتراجم والتاريخ،واستعرضنا باختصار أهم التآليف المنقبية التي ألفت في المغرب الأقصى.

أما المبحث الثاني فخصصناه للتعريف بالمؤلف عبد الخالق العروسي،بذكر مولده ونسبه وثقافته ، والعصر الذي عاش فيه من الناحية السياسيةو الفكرية والإجتماعية والاقتصادية.

وفي المبحث الثالث تناولنا التعريف بالشيخ محمد الشرقي ،من حياث حياته وثقافته،وتأسيسه لزاويته الشهيرة بمدينة أبي الجعد وكذا ملامح عصره الذي عاش فيه سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وفكريا

أماالمبحث الرابع فخصصناه للتعريف بالكتاب وأهميته ومنهجية تحقيقه.

أما القسم الثاني فهو يشكل غالبية هذا العمل وهو النص المحقق حاولنا فيه الالتزام القواعد المنهجية المتبعة في ذالك.

وقد اعتمدنا في سبيل ذالك على جملة من المصادر والمراجع نذكر منها :

مخطوطات من جنس التأليف المناقبي ألفت في شيوخ الزاوية الشرقاوية من خلفاء المؤسس محمد الشرقي من أحفاده وهي مخطوط:الروض اليانع الفائح في مناقب الشيخ أبي عبد الله الصالح،لمؤلفه محمد المعداني،الموجود بالمكتبة لوطنية بالرباط تحت رقم 2369ك.ومخطوط يتيمة العقود الوسطى في مناقب الشيخ محمد المعطي،بنفس المكتبة رقم 305 ك، ومخطوط الفتح المهبي في مناقب الشيخ أبي المواهب العربي ،للعربي بن داود بن العربي، وقد وردت في هذه المخطوطات معلومات عن المترجم لهم ،إضافة إلى أخبار الزاوية الشرقاوية خاصة المؤسس الأول محمد الشرقي.

ومن المصادر التاريخية كتاب "تاريخ الضعيف"لمؤلفه محمد الضعيف الرباطي،(1165-1233) ،وهو كتاب حول تاريخ الدولة العلوية منذ نشأتها إلى منصف عام 1233هـ/1818م،وقد احتوى الكتاب على معلومات سياسية وعسكرية واقتصادية وثقافية تتعلق بداخل المغرب وخارجه.

كتاب "الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير متناهية" لمحمد بم محمد بن مصطفى المشرفي(1255-1334هـ)/(1839-1916م). استقصى المشرفي في كتابه مجمل تاريخ المغرب منذ العهد الإسماعيلي إلى العهد العلوي.

كتاب " الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى "لأحمد بن خالد السلاوي الناصري ،ت 1315هـ/1897م وهو موسوعة في تاريخ المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى أواخر القرن التاسع عشر.

كتاب "الخبر عن أول دولة من دول الأشراف العلويين من أولاد مولانا الشريف بن علي" وهو منقول من كتاب "الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب " لأبي القاسم الزياني (1147-1249هـ).وتكمن أهمية الكتاب في كون مؤلفه معاصر للفترة التي عاش فيها العروسي فهو بذالك شاهد عيان،إضافة إلة كونه كان مقربا من السلطان العلوي محمد بن عبد الله ،وتقلد له منصب الكتابة وبعض السفارات كسفارته للدولة العثمانية.

كما اعتمدنا على جملة من كتب التراجم والمناقب،نذكر منها كتاب العباس بن إبراهيم السملالي "الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام" وهو من المصادر القليلة التي وضعت ترجمة مقتضبة للمؤلف عبد الخالق العروسي.

وكتاب "إتحاف أعلام الناس بجمال مكناس، لابن زيدان عبد الرحمن بن محمد السجلماسي(1290-1365هـ) في ذكر أخبار حاضرة العلويين مكناس ،وسلاطينها وعلمائها وأعيان رجالها.

كتاب "سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس" لمحمد بن جعفر الكتاني (1274-1345هـ)،وكتاب" السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية" لمحمد بن الموقت المراكشي(1283-1369هـ) وهو في التعريف بحاضرة مراكش وأهم أعلامها .

كتاب "طبقات الحضيكي" لمحمد بن أحمد الحضيكي،ت 1189هـ/1775م. خصص لأعلام المغرب وصلحائه من القرن الخامس الهجري إلى غاية القرن الثاني عشر الهجري. وكتاب "الإعتباط بتراجم أعلام الرباط" لمحمد بن مصطفى بوجندار (1307-1345هـ) ترجم فيه لأعلام الرباط من الصالحين والأولياء والأئمة الأعلام إلى غاية 1344هـ،وكتاب "مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن"لأبي حامد العربي الفاسي(988-1052هـ) وضعه في ترجمة والده أبي المحاسن يوسف الفاسي وضمنه معلومات سياسية وتراجم متنوعة. وكتاب"دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر "لابن عسكر الشفشاوني (936-986هـ).

أما كتب المناقب فمنها "كتاب التشوف إلى رجال التصوف" لابن الزيات التادلي والذي شرع في تأليف كتابه سنة 617هـ وقد أتمه في نفس السنة بعد أن أمضى في كتابته اربع أشهر ،ذكر فيه أخبار 279 من الرجال والنساء بينهم 19 من المجاهيل.

و كتاب "المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف" لعبد الحق بن إسماعيل البادسي الذي كان حيا سنة 722هـ/1322م ، وجعله كصلة لتشوف ابن الزيات . وقد أورد البادسي في كتابه 46 ترجمة وانتهى من تأليفه سنة 711هـ/1311م

وكتاب" المستفاد في مناقب العبد بمدينة فاس وما يليها من البلاد" لمحمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي المتوفى بين 603-604هـ / 1207 م يعود تاريخ الإنتهاء من تأليفه إلى سنة 1198م. وقد تم تخصيصه لتخليد مآثر ما لا يقل عن سبعين علما من صلحاء و علماء مدينة فاس وسائر الحواضر المغربية.

وكتاب" المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى" لأحمد التادلي الصومعي(920-1013هـ) والذي انتهى من تأليفه سنة 1000هـ،1592م،أما دافع التأليف فهي طلب أحد الفضلاء إليه ممن ينتسب إلى هذا الشيخ أن يقيد له ما صح واتضح من كرائمه وما نقل من مفاخره ومآثره وسلسلته في عدة أشياخه إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وكتاب "تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان" لحمدون بن محمد الطاهري الجوطي الفاسي المتوفى سنة 1191هـ،1777م، قسمه إلى مقدمة ضمنها الكلام عن التصوف وماهية الصوفي وحقيقته ونعته وما ورد في مسألة السماع من آراء مختلفة، وتسعة مواضيع أغلبها في مناقب شيوخ الزاوية الوزانية الأم وبعض مقدميهم بفاس، ثم خاتمة جاء فيها الكلام على أصول الطريقة الصوفية للشيخ المؤسس مولاي عبد الله الشريف المتوفى سنة 1089هـ/1678م ،وأوراده وأذكاره التي كان يلقنها هو وأولاده للخاص والعام والأحزاب التي يأمر الوزانيون بقراءتها صباحا ومساءا.

وكتاب عبد السلام بن الطيب القادري المتوفى سنة 1110هـ/1698م " معتمد الراوي بمناقب سيدي أحمد الشاوي"وهو الكتاب الذي أكمله محمد بن الطيب القادري المتوفى 1187هـ/1773م وأسماه "الكوكب الضاوي في إكمال معتمد الراوي بمناقب سيدي أحمد الشاوي".

وفي الأخير نشير إلى أن أبرز عقبة واجهناها في ثنايا البحث عدو وجود معلومات مستفيضة حول شخصية العروسي مما جعلنا نلملم المعلومات من مختلف المصادر،وبعض الاستنتاجات للخروج بترجمة وافية للمؤلف، والله ولي التوفيق.

1- مفهوم أدب المناقب وطبيعته: من أجل أن نتعرف على معنى أدب المناقب ومدلوله اللغوي نحاول تقصي المعنى اللغوي والاصطلاحي لكل كن كلمتي أدب و كلمة المناقب.

أ- مفهوم الأدب: جاء في كتاب المحكم والمحيط والأعظم في معاني كلمة أدب ما يلي: الأدب الظرف وحين التناول ،أدبه أدبا فهو أديب من قوم أدباء ،وأدبه أي علمه والأدبة والمأدبة كل طعام صنع لدعوة أو عرس.[1]

وجاء في لسان العرب:الأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس،سمي أدبا لأنه يؤدب الناس إلى المحامد ، وينهاهم عن المقابح.والأدب،أدب النفس والدرس.[2]

ويطلق البعض لفظ الأدب على معنيين عام وخاص،فالمعنى العام يدل على جميع ما صنف في شتى أنواع العلوم أما المعنى الخاص فهو التعبير عن مكنونات النفس من خواطر بأسلوب إنشائي أنيق مع الإلمام بالقواعد التي تعين على ذالك .[3]

ب- مفهوم المنقبة والمناقب لغة واصطلاحا :وردت كلمة مناقب بمعان مختلفة منها النقب، والنقب طريق ظاهر على رؤوس الجبال والآكام والروابي لا يزوغ عن الأبصار وهو المنقبة أيضا، و النقيبة يمن العمل وإنه لميمون النقيبة.[4] والنقيبة النفس ،يقال ميمون النقيبة أي مبارك النفس.[5]

1- علي ابن اسماعيل ابن سيده المرسي :المحكم والمحيط والأعظم.تح عبد الحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية،بي،1421ه،2000م ، ط1،ج9،ص385.

2- ابن منظور لسان العرب .دار صادر،بيروت 1414ه،ط3،ج1،ص206.

3- السيد تقي الدين:الأدب ماهية وفائدة،دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،دت،دط،ص8.

4- الخليل بن أحمد الفراهيدي:كتاب العين.تح مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ،دار ومكتبة الهلال ،دت،دط،دم،ج5،صص 179-180.

5- زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح .تح يوسف شيخ محمد المكتبة العصرية الدار النموذجية بيرو صيدا 1420ه/1999 م ط5 ،ج1،ص 317.

والمنقبة الفعل الكريم[1] و يقال في فلان مناقب جميلة أي أخلاق ، وهو حسن النقيبة أي الخليقة ، وقيل للنقيب نقيب لأنه يعلم دخيلة القوم ويعرف مناقبهم وهو الطريق إلى معرفة أمورهم.[2]

والمنقبة ضد المثلبة والجمع مناقب وهي ما فيه وفي أبائه من الخصال الجميلة[3] و رجل ذو مناقب، هي المآثر والمخابر.[4]

أما اصطلاحا، فلقد حضي رجال التصوف وأرباب الزوايا بالمغرب بشتى أنواع الإجلال والاحترام من قبل الحكام والمحكومين على حد سواء لأجل ما اضطلعوا به من المهام الحيوية لصالح المجتمع والدولة منذ العهد المريني فألفت فيهم كتب أسهبت في ذكر مناقبهم آثارهم وكراماتهم ،وهي الكتب التي أصطلح على تسميتها بكتب المناقب ودعي الجنس المعرفي التي تدخل في صلبه هذه الكتابة بأدب المناقب hagiographie.[5]

ويمكن تعريف أدب المناقب على أنها مجموعة من السياقات تسرد وقائع وأحداث تتصل بسيرة شخصية أو مجموعة من الشخصيات اشتهرت جميعها بصدق الطوية وصلاح السلوك ،تأصيلا للموعظة وإثمارا لنهجها الفاضل ،وليس المقصود بالفضيلة مدلولها الأخلاقي فحسب بل جميع الخصال التي اعتبرها العامة من الناس وأولاها مخيالهم مكانة خاصة كالثقة في الله وقوة الإيمان والصبر ورباطة الجأش والتغلب على النفس وكبح شهواتها لذلك ندب في كتابة هذه السير أن لا تخرج للناس أيام أصحابها درءا للافتتان وحفظا لأسرارهم

1- أحمد بن فارس القزويني:مجمل اللغة. دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان ،مؤسسة الرسالة بيروت،1406ه-1986م، ط2،ج14،ص881.

2- محمد بن أحمد الهروي: تهذيب اللغة.تح محمد عوض مرعب،دار إحياء التراث العربي،بيروت،2001م،ط1،ج9،ص 159.

3- ابن دريد:جمهرة اللغة.تح منير رمزي بعلبكي،دار العلم للملايين بيروت ،1987م،ط1،ج1،ص 374.

4- مرتضى الزبيدي:تاج العروس من جواهر القاموس. تح مجموعة من المحققين،دار الهداية،دت،دط،دم،ج4،ص 301.

5- حمدون بن محمد الطاهري الجوطي :تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان ،تحقيق محمد العمراني ،مطبعة سايس كرافيك ،فاس ،1423ه،،2011 م ، ط1،ص03.

الربانية.[1]

ج- طبيعة كتب المناقب :

تحفل كتب المناقب بالإشارات إلى أحوال المتصوفة و كراماتهم وأعمالهم وأسانيدهم و علاقاتهم مع مختلف الأوساط.فلقد حصل تحول واضح على الساحة الثقافية بالغرب الإسلامي بفعل انتشار التصوف وتكاثر رجالاته .وقد نجم عن مشاركة المتصوفة في العديد من القضايا ذات البعد الاجتماعي .تبوء هذه الشريحة لمكانة لا تقل أهمية عن طبقة العلماء أو الطبقة الحاكمة نفسها .وهذه السلطة المكتسبة بالفعل وجد لها مدونون عملوا على إعطائها بحجة المكتوب ،حجمها الحقيقي.[2]

لقد انتشر هذا الأدب مع بداية ظهور الزوايا ولم ينقطع إلا حديثا وتزايد الإقبال عليه بحثا عن الانتفاع ببركة الشيخ الولي بالتوازي تقريبا مع تزايد الإقبال على كتب المختصرات ومختصر المختصرات . إن مخطوطات المناقب التي ازداد عددها مع الانتشار الكبير للزوايا في الحواضر والأرياف هي تدوين لما قيل وما يقال عن كرامات الشيخ الصوفي وكل ما يتعلق بحياته وعلاقته بمريديه في تصنيف عرف باسم مناقب السيد ،السيدة،سيدي ،الولي ،القطب،متبوعا باسم الولي أو الولية وهذا ما جعل من هذا الصنف من الكتابات يختلف عن باقي الأصناف الأدبية ذات العمق الشعبي مثل الأحاجي والأساطير والخرافات كما يختلف عن القصص الدينية الكلاسيكية بما يتميز به من ترتيب واضح نجده تقريبا في كتب المناقب كلها ومن محتوى له سماته التي تميزه.والمناقب تكتب من أجل غرض واضح هو إظهار الولي قدوة ومثال يحتذى، من خلال وصف حياته اليومية وقدراته الخارقة وهيبته وتمتعه بالقبول عند الله.[3]

1- لطفي عيسى :مغرب المتصوفة الانعكاسات السياسية والحراك الاجتماعي من القرن العاشر الميلادي إلى القرن 17 م. مركز النشر الجامعي ،تونس ،2005 ،ص20.

2-. محمد فتحة : النوازل الفقهية والمجتمع :أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن 6إلى القرن 9ه/12-15م،مطبعة المعارف الجديدة،الرباط،1999م،صص،194-195.

3- صالح علواني:سير الأولياء والصالحين باعتبارها مصدرا من مصادر التاريخ الثقافي والاجتماعي في الوسط الريفي ،ضمن كتاب: التاريخ الشفوي،مقاربات في الحقل الاجتماعي الأنثروبولوجي، مجموعة من الباحثين،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،بيروت،2015م،ط1،ص 366.

فأدب المناقب كما يراه ميشال سيرتو،هو خطاب المعجزات والفضائل[1].هذا الخطاب يخضع إلى جنس أدبي خاص له قوانين اشتغال تميزه من حيث التنظيم وتشبيك المحتوى .والكتابة المنقبية تعرض عن الحياة الموضوعية بل العكس هو الصحيح لذا تتميز ظاهريا بالحرص الشديد على نقل حقيقة الحوادث التي يعيشها الولي،وأقواله كما هي،في توجه واضح نحو الإقناع.[2]

والخطاب المنقبي هو خطاب موجه نحو الوجدان ينتقي محتواه من المعجزات ويخاطب المخيال لا العقل فهو يبني خطابه على وقائع موضوعية لها زمانها ومكانها واصفا بذالك وضعا حقيقيا في زمن محدد وضمن واقع اجتماعي محدد،لكن الهدف من وراء ذالك يبقى منصبا على إبراز القدرات الخارقة للزمان والمكان التي يتمتع بها الولي وهي المنطلق والغاية من وضع التأليف.[3]

والشائع في المنقبة أن تدل على كرم الفعل ومفاخر الأعمال والخلق الحسن. وقد تستخدم في كتب التراجم للكلام على مزايا المترجم له،الاجتماعية والأدبية.فمن ذالك استعمال لسان الدين ابن الخطيب لكلمة مناقب في كتاب، الإحاطة في أخبار غرناطة عندما تحدث عن المجال الذي يتفرد به العلم المترجم له، مثل ترجمته لأحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي، فقد ورد تحت عنوان مناقبه قول ابن الخطيب :وهي الكتابة والشعر.ولكن يمكن أن نلاحظ أن المنقبة اقترنت أكثر ما اقترنت ،بالكرامة، فأصبحت كتب المناقب تحتوي كثيرا منها .ويعزز هذا القول كثرة كتب الكرامات التي جعلت من المناقب عنوانا لها ، مثل كتاب المعزى في مناقب أبي يعزى ،أو كتاب مناقب الشيخ أبي العباس أحمد بن جعفر السبتي وغيرها .[4]

وهكذا يبدو واضحا أن الواقع الموضوعي والواقع الولائي يختلطان من دون تمييز في المخيال الجمعي وفي ذهن

1- Michel de certeau/ lecriture de lhistoire. bobliotheque des histoire gallimard paris 1975 p 282.

2- صالح علواني، مرجع سابق ص 367.و أيضا محمد فتحة مرجع سابق ص 155.

3- صالح علواني:مرجع سابق ص 367.

4- لؤي علي خليل :الكرامات في التراث العربي الإسلامي(النموذج الأندلسي).مجلة التراث العربي ،مطبعة اتحاد الكتاب العرب،دمشق،1425ه،2005م،العدد 97،صص 167- 168.

مدون كرامات الأولياء وسيرهم كلما تعلق الأمر بالولي ، بل ربما تكون كتب المناقب تعبيرا صادقا عن هذا المزج المحكم لكن العفوي بين واقعين ،واقع الولي الصوفي كما يصوره المخيال الجمعي والواقع اليومي للمجتمع وبذالك تكون كتب المناقب خليطا بين التاريخ و المتخيل.وهنا تكمن صعوبة التعامل مع الوثيقة المنقبية.فلا مجال لتجاهلها ولا مجال أيضا لأخذ ما جاء فيها كله،على أن التاريخ ثابت وأداة نهائية من أدوات كتابة التاريخ .فما هو تاريخ وما يخرج عن مجال التاريخ يتفاوت حضوره في النص المنقبي بحسب المتخيل الجمعي للوظيفة الاجتماعية للولي ،فبقدر ما يظهر الولي في أذهان العامة قويا ومؤثرا وصاحب كرامات،بقدر ما يكون مهابا إلى حد الخشية من إغضابه حيا أو ميتا.،ويكون بذالك التصنيف المنقبي مرآة لقدرات الشيخ الصوفي الخارقة ,التي تعطى الأولوية المطلقة عند جمع المأثور الشفوي الذي يتناقله أتباعه ومريدوه والمحيطون به من العامة،[1]

فالولي هو حبيب الله وبذالك تكون المناقب إحدى تجليات المقدس ،تنطلق من الواقع الموضوعي ،أي من التاريخ لكنها أهدافا خارج التاريخ، حيث تحاول أن ترسم صورة للولي تخرج عن حدود الزمان والمكان. فالولي ليس إنسانا عاديا ، بل كائن يتسم بالقدرة على ولوج عالم اللا منطق ، وهذا أمر لا يأتيه إلا الأولياء كما تقول المناقب فشخصية الولي تنطوي على بعد أسطوري تحاول كتب المناقب من خلال ما يحمله عنه المتخيل الجمعي التي تضعه في صدارة أهدافها، وذالك حتى تضفي شيئا من القداسة عليها ،وهي الصورة التي ستوظفها فيما بعد عائلته وأتباعه كرأسمال رمزي ذي أهمية قصوى.[2]

ولئن لم يمثل هذا الغرض الأدبي خروجا كاملا عن مألوف المعرفة العالمة الكلاسيكية ،واشتمل كغيره على نقول نثرية وأبيات شعرية وأخبار من السيرة النبوية وتفاسير قرآنية ومسائل فقهية وملح وأمثال متعارفة وحكم وأدعية وتوسلات،فقد تميزت بنيته التنظيمية من حيث الأسلوب بارتكازه على قطبين أساسيين هما بطل السيرة المنقبية والقيم التي تهدف تلك المروية إلى تأصيلها من خلال استعراض التفاصيل الخارقة لتلك السيرة لقد انبنت نصوص المناقب على استعراض العقبات التي مر بها أبطالها كالامتحان والاجتباء وظلم حكام الجور

1- صالح علواني:مرجع سابق ص367.

2- نفسه ص 368.

،ومستغرقي الذمة وبطانتهم قبل أن تنفلق الكرامات محولة أولئك الأبطال غلى أقطاب لالتقاط البركة ومصادر لبثها بين جميع السالكين والمصدقين من القراء والمحبين .[1]

2- علاقة أدب المناقب بمعارف شبيهة: إن القارئ لكتب المناقب يجدها تتقاطع مع عدة أجناس كتابية أخرى إلى درجة أن بعض الباحثين يطرح تصورا من أجل جعل الأدب المنقبي صالحا للإفادة منه، هو جمع المتن الكرائمي ومحاولة تحقيقه وتصنيفه وفرز موضوعاته وثبت المصادر التاريخية التي ولدته. وإذا اغتبنا هذا الجنس من النصوص لأنه لا يواكب ظاهرة روح العصر فالاضطراب واضح باعتبارها خرافات أو حكايات خرافية أو كرامات أو مناقب أو أدب أو غرائب أو أساطير.[2]

أ- علاقتها بالتاريخ:ولنا أن نتساءل عن علاقة كتب المناقب بأجناس كتابية أخرى كالتاريخ ،فمعلوم أن التاريخ هو علم يبحث عن وقائع الزمان من ناحية التعيين والتوقيت وموضوعه لإنسان والزمان ،ومسائل أحواله المفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة للإنسان وفي الزمان .والتاريخ والتأريخ والتوريخ يعني الإعلام بالوقت[3]فإن المروية المنقبية تفتقد لعنصر الزمن غالبا ،فالسرد المنقبي هو بالأساس مروية شفوية لا تكترث بالزمن. [4]

لقد اعتمدت هذه الروايات على قوة الذاكرة وهذا معناه ضرورة الاحتياط والاعتبار من هلامية المكتوب والمروي الشفوي الحاضر بقوة في تراث عقليتنا ،ذالك أن ما اطلعنا عليه واطلع عليه غيرنا، زاخر بحضور الشفوي ويطرح مشاكل عدة في مستوى روايته ومصداقيته[5]وإن نقل هذه الترجمة المنقبة من التداول الشفوي إلى الكتابة أحدث عليها تغييرات جذرية وعليه فإن الترجمة المنقبة التي نقرأها في التشوف هي على قصرها

1- لطفي عيسى:مغرب المتصوفة ،ص 21.

2- عبد الله أحمد بن عتو:مشكل المنهج في قراءة بعض الكتابات المنقبية في المغرب.مجلة عالم الفكر،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت1996،العدد الثاني،ص 244.

3- حسن عثمان:منهج البحث التاريخي.دار المعارف القاهرة،دت،ط8،ص12.

4- لطفي عيسى:مغرب المتصوفة ص 21.

5-:أحمد بن عتو،مرجع سابق ص 244.

تنمية لنواة أقصر وتحويل لمضمونها ، انسجاما مع التحول الثقافي والاجتماعي والسياسي الذي كانت تحياه الفترة :فترة التحول السياسي والاجتماعي وفترة التعريب وفترة التدوين الشفوي، وفترة تسرب الخطاب الصوفي إلى دواليب الدولة والبيئة الثقافية

المحافظة وفترة تخصيصه بمؤلفات في المحيط المغربي وتعبير آخر فترة بداية تأسيس الخطاب الصوفي والدعوة إلى تبنيه واعتناقه كما أن نقل الترجمات الصوفية من بين كتب التراجم العامة إلى كتب خاصة تتحدث عن شخصيات متجانسة منحها تقاليد الجنس ،كما أن نقل الترجمات المنقبات من الرواية الشفوية البربرية إلى الكتابة العربية العالمة أعطاها أبعادا جديدة كما أن تجميعها في مصنف منحها هوية خاصة (جنسا) ولكن الكتابة لم تفقدها بعض ملامح الشفوية كما أن جنسها لم يفصلها نهائيا عن الأجناس المماثلة لها والمشابهة .[1]

فهل يمكن اعتبار للكتابات المنقبية، وثائق تاريخية، أجاب جاك بارك عن ذالك، بأن محتوى أي مخطوطة لا يمثل على الإطلاق الجانب الأكبر لأهمية هذه الوثيقة،ذالك أنه يجدر بالباحث ان يتوصل إلى استنباط الكيفية التي تمكنه من إعادة تشكيل أو إحياء الأطر الاجتماعية والبنى الثقافية التي عاصرها الأثر من خلال إيجاد صيغة للربط بين النص كبناء لغوي والمرجعية الاجتماعية والسلوكية التي أفرزته ،الأمر الذي يجعل الخطاب يكشف عن أصدق شهاداته ،أي تلك التي يحملها عن نفسه.[2]

ويضيف بارك قائلا:نعتقد أن لا مجال للاستغناء عن هذا الأدب المنقبي إذا أردنا الاقتراب من العامة بالخصوص، والتعرف إلى عالم مخيالها الجمعي الذي يتحكم إلى درجة كبيرة بطبيعة تدينهم و بالانتظارات وبالاهتمامات والسلوك الجماعي أو الفردي الذي يشدهم إلى الحياة. وما عاد من الضروري أن يمثل المخطوط وثيقة نادرة أو أن يحوي مادة ثرية من المعلومات الموضوعية حتى يكون جديرا بحب اطلاعنا،فلا التفاهة الظاهرية لخطابه ولا اصطلاحاته الخاصة وهناته اللغوية قادرة على إبطال حرمته وجاذبيته كمحاور كفؤ[3]

1- محمد مفتاح .الواقع والعالم الممكن في المناقب الصوفية.ضمن كتاب التريخ وأدب المناقب ، منشورات عكاظ ،الرباط،1989م،صص 31-32.

2- صالح علواني:مرجع سابق،صص368-369.

3- نفس المرجع صص 369-370..

وعموما إن الكتب التاريخية والجغرافية والأدبية الكلاسيكية تبقى غير كافية لإدراك سلسلة من الأحداث التاريخية ومن الأزمات السياسية والاجتماعية الحادة التي طبعت المجتمع المغربي بشطريه الحضري والقروي معا.وإذا كانت تلك المؤلفات تصف أحيانا بنوع من الإسهاب ردود الفعل لأولي الأمر المباشرة اتجاه بعض الأحداث فإنها أي

المؤلفات المذكورة قلما تتطرق لنفس الأحداث في حد ذاتها وأسبابها واتساع رقعتها وبالتالي في عمقها كظاهرة من ظواهر الانفجارات الشعبية والإصلاحية المنضوية عموما تحت شعارات دينية ،إن هذا التساؤل المطروح على المؤلفات الكلاسيكية المذكورة ليحفز المؤرخ إلى البحث عن مصادر أخرى من شأنها أن تساعد على فهم مدلول تلك الأحداث ونشير بطبيعة الحال إلى أدب المناقب.[1]

وتزداد أهمية هذه المصادر من نوع كتب التراجم وغيرها عندما نجدها تهتم بمناطق ونواحي وأشخاص تشكل عناصر ثانوية في زحمة اهتمام المؤرخ الرسمي الذي يهتم أول ما يهتم بالأحداث الكبرى التي لها ارتباط بالسياق التاريخي العام الذي ينصب أول ما ينصب على تاريخ الأسر والدول المالكة وما يندرج تحت هذا المعنى.

وتزيد أهمية هذه المصادر من نوع كتب التراجم وغيرها عندما نجدها تهتم بمناطق ونواحي وأشخاص تشكل عناصر ثانوية في زحمة اهتمام المؤرخ الرسمي الذي يهتم أول ما يهتم بالأحداث الكبرى التي لها ارتباط بالسياق التاريخي العام الذي ينصب أول ما ينصب على تاريخ الأسر والدول المالكة وما يندرج تحت هذا المعنى.[2]مستويات متعددة،عندما تتناول بالاعتبارات المنهجية الضرورية ،لأنها تعكس التاريخ وتتبئ به وتمهد له ان لم نقل أنها تصنعه.[3]

لقد أكد بروفنصال من خلال تعامله مع الثقافة العربية ومصادرها على أهمية هذا النوع من الكتابة

1- حليمة فرحات وحامد التريكي: كتب المناقب كمادة تاريخية.في كتاب التاريخ وأدب المناقب ،منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي،منشورات عكاظ،الرباط،1989م، ص

2- أحمد بوكاري:كتب التراجم كمصدر لإغناء المعرفة بتاريخنا.مجلة المناهل،تصدرها وزارة الشؤون الثقافية،الرباط،1407ه-1987م،العدد 36،ص 245.

3- أحمد التوفيق: التاريخ وأدب المناقب.في كتاب التاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى،منشورات عكاظ،الرباط،1989م،صص83،81.

لكونه يمتاز بكثير من عناصر التحقيق ويشتمل على تراث واسع ،ومثال ذالك كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان والديباج المذهب لابن فرحون ،بحيث من دونهما لظلت زمرة وافرة من أمجاد الإسلام مجهولة مغمورة [1] وفيما يتعلق بتاريخ المغرب فإننا نجد في تلك التراجم الشخصية أو الأسرية فوائد تاريخية مهمة ،فنجد مثلا في كتاب مرآة المحاسن والذي خصصه صاحبه لمناقب جد العائلة الفاسية ،أبي المحاسن يوسف الفهري وصفا قيما

لمعركة وادي المخازن وفي البدور الضاوية للحوات معلومات وجيزة لكن طريقة عن دولة الدلائيين[2]

وفي كتاب المرقي في مناقب محمد الشرقي نجد معلومات هامة عن الزاوية الشرقاوية بتادلا ،ومعلومات متنوعة عن الحياة الفكرية والإجتماعية ،وحتى السياسية وإن قلت.

إن أعلام البيوتات المغربية غالبا ما يكونون من الصلاح والاستقامة والعلم والدراسة ،ولذا تعتبر الكتب المخصصة للتنويه بفضائلهم ومناقبهم وثائق مهمة فيما يتعلق بالحياة الدينية والأدبية ،فالأسرة الفاسية مثلا كانت ركنا من أركان الطريقة الشاذلية بالمغرب ومنبتا خصبا لعلماء اشتهروا بالتقوى والمعرفة حتى أن أحدهم وهو عبد القادر الفاسي لقب بسيوطي عصره.[3]

1- ليفي بروفنصال:مؤرخوا الشرفاء.تع عبد القادر الخلادي، دار المغرب للطباعة والترجمة والنشر،الرباط،1397ه،1977م،ص 53.

2- نفس المرجع ص 56.

3- بروفنصال:مؤرخو الشرفاء ص56.

ب- المناقب والتصوف:

وإذا كانت ثم خصوصية لموقع المناقب في لحضارة الإسلامية فإن ثمة خصوصية بينها وبين التصوف فبينهما تداخل طبيعتي كل منهما [1]فالتصوف يعرف على أنه الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا وباطنا فيرى حكمها من الظاهر في الباطن ،وباطنا فيرى حكمها من الباطن في الظاهر،فيحصل للمتأدب بالحكمين كمال ،وقيل بذل المجهود والأنس بالمعبود وقيل حفظ حواسك من مراعاة أنفاسك ،وقيل الإعراض عن الإعتراض ،وقيل هو

صفاء المعاملة مع الله تعالى وأصله التفرغ عن الدنيا ،وقيل الصبر تحت الأمر والنهي،وقيل خدمة التشرف وترك التكلف،واستعمال التظرف،وقيل الأخذ بالحقائق والكلام بالدقائق والإياس مما في أيدي الخلائق[2]

ومعظم تعريفات التصوف مهما اختلفت صيغتها تتفق في عد المتصوف عبدا صالحا يزهد في الدنيا من أجل الآخرة ودائرة الصلاح التي ينتمي إليها الصوفي هي نفسها الدائرة التي تقع فيها الكرامة، ذالك أنها هبة من الله لمن شاء من عباده الصالحين، أي أنها إن ثبتت لعبد فهي على الأغلب دليل صلاح،ما دام هذا العبد غير خارج عن منظومة الدين. ،وتجدر الإشارة إلى أن أحد أهم نقاط التقاء التصوف والكرامة مسألة الولاية ،فالولاية هي النموذج الذي يسعى إليه المتصوف، على اعتبار أنها تمثل غاية القرب من الله فهي مرتبة من مراتب القرب الإلهي ،يتولى فيها الحق،من حيث أسمائه الحسنى،العبد ،فالولي يخص الحق هنا.وينتسب إليه.وهذه النسبة الخاصة للحق لا تكتسب مطلق ، وإنما هي تعيين إلهي وبسبب دلالتها على القرب الإلهي حازت الولاية مكانة أساسية في التصوف.[3]

فالكرامة مفهوم جامع يشمل كل ما يخالف سنن المعقول والطبيعة، مما ينسب إلى العباد الصالحين وهذا أنها تضم حوادث المعراج المنسوبة إلى بعض الصوفية، وكذالك ما عرف بالمناقب التي تنسب إلى صالح العباد.[4]

1- لؤي علي خليل:مجلة التراث العربي.ص 170.

2- الشريف الجرجاني:التعريفات .مؤسسة الحسنى،الدار البيضاء،المغرب،1427ه،،2006م،ص36.

3- لؤي علي خليل،مرجع سابق،ص 170.

4- نفس المرجع،ص 169.

فكما أن إتيان الرسل بالمعجزات يمثل إحدى وسائل تأكيد صحة رسائلهم فقد كان التصديق بالكرامة سبيلا للاعتقاد في ولاية صاحبها، وكان سلوك الأولياء وعميق إيمانهم وتخصيصهم لغالب وقتهم للعبادة والذكر ودفع الأذى عن الناس من جملة الأسباب التي وثقت صلة الناس بهم وزادت في الاعتقاد بما يأتونه من أعمال ، وما ينسب إليهم من أفعال وفي هذا الصدد فإن كتب المناقب والتراجم والمناقب تحفل بالكرامات المنسوبة إلى المتصوفة، وهذه الكرامات متنوعة جدا ، فهم أصحاب مكاشفات ويتنبأون أحيانا بما يحصل ،ودعاؤهم مستجاب إضافة إلى إتيانهم بالأشياء الخارقة ،كالمشي فوق الماء وطي

الأرض والطيران في الفضاء وإيقاف الكوارث الطبيعية ،وترويض الوحوش الضارية علاوة على أدوار المتصوفة في المجتمع وقدرتهم على توفير الطعام عند الحاجة ،والحماية وشفاء المرضى ودحر الأعداء وكلها أشياء اعتبرت من قبيل الكرامة .[1]

فالْكَرَامَةُ وَهِيَ أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ غَيْرُ مَقْرُونٍ بِدَعْوَى النُّبُوَّةِ وَلَا هُوَ مُقَدِّمَةٌ، يَظْهَرُ عَلَى يَدِ عَبْدٍ ظَاهِرِ الصَّلَاحِ، مُلْتَزِمٍ لِمُتَابَعَةِ نَبِيٍّ كُلِّفَ بِشَرِيعَتِهِ مَصْحُوبٍ بِصَحِيحِ الِاعْتِقَادِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ،[2]

ويعرف الشيخ رشيد كلمة "الولي" لغة وشرعاً، فقال: "الولي في اللغة الناصر والمتولي للأمور وقد نهى الله المؤمنين أن يتخذوا من دونه أولياء وقال: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا} [3]، وقال: {وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ} [4]، وقال {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [5].وأولياء الله هم أنصار دينه، والمميز لهم كمال الاتباع المعبر عنه بالتقوى، فكل مؤمن تقي ولي، وليس عمل الغرائب ولا صدور الخوارق دليلاً على التقوى ولا على الولاية. قال تعالى: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}[6] ثم بين الشيخ رشيد أن هناك اصطلاحاً ـ جاء لاحقاً ـ هو: "أن الأولياء صنف من الناس تظهر على أيديهم الخوارق ويتصرفون في

1- محمد فتحة:النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث غي تاريخ الغرب الإسلامي من القرن 6-9ه /12-15م .ص 196.

2- شمس الدين السفاريني: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية. مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق ط2 ، 1402 هـ - 1982 م،ج2،ص 392.

3- البقرة 257.

4- الأعراف 3.

5- الزمر 3.

6- يونس 62.

الكون بما وراء الأسباب، ولم يعرف الصحابة هذا المعنى.[1]

ويرى القشيري أن ظهور الكرامات أمر جائز ولا شيء يمنعه فلا يؤدي حدوثه إلى رفع أصل من الأصول ،فواجب وصفه سبحانه بالقدرة على إيجاده ،وإذا وجب كونه مقدورا لللة سبحانه فلا شيء يمنع جواز حصوله أضف إلى ذالك أن الإيمان بإمكانية خرق القوانين الطبيعية يؤكد عدم ثبات هذه القوانين وأنها مؤقتة طارئة ومرتبطة بنسق محدد ستزول بزواله.[2] ويرى الإمام أحمد أن كرامة الأولياء حق وأنكر على من أنكرها ،وضلله.[3]

ويرى الباقلاني ومن معه، فيقولون: كل ما جاز أن يكون معجزة لنبي، جاز أن يكون كرامة لولي من غير استثناء،[4]و أجاب ابن رشد بأن إنكار الكرامة والتكذيب بها بدعة

وضلالة ،بثها في الناس ،أهل الزيغ الذين لا يقرون بالوحي والتنزيل ،لم يخالف هؤلاء الفقهاء وهم من أعلام وقتهم كّأحمد القباب وابن عبد السلام ومحمد بن قاسم العقباني ،ما هو مقرر عند المالكية بعدم إنكار كرامات الأولياء، ولكنهم ألحوا في المقابل على ضرورة إخضاع الكرامات وأصحابها إلى مقاييس الشرع وأبطلوا منها جملة كادعاء الكلام مع الملائكة وتوظيف الولاية من أجل الحصول على مكسب حرام قد يسيء إلى مصالح الناس أو التنبؤ بالغيب كوقت نزول المطر وحدوث الفتن والأهوال، وتحديد جنس الجنين إن هذه المواقف تعبر عن جانب من التناقض الذي حصل أواخر العصر الوسيط بين العلماء وبعض التوجهات الصوفية التي تخالف السنة والجماعة وهي توجهات ظهرت بفعل الانتشار السريع لهذه الظاهرة وتكاثر أدعياء الولاية .[5]

ويقول الشاطبي:" لَوْ نَظَرْتُمْ إِلَى رَجُلٍ أُعْطِيَ مِنَ الْكَرَامَاتِ حَتَّى يَرْتَقِيَ فِي الْهَوَاءِ; فَلَا تَغْتَرُّوا بِهِ حَتَّى تَنْظُرُوا كَيْفَ تَجِدُونَهُ عِنْدَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَحِفْظِ الْحُدُودِ وَآدَابِ الشَّرِيعَةِ ".[6]

1- تامر محمد محمود متولي: منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة.دار ماجد عسيري ،السعودية،،1425،2004م،ط1،ج1،ص 736.

2- لؤي علي خليل:الكرامات في التراث العربي الإسلامي.(النموذج الأندلسي).مجلة التراث العربي ،مطبعة اتحاد الكتاب العرب،دمشق،1425ه،2005م،العدد97،ص 169.

3- تامر محمد متولي:مرجع سابق،ج2،ص 393.

4-مبارك الميلي: رسالة الشرك ومظاهره،تح أبو عبد الرحمن محمود،دار الراية للنشر والتوزيع،1422ه، 2001م،ج1،ص 186

5- محمد فتحة:النوازل الفقهية والمجتمع،صص196-197.

6- الشاطبي :الاعتصام.تح سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية،، 1412هـ - 1992م،ط1،ج1،ص126

إلا أن الشيخ رشيد ذكر فرقاً صحيحاً وهو قوله: "إن الكرامة لا تبلغ مبلغ المعجزة كإحياء الموتى وإنما تكون فيما دون ذلك كشفاء مرض ومكاشفة وخلافاً للقول المشهور (ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي) العبارة يقول الشيخ رشيد: "العبارة ليست حديثاً ولا أثراً عن الصحابة، وهذه الاصطلاحات من المعجزة والكرامة والولاية قد حدثت من بعدهم، وإنما هي كلمة لبعض المشايخ، وافقت هوى الناس فتلقوها بالقبول وصارت عندهم من قبيل القواعد الدينية وسارت بها الأمثال فيما بينهم، ونحمد الله أننا لم نعدم في شيوخ التصوف والعلم من أنكرها.[1]

ويرى محمد عبده أن أهل السّنة وَغَيرهم فى اتِّفَاق على أَنه لَا يجب الِاعْتِقَاد بِوُقُوع كَرَامَة مُعينَة على يَد ولى لله معِين بعد ظُهُور الْإِسْلَام فَيجوز لكل مُسلم بِإِجْمَاع الْأمة أَن يُنكر صُدُور أَي كَرَامَة كَانَت من أى ولى كَانَ وَلَا يكون بإنكاره هَذَا مُخَالفا لشىء من

أصُول الدّين وَلَا مائلا عَن سنة صَحِيحَة وَلَا منحرفا عَن الصِّرَاط الْمُسْتَقيم اللَّهُمَّ إِلَّا ان يكون مِمَّا صَحَّ فى السّنة عَن الصَّحَابَة أَيْن هَذَا الأَصْل الْمجمع عَلَيْهِ مِمَّا يهذى بِهِ جُمْهُور الْمُسلمين فى هَذِه الْأَيَّام حَيْثُ يظنون أَن الكرامات وخوارق الْعَادَات أَصبَحت من ضروب الصناعات يتنافس فِيهَا الْأَوْلِيَاء وتتفاخر فِيهَا همم الأصفياء وَهُوَ مِمَّا يتبرأ مِنْهُ الله وَدينه وأولياؤه وَأهل الْعلم أَجْمَعُونَ.[2]

ويرى ابن تيمية أن ما نعرفه نحن عيانا ونعرفه في هذا الزمان فكثير، ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد

تكون بحسب حاجة الرجل، فإذا احتاج إليها الضعيف الايمان أو المحتاج، أتاه منها ما يقوي إيمانه ويسد حاجته، ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنيا عن ذلك، فلا يأتيه مثل ذلك، لعلو درجته وغناه عنها، لنقص ولايته.[3]

وقد ذهب الفلاسفة كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ كَمَا أَنْكَرُوا مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنْكَرَتِ الْكَرَامَاتِ أَيْضًا الْمُعْتَزِلَةُ، وَبَعْضُ الْأَشَاعِرَةِ؛ بِدَعْوَى الْتِبَاسِهَا بِالْمُعْجِزَةِ، وَهِيَ دَعْوَى بَاطِلَةٌ؛ لِأَنَّ الْكَرَامَةَ ـ كَمَا قُلْنَا ـ لَا تَقْتَرِنُ بِدَعْوَى الرِّسَالَةِ.[4] هذا من الناحية الشرعية ،أما من الناحية الواقعية فما يرعي الانتباه فيما يتعلق بالكرامات من خلال كتب المناقب هي كثرتها حتى تصبح بمثابة عادة من العادات ،وأنها هي الأصل في سيرة أصحاب المناقب ،فما تفسير ذالك؟

هناك من يرى أن الكرامة لم تكن سوى أداة للنقد ،استعملها التيار الصوفي لتمرير خطابه الإصلاحي

1- تامر محمد متولي :مرجع سابق ص12.

2- محمد عبده بن حسن خير الله : رسالة في التوحيد.،دار الكتاب العربي،ص 106.

3: ابن تيمية:الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.تح عبد القادر الأرناؤوط،مكتبة دار البيان،دمشق،1405ه،1985م،ص166.

4- محمد بن خليل حسن هرّاس : شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية. ضبط علوي بن عبد القادر السقاف،دار الهجرة للنشر والتوزيع،الخبر ،السعودية،1415ه،ص7.

وذالك لما للكرامة من قدرة على التمويه إذ هي بمنزلة خطاب مستور وملتو يضمن للصوفية السلامة من أي اضطهاد كما أنها وسيلة تمكن الصوفية من توجيه خطابهم إلى المجتمع دونما حاجة إلى مقارعة السلطة بالقوة ،وفوق ذالك فإن علاقة الكرامة بالدين يعني ارتباطها بالمقدس الذي يتيح لها القبول لدى العامة والخاصة وبما أن غالبية المتصوفة كانوا من الفقراء فهم أقرب الناس إلى المجتمع ومشاكله وإلى الشريحة الواسعة منه،،ففي مجتمع يشكوا فيه الناس ضغوطا ساسية واجتماعية واقتصلادية يصبح إحساس الفرد البسيط بهامشيته مضاعفا وعندا تظهر في مثل هذا المجتمع نصوص تنسب لأفراد من شرائح اجتماعية بسيطة وفقيرة ما هو خارق للعادة،يغدوا هذا الفرد في نفوس الناس بطلا يمثلهم ويرون فيه تجسيدا لسخطهم المكتوم ما يجعل الكرامات تنتشر انتشار النار في الهشيم.[1]

وهذا هو السبب نفسه الذي يدفع إلى الاعتقاد بوجود زيادات في الكرامات ،مما أفرزته المخيلة الشعبية،وخاصة إذا علمنا أن انتقال الكرامات كان يأخذ طابعا شفويا

يتناقله المريدون ثم العامة،وعند موت صاحب الكرامات يزول سبب كتمانها ويبدأ المريدون في إشاعة ما عرفوه عن وليهم من كرامات،وهو سبب في وقوع زيادات ونقص في هذه الكرامات ،فتبدأ بذالك فردية ثم تنتهي جماعية لدى شريحة واسعة من المجتمع.[2]
وذهب بعض الباحثين إلى اتهام الصوفية بعقدة اتجاه فكرة النبوة تدفعهم دائما إلى ادعاء الكرامات ،بعدها ضرب من المعجزات وذهب زيعور إلى أن بطولات الشخصية الصوفية تنم عن عقدة هي حسد الألوهية،أو في مرحلة أولى حسد النبوة ،وإذا كانت الرغبة في النبوة حرام يقمعها الأنا الأعلى للصوفي فليس أفضل من الكرامات تعبيرات إسقاطية عن أماني الصوفي المكبوتة.[3]

1- لؤي علي خليل:الكرامات في التراث العربي الإسلامي،ص 172

2- المرجع نفسه،ص 173.

3- زيعور علي: العقلية الصوفية ونفسانية التصوف ،سلسلة التحليل النفسي للذات العربية ،دار الطليعة بيروت،1979م. صص،185-186.

ج- أدب المناقب بين السير والتراجم:

السيرة النبوية اصطلاحاً: هي الترجمة المأثورة لحياة النبي صلى الله عليه وسلم.أو هي: ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها وهذا التعريف ذكره المحدِّثون للسنة، وهو تعريف للسيرة أيضاً؛ لأنّ من معاني السيرة في اللغة: السُّنّة، ولأنّ التعريف اشتمل على ذكر حياة النبي صلى الله عليه وسلم كلها قبل البعثة أي: من ولادته وبعدها حتى وفاته.[1]

ومثلما جاء مصطلح السنة ليشمل كل ما تعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم جاء مصطلح مناقب ليعني مجموع مجموه أفعال وأقوال وسلوك وشخصية من أظهروا ورعا شديدا وزهدا وصلاحا ليكونوا قدوة للعامة وحتى بعض الخاصة.فمصطلح المناقب ظهر بدوره شكلا من أشكال السير ،ولكن أعلامها هم الأولياء عموما فللسيرة والمناقب الهيكلة

نفسها تقريبا لكن السيرة مخصصة للنبي صلى الله عليه وسلم والمناقب لأهل التصوف والكرامات [2]

ويقول مصنفو المناقب أن كل مقلد لإمام عليه معرفة حال إمامه الذي يقلده ولن يتم ذالك إلا عبر معرفته لمناقبه وشمائله وفضائله وسيرته وأقواله الأصلية ،عليه معرفة اسمه زكنيته وأصله وفصله وزمانه وبلده وكذالك أصحابه وأتباعه .[3]

ويمكن أن نميز السيرة على أنها نوع من الأدب يجمع بين التحري التاريخي والإمتاع القصصي ويراد به دراسة حياة فرد من الأفراد ورسم صورة دقيقة لشخصيته ونستعمله إذا تناولت الدراسة الواحدة شخصا واحدا وكان محورها .[4]

1- محمد بن محمد العواجي: أهمية دراسة السيرة النبوية والعناية بها في حياة المسلمين ،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية،دت،دط،ص6

2- صالح علواني: سير الأولياء والصالحين،صص 363-364.

3- نفس المرجع ص 364.

4- محمد منصوري :فن التراجم والسير في كتاب زهر الآداب،مجلة الفضاء المغاربي،جامعة تلمسان،،1425ه،2004م،العدد2،ص ص 229-230.

حتى القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي كانت كتب المناقب امتدادا لكتب التراجم،والتراجم لا تكون إلا لمن لهم تأثير علمي بالأساس لكن في أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجري ظهر محتوى جديد للمناقب حضر فيها صنف جديد من العباد الذين لا ينتمون إلى الشريحة الإجتماعية البارزة في مجتمعها ،هم أناس قريبون من العامة في حياتهم ،تميزوا بانصرافهم عن الدنيا زاهدين فيها من شدة الورع.[1]

ولا تكاد تختلف الترجمة المنقبية عن مثيلتها من الترجمة التاريخية لاشتراكهما في عدة ثوابت في عملية بناء الترجمة وصنع إطارها إلا أن معالجة هذه الثوابت بالكيفية التي تختص بشيوخ التبرك والصلاح وما يثمر معها من التعرف على مناقب وكرامات هؤلاء الشيوخ يجعل التباين قائما بين صنفي الترجمة التاريخية والمنقبية،والحديث عن أحوال المترجم وأخباره وهو ثابت أيضا من ثوابت الترجمة العامة في الترجمة المنقبية إنما يجري ليتحول الخبر به إلى حجة في دلالة المنقبة عند المترجم به وتأكيد ما بعدها من صلاحه، ومدام الخبر المنقبي يقوم بهذه الصفة التأويلية فإن مصداقيته تكون في تأكيد الاعتقاد بصلاح الشيخ وليس في تأكيد حقيقة خبرية لذالك كان التعامل مع المنقبة وجني

الفائدة التاريخية منها إنما يتم بحذر شديد وهذا على عكس ما يحمله الخبر في صنفي الترجمة الأدبية أو الترجمة التاريخية. [2]

فالترجمة العلمية في كتب تراجم الرجال والتواريخ تهدف إلى كشف أثر الرجل في العلم قراءة ورحلة وتدريسا وتأليفا مع عرض المشيخة وتسمية رجالها وتعيين سبل الانتفاع بها مع تسمية الأصحاب والطلبة وكيفية الاستفادة من الشيخ في حين تركز الترجمة المنقبية على العلاقة بين المترجم به والشيوخ وأتباعه و تلامذته ،ولكن في إطار الاستفادة الجارية بين الرجل وشيوخه أو تلامذته في مذهب القوم وطريقتهم فلا يحتاج الآخذ إلى علم بقدر ما يكون في حاجة إلى تربية وتوجيه سلوك ،تطول المدة أو تقصر فيحصل معها الفتح الذي تكتمل به خصوصية الشيخ ويتم استخلافه عن طريق انتقال السر إليه ووراثته الولاية.[3]

1- صالح علواني،مرجع سابق ص 365.

2- عبد الله المرابط الترغي:كتب التراجم العامة وكتب المناقب خلال عصر المولى اسماعيل(1082ه-1139ه) .مجلة المناهل،المغرب،1418ه،1997م،العدد 56،ص 8

3- نفس المرجع صص 8-9.

وإذا كانت الترجمة العلمية في كتب لتراجم والرجال تبرز حركة العلم والتدريس والتأليف ومزاولة الأنشطة الموازية لذالك فإن الترجمة المنقبية يقوم فيها الحديث عن الكشف والكرامة والرؤية والتأثير والتوجيه وذكر ما اختص به الشيخ من تفسير للصيغ القرآنية والحديثية والأدبية وكلام القوم بطريقة الإشارة أو ما يورده الخاطر أو ما يجري إليه الكشف المؤيد بالإلهام الرباني. [1]

ويمكن رصد ثوابت الترجمة المنقبية في ما يلي:

1- التعريف بالأصل والنشأة وظروف الولادة والمشيخة التي استفاد منها ووراثة سر شيوخها وعرض أسانيد طريقته.

2- عرض المواقف والأخبار مما يبرز فيه عنصر الكرامة.

3- عرض ما يمثل الثقافة الصوفية عند الشيخ بما يفسره من القرآن والحديث وكلام القوم خاصة ما أشكل منه.

4- عرض ما صدر منه من كلام يعبر به عن مواجده وتمكنه في الطريقة.

5- إيراد لوائح الإتباع ممن حصل لديهم الإنتفاع بالشيخ والتعريف بهم.

6- ما صدر من الشيخ من إنشاد منه أو بحضرته.

7- ما قيل في الشيخ من أشعار مدحا أو رثاء. [2]

1- المرابط الترغي:مرجع سابق،ص 9.

2- أيوب حود:أدب المناقب،المفهوم والجذور،مجلة مقاليد،جامعة ورقلة،2016م،العدد 10،صص،71-72

3- نماذج من تراث كتب المناقب المغربية:

أ- كتب المناقب المؤلفة قبل القرن العاشر الهجري:

بدأ هذا النمط الكتابي في الظهور والترعرع في القرنين الخامس والسادس الهجري أما مرحلة اكتمال هذا النمط من الكتابة وازدهاره الكلي في القرن السابع الهجري وهي المرحلة التي سيكتب خلالها التعريف المنقبي ،ثم يتطور نوعيا وبصورة جزئية في القرن التاسع الهجري (15م) ،وهي مرحلة تحول ظاهرة الولاية من طور الزهد الفردي إلى طور الزهد الجماعي،وانتقل فيها الخطاب الصوفي إلى مواقع الاستحكام والإشعاع تلاؤما مع التحول السياسي والاجتماعي ،حيث سيكون أدب المناقب قد استكمل خصائصه البنيوية المميزة ،ولكن الكتابة المنقبية المتصلة بالولي والأولياء ،هي إفراز لواقع أزمة العالم الإسلامي مشرقا ومغربا.[1]

و يبدوا من الواضح أن النصوص المناقبية الأولى المؤلفة في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي تأثرت بشكل واضح بتطور الظاهرة الزهدية الاحتجاجية بالأندلس فقد وضع الظاهر الصدفي الاشبيلي الأندلسي الذي تأثر بمدرسة أهل الحديث بألمرية وهي مدرسة مدرسة وصلت علاقتها بالحكم المرابطي إلى طريق مسدود بعد انتفاضة المريدين بزعامة ابن العريف وابن برجان أثرا منقبيا يسمى السر المصون فيما كرم به المحسنون ،قدم فيه عينات من سير الزهاد والمتصوفة الذين لقيهم أو تعرف عليهم أثناء تنقلاته بين

الأندلس والمغرب ،في حين ألف محي الدين ابن عربي سنة 1203-1204 بمكة أثرا بليغا في سير شيوخه المغاربة أرسله إلى قدوته في السلوك عبد العزيز المهدوي بتونس بعنوان رسالة روح القدس في محاسبة النفس [2]

أول النصوص المناقبية على صعيد الترتيب الزمني هو كتاب حول سير عدد من شيوخ الصلاح والعلم المنتسبين إلى المناطق الواقعة هند مصب وادي بورقراق على ساحل المحيط الأطلسي مجهول المؤلف يعود تاريخ الانتهاء من تأليفه إلى سنة 1155م .هو أثر مفقود يبرهن على عراقة الانتساب هذا المجال الذي عمره المهاجرون الأندلسيون والدور الذي عاد إليه إليه في نشر الإسلام بالمغرب[3] .

1- خديجة السمعلي:الفكر الصوفي من خلال مناقب أبي سعيد الباجي.مؤسسة مؤمنون بل حدود للدراسات والأبحاث،ص4.

2- لطفي عيسى: مغرب المتصوفة،ص250.

3- ابن الزيات التادلي:التشوف إلى رجال التصوف،وأخبار أبي العباس السبتي.منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،الرباط،1984م،ط1،ص15.

أما كتاب المستفاد بذكر الصالحين والعباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، لأبي عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي ت603ه أو 604ه/ 1207 م فيعود تاريخ الإنتهاء من تأليفه إلى سنة 1198م. وقد تم تخصيصه لتخليد مآثر ما لا يقل عن سبعين علما من صلحاء و علماء مدينة فاس وسائر الحواضر المغربية[1]

والكتاب عبارة عن وثيقة اجتماعية على درجة من الأهمية تعكس بعض زوايا المجتمع الفاسي والمغربي ،وتلقي أضواء على ملامحه قلما نعثر على مثيلها في المصادر الوسيطة الأخرى ،وفيه فيض من الجزئيات الحية عن الأولياء في نطاق حياتهم اليومية وعلاقاتهم مع مجتمعهم.[2]وهو مؤشر آخر على تنامي قوة التيار الصوفي المعاضد لانتشار مذهب السنة المالكية وحاجة ذالك التيار إلى نقل سير الصلحاء الذين صدقوا في شد أزره سواء بفاس أو بغيرها من مدن المغرب الأقصى من التواتر الشفوي إلى شرف التدوين.[3]

ألف التميمي كتابه في آخر حياته وأودعه ذكرياته وشهاداته ،فآخر سنة ترد في ثنايا كتابه هي سنة 598ه /1202م أي قبل خمس سنوات من وفاته، وقد ألفه صاحبه ربما لرغبة ذاتية منه في ذكر مناقب عباد فاس أو استجابة لطلب أحد الفضلاء بجمع كتاب يذكر فيه من كان بفاس من العلماء والأولياء والعباد والمجتهدين والمعلومات التي يقدمها التميمي تسمح برسم صورة روحية للشخص المترجم له ،إلا أنه لم يقتصر على ذكر

العباد كما ورد في عنوان الكتاب إنما ترجم لمن اشتهر بالخير والفضل سواء من المنقطعين للعبادة والخلوة أو من العلماء المدرسين،أو من الفقهاء والقضاة.[4]

والمستفاد هو أقرب إلى الترجمة الصوفية أو المنقبية الجماعية التي يصوغها المؤلف بقصد تقريب المترجم به ،وهو وهو في إطار انتمائه إلى رجال التصوف أو ممارسته له ،فتركز موادها على ذكر الكرامات والمناقب

1- لطفي عيسى :مغرب المتصوفة،ص 30.

2-محمد بن عبد الكريم التميمي: المستفاد في مناقب العباد،بمدينة فاس وما يليها من البلاد.تح محمد الشريف،مطبعة طوب بريس ،الرباط،2002م،القسم الأول،ص194.

3- لطفي عيسى،المرجع السابق ص 30.

4- التميمي،مصدر سابق،ص136.

وتعرض سلوك المتصوف وعبادته ومواقفه وأقواله ومعاملته للشيوخ والمريدين.[1]

أخذ التميمي أخباره عما يزيد عن 60 من الرواة منهم أفراد من عائلته وكثير من شيوخه وغالبيتهم اشخاص عاديون لا نجد لهم أثرا في كتب التراجم والطبقات المعروفة،وينفرد هو بذكر أغلبهم ،وبذالك يرجع إليه الفضل في تخليد ذكراهم.[2]والتراجم التي يقدمها الكتاب مختلفة بطولها أو محتواها ،ومعلوماتها غير متوازنة ومختلفة من حيث الكم ،فهو قد يعطي الترجمة حقها بأسلوب دقيق وأحيانا يقتضب المعلومات اقتضابا وكأنه لا يستطيع اغفال صاحب الترجمة ولو على الأقل بالإشارة إلى خصلة من من خصاله. وتتكون الترجمة النمطية عند التميمي من ثلاث عناصر أساسية :

1- اسم المترجم ولقبه وأصله أحيانا

2- صفاته ومزاياه.

3- أخباره وكراماته.[3]

المهم أن هذين الأثرين قد هيآ الظروف لظهور كتاب التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات التادلي ،والذي يعتبر أضخم مدونة منقبية صنفت بالمغرب الأقصى في العصر الوسيط.[4]

شرع التادلي في تأليف كتابه سنة 617ه وقد أتمه في نفس السنة بعد أن أمضى في كتابته اربع أشهر ،ذكر فيه أخبار 279 من الرجال والنساء بينهم 19 من المجاهيل ،و توزع أصحاب التراجم على نطاق جغرافي ضم أغمات ومراكش وأعمالها،ودكالة وركراكة وتادلا وهسكورة وسجلماسة وفاس ،ومكناس وسالا ،وسبتة ودرعا ،وسوس الأقصى وتلمسان وبجاية وغيرها،ومن هؤلاء الرجال المترجم لهم من هو

1- التميمي،مصدر سابق،ص 166.

2- المصدر نفسه،ص 152.

3- المصدر نفسه،صص 155-156.

4- لطفي عيسى مغرب المتصوفة،ص 30.

معروف مشهور من غير طريق ابن الزيات ومنهم من لا يعرف إلا عن طريقه. وقد أخذ هذه الأخبار عن ما يزيد عن خمسين من الرواة بلفظ سمعت فلان،وحدثني فلان،وربما قال كتب إلي بذالك فلان ،وقل ما نجد لهؤلاء الرواة ذكر في كتب التراجم ويظهر بالإستقراء أن معظمهم من إخوان المؤلف في طريق القوم ومن أصحاب الشيخ المترجمين أو من ذويهم.[1]

وقد سلك ابن الزيات في نهجه أسلوب التحري ،فقد وصفه ابن عبد الملك في كتاب عارض لأبي يعزى في ترجمة أبي الحسن ابن الصائغ ،بأنه التاريخي العدل، ويصفه أبا زيد الثعالبي (785-875ه) بالموثق المحدث الثقة الصدوق.[2]

والتادلي وإن تصوف فقد ظل آخذا بمسلك الاعتدال ويتضح ذالك من عدة أمور منها:

1- أنه لما ذكر أن كتابه مجردا من التصوف أحال من أراد الوقوف على ذالك المصطلح على كتاب إحياء علوم الدين للغزالي .

2-الأشعار التي أتى بها تعكس تلك المعاني العميقة في أخبار الرجال ،ليست مما تلمس فيها الشطحات أو دعاوى الأحدية انما هي أشعار وتحنن وشكوى وزهد وموعظة.

3- الرجل لم يصدف عن الدنيا بل اشتغل بالقضاء حتى مات .[3]

. وليس من المجازفة في شيء اعتبار هذا الأثر بمثابة البيان الرسمي الذي جاء للتعبير بشكل مضمر عن وجهة نظر غالبية سكان البلاد وتوضيح انتظاراتهم والكيفية التي فضلوا تمثل تعاليم الإسلام وأحكام الشريعة من خلالها.[4]

1- ابن الزيات التادلي،مصدر سابق،صص 12-13 .

2- المصدر نفسه ص 13.

3- المصدر نفسه ص 23.

4- لطفي عيسى ،مرجع سابق ص 30.

فالتادلي يشيد بصفاء تداين سكان هذه الرقعة القصية من بلاد الإسلام من كل نزعة وثنية ويبرؤهم من السقوط في كبيرة التجسيم منكرا بشكل علني المرجعية المذهبية التي كرسها الأمراء المرابطون المتأخرون،مستعظما في الآن نفسه بدعة التوحيد من خلال شجبه ادعاء عصمة الأمة واسترقاق المؤمنين وهي انزياحات لا يمكن ابراء خلفاء الدولة الموحدية من الوقوع فيها .[1]

لذالك يصح اعتبار التوجهات المذهبية لمؤلف التشوف سنية المشرب ومالكيته، حتى وإن اختلفت تلك التوجهات شكليا عما ارتضته المدرسة المالكية الإفريقية القيروانية التي ضمن التادلي في مستهل أثره بعض الجوانب المضيئة من رصيدها النضالي دون أن ينسى الانفتاح على المدرسة الصوفية الأندلسية ولعل في تراجم الأعلام الذين اختار ابن الزيات تدوين سيرهم، والذين عاش أغلبهم بين القرن الحادي عشر والقرن الثالث عشر، ما يكفينا مؤونة التدليل على الحضور القوي لهذا الهاجس الذي أنبث داخل جميع سير مؤلفه .[2]

وفي مقابل اهتمام ابن الزيات بصلحاء الجنوب ،جاء بعده عبد الحق البادسي الذي كان بقيد الحياة عام 722ه/1322م ،فوضع كتابا في صلحاء الريف أسماه، المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف،ولا يقصد بهم المؤلف خصوص المنقطعين للعبادة فقد ترجم أيضا للمتجهين للدفاع ضد الأخطار الخارجية ،والعلماء المنتصبين لنشر العلوم في هذه المنطقة وسواها.[3]وتحدد الفترة التي أرخها الواقعة بين ما بين عصر أبي مدين شعيب والفترة التي عاشها المؤلف ،أي حدود منتصف القرن السادس الهجري،الثاني عشر الميلادي إلى القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي ،وجعله

كصلة لتشوف ابن الزيات . وقد أورد البادسي في كتابه 46 ترجمة وانتهى من تأليفه سنة 711ه/1311م واستغرق في تأليفه نحو من سنة.[4]

1- لطفي عيسى،مرجع سابق ص 31.

2- مرجع نفسه ص 31.

3- محمد المنوني:المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح إلى نهاية العصر الحديث.منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،الرباط،1404ه/1983م،ج1،ص 75.

4- عبد الحق بن اسماعيل البادسي:المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف.تح سعيد أعراب،المطبعة الملكية،الرباط،1414ه/1993م،صص5-15.،.وأيضا:بروفنصال:مؤرخوا الشرفاء ،صص 153-154.

وإضافة إلى قسم عرف به بصلحاء الريف،سبقه قسمان الأول خصصه لمصطلحات التصوف كالولاية والفقر وكرامات الأولياء، والثاني في شخصية الخضر عليه السلام.[1]وللكتاب امتداد جغرافي يحده من الغرب سبتة ومن الشرق تلمسان،وكالتشوف فقد وجدت تراجم لشخصيات من خارج مكنطقة الريف كمكناسة وطنجة ومراكش والقصر الكبير وفاس وحتى من الأندلس فشملت التراجم منطقة الريف ومن حل بها.[2]

وتبدوا أهمية المقصد في أنه حلقة مفقودة من تاريخ التصوف في المغرب وهو تصوف لا أثر فيه للشطحات ،ووحدة الوجود لولا ما فيه من مبالغات في بعض الكرامات فهو من تاريخ النساك والزهاد أقرب منه إلى التصوف وعرض أيضا لأحداث بني وطاس والعرب المتغلبين على منطقة الريف أواخر العهد الموحدي إضافة إلى القرصنة التي مارستها الصليبية في المتوسط كما أنه كتاب جغرافي ،حدد قبائل الريف بأسمائها ومواطنها تحديدا دقيقا.[3]

ومن أبرز المؤلفات التي غطت الفترة يمكن أن نشير إلى، دعامة اليقين في زعامة المتقين للعزفي، الذي عاش في الفترة الممتدة بين(557-633ه)وقد خصصه لذكر مناقب الشيخ الشهير أبي يعزى يلنور ،كما أردف الكتاب بذكر مسائل حول مصطلحات التصوف كالكرامة والولاية،ويذكر العزفي أنه يستعمل منهج المحدثين ومصطلحهم في جمع كرامات أبي يعزى معتمدا على التواتر والاستفاضة.[4]

وقد جمع العزفي أخباره في الفترة بين هزيمة الموحدين في العقاب 609ه وسنة 621ه.[2]وقد وضع العزفي كتابه نزولا عند رغبة أمير موحدي رغب في التكفير عن زلته،بعد سجنه لأبي يعزى بدعوى التحريض على العصيان ،مما يدل على عمق

التطورات السياسية والزعزعة التي أحدثها أمر تغلغل التصوف وافتتان الناس بأخبار الزهاد،

1- البادسي:المقصد الشريف،ص 15.

2- محمد بن تاويت:الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى،دار الثقافة للنشر والتوزيع،الدار البيضاء،1403ه/1983م،ط1،ج2،صص 500-501.

3- البادسي،مصدر سابق،ص 08.

4- أبو العباس العزفي:دعامة اليقين في زعامة المتقين.تح أحمد التوفيق،مطبعة النجاح الجديدة ،الرباط،دت،ص02.

والصلحاء وتواتر سيرهم بين الرواة والمخبرين آخر العهد الموحدي[1]

ومن الكتب المنقبية أيضا الكتاب الذي ألفه أحمد بن ابراهيم بن احمد في ذكر مناقب جده أسماه:المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح،انتهى من تأليفه سنة1297م [1]وإن كان لا يعرف شيء عن المؤلف سوى أنه توفي في صدر المائة الثامنة هجري فإن جده أبي محمد صالح كان من تلاميذ أبي مدين دفين العباد وأنه توفي سنة 631ه/1234م.ودفن برباط مدينة آسفي .[2]

ويركز هذا الأثر على الرسالة الخلقية التي أوقف شيخ رباط آسفي على نشرها ، مستندا في ذالك على تصور تنظيمي طرقي كان أبو محمد صالح الماجري أول من أرساه بالمغرب الأقصى فقد مثل المنهاج مصدرا ثريا بالمعطيات سواء الخاصة منها بشيخ رباط آسفي تكوينه ورحلته إلى المشرق[3] وحججه ومجاورته ثم عودته إلى رباط آسفي وتأسيسه لطائفة.الحجاج أو المتصلة بتنظيم الزاوية وإشعاعها خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي اعتبارا إلى أنها قد شكلت نموذجا حاولت بقية الطوائف المغربية تقليده خلال تلك المرحلة الحاسمة من تاريخ المغرب ، وهو تقليد كتب له الاتساق والتواصل على أيام المرينيين والوطاسيين وكذالك خلال مرحلة حكم السلالات الشريفة التي تعاقبت بعدهم.[4]

1- لطفي عيسى:مغرب المتصوفة..،ص 33.

2- بروفنصال:مؤرخو الشرفاء،ص153.والمنوني:المصادر العربية،ج1،ص 75.

3- كان للماجري ركب للحج يشرف عليه انطلاقا من مدينة آسفي إلى الحجاز،ينظر،عبد العزيز بن عبد الله:معلمة التصوف المغربي .مطبعة المعارف الجديدة،الرباط،2002م،ط1،ص58.

4-:لطفي عيسى،مرجع سابق،صص33-34..

ب- كتب المناقب المؤلفة خلال القرن العاشر وبعده:

وفي نفس الولي السابق ألف أحمد الصومعي التادلي(920ه-1013ه) كتاب المعزى في مناقب أبي يعزى ،كان الصومعي متبحرا في في العلوم وقدم راسخة في طريق القوم وهو صاحب الزاوية المعروفة بالصومعة ،انتدبه السلطان المنصور الذهبي للإقراء في جامع الكتبيين بمراكش،واستجازه عدد من العلماء منهم أحمد المقري صاحب نفح الطيب.[1]

انتهى التادلي من تأليف كتابه سنة 1000ه،1592م[2]،أما دوفع التأليف فهي طلب أحد الفضلاء إليه ممن ينتسب إلى هذا الشيخ أن يقيد له ما صح واتضح من كرائمه وما نقل من مفاخره ومآثره وسلسلته في عدة أشياخه إلى النبي صلى الله عليه وسلم[3]،وكتاب المعزى لا يخلوا من فائدة فهو يزودنا عن مؤلفه بمعلومات لا توجد في غيره من المصادر فبالإضافة إلى ما قيده الصومعي عن أشياخ التصوف بالمغرب والمشرق ،وكراماتهم ،يتضمن الكتاب معلومات مهمة ذكرت عرضا عن حياته وأرائه وثقافته.[4]

ومن أشهر المؤلفات خلال القرن السابع عشر مؤلف أبي حامد العربي الفاسي (988-1052ه)(1580-1642م).الذي خص والده أبو المحاسن بتأيف في مناقبه أسماه:مرآة المحاسن بخبر الشيخ أبي المحاسن ،وتكمن أهمية الكتاب في تغطيته لفترة هامة من تاريخ المغرب ،تركيزا الفترة الممتدة بين منتصف القرن التاسع الهجري (15م) ومنتصف القرن الحادي عشر الهجري،(17م)وهي فترة تمثل عصر اضطراب سياسي وعلمي واجتماعي وانتقال من أوج الحضارة المغربية التي مثلها الدور المريني إلة حضيض الإنحدار السياسي المغربي ممثلا في الفترة بين وفاة المنصور الذهبي وتولي اسماعيل ابن شريف (1012-1082ه)(1605-1671م) وقد تداولت على هذه الفترة الدول المرينية والوطاسية والسعدية والعلويةوهي فترة اتسمت أيضا باحتلال الدول

1- بروفنصال،مرجع سابق،ص167.

2- أحمد بن أبي القاسم التادلي:المعزى في مناقب أبي يعزى،تح علي الجاوي،مطبعة المعارف الجديدة،الرباط،1996م،ص430.

3- نفس المصدر ص 61.

4- نفس المصدر ص 29.

الأوربية لمعظم السواحل المغربية(البرتغال،بريطانيا،اسبانيا.)[1].

فالشيخ أبو المحاسن كان رأسا من رؤوس التصوف الشاذلي في فاس وإمامها كما كان عالما عاملا متوسعا كما كانت له مشاركات سياسية ،كمحاولة الإصلاح بين المنصور الذهبي وأحد أبنائه ،ومشاركته بنفسه وأتباعه في معركة وادي المخازن ضد الإحتلال البرتغالي.[2]

وقد تضمن الكتاب أكثر من 90 ترجمة تتضمن أشياخ الشيخ أبي المحاسن وأشياخهم ووأصحابه وعائلته وتلامذته وترجمة لأبي حامد العربي لنفسه،وأشياخه،وتراجم جملة من أعلام التصوف بالمغرب وجملة من الملوك والثوار وجملة من أعلام الحديث ،والكتابي موسوعي في مادته ضم معلومات في العلوم الدينية والتاريخ والأنساب والجغرافيا والتصوف ،والحديث عن الحياة الإجتماعية للمجتمع المغربي خاصة في فاس.[3]

وفي نفس الشيخ ألف حفيده عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي(1040-1091ه)(1631-1685م)،كتاب أسماه ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن والشيخ المجذوب[4]عرف فيه بجده أبي المحاسن يوسف الفهري وشيخه أبي زيد عبد الرحمن بن عياد الصنهاجي المعروف بالمجذوب،دفين مكناس،المتوفي سنة967ه/1568م،وختمه بأنساب شرفاء المغرب[5]

كما وضع أبو العباس أحمد المرابي،المتوفي سنة 1034ه/1625 كتابا أسماه تحفة الإخوان ومواهب الامتنان في مناقب سيدي رضوان ،تكلم فيه عن مناقب شيخه رضوان الجنوي المتوفي سنة 991ه/1583م.[6]

1- أبي حامد العربي الفاسي:مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن ونبذة عن نشأة التصوف والطريقة الشاذلية.تح محمد حمزة بن علي الكتاني،منشورات رابطة أبي الحسن ابن الجد،دت،درط،ص 05.

2-المصدر نفسه ص 07.

3- المصدر نفسه صص 8-9.

4- بروفنصال،مرجع سابق،ص 187.

5- عبد السلام بن سودة:دليل مؤرخ المغرب الأقصى.دار الفكر،بيروت لبنان.1418ه-1997م.ط1،ص117.

6- بروفنصال،مرجع سابق ص179.

وألف محمد المهدي الفاسي ت1109ه/ 1698م ،كتاب ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع والألماع.وهو كتاب ينصرف إلى التعريف برجال الطريقة الجزولية وذكر مناقبهم مبتدئا بالشيخ محمد بن سليمان الجزولي فالآخذين عنه ثم الآخذين عنهم في شكل طبقات إلى ما بعد منتصف القرن الحادي عشر،ليستوعب الكتاب تراجم الصلحاء والمتصوفة ممن لهم رواية في الجزولية على امتداد القرون التاسع والعاشر والحادي عشر الهجري[1]وتمثلت مصادر الفاسي في كتابه في الأخبار والمشافهة فقد نقل عن كتابين هما دوحة الناشر لابن عسكر ومرآة المحاسن لأبي حامد العربي الفاسي،أما المشافهة فقد أخذها عن كثير ممن عاصرهم من أتباع الطريقة الجزولية وروى عنهم وعن شيوخهم .[2]

وتختلف التراجم أهمية، بحسب موقع المترجم له في الطريقة أو توفر المعلومات عنها في مصادر أخرى،ففي الوقت التي لم تتجاوز بعض التراجم أسطر قليلة تجاوزت ترجمة محمد بن سليمان 33 صفحة،وجاءت تراجم بعض أفراد الأسرة الفاسية جامعة غنية بالمعلومات والأخبار،وتتسم تراجمه بالحرص على ضبط الرواية والسند والاهتمام بتاريخ ومكان الوفاة مما يساعد على رسم خريطة لأتباع الجزولي في المغرب وتواريخ وفياتهم،فقد ذكر77 تاريخ وفاة،منها10 تقريبية ،وعين أماكن دفن 110ترجمةمن مجموع التراجم[3]

وصل المهدي مجمل هذا المؤلف بكتابين آخرين صغيرين في نفس الموضوع ،الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع،وتحفة أهل الصديقية في أسانيد الطائفة الجزولية الزروقية ،الذي تكلم فيه عن أحمد زروق مؤسس الطائفة الصوفية المتفرعة عن المدرسة الجزولية،وخصص كتابين آخرين للتعريف بجد أبيه أبي المحاسن وهما،الجواهر الصافية من المحاسن اليوسفية،وروضة المحاسن الزهية بمآثر الشيخ أبي المحاسن البهية.وكتيبا ثالثا للتعريف بشيخه محمد بن عبد الله معن وعنوانه،عوارف المنة في مناقب سيدي محمد بن عبد الله محيي السنة[4].

1- عبد الله المرابط الترغي:كتب التراجم العامة وكتب المناقب خلال عصر المولى اسماعيل(1082-1139ه).مجلة المناهل،الرباط،1997م،العدد 56،ص25.

2- حسن جلاب:مظاهر تأثير صوفية مراكش في التصوف المغربي.المطبعة والوراقة المغربية،مراكش،1994م،ط1،ص176

3- نفس المرجع ص176.

4- بروفنصال مرجع سابق،ص193.

ومن بين الذين اهتموا واعتنوا بتدوين تاريخ زاوية الشيخ محمد الشرقي في أبي الجعد وذكر مناقب أعلامها، الحسن بن محمد الهداجي المعدني،ألف المعداني كتابا أسماه الروض اليانع الفائح في مناقب الشيخ أبي عبد الله محمد الصالح[1] ،بن المعطي الشرقاوي العمري والد الشيخ المعطي صاحب الذخيرة. وقد فرغ المعداني من تأليف كتابه عام 1159ه/1746م . [2] قسم المعداني كتابه إلى ثلاث فصول ،تناول في الفصل الأول فضل الأولياء أما الفصل الثاني فخصصه للتعريف بصاحب الترجمة محمد صالح وذكر في الفصل الثالث أشيخ المترجم له،وضمن كتابه معلومات هامة عن الشيخ محمد بن أبي القاسم الزعري المعروف بالشرقي ،ما تعلق بحياته وشيوخه وبعض اخوانه وسنده الصوفي[3]

وفي موضوع الزاوية الشرقاوية ألف محمد بن عبد الكريم العيدوني التوفي 1189 كتابا أسماه يتيمة العقود الوسطى في مناقب الشيخ محمد المعطي ،عرف فيه بشيوخ الزاوية الشرقاوية بدأ بالشيخ محمد المعطي ووالده محمد صالح وسائر الشيوخ السابقين ورتبه على أربعة أبواب،الأول في نشأتهم وأوصافهم الحميدة،والثاني في محاسنهم ومحاسن آبائهم وأجدادهم ونسبهم العمري،الثالث في ولايتهم ومشايخم وكراماتهم أما الرباع فخصصه للحديث عن أحزابهم ووضائفهم وتآليفهم وتلامذتهم.[4]

وألف أحمد بن فتوح التازي،كان حيا 1150ه،كتاب،التعريف المفيد في مناقب الشيخ الصالح بن المعطي وجده القطب أبي عبيد . والكتاب حسب تسميته يتكون من شقين،الأول في التعريف بالشيخ محمد الصالح ،الاذي عاصره المؤلف وكان من تلاميذه وأتباعه،أما الثاني فقد خصصه لكبير الزاوية الشرقاوية الشيخ أبي عبيد الشرقي،ت 1010ه،ويعتبر هذا الكتاب في حكم المفقود،ومؤلفه فهو من أتباع الصالح الشرقي وهو ممن لازم الزاوية الشرقاوية فدرس بها ويرد اسمه بشكل واسع في مؤلفات المناقب الخاصة بها.

1- بروفنصال،مؤرخو الشرفاء،ص212.

2- بن سودة:دليل،ص144.

3-الروض اليانع الفائح في مناقب الشيخ أبي عبد الله محمد الصالح.مخطوط المكتبةالوطنية،الرباط،رقم2369ك ،و3.

4- محمد بن عبد الكريم العيدوني:يتيمة العقود الوسطى في مناقب الشيخ محمد المعطي.مخطوط المكتبة الوطنية ،الرباط،رقم 305ك،و2-3.

5- المرابط الترغي،مرجع سابق،ص 20.

وألف أبي العباس أحمد بن مبارك اللمطي السجلماسي،ت1156ه/1746م،كتابا في شيخه عبد العزيز الدباغ أسماه ،الذهب الإبريز في مناقب الشيخ عبد العزيز،عرف فيه بشيخه أبي فارس عبد العزيز بن مسعود الدباغ الحسني،وجعله في ثلاث فصول فالأول تحدث فيه عن أولية أمره قبل ولادته فترجم لجده من أمه الفقيه العربي القشتالي والثاني عرف فيه بشيوخه ممن حصل على يدهم الفتح و استمداد الولاية والثالث في بعض كرامات التي ظهرت على يده،ثم تبدأ ابواب الكتاب ليكون موضوعها كلام الشيخ سواء مما سأله فيه مجالسوه ومنهم المؤلف أو مما صدر منه في مواقف مختلفة.[1]

وألف حمدون بن محمد الطاهري الجوطي الفاسي،المتوفي 1191/1777م،كتابا أسماه، تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان،قسمه إلى مقدمة ضمنها الكلام عن التصوف وماهية الصوفي وحقيقته ونعته وما ورد في مسألة السماع من آراء مختلفة، وتسعة مواضيع أغلبها في مناقب شيوخ الزاوية الوزانية الأم وبعض مقدميهم بفاس، ثم خاتمة جاء فيها الكلام على أصول الطريقة الصوفية للشيخ المؤسس مولاي عبد الله الشريف ت1089ه/1678م ،وأوراده وأذكاره التي كان يلقنها هو وأولاده للخاص والعام والأحزاب التي يأمر الوزانيون بقراءتها صباحا ومساءا.[2]

ووضع عبد السلام بن الطيب القادري المتوفي سنة 1110ه/1698م كتابا أسماه معتمد الراوي بمناقب سيدي أحمد الشاوي،أكمله محمد بن الطيب القادري المتوفي 1187ه/1773م في كتاب أسماه الكوكب الضاوي في إكمال معتمد الراوي بمناقب سيدي أحمد الشاوي.أما الكتاب الأول فهو مبتور الأول بدأ الكلام فيه بالتعريف بأحمد الشاوي المتوفي سنة 985ه/1577أو 1588م، ثم انتقل مباشرة إلى الباب الثالث الذي ضمنه بعض كراماته ومكاشفاته وآياته وتكلم في الباب الرابع على مرضه ووفاته وحكم الزيارة وأدب الزائر وصفاته[3]

1- بن سودة:دليل،ص 141.والمرابط الترغي،مرجع سابق،ص 21.

2- حمدون بن محمد الطاهري الجوطي الفاسي:تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان. تح محمد العمراني،مطبعة سايس كرافيك،فاس،1432ه/2011م،ط1،صص،37-38.

3- عبد السلام بن الطيب القادري:معتمد الراوي بمناقب سيدي أحمد الشاوي.ويليه محمد بن الطيب القادري:الكوكب الضاوي في إكمال معتمد الراوي بمناقب سيدي أحمد الشاوي. تح خالد بن أحمد صقلي،مكـــــــــتبة دار الأمان،الرباط،1430ه،2009م،ط1،صص 57-68.

و الكتاب الثاني فهو للقادري صاحب نشر المثاني،فقد قسمه إلى بابين،الأول في ذكر شيخه في الطريق ورفع سنده على التحقيق ،والباب الثاني في ثلاث مقاصد،الأول في البناء على قبور الصالحين ،والثاني في ما يجعل عليها من الحلي ،والثالث في الذبائح على القبور،ثم ختم الكتاب بخاتمة.[1]

و ختاما يتبين لنا مدى أهمية الكتابات المناقبية التي تعتبر نوعا من أنواع الكتابة المعرفية والتي تتقاطع مع أجناس معرفية أخرى،خاصة التاريخ،فهي تمده بمادة خام مهمة من أجل الوصول إلى جوانب من المعرفة التاريخية،وليس علم المناقب علم مستحدث إنما هو قديم لكنه إتخذ طابعا خاصا لما أبح لصيقا بالتصوف والأولياء،وقد اهتم المغاربة بتدوين مناقب أوليائهم وعلمائهم عبر المراحل التاريخية.

1- محمد بن الطيب القادري : الكوكب الضاوي.ص214.

1- التعريف بالشيخ محمد الشرقي :

أ- مولده ونسبه: هو محمد الشرقي بن أبي القاسم بن محمد الزعري وإذا علمنا أن الشيخ محمد الشرقي توفي سنة 1010ه /1602م عن أربع وثمانون سنة ،أدركنا أنه ولد سنة 926ه.[1] ويتصل نسبه بثاني الخلفاء الراشدين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ،فهو محمد الملقب بالشرقي ابن أبي القاسم ابن الزعري ابن عمر ابن حم ابن مهدي ابن حمامة ابن سعيد ابن عبد الله ابن عبد العزيز ابن محمد ابن سليمان ابن سمير بن يعقوب ابن فاضل ابن عمر ابن موسى ابن أحمد ابن محمد ابن مرداس ابن هلال ابن عمر ابن عبد الله ابن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه .[2]

وقد اشتهرت هذه النسبة بين أبنائه وحفدته،وقد حاول البعض التشكيك في هذه النسبة خاصة وأن الشيخ الشرقي لم يكن يذكرها وهو ما جعل صاحب المرقي يتصدى لذالك التشكيك بأمور ،أحدها ما تقدم عن أولاد الشيخ من التصريح بتلك النسبة وثبوتها بخطوطهم رضي الله عنهم وهم علماء أئمة فضلاء أهلة يقتدي بهم من لا علم عنده ، وحاشاهم أن يقتحموا ذلك الأمر و يجترءون عليه ويختلقون وهم شاكون في ذلك وليس عنيدهم تحقيق ،أعاذهم الله من ذلك لأنهم رضي الله عنهم كانوا على درجة من العلم والصلاح والهداية والرشد والخوف فيمنعهم ذلك من التقول ومن القدوم على أمر مشكوك فيه وإثبات شيء لأنفسهم لم يتيقنوه[1] ويدعون تلك النسبة لأنفسهم وهم في ذلك على حذر متمسكين بالغرر فكل هذا بعيد من جانبهم ومن ديانتهم رضي الله عنهم بل ما قالوا ذلك حتى حققوه وصححوه.[3]ا

وإن قيل و لعل الشيخ كان لا يذكر تلك النسبة قلنا ذلك لا ينافي ما تقدم من ثبوت تلك النسبة إذ يكون الشيخ قد ترك تلك النسبة لأمرين، أولهما الورع فكان الشيخ يترك ذلك تورعا منه رضي الله عنه وليس ذاك بعيد من أمثاله ،فهذا زين الدين عبد الرحيم العراقي رحمه الله كان نسبه متصل بالفاروق رضي الله عنه وكان لا يذكره

1- عبد الخالق العروسي: المرقي في بعض مناقب القطب محمد الشرقي.و 47.

2- المصدر نفسه و81.

3-نفسه و 77

تورعا منه ، والثاني أن الشيخ كان ينسب إلى الوطن لأنه أشتهر به وبهذا انتسب كثير من العلماء لأوطانهم وتتم نسبتهم إلى قبائلهم.[1]

وينتسب الشيخ إلى قبيلة بني جابر العربية من قبائل جشم الوافدين مع الهلاليين واستقرت قبيلته بتادلا في النصف الأول من القرن السابع،الثالث عشر الميلادي ،وخلال القرن الثامن ،الرابع عشر الميلادي كانت الزعامة في أحد بطون بني جابر وهي ورديغة ممثلة في الشيخ حسن بن علي الورديغي ،واستمر ذالك إلى فترة حكم محمد الشيخ الوطاسي نهاية القرن التاسع الهجري،الخامس عشر الميلادي وهي الفترة التي كان فيها أبو القاسم الزعري والد الشيخ الشرقي مقيما بورديغة قي منطقة واد الزم .[2]

أما والد محمد الشرقي وهو أبو القاسم الزعري فقد نشأ وترعرع في مطلع القرن العشر الهجري،السادس عشر الميلادي،وقد كان مقيما مع أسرته بمنطقة واد زم وبعد وفاة والده أصبح وارثا لصلاح أسرته وثرائها ثم رحل عن موطن أسرته ليتصل بكبار المشايخ منهم عبد العزيز التباع (ت914ه)،ولم يستطع محمد المهدي الفاسي أن يجزم بعلاقته بعبد الله الغزواني المتوفي (932ه)،غير أنه من الأكيد ربطه لعلاقات ودية مع كبار علماء تادلا منهم أبو عثمان سعيد أمسناو صاحب زاوية الصومعة.[3]

وكانت ترافقه في ذالك زوجته رحمة بنت حمزة بن يعيش الشريف الحسني أحد صلحاء تادلا وأشرافها ،وكانا يترددان على علي ابن إبراهيم البوزيدي دفين أكرض وأحمد بن يوسف الملياني .[4]

وقد أسس أبو القاسم زاوية له على ضفاف وادي أم الربيع بمنطقة الدير قرب القصبة التادلية .[5]

1- العروسي،مصدر سابق و84.

2- . الملكي المالكي: جوانب من التاريخ السياسي والديني والاجتماعي لأبي الجعد. ضمن كتاب :مدينة أبي الجعد الذاكرة والمستقبل ،منشورات كلية الآداب الرباط،مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ط1995،1م ص27

3- أحمد بوكاري:الزاوية الشرقاوية،ج1،ص ص 152-153.

4- العروسي،مصدر سابق و39.

5- أحمد بوكاري،مرجع سابق،ص 54.

ب- نشأته وتعليمه:

نشأ أبو عبيد الله الشرقي في بيئة دينية محضة سواء عل المستوى العائلي أو الجهوي أو الوطني،ذالك أن الفترة التاريخية التي تمتد من ولادته في نهاية الربع الأول من القرن

10ه/16م إلى بلوغه العشرين من عمره في منتصف القرن تعتبر قمة ما وصل إليه النشاط الصوفي بالمغرب.[1]

تلقى تعليمه الأول على يد والده في زاويته ،حيث كان الأطفال يبدؤون في سن مبكر بحفظ الحروف الهجائية ثم يحفظون القرآن الكريم ،ثم أرسله والده إلى ليتم تكوينه العلمي إلى زاوية الصومعة في عهد شيخها أبي سعيد عثمان أمسناو ،وهي أنذاك محج العديد من الطلبة والمريدين من مختلف أنحاء القطر التادلي ،فأخذ مجموعة من العلوم الدينية كالتفسير والقراءآت والحديث والفقه والتصوف.[2]

وبعد وفاة شيخه عاد محمد الشرقي إلى زاوية والده ليأخذ عنه عهد وسند الطريقة الجزولية الشاذلية باعتباره من الآخذين المباشرين عن الشيخ التباع الذي ينتمي إليه معظم شيوخ التصوف خلال القرن 10ه/16م.[3]

وبعد موت والده جدد محمد الشرقي عهد الشاذلية الجزولية على يد نخبة من أعلامها كالشيخ أبي محمد عبد الله بن ساسي والشيخ أبي عبد الله الغزواني والشيخ أبي عبد الله محمد المختاري.[4]. وذكر صاحب الصفوة أنه أخذ عن ابن مبارك الزعري.[5].

1- أحمد بوكاري،مرجع سابق،ص ص60-61.

2- العروسي، مصدر سابق و47،بوكاري،مرجع سابق ص 61.

3- أحمد الشرقاوي:الزاوية الشرقاوية دار علم ودين وإصلاح . المطبعة والوراقة الوطنية،مراكش،2015،ط2، ص29.

4- العربي الفاسي:مرآة المحاسن، ص294.

5- الصغير الإفراني: صفوة من انتشر،ص 77.

ج- تأسيس الزاوية الشرقاوية ،زاوية محمد الشرقي بأبي الجعد:

تضاربت الآراء حول المكان الأصلي الذي أسس فيه زاويته قبل استقراره بمنطقة أبي الجعد ،وتشير هذه الروايات المتضاربة أسئلة كثيرة منها،توقيت التأسيس وظروفه ودوافعه ،ليتبين في آخر المطاف أنه موقع بعيد عن غارات البربر،وهناك حفر المؤسس بئرا وتتابعت عمليات البناء وزادت أهمية الزاوية بفضل هدايا الوفود ،وما أضفاه سلاطين

السعديين على شيخها من توقير واحترام حيث بعث السلطان أحمد المنصور إلى محمد الشرقي وفدا لزيارته .[1]

إن اختيار الشرقي لمنطقة دير تادلا راجع لماضي أسرته العريق بها ،كما أن المنطقة باتت بداية من القرن 10ه/16م تعاني من فراغ صوفي بعد اختفاء الشيخين علي ابن إبراهيم وسعيد أمسناو ثم والد الشرقي أبو القاسم بعدهما بقليل.[2] وهناك من يرى أن الزاوية تأسست بين 960ه/964ه وإلى هذا التاريخ يرجع أول اتصال للشرقي بالسلطات السياسية السعدية القائمة في عهد السلطان محمد الشيخ توفي 964ه/1557م،وكان الشيخ قد بلغ 30 سنة من عمره أو تجاوزها بقليل في أواخر حياة أبيه.[3]

أما تأسيس الزاوية للمرة الثانية بأبي الجعد وحدد المؤرخون تاريخ بناء الزاوية عام 1003ه/1600م وكان أبو عبيد الشرقي نشر التعليم الديني والتصوف على الطريقة الجزولية في مناطق جديدة من تادلا.[4]

ويظهر أن الشيخ واجه بعض الصعوبات في بداية نشوء الزاوية خاصة حاجته للأطر المساعدة لبث العلم بسبب مشاغله المتعددة وهذا ما يفسر اهتمامه بتكوين أبنائه العلمي ،إذ أرسلهم إلى عواصم البلاد خاصة القرويين للتلمذ على يد كبار المشايخ والعلماء ،ليرجعوا إلى الزاوية للمساهمة معية والدهم في تعمير مجالسها وحلقات

1- الملكي المالكي،مرجع سابق،ص 31.

2- أحمد بوكاري:الزاوية الشرقاوية،ج1،ص 70.

3- المرجع نفسه ،ص73.

4- الملكي المالكي،مرجع سابق ص31.

الدرس،وبعد وفاة الشيخ عام 1010ه /1602م واصل أبناؤه من بعده الإشراف على استمرار الزاوية ونشاطها العلمي باعتبارهم أطر هذه الزاوية والمكلفين بعده بشؤونها وعلى رأسهم ابنه محمد الغزواني الذي تخرج على يد أحد كبار العلماء وفقهاء العصر أحمد المنجور بفاس ،كما أن أخاه محمد المكناسي إلى جانب ورعه وتقواه ،كان عالما فقيها.[1]

وقد تجاوز مهام شيوخ الزاوية مهمة نصح المسلمين وتربية المريدين وتعليم المتعطشين إلى وضع أسس تجمع عمراني منسجم ومتكامل مثل :

1- فلاحيا،حفر الآبار وغراسة البساتين وتنظيم قنوات الري ،وإنشاء مخازن ومطاحن الحبوب وعاصر الزيت ،وتنظيم حركات رعي المواشي بالمنطقة[2].

2- صناعيا، تصنيع الخشب وتصديره إلى أزمور وآنفا وآسفي لصناعة السفن ،وتصنيع حجر الكلس لصناعة الجير المستخدم في البناء، وتصنيع الجلود وتصديرها إلى فاس ومراكش ،وتصنيع الصوف [3]

3- تجاريا، أصبحت أبي الجعد المحطة الطرقية المختارة بامتياز من طرف قوافل التجارة بين فاس ومراكش ،وتزداد أهميته في فترات الاضطرابات السياسية ،إذ يصبح المرور من مراكش إلى فاس ومكناس،عبر أبي الجعد ضروريا.[4]

4- اجتماعيا،تنظيم الحياة الاجتماعية سواء تعلق الأمر بمجتمع الزاوية ،أو القبائل المحيطة بها [5].

وابتداءا من فترة حكم المولى إسماعيل العلوي بدأت زاوية أبي الجعد في ممارسة نوع من الهيمنة على البلاد وصارت ذات نفوذ خطير جدا وأثرت على الأحداث بتادلا ،وأصبح الشرقاويون يراقبون الأطلس الأوسط

1- أحمد بوكاري:الزاوية الشرقاوية،ج1،ص184.

2- أحمد بوكاري:أبو الجعد المدينة الزاوية مسألة الهوية وإشكالية التطور.ضمن كتاب،مدينة أبي الجعد الذاكرة والمستقبل ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة محمد الخامس الرباط،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء ،1995م،ط1، ص20.

3- المرجع نفسه ص21.

4- المرجع نفسه،ص21.

5- المرجع نفسه ص20.

وتادلا بمثابة مخزن صغير مستقر بصفة دائمة للقيام بنوع من الاستعلام عن كل ما يجري من أحداث سياسية ،وكان مظهرها الديني يخفي عن نظر القبائل في هذه الجهة وضيفتها الحقيقية لهذا السبب لم يمسسها ضرر في الغالب من قبائل السهل.[1]

د- تلاميذ محمد الشرقي: وفد على الزاوية في عهد محمد الشرقي كثير من التلاميذ والمريدين قصد أخذ العلوم الشرعية والسند الصوفي منهم:

1- محمد ابن أبي بكر الدلائي: أحد صدور مشايخ المغرب،أخذ على عدة مشايخ منه أخذ إرادة وانتساب على الشيخ محمد الشرقي لما اتصل بزاويته بأبي الجعد،توفي ودفن بزاوية الدلاء سنة 1046ه.[2]

2- أحمد ابن عبد الله بن محمد السجلماسي: المعروف بابن أبي محلي الفقيه الثائر،فقيه عالم متصوف ثار ضد السلطان زيدان وقتل عام 1022ه/1613م.[3]

3- أبو العباس سيدي أحمد بن بلعيد بن خضراء: أحد المجاذيب الذين لاحت عليهم أنوار الخصوصية والأحوال الربانية ،أخذ عن عبد السلام الشرقي عن والده محمد الشرقي،توفي 1075 بمكناس.[4]

4- قاسم بن أحمد بن عيسى السفياني بو عسرية: من أهل الخير والدين ولد بالقصر تعلم بها وبها أقبر سنة 1048ه.[5]

5- أبو عبد الله محمد الحفيان الرتبي السجلماسي:من أشهر أصحاب الشيخ الشرقي كما كان من خواص السلطان أحمد المنصور الذهبي .[6]

1- الملكي لمالكي،مرجع سابق،ص 20.

2- الصغير الإفراني:صفوة من انتشر،صص136-137.

3- طبقات الحضيكي:ج1،ص 424.

4- صفوة من انتشر،ص 278.

5- المرجع نفسه،ص 173.

6- أحمد الشرقاوي:الزاوية الشرقاوية،دار علم ودين و إصلاح ،ص 56.

6- محمد بن سليمان الشاوي: دفين مدينة ابن سليمان والتي تنتسب إليه.[1]

ه- علاقة الشرقي بصلحاء وعلماء عصره : ربط الشرقي عدة علاقات مع هذه الفئة ومنهم رفيقه في الدراسة أحمد بن أبي القاسم الصومعي في الزاوية الصومعية،ومنهم الشيخ أبي المحاسن يوسف الذي تبادل معه بعض المكاتبات والمراسلات،إضافة إلى الشيخ أحمد المنجور الذي كتب إلى الشرقي مثنيا عليه.[2]

2- عصره الذي عاش فيه: أ/ سياسيا: عاش الشيخ محمد الشرقي خلال الدولة السعدية من خلال الفترة التي عاش فيها وهي (926-1010ه)/(1518-1602م)، وقد نشأت هذه الدولة على حساب الدولة الوطاسية التي تسربت عليها عوامل الفوضى والاضطراب الناتجين عن الصراع حول العرش إضافة إلى تمكن البرتغاليين من احتلال كثير من المناطق الساحلية المغربية ،ومن ذالك احتلال سبتة سنة 1415م،وأصيلا وطنجة سنة 1471م وآسفي وأزمور سنة 1481م و1486 على التوالي ومليلة سنة 1479م،كما احتل الإسبان ساحل أغادير سنة 1505م.[3]

أمام هذه الأوضاع بادر المصامدة إلى مبايعة الشريف أو عبد الله محمد القائم بأمر الله (915-923ه)/(1510-1517م)،وكان مقيما بدرعا ،فبايعه فقهاء المصامدة وشيوخ القبائل،ولعل أبر من ساعده في تأسيس هذه الدولة محمد بن مبارك تلميذ الشيخ محمد بن سليمان الجزولي الذي اشتهر بزاويته في سوس إضافة إلى سلطته الروحية هناك.[4]

عين أبو عبد الله ابنه أبو العباس الأعرج وليا لعهده ،وقد لعب هو وابنه دورا كبيرا في محاربة الاحتلال البرتغالي في أغادير وبعد وفاة الوالد بويع الأعرج ملكا على البلاد(923ه-946ه)/1517-1539م) حيث تمكن من دخول مدينة مراكش سنة 930ه وجرى الصلح بين السعديين وبني وطاس على أن تكون المنطقة الممتدة

1- أحمد الشرقاوي،مرجع سابق،ص56.

2- المرجع نفسه،ص 57.

3- عبد الله كنون :النبوغ المغربي.ج1، ص230. وإبراهيم حركات:المغرب عبر لتاريخ ج2،ص 243.

4- النبوغ المغربي،ج1ص234و إبراهيم حركات،مرجع سابق ص244.

من تادلا إلى السوس لصالح السعديين ومن تادلا إلى المغرب الأوسط لصالح الوطاسيين.[1]كما تمكن هذا السلطان من استرجاع مدينة آسفي من الإسبان سنة 933ه.[2]

وفي سنة 946ه خلع السلطان محمد الشيخ أخاه أبو العباس الأعرج وقام بسجنه مع أولاده إل أن توفي الأعرج بمراكش[3] وتربع محمد الشيخ على عرش الدولة (946-964ه) حيث واصل عمله ضد النصارى من جهة ومن جهة أخرى ضد خصومه من بني وطاس فأجلى النصارى من أغادير وآسفي وأزمور وأصيلا ،كما تمكن من دخول فاس ومكناس مما جعل السلطان الوطاسي أبو حسون يستنجد بصالح رايس بالجزائر فأعانه ومكنه من الرجوع إلى

فاس سنة 961ه[4]، لكن هذا الأخير قتل أي أبو حسون قتل في معركة بتادلا ضد السعديين أواخر 961ه وبذالك انقرضت الدولة الوطاسية بعد أن عمد محمد المهدي إلى قتل أفراد العائلة الحاكمة .[5] وفي سنة 664ه/1557م أغتيل السلطان محمد الشيخ[6] فخلفه السلطان أبو محمد عبد الله الغالب (964-981ه)/1556-1573م)ثم خلفه محمد المتوكل (981-983ه)/1573-1575م)،فعندما توفي محمد الشيخ وتولى بعده ابنه الغالب كان أخواه عبد الملك الغازي المعتصم بالله وأحمد المنصور بسجلماسة ولما بلغهما استيلاء أخيهما الغالب على الحكم توجها إلى الجزائر ولما علما بتولي محمد المتوكل ابن الغالب على الملك توجه عبد الملك إلى السلطان سليم الثاني وطلب منه المساعدة في استرجاع العرش فوجهه إلى الجزائر لتلبية طلبه وهو ما حصل حيث تمكن الأخوين من هزيمة المتوكل في وادي سبوا ووادي الريحان قرب سلا سنة 983ه وتمكنوا من دخول فاس وفر المتوكل إلى مراكش.[7]

1- محمد الصغير الإفراني:نزهة الحادي في ملوك القرن الحادي صص20-21.

2- حركات،مرجع سابق ،ج2،ص 245.

3- الإفراني،مصدر سابق ص24.

4- حركات، مرجع سابق،ج2،ص 248.

5- المرجع نفسه،ج2،ص249.

6- الإفراني،مصدر سابق،ص 44.

7- المصدر نفسه،ص 65.

السلطان عبد الملك (983-986ه)/1575-1578م):تمكن عبد الملك من مراكش وأرسل أخاه أحمد المنصور إلى السوس التي ظلت على وفائها للمتوكل إلى أن استنجد بالبرتغال بقيادة الملك سباستيان ،شرط أن تكون سواحل المغرب لهم ومن ضمنها ميناء العرائش فأرسل البرتغاليون دعما بأكثر من مائة ألف مقاتل[1] انتقلت إلى طنجة ثم عسكرت بأصيلا وجرى اللقاء بوادي المخازن حيث تراجع جيش المتوكل وغرق هذا السلطان بالنهر ،بينما قتل الملك عبد الملك قيل بسم وضع له من قبل الترك وقيل أنه بتدبير من أنصار السلطان المتوكل ،كما غرق في النهر الابمراطور البرتغالي سباستيان فبويع بعد ذالك السلطان أحمد المنصور والذي تمثل فترة حكمه دور العظمة بالنسبة لهذه الدولة.[2]

السلطان أحمد المنصور الذهبي (986-1012ه)/1578-1603م):من أهم أعمال هذا السلطان إدراكه أهمية تأكيد سلطان الدولة على أرجاء المغرب خاصة في الصحراء حيث

قام السلطان بحملتين،الحملة الأولى سنة 989ه/1581م حيث بعث جيشا إلى توات وضواحيها.[3]

كما فتح بلاد السودان سنة 999ه/1591م حيث قصد السلطان البلاد من مراكش مارا بتندوف وتغازي وتاودني وكارابارا وتمبكتوا ثم قصدوا مدينة كاغوا عاصمة آل سكية ورفض الملك عرض السكان الخضوع مقابل جزية.[4]الحملة الثانية سنة 1000ه/1594م وهي حملة من أجل اخماد ثورة قام بها أهل تمبوكتوا سنة 1003ه/1594م حيث اعتقل العلماء والصلحاء ةمن بينهم أحمد بابا التمبكتي،إن السيطرة على الصحراء معناه مراقبة منطقة كانت ملاذا للثوار واستغلال مجالها الاقتصادي خاصة ما تعلق بالمعادن الثمينة والتي منها الذهب،وقد شملت هذه المنطقة شمال النيجر ومملكة برنوا وتمبكتوا وكاغوا.[5]

الثورات الداخلية في عهده:شهد البلاد في عهد السلطان بعض الإضطرابات قضي على مجملها ومنها:

1- السلاوي الناصري:الاستقصاء لدول المغرب الأقصى،ج5،ص 69.

2- حركات،المغرب عبر التاريخ،ج2،ص 260.

3- المرجع نفسه،ج2،ص 269.

4- المرجع نفسه،ج2،ص 269.

5- المرجع نفسه،صص 270-271.

أ- ثورة داود بن عبد المؤمن بن محمد الشيخ وسببها أخذ المنصور ولاية العهد لابنه محمد الشيخ عام 987ه بجبل سكسيوة [1]

ب- ثورة عرب الخلط:وكانوا بأزغار بحيث كثرت اعتداءاتهم على جيرانهم ورفضة المشاركة في حملة على تيكورارين ،فأرسل عليهم حملة تأديبية.[2]

ج- ثورة قراقوث بغمارة حيث قضي على ثورته ثم قتل عام 993ه.[3]

د- ثورة الناصر بن عبد الله الغالب سنة 1003ه،الذي لجأ إلى الإسبان عند مقتل السلطان عبد الملك في وادي المخازن ،وكان له سند في الريف المغربي وتازا ومكناس ،لكن تم أسره وقتله سنة 1005ه.[4]

ذ- ثورة محمد المأمون بن المنصور ولي العهد ،كان نائبا عن والده على فاس لكنه سيء السيرة ألقي عليه القبض وسجن بمكناس وفر من السجن في عهد السلطان زيدان .[5]

ب: ثقافيا:

بعد استقرار الأحوال ورجوع الأمن إلى نصابه عاد لكل شيء رونقه وبهجته وأقبل كل على شأنه ،ورجال العلم أيضا أخذوا في إحياء ما اندثر وجمع ما تبعثر من سالف ذالك المجد العلمي والتاريخ الأدبي فام تنشب حركة العلوم والآداب أن عاودها النشاط والإنتعاش ،وخصوصا بعدما أنست من الملوك السعديين وعلى رأسهم المنصور الذهبي ذالك التعضيد.[6] ومما يؤثر عن الملوك السعديين حبهم للعلم وتقريبهم للعلماء فقد كان محمد المهدي يحفظ القرآن وديوان المتنبي عن ظهر قلب وينقض بنفسه فتاوى بعض العلماء مما يدل على اطلاع غزير ومقدرة على الاستنباط ومقارعة الحجة بالحجة .[7]

1- الإستقصاء،ج5،ص94.

2- المصدر نفسه ،ج5،ص98.

3- المصدر نفسه ج5،ص 117.

4- المصدر نفسه ج5،ص 145.

5- المصدر نفسه ج5،ص 169.

6- كنون،مرجع سابق،ج1،ص 239.

7- إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ،ج2،ص247.

والسلطان محمد الغالب فقد كان محبا للعلماء والصلحاء كثير الاعتقاد فيهم حتى أنه كان يتردد مرارا على الشيخ أحمد بن موسى السملالي يستدر بركته وكان مع ذالك قاسيا مع بعض أرباب الزوايا.[1]وامتاز هذا السلطان بمحاربة أهل البدع خاصة طائفة الشراقة الذين كانوا ينتسبون 'إلى أحمد بن يوسف الملياني ،وكان هو نفسه يتبرأمنهم لأنهم كانوا يتهمون بكونهم إباضية.[2]

أما المنصور فقد كان ملما بالنحو وعلوم اللغة والفقه والحديث مقرضا للشعر ،أجازه العلماء ،واستجاز علماء وفقهاء مصر،لقد كان أبو العباس ملكا واسع الثقافة مواظبا على طلب العلم رغم ثقل المسؤولية الملقاة على عاتقه ،حتى أن شيخه المنجور وصفه بعالم الخلفاء ،وخليفة العلماء ،نشر الأمن ووطد دعائم العمران وقرب الأدباء والعلماء[3]

وقد ازدهرت الحياة الفكرية بوجه خاص في زمن هذا السلطان ،ازدهارا تجلى في تزايد معاهد العلم والدراسة وكثرة العلماء وطلبة العلم ،فطالب العلم يلقن أولا مبادئ

القراءة والكتابة ثم يشرع في حفظ كتاب الله العظيم ،ثم مختصر خليل ،فرسالة ابن أبي زيد القيرواني،ثم الأجرومية وّألفية ابن مالك ،فلامية الأفعال ،وكبرى السنوسي ثم كتب الحديث والفقه المالكي،وبعد التعلم والتحصيل يأخذ الطالب إجازة خاصة .[4]

ومن العوامل التي ساعدت على انتشار العلم والأدب خلال هذه الفترة تعدد المراكز الثقافية في الحواضر والبوادي وبخاصة في مراكش التي استرجعت نشاطها العلمي القديم بما أنشئ فيها أو جدد من معاهد التعليم ،كمسجد الشرفاء بالمواسين ،ومسجد باب دكالة ،ومسجد أبي العباس السبتي والمكتبات الغنية الملحقة بها ،ومدرسة ابن يوسف التي ضاهت كبيريات مدارس فاس بالإضافة إلى تجديد جامع القرويين وإنشاء المكتبة العظيمة بجواره وتوسيع المسجد الكبير بالمحمدية (تارودانت) والمرافق الطلابية الملحقة به ،إنه من الطبيعي أن يتكاثر عدد العلماء والطلبة أ يام إقبال الدولة السعدية بعد أن أن ووطئت لهم الأكتاف وأغدقت عليهم الأرزاق وتجسد هذه العناية

1- إبراهيم حركات:المغرب عبر التاريخ ج2،ص 253.

2- المرجع نفسه،ج2،ص 255.

3- ليفي بروفنصال:مؤرخوا الشرفاء ،ص78.

4- عبد الكريم كريم :المغرب في عهد الدولة السعدية.منشورات جمعية المؤرخين المغاربة ،الرباط1427ه،2006م،ط3،صص 307-308.

قولة أحمد المنجور شيخ الجماعة بفاس وهو مخضرم عاش أيام الوطاسيين والسعديين :ما عهدنا بذل المئين في الصلاة إلا في أيام الشرفاء ولا عهدنا بذل الألوف إلا في عهد أمير المؤمنين المنصور أيده الله.[1]

وحتى بعد إدبار أيام هذه الدولة لم يعدم العلماء والمتعلمون وعددهم أنذاك كثير ،مجال للعمل في الزوايا الكبرى مثل الزاوية الدلائية في الأطلس المتوسط والزاوية الناصرية في درعة ،والزاوية العياشية في الأطلس الكبير.[2]

وهناك ظاهرة كثرة الكتب في العصر السعدي وتعدد خطوطها من مغربية وأندلسية ومشرقية ،بعض هذه الكتب من انتاج رجالات هذا العصر في مختلف المواضيع الشرعية واللغوية والرياضية والطبية والتاريخية والأدبية ،أهدى منها لخزانة أحمد المنصور وحدها أزيد من مائة كتاب ،وبعضها الآخر كتبه نساخون هواة ومحترفونه في مراكش وغيرها من المراكز الثقافية المغربية ،أو في القاهرة ومكة والمدينة والقسطنطينية وغيرها من عواصم

الشرق الإسلامي ،وحمله إلى المغرب رجال من البلاط السعدي كانوا يذهبون بانتظام إلى المشرق وفي رواحلهم صناديق مملوءة ذهبا ليعودوا بها مملوءة كتبا،وفي آلاف المخطوطات السعدية التي ما تزال حتى اليوم تزخر بها المكتبات العامة والخاصة بالمغرب ومكتبة دير الاسكوريال باسبانيا ،أصدق دليل على اتساع حركة التأليف وانتساخ الكتب في ذالك العصر الزاهر .[3]

ويمكننا أن نضيف إلى مدينة مراكش،مدينة فاس التي انفردت بالزعامة إلى غاية (986ه-1578م) أي قبل مدينة مراكش،حيث عرفت فاس طبقتين من العلماء أولاهما طبقة ابن غازي[4] أو العلماء المخضرمين الذين عاشوا معظم حياتهم خلال القرن التاسع الهجري وأدركو العقودالأولى من القرن 10 الهجري،والثانية طبقة سقين[5]

1- محمد حجي: الحركة الفكرية في المغرب في عهد السعديين .منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ،مطبعة فضالة،1379ه،1977م،ج1،ص 55.

2- المرجع نفسه ص 55.

3- المرجع نفسه،صص 55-56.

4- محمد بن أحمد بن غازي المكناسي ثم الفاسي ،شيخ الجماعة العلامة الحافظ الحجة المحقق،خاتمة علماء المغرب ،صاحب كتاب،الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون. توفي 919ه.ينظر طبقات الحضيكي،ج1،صص 247-248.

5- عبد الرحمن بن علي سقين العاصمي السفياني محدث ورحالة ،تولى الإفتاء بفاس توفي 956ه،،طبقات الحضيكي،ج1، ص34.

أو تلاميذ الطبقة الأولى الذين عاشوا خلال أواسط القرن العاشر الهجري وألحقت بهذه الطبقة كل من لم يدرك أيام السلطان أحمد المنصور الذهبي أو لم يأخذ مباشرة عن ابن غازي وأقرانه.[1]ومن أشهر هؤلاء العلماء إضافة إلى المكناسي وسقين نذكر كل من:

الحسن بن محمد الوزان)ت بعد 934ه/1528م وعبد الواحد الونشريسي،ت955ه/1549م وأحمد بن علي المنجور المكناسي ت995ه/1587م وعبد الواحد بن أحمد الحميدي (ت 1003ه/1595م)،وأبو القاسم بن قاسم بن سودة ت1004ه/1596م،و محمد بن قاسم القصار ت1012ه/1604م، وأبو المحاسن يوسف بن محمد الفاسي ت1013ه/1604م.[2]

وقد ألفت كثير من الكتب خلال هذه الفترة في شتى مجالات المعرفة ففي علوم القرآن كلفوا بتفسير الكشاف للزمخشري اعجابا بمباحثه البلاغية وردا على شبهاته الاعتزالية

،فكتبوا عليه حاشيتين ،إحداهما للملك المنصور والثانية للقاضي محمد بن عبد الله الرجرجي ،كما أمر أحمد المنصور بجمع تفسير الامام ابن عرفة التونسي (ت803ه/1400م) من تقاييد تلميذيه البسيلس والسلوي.كما ألفت كتب منها شروح وحواشي على صحيحي البخاري ومسلم وعمدة الأحكام لعبد الغني المقدسي (ت600ه/1203م) ومنها تخريج كتاب الشهاب لمحمد بن سلامة القضاعي (ت454ه/1062م) وغيرها.[3]

أما في التوحيد فكان أكثر اعتماد المدرسين على عقائد السنوسي الأربع ،فكتبوا عليها نحو عشرين شرحا وحاشية وشرحوا أيضا عقائد المهدي ابن تومرت ،وسعيد الحاحي ،وكفاية المريد لأحمد بن عبد الله الزواوي (ت884ه/1479) ومحصل القاصد لأحمد بن زكريا لتلمساني (ت899ه/1493) وغيرها ،وفي الفقه تم تداول مختصر خليل بكثرة وكتبوا عليه نحو ثلاثين شرحا وحاشية وتعليق وألف ابن غازي كتاب: الكليات في أسس مذهب مالك،وكتاب إتحاف ذوي الذكاء والمعرفة بتكمييل تقييد أبي الحسن وتحليل تعقيد ابن عرفة،وهوتعليق على المدونة،ولعبد الواحد الونشريسي ،سنا المقتبس لفهم قواعد الإمام مالك بن أنس نظم فيه

1- محمد حجي:الحياة الفكرية في الدولة السعدية.ج1،ص 348.

2- المرجع نفسه،ج1،ص 348 وما بعدها.

3- حجي،الحياة الفكرية في لدولة السعدية،ج1،صص 141-142.

كتاب والده صاحب المعيار،المسمى إيضاح السالك إلى مذهب الإمام مالك ،كما كتب الذيوع والخلود لأرجوزة المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لعبد الواحد ابن عاشر . [1]

كما ظهرت خلال هذه الفترة العديد من الأبحاث الطبية والصيدلية لاكتشاف العقاقير والأدوية ضد الأوبئة ،ومن أشهر الأطباء أبو عبد الله طبيب المنصور الخاص،والحسن المسفيوي ،ومن أهم المؤلفات الطبية حديقة الأنهار في شرح ماهية العشب والعقار للوزير الغساني ،والقانون المفيد في علاج الحصى بقول سديد لابن مسعود.[2]

إن توفر الكتب سواء المؤلفة قبل أو خلال الفترة أدى إلى انتشار المكتبات العامة والخاصة ولعل من أبرز هذه المكتبات ،مكتبة السلطان أحمد المنصور التي ضمت مؤلفات ضخمة في مختلف العلوم منها العلوم لدينية كمؤلفات محمد بن أبو عبد الله الرجرجي ومؤلفات الشيخ أبو العباس أحمد بن علي المنجور ،وتآليف أبو العباس أحمد بابا

التمبكتي ،وتأليف عبد العزيز الفشتالي وزير المصور وهو:مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا. ومؤلفات أحمد المقري ،وأحمد ابن القاضي منها: المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور،ودرة الحجال في غرة أسماء الرجال ،وجذوة الاقتباس في من حل من الأعلام مدينة فاس.[3]

ومن المكتبات أيضا مكتبة جامع الأندلس بفاس ومكتبة ابن يوسف بمراكش التي أسسها عبد الله الغالب ،ومكتبة جامع الشرفاء بمراكش التي أسسها نفس السلطان السابق الذكر وقد استفاد منها التمبكتي كثيرا في إخراج مؤلفاته ،ومكتبة الجامع الأعظم بالمحمدية التي أسسها محمد المهدي الشيخ حوالي عام 935ه/1528معندما جدد مدينة تارودانت، ومنها أيضا مكتبتي الجامع الأعظم بكل من مكناس وآسفي.[4]

ولا يمكننا أن نغفل لدور الذي لعبته الزوايا في الحركة الفكرية خلال هذه الفترة ولعل من أبرز الزوايا التي كان لها نشاط ظاهر زاوية الدلاء الأولى التي أسسها أبو بكر بن محمد الدلائي حوالي سنة 1566/974م في مرتفعات

1- محمد حجي،الحركة الفكرية،ج1،ص ص 143-145.

2- عبد الكريم كريم:المغرب في عهد الدولة السعدية.ص 321.

3- المرجع نفسه صص3 24-326.

4- حجي،مرجع سابق،ج1،صص185-186

جبال الأطلس المتوسط ، وقد عني الشيخ أبو بكر في زاويته بالعلم والعلماء كعنايته بالتصوف والمريدين واهتم اهتماما كبيرا بتعليم أبنائه الستة سواء على يد العلماء الوافدين على الزاوية أو العلماء بفاس ،ثم يرجعون ليعودوا بدورهم من أطر هذه الزاوية،وقج تكاثر عدد الطلبة والعلماء واتسع عمران الزاوية بما بني حولها من دور وأسواق ومساجد ومكتبات ومدارس لسكنى الطلبة الغرباء حتى قيل أنه كان بالمدرسة التي بإزاء جامع الخطبة ألف وأربعمائة مسكن،وأن المكتبة الكبرى بالزاوية كانت تشبه مكتبة الحكم المستنصر بالأندلس حيث بلغ عدد كتبها نحو 10 آلاف سفر.[1]

وقد أجمع كل من تحدث عن الناحية العلمية في هذه الزاوية على أنها بلغت في هذا المضمار شأنا كبيرا بل إننا نقول:إن الثقافة اللغوية التي كانت موجودة في زاوية الدلاء حيث درس اليوسي هي التي أحيت دماء الأدب بالمغرب بعد عدم.[2]

زاوية آيت عياش وسط سلسلة جبال الأطلس في حدر جبل العياشي أسسها محمد بن أبي بكر العياشي (ت1067ه/1651م،وقد أمضى العياشي نصف قرن في زاويته يعلم الطلبة القرآن وعلوم الدين والتصوف وقد تخرج منها كثير من أبنائها من أشهرهم أبي سالم العياشي.[3]وهناك زوايا أخرى منها زاوية الصومعة بتادلا لأحمد بن أبي القاسم الصومعي دفين الصومعة توفي 1013ه/1604م،[4] وهي الزاوية التي درس بها الشيخ محمد الشرقي،و الزاوية الناصرية المنسوبة لمحمد بن ناصر الدرعي الذي تتلمذ له أبو علي اليوسي ،كانت مسرحا حيا للدروس العلمية.[5]

ولا ننسى أيضا الدور الذي لعبته زاوية محمد الشرقي بأبي الجعد خاصة وتادلا عموما في نشر العلم والتصوف بالمنطقة وهو ما تحدثنا عنه سابقا.

1- عبد العزيز بن عبد الله :معلمة التصوف الإسلامي.دار نشر المعرفة،الرباط،2001م،ط1،ج1،ص 499.

2- المرجع نفسه،ج1،ص 499.

3- المرجع نفسه،ج1،ص 509.

4- المرجع نفسه،ج1،ص 238.

5- المرجع نفسه،ج1،ص ص 253-254.

ج- اجتماعيا واقتصاديا:

يعتبر الأمن من أهم الشروط التي يجب أن تتوفر في دفع أي مسيرة تنموية في بلد ما،لذا نجد السلاطين السعديين يحرصون على ذالك قدر المستطاع سواء من خلال ضبط النظام الداخلي،أو من خلال مقومتهم للغزاة الأجانب الذين أرادوا السيطرة على السواحل المغربية الإستراتيجية خاصة البرتغال والإسبان،فقد كان السلطان أحمد المنصور يراقب العمال ويغلظ على جبابرتهم المشهورين بالحيف وارتكاب الجور ويعاقبهم بالسجن والمصادرة،وغلق أبواب الشفاعة دونهم .وعمل على استئصال أهل الدعارة والفساد بدكالة وبلاد حاحة ،ومهد السبل وانتزع خيول العرب وعمل على تدويخ المنحرفين،ولما كان السلطان يجلس للمظالم بنفسهم فقد أسقط عن من مسه ظلم أو جور مثقالا عن كل نائبة وعوضهم من خزينة الدولة بأن دفع عنهم الخراج المترتب عليهم .[1]

كما اهتم بالأسطول برباط سلا وعقد رئاسته لرجل من أهل المغرب يسمى إبراهيم الشط،المثل المضروب في الشجاعة والمعرفة بأحوال البحار والحصون وكتب له بذالك

،ولعل من أبرز منجزات السعديين بناء السلطان محمد الشيخ المهدي مدينة المحمدية والتي تعتبر باب السودان ،وقاعدة بلاد السوس.[2]

لقد اهتم السعديون بالجانب الزراعي وذالك بتنظيم الزراعة وزرع مختلف المنتوجات الزراعية من حبوب وغلال وفواكه وخضر وزيتون فالمغرب يحوز على أخصب الأراضي الزراعية لذا اعتبر مارمول فاس ونواحيها من أخصب بلاد العالم.[3]

كما اعتنوا بالثروة الحيوانية من غنم وبقر وجمال وخيل وبغال وحيوانات داجنة ،واهتموا بالري وسقي الأراضي الزراعية عبر الأودية العظيمة كتلك التي تنحدر من جبال الأطلس الكبير وحفر قنوات الري كما اهتموا بتوزريع الأراضي الزراعية على القبائل والمهاجرين الأندلسيين،وأقاموا قرى صناعية في البادية وذالك نتيجة الاهتمام بقصب السكر وتأسيس الدولة لمعامله في الصويرة وسهل سوس وتارودانت ووادي ماسة علاوة على مزارعه في

1- أبي فارس عبد العزيز الفشتالي:مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا.دراسة وتحقيق،عبد الكريم عبد الكريم،مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة،المغرب،صص 198-199.

2- المصدر نفسه ص 204و ص 254.

3- إبراهيم حركات:المغرب عبر التاريخ،ج2،ص 428.

طنجة وسبتة وسلا .[1]

كما اهتموا بصناعة الأسلحة ،ودور صناعة السفن كتلك الموجودة برباط سلا،واهتموا أيضا باستخراج المعادن كملح البارود والنحاس والحديد والرصاص وملح الطعام والذهب من الصحراء (السودان)،فظهرت الحرف كالنجارة والخياطة ومطاحن الحبوب ومعامل الشمع وغيرها ،فكان مع ذالك أن انتعش القطاع التجاري مع استتباب الأمن والاستقرار ،وتزايد عدد الفنادق والقيسريات في المدن والأسواق الأسبوعية ،فعمل على تمهيد الطرق بعمارة المنازل والأماكن النائية ،فازدهرت التجارة مع السودان ومنتجاته بعد السيطرة عليه من قبل المغرب.[2]

أما التجارة الخارجية فقد تركزت على رغبة السلطان أحمد المنصور في الحصول على الذخيرة الحربية والأسلحة واستيراد بعض أنواع مواد البناء كالرخام من إيطاليا، وقد منحت تجار الدول الأجنبية امتيازات خاصة ،خاصة الانجليز منهم ،والذين أسسوا شركة أسموها الشركة البربرية ،والتي احتكرت تجارة المغرب الخارجية خاصة تجارة السكر ،وكان

الأنجليز يصدرون للمغرب الثياب ويأخذون السكر بأنواعه والتمور والشمع والحبوب والزرابي والذهب وملح البارود والتبغ،ويجمع المؤرخون على أن صادراتها فقد ارتكزت على مادتين أساسيتين الذهب والسكر، فمن أهم المراكز التجارية نجد آسفي بالنسبة لمراكش ،وأكادير بالنسبة لسوس ،والعرائش وتطوان والرباط وسلا وأصيلا وأزمور.[3]

اجتماعيا:كانت البداوة طاغية على الحياة **الحضرية** بالمغرب أوائل القرن العاشر الهجري 16م بسبب اختفاء عدد كبير من المدن وبخاصة في الساحل الذي استولى عليها البرتغاليون والإسبان ،فقضوا على صبغتها المغربية

1- الفشتالي،مصدر سابق،صص 254-256.

2- المصدر نفسه،ص ص256-259.

3- المصدر نفسه،صص 264-266.

،وحولوها إلى مراكز استيطان لجنودهم وجالياتهم أو للشعور بالعزلة بسبب إختلال الأمن وانقطاع السبل فخلت المدينة المغربية بين الوليدية ولآسفي والرباط ورباط تيط جنوبي البريجة ،أو الجديدة الحالية ومدينة آنفى في الموقع الحالي للدار البيضاء والقصر الصغير بين طنجة وسبتة وتقلصت الحياة في مدن أبي رقراق لتبقى الرباط والقصبة وبعض أحياء سلا قاعا صفصفا ،/وحتى المدن الداخلية نال منها الخراب بسبب الحروب والفتن المنتشرة أواخر العهد المريني فلم يعد مسكونا في مدينة مراكش غير نحو ثلثها بينما سقط الباقي خرائب وركاما وحولت أحياء متهدمة إلى بساتين تزرع فيها الأشجار والبقول على أن هذه السحابة السوداء لم تلبث أن أخذت تنجلي مع ظهور السعديين وانتشار نفوذهم فلم يتوسط القرن العاشر الهجري حتى تخلصت شواطئ سوس وآسفي وأزمور والعرائش وأصيلا وأسست مدن أخرى،أو جددت واتسع عمرانها كحصن المنكب والمحمدية(تارودانت)وشفشاون وتطوان كما استرجعت مراكش سالف عمرانها ومجدها لتصبح في آخر القرن أكثر بهجة وفخامة .[1]

وإذا كنا لا نعرف عدد سكان المغرب فيالعصر السعدي لعدم وجود إحصاءات مضبوطة فإن بعض المؤرخين المحدثين قدروا عدد السكان أوائل القرن العاشر (16م) بستة ملاتيين ونصف ومن المؤكد أن سكان المغرب السعدي تزايد عددهم بتقدم عقود هذا القرن لاسيما بعد أن اتسعت حدود الإمبراطورية السعدية وشملت الصحراء الكبرى وما

وراءها من بلاد السودان ،وقد دخلت إلى المغرب عناصر سكنية جديدة منهم المرتزقة من الأتراك والأوروبيين العاملين في الجيش والأسرى والأرقاء المسيحيون والسودانيون العاملون في الجيش وبخاصة في خدمة القصور والحقول وأوراش البناء ومعاصر السكر ،واليهود المشتغلون في التجارة وصياغة الذهب إلى عدد غير قليل من الأسر الجزائرية وقبائل برمتها فرت من المغرب الأوسط لقاء التواجد العثماني وقد استقرت هذه القبائل في سهول سايس وحوض سبوا .[2]

على أن أهم العناصر الوافدة على المغرب أيام السعديين هي الجالية الأندلسية التي تتابع نزوحها إلى هذه العدوة طوال القرن العاشر(16م) حتى إذا أصدر الملك الإسباني فليب الثالث في 22 جمادى الثانية 1018ه/22سبتمبر 1609م قرار طرد الموريسكيين من شبه جزيرة إيبيريا ،قصدت أفواج كثيرة منهم المغرب الأقصى فعمر الحضريون القصبة والرباط والأحياء المهجورة في سلا وسكنوا المدن الأخرى حتى بلاد سوس

1- محمد حجي: الحياة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين.ج1،ص51.

2- المرجع نفسه ص52.

مكونيين في الغالب أحياء خاصة بهم مشتغلين بالتعليم والتطبيب ومختلف الحرف والصناعات التي يعرفونها ،أو متقلدين مناصب في البلاد والجيش،كما انتشر الفلاحون الأندلسيون في بوادي المغرب فنشطوا الزراعة ويجددون من طرق الري والغرس والسكنى القروية.[1]

كما أثر العنصر التركي فيالمجتمع المغربي حيث وجدت فئة انكشارية أسسها المولى أحمد المنصور من العلوج وقد تمركزوا بمراكش خاصة،قد اقتبس السلطان المذكور أنظمة العثمانيين السياسية حين تواجده بالجزائر إبان حكم ابن أخيه المتوكل،وكان العثمانيون أنذاك في أوج عزهم وعنفوان قوتهم،أما السودانيون فمن خلال الجاليات السودانية التي جلبت أو هاجرت من المنطقة إلى الشمال ،فأحدثوا تغيرا في المجتمع المغربي ووجد منهم الخدم والعمال والجنود والرقيق ،وعرف عنهم عادة التدخين التي جلبوها إلى درعا ومراكش وغيرهما من بقاع المغرب .[2]

وقد انقسم المجتمع المغربي إلى سكان المدن وسكان الأرياف ،وسكان الأرياف يشكلون أغلبية المجتمع المغربي لانتشار الحياة القبلية ،واعتماد الدولة على قطاع الزراعة واهتمام

سلاطين السعديين به خاصة السلطان أحمد المنصور ويمكن أن نميز الفئات التالية في المجتمع المغربي:

1- الطبقة الحاكمة والحاشية ولإراد الأسرة الحاكمة

2- كبار القادة السياسيين والعسكريين كانوا من الأغنياء لقاء ما يتلقونه من الدولة من هبات وإقطاعات

3- الشرفاء والقضاة والفقهاء والكتاب والشعراء

4- التجار الذين كانوا يشكلون الطبقة البرجوازية الناشئة بفضل ازدهار الحياة الاقتصادية،لعبوا دورا في فتوحات أحمد المنصور في بلاد السودان ،وإنشاء مراكز تجارية ومحطات للتجار وقوافلهم

5-فئات العامة من أرباب الحرف وطبقات الجند وجمهور الشعب في المدن والبوادي والسهول والجبال إضافة إلى اليهود والنصارى.[3]

1-محمد حجي :الحركة الفكرية،ج1،ص52.

2- عبد الكريم كريم،المغرب في عهد الدولة السعدية،صص 277-282.

3- المرجع نفسه،صص 290-291..

المبحث الأول:التعريف بعبد الخالق العروسي:

1- مصادر ترجمة عبد الخالق العروسي:

لا توجد معلومات وافية حول شخصية عبد الخالق العروسي في مختلف المصادر التي تناولت التأريخ للتراجم المغربية إلا بعض الإشارات التي وردت في بعض المصادر التي أشارت باختصار لهذه الشخصية ،وغالبا كانت هذه الإشارات عند الإشارة إلى كتابه،المرقي في مناقب القطب محمد الشرق،كمصدر من مصادر الترجمة المفردة.

ويمكن حصر المصادر التي تناولت حياة هذا المؤلف فيما يلي:

1- كتاب المرقي في مناقب القطب محمد الشرقي الذي تناول معلومات قليلة ومتناثرة في ثنايا الكتاب.

2- كتاب العباس بن إبراهيم السملالي،الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ،حيث ذكر نسبه،وهو عبد الخالق بن محمد بن أحمد العروسي بن سيدي محمد الشرقي بن أبي القاسم الزعري ،ذكر بأنه كان فاضلا عالما ناظما ناثرا،أخذ عن الولي الصالح محمد الصالح ابن المعطي الشرقي،وبرباط الفتح عن أحمد بن عبد الله الغربي،وذكر زيارة له إلى مراكش،كما أثبت له قصائد ذات مقاصد متنوعة كالتصوف ومدح النبي صلى الله عليه وسلم،ومدح شيخه أبي محمد صالح،وذكر تحلية صاحب يتيمة العقود الوسطى له بالخير الفقيه الفاضل الصادق ولم يذكر وفاته.[1]

3- ابن سودة في دليل مؤرخ المغرب الأقصى،وقد ذكر مؤلف المرقي باسم أبو محمد عبد الحق بن محمد بن أحمد العروسي الشرقي بن عبد العزيز بن محمد التادلي الشرقاوي العمري ،وهو بذالك يخالف اجماع المؤرخين على أن اسمه عبد الخالق وليس في نسبه عبد العزيز. بن سودة،دليل مؤرخ المغرب الأقصى،[2]

4- أحمد بوكاري في كتابه الزاوية الشرقاوية،زاوية أبي الجعد وإشعاعها الديني والعلمي:حيث ذكره في معرض حديثه عن النشاطات العلمية في الزاوية،وعده أحد أطرها من داخلها،وقد نقل البوكاري معلوماته عن كتاب

1- العباس بن ابراهيم السملالي: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام،مراجعة عبد الوهاب بن منصور،المطبعة الملكية،الرباط،1423ه ،2002م،ج8،صص49-50.

2- بن سودة: دليل مؤرخ المغرب الأقصى.ص170.

المرقي،وجاء معلوماته مختضرة مقتضبة.[1]

4- محمد المنوني في المصادر العربية لتاريخ المغرب،ذكر كتاب المرقي ونسبه لعبد الخالق بن محمد العروسي الشرقي العمري البجعدي،وذكر أنه كان حيا سنة 1113ه/1701-1702م.[2]

5- المرابط الترقي في دراسة بمجلة المناهل عنوانها،كتب التراجم العامة وكتب المناقب خلال عصر المولى اسماعيل(1082ه-1139ه).ذكر فيه كتاب المرقي وأهم إشارة هي وجود عبد الخاق العروسي قيد الحياة سنة 1139ه. ص18. [3]

2- اسمه ونسبه ومولده: تجمع المصادر التاريخية على أن اسمه هو عبد الخالق بن محمد بن أحمد العروسي،فقد ورد في آخر كتابه المرقي،فيقول عبيد ربه تعالى وأسير ذنبه عبد الخالق بن محمد بن أحمد العروسي ابن الشرقي،ابن عبد القادر ابن الشيخ الكامل الواصل أبو الفيض سيدي محمد الشرقي ابن الشيخ أبو القاسم الزعري،[4]ولم يشذ عن هذه النسبة سوى بن سودة في كتابه دليل مؤرخي المغرب الأقصى ،إذ أسماه عبد الحق،وسمى بعض أجداده عبد العزيز وهو مالم تذكره المصادر عند ذكر نسبه.[5]

كما تشير المصادر إلى أن نسب هذه الأسرة عمري أي أنه يعود إلى خليفة المسلمين الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه،وقد ذكر العروسي هذا النسب في كتابه المرقي،عندما تحدث عن نسب مترجمه الشيخ محمد الشرقي فهو أبو عبد الله محمد الملقب بالشرقي ابن أبي القاسم بن الزعري ابن عمر ابن حم بن المهدي بن حمامة بن سعيد بن عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن سليمان بن سمير بن يعقوب بن فاضل بن عمر بن موسى بن

1- أحمد بوكاري:الزاوية الشرقاوية زاوية أبي الجعد اشعاعها الديني والعلمي.مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،1406ه،1985م:ط1،ج1، ص 196.

2- محمد المنوني:المصادر العربية لتاريخ المغرب،ج1،ص 214.

3- عبد الله المرابط الترغي:كتب التراجم العامة وكتب المناقب خلال عصر المولى اسماعيل.مجلة المناهل،صص 18-19.

4- عبد الخالق العروسي:المرقي في مناقب القطب محمد الشرقي

5- ابن سودة:دليل مؤرخ المغرب الأقصى.ص 170.

أحمد بن محمد بن مرداس بن هلال بن عمر بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه .[1]

أما عن مولده فلم تذكر المصادر شيئا عن ذالك سوى أنه ولد بزاوية أجداده بأبي الجعد وأنه عاش خلال القرن الثاني عشر دون تواريخ ثابتة عن ولادته لكن من المرجح أن تاريخ الولادة كان قريبا من القرن الثاني عشر استنادا إلى بعض القرائن ،فزمن تأليفه لكتابه المرقي كان سنة 1138ه،كما يستفاد من قوله إذ استيعاب ذالك يكون للملازم الحاضر وأما من أتى بعد بعد وفاة الشيخ بمدة مقدارها مائة سنة وثمانية وعشرون سنة،فمن أين له استيعاب ذالك،ومعلوم أن وفاة الشيخ محمد الشرقي كانت سنة 1010ه،وإذا أضفنا أن شيخه محمد صالح كان يخاطبه بأخينا الشاب الأريب ،أمكننا أن نرجح أن ولادته كانت قريبة من سنة 1100ه.[2]

3- تعليمه وثقافته : توافرت العديد من العوامل التي ساهمت في تكوين المؤلف من حيث تعليمه وثقافته ولعل أهم هذه العوامل المحيط الذي عاش فيه وشيوخه الذين تتلمذ عليهم بالإضافة إلى الرحلات العلمية التي قام بها طلبا للعلم ،وفيما يلي نعرض لهذه العوامل:

أ/شيوخه : من المشايخ الذين كان لهم اليد الطيبة في تعليمه،والده محمد فهو العالم العلامة الدراكة الفهامة ذو الفهم الثاقب والنظر المصيب المتقن المشارك النحرير الأثير الحافظ الذي شاع حفظه عند أهل الخصوصية والعرفان أبو عبد الله محمد بن أحمد العروسي : كان رحمه الله تعالى وقدس الله روحه وجعله بأعلى عليين من العلماء الراسخين ذا نية صالحة وظن جميل في المنتسبين لله كثير التصديق بأولياء الله كثير الصدقة بالمال .[3]

وكان رحمه الله اعتمد الشيخ الإمام والقدوة الهمام أبا علي سيدي الحسن بن مسعود اليوسي[4] رضي الله عنه في الطريق وعليه أخذ و إليه انتسب ، وأما العلم فأخذ عن مشايخ أجله من بلدته حتى حصل له منه حظ وافر

1- العروسي: المرقي في مناقب القطب محمد الشرقي.ص

2- ديوان عبد الخالق العروسي،جمع ودراسة وتحقيق محمد البقالي،منشورات باب الحكمة،تطوان،المغرب،2016م،ص20.

3- العروسي:المرقي،ص ج2،ص29

4- اليوسي الحسن بن مسعود(1040-1102ه). فاطمة خليل: رسائل ابن علي اليوسي دراسة وتحقيق. دار الثقافة الدار البيضاء،1401ه-1984م.،ج2.صص 40-43.محمد الضعيف الرباطي:تاريخ الضعيف.تح أحمد العماري،دار المأثورات،الرباط،1985،ط1،ص51 وما بعدها.

ثم ارتحل إلى فاس وأخذ عن مشايخ منهم الشيخ العالم المحدث أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي[1] وأجازه في البخاري وغيره ، ومنهم الشيخ الإمام القدوة أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد القسطنطيني[2] ، ومنهم الشيخ العالم الفقيه سيدي الحسن بن رحال المعداني[3] وكان يقول في الوالد ، هو يشبه المازري[4] لكثرة حفظه واتساع مجاله وكان آية الله في الحفظ حتى شاع عند الخاص والعام بذلك.[5]

ومن مشايخه أيضا الذين صرح العروسي صراحة على أنه أخذ عنهم العالم العلامة أبو العباس أحمد بن عبد الله الغربي برباط الفتح.[6]

ومن الذين تركوا أثرا واضحا في تكوين شخصية العروسي الصوفية والعلمية شيوخه في مدينة أبي الجعد، فعلى

1- محمد بن عبد القادر الفاسي أبو عبد الله عالم مشارك في العلوم العقلية والنقلية(1042ه-1116ه) ينظر رضا كحالة:معجم المؤلفين.مكتبة المثنى،بيروت،مكتبة إحياء التراث العربي،بيروت،ج10،ص132.

2-محمد بن أحمد القسنطيني الكماد الشريف الحسني،ت1161ه،محمد حجي:موسوعة أعلام المغرب،ج5،ص 1901.

3-الحسن بن رحال المعدني، فقيه جليل سمي صاعقة العلوم فقيه جليل أخذ عن اليوسي وعبد السلام القادري،ولي القضاء بفاس القديمة ثم مكناس،وهو الذي صلى على جنازة السلطان إسماعيل،توفي المعداني في 1140ه،1728م.تولي القضاء بالدار البيضاء وتوفي بمكناس. كحالة ،المرجع السابق،ج3،ص24.وعبد الرحمن بن زيدان:المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل.تح عبد الهادي التازي،مطبعة إديال،الدار البيضاء،1413ه،1993م،ط1،ص2، بروفنصال:مؤرخو الشرفاء ص212. و محمد بن الطيب القادري:نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني.تح محمد حجي و أحمد التوفيق،مكتبة الطالب،الرباط،1407ه،1986،ط1،ج3،ص 294

4- المازري الإمام المهدوي،توفي536ه.النجوم الزاهرة،ج5،ص570.وفيات الأعيان،ج4،ص285.الديباج المذهب.ج2،ص250. وشذرات الذهب6ص196

5- العروسي،المرقي،ص

6- أحمد بن عبد الله الغربي الرباطي: مسند الرباط بل المغرب في عصره، حلاه الحضيكي في فهرسته بخاتمة علماء المغرب ومدرسيه ونساكه ، وحج عام 1146 ولقي أعلاماً بالمشرق كأبي طاهر الكوراني وسالم بن عبد الله البصري وأحمد العماوي وتاج الدين القلعي والشهاب أحمد الجوهري ومحمد بن الشيخ حسن العجيمي المكي وسليمان بن أبي سلهام الحصيني ومحمد بن عبد الله السجلماسي المغربي المدني وغيرهم، فأجازوه عامة مالهم، ينظر محمد بن محمد بوجندار: الاعتباط بتراجم أعلام الرباط،تح عبد الكريم كريم،الرباط،1987م،ص 21. عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات. تح إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي،بيروت،1982م،ج1،ص 119

الرغم من رحيل العروسي إلى فاس والرباط إلا أنه لم ينقطع عن مسقط رأسه وظل على اتصال مستمر مع مشايخ الزاوية الشرقاوية .ومن أهم أولئك المشايخ شيخ الزاوية في تلك الفترة محمد الصالح ابن المعطي[1] إذ يقول العروسي في كتابه المرقي: ليعلم الواقف عليه أني ليس لي طاقة ولا جهد ولا استطاعة وإنما ذالك من بركة سيدي وعطفة من عطفاته وغرفة من بحره ونقطة من ودقه وشمة من عرف سيدي وقدوتي العالم العلامة الحبر الفهامة النحرير الدراكة النحوي اللغوي العروضي الحيسوبي الأصولي المنطقي الفقيه الصوفي الولي الصالح البدر اللائح خاتمة المجدوبين وعالم الواصلين وإمام السالكين ذو الأحوال العرفانية والإشارات الربانية شيخي وأستاذي ومربيني بالعلوم في صغري وكبري سيدي ومولاي أبي محمد صالح ،بن الولي العارف الغوث المكاشف سيدي محمد المعطي[2] نفعنا الله بهما ورزقنا رضاهما [3]

ب/ الزاوية الشرقاوية: وهي زاوية جده الأول الذي أسسها محمد الشرقي المتوفي سنة 1010ه بمدينة أبي الجعد بتادلة ،فعلى الرغم من أن الزاوية أصابها نوع من الفتور بعد وفاة مؤسسها إلا أنها استرجعت عافيتها في عهد شيخها محمد المعطي،حيث طلب منها بعض عائلته النزول بالزاوية لتعميرها وتولي شؤونها،فكان له ذالك قبل أن يعود إلى مراكش حيث توفي سنة 1092ه.[4]

أما تعمير الزاوية بالعلم والطريقة فلم يزدهر إلا في عهد محمد صالح الشرقي بعدما تولى مشيخة الزاوية بعد وفاة والده ،فأحيى الطريقة الصوفية بها وعمر مجالسها بالقراءة والعلم وهيأ لها الحضور الواضح في عصره لتصبح مقصد الشيوخ والطلاب من أهل العلم والانتساب والبركة .وقد باشر الشيخ الصالح التدريس بنفسه في حلقة تلامذة

1-أبو عبد الله المدعوا بالصالح ت 1139 ه-1727 م . من أحفاد الشيخ الشرقي ترجم له العبدوني في مخطوط :يتيمة العقود الوسطى في مواقع متعددة، ،وترجم له الحسن المعداني في مخطوط الروض اليانع الفائح في مناقب أبي محمد صالح ورقة 20 وما بعدها،وانظر ترجمته في الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام لعباس بن ابراهيم،المطبعة الملكية بالرباط1999.ط2 ،ج6،ص37 وما بعدها.

2-محمد المعطي بن عبد الخالق بن عبد القادربن محمد الشرقي ت1092 ه انظر العباس بن ابراهيم:الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ج5،ص314 وما بعدها.

3- المرقي ج5،ص 125.

4- عبد المرابط الترغي:الحركة العلمية والأدبية بالمغرب على عهد السلطان المولى اسماعيل(1082-1139ه).منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،تطوان،ص78.

زاويته فلا تراه إلا والكتب بين يديه وطلبة العلم دائرون به وهو في مجلس التدريس والإقراء والتذكير والتحذير والوعظ.وأصبحت الزاوية الشرقية مقصد كبار علماء المغرب ،يقيمون بها حلقات دروسهم كما لو أنهم في فاس أو مكناس[1] ولا شك أن عبد الخالق العروسي قد احتك بهذا الجو العام للزاوية واستفاد من حلق العلم التي عقدها العديد من العلماء ومن أشهر هؤلاء:

1- أبو علي بن رحال المعداني،فقيه المغرب على عهده وشارح مختصر خليل،وفد على الشيخ صالح زائرا فسمع به طلبة الناحية فاجتمع إليه خلق كثير من طلبة العلم.

2- عبد الوهاب بن الشيخ المكناسي[2]:الخطيب القاضي المدرس قصد الزاوية وأقام بها في كنف الشيخ صالح مدة من الزمن.

3- محمد الصغير الإفراني[3]:وفد على الزاوية في محنته ولا يستبعد أن يكون تعاطى التدريس أثناء مكوثه بها،خاصة وهو يتحدث في خاتمة كتابه عن دور الصالح الشرقي في تهدئة موقفه وتسكين روعه وبفضل ذالك تمكن من إتمام كتابه نزهة الحادي.

4- عبد القادر بن شقرون المكناسي[4]،الطبيب المشهور،وفد على الشيخ بعد خمول أصابه فطلب منه أن يبقى لتدريس النحو والتصريف والطب،فمكث مدة ألف فيها أشهر كتبه في الطب،الشقرونية،وشرح في تصريف

1- المرابط الترغي: الحركة العلمية والأدبية،ص87.

2- توفي بعد 1150ه،تولى القضاء من قبل السلطان اسماعيل،وقد أخذ العلم عن اليوسي والمعداني،ينظر ابن زيدان:اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس.تح،علي عمر،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،1429ه،2008م،ط1،ج5،ص 467.

3- أبو عبد الله محمد بن الحاج الصغير الإفراني،ولد حوالي 1080ه،1669/1670م،وقد أختلف في تاريخ وفاته والمرجح أنه كان بعد 1155ه. الصغير الإفراني:صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر.تح عبد المجيد خيال، مكتبة التراث الثقافي المغربي،الدار البيضاء،المغرب،1425ه،2004م،صص 13-21. وأيضا محمد بن عبد الله الموقت المراكشي:السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية،تح أحمد متفكر،المطبعة والوراقة المغربية ،مراكش،1432ه/2011م،ص77. و عبد الله المرابط الترغي: فهارس علماء المغرب،من النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة.منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،تطوان،1420ه،1999م،ط1،ص 667.

4- هو أبو محمد عبد القادر بن العربي فقيه نحوي و طبيب درس بفاس ومكناس،وحج بيت الله الحرام، وهو من مشايخ الصالح الشرقي،كان حيا سنة 1140ه،1727-1728م.أحمد بوكاري: الزاوية الشرقاوية،ج1،صص 205-208.

المكودي أسماه،سك الصريف الجامع درر البسط والتعريف.

5- محمد بن قاسم بن زاكور[1] حيث درس بالزاوية، وأحمد بن حم حيث درس النحو ،ومنهم أيضا أبو العباس أحمد بن فتوح التازي[2]،استقر بأبي الجعد رفقة الصالح إلى أن مات والفقيه محمد الورديغي السالمي[3].

أما فيما يتعلق بثقافة عبد الخالق العروسي فتبدوا واسعة من خلال مطالعة كتابه المرقي، فتأليف كتاب من هذا النوع لا يمكن أن يتأسس من فراغ ثقافي وروحي وإنما يتبلور من خلال إلمام واستيعاب عميق للفكر الصوفي وتشرب لمبادئه وقواعده،وتوظيف لمصطلحاته ،ثم استثمارا للإمكانات المنهجية التي تتيحها الكتابة الصوفية في مجال الترجمة المنقبية ،وتتبع أخبار وحكايات الأولياء والصلحاء،هذا فضلا عن معايشة التجربة الصوفية في أبعادها العملية.[4]

لقد استطاع عبد الخالق أن يقدم لنا كتاب في الأدب المناقبي ،عناصره لا تختلف عن عناصر باقي التآليف المنقبية التي وضعت في الأفراد، وبعد مطالعتنا للكتاب نجد شخصية المؤلف لها رصيد ثقافي كبير في مختلف الميادين،فهي شخصية صوفية، عرض في كتابه كثير من العقائد والأفكار الصوفية ،التي كان في الغالب يتبناه ويدافع عنها بشراسة،ومن ذالك كرامات الأولياء والفرق بين الكرامات والمعجزات والسحر،و علامات لطريق الصوفي كالمحبة والشوق والأنس والوجد ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ومناما،والسماع،ووجود النقباء والأبدال والنجباء والأقطاب، ونجده في عرض هذه المسائل يستعرض آراء كبار أرباب التصوف،كعبد القادر الجيلاني،وابن عطاء الله السكندري،وأبو العباس المرسي وابن الفارض وابن الملقن والكلاباذي،وأبو الحسن الشاذلي،وغيرهم كثير.

1- ولد بفاس وأخذ العلم بها عن أكابر العلماء كعبد القادر الفاسي ومحمد المهدي الفاسي وعبد السلام القادري،ثم قصد تطوان للإستزادة،ومدينة الجزائر حيث أجازه سعيد قدورة سنة 1094ه،توفي بفاس 1120ه/1716م. مؤرخو الشرفاء،صص 204-205. . وأيضا محمد بن جعفر الكتاني:سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس.تح عبد الكامل الكتاني وآخرون،دار الثقافة،الدار البيضاء،2004م،ج3،ص/220.

2- أحمد بن فتوح التازي كان حيا أواسط القرن الثاني عشر الهجري.رضا كحالة:معجم المؤلفين.ج13،ص 365. وعبد السلام بن سودة:دليل مؤرخ المغرب الأقصى. ، ص135.

3- المرابط الترغي: الحركة العلمية والأدبية،ص97.

4- البقالي،مرجع سابق،ص 32.

كما أبان المؤلف قدرة على عرض سيرة النبي صلى الله عليه وسلم،متقيدا في ذالك بعقائد الصوفية حول رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ،كما عرض سيرة عمر بن الخطاب على أساس انتماء الأسرة الشرقاوية في أصلها لهذا الخليفة رضي الله عنه،إضافة إلى سيرة عمر بن عبد العزيز.

كما أن تأليفه عامر بالاستشهاد بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية،وفيه إكثار من النقل عن كتب الحديث كموطأ مالك وصحيح البخاري، والقاضي عياض،ومسند أحمد ومختلف مصادر السنن.

وفوق ذالك فقد أكثر النقل عن بعض الكتب المناقبية وكتب التراجم،خاصة كتابي المرآة لأبي حامد العربي الفاسي،ودوحة الناشر لابن عسكر،وهو بذالك تمكن من حفظ الكثير من المعلومات حول تراجم متنوعة خاصة ما تعلق بالمتصوفة.

كما تظهر قدرات المؤلف الأدبية وذالك من خلال تمكنه من عرض فصول الكتاب بأسلوب لغوي وأدبي متميز،وتظهر أيضا قدراته على نظم الشعر من خلال كثير من الأشعار التي وضع غالبها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم،ومدح القاضي عياض،ومؤسس الزاوية الشرقاوية محمد الشرقي،إضافة إلى شيخه ومربيه محمد الصالح ابن المعطي.وهو بهذا العمل أول من وضع تأليفا يؤرخ لهذه الزاوية ،ويحفظ أخبارها وأخبار رجالها.

رحلاته العلمية وإنتاجه الفكري .:سافر إلى رباط الفتح وأقام هناك فأخذ عن الشيخ أحمد بن عبد الله الغربي كما شد الرحال إلى مراكش عام 1134ه. [1] كما سافر إلى فاس ليأخذ عن كبار أشيخ وعلماء العصر.[2] ويبدوا أن المؤلف لم يكن من المهتمين بالتأليف فكتاب المرقي هو الكتاب الوحيد الذي خلف عبد الخالق العروسي.

وفاته: كما ولادته، أغفلت المصادر التاريخية ذكر تاريخ وفاة الشيخ،وقد أشار المنوني إلى أنه كان حيا عام 1114ه،1702/1701م[3]،غير أن المؤلف أصيب بمرض صعب وبعد زيارة ضريح جده محمد الشرقي نظم

1- البقالي،مرجع سابق ص 27.

2- بوكاري:الزاوية الشرقاوية،ج1،ص 196.

3- المنوني:المصادر العربية،ج1،ص 214.

أبياتا في مدحه وقد شفي من ذالك المرض[1]،وزار مراكش عام 1134ه[2]،وقد وردت إشارات على أن العروسي شرع في تأليف كتبه سنة 1138ه[3]،وقد أورد صاحب الدرة الجليلة في مناقب أحمد الخليفة،محمد الخليفتي أورد للعروسي أبياتا في رثاء شيخه صالح الشرقي المتوفي سنة 1139ه،ما يعني أنه كان حيا خلال هذه السنة لتنقطع بعد ذالك أخباره.[4]

1- البقالي،مرجع سابق ص 34.

2- بوكاري:مرجع سابق،ص 197.

3- المرجع نفسه،صص 196-197.

4- اليقالي،مرجع سابق،ص 35.

المبحث الثاني: عصره الذي عاش فيه:

أ/سياسيا: عاش العروسي في المغرب الأقصى خلال العهد العلوي،وقد صادف فترة حكم السلطان إسماعيل(10884-1139ه)/(1672-1727م) ،بويع بعد وفاة أخيه السلطان رشيد

وهو يومئذ نائبا عنه في فاس،ليتوجه إلى مكناس ويتخذها عاصمة له ،وقد عانى من الثائرين عليه من الطامعين والطامحين إلى الحكم [1] ومن هؤلاء الثائرين ابْن أَخِيه أَبُو الْعَبَّاس أَحْمد بِمن مُحرز مبادرا إِلَى مراكش طَالبا لِلْأَمْرِ وداعيا إِلَى نَفسه والتفت عَلَيْهِ طوائف من عرب السوس وَغَيرهم وَغلب على تِلْكَ النواحي وَلما صَحَّ عِنْده خبر ابْن مُحرز وَذَلِكَ فِي آخر ذِي الْحجَّة من السّنة نَهَضَ إِلَى مراكش فوصل إِلَيْهَا وبرز إِلَيْهِ أَهلهَا فِيمَن انْضَمَّ إِلَيْهِم من قبائل أحوازها وقاتلوه فانتصر عَلَيْهِم وَهَزَمَهُمْ وَدخل مراكش عنْوَة سنة 1083ه/1672م.[2]

وقد تواصلت ثورة ابن محرز سواء بتدبير مباشر منه أو عن طريق أنصاره في كل من فاس وتازا،حيث تمكن السلطان من استرجاع فاس سنة 1673م بعد حصار دام 14 شهرا و في مراكش سنة 1674م،و 1677م لكن السلطان هزمهم واضطر ابن محرز للانسحاب إلى درعا ودخل اسماعيل مراكش وولى عليها ابنه المأمون.
انسحب ابن محرز إلى الصحراء فجمع أموالا وعاد ليثور مع أخيه الحران في منطقة السوس لكن ابن محرز وأخيه انهزما ووقع بينهما الصلح عام 1094ه/1682م ثم عاد ابن محرز وحاصر تارودانت ليقع أسيرا صدفة في يد جند إسماعيل دون أن يعرفوه فقتلوه سنة 1096ه/1684م، واسترجعت تارودانت،لكن الحران واصل ثورة أخيه بصحراء درعا ،لكن الضغوطات الإسماعيلية اضطرته إلى الانسحاب إلى العمق الصحرواي عام 1089ه/1778م.[3]

ومن المنتفضين على السلطان إسماعيل أخيه الأمير محمد بن إسماعيل المعروف بالعالم ،سنة 1112ه،فسيطر على تارودانت ودرعا وحاصر مراكش واستولى عليها،لكن إسماعيل أرسل ابنه زيدان فاسترجع مراكش واقتحم

1- محمد الأخضر:الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية(1075-1311ه)/(1664-1894م).دار الرشاد الحديثة،الدار البيضاء،ط1977،1م،ص72.

2- أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي الناصري:الاستقصاء لدول المغرب الأقصى.تح جعفر الناصري ومحمد الناصري ،دار الكتاب الدار البيضاء،ج7،ص 46.

3- ابراهيم حركات:المغرب عبر التاريخ.دار الرشاد الحديثة،الدار البيضاء،1415ه،1994،ط2،ج3،صص 35-38.

تارودانت وألقى القبض على أخيه محمد وأرسله إلى والد إسماعيل فطبق عليه حد الحرابة و مات متأثرا من ذالك سنة 1118ه.[1]

كما قام أحمد بن عبد الله لدلائي بثورة بتادلا فقام السلطان بالتكفل بالقضاء عليها بنفسه ،ودبر اغتيال الدلائي على يد ابن بركة من آي تيمور القبيلة الموالية للسلطان إسماعيل وقد انتهت هذه الثورة سنة 1089ه، وفي الشمال الشرقي نشأت حركة بني يزناسن،لكن السلطان أخضعهم عام 1091ه/1680م،كما أخضع برابرة الأطلس سنة 1096ه/1684م.[2]

ولعل أهم عمل قام به إلى جانب القضاء على المخالفين،استرجاع المدن التي كانت بحوزة الأجانب فقد استرجع طنجة من يد الانجليز عام 1095ه/1684م و المهدية 1091ه/1681م و العرائش 1111ه/1699م وأصيلا 1112ه/1700م،وقد حاول استرجاع سبتة لكن فشل في مسعاه.[3]

وبعد وفاة السلطان إسماعيل تنازع أمر السلطة أبناؤه الكثيرون وطوائف الجند من قبائل جيش المغافرا والودايا وعبيد البخاري[4] وقد بسط هؤلاء الجند سلطانهم على السلطانين أحمد الذهبي(1139-1141ه)(1727-1728م) والسلطان عبد الله (1141-1171ه)/(1728-1757م)،وقد تربع هذا الأخير على عرش السلطنة لأربع مرات متقطعة نتيجة عدم الاستقرار وكثرة الثورات،إلى أن خلفه ابنه السلطان محمد بن عبد الله بعد وفاته في التاريخ المذكور سابقا.[5]

السلطان محمد بن عبد الله (1171-1204ه)/(1757-1790م) تمكن هذا السلطان من أن يفرض نفسه

1- تاريخ الضعيف الرباطي،ص80.وأيضا،محمد بن محمد المشرفي:الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير متناهية.تح إدريس بوهليلة،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،المغرب،2005م،ط1،ج1،صص286-288.

2- حركات،مرجع سابق،ج3،ص 40.

3- محمد الأخضر،مرجع سابق،ص 72.4

4- المغافرا والودايا جيش خدم الدولة السعدية،وهم من عرب المعقل،اتخذهم إسماعيل لنفس المهمة أما عبيد البخاري فهو جيش شكله السلطان إسماعيل من العبيد الذين جمعهم واشتراهم من مراكش وأحوازها.ينظر الاستقصاء لدول المغرب الأقصى،ج7،ص 56.

5- المصدر نفسه،ص 74.

وأن يسهر على الأمن وينشط الحركة الاقتصادية والثقافية ويجعل من آسفي أهم ميناء مغربي ،ولم تخلو فترة حكمه من اضطرابات محدودة وبعضها تطورا لأحداث سابقة،لكنها

كانت أقل خطرا من سابقاتها علة عهد والده،ولم تكن ثورات منظمة ومن هذه الثورات،ثورة غمارة[1] بزعامة أبي الصخور محمد العربي،قضى عليها السلطان بنفسه وقتل أبو الصخور سنة 1171ه/1757م،وثورة مسفيوة[2]،كانوا من أنصار السلطان السابق زمن الفتنة المستضيئ،يغيرون على القبائل،فأغار السلطان عليهم وأعدم 150 فردا من أعيانهم بمراكش،لما قدموا إليه سنة 1175ه/1762م.كما قام السلطان بحملات على القبائل لتأكيد سلطة دولته،كالشاوية[3] وتادلا وصحراء فجيج.[4]

ومن أعمال هذا السلطان عمله على افتكاك الأسرى من يد النصارى إذ يذكر المشرفي أنه حرر سنة 1200ه،حوالي 48 ألف من الأسرى المسلمين[5]، كما اهتم بإصلاح الثغور وتعميرها بالمقاتلين،في تطاوين وسلا،وطنجة والرباط والعرائش،كما قام ببناء مدينة الصويرة سنة 1178ه.[6]

1- غمارة اسم حلف قبلي تمتد أراضيه من المتوسط شمالا وبوغاز جبل طارق،وبادس شرقا،وبسائط الغرب،وورغة جنوبا.الجمعية المغربية للتأليف ولترجمة والنشر:معلمة المغرب.مطابع سلا،1410ه/1989م،ج19،ص 6357.

2- مسفيوة:قبيلة تستقر بالسفوح الشمالية للأطلس الكبير المراكشي،وتمتد أراضيها إلى أسوار مراكش الجنوبية والشرقية،بل كانت أراضيها تمتد إلى الضفة اليسرى لوادي تنسيفت شاملة معظم بساتين حوض مراكش.معلمة المغرب،ج21،ص 7135.

3- الشاوية إقليم تابع لمملكة فاس،يقع قرب المحيط،يحد غربا بإقليم تامسنا وشمالا ببني حسن.معلمة المغرب،ج16،ص 5279.

4- حركات،المرجع السابق،ج3،صص 87-88.

5- المشرفي:الحلل البهية،ج2،ص 27.

6- نفس المصدر،ج2،صص 28-29.

ب/فكريا : شهدت الدولة العلوية حالات من الهدوء و الاستقرار في عهد السلطانين إسماعيل ومحمد بن عبد الله،صحبه دفعة قوية للحركة الفكرية على يد السلطانين السابقين،فمما يؤثر عن السلطان إسماعيل أنه جدد للعلوم عهدا فكانت أسواق العلوم في

عهده عامرة ونجوم أفلاكه نيرة زاهرة.[1]كما كان يحب الاجتماع بالعلماء وكبار رجال دولته،فقد دعى علماء فاس عام 1100ه/1688م لحضور حفل إتمام تفسير القرآن بإشراف أبي عبد الله المجاصي(ت1103ه/1691م)في بيت السلطان المذكور بالقصر،وقد شوهد السلطان بعد نهاية الدرس يخدم ضيوفه بنفسه ويوزع عليهم عطاياه.[2]و من منشآت السلطان بناء المسجد الأعظم بمكناسة والمسجد الأخضر ومسجد آسفي ومسجد درب الزهراء بالرباط وغيرها .[3]

أما السلطان محمد بن عبد الله فكان مجالس للعلماء بفاس وغيرها عارفا بعلم الحديث،يعمل على جلب كتب المشرق،كمسند أحمد وأبي حنيفة مهتما بسرد كتب التاريخ والأخبار،حافظا للكثير من أشعار العرب وكلامهم من خلال كتاب الأغاني للأصفهاني[4]،له مجموعة من التآليف ساعده العلماء في وضعها، كالفتوحات الإلهية،والجامع الصحيح الأسانيد المستخرج من عدة مسانيد،ومواهب المنان بما يتأكد تعليمه للصبيان،ورسالة في منهج التعليم،ورسالة في اختياراته المذهبية إضافة إلى كتب أسماه ترويح القلوب.[5]وكان السلطان يحث الطلبة على الاهتمام بالكتب المبسوطة في الفقه دون المختصرات الفقهية ،فنهى عن مختصر خليل وابن الحاجب وحث على دراسة رسالة ابن أبي زيد والتهذيب للبرادعي[6]،وقد أعلن حملة على البدع ودعى إلى ضرورة التمسك بالسنة،

1- المشرفي: الحلل البهية،ج 1،ص 329.

2- أبي القاسم الزياني: الخبر عن أول من دول الأشراف العلويين من أولاد مولانا الشريف بن علي،منقول من كتابه الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب، المطبعة الجمهورية باريس،1303ه،1886م،ص329. وأيضا حمد الأخضر: الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية(1075-1311ه)/(1664-1894م).دار الرشاد الحديثة،الدار البيضاء،1977م،ط1،ص 73. وأيضا

3- نفس المرجع ص 74.

4- المشرفي،مصدر سابق،ج2،ص20.

5- محمد الأخضر،مرجع سابق،ص 271.

6- المشرفي،مصدر سابق ج 2،ص 21.

وحارب بعض الفرق الضالة كالعكاكزة[1]،وكان يحث الناس على الأخذ بظاهر النصوص من الكتاب والسنة فيما يتعلق بالعقائد وينهى عن علم الكلام،فهم إنما يتعاطاه الذين يجهلون أنهم يجهلون ،وينهى عن الأصول لأنه أمر قد فرغ منه،ودواوين الفقه دونت ولم يبقى اجتهاد ولم

يكن يفرق بين المذاهب فهو مالكي الفقه حنبلي العقيدة،إلا أنه ينبذ الأشعرية بسبب المجادلات العقدية التي يشتمل عليها هذا المذهب،والتي يعتبرها بدعة مستقبحة في الدين،وقد أمر فقهاء عصره بضرورة الالتزام بهذه التعليمات.[2]

كما ظهرت خلال هذه الفترة مراكز علمية سواء علة مستوى الحواضر المغربية أو على مستوى البوادي والقرى،ولعل من أشهر هذه الحواضر،مدينة فاس التي واصلت أداء دورها الحضاري خاصة بعد انقراض الزاوية الدلائية[3] لما هدم السلطان رشيد العلوي هذه الزاوية بعد تجربتها السياسية الفاشلة،ونقل علماءها إلى فاس فاستمر عطاؤهم العلمي وتعددت حلقهم العلمية واشتهرت مجالسهم العلمية خاصة في اللغة والأدب كحلقة محمد بن أحمد المسناوي(ت1136ه)ومحمد بن أحمد الشاذلي(ت1137ه) والحسن بن مسعود اليوسي(ت1102ه).[4]،وقد تخرج من هذه المدرسة العديد من الأسماء الكبيرة في فنها ،كابن زاكور وابن الطيب العلمي[5] وابن الطيب الشركي[6].إضافة إلى ظهور الكراسي العلمية التي أشرفت عليها الدولة وحبست عليها

1- العكاكزة أتباع أحمد بن يوسف الملياني(ت 931ه) وعرفوا بالعكاكزة لاتخاذهم العكاز،كما عرفوا باليوسفية والأحمدية و الملاينة نسبة إلى مليانة،ظهرت خلال الربع الأول من القرن 10ه،16م،وحاربهم السلطان اسماعيل بالقتل والنفي والتشريد سنة 1102ه/1691م،واعتبروا من الفرق المبتدعة الضالة لغلوهم في الملياني إلى درجة نسبته إلى النبوة والألوهية.عبد الله نجمي:التصوف والبدعة بالمغرب،طائفة العكاكزة ق16-17م.مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،1421ه/2000،ط1،ص 302 وما بعدها.

2- محمد الأخضر،مرجع سابق،صص 273-274.

3- الزاوية الدلائية بخنيفرة تأسست حوالي 974ه/1566م على يد أبي بكر بن محمد الدلائي (ت 1021ه/1612م)، أعلن شيخها محمد الحاج ملكا على المغرب1061ه/1651م،لكنه انهزم أمام السلطان رشيد العلوي ببطن الرمان قرب الزاوية الدلائية،1079ه/1668م فنفي إلى تلمسان مع أهله وتوفي بها 1082ه/1671م. ينظر محمد الأخضر،نفس المرجع،ص71. ومحمد حجي،الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي.مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،1403ه،1988م،ط2،صص 252-254.

4- المرابط الترغي:الحركة العلمية والأدبية ، ص18

5- توفي بمنصر سنة 1134ه أو 1135ه،ينظر نشر المثاني،ج3،صص 263-264.

6- محمد بن الطيب الشركي،توفي 1170ه بالمدينة المنورة،الترغي:فهارس علماء المغرب،ص672.

الأوقاف،وكلف العلماء بالإشراف عليها،و قد عممت هذه الكراسي لتشمل مساجد القرى والبوادي.[1]

وقد لعبت أسرة أبي المحاسن يوسف الفاسي[2] دورا كبيرا في بعث الحركة العلمية بفاس ،خاصة مع دورهم في استتباب الأمر للسلطان إسماعيل، وقد تولى أحد أفراد هذه الأسرة كتابة وثيقة بيعة السلطان محمد بن عبد الله،وهو أبو مدين بن محمد الفاسي(ت1182ه/1768م) ،وقد أسست لهذه الأسرة عدة فروع للزاوية الأم وأهم فروعها الزاوية التي أسسها عبد الرحمن الفاسي بحومة القلقليين ،وقد وسعها وعمرها عبد القادر الفاسي[3]،كما دونت أخبار كثيرة في تاريخها وتاريخ رجالها مثل كتاب ممتع الأسماع لمحمد المهدي الفاسي،وكتاب ابتهاج القلوب بأخبار الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب،لعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (ت 1096ه.)[4]

كما نشطت الحركة الفكرية في حاضرة العلويين مكناس بإشراف العلماء من أبناء هذه الحاضرة كمحمد بن الحسن المجاصي (ت1103ه)،ومحمد بن أبي مدين الديسي(ت 1120ه) وعبد السلام البيجري(ت1132ه) وبعض شيوخ الدلاء الوافدين على هذه المدينة كأحمد بن يعقوب الولائي(ت 1128ه) وسعيد العميري(ت 1131ه)[5]

كما لعبت زوايا القرى والبوادي دورا مميزا في بعث الحركة العلمية و كنماذج عن هذه الزوايا الزاوية الناصرية بتمكروت[6] والتي أسسها محمد بن ناصر (ت1085ه/1674م)،وقد أسست هذه الزاوية سنة 1040ه،و أصبحت هذه الزاوية مقصد الطلبة من مختلف مناطق المغرب،ودرس بها بعض المصنفات التي انقطع تدريسها

1- المرابط الترغي،الحياة العلمية والأدبية،صص 162-163.

2- توفي سنة 1013ه،/1604م، العربي الفاسي:المرآة،ص05.

3- نفس المصدر.صص 26-29

4- بروفنصال،مؤرخو الشرفاء،ص 167 وما بعدها.

5- المرابط الترغي،الحياة العلمية والأدبية،ص 205

6- تمكروت منطقة بدرعا على الضفة اليسرى من واديها،معلمة المغرب،ج7،ص2188.

بالمغرب ككتاب سيبويه،ومن أشهر من نزل بهذه الزاوية اليوسي[1] وأبو العباس التستاوتي[2] وإبراهيم الهشتوكي[3]ومحمد بن سعيد المرغيثي[4]،ومع خلفاء بن ناصر تحولت الزاوية إلى مركز إشعاع علمي في درعا والجنوب المغربي عموما،وقد كان لهذه الزاوية مكتبة ضمت عشرات المصنفات تم تحصيلها عن طريق النسخ والشراء والإهداء خاصة في اللغة والنحو

والأدب كالقاموس المحيط والمرادي على التسهيل والعقد الفريد وأمالي القالي ،كما أشرفت على الرحلات الحجازية فكانت فرصة للالتقاء بالعلماء في المشرق ونقل رواياتهم والحصول على إجازاتهم،والإطلاع على تراث المشرق ونقل ما أمكن منه إلى المغرب.[5]

ومن الزوايا التي لعبت دورا تعليميا زاوية آيت عياش أو الزاوية العياشية التي أسسها محمد بن أبي بكر العياشي (ت1067ه)،وقد تأسست سنة 1044ه، ثم خلفه قريبه ابن عبد الجبار (ت1082ه)،ومما يلاحظ على هذه الزاوية أن الرابطة الجامعة بها كانت علمية بحتة،فعلى عكس باقي الزوايا لم يكن لهذه الزاوية زعيم روحي تنتسب له،با انتسبوا إلى مشايخ عدة كابن ناصر وغيره ،وقد نشطت الحركة العلمية في هذه الزاوية في عهد السلطان إسماعيل فقصدها الطلبة من تافيلالت وجبال الأطلس ،وأصبح بها عدد وفير من العلماء أقاموا مجالسهم العلمية بالزاوية وأصبحوا مقصد كثير من أصحاب الرواية والإسناد من أهل فاس وغيرها .[6]

ومن الزوايا أيضا الزاوية الشرقاوية بأبي الجعد التي أسسها محمد بن أبي القاسم الزعري،ت1010ه،وغن كانت الزاوية قد خف وزنها بعد وفاة شيخها فقد تمكن الشيخ محمد المعطي من بعثها من جديد وبلغت الذروة في عهد محمد صالح ابن محمد المعطي ت1139ه،حيث أصبحت قبلة للعلماء وطلبة العلم كما فصلناه سابقا،وقد

1- عالم المغرب وأديبه،توفي 1102ه.المرابط الترغي:فهارس علماء المغرب،ص656.

2- أحمد بن عبد القادر التستاوتي،ت 1127ه.القادري،نشر المثاني،ج3ص 227.

3- الهشتوكي ابراهيم بن سليمان توفي 1159ه، محمد بن احمد الحضيكي:طبقات الحضيكي.تح أحمد بومزكو،مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء،المغرب،1427ه،2006م،ج1،ص 145.

4- المحدث الفقيه،توفي 1089ه.نشر المثاني،ج2،ص 245.طبقات الحضيكي،ج1،ص 317.

5- المرابط الترغي:الحياة العلمية والأدبية،ص 47.

6- نفس المرجع،صص 108-110.

اتهمت هذه الزاوية في عهد السلطان محمد الثالث بالفساد وإيواء الظلمة لذا قام بهدمها ونقل شيخها العربي بن المعطي إلى فاس ثم مراكش سنة 1199ه/1784م، ثم سمح له بالرجوع إلى مسقط رأسه[1]

الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية: شهد المغرب في هذه الفترة حروبا طاحنة منذ نشأة الدولة العلوية سواء ضد خصومها السعديين أو ضد المنتفضين على دولتها كأمثال الدلائيين،وغيرهم من الطامحين في السلطة،وقد تفاقم هذا الصراع خلال الفترة البينية التي فصلت بين حكم السلطان إسماعيل والسلطان محمد بن عبد الله.

ورغم ذالك فقد تمكن هذان السلطانان من كبح جماح معارضيهما وتمتعت الدولة في عهدها بنوع من الهدوء والاستقرار مما انعكس ايجابيا على الحركة الاقتصادية،خاصة باسترجاع العديد من المدن الساحلية التي كانت بيد الدول المحتلة كبريطانيا واسبانيا والبرتغال،فأصبحت البلاد في أمن وعافية يخرج الذمي والمرأة ولا يجدان من يسألهما من أين وإلى أين،والرخاء المفرط،لا قيمة للزرع ولا للإدام ولا للماشية،ولم يبقى بالمغرب سارق ولا قاطع طريق.[2] والعمال تجبي الأموال والرعية تدفع بلا كلفة،وقد جدد السلطان إسماعيل عاصمته مكناسة،فلا تسأل عما شيده فيها من الآثار الهائلة والمصانع الضخمة مما يكل لسان البليغ عن وصفه [3]

أما محمد بن عبد الله فقد حصن الثغور والعواصم واستكثر من إنشاء السفن الحربية ،وبنى مدينة الصويرة فأبطل حصن أكادير ومرساها،الذي كان الثوار يسرحون منه شحن السلع اقتياتا على الدولة.[4]وقد وظف المكوس على الأبواب والسلع والمنتجات الفلاحية ،واستبدل الفائض من الإنتاج بالأسلحة والمواد الحربية،و تمكن الفلاحون ببيع منتجاتهم أن يدفعوا ضرائبهم وتكاثرت المراكز التجارية بأكادير والصويرة وآسفي والرباط والعرائش.[5]

1- حركات المغرب عبر التاريخ،ج3،ص 566.

2- الزياني:الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب،ص 28.

3- عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي.دون معلومات حول الطبع،ج1،ص270.

4- نفس المصدر،ص 271.

5- حركات، مرجع سابق،ص102.

وعقد المغرب معاهدات تجارية مع الدول الأوروبية كالدانمارك وأنجلترا والسويد،فانهالت منتجات أوروبا على المغرب كالسكر والشاي والأسلحة،وصدر إليهم المغرب الجلود والصوف والزيت واللوز والشمع والقمح.[1]

ورغم الجوائح التي كانت تضرب المغرب في فترات عدة فإن الدولة دخلت للتخفيف من حدتها ،فكان الجيش يتلقى رواتبه بصورة عادية،ورتب توزيع الخبز في المدن على المحتاجين،وتقاضى سكان البوادي سلفا لم يطالبوا بردها حتى بعد أن جاءهم الخصب ،وأسقطت عنهم المكوس المترتبة عن تلك السنوات،كما تحصل التجار على قروض لاستيراد بضائع أوروبا. [2]

1- ابراهيم حركات،مرجع سابق،ص 103.

2- المرجع نفسه،ص 102.

أولا- التعريف بكتاب المرقي في بعض مناقب القطب محمد الشرقي،وأهميته:

أ- التعريف بكتاب المرقي:

1-عنوان الكتاب ونسبته إلى صاحبه: أورد العروسي عنوان كتابه حيث يقول:وسميته المرقي في بعض مناقب القطب سيدي محمد الشرقي.[1] أما نسبة الكتاب إليه فقد قال في آخر كتابه:انتهى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه يقول عبد ربه تعالى وأسير ذنبه عبد الخالق بن محمد بن أحمد العروسي بن الشرقي بن عبد القادر بن محمد الشرقي .[2]

2- مضمون الكتاب:يعتبر كتاب المرقي من كتب المناقب التي ألف في ذكر سيرة شخصية واحدة،وهي شخصية الشيخ محمد الشرقي،وقد بدأ عبد الخالق العروسي في تأليف كتابه سنة 1138ه .[3]ولا نعلم تاريخ الانتهاء منه.وقد قسم العروسي كتابه إلى أبواب ويندرج تحت كل باب من الأبواب عدد من الفصول كما يلي:

الباب الأول :في فضل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتحته خمسة فصول:

الفصل الأول في سبقية وجوده والفصل الثاني متى ثبتت له النبوة،الفصل الثالث في فضل النبي صلى الله عليه وسلم،الفصل الرابع في في فضل أمته أما الفصل الخامس فقد خصصه للكلام عن كون طائفة من هذه الأمة أقطابا وأبدالا ونجباء.

الباب الثاني: التعريف بمحمد الشرقي الموضوع فيه الكتاب وقد تضمن بدوره مجموعة من الفصول:

الفصل الأول خصصه للتعريف بوالدي الشيخ والفصل الثاني في ذكر من أخبر بوجوده من الأشياخ،أما الفصل الرابع فللتعريف بالأشياخ الذين أخبروا بوجوده،والفصل الخامس في ذكر نسب الشيخ محمد الشرقي .

الباب الثالث : في ذكر طريقة الشيخ وسلسلته:وقد ضمنه مجموعة من الفصول لم يضع لها عناوين كما فعل

1- العروسي:المرقي في بعض مناقب القطب محمد الشرقي.ورقة 2.

2- المصدر نفسه: ورقة 277-278.

3- أحمد بوكاري:الزاوية الشرقاوية،صص 196-197.

بالبابين السابقين،لكنه تكلم فيه عموما عن طريقة الشيخ الجزولية التباعية وكيفية اتصالها سندا بأبي الحسن الشاذلي.

الباب الخامس:خصصه للحديث عن كرامات الشيخ الشرقي،لم يعنون فصول هذا الباب،وقد جاءت هذه الفصول مختصرة،أورد فيها كرامات محمد الشرقي وحاول الاستدلال على إمكانية وقوعها بعرض مثيلاتها من المعجزات الحاصلة للنبي صلى الله عليه وسلم،أو الكرامات التي وقعت للصحابة والتابعين أو غيرهم من الصلحاء.

الباب الخامس: ذكر فيه صلحاء أولاد الشيخ وتلامذته ،لم يعنون فصوله ،وترجم فيه للمذكورين إضافة إلى بعض أحفاد،وأصحاب الشيخ الشرقي.[1]

3- أسباب تأليف الكتاب: يخبرنا عبد الخالق العروسي في كتابه أنه وضع قصيدة في مدح شيخه محمد الصالح ابن المعطي،فلما طالعها حثه على أن يكتب في جدهم الأول محمد الشرقي،فلما رأى منه الإلحاح شرع في تأليفه ويذكر العروسي أن شيخه الصالح ساعده في انجاز كتابه.ويصرح العروسي أيضا أن انتسابه للعائلة الشرقاوية وافتخاره بذالك جعله يدون مناقب وأخبار محمد الشرقي[2]،ولا يمكن أن نستبعد المنافسة التي كانت بين الزوايا والطرق ورغبة كل من أتباعها في تخليد ذكراها ،وبيان علو شأنها .

4- أهمية كتاب المرقي: يعتبر كتاب المرقي أول كتاب وضع من أجل تخليد وحفظ تراث الزاوية الشرقاوية بمدينة أبي الجعد بتادلا ،عن طريق الترجمة لمؤسسها وأبنائه وأحفاده ،والتطرق إلى الجو العلمي الذي كان يسود الزاوية ،بذكر أهم العلماء الذين تعاطوا التدريس بها أو أولئك الذين درسوا وتخرجوا منها والترجمة لهم .

وتبرز أهمية الكتاب أيضا في اهتمامه بالتصوف،خاصة الطريقة الشاذلية التي انتشرت بقوة عبر ربوع المغرب الأقصى،وذكر أسانيدها والترجمة لأعلامها وتبيان كيفية ارتباط محمد الشرقي بالسند الجزولي التباعي إلى أبي الحسن الشاذلي. ومن خلال ذالك رسم صورة للتصوف ومدى تغلغله داخل المجتمع المغربي وهو جانب اجتماعي بالغ الأهمية.

كما جدد كتاب المرقي ذكر عقائد التصوف كالزهد والمحبة والمخالطة والشوق ،ووجود الأقطاب والأبدال

1- العروسي،مصدر سابق ورقة 2-3.

2- نفس المصدر ورقة 278.

والأوتاد،وكرامات الأولياء،والمحبة والفناء ،وقد دافع العروسي عن هذه العقائد محاولا توظيف النصوص الشرعية من قرآن وسنة للاستدلال على عقائده والدفاع عنها ،ولا يخلوا الكتاب من قضايا فقهية تناولها المؤلف وأدلى بدلوه فيها.

وقد أورد العروسي في كتابه كثيرا من أعلام التصوف المشارقة والمغاربة كعبد القادر الجيلاني وأبي حامد الغزالي وابن عطاء الله السكندري وابن الملقن وابن الفارض وأبي الحسن الشاذلي ومحمد بن سليمان الجزولي،وعبد العزيز التباع وغيرهم كثير ولم يخلوا الكتاب من إشارات سياسية قليلة ،منها مراسلات بين محمد الشرقي والسلطات السعدية،وبعض الثائرين كثورة الدلائيين أو ثورة ابن أبي محلي .

5- مصادره : ذكر العروسي أحيانا مصادره التي نقل منها وأحجم أحيانا أخرى،وككل كتب المناقب فقد اعتمد على الروايات الشفوية عمن عاصروه،يسميهم أحيانا ،مثل قوله حدثني سيدي وهو يشير إلى شيخه محمد صالح بن محمد المعطي،وقوله حدثنا عمنا الفاضل عبد السلام بن عبد الخالق، ،وأحيانا لا يسميهم كقوله حدثنا بعض الطلبة أو حدثنا بعض الفضلاء .ومن المصادر التي نقل عنها عبد الخالق ما كتبه والده بخطه ونقل أيضا عن كثير من كتب التراجم أهمها كتاب دوحة الناشر لابن عسكر الشفشاوني ومرآة المحاسن لأبي حامد العربي الفاسي،وممتع الأسماع لمحمد المهدي الفاسي،ومحاضرات اليوسي.

كما نقل العروسي عن كتب أخرى ككتب الحديث والسنن كصحيح البخاري ومسلم ومسند أحمد ،ومسند أبي داود وغيرها، ونقل أيضا عن كتاب الشفا للقاضي عياض و مؤلفات السيوطي في التصوف ، وكتاب كفاية المعتقد لليافعي ، والحكم العطائية وكتاب لطائف المنن لابن عطاء الله السكندري،ونقل أيضا عن بردة البوصيري .

ب/منهجية تحقيقه

1- وصف النسخ: اعتمدنا في تحقيق الكتاب على نسختين النسخة الأولى موجودة بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم 1911 د،وقد نسخ هذه المخطوطة الفقيه المزغراني،و لم نستطع الوقوف على ترجمته وبالتالي نجهل تاريخ نسخها. جاءت هذه النسخة في 379 لوحة مقاسها 19,5 -28,3 سم ،في كل لوحة 32 سطر،كتبت النسخة بخط مغربي واضح بالحبر الأسود تتخلله عناوين وبعض العبارات باللونين الأزرق والأحمر.

ابتدأت هذه النسخة بقول المؤلف :الحمد لله الذي شرح بالعلم صدور أوليائه المتقين. واختتمها بقوله:انتهى بحمد الله وحسن عونه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

النسخة الثانية توجد بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم 2729 د،ليس عليها اسم الناسخ ولا تاريخه،وقد احتوت هذه النسخة على 508 من اللوحات مقاسها 20,0 -26,0 سم في كل

لوحة 20 سطر،مكتوبة بخط مغربي واضح بالحبر الأسود تتخلله عبارات مكتوبة بالأحمر والأخضر والأزرق. ابتدأها بالبسملة ثم قوله: الحمد لله الذي شرح بالعلم صدور أوليائه المتقين،واختتمها بقوله انتهى بحمد الله وحسن عونه وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

وتتميز هذه النسخة باستدراكات كتبت على الهامش مما يدل على أن ناسخا راجعها وأثبت ما سقط أثناء نسخها في الهامش .

2- منهجية التحقيق:

أ- قمنا بترميز النسخة رقم 1911 د،بالحرف أ وأعتبرتها نسخة أم ، أما النسخة الثانية فقد أشرنا إليها بالحرف ب واعتبرناها نسخة ثانوية.

إعادة كتب النص المخطوط .

ب- قمت بالمقارنة بين النسختين وما كان ساقطا من النسخة أ أتممته من النسخة ب ووضعت ذالك بين معقوفين وأشرت إلى ذالك في الهامش. وأشرت إلى العبارات الساقطة من النسخة ب ،كما أشرت إلى الاختلافات الواردة في العبارات بعد المقارنة بين النسختين .

ت- قمت بعزو الآيات القرآنية إلى مواضعها في المصحف مع ترقيمها .

ث- تخريج الأحاديث النبوية الواردة في الكتاب من كتب الأحاديث .

ج- الترجمة للأعلام الواردة في الكتاب والتي وجدنا أسماؤهم في كتب التراجم مع الإحالة على مصادر التراجم .

ح- التعريف بالأماكن والبلدان الواردة في النص.

خ- التعليق على بعض القضايا العلمية الواردة في الكتاب .

د- وضع فهارس عامة للأعلام ، وفهرس ،والأماكن والبلدان، وفهرس للموضوعات .

الحمدلله الذي شرح بالعلم صدور أوليائه المتقين،وفتح بنور معرفته قلوب عباده العارفين ونور ظواهرهم وبواطنهم بما منحهم من سره المستودع عند أولئك المقربين وخصهم بما أطلعهم عليه من الحق المبين وشرفهم بما أشرق على قلوبهم من أنوار اليقين وغيبهم.بما أفاض عليهم من الشهود وأطلعهم عليه من مكنون الوجود فشغلت خواطرهم معرفته. وتخللت سرائرهم محبته وألهت عقولهم عظمته وملأت صدورهم هيبته وأوحشهم من الغير بالأنس به وجذبهمإلى حضرة قربه فهم بمشاهدة جلاله وجماله فائزون وبالإستغراق في عظمته وكبريائه ظافرون.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خير خلق الله وافضله وسيد ولد ادم أجمعين واكمله وأحضاهم وأرضاهم لديه وأرفعهم وأعزهم عليه، سر هذا الوجود،ومراد الإله المعبود عنصر هذا العالم. واصل خليقة العزيز العالم، عين الاعيان، ونقطة دائرة الأكوان، نور العيون، ومعدن السر المصون، ينبوع الفضائل وسيد الأواخر والأوائل مصباح الأنوار والأفضال وممد الأنبياء الأرسال والأقطاب والأبدال والأوتاد[1] وجميع الخلائق وسائر العباد، من خصه الله بواضح البينات وبالآيات الباهرات وأنزل عليه الذكر الحكيم لينذر الحاضر والقريب والبعيد الذي لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، محفوظ على مر الدهور من التبديل والآفات، وجعل معجزاته[2].

صلى الله عليه وسلم على مر الأعصار لا تنصرم[3]، واياته لاتنفصم[4] بما يظهر على يد أوليائه من الكرامات[5]وبما يخترع بقدراته الأزلية وينظاف إليهم من الآيات فهي في الحقيقة من الايات الدالة على صدقه ومن علامات نبوته وعلى اله النجباء[6]الأكابر الفضلاء الأحاضر[7]، وهداة الأنام، ومصابيح الظلام وعترة سيد الأنبياء عليه السلام وعلى صحابته الاجلة الكبراءالأهلة الأماجد الأماثل السادات الأفاضل الذين بذلوا نفوسهم في

[1]- الأقطاب: القطب عند الصوفية هو القائم بحق الكون والمكون وهو واحد وعلى هذا يتعدد يتعدد في الزمان الواحد عدة أقطاب في الأحوال والمقامات والعلومأما الأوتاد: فهم الراسخون في معرفة الله وهم أربعة كأنهم أوتاد لأركان الكون الأربعة والأبدال الذين استبدلوا المساوئ بالمحاسن واستبدلوا من صفاتهم صفات محبوبهم، والنجباء: السابقون إلى الله لنجابتهم وهم أهل الجد والقريحة من المريدين. انظر،عبد الله أحمد بن عجيبة :معراج التشوف إلى حقائق التصوف.ت عبد المجيد خيالي،مركز التراث الثقافي المغربي ، الدار البيضاء المغرب، دت

[2]المعجزة:هي الفعل الخارق للعادة مقرون بالتحدي والسليم من المعارضة.انظر ابن تيمية الحراني : النبوات .تحقيق عبد العزيز الطويان، دار أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية،ط1،2000 .ج7،ص14.

[3]- في ب لا تنفصم

[4]-وآياته لا تنفصم ساقطة من ب

[5]- الكرامات: جمع كرامة وهي خرق الله العادة لوليه لحكمة ومصلحة تعود عليه أو على غيره ولا فعل للولي فيها ولا إرادة انظر شمس الدين ابن محمد الأفغاني :جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية دار الصميعي،ط1، 1996،ج2،ص985.

[6]- النجباء :السابقون إلى الله لنجابتهم وهم أهل الجد والقريحة من المريدين.ابن عجيبة، المصدر السابق ص:80.

[7]- في ب الأخاير

نصرته واجتهدوا في إظهار دعوته وجادوا بأنفسهم عن نفسه وأوضحوا[1] دينه، وأصلوا قواعد أسسه، وذبوا عن سنته حتى بان واضح أعلام ملته وتمهد الدين لطالبه، وتبين الرشد من الغي لقاصده فجزاهم الله عنا خيرا وعن سائر المسلمين بضعف أجورهم بذلك وأسكنهم في أعلى عليين أجمعين، صلاة دائمة بدوام ملك الله الواحد القهار إلى يوم يقوم الناس للعزيز الجبار.أما بعد فهذا ما يسر الله من التعريف بالولي الكامل القطب الواصل غوث[2]زمانه نخبة أوانه، الطود الشامخ والركنالراسخ الوارث الجامع والبدر الساطع المقدم على أولياء وقته، ومن إليه يرجعون في دفع مشكلاته ويلجؤون إليه في حل نوافيه وكشف مهماته قطب دائرتها الذي عليه تدور، وعذبها الفياض الذي لا يغور أبو عبد الله المسقي[3] سيدي محمدالشهير بالشرقي ابن الشيخ سيدي ابي القاسم ابن الشيخ سيدي محمد الملقب بالزعري نفعنا الله ببركاته وواظب علينا سحائب رحماته،وذكر طريقته وأشياخه[4]وشيئ قليل من كرائمه، وبعض البعض من أتباعه وربما ذكرت شيئا أجنبيا على أنه ليس بأجنبي عند شيء من أخبار هذا الولي ولا يخفى على ذي بال وأديب عارف ذي كمال ومن له إطلاع على كتب الأئمة وخبرة بمصنفات الأعلام الأجلة،وأن الشيئ يذكر بالشيئ أحيانا وأن العلم كالماء نباع،وبعضه لبعض تباع لما في ذلك من تتميم المكتوب واتباع ذوي الألباب،وأيضا فإن النفس ترتاح للأحماض وتشفى بروحه من الأمضاض،إذاالنفس ملول تحتاج للإسترواح كإحتياط الدواء المعلول،فيحصل له بذلك إرتياح وإنبساط ويتجرد لها علم ونشاط :

لا يصلح النفس إذا كانت مدبرة   إلا التنقل من حال إلى حال

وهذا معلوم في سائر الأعصار،وشهير في كتب علماء الأمصار،فلايعد ذلك من الفضول ولا من التمشدق والعدول إلى غير المقصود، إذ هو معلوم ومعهود،وسميته:**المرقي في بعض مناقب القطب سيدي محمد الشرقي** والله المسؤول في تبليغ المأمول، وأن ينفع به المستمع والكاتب والناظر والكاسب بجاه أشرف خلقه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبوبته بخمسة أبواب، **الباب الأول** في فضل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وفيه خمسة فصول:

---

[1]- كلمة مطموسة في أ والتصحيح من ب

[2]- الغوث:هو الذي يصل منه المدد الروحاني إلى دوائر الأولياء وله الإمامة والإرث والخلافة الباطنة وهو روح الكون الذي عليه مداره وسمي بالغوث لإغاثته العوالم بمادته ورتبته الخاصة. ابن عجيبة، المرجع السابق ص:80.

[3]- في ب وأوكف علينا

[4]- في ب ذكرت طريقته من أشياخه

الفصل الأول: في سبقية وجوده.و **الثاني** متشبتت له النبوة و**الثالث**في فضله و **الرابع** في فضل أمته و**الخامس** كون طائفة منها أقطابا وأبدالا ونجباء

الباب الثاني:في التعريف بالشيخ سيدي محمد الشرقي وفيه أربعة فصول،

الفصل الأول في التعريف بوالديه و**الفصل الثاني**، فيمن اخبر بوجوده من الأشياخ، و**الفصل الثالث** في التعريف من أخبر به من الأشياخ و**الرابع** في نسبه .

الباب الثالث، في طريقة الشيخ وسلسلته وأشياخه وفيه **فصول** .

الباب الرابع في كرائمه وفيه **فصول**.

الباب الخامس في ذكر صلحاء أولاده وبعض تلاميذته وفيه **فصول**.

نختم الكلام[1]إن شاء الله بشئ من كلامه،والله الموفق سبحانه والمكمل بمنه

أعلم أنه أعتقد وأعترف أني ما أتيت إلا بشئ قليل من أخبار هذا الولي صاحب الكتب[2] ومن كرائمه لأن استيعاب ذلك واستيفائه إنما يكون من المعاين المعاصر الملازم الحاضر،وإنما اعتمدت على شيء من ذلك وجدناه بخط الثقاة مكتوبا،أو ذكره أحد من العلماء الذين ذكروا الشيخ ممن وقفنا عليه، وعثرنا على تأليفه، أو شيء نقلته جماعة عن مثلهم وتوارثته الأصاغر عن الأكابر.أعلم أني مهما أطلقت الشيخ،فالمرادبه،سيدي محمد الشرقي،ومهما ذكرت سيدي هكذا من غير تقييد فالمراد به شيخنا الإمام وقدوتنا الهمام، العالم العلامة الحبر الفهامة من له الفضائل الذاتية والمزايا الحسية والمعنوية الولي الصالح القدوة الناصح سيدي ابو محمد المدعوا بالصالح[3]ابن الولي الأكبر والشيخ الاشهرسيدي محمدالملقب بالمعطي[4] نفعني الله بهما ورزقني رضاهما امين يارب

[1]- في ب نختم الكتاب

[2]- في ب صاحب الكتاب.

[3]- أبو عبد الله المدعوا بالصالح ت 1139 هـ-1727 م . من أحفاد الشيخ الشرقي ترجم له العبدوني في كتابه :يتيمة العقود الوسطى في مواقع متعددة،مخطوط المكتبة العامة بالرباط،رقم 305 ك،وترجم له الحسن المعداني في كتابه الروض اليانع الفائح في مناقب أبي محمد صالح ورقة 20 وما بعدها،مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط رقم 2369ك.

وانظر ترجمته في الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام لعباس بن ابراهيم،المطبعة الملكيةبالرباط1999.ط2،ج6،ص37 وما بعدها.

[4]- محمد المعطي بن عبد الخالق بن عبد القادر بن محمد الشرقي ت1092 هـ انظرالمصدر نفسه ج5،ص314 وما بعدها.

العالمين . بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأن يرزقني الإعانة على ما قصدت وإكمال ما أردت فإنه حاضر قريب سميع مجيب

الباب الأول :

في فضل من هو أهل للفضل وأصل جميع الخيرات وعنصرها الأكمل، قطب دائرتها. وسبب موجوداتها بحر الأنوار وكنز أهلها الأخيار وسيد ولد ادم الكبار،الجامع لأنواع المزايا والفخار سيد العرب والعجم، المبعوث[1]لسائر الأمم المرسل إلى الخلق بالهدى ودين الحق المؤيد بعجائب القرآن المبعوث إلى الأحمر والأسود في أشرف أوان وأسعد قران المخصوص بالفضل، الموالي جوامع الكلم والكلمة والفضل من ختم الله بنبوته الإيحا وأنبعثته من أعرب البطحاء[2] بالحنفيه السمحاء الناسخه لغيرها من الشرائع المختلفه الأنحاء سيد ولد أدم غير مزاحم في الفضل ولا مصادم المخصوص بأن أمته أفضل الأمم (وأنه لا تزال فيها هدات قائمين بشرائعه وما ذلك إلا من فضل بركته خير الأنام[3]). سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. وأعلم أن مناسبة ذكر هذا الباب هنا لأمور،أحدها التبرك بفضله و شرفه، وذكره صلى الله عليه وسلم ورجاء أن أنال نصيبا من عطفاته وأن أفوز برضاه ورحماته فعسى يصلني فيض وابل ودقه وأن انخرط في سلك الفائزين في حبه، وان لم أكن من اهل ذلك الحظ الغزير ولا مثلي يستحق العطاء الكثير على أن لي طمعا بل وعزما .في بلوغ الفضل المبذول للقاصي مثلي بعيد السول اذ قصدت جاه فضل سائله لايرد ولا يطرد و لله در البوصيري[2] حيث يقول في بردة المديح :

حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه   أو يرجع الجار منه غير محترم

وقال الفرزدق[3] رحمه الله :ما قال لا قط إلا في تشهده   لولا تشهده كانت لاؤه نعم

وأخذت هذا المعنى فقلت قصيدة في مدحه صلى الله عليه وسلم:

أيخيب من قوى الرجاء في حاتم   ويضيع قصد مومل متكثر

---

[1]- في ب المبتعث

[2]- البطحاء: سهل واسعيمر فيهالسيل فيترك رمل وحصى. انظر الزبيدي:تاج العروس،دار الهداية للنشر،تحقيق مجموعة من المحققين.ج23،ص193.

[3]- العبارة بين قوسين ساقطة من ب

2-البوصيري:هبة الله بن علي بن مسعود المنستيري الأصل المصري المولد والدار استقر جده ببوصير بمصر ولد 605هـ وتوفي 598هـ انظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .ت إحسان عباس.دار صادر، بيروت لبنان،،1900.ج6 ص62

3- همام بن غالب بن صعصعة التميمي البصري قيل لولا الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب،ولد38هـ،ت110هـ.الأعلام للزركلي،ج8ص93.والذهبي: سير أعلام النبلاء.تح شعيب الأرناؤوط.دار الرسالة .لبنان.دت ط،ج4ص590.

كلا ولم تسمع له بكلامه   لافي جواب السائلين وعسكر .

اللهم ياذا المن بحرمة النبي صلى الله عليه وسلم بلغنا ما أملناه فيه يارب العالمين وثانيها لنستمد منه الإعانة على ماقصدت جمعه،فجمعت هذه الفصول من كلام الأئمة قدمتها بين يدي نجواي له صلى الله عليه وسلم ليعينني الله على جميع ذلك :

إذا لـــــم يعنك الله فيما تريده   فليس لمخلوق اليه سبيـــــل

وإن هو لم يرشدك في كل مسلك   ضللت ولو أن السماء دليل

ولاشك أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الواسطة العظمى بين يدي الله وبين عباده[1]فكل نعمة وصلت الى العبد فهي على يدي الرسول صلى الله عليه وسلم فمن جملة النعم وهي النعمة العظمى التي أنعم بها الله على عباده "العلم " الذي يخرج به من الظلمات الى النور والجهل الذي يؤدي صاحبه الى دخول النار نسال الله السلام والعافية فهو أجل النعم التي أنعم الله بها وأعظمها دنيا واخرى ويرحم الله الإمام السبكي[2] حيث يقول في مدحه :

كمال الفتى بالعلم لابالمناصب   ورتبة اهل العلم اسمى الـــمناصب

هم ورثوا علم النبيين فاقتدى بهم   كل سار في الظلام وســـــــارب

فلا فخر إلاإرث شرعة أحـــمد   ولا فضل الا في اكتساب المناقب

وبحث وتحقيق وإيضاح مشكل   وتحرير برهان وقـــــمع مـــغالب

إذا المرء أمسى للعلوم مـــــحالفا   أضاء له منها جـــميع الغياهب

وينزاح عنه كل شـــــك وشبـــهة   وتبدو له الأنوار من كل جانب

هي الرتبة العليا تسامى لأهـــــلها   إلا مستقر فــــوق متن الكواكب

1- قال الشيخ الألباني:التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم غير ممكن بعد وفاته لاستحالة لقائه وهو في حال برزخية لا يعلمها إلى الله انظر محمد ناصر الدين الألباني :التوسل انواعه وأحكامه،المكتب الإسلامي،بيروت، لبنان،دت ط3 ومما يميز الإسلام عن باقي الديانات أنه لم يترك مجال للوساطة بين الله والعبد قال تعالى:{وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني}.البقرة 186

2- تاج الدين السبكي:(727 -771هـ)عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي قاضي القضاة المؤرخ ، فينسب إلى سبك بالمنوفية وانتقل إلى دمشق انظر الأعلام للزركلي،184/4 وابن تغري بردي: النجوم الزاهرةفي ملوك مصر والقاهرة .المؤسسة المصرية العامة للنشر والتوزيع دت ط،ج 11ص ص108-109.

فدونكها إن كنت للرجى[1] طالبا ـــــــــ تنل خير مرجوا الدنيا والعواقب

وماقيل في مدحه لاينحصر فالفهم والعلم صادران عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الواسطة فيه ويرشد إليه حديث {من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي ولايزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة أوحتى يأتي أمر الله}الشك من الراوي أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم وفي كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة وقوله في الحديث يفقهه،هل الفقه الفهم يقال فقه الرجل بالكسر يفقه فقها إذا صار فقيها عالما وجعله الشرع خاص بعلم الشريعة وتخصيصا بعلم الفروع وإنما خص علم الشريعة بالفقه لانه علم مستنبط بالقوانين والأدلة والأقيسة والنظر الدقيق بخلاف علم اللغة والتصريف .روي أن سليمان نزل على نبطية العراق فقال لها : هل هنا مكان نظيف أصلي فيه فقالت طهر قلبك وصلي حيث شئت فقال فقهت أي فهمت. قيل لو قال علمت لم يقع هذا الموقع.وعن الدارمي[2] عن عمران قال قلت للحسن[3]يوما في شيء قاله يا أبا سعيد ليس يقول الفقهاء قال ويحك وهل رأيت فقيها قط،إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير لأمردينه المداوم على عبادة ربه، قوله إنما أنا قاسم.

قال القاضي عياض[4] إنما انا قاسم بينكم فألقي إلى كل واحد ما يليق به ويعطي الله كل واحد منكم من الفهم والتفكر والعقل ما أراده.قال التوربشي[5]:أعلم صلى الله عليه وسلم أنه لم يفضل في قسمة ما احى إليه أحدا من أمته على الآخر بل سوى بالبلاغ وعدل في القسمة إنما التفاوت في الفهم وهو واقع من طريق العطاء. ولقد كان بعض الصحابة يسمع الحديث فلا يفهم منه إلا الظاهر الجلي، يسمعه آخر منهم فيستنبط منه كثيرا أو يسمعه آخر عن من سمعه فيستنبط منه ما لم يستنبط منه الذي سمعهم. وقال الطيبي:الواو في قوله وإنما أنا قاسم للحال من فاعل يفقهه أو من مفعوله وإذا كان الثاني فالمعنى أن الله يعطي كل من أراد أن يفقهه استعدادا لدرك

---

[1]- في ب للرشد

[2]- الدارمي:أحمد بن سعيد السرخسي ولد عام نيف وثمانين ومائة.الذهبي: سير أعلام النبلاء،دار الحديث القاهرة،2006.ج9ص562.

[3]- الحسن أبو سعيد بن أبي الحسن البصري ت110هـ،انظر البخاري: التاريخ الكبير،دائرة المعارف العثمانية،الدكن دت ط،ج2 ص289

[4]- أبو الفضل عياض ابن موسى اليحصبي (476-544 هـ)أنظر ترجمته في وفيات الأعيان ج3 ص483والسير للذهبي ج20ص212.وابن فرحون:الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب .تحقيق محمد الأحمدي ،دار التراث للطبع والنشر القاهرة دت ط.ج2 صص46-51.وأحمد المقري:أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض،ت مصطفى السقا وآخرون،مطبعة لجنة التأليف والنشر،القاهرة 1993،ج2 صص46-51.ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب،ت محمود الأرناؤوط،دار ابن كثير دمشق.ط1،1986،ج6،ص226.وأبو الفدا :المختصر في أخبار البشر.المطبعة الحسينية المصرية.ط1،ج3،ص23.انظر أيضا،البداية والنهاية لابن كثير،ت علي شيرى،دار إحياء التراث العربي،ط1،ج12،ص280

[5]- التوربشي فضل الله:فقيه محدث من شيراز مات في حدود الستين والستمائة .أنظر السبكي:طبقات الشافعية .ت محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو،دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع،1413هـ،ط2،ج8،ص349.وترجم له القاضي شهبة أبو بكر في طبقات الشافعية.دار عالم الكتب بيروت،1407هـ،ط1،ج2،ص34

المعاني على قدره ثم يلهمني بإلقاء ماهو اللائق لإستعداد كل واحد وعليه كلام القاضي، فإذا كان الأول فالمعنى أني ألقي مايمنح لي وأسوي فيه ولا أرجح بعضهم على بعض وإليه يوفق كلا منهم على ما أرادو ماشاء من العطاء وعليه كلام التوربشتي انتهى من القسطلاني[1].

قلت وفرق بين كلام القاضي عياض والتوربشي كما أشار إليه الطيبي فمعنى كلام القاضي عياض أن النبي صلى الله عليه وسلم يلقي إلى الناس بحسب استعدادهم وقوة أفهامهم وإدراكهم وتفاوت أفهامهم وكلام التوريشتي أن النبي صلى الله عليه وسلم يلقي بحسب ذلك ثم هم متفاوتون في الفهم بحسب ما أعطى الله كل واحد من الادراك والإستعداد وهذا هو الذي أشار إليه الطيبي فإعراب جملة ،وأنا قاسم حال من المفعول هو محمل عياض وإعرابه على أنه حال من الفاعل هو كلام التوربشتي قلت : فبان لك بهذا أن العلم المدخر عند الناس والمتوارث بينهم على يد النبي صلى الله عليه وسلم وهو الواسطة فيه وكذلك الإستعداد والفهم الذي يتفاوتون فيه فهو على يديه صلى الله عليه وسلم وإن كان في الحديث أنه لم يسند إليه ولم يصرح بأنه على يده فهو وجهة أخرى ومن خارج إذ كل نعمة وصلت إلى العبد فهو الواسطة فيها صلى الله عليه وسلم فإذا تقرر ماتقدم حق لنا تقديم شيء إليه لنستمد منه الإعانة صلى الله عليه وسلم .

الثالث: أن ما ظهر في الوجود وما يظهر من الكرائم والمناقب والفضائل فهي في الحقيقة منه صلى الله عليه وسلم وله معجزة، قال البوصيري رحمه الله تعالى في همزيته :

لم نخف بعدك الضلال وفينـا	وارثوا نور هديك العلماء
والكرامات منهم معــــجزات	حازها من نوالك الأولياء
فأنقضت آي الأنبياء وآياتك	في الناس مالهن إنقضاء

قال ابن حجر[2] في كلام له نذكره في باب الكرائم ان شاء الله مانصه " وظهور الخوارق على يد غير الأنبياء لايخل في قدرهم بل يزيد في جلالة أقدارهم والرغبة في اتباعهم حيث نالت أمتهم وأتباعهم مثل هذه الدرجة ببركة الإقتداء بشريعتهم والإستقامة على طريقتهم .

---

[1]- القسطلاني أحمد أبو العباس :(851 923هـ)انظر شذرات الذهب،ج10،ص169.

[2]- ابن حجر العسقلاني:و852 ت773. أنظر يوسف بن عبد الرحمن القضاعي الكلبي:تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ت بشار عواد معروف،مؤسسة الرسالة بيروت،ط1،1980،ج1،ص66.وأيضا السيوطي:نظم العقيان في أعيان الأعيان،ت فليب حتي،المكتبة العلمية، بيروت،ص45.

ورابعها : أنه مدد كل نبي ورسول وولي وصالح وملك مقرب وغيره وسائر الخيرات منه صلى الله عليه وسلم،فالانبياء مددهم منه والرسل مددهم منه والأولياء مددهم منه والملائكة مددهم منه فهم بمنزلة العين وهو بمنزلة اسنان العين وهوالمثال الذي يرى في سواد العين في وسطها قدر العدسة وهو الذي يقع به النظر وإبصار المبصرات ولولا هو لم يكن للعين نظرا ولا إبصار، فلولا هو لم يقع مدد لنبي ولا رسول ولا ملك ولا ولي، قال أبو زيد سيدي عبد الرحمان الفاسي:قد اتفقت مقالة الأولياء على خصوصيته صلى الله عليه وسلم على كل العوالم، وأنه سر الله الممتد في الأرواح وبنسيمه وتنسيمها له حياتها.

ونقل سيدي عبد النور ،يعني الشريف العمراني[1] عن شيخه أبي العباس الجامي عن شيخه أبي عبد الله بن سلطان أنه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فقلتله يا سيدي يا رسول الله أنت مدد الملائكة والمرسلين فقال لي أنا مدد الملائكة والنبيين والمرسلين وسائر خلق الله أجمعين وانا أصل الموجودات والمبدأ والمنتهى وإلى غاية الغايات ولا يتعداني[2]أحد وقال : ورأيته في النوم فأجرى الله على لساني أن قلت له السلام عليك يا عين العيون يامعدن السر المصون[3]إنتهى وإلى هذا المعنى يشير البوصيري رحمه الله بقوله :

وكلهم من رسول الله ملتمس   غرفا من البحر ورشفا من الديم

فلما حصل للأنبياء والملائكة والمرسلين من القرب والقربان وأنواع الخيرات ونيل الدرجات وكذلك الأولياء فما صارت الأقطاب أقطابا والأوتاد أوتادا وغيرهم ولا نالوا درجة ولاقربا إلا به ومنه صلى الله عليه وسلم[4]ويرحم الله الشيخ أبا الحسن البكر الصديقي[5] حيث يقول في قصيدته :

ما ارسل الرحمن أو يرسل   من رحـــمة تصعد أو تنزل

في ملكوت الله أو ملكه   لمن كل ما يختص أو يشمل

إلا وطه المصطفى عبده   نبيه مـــختاره الـــمرسل

---

[1]- عبد النور الشريف الإدريسي العمراني الفاسي:ولد 658ه وتوفي خلال القرن الثامن الهجري.انظر الشريف أبي عبد الله محمد الكتاني:سلوةالأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس. ت عبد الله الكامل الكتاني وآخرون دار الثقافة للنشر والتوزيع،الدار البيضاء،المغرب، ج2،صص 51-52.

[2]- في ب ولا يتغير مني أحد

[3]- في بيا معدن الله وسره المصون.

[4]- في ب زيادة :وكذالك ما يحصل لسائر الخلق من أنواع الإمداد.

[5]- أبوالحسن البكر الصديقي الشافعي:(899-952 ه).مفسر ومتصوف مصري من علماء الشافعية انظر الزركلي:الأعلام، ج7،ص57.

واسطة فيها واصل لها　　　يعلم هذا كل من يعقل

وقال الشيخ ابو العباس المرسي[1] رضي الله عنه : جميع الانبياء خلقوا من عين الرحمة ونبينا هو عين الرحمة قال تعال:{وما أرسلنك الا رحمة للعالمين [2]} ولا شك أن رحمته عمت جميع الخلق مؤمنها وكافرها والأنبياء والأرسال والأملاك والحشرات والطيور والبهايم والوحوش وغير ذلك، وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام (هل نالك شيء من هذه الرحمة) قال نعم كنت أخشى العاقبة فأمنت لثناء الله علي بقوله{ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين [3]} وأخذت هذا المعنى فقلت في قصيدة :

بك جبريل نال دخر أمان　　　والملائكة رحبت بالإمام

فبان لك وجه المناسبة لذكر هذا الباب هنا لأن مدده صلى الله عليه وسلم هو الساري في الأرواح وبه تتواجد الأشباح وهو الأصل في القرب و الهداية والوصل و الولاية ومن نوره صلى الله عليه وسلم امتدت الانوار ومن بابه دخلت أولوا الأبصار، ومنه اقتبست جميع الأنوار لظهوره الصوري واللاحقة من غير مانع ولا حجاب ولا كلفة فهو مع غيبة صورته الكريمة لم يغب الإستمداد من نوره بل هو موجود في الفروع المقتبسة منه، سابقة ولاحقة، ولم ينقطع ذلك النور من أمته وإلى هذا يشير البوصيري رحمه الله بقوله

أنت مصباح كل فضل فماتصدر　　　إلا عن ضوئك الأضواء .

فمن رام الوصول أو ظن الدخول ولم يشتغل بخدمته ولم يتحفظ على سنته ولا بمداومة ذكره في الأذكار ولم يوف حقه بأتم توفيته ولم يعط حرمته حقها ،فهو بعيد من حيث يظن القرب ومقطوع من حيث يظن الوصل، وحكى بعضهم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله في المنام عن الغزالي[4]وعن ابن الخطيب الرازي[5]،

---

[1]- أبو العباس المرسي الأنصاري،(616هـ- 686 هـ)وارث شيخه الشاذلي ،توفي بالإسكندرية .انظر صلاح الدين الصفدي :الوافي بالوافيات،تح أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى دارإحياء التراث العربي،بيروت،2000،ج7ص173.وأيضا ابن الملقن سراج الدين الشافعي المصري :طبقات الأولياء،تح نورالدين شريبة، مكتبة الخانجي القاهرة،1994،ط2،ص418 وأيضا عبد الوهاب الشعراني : الطبقات الكبرى المعروفة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار .مكتبة محمد المليجي الكتبي،مصر،1313هـ،ج2،ص11.

[2]- الأنبياء 107.

[3]- التكوير20. والحديث أورده عياض في الشفاء قال السيوطي هذا الحديث لم يوقف له على إسناد. أبو بكر السيوطي لحاوي في الفتاوي .دار الفكر للطباعة والنشر،لبنان .1424-2004 .درط،ج2،ص170.

[4]- الغزالي أبي حامد:(450-505هـ) انظر رضا كحالة:معجم المؤلفين.مكتبة المثنى،بيروت.دت ط،ج2ص174.

[5]- ابن الخطيب الرازي فخر الدين من الري ت606هـ.انظر السيوطي:طبقات المفسرين.أيضا أحمد بن محمد الأونروى:طبقات المفسرين.ت سليمان بن صالح الخزي.مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة ط1 1997، .ج1،ص153.

وعن ابن سينا[1] فأثنى على الغزالي خيرا وقال في ابن الخطيب الرازي أنه معاتب، وقال في ابن سينا أنه أراد أن يصل إلى الله بغير واسطة فانقطع، فالواجب على العبد الإنساني حينئذ القيام بحقه صلى الله عليه وسلم بمداومة ذكره في الأذكار والسعي فيما يوصل إلى محبته والإكثار من الصلاة عليه، هذا فقد نقل الشيخ أبوالعباس زروق[2] رحمه الله عن شيخه الخضرمي رضي الله عنهما أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تقوم مقام الشيخ،إذا لم يلق الطالب شيخا مرشدا فهي سلم ومعراج وسلوك إلى الله تعالى إنتهى، وإذا كان المداوم على الأذكار والمواظب عليها يحصل له الإنحراف وتكسبه نورانية تحرق الأوصاف وتثير وهجا وحرارة في الطباع بخلاف الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإنها تذهب وهج الطباع وتقوي النفوس لإنها كالماء وللإمام الساحلي[3] يحض على ذلك في قصيدة له في الذكر:

وصل بين ذكر الـمصطفى وإلاهه   وإياك إن تنسى نبيك في الدهر

فما فاز من قد فارق البدر لمحة   وهل فاز إلا من تمسك بـالبدر

تعلق بأذيال الذين تـــــــفرغوا   لـــــخدمة مصطفى كأبي بكر

فما فارق الصديق ذكره محمدوإن   كان في الإفراد كالكوكب الدري

وماقال تــــــــصديقا لغير حبيبه   فدع قول بدعي تـدنس[4] الوزر

---

[1]- ابن سينا الطبيب الفيلسوف (375 -428 هـ): ابن أبي أصيبعة:عيون الأنباء في طبقات الأطباء.تح نزار رضا،مكتبة الحياة بيروت، دت،ج1،ص445.

[2]-أحمد زروق البرنسي الفاسي أبو العباس (846-899هـ) فقيه محدث صوفي توفي بمسراتة من أعمال طرابلس الغرب .انظرأحمد بن القاضي المكناسي:جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس،دار المصور للطباعة والوراقة،الرباط،1973.ج1،ص131 وانظر شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمخلوف.المطبعة السلفية ومكتبتها،القاهرة،1349.صص367-368.وأيضا محمد بن مريم التلمساني :البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان.ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،صص45-50.وأحمد بن القاضي المكناسي:درة الحجال في أسماء الرجال. ت أحمد الأحمدي أبو النور،المكتبة العتيقة تونس،دار التراث القاهرة.ج1ص90.ومحمد ابن عسكر الشفشاوني:دوحة الناشر لمن كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر،ت محمد حجي،مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر،الرباط 1977.

[3]- الساحلي:محمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري المالقي ت754هـ. الأعلام للزركلي،ج7ص36.معجم المؤلفين،ج8، ص275.

[4]-في ب تأنس

وإلى ذم تارك ذلك أشار شيخ الصوفية وألسنة في زمانه أبو يونس بن السماط حمه الله في هذه الأبيات : ما للرسول على مشيد علائه تخلى صدور الكتب من أسمائه.

ما ذاك إلا أن راسمه وهمي   ولو إستقال يعد من أعدائه

ذادوا نفوسهم ومن والاهــم   عن أن يفهموا بإسمه وتمامه

وكذا يذاد القوم يوم معادهم   عن حوضه ومقامه ولــوائه

صلى الله عليه رغم أنـوفهم   وعباده في أرضه وسمـــائه

فإذا كانت المناسبة كما ذكرنا والعلة كما قدمنا فلنرجع إلى التكلم عن الفصول المتقدمة.

الفصل الأول :في سبقية وجوده صلى الله عليه وسلم :

إعلم أن أول موجود لله ومخلوق له سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أول ما خلق الله تبارك وتعلى نور النبي صلى الله عليه وسلم ومنه خلق الأشياء ويدل على ذلك أحاديث خرجتها الأئمة منها : ما أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره وأبو نعيم في الدلائل من طرق عن قتادة عن الحر عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وإذا أخذنا منهم ميثاقهم[1] .الآية قال :(كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث)[2]، ومنها حديث (أول ماخلق الله نوري ومن نوري خلق كل شيئ)[3]

ومنها ما روى القاضي عياض (أن آدم لما خلقه الله رفع رأسه إلى العرش فرأى مكتوبا فيه لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلم أنه ليس أحدا أعظم قدرا منه لما جعلت إسمه مع إسمك، فأوحى الله إليه وعزتي وجلالي إنه لآخرالأنبياء من ذريتك ولولاه ما خلقتك)[4].

وكان آدم يكني بأبي محمد،و في بعض الأحاديث المروية عن النبي صلى الله علية وسلم أن عمر قال له يا رسول اله : (ماأحسن خلقك وأصدق حديثك وأرأف مودتك وأزين معاملتك لله وللعباد يارسول الله، فعند ذلك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدري من أنا ؟ أنا الذي أول ماخلق الله نوري وأول ما سجد لله نوري وأنا الذي خلق الله من نوري العرش والكرسي واللوح والقلم والشمس والقمر ونور البصيرة والبصر والعقل والمعرفة التي في قلوب خواص البشر، يا عمر أتدري من انا ؟ أنا الذي كتب الله إسمي مع إسمه على ساق العرش فلم يسكن حتى كتب عليه لاإله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك قبل أن يكتب الله الخلق بسبعين ألف عام، ولا فخر يا عمر، أتدري من أنا؟ أنا الذي خلق الله آدم وذريته على حروف هجاء إسمي فالرأس بمنزلة الميم

---

[1]- كذا في الأصل والآية هي قوله تعالى :{وإذا أخذنا من النبيين ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا}الأحزاب الآية 7.

[2]- أخرجه أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان،تح أبي محمد بن عاشور،دار إحياء التراث العربي، 10/8 وأورده الشوكاني في الأحاديث الموضوعة.ينظر الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة،تح عبد الرحمن المعلمي،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،1416-1995،1-326، والألباني في الضعيفة والموضوعة .ج2ص115.

[3]- قال السيوطي في الحاوي ليس له إسناد يعتمد عليه،ج 1/ ص325.

[4]- أورده الحاكم في المستدرك على الصحيحين.دار المعرفة، بيروت.ج 2/ص615.قال ابن تيمية ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه فهو نفسه قال في كتاب المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم ،أن أحد رواة هذا الحديث وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة.أنظر ابن تيمية الحراني: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة،طبع رئاسة إدارة البحوث العلمية والبحوث،الرياض المملكة السعودية،1422، 2002.
قال ابن حبان كان يقلب الأخبار:انظر كتاب المجروحين من الضعفاء والمتروكين،تح محمد ابراهيم زايد،دار الوعي،حلب،1359هـ.ج1ص315.

واليدان بمنزلة الحاء والبصر بمنزلة الميم الثانية والرجلان بمنزلة الدال)[1]. .قلت وعند أسيد أبي عبد الله البكري[2] في شرح الحاجبية حسبما نقل عنه يوافق آخر هذا الحديث، فإنه قال: ولهذا الإسم الكريم، يعني محمد إشارات لطيفة من حيث صورته ومادته أي من جهة حروفه المادية ومن حيث هيئته الصورية،أما الأول فلما اشتمل عليه في اعتبار حروفه ميم الملكوت الأعلى وحاء الحياة الذي الحفظ به، وفيه كتب القلم الأسنى وميم الملكوت الباطن في ميم الملك الظاهر ودال الدوام والإتصال الماحية لوهمي الإنقطاع والإنفصال ،وأما الثاني فإن صورة هذا الإسم على صورة الإنسان فالميم الأولى رأسه والحاء جناحه والميم الثانية بطنه والدال رجلاه، والإنسان صغير كبير كما هو مصطلح القوم فأفهم .

ومنها حديث عبد الرزاق بسنده عن جابر رضي الله عنه : (يارسول الله أخبرني عن أول شيئ خلقه الله، قال يا جابر إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره سبحانه فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا انسي، فلما أراد الله تعالى أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول السماوات ومن الثاني الأرضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهو المعرفة بالله ومن الثالث نور إيمانهم وهو التوحيد لاإله إلا الله محمد رسول الله)[3]،ومنها ما روي عن ابن عباس مرفوعا لما أراد الله تعالى أن يخلق الماء خلق من النور المحمدي ياقوته خضراء، غلظتها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين وما بينهما،ثم دعاها فلما سمعت كلام الله ذابت فرقا من هيبة خطاب الله .ثم خلق الريح فوق الماء على متن الريح ثم خلق العرش فوضعه على الماء.)[4].

فحمل بعضهم هنا على الترتيب لما اشتهر من الأحاديث بتقديم خلق العرش بعد النور المحمدي والكرسي،من نوره وهو ملتصق بالعرش، عن أنس رضي الله عنه في قوله تعالى {والسقف المرفوع}[5] قال هو العرش{والبحر

1- لم أجده بهذا اللفظ

2- أسيد أبي عبد الله البكري: لم أجده

3- نسب إلى عبد الرزاق في مصنفه وهو غير موجود. كما أورده إسماعيل ابن محمد العجلوني في كشف الخفا .مكتبة القدسي،1351 هـ، رقم 827ج1ص265.وهو حديث موضوع كما في مرشد الحائر في بيان وضع حديث جابر للمحدث الصوفي عتبد الله بن محمد بن صديق الغماري المغربي ص 45..و أحمد عبد القادر الشنقيطي المدني:تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق . ،دار الحياة الشارقة، 1415هـ-1995م، ط1، ص52.

4- لم أجده بهذا اللفظ .

5- الطور 5.

المسجور[1]}قال هو الماء الأعلى الذي تحت العرش، وأخرج أبو الشيخ عن أنس في قوله تعالى {وكان عرشه على الماء [2]}قال : لما خلق الله تعالى السموات[3]. قسم ذلك الماء الذي عليه العرش إلى قسمين فجعل بعضه تحت العرش وهو البحر المسجور،فلا تقطر منه قطرة حتى ينفخ في الصور فينزل منه الطل فتنموا منه الأجسام، وجعل النصف الآخر تحت الأرض السفلى، وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال :(يا رسول الله صف لنا عرش ربنا قال إن له ثلاثمائة قائمة كل قائمة مثل الدنيا[4]ستون ألف مرة ومن وراء كل قائمة ستون ألف صحراء،كل صحراء مثل الدنيا ستون ألف مرةفي كلصحراء ستون ألف عالم منهم مثل الثقلين الإنس والجن، لا يعلمون أن الله خلق آدم ولاحواء. وقد أمرهم أن يلعنوا المبغض لأبي بكر وعمر)[5].

والحاصل أن العلماء إختلفوا في أول مخلوق بعد النور المحمدي،فقيل الماء وقيل الهواءوقيل العلما بالمد والقصر وهو السحاب الرقيق .وخلق عرشه على الماء وقيل القلم، قال رسو الله صلى الله عليه وسلم :(أول ماخلق الله القلم)[6]قال ابن حجر: فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة وطوله خمسمائة عام .وعن ابن عباس أول شيء كتبه القلم: بسم الله الرحمن الرحيم أنا الله الذي لاإله إلا أنا لا شريك لي وأن محمدا عبدي ورسولي من أطاع الله أدخله الجنة ومن عصاه أدخله النار وكذلك كل أمة حتى إنتهى إلى أمته وكتب من أطاع الله منهم أدخله الجنة ومن عصاه،وأراد أن يكتب أدخله النار، وإذا النداء يا قلم تأدب، فخاف القلم وارتعد من الهيبة لهما ثم شق وقطع رأسه بيد القدرة فصار لا يكتب إلا مشقوقا مقطوعا .ثم قال يارب وما أكتب؟ فقال أمة مذنبة ورب غفور . وفي الحديث أيضا (كنت نورا بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة آلاف عام)[7].

فبان لك بهذا كله إنه صلى الله عليه وسلم أول مخلوق..وأول موجود الله سببه وجدت الكائنات ولولا هو لم يوجد مخلوق من مخلوقات الله لا عرش ولا كرسي ولا شمس ولا قمر كما شهدت به الأحاديث المتقدمة فإذ

[1]- الطور 6.

[2]- هود 7.

[3]- في ب والأرضين.

[4]- كل قائمة مثل الدنيا ساقطة من ب

[5]- لم أجده بهذا اللفض.

[6]- أورده أحمد في مسنده22705،ج378،37 وابن أبي شيبة في مصنفه رقم 37023 ج14 ص101. والطيالسي في مسنده رقم 577 ج1ص79ومسند الشاميين للطبراني رقم 49 ج3ص138. والبيهقي في سننه الكبرى ج10ص204. وأبي داود في سننه رقم 4700 ج4ص225. وابن زمنين فيفي أصول السنة ج1ص129.و والحاكم في مستدركه على الصحيحين ج2ص492 وسنن الترمذي رقم 2155.ج4ص457 وقال الألباني حديث صحيح.

[7]- ذكره إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الخلوتي:روح البيان،دار الفكر لبنان،ج370/2. والعجلوني في كشف الخفا:ج1/ص266،وقال الغماري المغربي في إرشاد الحائر: حديث منكر وكذب، ص9.

تقرر أن النبي صلى الله عليه وسلم هو السبب في الكل ولولا هو لم يخلق مخلوق يرد على من تكلم في هذا وبحث فيه وقال من أين يأخذ هذا، قال بعض شراح الشفا على الحديث المتقدم وهو قوله " لولاه ما خلقتك"،لآدم مخاطبا ما نصه وهذا أدل دليل على ماهو المعهود الصحيح،أنه صلى الله عليه وسلم سبب الوجود وأنه لولاه لم تكن الكوائن والعجب في من يتكلم في مثل هذا وأخذ في الكلام فيه والبحث على الأدلة في ذلك ومن أين يؤخذ وهل وجد في الحديث ما يدل عليه وكان يقف عند قول البوصيري : لولاه لم تخرج الدنيا من العدم، يقول من أين يؤخذ،وفي الحديث أقوى دليل عليه[1] .

. قال أبو زيد سيدي عبد الرحمن الفاسي : قلت وبيت البوصيري المذكور توقف فيه بعض شراحه وقد سبقه إلى مثله ابن الفارض[2]لقوله في قصيدة له:

لولاك يا أحمد المحمود ماطلعت شمس ولم تخرج الدنيا من العدم

انتهى الكلام في هذا الفصل . اللهم بارك بحرمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم،أرزقنا محبته ورضاه وشفعه فينا آمين يارب العالمين.

[1]- كل الأحاديث التي ذكرها المؤلف أو أغلبها تكلم فيها أهل العلم وصنفوها بين ضعيف وموضوع وهي تخالف الصحيح المشهور من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ومنها الحديث المذكول (أول ما خلق الله القلم) واختلف العلماء في المخلوق أولا العرش أم القلم على قولين أصحهما أن العرش قبل القلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنةوعرشه على الماء) فالتقدير وقع بعد خلق العرش والتقدير وضع عند خلق القلم.أنظر ابن أبي العز الطحاوي:شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق جماعة من العلماء،المكتب الإسلامي،بيروت،1988،ط9 ص265

[2]- ابن الفارض عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار، سلطان العاشقين،صاحب عقيدة الحلول والإتحاد.انظر سير اعلام النبلاء ج368/1والزركلي :الأعلام 55/5وابنخلكان:وفيات الأعيان ج3/ص454.

الفصل الثاني :متى ثبتت له النبوة.

اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم عقدت له النبوة من حين نشأته وتقدم أن نشأته كانت قبل كل مخلوق فكذلك نبوته كانت قبل كل نبوة،ورسالته كانت قبل كل رسالة،وشاهده الأحاديث التي وردت في شأن ذلك وتكلم عليه السيوطي وغيره من الأئمة، وأنه نبي وأدم بين الروح والجسد، وأنه لنبي بالأصالة وغيره على سبيل الإنابة عنه، ونقل الجلال كلام الشيخ تقي الدين السبكي في ذلك في كتابه " التعظيم والمنة "في قوله تعالى(لتؤمنن به ولتنصرنه)[1]وحاصله أن النبي صلى الله عليه وسلم،رسول إلى كافة الناس من أنبياءها وأرسالها وأممهم واستنبط ذلك من الآية المتقدمة ومن قوله صلى الله عليه وسلم (كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد).[2]

ومن فسره بالعلم أي بأن الله علم أنه يصير نبيا في المستقبل، لم يصل إلى هذا المعنى،لأن الأنبياء كلهم علم الله نبوءتهم فلابد من خصوصيته للنبي صلى الله عليه وسلم، وقدر زائد، ثم قال : فإن قلت أريد أن أفهم تلك الفائدة وذلك القدر فإن النبوءة وصف لابد أن يكون الموصوف به موجودا وإنما يكون بعد بلوغ أربعين سنة أيضا، فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل إرساله، قلت وقد جاء أن الله خلق الأرواح قبل خلق الأجساد فتكون الإشارة بقوله كنت نبيا، إلى روحه الشريفة وإلى الحقيقة وأن الله تبارك وتعالى أمد روحه بذلك الوصف وأخاضه عليها من ذلك الوقت فصار نبيا وأتاه الكتاب و الحكمة والنبوة في ذلك الوقت وأخذ من الأنبياء الميثاق ليعلموا أنه المقدم عليهم وأنه نبيهم ورسولهم وأخذ المواثق منهم،فهو في معنى الإستخلاف ولذلك دخلت لام القسم في لتؤمنن به ولتنصرنه انتهى منه[3].وورد أن الأرواح خلقت قبل الأجساد بألفي عام وورد أول ما خلق روحي،وورد أن خلق النور المحمدي كان قبل خلق جميع الأشياء بألف ألف وستمائة ألف وسبعمائة سنة[4].

كما خلق الله روحه خلقها بحياتها لأن الحياة عرض تحيى به الجواهر، والروح تحي بالحياة وأجرى الله العادة باستمرار حياة الأجساد ما استمر مشابكتها، والحياة غير سابقة على الروح فأبوته صلى الله عليه وسلم للأرواح كأبوة آدم للأشباح،وأنه صلى الله عليه وسلم مرسل لأولاده لأن روحه بعثها للأرواح المخلوقة[5]بعدها منها بأمور شرعها لهم يتعبدوا بها قبل ظهوره صلى الله عليه وسلم وهو لم يتعبد بشريعة أحد من الأنبياء قبل نبوته كما هو الحق، فإن النبوة والرسالة لما تحققت لروحه بعثت إلى الأرواح فلو وجدوا في عصره للزمهم إتباعه فله صلى الله عليه

[1]- آلعمران 81

[2]- حديث صحيح أورده محمد بن سلمة الأزدي الطحاوي:شرح مشكل الآثار.تح شعيب الأرناؤوط،مؤسسة الرسالة،1994م،ط1،ص131 وقال كتب في اللوح المحفوظ أنه نبي وآدم بين الروح والجسد.. وأبو عبد الله عبيد الله العكبري الحنبلي :الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة .تح عثمان عبد الله آدم، دار الراية للنشر، السعودية ط2، 1418 ج1ص221 وقال هذا دليل صريح في إثبات القدر.

[3]- المؤلف ينقل عن السبكي.

[4]- في ب زيادة ألف وستمائة ألف وسبعمائة سنة.

[5]- في ب المخلوقات.

وسلم أجر جميع الأنبياء وأتباعهم. والحاصل أن روحه الشريفة وجدت قبل الأرواح وأهداها الله بذلك الوصف وأفاضه عليها لأنها متصفة بالحياة وقائمة بها،ثم روحه الشريفة دعت جميع الأرواح من الأنبياء وغيرهم إلى الإقرار بنبوته ورسالته بما شرع لهم من الشرائع فأقروا بها، وصدقوها فيما دعتهم إليه فكل نبي ورسول بعث بشريعته التي شرعها له فهو رسول الكل ونبي الجميع كما هو الأب والسبب فيهم وإلى الأخير يشير العارف بالله ابن الفارض رحمه الله :

فإني وإن كنت ابن آدم صورة فلي فيه معنى شاهد بالأبوة

قال الشيخ أبو عثمان الفرغاني[1] : فلم يكن داع حقيقي من الإبتداء إلى الإنتهاء إلا هذه الحقيقة الأحمدية التي هي أصل جميع الأنبياء وهم كالأجزاء والتفاصيل فكانت دعواتهم من حيث جزئياتهم عن خلافة من كلهم لبعض أجزائه وكانت دعوته دعوةالكل لجميع أجزائه إلى كلية،والإشارة بذلك إلى قوله تعالى {وما أرسلناك إلا كافة للناس[2]}.

والأنبياء والرسل وجميع أممهم وجميع المتقدمين والمتأخرين داخلون في كافة الناس وكان هو داعيا بالأصالة وجميع الأنبياء والرسل يدعون الخلق إلى الحق عن تبعيته صلى الله عليه وسلم وكانوا خلفاءه في الدعوة .انتهى وقال الشيخ عبد الجليل القصري[3] ما نصه " فقد أعلمك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم عقدتله النبوةقبل كل شيء،وأنه دعا الخليقة عند خلق الأرواح وبدء الأنوار إلى الله تعالى كما دعاهم آخرا في خلقه جسده آخر الزمان، ومن هذا المعنى قوله تعالى { وإذا أخذ الله ميثاق النبيين[3]}لآية إلى قوله تعالى{لتؤمنن به ولتنصرنه[4]}إلى آخر المعنى. فقد آمن الكل به فهو آدم الأرواح وعيسوبها[5]ثم قال : أنظر إلى قوله تعالى {تبارك الذي نزل الفرقانعلى عبده ليكون للعلمين نذيرا}[6] والعالمون هم جميع الخليقة فقد أنذر الخليقة أجمع وآمن الكل به في الأولية

---

[1]- سعد الفرغاني ت699 أبو عثمان صوفي له العباد إلى المعاد ومنتهى المدارك معجم المؤلفين ج4/ص212.

[2]- وتتمة الآية {بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون}الآية 28 سبأ.

3- عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل القصري الأندلسي القرطبي ت 608هـ.الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات الأعيان تح بشار عواد معروف. دارالغرب الإسلامي، 2003، ط1، ج13،ص191.

[4]- {لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال آقررتم و أخذتم على ذالكم إصري قالو أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين.}آل عمران 81. قال المفسرون في هذه الآية أنها نزلت في أهل الكتاب يحثهم على طاعته واتباع شرعه وأن يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وينصروه.انظر الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن.دار هجر للطباعة والنشر،ط1، 1422هـ- 2001 م. ج5ص535.والسيوطي :الدر المنثور في التفسير بالمأثور . دار الفكر،بيروت.ج 2 ص252.

[5]- آل عمران 81.

[6]- في ب يعسوبها، وهو الصحيح ومعناه فحل النخل وسيدها، وهو الرئيس والمقدم. أنظر أبو عبيد القاسم الهروي البغدادي: غريب الحديث، تح محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد، الدكن،الهند ط1، 1384هـ- 1964م،ج 3ص439. ولسان العرب لابن منظور،دار صادر، بيروت،لبنان. ج1، ص599.

[7] الفرقان 1.

والآخرية وإنتقل النور في جميع العالم من صلب إلى صلب فإفهم إنتهى .قلت ومن الآية المتقدمة، نستفاد بعثته إلى الملائكه كما قيل ورسالته إليهم وإن كان في ذلك خلاف بين الأئمة لأن العالمين هم جميع الخليقة فيدخل فيهم الملائكة ،ثم قال السبكي بعد الكلام المتقدم وبهذا ظهر معنى حديثين كانا خفيا علينا أحدهما : قوله صلى الله عليه وسلم (أرسلت إلى الناس كافة)[1]كنا نظن أنه من زمنه إلى يوم القيامة فبان أنه لجميع الناس أولهم وآخرهم، والثاني قوله صلى الله عليه وسلم (كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد)[2].كنا نظن أنه بالعلم فبان أنه زائد على ذلك إنتهى .

ويدلك أيضا على فضله،وسبق نبوته وعموم رسالته ما وقع لأكابر الأنبياء والرسل من إجابة دعواتهم بسببه كإبراهيم وموسى وغيرهما على نبينا وعليهم السلام، به تيب على آدم، حكى ذلك القاضي عياض في شفائه عن أبي محمد المكي[3] وأبي الليث السمرقندي[4]،روى أنه قال في دعائه:(اللهم بحق محمد اغفرلي خطيئتي، وروي:تقبل توبتي فقال الله عز وجل له ومن أين عرفت محمد، قال رأيت في كل موضع في الجنة مكتوبا فيه لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويروى محمد عبدي ورسولي،فعلمت أنه أكرم،خلقك فتاب عليه وغفر له)[5]. وأخذه ابن الخطيب السلماني[6]

فقال في قصيدته لهفي مدحه صلى الله عليه وسلم :

أنت الذي توسل آدم من ذنبه بك فاز وهو أباك

وقال أيضا في قصيدة أخرى :

[1]- قال الألباني حديث حسن. انضر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. المكتب الإسلامي، بيروت. ط2، 1405-1985م. رقم 152 ج1 ص180.

[2]- صحيح كما تقدم الإشارة إليه

[3]- أبو محمد المكي عبد الله بن محمد بن العباس:مؤرخ من أهل مكة توفي 353. انظر الزركلي:الأعلام.ج4،ص120.

[4]- ابن الليث السمرقندي :من فقهاء الحنفية عاش بخراسان وما وراء النهر،توفي 375.انظر أبو الحسن علي بن الحسين الصغدي:النتف في الفتاوي.تح صلاح الدين الناهي،دار الرسالة،بيروت،1404هـ-1994م.ج2،ص865.

[5]- رواه الحاكم في المستدرك وقال هذا حديث صحيح وتتبعه الذهبي بقوله بل موضوع، وقد أنكر أهل العلم تصحيح الحاكم لهذا الحديث أنظر،ابن تيمية الحراني: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة،تح عبد القادر الأرناؤوط.رئاسة البحوث العلمية والإفتاء،الرياض، السعودية. 1422هـ،2002م،ط2.صص 37- 39. وقال في الفتاوي هذا من جنس الإسرائيليات.فتاوى ابن تيمية،تح أنور الباز وعامر الجزار.دار الوفا،1426هـ-2005م.ج1،ص257.

[6]- ابن الخطيب السلماني لسان الدين ذي الوزارتين (713-776) انظر أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض للمقري 1-185 ومحمد عبد الحي الكتاني فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تح إحسان عباس،دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان 1982،ط2، ج1ص379.

هو ماتلقى آدم من ربه   حين إجتباه بتوبة سناها

يشير إلى قوله تعالى {فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه[1]}وهو دعاؤه بالنبي صلى الله عليه وسلم وقلت في مدحه صلى الله عليه وسلم:

مازال آدم يرتجي بك توبة   فدنا لها وبجود فضل مبشر

وكذا باقي الرسل على نبينا وعليهم الصلاة والسلام.ويشهد بما قلناه ما روي عنه صلى الله عليه وسلم في مقالته لعمر (أتدري من أنا يا عمر؟ أنا الذي قبل الله بي توبة آدم ونجا نوحا في السفينة وبي استجاب دعاء صالح وإبراهيم وموسى وعيسى وما من نبي إلا دعا بي فلم ترد له دعوة)[2]، وقال ابن الخطيب في ذلك :

وبك الخليل دعا فعــادت ناره   بردا وقد خــمدت بنور سناكا[3]

ودعا أيوب لــضر مسه فأزيل   عنه الضر حين دعــــــــاكا

وبك المسيح أتى بشيرا منبئ   بصفات حسنك مادحا لعلاكا

وكذلك موسى لم يزل متوسلا   بك في القيامة فإحتمى بحماك

هود ويونس من بهاك تجملوا   وجـمال يوسف من ضياء سناك

وقال أيضا في قصيدة أخرى :

نوح ويونس والخليل ويوسف   كل وسيلة يـــــملأ أنماها

وبجاهه موسى من أمته غـدا   فأنيل من رتب العلا أعلاها

ولمريم لاحت مناقب أحـمد   وبه لــــــها كلماته ألقـاها

وبدا لروح الله عيســـى سر   هو للأنبياء لأنه أسمـــــاها

---

[1]- البقرة37.

[2]- لم أجد الحديث بهذا اللفض.

[3]- السنا هو حد منتهى ضوء البدر والقمر . الخليل بن أحمد الفراهيدي:كتاب العين. ج7ص303.تح مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال در ت ط.

وقال البوصيري رحمه الله:

مامضت فترة من الرسل إلا بشرت قومها بك الأنبياء

وقلت في مدحه صلى الله عليه وسلم :

نوح نجى من مجد طلعتك التي نارت بها ظلمات ليل مـــستر

وكذا الخليل دعا لنار أخمدت بردا غدت وسلاما بعد تسعر

موسى الكليم فلم يزل متوسلا بعظيم قدرك فإحتمى بمصدر

أيوب قد سأل الـــشفا لـضره فأزيل عنه إذ دعـــى بالأخير

ودعـــاك يعقوب فأعطي سؤله بك يوسف من جبه المتقعر

وبك الـــمسيح أتى بشيرا منيبا بـــجلاله وعلو شأنه الأعطر.

وروى ابن عباس رضي الله عنه ،عنه عليه السلام أنه قال (لما خلق الله آدم أهبطني في صلبه إلى الأرض وجعلني في صلب نوح في السفينة ،وقذف بي في النار في صلب إبراهيم ثم لم يزل ينقلني من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجني من أبواي لم يلتقيا على سفاح)[1] .وإلى هذا يشير العباس بن عبد المطلب بقوله فيه :

من قبلها طبت في الـجنان وفي مستودع حيث يخطف الورق

ثـم هبطت البلاد لا بشـــر أنت ولا مضغة ولا عـــــلق

بل نطفة تركب السفـــين وقد ألـجم نسرا وأهله الـغرق

تنقل من صلب إلى رحـــم إذا مضى عا لم بذا طـــــبق

حتى احتوى بيتك المهيمن من خندق علياء تـحتها النطق

[1]-قال السيوطي بوضع هذا الحديث،في اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، دار المعرفة .ج1ص264 .كذا في تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة،لأبي الحسن علي بن محمد الكناني،مكتبة القاهرة،ط1، ج1ص321.وأيضا ابن الجوزي :الأحاديث الموضوعة،تح عبدالرحمن محمد عثمان،المكتبة السلفية،المدينة، 1386هـ-1966م.ط1،ج1،ص ص281-282.والشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة.ص326.

وأنت لما ولدت أشرق الأرض وضاءت من نورك الأفق

فنـــــــحن في ذلك الضياء وفي سبيل الرشاد نحـرق

ويروى أن الملائكة قالت لجبريل لم سجدت[1]قال لهم تعظيما وتشريفا لمولود من أولاده في صلبه يسمى محمد صلى الله عليه وسلم، ولما عمي اللعين إبليس[2]عن ذلك النور الملقى في صلب آدم بعد سابق المشيئة ظل وامتنع عن السجود ولو أصره كان اول الساجدين كما قال سيدي أحمد بن وفا رضي الله عنه ونفعنا به:

لو أبصر الشيطان طلعة نوره في وجه آدم كان أول منسجد

وقال أيضا :

ولو رأى النمرود نور جمـاله عبد الجليل مع الخليل وما عند

لكن جمال الحق جل فلا يرى إلا بتخصيص من الله الصمد

وبالجملة فهو أفضل الخلق، ورسول الكل،المؤتى الكتاب والحكم النبوة قبل كل شيء، فآمن به الكل وآمن به الخليقة أجمعين،من الرسل والملائكة وغيرهم وسيد هذا العالم ونخبته وروحه وسر وجوده وإنسان عين الكون فلولا هولم يخلق موجود، بل هو الأصل في كل ما خلق الله الموجود[3]قال سيدي ابن وفا رحمه الله :

إنسان عين الكون سر وجوده لولا هو ما تم الوجود لمن وجد

وقال ايضا :

عيسى وآدم والصدور جميعهم هـــم أعين هو نورها لما ورد

ولكونه رسول الكل وأب الجميع،كان شفيعا لسائر الخلق في يوم المحشر، ومريحا لهم من الهول الأكبر وكانت أكابر الرسل والأنبياء وغيرهم مما خلق الله تعالى تحت لوائه يوم القيامة، قال ابن الخطيب :

والأنبياء وكل خلق في الورى والرسل والأملاك تحت لواك

---

[1]- في ب سجدنا لآدم

[2]- في ب عمي عين إبليس

[3]- في ب الله المعبود.

فتنبه لهذا الفخر العظيم وهذا المنصب الجسيم جعلني الله من الفائزين بحبه ومن المتمسكين بسنته ومن الظافرين بقربه آمين يا رب العالمين .

الفصل الثالث:في فضله صلى الله عليه وسلم.

إعلم أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لا يعلم حقيقته إلا من خلقه فقد إشتمل على الصفات التي لا تطيق إدراكها عقول البشر ولا تحيط به ذو الأذهان والفكر غاية ما يتوصل العقلانه بشر وما منحه المولى من المزايا الحسية والمعنوية، لا يحيط به النظر وما ظهر من فضله إنما هوكلمح البصر ولله در البوصيري حين قال:

دع ما ادعته النصارى[1] في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

وقال: فمبلغ العلـــــم فيه أنه بشر وأنــــه خيرخلق الله كـــــلهم

قلت : وإذا عرفت الفصلين المتقدمين وتأملتهما علمت فضل النبي صلى الله عليه وسلم وما أعطاه الله من الفضائل والخصائص ،لأنه بالفصل الأول تعلم أنه أصل الوجود وهو السبب فيه وممد العوالم كلها وأن جميع الأكوان والمكونات، إنما هي ناشئة من روحه صلى الله عليه وسلم. والعوالم كلها سفليها وعلويها سلخها إلله من روحه، فهو الجنس العالي على جميع الأجناس وبالفصل الثاني تعلم أنه المقصود بالذات وهو الرسول للكل ومراد الإرادة، والكل مراد لأجله كما ورد في الحديث (أن الله لما خلق نوره قال أنت المختار المنتخب وعندك مستودع نوري وكنوز هدايتي من أجلك أسطح البطحاء وأفجر الماء وأرفع السماء وأجعل الثواب والعقاب والجنة والنار)[2] فبأي فضل وأي شرف ومنزلة ورفعة وخصوصية وسيادة تذكر لمن هو سبب الوجود،وأصل المكونات وأبوالخلائق ورسول المرسلين ومراد الإلاه المعبود. وهو المعني والمقصود فلا يعلم تلك الحقيقة إلا الله كما ورد ونبه عليه صلى الله عليه وسلم بقوله :(يا أبا بكر لم يعلم حقيقتي غير ربي)[3]. وأنزل عليه {قل إنما أنا بشر مثلكم [4]}أنه لو ظهر لهم في هيئة روحانية لما أطاقوا مطابقته وما استطاعوا مقاومته فهو ملكي الباطن، بشري الظاهر، فجمع له بين الضدين خرقا للعادة .

قلت: وبما تقدم تعلم لما اخترنا هذين الفصلين دون ما عداهما مما يدل على شرفه وعلو منزلته مما ذكره الائمة، دليل على ذلك ثم اعلم أن مايذكر النبى صلى الله عليه وسلم من الصفات والكمالات والشمائل والمعجزات التي يذكرونها الأئمة رضي الله عنهم،في مدحه وفضله وشرفه إنما هو كنقطة من بحر بل ولم يصلوا إلى قلامة ظفر. ولعل

---

[1]- ما ادعته الصوفية في النبي صلى الله عليه وسلم غلو يرقى لما ادعاه النصارى في المسيح وهو باب للقول بالحلول والإتحاد.

[2]- لم أجده في كتب الحديث.

[3]- لم أعثر عليه.

[4]- {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين}فصلت6

ذلك لأمرين،أحدهما ابتغاء الثواب ورجاء نيل رضاه والإشتغال بخدمته، والثاني امتثالا لأمر الله،قال تعالى {ابتغوا إليه الوسيلة [1]}ولا وسيلة أعظم وأشرف من حبيبه صلى الله عليه وسلم. وإلا فماذا يبلغ المثنى عليه وما يصل إليه مما أعطاه الله من الأخلاق الشريفة، والمزايا الحميدة .

قال ابن حجر في شرحه للهمزية: وبعد فمما يتعين على كل مكلف أن يعتقد أن كماليات نبينا صلى الله عليه وسلم لا تحصى، وأن أحواله وصفاته وشمائله لا تستقصى، وأن خصائصه ومعجزاته لم تجتمع قط في مخلوق. وأن حقه عالي الكمال فضلا على غيرهم أعظم الحقوق. ولا يقوم ببعض ذلك إلا من بذل وسعه في إجلاله وتوقيره وإعظامه.ومناقبه ومآثره وحكمه وأحكامه، وأن المادحين لجنابه العلي، والواصفين لكماله الجلي لم يصلوا إلا قل من كل واحد لنهايته، وغيض من فيض لا وصول إلى غايته .ثم قال فهم مقصرون عما هنالك،قاصرون عن أداء كلما يتعين من ذلك، كيف وآيات الكتاب مفصحة عن علاه بما يبهر العقول .ومصرحة من صفاته بما لا يستطاع إليه الوصول .فماذا عسى الشعراء اليوم مادحة من بعدما مدحه حم تنزيل . فعلم أنه لو بالغ الأولون والآخرون في إحصاء مناقبه لعجزوا عن استقصاء ما جاء به مولاه الكريم .ومواهبه ولكان العلم ساحل بحرها مقصرا عن حصر بعض فخرها .ولقدصح لمحبيه أن ينشدوا فيه، وعلى تفنن واصفيه بحسنه، يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف ثم قال : ولابن الخطيب الأندلسي:

مدحتك آيات الكتاب فما عسى   يثني على علياك نظم مديـــح

وإذا كتاب الله أثنـــــى مفصحا   كان القصور قصاروكل فصيح.

قال : وقد رأي العارف بالله،المحقق، السراج ابن الفارض السعدي في النوم رضي الله عنه، فقيل له لما لا مدحت النبي صلى الله عليه وسلم أي بالتصريح وإلا فنظمه في الحقيقة إما في الحضرة الإلهية[2]أوفيه صلى الله عليه وسلم.

أرى كل مدح في النبي مقصرا   وإن بـــالغ المثني عليه وأكثرا.

إذا الله أثنى بالذي هو أهلــه   عليه فما مقدار ما يمدح الورا

[1]- {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوإليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون}.المائدة 35.

[2]- الحضرة الإلاهية:عند الصوفية هي تجلي الحق للعبدوهي ذات الحق وأفعاله وصفاته وهي مقابلة للحضرة الإنسانية.انضرسعادالحكيم:المعجم الصوفي،دار ندرة للطباعةوالنشر،1401هـ،1981م.ص327و رفيق العجم:مصطلحات التصوف.مكتبة لبنان،بيروت،1999م،ط1،ص289.

ثم قال البدر الزركشي[1]: ولهذا لم يتعاط فحول شعراء المتقدمين كأبي تمام[2] والبحتري[3] وابن الرومي[4] في مدحه وكان مدحه صلى الله عليه وسلم أصعب ما يحاولونه فإن المعالي وأن جلت دون مرتبته والأوصاف وإن كملت دون وصفه وكل علو في حقه تقصير،فيضيق البليغ النظام،فلا يبلغ إلا قلا من كثير انتهى .

وللعارف بالله البسيري رحمه الله[5]:

إنــي اهتديت من الكتاب بآية — فعلمت أن علاه ليس يـــظاها

ورأيت فضل العالمين مـــحددا — وفضائل الـــــمختار لا تتناها

كيف السبيل إلى تقصي مديح — من قال الا له فيه حسبك جاها

إن الذين يبايعونك إنـــــما — فيـــما يـــقول يبايعون الله

ونسب لابن جزي المفسر الأندلسي الغرناطي[6] :

أروم إمتداح المصطفى فيـــصدني — قصور عن إدراك تلك الـــمناقب

ومن لي بحصر البحر والبحر زاخر — ومن لي بإحصاء الحصى والكواكب

ولو أن أعضائي غدت السنا إذا — ما بلغت في مدح بعـــض المآرب

ولو أن كل العالمين تآلـــفوا على — مدحه لم يبلغوا بعـــــض واجب

فأمسكت إجلالا له ومـــــهابة[7] — وخوفا وإعظاما لأرفـــع جـــانب

---

[1]- البدر الزركشي، الفقيه الشافعي،ت794هـ.تقي الدين المقريزي:السلوك لمعرفة دول الملوك.تح،محمد عبد القادر عطا،دار كتب العلمية،بيروت،لبنان. 1418هـ-1997.ط1، ج5،ص330.

[2]- أبي تمام:حبيب بن أوس بن الحارث الطائي،(190هـ-235هـ) .شاعر عربي قديم ولد بجاسم من أعمال دمشق وتوفي بالموصل.أنظر الوافي بالوافيات، ج27،ص271.

[3]- ابن الرومي:أبو الحسن علي بن العباس بن جريج (221-283هـ).انظر السير للذهبي،ج10،ص497.

[4]- البحتري:أبوعبادة الوليد بن عبيد الطائي الشاعر المشهورولد بمنبج،205هـ وتوفي285هـ.نفس المصدر، ج27،ص271.

[5]- البسيري: لم أجده

[6]- ابن جزي:محمد بن أحمد بن محمد الأندلسي:ت741هـ.انظر لسان الدين بن الخطيب:الإحاطة في أخبار غرناطة.تح يوسف علي الطويل،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان.ط1، 1424هـ-2003م.ج3،ص10وما بعدها.

[7]- في ب وتأدبا.

وربما كلام فيه لـــــــعاتب ورب سكوت كان فيه بلاغة

ولابن الخطيب السلماني :

ماذا يقول المادحون وما عسى أن يجمع الكتاب من معناك

والله لو أن البحار مدادهـــم والعشب أقلاما جـعلن لذاك

لم تقدرالثقلان تـــجمع ماله كلا وما استطاعوا لـه إدراك

وينسب له أيضا :

يا مصطفى من قبل نشأة آدم والكون لم تفتح له اغلاق

أيروم مخلوق ثناءك بعـــــدما أثنى على أخلاقك الخلاق

يشير إلى قوله تعالى :{وإنك لعلى خلق عظيم [1]}فانظرإلى هذه الآية و نظر أيها التى وقع فيها القسم من المولى جل جلاله لجناب هذا المصطفى صلى الله عليه وسلم .وثنائه فيها عليه .فوصفه سبحانه بالخلق العظيم وأقسم على ذلك على تنزيهه عما غمصته الكفرة به .والخلق في الآية قيل القرآن،وقيل الإسلام،وقيل الطبع الكريم وقيل، ليس لك همة إلا الله .ومن تتبع نظائرها في القرآن وجدها كثيرة، فلما كان الله هو الذي تولى الثناء على ذلك المنصب الأعلى والقدر الأسمى،ونوه بذكره وعظم سنى مجده، وخصه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط بزمام .وأثنى على أخلاقه وشمائله وأدابه بما لا يستوعبه الكلام،ولا يأتي عليه الحصر لذوي الأفهام .وقرن ذكره بذكره في الأذان في غيب الملكوت وكتب اسمه في عالم الجبروت. وطهر وزكى ومدح ووفى وفخم رفيع جنابه، ومجد عنصره .أي شيء يبقى بعد ذلك المتكلم، مجتهد عاكف أو بليغ باذل وسعه عارف، لكن أقول المراد لا يخفى على ذي بال والباعث ظاهر لأهل الكمال والداعي بارز للعيان والمقصود معروف عند أهل البصيرة والبيان. والمطلوب مبذول لأهل هذا الشأن متيسر لأهل الصفا والوفا والإحسان،قد ناله من فيض جوده ومن نواله الذي لا يمنع سائله ولا يخيب آمله، قال البوصيري:

إن لله رحمة وأحق الناس منه بالرحمة الضعفاء

[1]- القلم 4.

اللهم يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين امنحنا ذلك و أفض علينا ما هنالك .

ثم اعلم أن الأحاديث الدالة على فضله على سائر الخلق كثيرة معلومة في كتب أئمة الحديث فلا نطيل بذلك كقوله صلى الله عليه وسلم (أنا سيد ولد آدم ولا فخر)[1] وغيره مما هو مشهور وصريح في كون النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق أجمعين وخصوصا الأنبياء والمرسلين و الملائكة عليهم السلام، ولا خلاف في ذلك قال الشيخ أبو عبد الله البكي[2] : أما الملائكة فللإجماع على النقل الصحيح،وأما على الأنبياء والرسل فلوجوه.الأول قوله عز وجل (كنتم خير أمة أخرجت للناس)[3] دلت هذه الآية على أن هذه الأمة خير الأمم وخيرية الأمة بخيرية نبيها . فيكون عليه السلام خير الأنبياء وهو المطلوب، وأيضا قوله عليه السلام (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) لا يقال يخرج من العموم آدم إذ لم تكن سيادة عليه بهذا الحديث، لأنا نقول ترك آدم أدبا والمقصود التعميم إذ المقصود من بني آدم هذا الجنس الإنساني أو نقول ثبتت سيادته على إبراهيم وموسى وعيسى وليس هو بأقوى سيادة منهم،فهو سيد الجميع وهو المطلوب، ذكر دليل آخرحاصله أن النبي صلى الله عليه وسلم مختص بأعلى الكمال والتكميل وكل ماهو مختص باعلى الكمال والتكميل فهو أفضل فهو صلى الله عليه وسلم أفضل.

قال:وهذا برهان عقلي إذ وسطه علة في العلم والوجود معا، وتحقيق مقدماته[4] مابسطناه وذكر ذلك قبل هذا فراجعه فيه وذكر دليل للصوفية. وأما ماوقع في الأحاديث من النهي عن التفضيل بين الأنبياء فأجيب عنه بأجوبة ثلاثة أحدها:أن التخيير المنهي عنه هو التخيير المؤدي إلى النقص أي نقص المفضول عن الفاضل. والثاني : أن معناه لا تقدموا على ذلك بأهوائكم وأرائكم بل بما أتاكم الله من البيان[5] والثالث أن النهي بالنظر إلى النبوة والرسالة فإن شأنهما لا يختلف بإختلاف الأشخاص، بل كلهم في ذلك سواء،وإن اختلفت مراتبهم إنتهى من القسطلاني بالمعنى، عند قوله صلى الله عليه وسلم (لا تخيروني من بين الأنبياء)[6].

---

[1]- حديث صحيح أورده أحمد في مسنده،61/4وابن أبي عاصم في كتاب السنة،369/2.والآجري في الشريعة،1495/4وسنن ابن ماجة،1440/2.

[2]- أبو عبد الله البكي: لم أجده

[3]- آل عمران 110.

[4]- في ب تحقيق مقدمتيه

[5]- في ب من البينات

[6]- صحيح البخاري، رقم6917،تح محمد بن محمد الناصر،دار طوق النجاة،1422،ط1، ج6ص59.وعبد الرحمن بن الجوزي:كشف المشكل من حديث الصحيحين،تح علي حسن البواب،دار الوطن الرياض.ج3ص144.وابن بطال:شرح صحيح البخاري تح أبو الحسن علي،دار الرشد،الرياض،السعودية . 1423هـ-2003م. ط2، ج6ص534.و بدر الدين العيني الغيتابي :عمدة القاري شرح صحيح البخاري.دار إحياء التراث العربي بيروت.ج18ص239.و أحمد بن محمد القسطلاني :إرشاد الشاري شرح صحيح البخاري .المطبعة الكبرى الأميرية،مصر 1323هـ،3ط ج7ص128.

ويذكرون جوابا آخر عند هذا وهو التفضيل المنهي عنه التفضيل بالخصائص و الأقيسة،لأن المزايا لا تقتضي التفضيل بل هو محض إصطفاء من الله تعالى بحكم مشيئة السابقة* وإلا فالتفضيل واقع بنص القرآن قال تعالى {تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله[1]} وهو موسى عليه السلام {ورفع بعضهم درجات[2]} وهو محمد صلى الله عليه وسلم وعلى كل حال فأفضلية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لا خلاف فيها بين الأمة .

اللهم يارب بجاه أشرف مخلوقاتك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كمل مقصودنا ووفي مرغوبنا آمين يارب العالمين انتهى ما يتعلق بهذا الفصل بتمامه يتوجه الكلام على الفصل الرابع فنقول :

الفصل الرابع :في فضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم.

اعلم أن أمة النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الأمم وآخيرها وأكرمها عند الله وعدوا ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم قال العراقي[3] في ألفيته التي في السير : وأمته في الناس أفضل الأمم معصومة من الظلال بعصم. وقال البوصيري رحمه الله في بردته

بشرى لنا معشر الإسلام إن   لنا من العناية ركن غير منهدم

لما دعا الله داعنا لطـــاعته   باكرم الرسل كـــنا أكرم الأمم

والدليل على أنها أفضل الأمم أمور،أحدها قوله تعالى {كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله[4]} فدلت هذه الآية على أن هذه الأمة هي خير الأمم، والثاني قوله تعالى {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا[5]}.

* لاشك أن النبي صلى الله عليه وسلم هو أفضل النبيين وقد حث النبي على عدم تخييره من الأنبياء تواضعا منه وأن لا يؤدي ذالك إلى إنتقاص باقي الأنبياء.

[1]- البقرة 253.

[2]- البقرة 253.

[3]- في الأصل القرافي وفي ب العراقي وهو الصحيح وهو عبد الرحيم العراقي (725-806هـ) المصري الشافعي يعرف بالعراقي له نظم الدرر السنية في السيرة الزكية.

[4]-.آل عمران 110.

[5]- سورة البقرة 143

قال أبو الحسن القابسي[1]في هذه الآية، وكما هديناكم فكذلك خصصناكم،وفضلناكم بأن جعلناكم أمة خيارا عدولا، لتشهدوا للأنبياءعلى أممهم ويشهد لكم الرسل بالصدق. والثالث أن الله تبارك وتعالى أسماهم بإسمين مشتقين من اسمين له تبارك وتعالى {قل هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا[2]} ومن أسمائه تعالى السلام،وهو أي تسميتهم بالمسلمين مختص بهم دون من قبلهم من الأمم، وقد ألف الجلال السيوطي تأليفا أسماه "إتمام النعمة بإختصاص الإسلام بهذه الأمة " ورد على من قال أنه يطلق على الأمم الماضية .قال السيوطي: وإنما كان يطلق على أنبيائهم وأجاب عن الآيات المناقضة لما تقدم كقوله تعالى {الذين أتيناهم الكتاب من قبله}[3].

إلى قوله { إنا كنا من قبله مسلمين[3]} ونحوها .الإسم الآخر المؤمنون سماهم به في القرآن في موضع، ومن أسمائه المؤمن الرابع أن الله تبارك وتعالى خاطبهم في القرآن وناداهم باسم الإيمان .

قال تعالى {ياأيها الذين آمنوا } فنسب فعله إليهم وأثبته لهم ،وكانت الأمم الماضية يناديها في كتابها وتخاطب بيا أيها المساكين وشتان ما بين الخطابين وهذا في غاية التشريف والتعظيم لهم .والخامس أن الله تعالى وتبارك قال للرسل{ كلوا من الطيبات [4]} وقال لهذه الأمة { كلوا من الطيبات [5]}قاله السمرقندي[6].

والسادس ماوقع من ذكرهم في الكتب المتقدمة والتنويه بهم وأثنى عليهم وسماهم الحمادين .أخرج السمرقندي عن مقاتل بن سليمان[7]، أن موسى عليه السلام قال : ربي إني أجد في الألواح أمة هم الشافعون و المشفعون فاجعلهم أمتي، قال هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، قال ربي إني أجد في الألواح أمة كفارة خطاياهم الصلوات الخمس فاجعلهم أمتي، قال هم أمة أحمد، قال ربي إني أجد في الألواح أمة يقتلون[8] أهل الضلالة حتى يقتلون الأعور الدجال فاجعلهم أمتي، قال هم أمة أحمد، قال ربي إني أجد في الألواح أمة طهارتهم الماء والتراب فاجعلهم أمتي، قال هم أمة أحمد، قال ربي إني أجد في الألواح امة يأخذون الصدقات ويأكلونها وكان الأولون يحرقونها بالنار فاجعلهم أمتي، قال هم أمة أحمد،قال ربي إني أجد في الألواح أمة، إذا هم أحدهم بحسنة فلم

[1]- أبو الحسن القابسي: الزاهد الورع الفقيه (324-403هـ).السير للذهبي ج17ص110.

[2]- القصص52

[3]- تمام الآية{الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يومنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إناكنا من قبله مسلمين}.القصص52،53

[4]- المؤمنون 51.

[5]- لاتوجد آية بهذا اللفض للمؤمنين وإنما قوله تعالى {يا أيها الذين آمنواكلوا من طيبات ما رزقناكم }البقرة 172.

[6]- السمرقندي:نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيمأبو الليث السمرقندي له تفسير في القرآن ت393 .أنظر أبو الفدا زين الدين بن قطلوبغا السودوني:تاج التراجم في طبقات الحنفية.تح محمد خير رمضان يوسف،دار القلم دمشق،1992،1413.ص310.

[7]- مقاتل بن سليمان:أبو الحسن البلخي من أعلام المفسرين أنظر الأعلام للزركاي،ج7،ص281.

[8]- في ب يقاتلون.

يعملها، كتبت له حسنة واحدة وإذا عملها كتبت له عشرة حسنات إلى سبعمائة ضعف فصاعدا، وإذا هم أحدهم بسيئة لم يكتب عليه شيء ،[فاذا عملها كتبت عليه سيئة واحدة[1]]فاجعلهم أمتي، قال هم أمة أحمد، قال ربي إني أجد في الألواح .أمة يدخل منهم سبعون ألفا الجنة بغير حساب فاجعلهم أمتي، قال هم أمة أحمد صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك ما روى الجلال السيوطي من طريق أبي نعيم عن سعيد بن هلال أن عبد الله بن عمر قال لكعب أخبرني عن صفة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، قال أجدهم في كتاب الله، أن أحمد وأمته حمادون يحمدون الله على كل خير وشر، ويكبرون الله على كل شيء يسبحون الله في كل منزل نداءهم في جو السماء لهم دوي في صلاتهم كدوي النحل على الصخر، و يصفون في صلاتهم كصفوف الملائكة ويصفون في القتال كصفوفهم في الصلاة إذا غزو في سبيل الله كانت الملائكة بين أيديهم ومن خلفهم برماح شداد إذا حضروا الصف في سبيل الله كان الله عليهم مظلا وأشار بيده كما تظل النسور على وكورها لا يتأخرون زحفا أبدا،حتى يحضر جبريل عليه السلام .

وأخرج أبو النعيم في الحلية عن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أوحى الله إلى موسى بني إسرائيل أنه من لقيني وهو جاحد بأحمد أدخلته النار قال : يارب ومن أحمد ؟ قال : ماخلقت خلقا أكرم علي منه، كتبت إسمه مع إسمي في العرش قبل أن أخلق السموات والأرض، وأن الجنة محرمة على جميع خلقي حتى يدخلها هو و أمته .قال : ومن أمته،قال الحمادون يحمدون صعودا وهبوطا على كل حال، يشدون أوساطهم ويطهرون أطرافهم صائمون بالنهار، رهبان بالليل، أقبل منهم اليسر وأدخلهم الجنة بشهادة أن لاإله إلا الله، قال اجعلني نبي تلك الأمة قال :نبيها منها قال : اجعلني من أمة ذلك النبي، قال استقدمت وإستأخروا ولكن سأجمع بينك وبينهم في دار الجلال[2] . انتهى.

وكانت توبتهم بقتل النفس فخفف الله عنا ذلك بالإقلاع والندم،وأكرمها أيضا بكونها تعمل العمل القليل وتأجر الأجر الكثير، أخرج البخاري عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنما بقاؤكم في من سلف قبلكم من الأمم بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى إذا انتصف النهار عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين فقال أهل

---

[1]- ساقطة من أ .

[2]- لم أجده في كتب الحديث.

الكتابين أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين، وأعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن كنا أكثر عملا . قال الله هل ظلمتكم من أجركم من شيء قالوا لا قال فهو فضلي أوتيه من أشاء[1] .

أكرمهم أيضا بدخول سبعين ألفا الجنة منهم بغير حساب أخرجه البخاري .إلى غير هذا مما هو مذكور في كتب الأمم الماضية مما يدل على تفضيلهم وشرفهم، ويقال أن الله أكرم هذه الأمة بخمس كرامات .أولها : أن الله خلقهم ضعفاء حتى لا يتكبرون والثانية .: أنه خلقهم صغارا حتى تكون مؤونة الطعام والشراب عليهم أقل.والثالثة جعل عمرهم قصيرا حتى تكون ذنوبهم أقل.الرابعة : جعلهم فقراء حتى يكون حسابهم في الآخرة يسير.والخامسة جعلهم آخر الأمم حتى يكون بقاؤهم في القبر أقل .وأكرمهم أيضا برفع الإصر الذي كان على الأمم قبلهم، وكانوا إذا أصاب ثوب أحدهم نجاسة قرضها بالمقراض فخفف الله عنا ذلك .قال القسطلاني في الحديث،وعند الكلاباذي[2] في معاني الأخبار، بسند رواه عن عائشة رضي الله عنها (أتاني آتمن ربي فبشرني أن الله يدخل من أمتي سبعين ألف بغير حساب ولا عذاب، ثم أتاني فبشرني أن الله يدخل من أمتي مكان كل واحد من السبعين ألف سبعين الفا بغير حساب ولا عذاب،ثم أتاني فبشرني أن الله يدخل من أمتي مكان كل واحد من السبعين المضاعفة سبعين ألفا بغير حساب ولا عذاب، فقلت : يارب لا يبلغ هذا أمتي، قال أكملهم من الأعراب مما لا يصوم ولا يصلي)[3].

قال الكلاباذي المراد بالأمة أولا أمة الإجابة، وبقوله :آخر أمتي الإتباع فإن أمته صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أقسام أحدها أخص من الأخرى أمة الإتباع ثم أمة الإجابة ثم أمة الدعوة[4].

فالأولى:أهل العمل الصالح **والثانية** :مطلق المسلمين **والثالثة** : فمن عداهم من بعث إليهم وهذا كله من فضائل هذا النبي الكريم الرؤوف بالمؤمنين الرحيم المبعوث للناس رحمة فالحمد لله الذي بعثه رحمة وأنقذ به خلقه واسبغ علينا نعمة والشكر له على ماولانا من فضله وكرمه بإرساله سيد العالمين وأعطانا خصائص من أجله لم تكن للأولين اللهم صلي وسلم عليه عدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك ولأجل هذه الخصائص والفضائل رحمك الله، تمنت أولوا العزم من الرسل كإبراهيم وموسى وسألت الحق جل جلاله أن يجعلهم من أمته،

[1]-أورده البخاري في صحيحه رقم557.ج1ص116.

[2]- الكلاباذي:أحمد بن محمد ين الحسن ابو نصر الكلاباذي (323-398هـ) انظر الأعلام للزركلي.ج1ص210. والسير للذهبي.ج17ص94.

[3]- الحديث لم أجده بهذا اللفض والحديث الشهير في هذا الباب ما ذكره البغوي في شرح السنة(سبعون ألفا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين لا يكتوون ولا يكوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون.)تح شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش،المكتب الإسلامي دمشق،بيروت.1403هـ-1983م.ج41ص299.وذكره البزار في مسنده،رقم6398،ج13ص65.وأحمد في مسنده،ج13ص390.

[4]- ثم أمة الدعوة ساقطة من ب.

اللهم يارب بحق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أمتنا على حسن الخاتمة أسكنا في جواره وبمن آمن بهمن غير حساب ولا عقاب ولا توبيخ ولا عتاب وأكفنا هم الدنيا وعذاب الآخرة آمين يا رب العالمين.

قلت :وعلى تفضيل أمة النبي صلى الله عليه وسلم .فالقرن الأول وهم أهل زمانه أفضل مما يليه ثم الطبقة الثانية أفضل من الثالثة وهكذا. وقد أخبر بذلك صلى الله عليه وسلم، روى البخاري في صحيحه في كتاب المناقب عن إسحاق عن شعبه عن ابي حمزة عن زهدم بن مضرب عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)[1]فالطبقة الأولى الصحابة،والثانية التابعون، والثالثة أتباع التابعين قال القسطلاني :

هذا صريح في أن الصحابة أفضل من التابعين وأن التابعين أفضل من تابع التابعين، وهذا مذهب الجمهور، قال وذهب ابن عبد البر[2] الى أنهقد يكون فيمن يأتي بعد الصحابة أفضل ممن كان في جملة الصحابة. فإن قوله عليه السلام (خير الناس قرني)[3] ليس على عمومه بدليل أن القرن يجمع بين الفاضل والمفضول وقد جمع قرنه عليه الصلاة والسلام جماعة من المنافقين المظهرين للإيمان،وأهل الكبائر الذين أقام عليهم وعلى بعضهم الحدود. وقد روى أبو أمامة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال (طوبي لمن رآني وطوبي سبع مرات لمن لم يراني وآمن بي)[4].

وفي مسند أبي داوود الطيالسي عن محمد بن أبي حميد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر قال :كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (أتدرون من الخلق أفضل إيمانا، قلنا الملائكة، قال وحق لهم بل غيرهم، قلنا الأنبياء، قال وحق لهم بل غيرهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق إيمانا، قوم في أصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني، فهم افضل الخلق إيمانا)[5]. وروى الإمام أحمد والدارمي والطبراني عن أبي عبيدة قيل (يارسول الله

---

[1]- لم أجده بهذا اللفض.

[2]- ابن عبد البر: أبو عمر بن يوسف حافظ المغرب (368-463هـ) أنظر الذهبي تذكرة الحفاض،دار الكتب العلمية بيروت لبنان،1419هـ-1989م.ط1،ج3؛صص 217-218.

[3]- أورده البخاري في صحيحه رقم2652.

[4]- لم أجده بهذا اللفض.

[5]- أورده ابن حجر في الفتح،في باب فضائل الصحابة،وقال ضعيف .انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري تحمحب الدين الخطيب،دار المعرفة بيروت1379. ج7،ص6.

هل أحد خير منا،أسلمنا معك وجاهدنا معك، قالقوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني)[1] وإسناده حسن، وفي آخر(هل أحد خير منا ؟ قال قوم يجيؤون بعدكم فيجدون كتابا بين لوحين يؤمنون بما فيه ويؤمنون بي ولم يروني ويصدقون بما جئت به ويعملون به، فهم خير منكم)[2]قال أبو عمر :رواته كلهم ثقات.

وأخرج أحمد بسند حسن من حديث أبي ذر (أشد أمتي حبا قوم يكونون بعدي، يود أحدهم أنه فقد أهله وماله ورآني) وأخرج مسلم والحاكم عن أبي هريرة (من أشد أمتي لي حب أناس يكونوا بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله)[3] فهذه الأحاديث كلها تدل على مقالة ابن عبد البر، لكن المشهور الذي صرحت به الأنبياء خلاف ذلك، قال العراقي[4] في ألفيته :

أصحابه خير القرون في   الملا كتابه المحفوظ ان يبدلا

قال القسطلاني :والحق ما عليه الجمهور لأن الصحبة لا يعدلها شيء .على أن كلام ابن عبد البر ليس على إطلاقه، في حق جميع الصحابة فإنه صرح في كلامه بإستثناء أهل بدر والحديبية. والذي يظهر أن محل النزاع يتمخض فيمن لم يجعل له إلا مجرد المشاهدة،أما من قاتل معه أوفي زمانه بأمره او أنفق شيئا من ماله بسببه أو سبق إليه بالهجرة أو في النصرة وضبط الشرع المتلقى عنه،وبلغه لمن بعده فلا يعدلهفي الفضل أحد،بعد كائنمن كان إنتهى ..وعلى كل حال فهذه الأمة فضلها ثابت وخيرها واضح سواء القرن الأول أم غيره كما تقدم قبل والله الموفق سبحانه بمنه[4] .

الفصل الخامس :

إعلم أن فضل النبي صلى الله عليه وسلم وكرامته عند ربه وما خصه به وما خص أمته بسببه ان جعل الله امته معصومة من الظلال وان طائفة فيها لا تزال ظاهرة غالبة لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة، أخرج البخاري عن عبد الله بن موسى عن إسماعيل عن قيس عن المغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : (لا

---

[1]- أورده الحاكم في المستدرك على الصحيحين وقال الذهبي في تعليقه عليه حديث صحيح.،دار الكتب العلمية بيروت 1411هـ-1990م،تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ج4،ص95.

[2]- أورده ابن عبد البر القرطبي في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد.تح مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد البكري،مؤسسة قرطبة، ج20،ص249.

[3]- قال الألباني حديث صحيح. رقم 3438،انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها.مكتبة المعارف للنشر،الرياض.2004-1422م، ج7،ص1291.

[4]- الحافظ زين الدين العراقي(875-806هـ) انظر الذهبي:الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة.تح محمد عوامة،دار القبلة للثقافة الإسلامية،جدة،1413هـ-1992. ج1،ص108.

تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون)[1] فدل هذا الحديث على خيرية الأمة وأفضليتها ولا تزال هذه الطائفة فيها موجودة ظاهرين أي معاونين أو غالبين وعالمين على إختلاف في تفسير قوله ظاهرين حتى يأتيهم امر الله وهو قيام الساعة.

وهذه الطائفة موجودة في كل عصر من الأعصار يدفع الله بهم عن الأمة حلول البأس والأضرار أما خبر:(لاتقوم الساعة إلا على أشرار الناس)[2]،المخرج في حديث مسلم .فقد أجبت عنه بأن المراد من أشرار الناس الذي تقوم عليهم الساعة،قوم يكونون بموضع مخصوص وموضع آخر تكون طائفة فيه يقاتلون على الحق.

قال الكرماني[3] في الجواب عنه : يعني الشرار هم الأغلب .فلا ينافي وجود الطائفة القائمة بالحق، وقال وفيه حجة على إمتناع خلو عصر من مجتهد،وكون الطائفة فيها الأقطاب والأبدال والنجباء والأوتاد والأعراف وغيرهم، أمرا آخر شيء لا يحتاج إلى دليل. وقد أنكر بعضهم ذلك وقال لم يرد فيه شيء، قال بعض شراح الشفا، على الحديث المروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو قوله(كل نبي أعطي سبعة نجباء ونبيكم صلى الله عليه وسلم أعطي أربعة عشر نجيبا). ما نصه هذا له حكم الرفع لأن مثله لا يقال بالرأي، وستأتي رواية أبي نعيم له مرفوعا،والنجباء جمع نجيب وهو الكريم الحسيب ويكون بمعنى الرفيق المعين في المهمات والشدائد، وقوله ونبيكم صلى الله عليه وسلم " أعطي اربعة عشر نجيبا أويكون بمعنى الرفيق المعين في المهمات والشدائد، وقوله ونبيكم صلى الله عليه وسلم " أعطي اربعة عشرنجيبا أي يحتاج إلى كثرة وزرائه. والمراد بهؤلاء كما رواه أبو نعيم عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(لم يكن نبي إلا وأعطي سبعة رفقاء نجباء ووزراء وإني قد اعطيت أربعة عشر وهم :

حمزة وجعفر وعلي وحسن وحسين وابو بكر وعمر وعثمان وعبد الله بن مسعود و أبوذر و المقداد وحذيفة وعمار وسليمان، وفي رواية بلال) وقد وقع في تعيينهم خلاف .

---

[1]- رواه مسلم في صحيحه انظر مسلم بن الحجاج النيسابوري:الجامع الصحيح.دار الجيل بيروت،ج6،ص53.

[2]- رواه مسلم في صحيحه،ج4ص2268وأحمد في مسنده،ج6ص280.وأبي داود الطيالسي في مسنده،تح عبد المحسن التركي،دار هجر مصر،1419-1999.ج2،ص461.

[3]- الكرماني:شاه بن شجاع أبو الفوارس من أبناء الملوك مات قبل الثلاثمائة الهجرية.انظر ابن الملقن سراج الدين:طبقات الأولياء.نح نور الدين شريبة،مكتبة الخانجي،القاهرة. 1415هـ-1994م.ط2،ج1ص360.وعبد الوهاب الشعراني:الطبقات الكبرى.مكتبة محمد المليجي الكتبي،مصر،1315.ج1ص77.

أقول وبعد عصره صلى الله عليه وسلم خليفته القطب ووزراؤه النجباء والنقباء والبدلاء ومن فسر الأربعة عشر بغير هؤلاء لم يصب رواية ولا دراية. وقد ورد التصريح بهؤلاء في أحاديث جمعها السيوطي في رسالة مستقلة : قال ومن العجب أن هذا مع أنه متفق عليه بين أهل الشرع والحكم. كما قال صاحب الاشراق في كتابه، لابد لله من خليفة في أرضه وأنه قد يكون متصرفا ظاهرا فقط كالسلاطين وباطنا كالأقطاب ويجمع بين الخلافتين كالخلفاء الراشدين كأبي بكر وعمر ابن عبد العزيز و قد أنكره بعض الجهلة في زماننا .

قال ذو النون[1]: النقباءثلاث مائة والنجباء سبعون والبدلاء أربعون والأخيار سبعة والعمد أربعة والغوث واحد، وحكى أبو بكر المطوعي[2] عمن لقي الخضر[3] عليه الصلاة والسلام أنه قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بكت الأرض إلى ربها وقالت: إلهي وسيدي بقيت لا يمشي علي نبي إلى يوم القيامة، فقال الله أجعل على ظهرك من هذه الأمة من قلوبهم على قلوب الأنبياء لا أخليك منهم فقالت له كم هم، فقال ثلاثمائة وهم الأولياء، وسبعون وهم النجباء وأربعون وهم الأوتاد وعشرة وهم النقباء وسبعة وهم العرفاء وثلاثة وهم المختارون وواحد وهو الغوث فإذا مات الغوث نقل من الثلاثة واحد فجعل الغوث. ونقل من السبعة واحد وجعل في الثلاثة مكان الثالث ونقل من العشرة إلى السبعة ومن الأربعين إلى العشرة ومن السبعين إلى الأربعين ومن الثلاثمائة إلى السبعين ومن سائر الخلق إلى الثلاثمائة وهكذا إلى أن ينفخ في الصور إنتهى منه .

قلت: وقد ألف الجلال السيوطي تأليفا كما أشار اليه هذا الشارح في كلامه المتقدم في ذالك،أسماه الخبر الدال على وجود الأقطاب والأوتاد والأبدال.ورد على من أنكر وجودهم،وإستدل بأحاديث كثيرة على ذلك وذكر حكايات .

فمن الأحاديث ماروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه ذكر عنده أهل الشام وهو بالعراق، فقالوا العنهم ياأمير المؤمنين.فقال : لا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :(الأبدال بالشام وهم أربعون

---

[1]- ذو النون المصري:(157-245هـ)ثوبان بن ابراهيم الاخميمي أبو الفيض أنظر عبد الحي العكري:شذرات الذهب.ج2،ص108.ووفيات الأعيان.ج1،ص315.

[2]- أبو بكر المطوعي:يعقوب بن يوسف بن أيوب،من أصحاب أحمد،ت207هـ.انظر برهان الدين ابن مفلح:المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد،تحعبد الرحمن بن سليمان العثيمين،مكتبة الرشدالرياض،1410هـ،1990م.ج3،ص125.

[3]- الخضر:صاحب موسى عليه السلام، قيل أنه من أنبياء بني إسرائيل كما في تفسير الطبري،انظر تفسير الطبري تح مكتب التحقيق بهجر،دار هجر،مصر،ط1، ج14،ص490.

وقال الكاشاني:عالم أهل الأرض ورئيس الأبدال،من جنود الله في الأرض،ولا دليل عقلي ولا نقلي على أنه شخصا إنسانيا باق منذ موسى عليه السلام وإنما هو روح القدس كناية عن البسط والقبض أنظر الكاشاني :معجم اصطلاحات الصوفية. تح عبد العال شاهين،دار المنار، القاهرة،1413هـ-1992م،ط1ص179.

كلما مات رجل منهم ابدل الله مكانه رجلا يسقى بهم الغيث وينصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام العذاب) رجاله رجال الصحيح عن شريح، وفي رواية ابن عساكر : الأبدال بالشام يكونون وهم اربعون رجلا بهم تسقون الغيث وبهم تنصرون على أعدائكم ويصرف عن أهل الأرض البلاء والغرق، وفي رواية بن أبي الدنيا : (صفهم لي يا رسول الله، قال ليس بالمتنطعين ولا بالمبتدعين ولا بالمتعمقين لم ينالوا ما نالوا بكثرة صيام ولا صلاة ولا صدقة، ولكن سخاء النفس وسلامة القلوب والنصيحة لأئمتهم)، ومن طريق الحاكم في المستدرك . (لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم الأبدال والنجباء بالكوفة)وفي رواية عن أنس بن مالك (البدلاء أربعون رجلا إثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق وكلما مات منهم واحد أبدل الله مكانه آخر فإذا جاء الأمر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة)،أخرجه الترمذي في نوادر الأصول،إنتهى من التأليف المذكور وبقيت أحاديث أخرى له[1].

وذكر من الحكايات ماأخرجه القشيري[2] في الرسالة بسنده عن بلال الخواص[3] قال : كنت في بيت بني إسرائيل فإذا رجل يماشيني فتعجبت وألهمت أنه الخضر عليه السلام، فقلت له : بحق الحق من أنت قال أخوك الخضر قلت أريدأن أسألك،قلت ماتقول في الشافعي[4]قال هو من الأوتاد .قلت ما تقول في أحمد بن حنبل[5]، قال رجل صديق قلت ما تقول في بشر الحافي[6]، قال لم يخلف بعده مثله، قلت فبأي وسيلة رأيتك قال ببرك لأمك.

ومنها ما أخرجه الإمام أحمد بن الزهر بن أبي الدنيا[7] وأبو نعيم[8]

---

[1]- هذه الأحاديث التي استدل بها المؤلف كلها رويت بغير إسناد أو أسانيد ضعيفة،وحديث علي المذكور أقوى مافي هذا الباب في إثبات هذا الإعتقاد،ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم لانقطاعه كما قال بن تيمية في مجموع الفتاوي.أنظر مجموع الفتاوي،تح أنور الباز وعامر الجزار،دار الوفا،1426هـ-2005م.ج11،ص167.

[2]- القشيري:أبو القاسم(377-465هـ) صاحب الرسالة والتفسير من العرب الذين قدموا خراسان. ابن قاضي شهبة:طبقات الشافعية،ج1،ص254.

[3]- :بلال الخواص:من متأخري الصوفية ببيت المقدس أنظر الصفدي: الوافي بالوافيات.ج3، 324.

[4]- الشافعي :محمد بن إدريس صاحب المذهب الفقهي، العلامة،ت204،أنظر ابن مفلح: المقصد الأرشد.ج2،ص368.

[5]- أحمد بن حنبل، الإمام،ت241هـ.انظر يحي ابن معين:تاريخ ابن معين.تح أحمد محمد نور يوسف،مركزالبحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي،مكة المكرمة،1399هـ-1979م،ط1،ج3، ص68.

[6]- بشر الحافي:(150-277هـ)من كبار رواة الحديث،أنظر ابن الملقن،طبقات الأولياءج1، ص117.والزركلي:الأعلام،ج2 ص54.

[7]- ابن أبي الدنيا:عبد الله بن محمد القرشي،(208-281هـ) الحافظ .الزركلي:الأعلام ج4، ص118. والذهبي:السير. ج13، 397.وابن أبي يعلى:طبقات الحنابلة.،تح محمد حامد الفقي،دار المعرفة بيروت،ج1،ص131.

[8]- أبو نعيم حافظ ومؤرخ من أصبهان(336-430).الزركلي:الأعلام،ج1، ص157.

والبيهقي[1]وابن عساكر[2] عن جليس وهب بن منبه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم قلت يا رسول الله أين بدلاء أمتك، فأوما بيده إلى الشام، قلت يا رسول الله بالعراق منهم أحد، قال محمد بن واسع[3] وحسان بن سفيان ومالك بن دينار[4] والذي يمشي في الناس بمثل زهد أبي ذر[5]في زمانه .

ومنها ما أخرجه ابن عساكر وعن أبي مطيع معاوية بن يحي،أن شيخا من أهل مصر خرج يريد المسجد، وهو يرى أنه.قد أصبح فإذا الليل فلما صار تحت القبة، سمع صوت جري الخيل على البلاط فإذا فوارس قد لقي بعضهم بعضا فقال بعضهم من أين قدمتهم، قالوا أولم تكونوا معنا، قالوا بلا، قالوا قدمنا من جنازة البديل خالد بن معدان[6]، قالوا وقد مات، ما علمنا بموته، فمن استخلفتم قالوا أرطأة بن المنذر[7]، فلما أصبح الشيخ حدث أصحابه فقالوا ما علمنا بموت خالد بن معدان فلما كان نصف النهار قدم البريد بموته .

ومنها ما حكي عن كفاية المعتقد لليافعي[8]رضي الله عنه عن بعض أصحاب الشيخ عبد القادر الجيلالي[9]رضي الله عنه قال خرج الشيخ عبد القادر من داره ليلة فناولته إبريقا فلم يأخذه، وقصد باب المدرسة فإنفتح له الباب فخرج وخرجت خلفه ثم عاد الباب مغلقا ومشى غير بعيد فإذا نحن في بلد لا نعرفه فدخل فيها مكانا شبيها بالرباط فإذا فيه ستة نفر فبادروا إلى السلام عليه وإلتجأت إلى سارية هناك وسمعت من ذلك المكان أنينا،فلم نلبث إلا يسير حتى سكن الأنين .ودخل رجل وذهب إلى الجهة التي سمعت بها الأنين، ثم خرج يحمل شخصا على عاتقه ودخل آخر مكشوف الرأس طويل الشارب فجلس بين يدي الشيخ فأخذ عنه الشيخ الشهادتين وقص شعر رأسه وشاربه وألبسه طاقية وسماه محمد .وقال لأولائك النفر قد أمرت أن يكون هذا بديلا عن الميت. فقالوا سمعا وطاعة ثم خرج الشيخ وتركهم وخرجت خلفه ومشينا غير بعيد وأذا نحن عند باب بغداد فإنفتح كأول

---

[1]- ابن عساكر:علي بن الحسن بن هبة الله المؤرخ الحافظ الرحالة من دمشق(499-571هـ).أنظر طبقات الحفاظ للسيوطي.

[2]- محمد بن واسع:توفي 321هـ،انظر الذهبي:سير أعلام النبلاء.ج7، 133.وابن الجوزي:صفوة الصفوة.ج3،ص266.

[3]- محمد بن واسع:البصري فقيه ورع من الزهاد توفي 123هـ.الذهبي،المصدر نفسه،ج6،ص 119.وابن الجوزي:الصفوة.ج3، ص266 وما بعدها.

[4]- مالك بن دينار:البصري،من رواة الحديث،سير أعلام النبلاء.ج5،ص362.والأعلام للزركلي،ج5،ص 260.

[5]- أبي ذر الغفاري،جندب بن جنادةت 23 هـ،من الصحابة رضي الله عنهم.خليفة بن خياط:طبقات خليفة.تح سهيل زكار،دار الفكر،دمشق و عز الدين ابن الأثير:أسد الغابة في معرفة الصحابة.دارإحياء التراث العربي بيروت لبنان.ج1، ص301 وما بعدها.

[6]- خالد بن معدان:بنأبي كرب الكلاعي،تابعي ثقةتوفي 140هـ أنظر الأعلام للزركلي.ج2،ص 299. والسير للذهبي،ج4، 536.وشذرات الذهب لعبد الحي العكري،ج1،ص 226.

[7]- أرطأة بن المنذر:الحمصي ثقة حافظ زاهد توفي 163هـ.أنظر محمد بن قايماز الذهبي:العبر في أخبار من غبر.تح محمد السعيد بن بسيوني زغلول،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان.ج1، ص185.

[8]- اليافعي:عبد الله(698-768هـ) من اليمننزيل مكة وإمام الحرموشيخ الصوفية.رضا كحالة:معجم المؤلفين.ج6، ص34.

[9]- عبد القادر الجيلاني:أو الجيلي أو الكيلاني ابن موسى،(470-561هـ) انظر الشعراني الطبقات الكبرى.تح أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية،2055،ط1،ج1، ص227.

مرة،ثم أتى المدرسة فإنفتح له بابها ودخل داره.فلما كان الغداء أقسمت عليه أن يبين ما رأيت، قال أما البلاد فنهاوند وأما الستة نفر، فهم الأبدال، وصاحب الأنين صاحبهم كان مريضا فلما حضرت وفاته جئت احضره، وأما الرجل الذي خرج يحمل شخصا فأبو العباس أحمد الخضر عليه السلام ذهب به ليتولى أمره وأما الرجل الذي دخل وأخذت عنه الشهادتين فهو رجل من أهل القسطنطنية[1]كان نصرانيا وقد أمرت أن يكون بدلا عن المتوفى، فأوتي به فأسلم على يدي فهو الآن منهم، ثم ذكر الجلال السيوطي فوائد في الكتاب المذكور، فمنها ما أخرجه الشيخ نصر المقدسي[2] في كتاب "الحجة على تارك المحجة " بسنده عن أحمد بن حنبل أنه قيل له أنك من الأبدال السبعة الذين هم أوتاد الأرض، فقال أنا كل السبعة. ومنه أيضا قيل لأحمد ابن حنبل هل لله في الأرض من أبدال؟ قال نعم قيل من هم ؟ قال : إن لم يكن أصحاب الحديث أبدالا ما اعرف لله أبدالا.ومنها،قال سهل بن عبد الله[3]، إنما صارت الأبدال أبدالا بأربعة،قلة الكلام وقلة الطعام وقلة النوم وإعتزال الأنام.قلت وهذه الأربعة التي ذكرها كلية المريد فإذاحصلها نال مقام الأولياء. وقد جمعها الشاعر في قوله :

يا من يـــــــريد منازل الأبدال   من غير قصد منه للأعمال

لا تطمعن فيها فلست منأهـلها   إن لم تزاحمهم على الأحوال

بيـــــــت الولاية قسمت أركانه   سادتنا فيه من الأبـــــدال

ما بين صمت وإعتـــــزال دائم   والجوع والسهر النزيه العال

ثم قال: أخرج أبو نعيم في الحلية عن بشر بن الحارث أنه سئل عن التوكل فقال إضطراب بلا سكون ،رجل يضطرب بجوارحه وقلبه ساكن إلى الله تعالى، لا إلى عمله، وسكون بلا إضطراب، رجل ساكن إلى الله بلا حركة وهذا عزيز وهو من صفة الأبدال .

---

[1]- القسطنطينية:بينها وبين عمورية ستون ميلا عمرها ملك من ملوك الروم يسمى قسطنطين فسميت باسمه وهي متناهية في الكبر مقسمة قسمين بنهر عظيم وأحد القسمين يدعى اصطنبول.انظر ياقوت الحموي:معجم البلدان.دار صادر،بيروت،1995،ط2،ج4، ص374. محمد بن تاويت الطنجي: رحلة ابن بطوطة.أكاديمية المملكة المغربية،الرباط،1417هـ.،ج2، ص251.

[2]- نصرالمقدسي:أبو الفتح نصر بن ابراهيم الدمشقي،الإمام الزاهد توفي 490هـ.محي الدين ابن شرف النووي:تهذيب الأسماء واللغات.شركة العلماء ودار الطباعة المنيرية،ج2، ص125.

[3]- سهل بن عبد الله التستري:توفي في83هـ وقيل 93هوالأول أصح.محمد بن الحسين النيسابوري:طبقات الصوفية.تح مصطفى عبد القادر عطا.دار الكتب العلمية،بيروت.1998.ط1،ج1،ص167. ووفيات الأعيان لابن خلكان:ج2،ص429.

وأخرج عن معروف الكرخي[1] قال :من قال كل يوم عشر مرات اللهم أصلح أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد، اللهم أرحم أمة محمد كتب الأبدال، وعند عبد الله التجاني[2] قال :" إن أردتم[3] أن تكونوا أبدالا فأحبوا ما شاء الله ومن أحب ما شاء الله، لم ينزل به من مقادر[4] شيء إلا أحبه، ومنها، قال :في كفاية المعتقد لليافعي رضي الله عنه، قال إنما سمي الأبدال أبدالا إلا لأنهم إذا غابوا تبدل في مكانهم صور روحانية تخلفهم .

وفي حديث عبد الله بن مسعود[5] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن لله في الخلق ثلاثمائة قلوبهم على قلوب آدم)[6] ولله في الخلق أربعون قلوبهم على قلب موسى ولله في الخلق سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم ولله في الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل ولله في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلوب مكائيل ولله في الخلق واحد قلبه على قلب إسرائيل وبهم يحي ميميت ويمطر وينبت ويدفع البلاء، قيل لابن مسعود وكيف يحي ويميت، قال لأنهم يسألون إكثار الأمم فيكثرون ويدعون على الجبابرة فيقسمون ويسقون فتنبت بهم الأرض ويدعون فيدفع بهم البلاء)[7]أخرجه ابن عساكر . يقال الأوتاد أربعة واحد بالمشرق وآخر بالمغرب وآخر بالشمال وآخر في الجنوب ومسكن الأبدال الشام والأخيار سبعة وهم سياحون ونقباء بالمغرب والقطب بمكة .

قلت : وهذا بحسب ما إشتهر ويقال هو كذلك لأن الدنيا كلها بين عينيه فصح أن يقال مسكنه مكة ،ورأيت جوابا للسيد محمد بن يوسف السنوسي[8] عن سؤال ورد فيهم ونصه، النقباء هم الذين نقبوا الكون وخرجوا إلى فضاء مشاهدة المكون، والنجباء هم السابقون إلى الله لنجباتهم. والبدلاء هم الذين استبدلوا من صفاتهم صفات محبوبهم .والأقطاب هم القائمون بحق الكون والمكون، قد تنزهو على إحالة الليل والأوتاد هم الراسخون في معرفة

---

[1]- معروف الكرخيابراهيم بن عبد الله النيسالبوري توفي200هـ.ابن منده العبدي:فتح الباب في الكنى والألقاب.مكتبة الكوثر،السعودية،1417هـ-1997م.ط1، ج5،ص231.

[2]- عبد الله التجاني بن محمد بن ابراهيم،الفقيه الأديب المؤرخ.انظر محمد مخلوف:شجرة النور الزكية في طبقات المالكية.مكتبة القاهرة،1341هـ.ص206.

[3]- في ب إن أحببتم.

[4]- في ب مقادر الله.

[5]- عبد الله بن مسعود الصحابي مات بالمدينة ودفن بالبقيع سنة.انظر ابن سعد الطبقات الكبرى.تح محمد عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية،بيروت،1410هـ-1990مم.ط1، ج3،ص 111 وما بعدها.وأبو القاسم البغوي:معجم الصحابة. تح محمد الأمين الجكني،دار البيان الكويت.1421هـ،ط1،ص200.

[6]-ساقط من ب.

[7]- حديث موضوع كما في الموضوعات لابن الجوزي، ج3،صص،150-151.والألباني في السلسلة الضعيفة، ج3،ص670.

[8]- محمد بن يوسف السنوسي التلمساني صاحب العقائد،ت895هـ.انظر أحمد بابا التنبكتي:نيل الإبتهاج بتطريز الديباج.دار الكتب طرابلس،2002م،ط2،ص 572.وأبو القاسم الحفناوي:تعريف الخلف برجال السلف.مطبعة بيير فونتانة،الجزائر.1334هـ-1906م.ج1،ص 176.

الله تعالى. والرجال هم الذي لا يشغلهم عن الله شاغل أي عن ذكر الله،والغوث هم الذي يغيث من حوله بمادة أستغيث به والحرس هو الذي يتلقى الأمر جملة ثم يتبين له فيوجهه إلى ما أريد به مأخوذ من صلصلة الجرس .

فقلت : وقد ألفوا في القطب تآليف، واستدلوا على وجوده بأدلة وإن الزمان لا يخلوا منه وهو المتقدم على هؤلاء، فإن عرضت حاجة إلى عامة الخلق ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الأبدال ثم الأخيار ثم العمد فإن أجيبوا وإلا إبتهل الغوث وهو القطب، فلا تتم مسألته حتى يجاب دعوته، وقد ستر الله حال الغوث عن العامة والخاصة غيرة من الحق عليه ولا يعرفه إلا من رزقه الله فتح البصيرة والذوق وتنوير السريرة .وحكى السمرقندي بعد كلام له على ما تقدم من السادات وأنكر ورد على من أنكر وجودهم، عن أبي عبد الله الأنطاكي[1] رحمة الله عليه أنه قال :رأيت الغوث وهو القطب وإسمه أحمد بن عبد الله البلخي[2] بمكة سنة خمس وثلاثمائة وهو على عجلة من ذهب والملائكة يجرون تلك العجلة في الهواء بسلاسل من ذهب . فقلت: إلى أين تمضي ؟قال : إلى أخ اشتقت إليه،قلت : ولو شاء الله عز وجل أن يسوقه إليك لفعل . قال:نعم ولكن أين ثواب الزيارة .

وكشفت أحوال الأوتاد للخاصة والعارفين وسترت أحوال النجباء والنقباء عن الخاصة والعامة وكشف بعضهم لبعض وكشف لأحوال الصالحين للعموم والخصوص ليقضي الله أمرا كان مفعولا، وعلى كل حال فنجزم بأنهم موجودون موجود قطبهم وإمامهم فعليك بحبهم والتمسك بهم تفلح، والوقوف بأبوابهم تنجح والعكوف على رسومهم تصلح والسعي في مرضاتهم تربح والوقوف على حدودهم تمنح وتظهر عليك سمة الصالحين، وتنال مقام الفائزين وتظفر بكنز الذاخرين وتحضى بنهج السالكين وتغنم مزايا السابقين فهم أمان الله في أرضه القائمون بسنته وفرضه .قد طلقوا الدنيا ثلاثا وبتوها بتاتا بهم تنزل الأمطار في سائر الأقطار وبهم تأمن الأمصار على مرور الدهور والأعصار ولله در القائل :إلى مثلهم يرتاح قلبي وتنجلي همومي وما يغشى الفؤاد من الحرس

فكم كربة أجلى الإله بـــــجاههم كم رتبه أعلى وأولـــــى من الأوس

فلا تسمع من قاصر الفهم[3] فيهم على من يكن حيا فذلك من الغلس

فإن شـــــهود النفع ينفي مقاله ولا سيما والقوم نصوا على العكس

---

[1]- أبو عبد الله الأنطاكي أحمد بن عاصم صاحب مواعض وسلوك ولم أعثر له على سنة الوفات، ولعله بقي إلى نحو الثلاثين ومائتين،قاله الذهبي في سيرأعلام النبلاء.ج9، 499.

[2]- أحمد بن عبد الله البلخي:ت319هـ.رضا كحالة:معجم المؤلفين.ج1، 286.

[3]- في ب والرفعة الراسخة.

وقد أصبحوا في العلم أعلام فضله   ولا موت قالوا للمحبين في الرمس

فهم رحمة للعباد وأمان للبلاد ونفع للحاضر والباد، قد شوهد النفع بهم غير ماهرة وجرب الدفع بهم عند حلول المضرة وأقيلت بهم للمرء العثرات، وفرجت بمن هواهم الكربات وأزيلت بهم الأضرار والمعضلات .وانقشعت بهم دياجي الظلمات،ونارت بهم الصدور المظلمات .وملئت بالنور والرحمات وأوتيت الحكمة وعلا الدرجات ودنت منهم الأشياء المتباعدات. وأعطى من السائل، وقصد الأمل والكنز الفاضل الرفيع الشامل والحفظ الكامل والمعرفة التامة والعطايا الوافرة والوصلة الجامعة والخلة الصافية والقوة الدامغة و العطفة الجاذبة و الرتبة السامية و الدرجة العالية و المنزلة الشامخة و الرفعة الباذخة و المعرفة الراسخة[2] و المحبة القاطعة و الحجة البالغة و المشاهدة الكاملة و المؤانسة الفائقة و قلت منها.

عليك بهم ما عشت ان كنت طالبا   نجاة ففي معناهم كنز الذخائـــــر

بهم تنجلي الأحزان عند اشتـــدادها   بهم يرتـــجى نيل المنى و المياسر

بهم تقبل الأفراح و الضر قـــد شفى   بـهم أذهب الأسواء منقلب ظاهر

بهم يحصل الأمان فـي الدهر للورى   بهم ترتقي للفضل أولــــي البصائر

بهم يستضي من كان قلـــبه مظلما   بهم يحسن حال الكئيب و قاصــر

بـــــهم تنزل الأمطار بعد احتباسها   بـهم يقطف من كل روض و زاهر

فلا خير الا من رفيع جنابـــــــهم   ولا لذة الا اكــــتساب الــــمآثر

فألزم غرزهم وتأدب معهم و الوقوف بأبوابهم و تعظيم قدرهم و احترام شأنهم،و التسليم لحالهم و عدم الاعتراض عليهم وحسن الظن بهم .و لا تظن أن الزمان خاليا منهم،ففي كل زمان سادات وفي كل قطر قادات .وإنما جاءك عدم معرفتهم بما أقام بك، وفي الحكم لإبن عطاء الله[1] رضي الله عنه :سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه،ولم يوصل لهم إلا من أراد أن يوصله إليه :

ستبدي لك الأسرار بعد إكتتامها   كأن الذي قد صانها عنك يخبر

---

[1]-ابن عطاء الله السكندري:أحمد بن محمد تاج الدين تلميذ أبي العباس المرسي توفي 709هـ.الصفدي:الوافي بالوافيات.ج8ص38.وابن الملقن:طبقات الأولياء.ج1ص،421.وابن تغري بردي:المنهل الصافي.ج2،ص120.

فـــــــسلم لــــــــهم فالقوم أهل عناية وخـــــاملهم في الوصف لا يحتقر

فـــــأن كــــنت يا هذا بـــهم متمسكا فـــــأنت بطول الدهر لا تتغير

وتخلق بأخلاقـــــــهم وتأدب بشمائلـــهم وتكلف سعيهم ولازم مـــجالستهم

فإن جليس القـــــوم ما إن يـــناله شفاء ومـــن عن ودهم غير مــــرمي

ومن قد حـــاكاهم فهو منهم وكل قدأتــــى فــي حديث عن ذوي الصدق مروى

وكل امرئ يوما سيجزى بما أتى من الـــخير بل يـــجزي عـــــن كل ما نوى

وجنب من يعترض عليهم ولا تجالسه ولا تؤانسه ولا تقرب منه فربما تسرق الطباع الطباع .

اخـــتر لصـــحبتك مــــن أطـــاع إن الطـــباع تـــسرق الـــطباعا

ولا تحقرن الفقير منهم ولا الغنـي ولا الضعيف ولا القـــوي ولا البعـــيد ولا الـداني.

فلا تـــحقرن خـــلقا مـــن الناس عله ولي إله العـــالمين ومـــا تدري

فـــإن ولي الله يـــجهل فـــــي الورى ويـــخفى كما يـخفسنا ليلة القدر

فكم من محبوب يرفل في حلل الانس والأديال[1] ويرتضع كؤوس الجمال والإجلالهائما بمحبوبه فانيا في شهوده،فائزا بقربه منعما بحبه .قد أحرق الشوق كبده وأقلقه الوجد وعذبه .لم يبال على أي شيء كان مصرعه، لم يسكن فؤاده أبدا ولم يطمئن بغير لقاءالحبيب،ولم يشكوا أدواءه إلى الطبيب وينشد:

أهيم فيه حتى أموت بـــــحبه وحولي من الشوق الـمبرح خندق[2]

وفوقي سحاب يمطر الشوق والأسا وتـــــحتي بحار بالهوى تتدفق

وكم مـجلس لي قد جلست بذكره فما قمت حتى كدت بالدمع أغرق

وكـــم ليلة قد بت أرعى نجومها كــــــأن فؤادي بالثريا معلق

[1]- في ب الدلال.

[2]- في ب احترق.

إذا حن طرفي للكرا صاح صائح أخي[1] لا تنم إن كنت في الحب تصدق

وينشد أيضا :

أهيم بمحبوبي ومـــا يعـــرفونه ولو انهم ذاقوا الغرام لهـــاموا

هل الحب إلا لوعة مســـتكنة تنم عليها زفـــرة وغـــرام

أحن إذا فاحت من الغور[2] نفحة وناحت بأعلى الدوحتين[3] حمام

وجــن الدجا ثم إستمر ظـــلامه وفـــض عـليه للنسيم ختام

ونام أناس لامـــحبة عندهـــم وقام محبكم فـليس يـــنام

قضى الله العشاق أن يهجروا الكرا كان منام العاشقـــين حـــرام

أذاب الهوى أجسادهم وقلوبـــهم ولـــم يبق الا جلدة وعــظام

مررت بناديهم فناديت ربـــعهم[4] وقـــــد ميلتني نشوة وهيام

على عذبات الأبرقـــين خـــيامهم عــليهم مني ما حييت سلام

وتحمل الشفاعة في قرنين قبيلا فقبيلا، لكان ذلك في جنب حضوته من مولاه قليلا .وكم من ولي لله أرخى عليه الخمول دليلا، فصار نهاره في أعين أبناء الدهر ليلا فأصبح بستر من الله من أولياءه يلعب بالدهر كما يلعب الدهر بأبناءه وينشد:

تغطيت عن دهري بظل جناحه فعيني ترى دهري وليس يراني

فلو تسأل الأيام على مـــادرت وأين مكاني ما عرفت مكاني

---

[1]- في ب فقف أخي.

[2]- الغور من كل شيء قعره.أنظر الفيروزآبادي: القاموس المحيط.تح مكتب تحقيق التراث،مؤسسة الرسالة بيروت،1426هـ، 2005م.ط8، ج1،ص452.

[3]- الدوحة :الشجرة العظيمة المتسعة.لابن منظور:لسان العرب.ج2،ص 436.

[4]- الربع:الدار ومنزل الإقامة.لسان العرب، ج8،ص 102.

وقال الآخر فيهم : لله تـــــحت قباب العز طائفة أخفاهم في رداء العز إجـــــلال

هم السلاطين في إظهار مسكنة استبعدوا من ملوك الأرض إقبالا

شعث مرافقهم غبـــر ملابسهم جروا على ملوك الخضراء أذيـــالا

هذي المكارم لا قعبان[1] من لبن شيب بـــــماء فعادت بعد أبوالا

هذي المناقب لا ثوبان مـــن عد نخيط قميصا فعاد بعد أســمالا

ورأيت من يجعل عجز البيت الثاني للثالث والعكس، والبيت الرابع لأمية بن أبي الصلت[2] وهو مشهور حاصل بين العامة والخاصة .مجهول عند أهل البسيطة معروف عند أهل السماء .مخالف لأهل الأرض بصورته و روحه تجول في الملكوت الأسنى والعالم الأعلى. همته سارية وبصيرته خارقة قد طوى الأرض بسيره والسماء بسره لم يبال بجهل الناس به وعدم إكتراثهم به وينشد :

ما ضرني إن كنت فيه خاملا فالبدر بدرا بدا وإن خفى

زاهد في الفاني لم يخطر له على بال ولم يكترث بفعله[3] على أي حال ورع غني بنفسه . عامل لحلوله في رمسه[4]وكم من خاضع عابد وراكع ساجد بالليل،قائم بالنهار صائم راسل الدمع فوق الخدود حزينا مخافه فوات العهود، راجيا لرضى مولاه فانيا عن حظه ومناه ليست همته في غيره أملا في الفوز بقصده. ولا رواح له عن الباب ولا مفر له يزعجه عن العتاب باكي العين خشية البين وينشد :

من لم يكن بك فانيا عن حظه وعن الأهل والنفس بالأحباب

فلأنه بين الـــــــمراتب واقفا لــــــمنال حظ أولنيل عتاب

[1]- قعبان:شبه حقة مطبقة يكون فيهاسويق المرء.أنظر العين للفراهيدي،ج8،ص33.

[2]- أمية بن أبي الصلت:شاعر جاهلي من أهل الطائف،توفي 2هـ.انظر عمر بن الوردي تاريخ ابن الوردي.دار الكتب العلميةبيروت، لبنان. 1417هـ. 1996م .ط1، ص 111.

[3]- في ب فقده

[4]- الرمس:التراب.العين للفراهيدي. ج4، 254.

قد إطلع على العلم المكنون و الصر المصون والكنز الرفيع و الإكسير[1] البليغ،فصار في العلوم اللدنية يتقلب والأنفاس منها يتطلب وينشد :

إذا أنكر الجهل حالي بقولهم   وقالوا كروس الفقه تشحد بالـنقل

أقول لهم أن العلوم مواهب   خصائصها تغني عن النقل والعقل

قد رزق أنواع العلوم وفتحت له خزائن الفهوم ولما شهدوا ما فتح الله أهل لأولي العقول استعجبوا وقالوا ليس هذا في الأسفار فأنشدهم العارف

حكمة الأشعار:

تركت أساطير أنتم لمن وشا   فما قـلته تشـهد بالزور

يؤولها الواشي بـما لا أريده   وتظهر دعواه بظاهر مسطور

وبالجملة فأولياء الله موجودون قد انتفع بهم في الأعصار والأمصار، ولم تخل منهم الأرض والأقطار، ولكن أولياء الله عرائس الحضرة أسدل عليهم حجاب الغيرة وهم الكنوز الخفية عن كثير من البرية، فارقوا هذا العالم بالأرواح وساكنوهم بما ظهر بهياكل الأشباح. لهم قلوب نورها أضواء من الشمس الحسية، فيا لها من أنوار مضيئة ولطائف معنوية .

إن شمس النهار تغرب بالليل   وشمس القلوب ليست تغيب

اللهم يا مجيب السائلين ويا غياث الملهوفين نتوسل إليك بجاه أشرف مخلوقاتك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كمل قصدنا واهدنا ووف مرغوبنا .

اللهم إننا نتوسل إليك بهم لأنهم أحبوك، وما أحبوك حتى أحببتهم فحبك إياهم وصلوا إلى حبك، ونحن لم نصل إلى حبهم فيك إلا بحظنا منك فتمم لنا ذلك مع العافية الشاملة التامة الكاملة حتى نلقاك يا أرحم الراحمين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، هذا وإن زيارة هؤلاء السادات فيها من الخير المشاهد ما تكل عن إحصائه الألسن وتعترف بوجوده المسامع والأعين وما جرب من نفعها وتأثيرها أمر شهير

[1]- الإكسير:مادة مركبة كان يعتقد أنها تحول المعادن إلى ذهب.انظر المعجم الوسيط.مجمع اللغة العربية، القاهرة،دار الدعوة.والكيمياء عند الصوفية هي القناعة بالموجود وعدم التشوف إلى المفقود كما في معجم مصطلحات التصوف للكاشاني،ص 89.

وبلوغ الدرجات بها وتسهيل المعوصات أمر ظهير ودفع الشدائد والمصائب بعد تراكم الأحزان والنوائب مشاهد لملازمها ظاهر لفاعلها، ولسيدي إبراهيم التازي[1] في قصيدته يحض على فعلها ويذكر الخصال التي تعقبها وتنشأ عنها رحمه الله وهي قوله :

زيارة أرباب التقى مـرهم يـبري ومـفتاح أبواب الهـداية والخير

وتحدث فـي القلب الـخلي إرادة وتشرح صدرا ضاق من شدة الوزر

وتنصر مظلوما وترفع خـاملا وتكسب معدوماوتجبر ذا كـسر

عليك بها فالقوم باحوا بسـرها وأوصوا بها يا صاح في السر والجهر

فكم خلصت من كان للإثـم فاتكا[2] فألقته في بحر الإنابة و البر

فكم من بعيد قربتـه بجـذبة[3] ففاجأه الـحق الـمبين من اليسر

وكـم من مريد[4]أظـفرته بمرشد حكيم خبير بـالبلاء وما يبر

فألقى عليه حلة يـمانية مطرزة بالـيمن والـفتح والـنصر

فزر وتأدب بعد تصـحيح نية تأدب مملوك مع المالك الـحر

ولا فرق في أحكامها بين سالك مرب ومجذوب وحي وذي الـقبر

وذي الزهد[5]والعباد فالكل مـنعم عليهم ولكن ليست الشمس كالبدر

---

[1]- ابراهيم التازي بن محمد بن علي،توفي866ه .انظر شمس الدين السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع.منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت.ج1،ص187.وأيضا،ابن صعد التلمساني:روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين.تحقيق يحي بوعزيز.منشوراتanep الجزائر،2002.ط1،ص 144 وما بعدها.

[2]- الفاتك الرجل الجريئ.لسان العرب لابن منظور.ج10، 472.

[3]- :جذب الله للعبد والمجذب ذو الإشراقات .إدمون دوتي:الصلحاء.تر محمد ناجي عمر،أفريقيا الشمالية الدار البيضاء المغرب.2014م،ص56.

[4]- المريد أول بدايات الطريق الصوفي يقوم على التحرر من قيود الهوى والشهوة والتوجه بكامل الإرادة إلى الله.حسن الشرقاوي:معجم مصطلحات الصوفية.مؤسسة مختار للنشر والتوزيع،القاهرة،1987م،ط1،ص262.

[5]- الزهد أول مقام القاصدين فحب الدنيا رأس كل خطيئة.السراج الطوسي:اللمع.تح عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور،دار الكتب الحديثة مصر،1330هـ،1960م.ص72.

وزوره خير الـــــخلق أفضل زورة	وهم درجات في المكانة والقـــدر
فأحـــمد خير العالمين وخير من	تيممه العافون في العسر واليـــسر
وأمته أصحابه الــــــغر خيرهم	وأفضل أصحاب النبـــي أبو بكر
ويتلوه فاروق أبـــوحفص الـرضى	على رأي أهل السنة الشهب الزهر
وبالوقف قالـــوا فـي الهزبر أخي	علي وعثمان الشهيد أبــــي عمر
وقالوا كترتيب الخلافة فضـــــلهم	وقد تم نظم في المزور و في الزورة
على أنبياء الله مني ورسله وخاتمهم	أزكى سلام مـــــدى الـــدهر
وقرباه والصحب الكرام وتابع لهم	فــــي التقى والبر والصبر والشكر

وقد جاء ما يرغب فيها وما يحض عليها، خرج مالك ابن أنس[1] عن معاذ[2]قال سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (قال الله تبارك وتعالى وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في والمتبادرين في والمتزاورين)[3]، وفي حديث : (أكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة)[4]وفي مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم(أن رجلا زار أخا له في قرية فأرسل الله له ملكا فتعرض له فلما أتى عليه قال له أين تريد، قال أريد أخا لي في هذه القرية، قال هل لك عليه من نعمة تريدها قال لا، غير أني أحببته في الله عز وجل قال فأنا رسول الله إليك فإن الله أحبك كما أحببته فيه)[5]إنتهى .

وقد حض عليها الشيوخ وقالوا أنها من الأحياء . قال بعضهم، وأما زيارة موتى الصالحين والعلماء والشهداء والأولياء فمن غنائم أهل الدين،لأنه يحصل له محبتهم و معرفتهم ومواصلتهم وذاك من الغنائم العظام.وقال الشيخ

---

[1]- مالك بن أنس بن مالك بن عامر إمام دار الهجرة توفي179هـ.عبد الرحمن المنذر التميمي:الجرح والتعديل.دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند،دار إحياء التراث العربي،بيروت.1271هـ،1952م.ج1،ص 111.

[2]- معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس من كبار الصحابة رضي الله عنهم توفي عام 18هـ بالشام بطاعون عمواس.الطبقات الكبرى لابن سعد،تح محمد عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية بيروت لبنان.1411هـ-1990م.ط1،ج3،ص473.

[3]- رواه مالك في موطئه.تح مصطفى الأعظمي،مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان،أبو ظبي الإمارات.1425هـ-2005م.ط1،ج5، ص1390.

[4]- قال الشوكاني في الفوائد المجموعة موضوع ،فيه أصرم وهو كذاب.ج1،ص511.

[5]- رواه مسلم وصححه الألباني.أنظر الألباني: التعليقات الحسان على صحيح بن حبان.دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة، 1424هـ، 2004م. ط1، ج2، ص53.

زروق في جامع الوغليسية :وزيارة القبور من السنة وهي أن تأتي المقابر فتقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون. ثم يدعوا وينصرف. واستحب بعض العلماء القراءة بما صح فيها من المرائي المبشرة بوصولها. ولا ينبغي أن يقرأ بآية عذاب ولا أمر ولا نهي لئلا تكون حجة على الميت. والصدقة والدعاء واصلان بإتفاق، وزيارة موتى الصالحين مرغب فيها،وآدابها بعدما تقدم أن يأتي من عند رجليه حتى يصل إلى مقابلة وجهه، ولا يصلي عليه تبعا لقوله عليه الصلاة والسلام : (إشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم وصلحائهم مساجد)[1] انتهى .

وينبغي أن يدعوا ويتوسل بهذا الدعاء وهو كما قيل أن من دعا به عند زيارة ولي يستجاب دعاؤه وهو: اللهم إني أسألك بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وأنبيائك وأصفيائك، وصهيب[2] وعمار بن ياسر[3] وعمران بن حصين[4] وطيفور بن عيسى[5] وعبد الله بن المبارك[6] وبحق وليك هذا الضريح ويدعوا بما شاء من الدعاء وراء ذلك فإن الإجابة تقع إن شاء الله ذكره في القوت ومما يتوسل به عند قبور الصالحين . اللهم إني أسألك العفو والعافية وحسن اليقين في الدين والدنيا والآخرة ومما يدعوا به عندهم أن يقول اللهم إنا نتوسل إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة ورسول الأمة وبكرامة عمه العباس بن عبد المطلب وبحرمة أصحابه وبحرمة الشيخين أبي بكر وعمر أن تأمننا يا مولانا مما نخاف منه ونحذر إنك على كل شيء قدير. ومن دعاء المرجوا الإجابة أن يقول الزائر اللهم إنا نسألك بحرمة الذين إذا نظرت إليهم سكن غضبك وبحرمة الحافين حول عرشك وبحرمة أوليائك الصالحين حيث كانوا شرقا وغربا وجوفا وقبلة،وبحرمة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وبحرمة وليك سيدي فلان أن تجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا يا ذا الجلال و الإكرام يا أرحم الراحمين يا رب العالمين.

ومما يدعوا به عند قبورهم،أن يقول اللهم يا من لا يعلم كيف هو إلا هو ولا يعلم أحد قدرته إلا هو و يا عالم السر والخفا و يا ذا الجود والوفا أسألك بحرمة سيدنا محمد المصطفى وبحق أصحابه أهل الوفا وبحق سادتنا الشرفاء

---

[1]- ذكره ابن الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح،وصححه الألباني في تخريجه للحديث.انظر مشكاة المصابيح،المكتب الإسلامي بيروت1405هـ-1985م،ط1،ج1،ص 165.

[2]- صهيب بن سنان الرومي صحابي جليل توفي 38هـ.ابن الأثير:أسد الغابة.،ج3،ص 33.

[3]- عمار بن ياسر:صحابي جليل قتل بصفين سنة 37هـ.أنظر ابن سعد الطبقات الكبرى.ج3،ص200.

[4]- عمران بن الحصين الخزاعي صحابي جليل توفي 52هـ.ابن الأثير:الكامل في التاريخ.تح عبد السلام تدمري،دار الكتاب العربي بيروت، 1417هـ،1997م.ج3،ص86.

[5]- طيفور بن عيسى وهو أبو يزيد البسطامي توفي 261هـ.أنظر الذهبي:العبر في أخبار من غبر،ج1،ص375.

[6]- عبد الله بن المبارك تابعي محدث(118-181هـ).أحمد بن علي بن منجويه:تح عبد الله الليثي،دار المعرفة،بيروت،1407هـ،ط1،ص 389.

وبحق وليك سيدي فلان بن فلان أن تقضي حاجتي وهي كذا.و تقول يا ولي الله ثلاثا ثم تقرأ آية الكرسي ثلاثا إنتهى.

وجدته مقيدا عن أبي علي سيدي الحسن بن مسعود اليوسي ثم قال وفيه كفاية إن شاء الله .وينبغي[1] له أيضا أن يقول: أيضام عبد في حماكم قد نزل ويا سادة لهم السيادة في الأزل

إني أتيت إليكم مستصرخا يا من بهم كل الأمانـــي والأمل

أنتم حماة الحي يا غوث الورى نصرا لنا عونا عيانا عن عجل

أشار الشيخ زروق رحمه الله في ما تقدم بقوله وإستحب بعض العلماء القراءة لما صح فيها من المرائي إلى الخلاف الواقع بين العلماء في القراءة المهدي ثوابها إلى الميت،هل ينتفع بذلك أم وتكلم عليه الحطاب في شرح المختصر،وصاحب العلوم الفاخرة في أحوال الآخرة وغيرهم من الأئمة رضي الله عنهم ووجدت في فهرسة الوالد بخطه كلام بذلك لبعض العلماء ونص ما وجدت :

أما القراءة على الموتى بنية هبة ثواب قراءة للميت، فهل ينتفع به الميت أم لا إختلف في ذلك علماء أئمة الأمصار رضي الله عنهم والمعروف من مذهب مالك أنه لا ينتفع ومذهب الشافعي أنه ينتفع ومذهب أبي حنيفة الفرق بين أن يقرأ على قبره أولا والحجة لمالك رضي الله عنه قوله تعالى { إنما تجزون ما كنتم تعملون[2] }وقوله{وأنليس للإنسان إلا ما سعى[3] } وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا مات ابن آدم إنقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية وولد صالح يدعوا له وعلم يبثه في صدور الرجال)[4]

فخص هذا الحديث من الأعمال الصدقة بالمال والدعاء، والصدقة الجارية ونفا ماعدا ذلك على أصل لأنه لا يحصل ثواب العبادة والأعمال الصالحات إلا لمن يعملها ولا تصح هبة ثوابها لأحد، وأما الشافعي فإنه يحتج على هبة ثواب القراءة بالإجماع على حصول الإنتفاع بالدعاء، والجامع بينهما كون كل واحد منهما عبادة قوليه، ووجه

---

[1]- لا ندري على أي أساس أوجب اليوسي قراءة هذه الأبيات لإجابة الدعاء؟وفي العموم فإن التوسل بالأموات ليس عليه دليل صحيح من الكتاب والسنة يمكن الإعتماد عليه.والغلو في الصالحين في رأيي هي من أكبر المصائب التي حلت بالمجتمع الإسلامي.وأتعجب من قولهم أن القطب قبل أن ينهي مسألته حتى تجاب دعوته،فلماذا لم يدعوا الله أن يجلي الفرنسيين مثلا عن الجزائر و باقي المحتلين عن البلاد العربية الذين مكثوا طويلا ؟وقد أفاض العلماء في تفصيل قضية التوسل وبخاصة شيخ الإسلام ابن تيمية .ومن المتأخرين محمد ناصر الدين الألباني في رسالة له أسماها: التوسل أنواعه وأحكامه.

[2]- الطور 16..

[3]- النجم 39.

[4]- رواه مسلم وصححه الألباني في إرواء الغليل.ج6،ص28.

الرد عليه للمالكية، أن في قياس القراءة على الدعاء بجامع كون كل واحد منهما عبادة قوليه غير صحيح في هذا المحل لإختلافهما بالذات، فذات المنتفع به في الدعاء متعلقة التي هي الرحمة وغيرهما مما يقصد به الميت،ومتعلق القرآن[1]أحكام الله تعالى المتعلقة بأفعال المكلفين إنما نضير[2] هبة الثواب التي تحصل على القراءة للقارئ الذي يحصل للداعي على قبول الدعاء ولا يسلم أنه للميت، بل هو للداعي لأنه ثواب عمله ومع ثبوت ذلك فلا جامع ولا قياس، فتبين ضعف ما قاله الشافعي من جهة القياس وبقيت له أخبار وأحاديث لم تنقلها[3] الثقاة ولا صححها عمل الصحابة ولا السلف بعدهم فبان بما ذكرناه ضعف مذهبه .

وأما ما قاله أبا حنيفة فهو أضعف المذاهب لأنه يفرق بين القراءة على القبر فيحصل له أجر الإستماع والمستمع كالقارىء في الأجر وقال في و وجه الرد عليه أن القبر موطن من مواطن الآخرة فلا يصح فيها ثواب على عمل، لأنها دار الجزاء لا دار الأعمال فبان بأن أصح المذاهب وأولها بالصواب ما قاله إمامنا مالك رضي الله عنه ،إلا أن مشايخ أئمتنا المتأخرين كإبن رشد وغيره قالوا لا يمنع الناس من القراءة على الموتى لأن التنازع فيها تنازع في فضل الله هل يحصل أم لا، وفضل الله يطلب بكل ممكن إنتهى محل الحاجة بما وجد.

والحاصل أن زيارة الصالحين مسنونة محمودة شرعا، نص عليها الأئمة وحضوا عليها كما تقدم لأن بذلك يحصل للزائر معرفتهم ومحبتهم يوم القيامة،ومحبةأولياء الله رأس الغنائم لأهل الدين،وكان علي رضي الله عنه يقول أكثروا من الإخوان في الله فإنه عدة في الدنيا والآخرة واقرأو إن شئتم،{ فما لنا من شافعين ولا صديق حميم[4]} مع أن قبورهم موضع الرحمة، ولهذا قال عليه السلام (القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار)[5]فالتوسل ببركاتهم والدعاء في مقامهم محل الإجابة والإختلاف في ثواب القراءة هل يحصل للميت أو لا.

قلت :والذين رجحوا الإنتفاع كما نص عليه الشيخ زروق ونص عليه ابن رشد[6] في الأجوبة وابن العربي[7] في أحكام القرآن

---

[1]- في ب ومتعلق القراءة.

[2]- في ب تظهر.

[3]- في ب نقلها.

[4]- الشعراء 100.

[5]- رواه الترمذي وهو ضعيف.أنظر،الألباني:ضعيف سنن الترمذي.المكتب الإسلامي بيروت،1411هـ-1991م.ط1،ج1،ص 280.

[6]- ابن رشد الجد،توفي 520هـ.الذهبي:السير.ج11،ص 321.

[7]- ابن العربي المالكي الإشبيلي(468-553هـ)الزركلي:الأعلام.ج6،230 .ابن خلكان :وفيات الأعيان.ج4،296.

والقرطبي[1] في التذكرة،وسواء قرأ على القبر أو في البيت وبعث الثواب أو من بلد إلى بلد نقله صاحب المعيار[2] والله الموفق سبحانه والهادي.

الباب الثاني :

في التعريف بالشيخ الكامل والقطب الواصل والغوث الجامع والغيث الهامع قدوة السالكين ونخبة المجدوبين، وزمزم أسرار العارفين مربي المريدين المرقى، مولانا محمد الشهير بالشرقي.المسوق هذا التأليف لأجله والموضوع في أخباره رزقني الله رضاه ولنرتب الكلام في هذا الباب كما رتبته في صدر الكتاب ومن أراد ترتيب الباب فليراجعه هناك ولنبتدي بتعريف والد الشيخ إذ ذاك حق وصواب عند أولي الألباب فنقول :**الفصل الأول :في تعريف والد الشيخ**[3]

وهو الشيخ الفاضل العالم الواصل الولي الزاهد الخير العابد ذو الخوارق العظام و المزايا الجسام والأذواق النورانية والأسرار العرفانية، أبو محمد سيدي أبو القاسم بن محمد الزعري كان رحمه الله من الشيوخ المعتمدين والأولياء البالغين ممن لهم القدم الراسخ في الطريق وممن نفع الله به خلقه وهداهم به إلى سواء الطريق .ممن إشتهر هيبته[4] وبانت خصوصيته، أخذ عن الشيخ أبي محمد وأبي وفارس عبد العزيز بن عبد الحق المعروف بالتباع[5].قال صاحب ممتع الأسماع فيه،كان ظاهرا الخصوصية ذا زهد تام وانزواء عن الدنيا و كان متآخيا لسيدي عثمان أمسناو[6]متعاهد لزيارته .وقيل أنه من أصحاب الشيخ أبي محمد الغزواني[7] والمعروف الأول إنتهى .

وكانت حرفة صاحب الترجمة في ابتداء أموره رعاية الغنم وكانت له جبة من الشعر يلبسها للعبادة رضي الله عنه والزهد في الفاني. وكان رضي الله عنه من الأبدال وتواترت عنه كرامات وظهرت على يده علامات مما يدل على

1- محمد القرطبي أبو عبد الله توفي671هـ.رضا كحالة:معجم المؤلفين.ج8، ص239.

2- أحمد بن يحي الونشريسي.

3- في بب تعريف والد المؤلف.

4- في ب إنتهى صيته وبانت خصوصيته.

5- عبد العزيز التباع من أكابر صلحاء المغرب توفي 914هـ. انظر محمد العربي بن يوسف الفهري:مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن،تح محمد حمزة الكتاني،ص212.و محمد الكتاني:سلوة الأنفاس.ج2، ص238.

6- أبو عثمان سعيد أمسناو: من أصحاب التباع لا تعرف سنة وفاته وتجمع كتب التراجم على أنه توفي في العشرة الخامسة من القرن التاسع .أنظر معلمة المغرب.الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر،مطابع سلا،1423هـ.2002م.ج3،ص762. ودوحة الناشر:ص25.والإعلام لابن ابراهيم:ج10،ص139.

7- أبي محمد الغزواني: ت395هـ.أنظر السلاوي الناصري: الإستقصاء لدول المغرب الأقصى. تح جعفر الناصري ومحمد الناصري،دار الكتاب الدار البيضاء،المغرب، ج4،ص 166.

ولايته وكمال معرفته ورسوخ قدمه .حدثني بعض الفضلاء عن سيدي أن الشيخ سيدي أبي القاسم، كان ذات يوم يسير مع أصحابه في فلاة من الأرض فأراد أن يتوظأ فأتوه بالماء فتنحى عنهم بموضع قريب منهم فافتقدوه وبقوا ساعة وهم يرجونه ولا يدرون أين هو فبينما هم جالسون إذ ظهر معهم فسألوه أين كان،فذكر أن رجلا من الصالحين مات فذهب لينظروا من يجعلوا في موضعه .وقال لهم لما مات بقيت الأرض تهتز فجعلت هذا الأصبع في مكانه وأشار لأصبع من أصابعه حتى استخلفنا في مكانه رجلا.

ومن كرامته الظاهرة الدالة على ولايته ما حدثني به بعض إخواننا أن الشيخ سيدي أبا عمر المراكشي[1] رضي الله عنه ونفعنا به تزوج من بلاد تادلة[2]إمرأة من بني ملال القبيلة المعروفة. فلما وصل وقت تجهيزها واشتغل أهلها بذلك وفعلوا ماهي العادة أن يفعلوه أهل العروس بها، وكان سيدي أبا القاسم جالسا مع جماعة من أصحابه فسمع حسن ذلك فقال:لهم ماهذا قالوا سيدي هذه زوجة سيدي أبي عمر إبنة أبي الليل وهو إسم أبيها أرادوا أن يبعثوها إليه فقال لهم :هي زوجة محمد الشرقي ولدي ثم قال لهم ولو لا التأدب مع الله لقلت يتزوجها محمد الشرقي، ويلد معها هؤلاء وأشار إلى أصابعه وقبض على ثلاثة منها، فلما وصلت سيدي أبي عمر، وقع لها النشوز ونفرت منه وقالوا:لما أراد أن يقرب منها قالت ياسيدي بحرمة الشيب الذي بوجهك إلا ما خليت سبيلي وتركتني فقال لها :اذهبي يتزوجك الزلال الذي يطلي الحناء في (الرزة) يعني به سيدي محمد الشرقي .[2]فتزوجها وولد معها ثلاثة أولاد أحدهم سيدي عبد السلام الولي الصالح المشهور والباقيان أختان له فكان الأمر كما أخبر أبو القاسم نفعنا الله به آمين.

وكان سيدي أبو القاسم متعاهدا لزيارة أخيه في الله سيدي أبي عثمان سعيد أمسناو،حدثني بعض الناس أن صاحب الترجمة ذهب لزيارة شيخه سيدي عبد العزيز التباع،كان إذا وصل بفصل الشتاء يقول لأولاده سيقدم عليكم أبو القاسم إن شاء الله ببقرات الحليب فيقدم هو بذلك عليهم رضي الله عنه، وبالجملة فإن الشيخ أبوالقاسم رضي الله عنه اشتهرت ولايته، وظهرت علامته وبانت خصوصيته، وبانت على يده الخوارق العظام والمزايا الجسام. ولاحت عليه أمارات من الهدى والرشد ووصل المرتبة العالية في الزهد والأوصاف الحميدة

---

[1]- أبو عمر المراكشي بن أحمد القسطلي توفي 974هـ،انظر محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب.دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان1417هـ-1996م.ط1، ج3،ص 1094.ومحمد بن الطيب القادري نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني.تح محمد حجي وأحمد التوفيق،مؤسسة دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر،الرباط،1397هـ-1977م،ج1،ص68.

[2]- في ب فرجعت إلى بلدها تادلة وقدر الله بتزويجها محمد الشرقي.

والأخلاق الرفيعة وشهرته تغني عن التعريف به، وقبره مزارة عظيمة للناس عليه قبة عظيمة بضفة وادي أم الربيع[1]، نفعنا الله به .

وأما الشيخ والد سيدي أبا القاسم، فهو الولي الفاضل الخير الكامل سيدي محمد الزعري ابن عمر والزعري لقب له فقط .وهو والد سيدي أبا القاسم وكان رضي الله عنه من أولياء الله الصالحين العاملين، حدثني سيدي أنه وقع لبعض الولاة في جانبه شيء فدعا عليه أن يموت بالحديد فكان ذلك المدعو عليه يوما جالسا وبيده المقراض وكأنه كان يقصص به كاغدا، فأكله شيء في كتفه فرفع المقراض ليحك به كتفه فلما ألقى مع كتفه دخل فيها فمات من ذلك،نفعنا الله به آمين وقبره معلوم بناحية تاشرفت.[2]

وأما زوجة الشيخ سيدي أبي القاسم وهي والدة الشيخ سيدي الشرقي فهي السيدة الفاضلة الخيرة الصالحة سيدتي رحمة بنت حمزة،كانت رضي الله عنها من الصالحات وظهرت على يدها أمارات من الخير والفلاح .وكانت تذهب مع زوجها الشيخ أبي القاسم لزيارة الشيخ سيدي أبي عثمان و تلمذت عليه،وكانت تكثر من زيارته .

حدثني بعض إخواننا أن السيدة رحمة قدمت مرة لزيارة شيخها سيدي أبي عثمان،فلما دخلت داره ورأوا ما عليها من الحلي والزينة محمد أهل دار الشيخ وقع في قلوبهم شيء على الشيخ. فلما دخل سيدي أبي عثمان الدار وجد أهل الدار بصفة أنكرها منهم ولم يعهدها فيهم، فسأل عن سبب ذلك فقيل له أنهم رأوا ما لبست السيدة رحمة فأخذتهم الغيرة، ووقع منهم الذي ترى فخرج الشيخ من الدار وأخبرت السيدة رحمة بذلك وما وقع من أجلها لنساء الشيخ فلما سمعت ذاك أزالت كل ما عليها من الزينة حتى لم تبق شيئا عليها، وأتت به لنساء الشيخ فتقاسمن ذلك ولبست كل واحدة ما صار لها في قسمته فدخل سيدي أبوعثمان فوجد أهل الدار لابسة كل واحدة حقها. فقال لهن ما هذا ؟فأخبروه بما فعلت السيدة رحمة، فقال لهن ذهبت بزينتكن أو كلاما نحو هذا وكانت رضي الله عنها تخدم شيخها الخدمة التامة، وما يؤثر عنها في خدمة الشيخ دليل على ما قلنا.

وكان والدها الخير الفاضل سيدي حمزة من أهل الخصوصية والولاية رضي الله عنه ونفعنا به قلت : أنظر هذا الفضل والخير العام كيف جمع الله لهذا الولي سيدي محمد الشرقي صلاح الأب والأم والأجداد رضي الله عنهم

عباد الله قد سعدوا وفــازوا ونالوا رحــــــمة المولى وحازوا

---

[1]- وادي أم الربيع بالمغرب طوله 560 كلم يصب في المحيط الأطلسي وهو حد فاصل بيت الشاوية والرحامنة و وودكالة والسراغنة.انظر الصديق بن العربي:كتاب المغرب.دار الغرب الإسلامي،1404هـ،1984م.ص9 ومعلمة المغرب،ج3ص781.

[2]- تشرفت على الطريق إلى الدار البيضاء قرب مدينتي وادي زم وملال وسميت نسبة إلى واد بها يسمى تشرفت.معلمة المغرب،ج6،ص2060.

رجال طلقوا الدنيا ثـــلاث　　ولو جاز الرجوع لما استجازوا

بدا علـم النجـاة فمــــيزوه　　يـــــــحركهم بـدار وإنحفاز

ببعض تشرق الأمصارمنهم　　وبعض تستنير بـــــهـم المفاز

تـــــميز كل ذي دنيا بـدنيا　　وهـم لــــــهـم بـدينهم إمتياز

وما عزوا بـــــمخلوق لكن　　لهم بالــخالق الأعلى إعتزاز

أردت لحاقهم فعجزت عنهم　　وحدت عن الإجازة إذاجازوا

أتطمع باللحاق ولا نــهـوض　　وتـــــفرح بالرحيل ولا جواز

وأنت أخــــوهم نسبا ولكن　　طـــــــراز فوق ذلك الطراز

دع الدنيا فلست لـــــها بند　　وهل تخفى الــحقيقة والمجاز

ومن كرائم والد الشيخ سيدي محمد شرقي، لما تزايد عنده سيدي محمد الشرقي بالغار الذي بقرب وادي أم الربيع وهو معلوم هنالك،طلبته سيدتي رحمة ورق العرعار ولم يكن هناك شيء منه فمد الشيخ سيدي أبو القاسم يده وأتاها به،ويقال أن شجرة هنالك منه باقية من أثر كرامة سيدي أبي القاسم وقبر زوجته سيدتي رحمة رضي الله عنها قبالة قبره بضفة قرب وادي أم الربيع بيسير من هذه الناحية عليه قبة مزارة للناس نفعني الله بهم أجمعين امين يارب العالمين[1].

تنبيه: سيدي أبو عمر المتقدم الذكر هو من أكابر مشايخ المغرب وعظمائها من أهل الأنس والقرب وممن انتفع به. وظهرت على يده الكرامات متواترة وتخرجت على يده مشايخ أجلة وقال فيه صاحب الدوحة : هو بفتح العين المهملة والميم،ابن أحمد بن أبي القاسم القسطلي الأندلسي المراكشي من حضر مراكش وأعيانهم وذوي الحسب والأصالة والوجاهة فيهم .

[1]- آمين يا رب العالمين ساقطة من أ .

قال أبو العباس بن أبي محلي[1] أنه من ذرية الدراج القسطلي[2] الأندلسي المشهور والمذكور في ذخيرة ابن بسام وغيرها، صاحب الشيخ أبا محمد عبد الكريم الفلاح[3] وانتسب إليه وعول في شأنه عليه[4] ولقي[5] أيضا الشيخ أبا محمد الغزواني،كان كثير الشأن جليل القدر وشهير الذكر في سائر بلاد المغرب شهرة عظيمة فياض المدد قوي الحال عظيم الكشف كثير الخوارق عريض الدعوى في مقامات الأولياء فكان يدعى أنه القطب وأنه صاحب الوقت وأنه السلطان وله في معنى قصيدة تائية يقول فيها :

ومن معدن التحقيق كان نصيبنا وجملة أنواع اليقين في قبضتـــي

وكل بحور العلم طرا ورثـــــــتها وأنواع أحكام الطريقة حرفتـــي

وأقطاب كل الأرض مادتهم مـنا والأجراس[6] والأفراد تحت إمارتي

والأوتاد والأبدال أمـــــموا بابنا بذل وفقر وإحـــــــتقار وفاقة

فكل رجال الله نـــــــــالوا بعزنا وأظفارنا بأعـــلى كـــل ولاية

أقروا بأنني وحـــــــيد زمانـــنا وقدوة كلهم وهم لـــــي فتية

بأرواحهم أعني أقروا بـــــملكنا وأعــــناقهم طرا أناخـــو لرتبة

وبقيت له في هذا المعنى نحو الستة أبياتذكرها صاحب " ممتع الأسماع "إنتهى . وبقيت له أخبار ذكرها صاحب الدوحة وصاحب المرءآة قلت : ووقع في جانبه من السيد أبي عبد الله محمد بن علي الطرابلسي ثم الخروبي[7]إنكار لتلك الدعاوي وكتب له ذلك في رسالة أولها إلى من تكلم في حال الطفولية،ودعى البلوغ قبل إنفطامه وقال: بالأشد قبل الكهولية، وأتى بالإشارة قبل كلامه إلخ.

---

[1]- أبو العباس بن أبي محلي،ت1022هـ.قتل في عهد زيدان بن أحمد المنصور الذهبي السعدي.محمد حجي،موسوعة أعلام المغرب.ج3،1210هـ.

[2]- الدراج القسطلي أديب شاعر كاتب المنصور ابن أبي عامر وشاعره توفي 421هـ.أنظر وفيات الأعيان،ج1،ص153.و ابن بسام الشنتريني:الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تح إحسان عباس الدار العربية للكتاب،تونس،ليبيا1981،ط1،ج1،ص59.

[3]- عبد الكريم الفلاح الحاحي المراكشي ت بمراكش 933هـ.انظر الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات.ج8،ص 170.

[4]- من صاحب الشيخ عبد الكريم إلى شأنه عليه، ساقطة من ب.

[5]- في ب وصاحب الشيخ أبي محمد الغزواني.

[6]- الجرس إجمال الخطاب بضرب من القهر.رفيق العجم:موسوعة مصطلحات التصوف.ص264.

[7]- أبي عبد الله محمد بن علي الطرابلسي:نزيل الجزائر قدم المغرب في سفارتين توفي 963هـ.انظر حجي،موسوعة أعلام المغرب،ج3ص1117.

وهي مشتملة على ثلاثة أوراق، وألقي عليه مسائل يعرفها من إتصف بالقبطانية ودخل رحبتها وهي قوله :إن دخلت رحبة القطبانية فصف لنا معراج روح القطب والملائكة الذين يصعدون بها،وما أسماؤهم ومن الأدميين صاحب قدومته في ذلك الخطر العظيم،وكيف خطاب الملائكة لها حين تزف إلى الرحبة المنزهة وكيف يحي أهل الرحبة حين الدخول،وكيف يجتمعون فيها وما شرابهم وهل يسقون فيها بكأس واحد أو كؤوس، وأي حلة يكسى بها حين رجوعه من الحضرة الأصلية وما ذكرهم فيها وهل ناطقين أو شاخصين وهل نديمهم آدمي أو ملك، فمن عجز عن هذا فلا يحل له الكلام برأيه إلخ .

لما وصلت الرسالة لسيدي أبي عمر قال لهم يأتي من أصحابي من يجاوبه على رسالته فوقع الأمر كما ذكر سيدي أبي عمرا، وهو أن أبا العباس أحمد بن عبد الله بن أبي محلي كان من أصحاب سيدي محمد بن مبارك[1]،وابن مبارك ممن أخذ عن سيدي أبي عمر فوقف أبو العباس المذكور على الرسالة فجاوب الخروبي عليها ورد عليها،كل ماذكر وزاد على ذلك وبين له الشروط التي أشترط معرفتها فيمن ادعى القطبانية.

و وقعالجواب من أبي العباس المذكور بعد موت الخروبي وهذا من كرامة أبي عمر وصحح أبو العباس أن الشيخ أبا عمر هو القطب، قلت وما تقدم من أن أبا العباس أحمد بن عبد الله ابن أبي محلي أخذ عن ابن مبارك وكان ينتسب إليه هو كذلك مع أن الصحيح والذي حدثنا به بعض الفضلاء أن أصل مدده من الشيخ سيدي محمد الشرقي وسيأتي إن شاء الله ذكره فيمن أخذ عنه والله الموفق سبحانه والهادي.

اللهم يا سيدي ويا مولاي ويا ثقتي ويا رجائي أسألك بأشراف مخلوقاتك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبحرمة هؤلاء عبادك الصالحين بلغ مقصودنا وأمنا مما نخاف منه ونحذر يا أرحم الراحمين يارب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

[1]- محمد بن مبارك الزعري دفين تاستاوت توفي 1006هـ.السلاوي،الإستقصاء.ج5،ص 192.

الفصل الثاني :في ذكر من أخبر بوجود سيدي محمد الشرقي وبشر به والديه من الأشياخ رضي الله عنهممنهم القطب الأكبر والغوث الأشهر شيخ الجماعة بالمغرب أبو الفارس عبد العزيز بن عبد الحق المعروف بالتباع، حدثني بعض الثقاة أن الشيخ سيدي عبد العزيز التباع أرسل إنسانا يوما بالأجرة في مدينة مراكش في المساجد و الأسواق ينذر الناس ويجمعهم ليغنموا فضل الشيخ ويستقوا من فيضه.

ويقول أن سيدي عبد العزيز يقول هلموا إلي لتغنموا فضلي فاجتمعوا إليه ولم يحضر سيدي أبو القاسم في ذالك الوقت ثم حضر بعد ذلك.فقال للشيخ يا سيدي سمعت وأنك فعلت وفعلت يذكرما سلف، فما أعطيتني أنا وأين حقي، فقال له أعطيتك درهما ينفق منه أهل المشرق والمغرب يعني به وجود الشيخ سيدي محمد الشرقي.

ومنهم والده الشيخ سيدي أبو القاسم، حدثني الأخ في الله العالم العلامة النحرير الفهامة الأديب الفاضل أبو العباس سيدي أحمد بن فتوح التازي[1]، قال لي أرسل سيدي أبو القاسم رسولا له في حاجة لسيدي بن داود قال له من أين أتيت، فأخبره بما قال له من أين أتيت؟ فأخبره أنه رسول سيدي أبا القاسم فقال أنت صاحب الثعلب الصفراء فلما رجع من عنده قال له سيدي أبو القاسم ما قال لك ابن داود فأخبره بما قال له،فقال فهلا أجبته فقال يا سيدي لا أدري ما أجاوبه به،فقال فهلا قلت له هذه الثعلب الصفراء تلد ثعبانا يغطيني ويغطيك يريد به سيدي محمد الشرقي .

قال لي المخبر فكان الأمر كما ذكر سيدي أبو القاسم فلا تسمع إلا الشرقي مولى تادلة،قلت وكلام سيدي محمد بن داود[2]. فيه إشارة إلى مقاله سيدي أبي القاسم فهو بشارة وإخبار بالشيخ سيد محمد الشرقي نفعنا الله بجميعهم.ومنهم الشيخ سيدي عثمان أمسناو،ويقال أن الولية الصالحة سيدتي رحمة بنت حمزة مرت ذات مرة مع الشيخ سيدي أبي القاسم لزيارة شيخها سيدي أبي عثمان وهي حامل فأعلمها أن ذا بطنها ولد وأمرها أن تسميه الشرقي. ومنهم الولي الكبير القدوة الشهير سيدي أحمد بن يوسف الراشدي الملياني[3]،يقال أن الشيخ سيدي أبي القاسم ذهب لزيارته فأمره أن يسمي ما في بطن زوجته محمد الشرقي فسماه لذلك محمد الشرقي .

---

[1]- أحمد بن فتوح التازي كان حيا أواسط القرن الثاني عشر الهجري.رضا كحالة:معجم المؤلفين.ج13،ص 365. وعبد السلام بن سودة:دليلمؤرخ المغرب الأقصى.دار الفكر،بيروت لبنان.1418هـ-1997م.ط1، ص135.

[2]- توفي في 1304 هـ.انظر إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع.تح محمد حجي،دار الغرب الإسلامي بيروت.1417هـ-1997م.ط1،ج1،ص 295.

[3]- دفين مليانة من كبار الصوفية توفي927هـ.مرآة المحاسن،صص298-299.

قلت: تنبه لهذا الفضل العظيم والفخر الجسيم والمجد الصميم والشرف العميم ولهذه الفضائل السنية والمزايا العلية والمناقب الذاتية والمكارم الحسية والسجايا المعنوية .حيث أن تلك الأشياخ البواذخ والجبال الرواسخ والأطواد الشوامخ ذوي المعارف والأسرار والذخائر والأنوار أعلام الملة، وشيوخ الأئمة تخبر بوجود هذا الوارث الرباني وللغوث الرحماني البحر العذب المسقي الشيخ سيدي محمد الشرقي، وتبشر بمقبل وجوده و[تنبئ به قبل ظهوره[1]]وتسميه قبل بروزه. فأنظر لهذه الخصوصية الرفيعةالشريفة وتأملها بمزيد الاهتمام نجد ذلك في غاية الإعظام وترى للشيخ على غيره مزيد إحترام وإكراما أي إكرام وإختصاصه بمنقبة لم تكن لغيره وعناية قوية من مجده وقلت في هذا :

فاق الإمام محمد الـــــمرتضى	قطب الورى الشرقي أسنى العنصر
قد خص بالـــــمجد الرفيع ورتبة	مرفوعة فوق الثريا ومـــشتر
ورث الفضائل كابرعـــــــن كابر	طود الأنام ملاذ كل مـــجير
حاز الــــــمحامد كلها وقد غدا	بحرا إلى تلك العطش الضمر
غـــــوث الوجودومن عليه مدار	هوغياثه في كل خطب منكر
مـــجلي الكروب إذا تعاظم أمرها	ومزيل كل مثقل متــــعسر
حامي الديـــار لدى الكـــــريهة	دافع يدفاتك متعرض متغير
معطي الوجود عـطاء من لايخشي	فقرا ولكن لا عطاء مـــقصر
قطب لأبدال الورى وخيــــــارها	أوتادها وزراء ذاك الأخـــير
تـــــهدى به الأشياخ قبل وجوده	لعلو شأن مـــحمد الأكبر
قد أخبر الــــحرار بالقطب الذي	هو الخليفة بعده في الأعصر
والشيخ والده تقـــدم مـــــخبرا	في قصة مشهورة بالأعـــصر

[1]- وتنبئ به قبل ظهوره ساقطة من أ

وبه أبو عثمان قد أتـــى معلما	بولادة الشيخ الــهمام الأشهر
وكذا الإمام الـــمنتمي لرشيده	نجل ابن يوسف منقذ المتحير
فأنظر لأخـــبار الأئمة نسبة	لهذا الثنا وبيان قصد الـمخبر
ماذاك إلا أن هذا الـــمرتضى	سر لـــــه قد فاق كل منور
ولقد بدا فضل تقـــاصردونه	أهل الفضائل والنهى والمفـخر
قد فاق ذاك الفاضل ابنالفاضل	فـي حب خير الأنبياء الأنور
صلى الله عليه مادام الـــورى	وعلى صاحبته وآل الـمنصر

اللهم يا منقذ الغرقى بعد تيقنها بحلول العطب،ولم يكن له مفر[1] ولا مهرب يا غياث المستغيثين ياأكرم الأكرمين بحرمة سيدنا محمد رسول رب العالمين صلى الله عليه وعلى آله أجمعين، قلت وذكرني إخبار هؤلاء الشيوخ هنا بالشيخ سيدي محمد الشرقي[أمورا[2]] ولو لا خوف السآمة والإطالة لأودعنا منها شيئا فلنرجع إلى المقصود فنقول:

[1]- في ب ولم يكن له مفتد

[2]- أمورا ساقطة من أ

الفصل الثالث :في تعريف هؤلاء الأشياخ الذين أخبروا بوجود الشيخ سيدي محمد الشرقي.

أما الشيخ سيدي أبو محمد عبد العزيز التباع فسيأتي الكلام عليه عند ذكر أشياخه رضي الله عنهم، وأما الشيخ والده فتقدم الكلام عليه وأما الشيخ سيدي محمد بن داوود البوزيدي أمسناو دفين أزراق، فقال فيه صاحب دوحة الناشر، ومنهم، أي مشايخ القرن العاشر عروس الفضلاء الأخيار ونخبه المحبين من الأولياء الأبرار الشيخ أبو عبد الله محمد بن داوود الشاوي من مشايخ الصوفية، أخذ عن الشيخ عبد العزيز التباع إنتفع الناس به كذا التائبون إلى الله تعالى على يده، وله مآثر جمة ومناقب كثيرة مشهورة تركتها إختصارا.

وسبب صحبته للشيخ عبد العزيز التباع أن الشيخ عبد العزيز التباع أرسل وارث حاله سيدي عبد الله الغزواني إلى سيدي محمد بن داوود المذكور وقال له: قل لابن داوود قد إحتجنا الإدام، وكان أبن داوود من أشياخ الشاوية وأغنيائهم فسار إليه وذكر له ذلك وبات عنده،ومن الغد نزع ثيابه ولبس ثياب الفقراء وكسر رمحا وجعل منه عكازا وقدم بين يديه جميع ما يملك،وصار إلى الشيخ أبي محمد عبد العزيز صحبة سيدي عبد الله الغزواني، فلما وصل إلى مراكش قبله الشيخ وأقبل عليه وقال له قد قبلت مالك ورددته عليك فاعمل زاوية، فرجع وعمل الزاوية وصار من أهل الخصوصية هذا ابتداء صحبته للشيخ التباع .

قال في المرآة:وكان الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم[1] نزيل أجرط ودفينه شارك أبا محمد بن داود في صحبة الشيخ التباع ثم سلب له الإرادة كحال البداية وتسبب في مجيئه إلى أزراق وسمعت أنها كانت سنة غلاء بتامسنا[2]، فلما جاء سيدي محمد بن داوود[3] فوض إليه سيدي علي جميع أموره ووضع مفاتح الإقراء بيده كواحد من تلاميذه إنتهى .وكان رضي الله عنه مشهور الجذب من أهل الأنس والقرب، قد زرته مرارا نفعنا الله بذلك وشاهدت له كرامة والله أسأله في كمال ما قصدناه فيه .

أما الشيخ أبو عثمان سعيد أمسناو فقال فيه صاحب الدوحة كان فاضلا زاهدا ذا شوكة وغاية، توفي في العشرة الخامسة ودفن بزاويته ولم يعقب رحمه الله إنتهى. وقبره بالصومعة وهي دار سكناه أخذ عن الشيخ التباع وقال صاحب ممتع الأسماع :أخبرني الثقة أنه عنده بخط سيدي أحمد بن أبي القاسم الزهراني الصومعي[4]أن أبا

---

[1]- أبو الحسن علي بن ابراهيم التادلي من تلاميذ التباع توفي في صدر العشرة الخامسة.بن عسكر:دوحة الناشر،ص95.

[2]- تامسنا إقليم مغربي يمتد من نهر أبي رقراق إلى واد أم الربيع والنسبة إليه مسناوي.أنظر عبد الوهاب بن منصور:قبائل المغرب.المطبعة الملكية الرباط،1388هـ-1968م.ج1،117.

[3]- محمد بن داود توفي 1304هـ،حجي موسوعة أعلام المغرب،ج8،ص2770.

[4]- أحمدبن ابي القاسم الزهراني الصومعي توفي 1013هـ.القادري:نشر المثاني.و فاطمة خليل: رسائل ابن علي اليوسي دراسة وتحقيق. دار الثقافة الدار البيضاء،1401هـ-1984م.،ج2،ص379.

عثمان المذكور من أصحاب سيدي محمد أمسناو ثم قال وكان أتباعه غاية في اتباع السنة كما أن أتباع سيدي محمد بن عيسى الفهري[1] غاية في المحبة والأدب فكان يقال المحبة عيساوية والسنة مسناوية، وكان كثير الأتباع منهم الثمانمئة أو عشر مائة متجرد يأكلون من عنده من طعام زاويته، وكانوا إذا أمسوا عرضوا عليه ما كان منهم بالنهار من قول أو فعل أو نية وعزم في العادات والعبادات وإذا وجد عند أحد ما لا يصلح،عاقبه بالقول أو الضرب بعصا كانت عنده أو بالهجران أو بغير ذلك مما يراه رادعا وكفارة. ولا يتحركون لشيء إلا بإذنه و بنية صحيحة،ويذكر أنه كان لا يلد : فتزايد مرة وله فأخبر بذلك فذهب إلى الدار فوجدها مطبقة وأهلها في فرح وسرور .فقال لزوجته إن كنت تفرحين بموته كما فرحت بولادته فنعم وإلا فلله يعطيه ما يذهب به فلم يمكث إلا ثلاث ليال أو نحوها ومات ثم لم تلد بعده إنتهى .

وأما الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الراشدي الملياني[2] فهو الولي الكبير، الطود الشهير العالم الصالح والقدوة الناصح مربي المريدين ونخبة السالكين أخذ عن الولي الواصل الكبير العارف المدقق المحقق الشهير علم الشريعة وأستاذ الطريقة سلطان أهل الحقيقة عنصر العرفان وقطب الزمان علم المهتدين وقدوة السالكين مربي المريدين وترجمان العارفين أبي العباس سيدي أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنوسي ثم الفاسي. وتخرجت على يده مشايخ أجلة وفضلاء أهلة ممن اتفق على ولايتهم واشتهرت خصوصيتهم وظهرت كرامتهم وكتبت تراجمهم منهم الولي الصالح والبدر اللائح ذو الأحوال الربانية والأسرار العرفانية أبو الحسن علي بن عبد الله السجلماسي[3]والشيخ الولي العارف المربي المكاشف شيخ المشايخ وقدوة الكهوف الشوامخ سيدي أبو القاسم الغازي[4]، نفعنا الله بجميعهم .

وقال صاحب دوحة الناشر فيه : هوالشيخ العالم ولي الله تعالى أحمد بن يوسف الملياني نزيل مليانة ما بين الجزائر وتلمسان من أصحاب الشيخ سيدي أحمد زروق جليل القدر كبير الشأن من أكابر مشايخ الصوفية فتح عليه في علوم أسماء الله تعالى وتصريفها، وكان عارفا بالله تعالى سمعت سيدي أبي محمد الهبطي[5] يقول، سئل سيدي أحمد ابن يوسف عن ذات الله تعالى هل هي حسية أم معنوية، فأجاب بأن قال هي حسية لا تدرك .قال سيدي أبو

1- محمد بن عيسى الفهري أبو عبد الله المكناسي،توفي في أول العشرة الرابعة.ابن عسكردوحة الناشر.صص،75_76.

2- :أحمد بن يوسف الملياني: دفين مليانة،توفي 927هـ.انظر المرآة صص،298-299.

3- توفي 1045هـ.محمد بن أحمد الحضيكي:طبقات الحضيكي،تح احمد بو مزكو،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،المغرب،1427هـ-2006م.ط1،ص455. وما بعدها.

4- أبو القاسم الغازي:بن أحمد درعي الأصل وسجلماسي الدار توفي981هـ.معلمة المغرب،ج18،ص 6274.

5- محمد الهبطي:توفي 963هـ .دوحة الناشر،ص7 وما بعدها.

محمد،وهو جواب لم يسبق لمثله وهو دليل على قوة معرفته بالله تعالى، وكانت عجائب الكرامات وأنواع الإنفعالات تظهر على يده،فبعد صيته وكثر اتباعه فتوغلوا في محبته وأفرطوا فيها حتى ربما نسبة بعضهم إلى النبوءة وفشا ذلك التوغل على يد رجل من أصحابه يقال له ابن عبد الله فإنه تزندق وذهب مذهب الإباضية[1] لعنهم الله على ما حكى وإعتقد هذا المذهب الخسيس كثير من الغوغاء وأجلاف العرب من أهل الشهوات من أهل الحواضر.

وتعرف هذه الطائفة باليوسفية ولم يكن اليوم بالمغرب من طوائف المبتدعة سوى هذه الطائفة، وسمعت بعض الفضلاء يقول أنه ظهر ذالك في حياة الشيخ فلما وصله ذلك قال من قال عنا ما لم نقل فيبتليه الله بالعلة و القلة والموت على غير ملة وقد أشار الفقهاء على السلطان الغالب، بالاعتناء بحسم مادة هذه الطائفة فسجن جماعة منهم وقتل آخرين، هؤلاء المبتدعين ليسوا من أحوال الشيخ في شيء بل فعلوا كفعل الروافض والشيعة في أئمتهم، وإنما صحب الشيخ كأبي محمد الخياط[2] والشيخ الشطيبي[3] وأنضارهما من أهل الفضل والدين والأئمة المقتدى بهم كلهم يعظمون الشيخ ويعترفون بالولاية والعلم والمعرفة .

توفي رضي الله عنه في العشرة الثالثة وقبره مزار عظيمة بمليانة والله تعالى أعلم إنتهى .وبالجملة فشهرته تغني عن التعريف به وذكر مناقبه نفعنا الله به آمين يا رب العالمين، وهنا إنتهى الكلام على هؤلاء الأشياخ المتقدمين، فلنرجع إلى الكلام علىالشيخ سيدي محمد الشرقي وعلى التعريف به وبه يختم الفصل إن شاء الله .

ثم أعلم أن فضل الشيخ وشهرته بين الخاصة والعامة، وفشوا أخباره شرقا و غربا وقبلة وإتساع فضله ومزاياه وعلو شأنه ومرماه وإشتهار صيته[4] وذكره، وإثبات خصوصيته وسمو قدره وكثرة كرائمه وإذاعة خصائله وبلوغه عند أئمة التصوف[5]،مرتبة كبيرة أمر ظهير للأعمى والبصير وإدراكه عند فضلاء وقته وصلحاء دهره وأئمة عصره وكبراء غربه المنزلة العظيمة، التي لم تلحق قد استولى فيها على قصب السبق معلوم شهير، كلهم ألقوا القياد إليه والمبايعة لديه معترفين بفضله وتقديمه عليهم وعلى جميع الناس، تقدم النص على القياس ورجوعهم إليه عند إشتداد الأمور وترادف الخطوب وتراكم الكروب وكونه القطب الوارث والغوث والحسام الفارث كل هذا لا يحتاج فيه إلى تعريف

---

[1]- من سلاطين الدولة السعدية توفي 981هـ.الإستقصاء،ج5،ص61.

[2]- محمد الخياط نزيل جبل زرهون أخذ عن الملياني توفي في العشرة الثالثة من القرن العاشر.طبقات الحضيكي،ج1،صص415-416.

[3]- الشيخ الشطيبي نزيل تازغدرة أخذ عن الملياني توفي بين 960هـ و970هـ.نفس المصدر،صص269،270.

[4]- في ب فضله.

[5]- في ب عند الله.

وتوضيح وتبيين وتنقيح وإن إحتاج إلى شيئ من ذلك فقد إفتقرت الظروريات إلى البرهان ولم تكف فيها المشاهدة والعيان .

وليس يصح في الأفهام شيء إذا إحتاج النهار الى دليل

فأي تعريف يبقى وأي كرامة تذكر بمن فضله أقوى من نار على علم .ولايته شاعت عند العرب والعجم وإنما يحتاج لذلك خامل الذكر والصيت بين الحي والميت،فتثبت ولايته وتذكر ترجمته والشيخ مستغن عن هذا لما منحه مولاه جل جلاله من إشاعة الذكر ولما خوله من الوجاهة وسمو القدر وقلت في هذا :

ماذا أريـــــد وأبتغي بـــــعبارة في وصف شيخ ماجد بتواتر

هل يستفاد بـــها ثبوت فضـــيلة مجهولة من فيض هذا الزاخر

أو شهرة مستورة عن عـــــــالم أو جاهل بعـــلو هذا الباهر

أو رتبة تـــــرجى لثبت صلاحه وسموه ورقي هذا الـــــماهر

يكـــــــفيه شـــهرة ذكره وعلوه شرقا وغربا في القرى وحواظر

وثبوت ما قـــــد صح عند أئمة من كونه قطب الزمان الزاهر

وظـــهور نفع صادر لذوي النهى وخوارقا ظهرت لكل مـــناظر

هل يطلب التعريف لـــمن صيته أضحى كنار فوق طود ظاهر

إن كان يحتاج إلى دليل فقد غدا يحتاجه ضوء النهار الـــــنائر

ومن الغباوة أن تـــــقام براهين لظروريات في الحجا والناظر

لكن أريد به إبتغاء جـــــــنابه ورضاه عني والمنا وذخــــائر

والله أسأل أن يبلغ قـــــــصدنا واللطف[1] يمنحنا ونور سرائر

---

[1]- في ب الرشد.

لكن نطلب جوده بتحليته بعبارات لعله أن يمن بلطائف وإشارات ونريد شيئا من ذلك عسى أن يسلك بنا أحسن المسالك، ويتيح لي شربة من كأسه ونفسا من أنفاسه وتهب لي ريح تعلقني بأذياله،وبعطفة من عطفاته ويرسل علي فيض رحماته وغزير ودقه ويرزقني حظا وافرا من صدقه إذا عادته الإحسان وبحر جوده ملآن :

يا سيدا والـــجود منك سجية ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ يـــــهنيك طيب ذكره يهنيك

أدعوك دعوة من تـــــيقن أنه ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ سيـــــنال ما يرجوه إذ يدعوك

عودتني البر الـــجزيل ودأبكم ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ أبدا تعودها لذي يرجـــــوك

فلذلك لو فتشت قلبي لـم تجد ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ لك في الولاءالمحظ فيك شريك

هذا حديثي عن ضمير صادق ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وسل ضميرك إنه ينـــــبيك

لم لانرجي منك إدراك الــمنى ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وأبوك في يوم الفخار أبــــوك

وإذا تحدث عن نداك محدث ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ فالبحر عبدك لا أقول أخــوك

جاءت محـركة بـهجتك التي ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ماخلتها محتاجة تـــــحريك

وإذا مننت بـما قصدت تكرما ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ فلمثل ذلك دائما أرجـــــوك

حاشاك تـــهمل مملوكا وترده ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وســـواك من يهمل له مملوك

وأتمثل أيضا بقوله :فبالله يا أغنى الورى فـي ملاحـــــة ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ تصدق على عبد من الصبر مفلس

أنلني الرضى حتى أنال مناكم ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وتذهب عنـــي وحشتي وتـــوجس

رضاك الذي إن نلته نلت رفع ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وألبســـني في الناس أشرف ملبس

وأنشد أيضا قوله :

يا سيدي إنــــــي لراض بالذي ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ترضى ولا أرجوا إلهي ســواك

وإذا طردت فلا أزال مـــــلازما ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ هذا الجانب وآملا جــــدواك

حاشاك أن ترضى بـطردي دائما　　　بعد إنتسابي إلى منيع حـماك

ودي وفقري والتذلل عنـــــدكم　　　شفعاء عندي في بلوغ رضاك

فأمنن على بما رجوت من الرضى　　　عنـــي بفضلك ولتقل بشراك

فنقول هذا القطب الواصل،والغوث[1]الكامل والجرس الفاضل الهمام الحافل العالم العامل إني الأماجد الأماثل الطود الشامخ و الركن الراسخ الذي ليس لمحكم آياته ناسخ ولا لمبرم عقده فاسخ .آية الله بين خلقه وحجته في أرضه . ذوالعلوم العرفانية والأسرار الربانية والمواهب اللدنية والمفاخر السنية و والمذاهب السنية والمآثر الأثيرة والمزايا الشهيرة .المحقق الصوفي المدقق الوفي، علم الشريعة أستاذ الطريقة وسلطان أهل الحقيقة، الحامل في وقته لواء أهل العيان ونخبة الأقطاب والأعيان. أعجوبة زمانه ونخبة عصره وأوانه شمس المهتدين وقدوة السالكين وإمام المجدوبين وترجمان زمزم العارفين شهاب الملة والدين، البدر المضيئ في دياجي الليل المستر، والمذهب لذلك الظلام المعترك مسقي أهل العناية والعرفان والمزيل عن قلوبهم كدرات الأحزان .

من سناك استمدت القـــمران　　　واهتدت بعلومك الثقــــلان

إذا جلوت غياهب الـــجهل عنها　　　بعد أن عميت بسحر البيــان

وتحايت بك الـــمعارف حتى　　　ماغدت تشتكي يدا[2]الحدثان

خطبتك وقد راتــــك خطيبا　　　يستميل القلوب عون المعان

أنت شمس الزمان غوث غياث　　　وبك ترتـــجي بلوغ التهان

ذو الكرامات الباهرة والمناقب المتكاثرة علم الفائزين قطب المرشدين وكنز الذخائر وأكسير الراشدين ومصباح المظلمين

بدر يرجى السعد عند ذوي النها　　　قطب الملا فياضهاالزخار

يــجلوا دجا الأفكار نور شعاعه　　　سيان ليل عندنا ونـــهار

فليهــــملن بـتدر السماء لغيبه　　　وأفوله فـالضوء فيه معار

---

[1]- هذه الألقاب ليس لها أصل في الكتاب ولا في السنة ولا هي عرفت عند الصحابة رضي الله عنهم.

[2]- في ب برد الحدثان

شيخ المشايخ وإمام دائرتها الباذغ الذي عليه فلكها يدور ومنه إستمدادها بلا نكور، العارف بجلال الله وجماله الداعي إلى حضرة الربوبية .بجميع أقواله وأفعاله البحر الزاخر والكوكب الذي ليس بغابر.

هو البحر إلا أنه عذب مورد ه و البدر إلا أنه غير ذي كسف

مولاي أبو عبد الله المرقى سيدي محمد الشهير بالشرقي أفاض الله علينا سحائب رحمته وأنالنا فيض بركاته بما يسعد به العبد في حركاته وسكناته، كان رضي الله عنه إماما عاملا وقطبا جامعا وغيثا هامعا شهير الذكر عظيم القدر له جاه عظيم وفضل جسيم، معترفا بفضله الراحل والمقيم، وبتقدمه[1] أولو الأبصار والأسماع في المعاهد والبقاع له المقامات[2] العلية والهمة السارية والبصيرة النافذة والصولة النافذة والأخلاق الزكية والمواهب الرحمانية والفضائل الذاتية والمزايا الحسية والمعنوية،جمع الله له العلمين الظاهر والباطن النائر أقامه الله في وقته رحمة للعباد ونوار تستضيئ به جميع البلاد .وتخرجت على يده مشايخ ممن بانت خصوصيتهم واشتهرت بركاتهم وانتفع به في جميع أرض الغرب وشهدت بفضلهم أهل البعد والقرب واشتهر النفع بالشيخ بعد مماته كما وقع في حياته، وأما قول بعضهم أن الولي إذا مات إنقطع تصرفه في الكون،وما يحصل لزائره إنما هو على يد صاحب الوقت، بحسب درجة ذلك الولي فذلك في الأغلب، قال أبو علي سيدي الحسن بن مسعود رضي الله عنه، وقد نصوا على أن ثلاثة من صلحاء المغرب وقع النفع بهم بعد الممات كما وقع في الحياة وهو الشيخ أبو يعزى[3] والشيخ أبو العباس السبتي[4] وأبو مدين[5]، نص على ذلك الشيخ زروق وغيره.

وقال أبو علي أيضا عن سيدي محمد الحاج الدلائي[6] عن والده سيدي محمد أبي بكر[7]

---

[1]- في ب مقتديا به

[2]- في ب المكانة.

[3]- أبو يعزى يلنور بن ميمون،ت572هـ.أنظر الإستقصاء،ج2،ص210.وابن قنفذ القسنطيني:الوفيات.تح عادل نويهض،دار الآفاق الجديدة،بيروت.1403هـ-1983م.ص284. وقد أفرد له أحمد التادلي الصومعي كتابا في مناقبه،أنظر أحمد التادلي الصومعي:المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزى.تح علي الجاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة ابن زهر،أكادير،مطبعة المعارف الجديدة،الرباط،1996.

[4]- أبو العباس السبتي: توفي 601هـ أنظر تاريخ الذهبي.ج43،ص398.وشمس الدين بن الغزي:ديوان الإسلام.تح سيد كسروي حسن،دار الكتب العلمية بيروت،1990.ج1،ص302.وقد خصه ابن أبي الزيات التادلي بكتاب أسماه:التشوف لرجال التصوف.تح أحمد التوفيق،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،الرباط،1404هـ-1984م.

[5]- أبو مدين شعيب التلمساني:سيد العارفين وقدوة السالكين من تلاميذ أبي يعزى،توفي بالعباد 594هـ.ابن مريم:البستان،ص108 وما بعدها.

[6]- محمد الحاج الدلائي،توفي 1081هـ بتلمسان.السلاوي:الإستقصاء،ج7،ص36.

[7]- أبو بكر بن محمد الدلائي،(943-1021هـ)،مؤسس زاوية الدلاء،أنظر الحضيكي:طبقات الحضيكي، ص179.و محمد حجي: الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي. مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء1409هـ 1988م، ط2. ص45 وما بعدها.

أن الشيخ عبد السلام بن مشيش[1] والشيخ أبا يعزي يلنور والشيخ أبا سلهام[2] جرب عندهم قضاء الحوائج غير أنهم إختلفوا فالأول في أمور الآخرة والثالث في أمور الدنيا و أبو يعزي في الكل نفعنا الله بهم آمين ،ثم قال أبو علي وهذا حسب ما إشتهر وانتشر وإلا فالإنتفاع واقع بأولياء الله كلهم، قال أبو علي : وقد شاهدت المولى إدريس بن إدريس[3] زمان إقامتي بفاس ترياقا مجربا في كل ما نزل بي إنتهى .قلت : ووجدت بخط والدي رحمه الله ما نصه أخبرني بعض التقاه ممن هو في جوار هذا الشيخ سيدي محمد الشرقي أن الشيخ سيدي محمد الشرقي ترياقا مجربا في كل ما نزل بالإنسان وقصده فيه وهذا المخبر من خيار القاطنين بحرمه، إنتهى .

قلت :وشاهدته أنا في أمور نزلت ففرج الله عنا بفضل هذا الشيخ سيدي محمد الشرقي. الله أسأل أن يكمل المقصود إنه ولي قريب سميع مجيب .وكان الشيخ سيدي محمد الشرقي في إبتداء أمره يقرأ بالصومعة، بلد الشيخ العالم الصالح أبي العباس أحمد بن أبي القاسم الزهراني[4]، وكان الشيخ أبو العباس في ذلك الوقت موجودا وكان أيضا يقرأ هناك الشيخ أبو العباس المذكور هو الذي وقعت للشيخ سيدي محمد معه حكايات سنذكر منها إثنين في باب الكرائم .

قال صاحب ممتع الأسماع ثم كان من قدر الله إنهما لما كبرا وصار كل واحد بزاويته في بلاده إختلفت أحوالهما وأصبح كل واحد ينكر حال صاحبه وكانا على طرفي النقيض وقيل لسيدي محمد الشرقي مالك مع سيدي أحمد بن أبي القاسم فقال: مالي معه شيء إلا أنه يقول شديد العقاب، وأنا أقول أنه غفور رحيم، ومع هذا قال فيماحكي عنه، أنا وسيدي أحمد بن أبي القاسم كحجري الرحا من صار بيننا طحناه .

ويحكى عنه أنه سمعوا منه أخيرا تسليم حال الشيخ أبي العباس و الإعتراف بصحبته.قلت :وظهر لي والله أعلم في قول الشيخ :وأنا أقول أنه غفور رحيم،أن الشيخ لما كان محبوبا والمحبوب على بساط الجمال ناسب مقامه المغفرة والرحمة، وبهذا قالوا رجاء المحب يزيد على خوفه، بل لو انتفى خوفه وحصل له الأمر لم يبعد من مقامه،

---

[1]- عبد السلام بن مشيش،ت622ه من أعيان صوفية المغرب أنظر محمد بن يوسف الفهري،مرآة المحاسن،ص260.

[2]- أبو سلهام من صلحاء المغرب،ت343هـ،نفس المصدر،ص10.

[3]- ادريس بن أدريس بن عبد الله الكامل،مؤسس جامع القرويين وأحد أمراء الأدارسة،ت213هـ.ابن الأبار: الحلة السيراء.تح حسين مؤنس،دار المعارف،القاهرة،1985،ط2،ج1،ص53.وأيضاابن عذاري المراكشي:البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب.تح ج س كولان وليفي بروفنصال،داالثقافة، بيروت،1983،ط3،ج1،ص103.وعبدالله البكري:المسالك والممالك.دار الغرب الإسلامي، بيروت،1992. ج2،ص799.ومجهول:الإستبصار في عجائب الأمصار،دار الشؤون الثقافية،بغداد،1986.ص196.

[4]- أحمد بن أبي القاسم الزهراني،دفين الصومعة من بلاد تادلة،توفي1013هـ.محمدبن الحاج الصغير الأفراني:صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر.تح عبد المجيد خيالي،مركز التراث المغربي،الدار البضاء،1423هـ-2004م.ص75.

ولهاذا قال زيد بن اسلم رضي الله عنه أن الله عز وجل يحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول له إفعل ما شئت فقد غفرت لك .

وقال سيدي أبو الحسن الشاذلي[1] رضي الله عنه يبلغ الولي مبلغا يقال له فيه :أصحبناك السلامة ورفعنا عنك الملامة وشاهده من الحديث(وما يدريك لعل الله إطلع على أهل بدر فقال إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)[2].

أما قول صاحب الممتع وكانا على طرفي النقيض، فأشار إلى الجواب عنه بقوله :ولم يزل يقع ذلك لأهل الطريق والصادقين من المتوجهين إما للإختلاف في الشرب أو للإختلاف بالعلو والنزول ولكون أحدهما من أهل الطريق والآخر حضه العلم الظاهر[3] والقيام بالسنة أو غير ذلك، إنتهى .وكان الشيخ سيدي محمد الشرقي في إبتداء أمره وسكناه في أبي الجعد[4] القديم الذي يقال له الآن الميعاد الذي فيه ضريح ولده الشيخ سيدي الغزواني وغيره من إخوته . ويقال أن سبب إنتقاله منه أن جواره لم يحسنوا الجورة مع الشيخ فدعا عليهم بالخلا و الخراب فكان الأمر كذلك .يحكى أن الشيخ لما أراد الإنتقال منه كلموه في ذلك فقال لهم "بلارج " الطائر المعلوم إذا كثر الخبث في عشه يبدل آخر فأحرى بنو آدم .فإنتقل إلى أبي الجعد الذي به ضريحه الآن وبقي به إلى أن توفي رحمه الله وكانت وفاته ليلة أول يوم من المحرم سنة عشرة والف وسنه أربع وثمانون سنة .

وكان الشيخ سيدي محمد الشرقي ذا فيض وقوة وهمة عالية لا يقبل من أحد أن يساميه ويضاهيه، وحكاياته في هذا الأمر مشهورة، وإن وقع من أحد الظهور والشهرة يغار منه ولا يسلم منه وربما عاقبه بالسلب لأنه كان من أقوياء وقته ومن له الهمة[5] في عصره والتصريف التام في زمانه، ولما سمع خبر ما قال في جنابه العارف الهمام المكاشف أبو المحاسن سيدي يوسف الفاسي[6] رحمه الله ونفعنا به آمين دنيا وأخرى والكلام يأتي خبره في رسالة

[1]- أبو الحسن الشاذلي،الزاهد شيخ الشاذلية،توفي 656هـ.وترجمته في وفيات ابن القنفذ،ص342.الطبقات الكبرى للشعراني،ج2،ص4.وطبقات الأولياء لابن الملقن،ج1،ص458.والوافي بالوفيات،ج21،ص141.وصلاح الدين الصفدي:نكث الهميان في نكت العميان.تح عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية بيروت،1418هـ-2007م،ط1،ج197،1.كما أورد أخباره ابن الصباغ الشيخ الحميري:درة الأسرار وتحفة الأبرار.المكتبة الأزهرية للتراث،مصر.ص5 وما بعدها.

[2]- أخرجه أبو داود وابن حبان وصححه الألباني في الصحيحة رقم2732.السلسلة الصحيحة،ج6،ص521

[3]- العلم الظاهر من مصطلحات الصوفية وهو علم الشريعة أما ما يتعداه من علم الأحوال والمقامات أو معرفة الله فهو علم الباطن،أنظر حسن إلهي ظهير،التصوف المنشأ والمصادر.إدارة ترجمان السنة،لاهور،باكستان، 1406هـ،1986م.ص46.وأنظرأبو طالب المكي:قوت القلوب.ص215.الكتاب منشور في مكتبة المصطفاالإلكترونية، دون معلومات حول الطبع.انظر أيضا اللمع للطوسي،ص43.

[4]- مقر سكنى الشيخ الشرقي وأبنائه وهي من مدن تادلة.أنظر شارل دوفوكوا:التعرف على المغرب،1883-1884.وأحمد البوكاري :الزاوية الشرقاوية.مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،المغرب،1409هـ-1989م.ط1،ج1،ص75.

[5]- في ب الهمة العالية

[6]- أبو المحاسن يوسف توفي1013هـ من صلحاء المغرب.أنظر مرآة المحاسن .ص106.

أبي المحاسن. قال صاحب ممتع الأسماع، وكان الشيخ سيدي محمد الشرقي، فيحمل الكلام الصادر من أبي المحاسن على غير وجهه ،فكتب سيدي محمد الشرقي إلى سيدي يوسف كتابا يعرفه بحاله ويصف له مبالغ الرجال ويدعوه إلى صحبته ويحضه عليها ويحذره مخافة أن يفوته .وبهذا تعلم غيرته التامة وقوته السامية، ولم لا وهو القطب الواحد والغوث الناقد والوارث المتبع والخليفة المستجمع نفعنا الله به.

فرد وليس له نظير فإنتفى جمع وتثنية لهذا المفرد

ونص ماكتب سيدي محمد الشرقي : الملك و الملكوت، وصفهم منعوت أهل الجبروت، ما غيبوا عنا، تنوح السموات على أرباب القوت بادر لا يفوت عنك وقتنا،شموس القلوب تشاهد المحبوب في عالم الغيوب،شرابها مختوم، الشرق والجنوب في طيها مكتوب، تخرق الحجوب[1] للواحد القيوم، رياح الصبا[2]تأتي على غبا[3]، وأرباب المحبا،ما خفاهم حال القلب انسبا[4]،من شريك اتربا[5]، والروح جاذبا في حضرة الجلال،نفحات المحب من رياض القرب، بها لم يزل روضي زاهيا إذ اسقيتموني شراب الرشف[6]، ثم تشاهدوا ليلا كما هي، قولوا للنوى[7] تهيج الجوى[8]، القلب إنكوى من حبك الحراق، أو أنفيت السوى[9] وأتركت ما نهوى، قالوا لي الدوى في راكب البراق ،فبلغ سيدي يوسف الفاسي كلام الشيخ سيدي محمد الشرقي ودخل بيدهبعد إتفاق غريب وقع لأبي المحاسن مع

4- الحجاب:الستر وفي صفات الله راجع إلى ستر الأبصار ومنعها من رؤيته.القاضي عياض السبتي:مشارق الأنوار على صحيح اللآثار.المكتبة العتيقة ودار التراث،ج1،ص181.وعند الكاشاني في مصطلحات الصوفية،ص81:إنطباع الصور الكونية في القلب المانعة لتجلي الحقائق.

5-الصبا:رياح تهب من المشرق قال الشاعر: فإن الصبا ريح إذا ما تنسمت/على كبد محزون تجلت همومها.

أنظرابن قتيبة الدينوري:غريب الحديث.تح عبد الله الجبوري،مطبة العاني،بغداد،ط1، ج1، ص292.

6-غبا:المطر ليس بالكثير.إسماعيل الفرابي:الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية.،تح أحمد عطار،دار العلم للملايين،بيروت،1407هـ-1987م.ط4، ج6، ص2443.

4- انسبا:الجلد أي انسلخ،اسحاق بن الحسين الفرابي:معجم ديوان الأدب.،تح أحمد مختار عمر،مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر،القاهرة،1424هـ-2003م.ص4237.

5- أتربا:الشيء وضع عليه التراب والشخص كثر ماله.المعجم الوسيط،ج1،ص 83.

6- الرشف:اليسير من الشرب.كتاب العين،ج6،ص 254.

7- النوى:البعد،أبو بكر محمد الأزدي:جمهرة اللغة.تح منير رمزي بعلبكي،دار العلم للملايين،بيروت،1987،ط1، ج1، ص149.

8-الجوى:كل داء يأخذ في الباطن،كتاب العين، ج4،ص 410.

9- السوى:هو الغير وهو الأعيان من حيث تعييناتها.محمد الشريف الجرجاني:كتاب التعريفات،دار الكتب العلمية،بيروت،،1403هـ-1983م.،ج1،ص123.

الاتي به، فأجاب الشيخ على أبياته المتقدمة وكتب إليه رسالة يصف لهحاله ويبين له وجه كلامه ويعلمه أنه ممن يحبه ويحسن الظن به نفعنا الله بهما ورضي عنهما .ونص الأبيات التي كتب أبوا المحاسن :

الملك والملكوت، في طينا[1] منعوت، حتى الجبروت[2] لا تخفى عنا،جملتها مثبوت حتى الرحموت[3]، وقات الوقوت هو وقتنا، شموس التحقيق[4]، قد تعطى حقيق، لمن يسير صديق للواحد القيوم، محفوف بالتوفيق بنعوت وشيق[5]،قد يسقى الرحيق الصافي المختوم، رياح الصبا، ما تنتهي عنا، والعلم الأسنى هو مصعد الكمال، القلب للمعنى والروح متهدنا والسر يتبعنا، من سر ذي الجمال .نفحت المحبا وكذاك المحبوب، في رياض التعريف أسرار ساريا، أحوال متساويا لكن في التهذيب يختلف المطلوب، حتى في التشريق أسرار ساريا،من هو متهنا ما يخشى العنا، يشرب يتعنا يمسى من السباق موصول بالمنا وكل ما يتمنى محفوف بالفنا في الواحد، القيوم[6].

إنتهت الأبيات ونص رسالته رضي الله عنه : الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه، مع ما فيه من التصحيف والإسقاط، السيد الفاضل الخير الدين الكامل محل السيادة والتكريم والمجد الراسخ الجسيم أبو عبد الله سيدي محمد ابن سيدي أبي القاسم المعروف بالشرقي، وصل الله سعادته ورفع مجادته سلام الله الأتم المبارك الأعم من عبيد الله وخديم أهل الله يوسف بن محمد الفاسي لطف الله به بمنه، وهذا وموجبه إليكم رفع الله قدركم أن بعض الناس ذكر لي،أنه بلغكم عني أني قلت ليس عليكم إلا بركة والدكم وحمل على غير وجهه، وإنكم كتبتم من أجله كلمات لم أطالع بها إلى الآن ولم تجعلوا لكلامنا مخرجا ولا وجها حسنا،مع أني والله الخير أردت والبر قصدت،فهو إن تدبرته وجدته مثبت البركة وأنها حاصلة معك .

[1]- طينت الكتاب إذا ختمته بطينة.العين،ج7،457.

[2]- الجبروت:عند أبي طالب المكي عالم العظمة أي عالم الأسماء والصفات وعند الأكثرين البرزخ المحيط بالأمريات الجمة.الجرجاني:التعريفات،ص73.

[3]- الرحموت من الرحمة،انظر المعجم الوسيط،ج1،ص 335.

[4]- التحقيق:شهود الحق في صور أسمائه التي هي أكوانهفلا يحجب المحقق بالحق من الخلقولا بالحق عن الحق.مصطلحات الكاشاني،ص174.

[5]- وشيق:خفيف سريع.تاج العروس،ج26،ص475.

[6]- الفناء:زوال الرسوم جميعا بالكلية في عين الذات الأحدية مع ارتفاع الإثنينية وهو مقام المحبوبية،الكاشاني:مصطلحات الصوفية،ص365.

قال ابن تيمية الفناء على ثلاثة أنواع،الأول فناء شرعي فيفنى عما لم يأمر الله به،وطاعة الله ومحبته والثاني فناء جاءت به الصوفيةوهو الفناء عن شهود ما سوى الله تعالى فيفنى بمعبوده عن عبادته وبمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن معرفته،وليس هذا من لوازم طريق الله فلم يعرض للنبي صلى الله عليه وسلم ولا السابقين الأولين ومن جعل هذا نهاية السالكين فهو ضال ومن جعله من لوازم الطريق فهو مخطئ.والثالث الفناء عن وجود السوى،فوجود المخلوق هو عين وجود الخالق والوجود بالعين واحد وهذا قول أهل الإلحاد والإتحاد الذين هم من أضل العباد.ابن تيمية الحراني:العقيدة التدمرية.مكتبة العبيكان،الرياض،1421هـ-2000م.ط4،صص221-222.

وتفصيل مجمل ما وصلكم أنه لا يزال يرد علينا خبر ما بسط الله من النعم عليكم وما به من كثرة المنح حولكم ولا يخفي عليكم أعزكم الله،أن الله تعالى وتقدس أجرى عادته ببديع حكمته أن يحمي الدنيا ويدفعها عمن استخلصه من عباده وأولاه لجانبه، وأن وقف في شيء منها ساقه إليه و هونه عليه قال تعالى {ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب[1]}ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا [2]}الآية على أنه لا يملكها إذا لا يملك ولا يملك فلما كانت سنة الله كما وصفنا وكان الأمر كما ذكرنا تشابه الأمر فيكم على العامة وتشاكل .

فقلت ذلك لأن الله سبحانه أجرى سنته بأن ما يزرعه الوالد يحصده الولد،وقد وقع هذا لغيركم قبيل هذا العصر وغيره من الأعصار وأمر سيدي أبي القاسم لا يخفى على ذي سمع،وحصل لكم أنتم منه الحظ الأوفى دون إخوتك تقدمه والدكم بخصوصيتك وحملناه على هذا وإن كان له محمل غيره لأنه أليق بكم لتضمنه كرامتكم، هذا وقد قال تعالى {وكان أبوهما صالحا[3]} وورد أن الله يحفظ الرجل الصالح في أهله و ولده بما يحفظه به إذا شهد وينوب عنه إذا فقد وذلك يرجع عند العلماء إلى مصالح الدنيا ومنافعها .

وأما أني أتعرض لنفي الخصوصية عنكم فهذا والله مما لا أشتغل به ولا قط أرتضيه من غيري فضلا عن نفسي، بل لا أزال آخذ على الفقراء الذين شأنهم البحث فيمن له أدنى نصيب في هذا الشأن فضلا عن غيره. إذ ذاك من دأب الفقهاء ووظيفهم فهم القائمون به والمتقلدون[4] له .وأما من ينتمي إلى هذه الطائفة فلا يكون .فهمته لله وشغله بالله فلا يلتفت للخلق على أي حال كانوا، قد إنقطع لله عن البشر واستوى عنده النفع منهم والضرر،وتركهم لباريهم خالق القوى والقدر، ثم ليكن في علمكم حفظكم الله أني والله ممن يحبكم ويحسن الظن فيكم وقد ورد في الخبر الحث على إعلام المحب لمن يحبه فتحقق ذلك منا وأعمل بمقتظاه وأما ما كتبت فقد إستبعدت ذلك غاية من جانبكم ولاشك أنها سنة جرت عليكم و النسيان ليس ببدع في الإنسان.

إن شأن الكبار عدم الدعوى والإنتصار بل السكون تحت مجاري الأقدار ورؤية ذلك من الفاعل المختار، وربك يخلق ما يشاء ويختار فدأبهم التمسك بأوصاف العبودية إذ هي لمن تدبر عين الكمال الإنساني ونفس مشاهدة الربوبية وما نقل عن بعض المشايخ من كلمات مؤذنة بالإعجاب، كقول بعضهم ما تحت خضراء السماء مثلي،

---

[1]- الطلاق،الآيتين2و3.

[2]- الأعرف 96و الآية:{ولوأن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانول يكسبون}.

[3]- الكهف 82.

[4]- في ب المتلقون له

وغير ذلك مما ورد عنهم فذلك لبقايا سلطان الجمال عندهم و إنحصارهم في مضيق سكر[1] الحال وعدم الخروج إلى فضاء الصحو و ابتداء أمرهم،وكلام السكارى يحمل ولا يصير مذهبا عليه بعمل .وفيه أيضا انجرار إلى المراء والجدال وقد وردت أحاديث كثيرة وبالترهيب منه والترغيب عنه وإن كان صاحبه محقا .وقد قيل " أخوك لا تباهيه ولا تماريه " وهو عند أهل الظاهر واضح ذمه فكيف بأهل الباطن الذي طهرهم الله[2]ورقاهم إلى العالم الأسنى ورفعهم عن العالم الأدنى وخالفوا الهوى ودعوا السوى والمراء لا يكون إلا لغل في الباطن وكيف يبقى الغل في قلوب إئتلفت بالله واتفقت على مودته وإجتمعت على محبته وأنست بذكره فهي قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبائع بل إذ تحلت بنور التوفيق فظفرت بالتحقيق، قال تعالى في وصف أهل الجنة "

{ونزعنا ما في قلوبهم من غل إخوانا على سرر متقابلين[3]} وقد علمتم أن لهذه الطائفة جنة معجلة والمقابلة[4] هنا بإستواء السر و العلانية فمن أضمر لأخيه غلا فليس بمقابله وإن كان وجهه إليه وهذا كله لا يخفى عليكم وقد وصلني أعزكم الله أنكم قلتم في أن أهل الظاهر رضوه وأهل الباطن لم يرضوه فعلى تقدير صحة ذلك منكم وعدمه، فسأصف لكم بعض حالي مجملا لتعلموا هل هو صواب أم لا،لأن الإنسان يتهم نفسه، فأعلم أني كنت من صغر سني مستغرق الأوقات في تعلم العلم الظاهر حتى حصلت منه على ما يسر الله سبحانه وحصل لي به في بلدي صيت عظيم وجاه في الخلق لإنفرادي بتدريسه يومئذ وإقتداري على توصيله للبليد والفطن ثم أن الله تعالى أخذني إليه وغسل من قلبي الأكوان فلم يوقف همتي على شيء دونه من الدنيا والاخره وما فيهما سبحانه ذو الفضل العظيم ثم حببني فيه ورفع همتي إليه وشغلني به عما سواه وإستغرق همي وفكري فيه واستوى عندي منه العز والذل والفقر والغنا وغير ذلك من الأضداد، فكل ما يفعل بي أستحليه وأتلذذ به وهذا كله على سبيل الاضطرار لا على سبيل الإختيار ثم كنس وجودي وأفنائي عن شهودي لقيته في مشهودي[5] تارة بكشف صفاته وتارة بتجلي عظمة ذاته، واستولى على باطني أمر الحق تعالى وتقدس حتى لم يبق هاجس ولا وسواس وكادت تستولي علي الغيبة عن الإحساس ثم ردني للوجود وصار لا يحجبني الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق[وإيقاني به لبعض مصالح عباده فأنا مع الخلق بالحق.[6]]بشاهد الجمع في بساط الفرق فإذا إختلفت الأشكال وتراكمت الفتن

---

[1]- السكر:غياب عن تمييز الأشياء ولا يغيب عن الأشياء وهو أن لا يميزبين مرافقه وملاذه وبين أضدادها في مرافقة الحق فإن غلبات وجود الحق تسقطه عن التمييز بين ما يؤلمه ويلذه.

[2]- في ب الذين طهر الله سرائرهم.

[3]- الحجر47.

[4]- في ب،والمعاجلة هنا.

[5]- في ب غيبة في مشهودي.

[6]- ساقطة من أ

ربما ظهر على العارف[1] وصف لم يكن معهودا أو أمر لم يكن بالذات مقصود فيكون منه قصور في جانب الحق لا في جانب الحقيقة فلا يضران . رجع في ذلك لمولاه فرارا إلى ربه واضطرارا ففروا إلى الله وإقتباسا منقوله تعالى {وعجلت إليك ربي لترضى[2]} فقد سألت بالله فإن كان هذا رضى من الله على عبده وشهادة منه تعالى بجميل صنعه {قل أي شيء أكبر شهادة قل الله[3]}،فأجبني بمقتضاه وإن كان غير ذلك، ولا علم عندي فأخبرني ،وإلا لي معك موقف بين يدي الله. لأني طلبت منك النصيحة ونطلب منك الجواب إذ لعله أن يكون فتحا للباب وسببا للمعرفة وجمعا، إذ هذا والله هو القصد الأول بهذا المكتوب ليرتفع الريب ويزول اللوم والعيب والله يجعله موفيا بالغرض المطلوب ويجمعنا عليه ولا يشغلنا بغيره ،ونحب منكم أن لا يطلع عليه أحد سواكم، إلا الواحد الأحد سيما الكلام الأخير إذ فيه شيء لو لا مادعت إليه الضرورة من إذاعة السر،والله يحلنا منه محل المؤانسة والتفهيم والمفاتحة والتكريم والسلام عليكم ورحمة الله ورضوانه، وكتب العبد الفقير إلى الله أحمد بن يوسف، لطف الله به عن إملاء والده رزقه الله رضاه لمرض ألزمه الفراش في يوم الخميس ثالث المحرم فاتح تسعة وتسعين عرفنا الله خيره إنتهى نص الرسالة .

وبهذا تعلم أن الشيخ قطب ذلك الزمان وحامل لواء العرفان والخليفة في ذلك العصر وصاحب النيابة في كل قطر ومصر وذو الصولة القاطعة والمرتبة الناصعة ومن له التصريف التام والجود العام ،وسلطان ذلك الوقت الذي له أجره وثوابه وغيره له إثمه وعقابه فهو القطب الذي عليه رحا الأولياء تدور، وأكسيرها الذي ماتوجَه لملهوف إلا أغاثه في البراوي والبحور ،والملح الذي لايستغنى عنه أحد ومن أخطأ أسرع له الفساد ،وهو الخليفة في الأنام،ووارث نبينا عليه الصلاة والسلام،وهو الغيث الهامع الذي تحي به سائر الأركان وممد ذوي الحقائق والإيقان، فكم فرجت به من كربات وأزيلت به الدواهي المعضلات والشدائد المدهمات وكم من فقير في الحين أزال عنه فقره ومريض أزال عنه ضره[4] ولبعض من ينتسب لهذا الشيخ مدحا له :

كم فقير أغنيته وســـــليب   رد مسلوبه على إستعـــجال

كم مـــــــريض شفيته وعليل   زال من قلبه مديد العــظال

---

[1]- العارف:المعرفة معرفتان معرفة حق ،ومعرفة حقيقة فمعرفة الحق معرفة وحدانيته على ما أبرز للخلق من الأسامي والصفات ومعرفة الحقيقة على أن لاسبيل إليها لامتناع الصمدية وتحقيق الربوبية لقوله عز وجل{ولا يحيطون به علما}طه110.السراج الطوسي:اللمع،ص56.

[2]- طه84.

[3]- الأنعام 19.

[4]- الغنى والفقر والمرض والصحة من الله عز وجل وحده لا شريك له.

فإلى الله اشتكي من الخطوب   قد عرتني عزيزة الأنـــزال

قد رفعت شكايتي لـحماكم   فأجبروا كسري ورقوا الحال

أنتم معشر الكرام حـــماة   لكـــئيب رمته أيـــدي الخبا

فــــخذوا بيدي فأنتـم   شفيع لـــــجناة ومذنب أمثال

زرت قبلكم الإمام أبا يــعزى   وثنـــيت بالرحيب الـــمجال

سيدي أبـــو مبارك الفيض   من قد كشف الهائل العظيم[1] بعظم الجبال

هو موسى الذي يــخاصم في   القبلة بالعلم الأمراء الــــمقال

ثم ثلثت بالــمقام الذي أبهى   مـــــن البدر في ليال الكمال

مقام القطب الـــعلي وفخر   الذين إنحازوا إلى الله في العظام العوال

سيدي سندي مــحمد الشرقي   أعظم به الــــــعظيم النوال

قد توسلت للكريم بــــهذا   المرتقى لـــــــمعارج الأفضال

وبجاه الكتب[2] والصحب أهل   الله من منتقي بهي الــــــجمال

أن يــــعاملني وكل قـريب   بــــمعاملة الحبيب الـــموال

ثم باليسر والبلوغ لقـــصد   بكمال التقى وصدق الــــمقال

والرسالة المتقدمة وجدتها عندنا كما تقدمت ثم اطلعت عليها عند صاحب ممتع الأسماع ،ورأيته زاد كلمات مؤذنة بل مصرحة بتقدم سيدي يوسف على سيدي محمد الشرقي، وما أن أتكلم على ذلك ،وأعلم أيها الواقف عليه أن الحق أحق أن يتبع وأن يذعن له ويستمع وغيره يجتنب ويرتدع ولا تكن مقلدا يعرف الحق بالرجال بل ممن

---

[1]- في ب كشف البيت بعظم الجبال.

[2]- في ب وبجاه الكماة.

يعرف الرجال بالحق، قال مولانا علي رضي الله عنه لمولاه الكميل[1] في كلام بينهما،يا كميل أعرف الرجال بالحق ، ولا تعرف الحق بالرجال ،أعرف الحق تعرف أهله .وكان الإمام مالك رضي الله عنه يقول :كل كلام فيه المقبول والمردود إلا ماكن من كلام صاحب هذا القبر عليه السلام. وقال الإمام الشافعي :ما كان من كلام صاحب هذا القبر عليه الصلاة والسلام فعلى الرأس والعين وما كان من كلام أصحابه فتختار وما كان من كلام التابعين فهم أناس ونحن أناس، وليم أرسطو في مخالفة شيخه أفلاطون فقال : تخاصم الحق وأفلاطون وكلاهما صديق لي والحق أصدق منه، إلى غير هذا مما ثبت .وإذا كان الأمر كما ذكره والسبب كما فهم فنقول أما قوله : وكان الشيخ صاحب الترجمة ذا فيض وقوة في حاله لكنه إذا وجد[2] من هو أعلا منه أنصف له وإعترف .قلت : يا ليت شعري، هل بعد مرتبة القطبانية مرتبة وهل فوق درجتها درجة،إذا القطب واحد غير متعدد وهو الواقع في حديث ابن مسعود أن قلبه على قلب إسرافيل عليه السلام وهو الوارث وخليفته عليه السلام، وقدمه على قدمه عليه الصلاة والسلام ولا مقام فوقه، فما من ولي إلا منه مستمد وهو الواسطة بينه وبين النبي عليه الصلاة والسلام ولا يزاحمه أحد ولا يدعي معه الشركة في مقام ولا مرتبه[3].

إذا صرصر[4] البازي[5] فلا ديك يصرخ ولا فاخت[6]في أيكة[7] تتر نم .كما قيل .

فهو إمام الصوفية وقطبهم الذي يدور عليه فلك حقائقهم وغوثهم الذي عنه جميع رقائقهم وجرصهم الذي عليه جميع طرائفهم كل واحد منهم يناديه بلسان.انتبه{يا أيها العزيز مسنا و أهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يحب المتصدقين[8]} فلما سمع خطابهم درت ناقته وهمعت سحابته ففاض نيل فضله

[1]- الكميل بن زياد النخعي،صاحب علي،قتل على يد الحجاج بن يوسف الثقفي عام 82هـ.أنظر عفيف الدين اليافعي،مرآة الجنان وعبرة اليقضان،دار الكتب العلمية،بيروت.الجزء1،ص 133.والذهبي:ميزان الإعتدال في نقد الرجال.تح علي بن محمد البجاوي،دار المعرفة للطباعةوالنشر،بيروت،1382هـ-1963م.ج3،ص415.

[2]- أرسطوا المقدوني من أهل مقدونية في بلاد الروم ومن تلاميذ أفلاطون وهو معلم الاسكندر ويسمى المعلم الأول،ت320ق.م،انظر ول ديورانت:قصة الحضارة.تح زكي نجيب محمود،دار الجيل،بيروت،لبنان.1408هـ-1988م.ج7،ص542.

[3]- أفلاطون:فيلسوف يوناني يدعى المعلم،ت347ق.م.لطفي عبد الوهاب: العرب في العصور القديمة. دار المعرفة الجامعية،ط2،ص9.

[4]- الصرصر الصوت الشديد مع تكرره أنظر مناهج جامعة المدينة العالمية: أصول النحو،جامعة المدينة العالمية،ص27.ومجمع اللغة العربية:المعجم الوسيط.،ج1،ص 512.

[5]- البازي: نوع من الطيور يصطاد به.أصول االنحو،المرجع نفسه،ص

[6]- فاخت: الريح إذا كان لها صوت.القاموس المحيط،ج1،ص 258.

[7]- الأيكة:الشجرة الكثيفة الملتفة.إسحق الفارابي:معجم ديوان الأدب.ج4، ص142.

[8]- يوسف88.

بغمرهم جوده وشكروا سعيه، وأقروا له بالصديقية وبايعوه بالخلافة قائلين بلسان واحد { تا الله لقد آثرك الله علينا وإن كنا خاطئين، قال لا تثريب عليكم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين[1] }

فهو القطب الغياث بروحه كل ملهوف عطشان،وبعقله كل ذاهل حيران وبنفسه كل سالك يقظان وجملته عامة أهل الإيمان والإحسان، فمقامه هو الذي تدور عليه جميع المقامات والكل مفتقر إليه إفتقار الصبي إلى أمه، والمأموم إلى إمامه،فلا يدعي معه أحد شركة ولا مزاحمة .وسمعت من بعض الناس أن الشيخ محمد الشرقي، مكث في القطبانية ستة عشر عاما ولما مات، إنتقلت لسيدي أحمد بن أبي القاسم، قلت حق لمن دخل تلك الرحبة أن يصول، وتظهر مزيته على الفحول وقلت في هذا

يصول الإمام الشرقي بالـــــغرب	والشرق على أولياء الله في كل منزل
هو القطب والغوث الـــــمقدم	فيهم وجملتهم تحت اللواء المفضل
هو الكامل منهم إستمدت قلوبهم	وساقيهم كأس المدام المسلسل .
وأورثهم ذلك الـــــمدام صبابة[2]	ووجدا[3] وشوقا[4] واهتياجا ببـلبل
وتفنى به تلك الندامة فـــي حبها	وترتاح من عبئ الفراق الــمثقل
أزالت به تلك الهواجس والـــهوى[5]	وما كان في تلك الخواطر من قبل
وتـــــكسبهم أنسا[6] شهودا وغيبة[7]	عن النفس والخلق وكل مـــمثل
يشاهد سرا من جـمال تولـــهت	برؤيته تلك القـــــلوب وتسبل

---

[1]- يوسف 91.

[2]- الصبابة رقة الشوق،المعجم الوسيط،ج1، ص105.

[3]- الوجد:يكون لأهل البدايات لأنه يرد عقيب الفقد وهو شعلة متأججة من نار العشق يستفيق الروح بلمع نور أزلي وشهود دفعي وهو رؤية الكثرة في الذات الإلهية ورؤية الأحدية في الكثرة.الكاشاني:مصطلحات الصوفية،ص171.

[4]- الشوق:حال من القلق والإنزعاج عن مطالعة العزة ومعاينة الأوصاف منوراء حجاب الغيب بخفايا الألطاف.رفيق العجم،مصطلحات التصوف،ص511.

[5]- الهوى أوصاف النفس أو إرادة الطبع المتصرف في النفس.نفس المرجع،ص1013.

[6]- الأنس:غلبة الرجاء على الخوف مع وجود الهيبة. رفيق العجم:مصطلحات التصوف،ص100.

[7]- الشهود:رؤية الكثرة في الذات الأحدية ورؤية الأحدية في الكثرة.. نفس المرجع،ص171.

وهامت بـــــحبه أكابر واعتدت تـــــكابد زفرة[1]النوى[2] بتململ

وهان عليها ما تلاقى فـــي حبها ويعذب طعم المرمنه لـــــمسبل

إذا افتخر الــجيلاني شمس الأحبة وعظم قدر الشاذلي الـــمبجل

أنا شمس أهل الشرق والغرب كلهم وقطبهم مني استمدت ذو الفضل

فلي منزل في الحب والوجد فائق ومرتبتي فاقت على كل ذي وصــل

وشاهدت ما فوق السموات كـلها وعانيت ما تــحت الثرى بتمــتل

وشاهدت ذلك العرش واللوح والـــقلم وكوشفت بالكرسي الذي لم يحول

ولي منزل فـــــي قاب قوسين لم يكن لكل ولي فاضل ومـــــفضل

وسري غدا في حضرة القدس ساريا يشاهتد مــحبوب القلوب له ذل

فلم لا أصول يا أناس بـــــسطوة على أوليـــــاء الله في كل محفل

فظهر لك بما تقدم ان مرتبة الشيخ القبطانية، وهي لا مرتبة فـــــوقها .

أنا ذالك الشرقي سراج ذوي النهى وقطب أقطاب الوجود لـــها فضل.

فظهر لك بما تقدم أن مرتبة الشيخ القطبانية وهي لا مرتبة فوقها بل مراتب الأولياء كلها تحتها،وقول صاحب ممتع الأسماع لما وصله الكتاب قال : هذا صاحب الوقت ورأسي تحت قدمه قلت: هذا لا يدل على تقدمه عليه وكونه صاحب الوقت المطلق الذي يرجع إليه الكل ويفتقر إليه الوجود ولا يقول بهذا أحد مستتندا لتلك الكلمة .إذ مثلها صدر من الفاضل إلى المفضول،وليس في ذلك انحطاط الفاضل عن المفضول وكون رتبته دون رتبة المفضول، إذ كم مثل ذلك صدر من الفضلاء السادات والأعلام الهدات كما نص على ذلك الولي العارف بالله أبو المحاسن في الرسالة بقوله :" ولا أزال آخذ على الفقراء الذي شأنهم البحث فيمن له أدنى نصيب فضلا عن غيره،انتهى.

وانظر لقوله صلى الله عليه وسلم لسيدنا عمر (لا تنسانا يا أخي من دعائك)[3]فهذا أدل دليل على ما قلناه فيحتمل أن يكون الشيخ قصد بذلك أن سيدي يوسف من أهل هذا الشأن ومن ذوي الخصوصية والمعرفة ومن أهل[1] الولاية وذوي الحقيقة والأولياء متفاوتون ومقاماتهم مختلفة .

---

[1]- زفرة:خروج الهواء بأنين وحسرة.حاشية الخضري على ابن عقيل

[2]- النوى:البعد.المعجم الوسيط، ج2،ص966.

[3]- الحديث رواه أحمد في مسنده ورواه غيره،وهو ضعيف كما ذكر محقق الكتاب الآتي ذكره،عبد الرحمن بن حسن بن سليمان التميمي:كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس.تح عبد العزيز بن عبد الله آل حمد،دار العاصمة للنشر والتوزيع،،ص63.

واما المرتبة الكبرى والمنزلة العظمى فهي منزلة الشيخ سيدي محمد الشرقي وهي مرتبة الخلافة والنيابة قلت وقطبانية الشيخ سيدي محمد الشرقي اشتهرت إشتهارا بحيث لا تنكر و اعترفت بها ذو الخصوصية والأثر من أهل الظاهر والنظر وصارت كالشمس أو أشهر، وقد صرح بذلك العالم العلامة النحرير الدراكة الحبر الفهامة في العلوم العقلية والنقلية في سائر أقطار المغرب ومجددها بعد إندراسها ودنو إفلاسها، المبتكر[2] فيها التأليف العجيبة والتقاليد الغريبة،أبو علي سيدي الحسن بن مسعود اليوسي رضي الله عنه. ذكر ذلك في كتاب المحاضرات في حكايتين لهذا الولي سيدي محمد الشرقي أحدهما عن تلميذه الولي الصالح الهمام الناصح سيدي محمد بن أبي بكر، والأخرى حدث بها وسأذكرها إن شاء الله، ولا يشك فيها أحد بل اشتهرت اشتهار الشمس بحيث لا تجهل ولا ينكرها إلا الذي لا يعقل. ويحتمل أن يكون الشيخ قال تلك الكلمات هضما للنفس وتبريا من الحول والقوة وتواضعا منه رضي الله عنه، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : (لا تخيروني على موسى)[3] والتواضع أشرف مقام للعبد إذ هو نتيجة العبودية والعبودية من اجل المقامات للعبد ،وباقي المقامات كخدمة لها ويدل على أنها أفضل واجل مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتصف إلا بالأفضل و الأشرف وذلك أنه خير ليلة الإسراء أن يكون نبيا ملكا، أو نبيا عبدا،فاختار صلى الله عليه وسلم العبودية، فأنزل الله سبحانه {سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى[4]}{وما أنزلنا على عبدنا[5]} وقال تعالى : {كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكرياء}[6]{وأنه لما قام عبد الله يدعوه[7]}وقال عليه السلام (إنما أنا عبد لاآكل متكئا، إنما آكل كما يأكل العبد)[8] وقال سيدي أبو العباس المرسي، رضي الله عنه في قوله صلى الله عليه وسلم (أنا سيد ولد آدم ولا فخر)[9] أي لا أفتخر بالسيادة وإنما الفخر في العبودية،وإنما كانت أشرف المقامات لأن فيها نفس مشاهدة الربوبية لأن العبد من عرف أن له ربا. فأحدهما مستلزما للآخر فظهر لك بهذا كله، أن تلك الكلمة و نحوها لا تدل على أن المقول له

---

[1]- في ب من أهل العلم والنظر والولاية

[2]- في ب بعد اندثار أسسها وخبو أعلامها المكثر فيه التأليف.

[3]- سبق تخريجه

[4]- الإسراء 1

[5]- {وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيئ قدير}الأنفال 41.

[6]- مريم 1، 2.

[7]- {وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا} الجن 19.

[8]- رواه البخاري في صحيحه رقم5398.،ج7،ص72. وابن ماجه في سننه،ج2،ص 1086. وأبوداود في مسندهج2،ص376.وأحمد في مسنده ج31،ص47.

[9]- سبق تخريجه

أفضل من القائل وكيف يكون ذلك وفضله[1] أشهر من نار على علم، وجوده أبهر ذوي السخاء والكرم وخصائصه[2] لم تنضبط

بزمام وكرائمه حيرت ذوي الأفهام، فكم من كربة فرجت به وكم من معضلة أزيلت بفضله، ورقيت[3] به المطالب وأدركت به المراتب، ولبعضهم منشدا على لسانه رضي الله عنه :

ألا قف ببابـــي فهو باب موصـــل لنيل التمانـــي عند قرع النوائـب

وعرج على هذا الـــــمقام فإنـــه مقام كفيل بالمنا والـــــــمواهب

. أنا الطيب الأعراق وقد طاب مـــنبته أنا البدر ونوري دائما غـــير غائب

. فغفر بتربي صفحة الــــخد خاضعا فجودي جزيـــــل حاضر للركائب

أنا العلم الــــمشهور شرقا ومـــــغربا ألقب بالشرقـــي جلت مـــناقب

. ومن عمر الفاروق مــــــجد موصل إلا إنه جدي وصدر الكتــــائب

. أنا الغوث بي يستنزل الغيث والأسى يزاح بجاهي عند خوف الـمساغب

. أنا القطب للتقديم في كل مــــحفل على هامتي دارت صدور الـمراتب

. أنا الذائد الــــحامي الديار مـــجيزه و أمنع جاري أن يضام وصاحـــب

. ومازال لي التصريف بالله فـــي الورى وحاشى لقدري أن تـخيب ركائب

. ومازلت أعطي طالبي ما يـــــــشاؤه وأمنع باغ أن يـــحوم بـجانبـــــي

. فلذ بـــــجانبي ما جنابي بـــــهين أناالمنهل العذب الزلال الـمشارب

وإني بعيد الصيت لست بـــــخالص في معد في زمـــــام الـــــحبائب

---

[1]- في ب أفضليته.

[2]- في ب خصائله.

[3]- هذا من الغلو في المشايخ،فالمتصرف في الكون هو الله وحده لاشريك له.قال تعالى:{وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بيلعلهم يرشدون.}البقرة 186.

ولي فتكات سهمها غير مــــــخطي وإني لباز شامخات الـــــمخالب

وإنــــــي ساقي القوم من ضمرة الصفا وراقي ذوي الأدوى وأهل المصائب

سقاني إلـــــــهي من مدامة حبه فطبت وبي طاب الشراب لشاربي

ومن مصطفاه الهاشمي محمد سرى ما سرى لي من علو الـــــمناصب

عليه الصلاة الله ما لاح كـــوكب وأزكى سلام دائم فـــــيه واجب

قلت : وهذا كله إن ثبتت تلك الكلمة على أن الشيخ لم يعثر له على جوابه عن رسالة، ولم يوقف على ذلك وليس ذلك إهمالا منه لكلام الشيخ سيدي يوسف ولا عدم مبالاة به وكيف يكون ذلك وهم أولى الناس بالقيام بالحقوق وأحقهم بالتحري وخروجهم من عهدتها، والله أعلم بحقيقة ذلك .

وقول صاحب ممتع الأسماع قيل للعارف بالله سيدي عبد الرحمان الفاسي[1] الخ قلت تأمل وتنبه من أين عرف سيدي يوسف،سيدي محمد الشرقي و سيدي محمد الشرقي لم يعرف سيدي يوسف، ولعل الأمر بالعكس ومن أين يفهم هذا فإن ادعى شيء لذلك نقول بمقابلته وما يناقضه قلت : وحدثني بعض الناس عن بعض الصالحين ممن جمع الله له علم الظاهر والباطن أنه قال من تأمل أبيات الشيخ سيدي محمد الشرقي وأبيات سيدي يوسف وجد بينهما الفرق والتباين الجلي، وبعد ما بين منزلة الشيخ سيدي محمد الشرقي ومنزلة سيدي يوسف وفضل الأول على الثاني، قلت وهو ظاهر لمن تأمل وتفكر وتعقل وفتح الله عليه شيئا من الفهم .في تلك الكلمات ورزقه الله ذوقا لتلك الإشارات، فكيف يكون الشيخ لم يعرف سيدي يوسف وهو القطب الجامع والغوث النافع وقد قيل في القطب هو المحيط بعلم الله على الخلق جملة ، يعرف الحكمة على الأحكام ما بين غالب ومغلوب قاله بعض المحققين، على أن الوجود كله من عينيه والدنيا خطوة، قال البوصيري في ممدوحه في داليته رضي الله عنه .

كشفت له الأسماء عن أسرارها فإذا الوجود لمقلتيه بمرصد. وقال:قطب الوجود مولاي عبد القادر الجيلالي رضي الله عنه ونفعنا به:

ومطلع شمس الأفق ثم مغيبها وأقطار أرض الله في الحال خطوتي

---

[1]- عبد الرحمن بن محمد الفاسي دفين خارج باب الفتوح(972-1036هـ) من ملازمي الشيخ أبو المحاسن.أنظر:محمد بن عيشون الشراط:الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس .تح زهراء النظام،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،1997.ص110 وما بعدها.

أقلبها في راحتي كـــــكورة　　　أطوف بها طرا على طول لمحتي

. وإن سلمنا أنه لم يعرفه فلا نقص ولا قصور في ذلك فإن القطب لا إطلاع له على بعض الأولياء وهم الأفراد، قال الشيخ زروق في التصوف : التسامي المرتب على الآية العزيزة وهي قوله تعالى { التائبون العابدون الحامدون[1]} إلى آخرها، الوجه الثالث وهو وجه الحامدين وهم أرباب الأذكار المستعدون للطائف الأنوار ويقال لهم الأفراد الواصلون إلى أن قال : ولهم وصول خاص لا يدخلون به تحت نظر القطب بل يستوون[2] في مقام يقال له المخدع، فلا يعلم القطب بهم ولا يطلع على مقامهم إنتهى المراد منه.

ولا ينافي هذا ما تقدم من أن القطب هو المحيط بعلم الله على الخلق جملة كما هو ظاهر والله أعلم، والحاصل أن مرتبة القطبانية[3] وهي منزلة الشيخ والنازل فيها هو رئيس الكتائب[ومنه وعلى يده تحصل لهم المناقب وبدره هو المجلي عنهم الغياهب وبدعوته ترفع عنهم المصائب[3]] وبه تكتسب المناصب، إذا بدا نور شمسه تختفي منه جميع الكواكب وهي المنزلة القصوى التي ليست بعدها منزلة والشيخ رحمه الله نال تلك المنزلة ورقى لتلك الدرجة وأعطى ذلك الفضل والمنا والسؤل فصار من أهل التصريف التام والخوارق العظام وأطلق على شوارق وأسرار ومعالم وأنوار ، إلاهي لا تحرمنا من ذلك يارحيم يا غفار وأنشدت في هذا على لسانه رحمه الله ونفعنا به :

ظهرت معالم للقلوب تســـــترت　　　أسرار غيب كشفها لبصيرتـــــي

جلت السموات العلى وشـــهدت　　　ما تحت الثراء وكذا الوجود بنظرتي

لاحت لنا الأسرار بعد خـــفائها　　　وبدت لنا أنوارها بالــــــجملة

. سكنت له الصهباء[4] قـــلبا هائما　　　في عالـــم الملكوت بعد الوحشة

سلبت حجاه[5] فلا الدواء بنــــافع　　　وبدا الجمال إلى القلوب فجنتـــي

وغـــــــدت بسلطان اليها ملوكه　　　تهدي بأوصاف الجمال ورفعتـــي

---

[1]- التوبة 112.

[2]- في ب يستترون.

[3]- ساقطة من أ.

[4]- الصهباء:الخمر.لسان العربج6،ص 355.

[5]- الحجى:العقل والفطنة.نفسه،14،ص166.

قـــوي الشهود عليها حتـــى أنه لوكان ذاك إلى الـــجبال لدكت

لي في المحبة رتبة مـــــخصوصة تعلوا على أهل الهوى والصبابة

لم لا أصول وكلهم بـــمدامتي سكروا وأعطوا وافرا من رتبتـــي

وإذا مضى الجيلاني عبد القادر وشاذلي فاق فوق منصتـــــي

فأنا الـــــمعد لدفع كل ملمة وأنا الوحيد بصولتي ومـحبتي

. وللأديب الفاضل العالم العلامة الفلالي رحمه الله في مدح الشيخ رحمة الله:

قف بالحما وسل تنل ما تـشاء فالدار دار الأكـــــرمين قديـــم

عش هنيئا قد بلغت الـــــمنا أصبحت في ربع الكرام مـــــقيم

واشكر صنيع الدهر وسـل ولا تخجل فذا طود الكرام الــــعظيم

. مزاحما قطب الورى والنـــدى ومعدن الأسرار قف يا حـــميم

. ونادي للشرقي جئت إلـــــى حـــماكم الأسنـــى معنا سقيم

. فأدركن من أمـــــــكم للندا قد شاع أني قصدت كريــــــــم

. والناس طرا شـــربوا لـــما به إنقلابي من حسيب حــــــليم

لابد أن يسألوا عن صلتــــــي فما جوابي للصديق الـــــحميم

وذا مقام الفـــضل من أمـــه قد صار في شعب الندا مستقيم

وذا مقام الــــجود من جاءه يحضى بما يرضي الفؤاد الـــكليم

. وذا مقام دأب ســـــــــاكنه يشفى من الداء العضال الـمليم

. وذا مـــــقام لا تقس جـوده فالــجود إن جاء بهدب[1]وغيم

. وذا مقام الأريـــــحي[2] الذي جر خليجا من نداه عــــــظيم

يرى قاموس الــميم من دونه ضحضاح[3] طل أو ركاد ذمـيم

. و ذا مقام ابن الفاروق الذي سما به الدين الرفيع القويـــــم

. موافق الرحمن كم مرة فــــي محكم الذكر المبين الــحكيم

. عنه سلام الله ما انـــــهملت من قاصف دمعالرباب سجيم

. واكتست الأرض ثياب الحلا من كل مازهى أنيق نــــعيم

. وحرك الأغصان ريح الصـــبا وفتق الأزهار مر النســـــــيم

. وارتقت الأطيار تشدوا عــلى منابر الأغصان صوتا رخـــيم

. قف بالحما وسل تنل ماتشاء فالدار دار للأكرمين قديــــم

اللهم يا مجيب السائلين ويا كاشف كرب المكروبين جد علينا وتفضل على ضعفنا وأرحم عجزنا ووف قصدنا بحرمة أشرف مخلوقاتك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اللهم صل وسلم على هذا النبي الكريم وعلى آله وصحبهأجمعين يا غياث المستغثين أغثنا أغثنا أغثنا،ولا تجعل دعاوينا علينا ولا تبتلينا ،فإنك إن ابتليتنا هتكت أستارنا وأنت أرحم من أن تهتك ستر عبدك يا أرحم الراحمين.

ثم اعلم أني اختصرت الكلام غاية الإختصار وإقتصرت على محل الحاجة أي إقتصار ولم أبالغ في ذكر فضل هذا الشيخ الفاضل لنرد به على ذلك الكلام المقابل ،ولم نتنازل لذلك حق التنازل ولم أطل في نقض ذلك الكلام بإبداء نص ودليل كالسهام،ولو أتينا شيئا من ذلك لأتينا بحول الله وقوته بعجب العجاب وبما يسحر العقول

[1]- الكلمة الأقرب إلى المعنى هيدب وهو السحاب المتدلي.تاج العروس،4، 379.

[2]- الأريحي:الواسع الخلق المنبسط للمعروف.تاج العروس،6، ص433.

[3]- ضحضاح: القليل من الشيء .القاسم الهروي غريب الحديث.4،ص392.

والألباب، واستغفر الله العظيم وأتوب إليه .لكن الشيخ مستغنيا عن هذا كله عن كثيره وأقله وعن الإختصار والإطناب بما أكرمه به مولاه من الفضل عند ذوي الألباب وإن كان الأولى عدم التعرض لذلك[1]لأن الإشتغال بما يعني المرء هو الأليق والسعي فيما فيه نجاته هو الأحق، وأما من مات فقد أفضى لما قدم وإنما حركني الباعث و إظهار الحق الذي هو ثابت لأن سيدي محمد الشرقي هو قطب ذاك الوقت والمنجي فيه من الوبال والمقت ومن قصيدة لي فيه هذه الأبيات:

وشهرة فضل الشرقي تغني عــن	الذي قصدنا فلم نحتج لإثبات موجب
وكونه هو القـــطب والغـــوث	والذي يدور عليه من شـــرق ومغرب
فالأقطاب والأبدال منـه تنورت	والأوتاد والأخياري حكـم أشهــــب
سألت من المولى الكريم بفـضله	يبلغ لــــي قــــصدي وسؤلي ومأرب
ويمنحنا التوفيق واللطف دائــما	ويرزقنا أمـــــنا وحــــسن مـــــغيب
بجاه النبي المصطفى سيد الورى	وكـــــل منيــــب للإله مـــــــقرب
عليه صلاة الله ثــــم ســــلامه	وأصـــحابه والآل أهـــــل التــــــقرب

وأيضا فإن الوقت منع من إرخاء العنان ولم يقتض بإبراز الفضائل للعيان وكفت خطوبه تسطير ما بالبنان وأخمدت شهاب الفطنة و النبالة وتوارى زندالذكاء والنباهة وأزرى بالمتيقظ اللابس وتنبه للكراه والمتناعسين.

لئن كان الزمان أراد حــــــطي	وأنــــــــشبني بــــــــأنياب وظفر
كفتني أن تــــــصافيني المـعالي	وإن عاديتنــــــــــــــي يــا أم دفن

وقلت هنا :

فلولا خطوب قد حلت بفكرنا	فلا ناصر يرجى ولا كاشف الكرب
وأقضية الدهر الـحسام ترادفت	فكفت يدا الطلاب صولة مــرهب

---

[1]- والكف فيما هنالك.ساقطة من أ.

وقلة إنصاف وكثرة مـــــدعي وجحد وإنكار بــــجهل ومعجب

لكانت سيوف تهتدي من أدلة تـــحيض يوم الهجا فهدد و أضرب

بتحقيق برهان فلم يـخش رده وبـحث وتوضيح وكشف لغيــهب[1]

بإيــجاز ألفاظ وبــــسط عبارة وتنقيح أوزان الــــقريض الـمهذب

ولكن رجـــوت الله ان يـــــدفع الذي أحل ويدنــــي بغية المتطلب

ولتقي الدين ابن دقيق العيد[2] رحمه الله ورضي الله عنه :

أهل المراتب في الدنيا وزـينتها أهل الفضائل مرذولون عنـدهم

فما لـــهم في توقي ضرنا نظر ومالهـــم في ترقي قدرنا هـــمم

لهم من يحان من جهل وفضل عنا وعندنا المتعبان العلم والعزم

هذا والزمان لابد من إنتباهه للفضلاء بعد رقاده عنهم قال مؤيد الدين[3]:

لا تيــأس إذا كــــنت ذا أدب على خمولك أن ترقى إلى الفلك

فينا يرى الذهب الإبريز مطرحا في معدن إذ غدا تاجا على ملك

ولتاج الدين ابن عطاء الله في رفع الهمة عن المخلوق وتعلقها بالواحد الأحد الذي ليس كمثله شيئ:

بكرت[4] تلوم على الزمان أجحف افصرفت عنها علها أن تصـــرف

---

[1]- الغيهب: شدة سواد الليل. العين، ج3،ص 360.

[2]- تقي الدين المصري شيخ الإسلام (625-702هـ).أنظر،صلاح الدين محمد بن شاكر بن هارون:فوات الوفيات،تح إحسان عباس،دار صادر بيروت،1974.،ط1،ج3،ص 442.وابن كثير الدمشقي:طبقات الشافعية.تح أحمد عمر هاشم ومحمد زينهم محمد عزب،مكتبة الثقافة الدينية،1413هـ-1993،ج1،ص 952.وابن ناصر الدين محمد بن ناصر القيسي:الرد الوافر.تح زهير الشاويش،المكتب الإسلامي بيروت،1393هـ،ص 58.وجلال الدين السيوطي:طبقات الحفاظ.دار الكتب العلمية بيروت،1403هـ،ط1،ج1،ص 516.

[3]- مؤيد الدين الحسين بن محمد الليثي الأصبهاني الطغرائي (453-513هـ) ولي ديوان الإنشاء والوزارة ومات مقتولا.أنظر،رضا كحالة: معجم المؤلفين،ج4،ص 36.وشمس الدين ابن الغزي:ديوان الإسلام.تح سيد كسروي حسن،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،1411هـ.-1990م.ج3،ص 938.

[4]- في ب أخذت

لا تـــــكثري عتبا لدهرك أنه ما　　إن يطـــالب بالوفاء ولا الــصفا

ما ضـــــرني إن كـــنت فيه خام　　لافالبدر بدر وإن بدا أو إن خفا

الله يـــعلم أنـــي ذو همة　　تـــأبى الدنيا عـــفة وتطـــرفا

لـــم لا أصـــون عن الورى　　ديباجتي وأريهم عز الملوك وأشـرفا

أأريهم أنـــي فقـــير اليهم　　وجميعهم لايســـتطيع تـــصرفا

أم كيف أسأل رزقه من خلقه　　هذا لعمري إن فعلت هو الـجفا

شكوى الضعيف إلى ضعيف　　مثله عجز أقام بحامليه على شفا

فإسترزق الله الذي إحـــسانه　　عـــم البـــرية منة وتـــلطفا

والجأ إليه تجده في ماترتـــجي　　لاتـــعد عن أبـــوابه مــتحرفا

وله رضي الله عنه أبيات في مدح شيخه أبي العباس المرسي رضي الله عنه ومقطعات مذكورة في لطائف المن،ومنها القصيدة الميمية ولما كانت جيدة النظم بارعة في الحسن فائقة في البلاغة عذبة في المسامع رأيت أن أذكرها هنا وهي:

برزت ليلى بأثناء الـــــخيم　　فأرتنا البدر من تـحت اللمم[1]

وحدى الحادون[2] لما أبــصروا　　وجهها في الليل صبحا قد أتم

وعذرناهم وهذا عـــــجب　　أنيرى وجه لسلمى في الظـلم

كضياء الصبح أو بدر الـرجا　　وجهها أكمل نورا وأتـــــم

لو رآها البدر أثنــــى راجعا　　خجلا من نورها قد احتـشم

لو رأتها الشمس لـــم تطلع　　ضحى ثم صارت حرزهم وندم

[1]- اللمم:جمع لمة وهي الشعر المسترسل إلى المنكب.أبو البقاء الحنفي:الكليات.تح عدنان درويش ومحمد المصري،مؤسسة الرسالة بيروت،ص797.

[2]- الحداء:غناء للإبل.المعجم الوسيط،ج1،ص 161.

عذبت قلبي بـــــهجران به   عذب العشاق قلبي فــي القدم

وكستنـــي ثوب هم وظـــنا   صرت فيه بين الناس كالقـــلم

وأبت إلا صـــــــدودا دائما   فأبى دمعـــي إلا أن يـــنم

فسهرت الليل أرعى نــــجمه   أذكر الوصل الذي قد انصرم

كلما رمت لعينـــــي هجعة   قال لي القلب رويدا لا تنـــم

لازم الباب بذل وأســـــفهما   في الــــــحب شرط يلتزم

ودع التقصير فــــي خــدمته   شمر الذيل ولا تــخشى الألم

واجتهد علك تنـــــجوا غدا   من عذاب الله خــالق الأمم

لاتقولن أن هذا زمـــــن عسر   فيـــه وجـــــود من سلم

أولياء الله لــــم يـــنقرضوا إن   حـــزب الله غـــير منهزم

قد رأينا كلـــهم فـــي واحد   ذي بهاء ووفاء وهـــــمم

في أبي العباس[1] مـتجموع الذي   منحـــوه من علوم وحـــكم

بأبي العباس زاحت كـــربة عن   قلوب الـــخلق وانجالت ظلم

وبه شمس الضحى قد ظــــهر   توبــــه ذر العلوم قد نظم

أي نور قد بـــــــدى لأهله   أي علم قد بدا لـــمن فهم

ولقـــد فضـــــله رب العلى   وكـــساه حللا من النـــعم

قل لأقوام أرادوا شـــــــأوه   قصروا أن الإلـــه قد قســم

ليـــــس هذا الأمر أمرا هينا   فتنالوه بـــجد وهـــــمم

---

[1]- يقصد به أبو العباس المرسي شيخ إبن عطاء الله السكندري.

نازعوا الله تعالـــــــى حكمه   إذا أرادوا ستر ذي النـور الأتم

أن يكونوا أنكروا شمس الضحى   إذ تبدا النور منها وإســـــــتتم.

فهم إخوان جهل وهـــوى   وهـــم إخوان هم ونـــدم

وقديما قال فيه شيخه وهــو   قطب الأرض ذو العلم الأعم

إنما أنت أنا فاعلم بـــذا   إن هذا الأمر ليس يكتـــتم

وحديث الشيخ عنه شائـع   ذائع ما بين عرب وعـــجم

لو بسطناه لطال بـــسطه   ولـــزاد الشرح فيه وعظـــم

إنهم لـم يستطيعوا دفـــعه   فتراهم مـــازجي شهد بسم

فليدم غيظهم وحقـــدهم   وليمـــوتوا كلهم ميتة غـــم

دمت في عز على رغم العدا   ما رقى القمري في غصن سلم

وله أيضا رضي الله عنه :

اعندك من ليلى حديث مبرر   بإيراده يحي الرميم وينـــــشر

وعهد بها العهد القديم والتـــي   على كل حال في هواها مقصر

وله أيضا رضي الله عنه في رفع الهمة عن المخلوق:

تكلفني الإذلال نفسي لغـــيرها   وهان عليها ان أذل لتـــــكرما

تقول سلي المعروف يحي ابن أكتم   فقلت سليه ربما يجيبني ابن أكتما[1]

ومثله لابن السمعاني[1] : أضرع إلى الله لا تضرع لأحد وأقنع بعز فإن العز في اليأس إن الغني من استغنى عن الناس

[1]- يحي بن أكتم:تولى لبقضاء في عهد المأمون وعزله المتوكل،توفي 242هـ.ابن قتيبة الدينوري:المعارف. تح ثروت عكاشة،الهيئة المصرية العليا للكتاب،القاهرة،1992م.ط2،ص61.

ولبعض محبين لجانب هذا الشيخ سيدي محمد الشرقي نفعنا الله به آمين:

دع عنـــك لومي فإن اللوم بـهتان   إن الأحبة عنــــــي ســـرعة بان

بانوا بقلبي وبان الصبر إثـــــرهم   كأنـــــهم في ظهور النجب عقبان

حادي الــــمطى ترفق بالــــفؤاد   ولاتشفق عليه إذا ما اليوم منــحنان

الله في قلبي ياخير الـــــحدات به   رحيما إذما الأحباب قد هـــــانوا

ولا تـــعاتبه إن يهن فإنــه من ماقد   حوى من اليم الــــــــوجد حيران

كذلك الله في حب أحــــبته كـــم   يرعى نـــجم الدجا والطرف هتان[2]

يا غافلين عن الــمضني بـــحبهم   مهلا قليلا عن الــــمشتاق إخوان

رفقا على جسد بنتم بـــــخاطره   فهو حليف الأسى والشوق هيـمان[3]

إن ذاب فيفرط حبي فيكم جسدي   ذاك إفتخار على العشاق ومذ كـانوا

يا عاذلي[4] دع ملامي فـــــي مودته   إن الفؤاد بفرط الـــــحب سكران

ودع تقبل النوى السلوان[5] توديـــع   من بانوا بقلبي ولات حين ســـلوان

ودعت توديعهم روحي وراحتـــــي   من ايقنت أنــهم من تـــودعي آن

هيهات ما رمت من قلبي المعنى فدع   قول الفضول فما في القلب أضـغان

أأصغي بعدهم لو أن قلبـــي مـعي   قل لعــــدولي ولات حين كتــمان

---

[1]- ابن السمعاني:الإمام أبو سعد المروزي الفقيه الشافعي(506-562هـ).وفيات الأعيان،ج3،ص 209.والصفدي،الوافي بالوفيات.ج19،ص60 وما بعدها.

[2]- هتان: هتن الدمع هتونا قطر.تاج العروس،ج26،ص272.

[3]- هيمان: الرجل عطشان.نفسه،جج34،ص129.

[4]- عذل رفيقه،لامه.أحمد مختار عبد الحميد عمر،معجم اللغة العربية المعاصرة.عالم الكتب،1429هـ،2008م.ط1،ج2،ص 1475.

[5]- السلوان:دواء يسلي المحزون.الفارابي:معجم ديوان الأدب.ج4،ص 67.

يا حبذا جيرة قد أودعونـــي جوى وحبذا فعلهم جورا وإحـــــــسان

دعني يا مكثر اللوم علي ولايغـــررك إصـــغائي عـــــند العدل ختلان

أبعد بين الا لي هم عماد وهـــــم لي ملجأ من صروف الدهر مـــا كان[1]

أصغي إلى قول من يغري الفـــؤاد على ترك الأحبة إن الأمر بـــهتان

هم الأحبة إن جاروا وإن عـــدلوا وأنت أنت ذميم الفعل خـــوان

قد جئتـــنـــي تدعي نصح الفؤاد لمن رام التذلل ما للعز أثـــمان

وقلت لي الذل عيب بالكريـــــم بلى لكن تركه للأحباب غـــدران

هم منتهى ما يتمنى القلب يـــدركه لو في الدنيا حازما بـــهواه إنسان

وجئت أيضا بشيء في جــــوانبه مفهم أحبة قلبي كيف مــــا كان

حاش الأحبة من نـــقص الـــعدول لدى أهل الصبا به أن القوم أعيان

ياليت شعري ويا لهفي ويــــا أسفي عليهم طال ما قلبـــي ولـــهان

بانوا فوا كبدي مــــما أكابده هذا وهم في فؤادي الدهر ســـكان

وبعض جسمي وواجسمي بلأجـمع قد درسته أشــــاويق واشجان

أحباب قلبي هل لي من خليل علـى ما نابني من صروف الدهر عوان

لو يحكى بعض اشتياقي أويقـــاربه لبات يوما سليم الـــقلب هيمان

كم لي أنادي ذوي الأشجان قاطبة لترسل الدمع فوق الخد طـــوفان

فلم أجد فيهم شخصا يـــــماثلني قد مارس الشجو أوقاتا وأزمـــان

[1]- ختلان: الختل،التخادع عن غفلة.لسان العرب،ج11،ص 199.

واستخبر الدهر شـــــطريه وعرفه　　أن الـــــــمحبين أعداء ورقبان[1]

وعضه كل ذي ناب ولـــــــسعه　　خدرنق[2]ثـــم صل[3] ثـــــم ثعبان

حتى أجابي صدق الحزن ياجـــازعا　　مهــــلا فإنـــــي أنيس للآلي هان

فــــقلت أهلا ولكـــن كن على　　حذر فإن لي فـي طريق القرب بنيان

قف صاحبي نندب أيام أنس مضت　　حيث العواذل[4] والأعـــداء وصفان

أيام كنت أزهوا بـــــها على ملك　　دانت لـــــطاعته جـــبر وطـــغيان

. أيام ملكـــــني الدهــــر أزمته　　سلس القـــياد قليل الطرف نـعسان

أيام كنت لا أخشى الدهرفي سنـــة　　حتى كان صـــــروف الدهر ما كان

أيام لا أخشى سيف البـــين منصلتـا　　عن من قلته عشــــــائر وأوطـــان

بين الأحـــــبة والإخـــــوان كلهم　　ما غاب منـــــــهم إنس ولا جان

فإنـــــدب فؤادي هاتيك اللويلة مع　　أوقاتها الغر إذا ما كنـــــت جدلان[5]

ودر دمـــــوعك يا طرفي القريح دما　　إن غاض دمعك والأحباب قـــد بان

فيالـــها من سنين من مـــــلاحتها　　طارت بها في سماء الـــــخزن بـيزان

وأعقـــبتها لويلات الصدود فيا قلبي　　إصطـــــبر لصروف الدهر قد خان

وأعجب لقصر تيـــــــالكا للويل　　امعطول الزمان وطول القصر نقصان

1- رقبان: رجل رقبان غليظ الرقبة. لسان العرب، ج1، ص 428.

2- خدرنق: ذكر العناكب. نفسه، ج10، ص 72. 3- صل: الحية. القاموس المحيط، ج1، ص 1022.

3-

4- العاذل إسم االعرق الذي يسيل منه دم الإستحاضة. أحمد عبد الحميد عمر: مجمع اللغة العربية، 2، ص1476.

5- جدلان: زاخر. أبو القاسم الزمخشري: أساس البلاغة، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، 1419هـ-1998م.، ج1، ص 411..

فأجعل شفـــيعك للأحباب ودهم وحبهم أن هـــما عن وصلهم عان

أظهر الود لا تـــــخفي مودتـهم إن التذلل للأحـــباب ديـــوان

أن يعطفوا حبذا الأحـــباب أولا فلذ بجانب الطود إسما العز سلطان

وقطب دارة أهل الفضل كلتـــهم وساحة الوجد والأجـــواد قد كان

وذروة العز والـــمجد قـاطبة لكم وسفح وسند ثـــم قـــــيعان[1]

شمس أضاءت فأخـــفت كل بارقة مـن ذي العلى من له فضل وبــــرهان

بدر بدا فانجلت عــنا غيـــاهبنا[2] من بعدحلكتها والدهر دخـــنان[3]

نجم هدي لطريق الــرشد مطــلعه من أمسى وهو ببحر الغنى غـرقان

برق أضا بل ســـنا صبح الـهداية بل شمس الآلي لهم فضل ورجـحان

غيث أتى الأرض والأقـــطار جاذبة مذ رش وابله الأكباد قــــدلان

سيف أنصـــلته أيدي الشرع عازمة فري أوداج أهل الغـــي إذبـــان

ليث حـــما لعرين القوم فانــــحر فتعنه ذئاب وأنمــــار وغـــزلان

بحر طما بعباب الفــضل مزدحــما وبالكرامة والأحـوال مــــــلآن

فالزهد ساحله والعـــلم بــــاطنه والدر منطقه والـــحلم مرجـــان

حاشا حاشاه فيــــم البحر يــشبهه وغيره فـفي ترك الكل إتــــقان

من أين للبحر أن يعزى لـــمكرمة وهو ضنين على من فــيه ركـــبان

---

[1]- قيعان،جمع قاع وهي الأرض الحرة لا رمل فيها ولا يثبت فيها الماء ولا غدر فيها فلا تمسك الماء.،جمال الدين ابن الجوزي:غريب الحديث.،تح عبد المعطي أمين القلعجي،دار الكتب العلمية،بيروت،1405هـ-1985م.ط1،ج2،ص 274

[2]- غياهب:الصافي من السواد. الهروي:تهذيب اللغة.تح محمد عوض مرهب،دار إحياء التراث العربي،بيروت.،ج5،ص 254.

[3]- دخنان:يوم دخنان أي يغشاه دخان من شدة الحر والهم.كتاب العين،ج4،ص 233.

لا يسقي من له جرعى لســـــاكنه   لو هلكوا بالظمأ من فيه ســـكان

كذلك الليث يعدوا عن مـــجاوره   وهو إذا غــفل الأقوام خـــــوان

قد زاد فيض ندى كفيه عما حـوت   كل البحور من الأمواه مـــذ كـان

هذا هو كهف نجا الـــمظلوم ذو   جانب لمن أتاه مرور القلب ولـهان

أفسح من جانب البحر الـــمحيط   إذااستمت المحيط دوائر وأركـــان

وأسمى من قد سمى قدرا وهمـــته   تسمو الثريا وعـــيون وحـــــرثان

قد قصر النسران أن يسموا لـــرتبته   كذا السهائم عـــــواء وميــــزان

هذا ابن صاحب أخير الخلق كلـهم   عز الأولى دين رب العرش مـــذ كان

هذا هو غيث الورى قطـب الوجود   ومن حاز العلى بنو العلياء عبـدان

هذا إمام أهل الـــفضل كلهم ومن   لـــــهم في طريق القوم عـــرفان

هذا هو مـــعدن أسرار الحقيقة إذا   رمت السلوك فلذفالقوم شـــجعان

هذا هو صفوة الصالـــــحين ومن   حاز الكمال ولـم يدركه نــــقصان

هذا هو برهان أهل العـــــصر طرا   ومن حازوا الكرمات للأقوام أعيـــان

هذا هو وارث[1] سر الـــــمرسلين   ومنحاز المعارف و الأحوال يقـضان

هذا هو مفتاح أبـــواب الـــنجاح   لمرام الدخول لدار العز فــــرحان

هذا هو مصباح نور للــــذي تلفت   عنه الطريق وصار الســـعي خسران

هذا هو سلم خير الذي رقـــأت[2]   أترابه وبقي فــــي الأرض حـيران

---

[1]- وارث ساقطة من ب.

[2]- رقأت:أصلحت.الهروي :تهذيب اللغة،ج13،ص 17.

هذا هو أثار رشد للذي إنقـــطعت ... عنه الدلائل والأصحاب قـــــربان

هذا مـــــحط رحال للسائلين إذا ... ما أعضل الأمر بينـــهم ثـم مصان

هذا هو من حبه يـــــحي القلوب ... كما تصلح بالأكل أجسام وأبـدان

هذا هو أعلى الورى قـــــــدرا ... وأكرمهم سجية ثم خلقا ثم إحـــــسان

هذا الذي لو أتيـــــت الـــقول ... أجـــمعه وطرفة[1] و زهير[2]لــــــي أعوان

من شئت اثني عليه رمت مـــمتنعا ... ماذا يبلغ مدحـــــــي من لـــــه شان

وما عسى همتـــي تثني على فاضل ... له السرات عـــــــبيد ثم وصــــــفان

رمت الفضول لكن اتكلت عـــلى ... حلم الكرام فتـــــرك الــــــمدح خذلان

يا ابن الكرام ويا ابن المطعمين إذا ... ماأغبرت الأرض والأفـــــاق دخـــــان

با ابن الأولى مهدوا العليا لتـابعها ... وافاك مضنـــــى كليم القلب عطـــشان

قد أعبثتت به أيدي الدهر لاعـبة ... وجردت عـــــنه أحـــزانا فـــــالأحزان

بنيت فكر قروع القلب منصـــرعا ... وحشــــوا أحشـــائه هـــول ونـــيران

فأقبل ضراعة و من وافاك معـــتذرا ... يا سيدي بـــحره بالـــسيب مـــــلآن

يا مشرقالسر في فـــكر لقاصده ... يا ماهرا لم يزل مـــــــحنـــــي به ألوان

مني عليك سلام الله ماهـــطلت ... دمعا لمـــحبين و الأشجان أشـــــــجان

وباكر الأرض وســــــمى الحيا[3] ... فحكت جوا السما فكأن الأرض غدران[4]

---

[1]- طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي (86-60 ق هـ)شاعر جاهلي من الطبقة الأولى مات مقتولا بهجر من البحرين.الزركلي:الأعلام.ج3،ص 225.

[2]- زهير بن أبي سلمى وابن أبي سلمى هو ربيعة بن رياح المزني حكيم الشعراء، في الجاهلية.توفي 13ق هـ.نفسه،ج3،ص 52.

[3]- الحيا:الخصب.معجم ديوان الأدب،ج4،ص26.

[4]- غدران:جمع غدير وهو القطعة من المياه يغادرها السيل.مرتضى الزبيدي:تاج العروس من جواهر القاموس،دار الهداية،ج 13،ص 206.

ونمقتها أكف للولي بما يـــــلهي الكـــئيب وللعـــشاق فـــــــتان

من كل لون يروق الطرف مـنضره حتى كأن إكام[1] الأرض عـــــــرسان

فالتاج منها بـــهار والعـــمائـــم هن نسرين و الـــخد ورد ثم ريــــحان

وهز ريح الصبا غصن النقا سـحرا ثـــــم انثـــنا فكأن الغصن نـــشوان

وطافت النحل بالأزهار خـــادمة وباكرتــــها سوار ثــــــم أمــــزان

وقلد الجود جيد الغصن مـن درر وللطيور علـى الأغـصان ألـــــحان

قد هيجت شأو مشتاق إلى طلل[2] كأنــــها مـــن حديث الـحي إذ بان

ولأبي العباس سيدي أحمد بن فتوح التازي في مدح هذا الولي نفعنا الله به آمين

نزلنا بحمد الله خـــــير المنازل لآل عـــــدي في العلى متطاول

بيت له فـــي النــــاديات مآثر لبطن قريش شـــمس كل القبائل

سليل أمير المؤمنين أبي حـــفص إمام التقى والعلم بالـــحق عادل

ومن آل من قد صاحب المصطفى الذي سما فضله فضل الرسل الأوائل

نزلنا بقوم أيد الله مـــجدهم كرام ليوث فخــــرهم لــــيس زائل

وما منهم إلا له الـــجود شيمة وبفضل عن ذي حـــاجة وأرامــل

أفاضأبو حفص عليهم شــــعاعه إمام محا بالـــحق كل الأبــاطل

فأشرق ذاك النورشمس سـما العلى ولاح سناها في الفضا والـــمنازل

فخيم نورها البهي بـــــمغرب إلى ضوئه تعشو بدور الـــمحافل

[1]- إكام جمه أكمة: وهي التل.عمر بن محمد النسفي:طلبة الطلبة.مطبعة العامرة مكتبة المثنى،بغداد،1311هـ،ج1،ص 15.

[2]- طلل:الطل المطر الصغار و القطر الدائم.لسان العرب،ج11،ص 405.

وصار منارا للهداة ولـــم يـــزل　　　يـــوم سناه كل حـــاف وناعل

فحق لـمن يأتيله الفـــخر والعلا　　　بكهف بنـــي الآمال كنز الفواضل

تجلى به قطب المكارم والـــتقى　　　أبو عبيد الـــمبرور كحل النواجل[1]

همام العلى الشرقي السنـــي محمد　　　جزيل الندا والـحلم حلو الشمائل

كثير العطايا دأبه الـــجود والوفا　　　إلى قبره شدت صدور الرواحـــل

إمام له التـصريف حيا وميـــتا　　　وفـــي طـــي سره زمام الوسائل

فكم قاصد يـــرجوا النوال بـــبابه　　　وكم صادر قد نال من خير نـــائل

وكم رتبـــة أولـــى وجـــاها　　　ورفعة وكم مزايا قد أبان لــــخامل

وكم ظامئ أرواه عـــذب فـــراته　　　وكم عنـــي أولاه فظلا وعـــامل

عليك إذا رمت العلى بضريـــحه　　　تفوز بـــــخير عاجل غير آجل

فهذا أبو عـــبد الإله مـــحمد　　　إلى كـــفه ترتاح كـــل الفضائل

وهذا مقام الفضـــل إن كـــنت　　　طالبا فما يختشى منه جفاء لـسائل

وهذا جنيد العـــارفين بـــغربنا　　　مناقبه جلت علـــى كل قـــائل

سقاه إله العرش كـــأس مـــحبة　　　فطاب وفاح عطره في الـــمحافل

وصارت له الأكوان في طي قبضة　　　وهذا بحمد الله شأن الـــمواصل

له الأبـــوان الطـــاهران ســـجية　　　وفضلها قد بان في لب عـــاقل

أبو القاسم الزعري قطب مـــفضل　　　له ينتمي التقديم عند التـــفاضل

وشيخه عبد الله فأعـــرف حقه　　　ولذ بابن ساس تقضي كل المسائل

---

[1]- النواجل:الخصائص.أبو علي القالي:الأمالي. تر محمد عبد الجواد الأصمعي،دار الكتب المصرية،1344هـ-1926م.ج1،ص 51.

فعن شيـــــخه الغزواني نال مهابة	فعن شيخه التباع شمس الــمحافل
عن الـــجزولي القطب من آل هاشم	ونخبة آل البيت نجل الأفاضــــــل
إلى فضــلهم تشتاق نفـــــسي	وإنني جعلتهم منــــي وسيلة سائل
إلى دوحة المجد الذي فـــاح عـرفه	إمام هـــــــــمام ملجأ للوسائل
أنخت مطية الرجاء ببابه بــــمدح	نفيس طيب النشر حـــــــــافل
وإنه من قوم يطيبون بـــالثنا مــــن	آل بني الخطاب في الــمجد واصل
فهل عطفة على الغريب فـــــإنه	تـمسك مــــــن أذيالكم بالوصائل
فجــودوا عليه منة وتفــــــــضلا	فبحركم الفياض عذب الـــمناهل
عليكم سلام الله مادام فــضلـكم	وما إن في الأغصان صوت البلابـل
وهذي رياح المسك يعــبق نـشرها	تؤم علاكم بالضــــحى والأصايل[1]
وأزكى صلاة الله ثـــــم سـلامه	تفوق الحصا عدا وقطر الـــــهواطل[2]
على المصطفى روح الوجود وآلـــه	وجـــــملة صحـبه البدور الكوامل

اللهم بحرمة النبي صلى الله عليه وسلم تفضل علينا بما يليق بكرمك وحلمك وعلى ذريتنا بحرمة النبي صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه.

[1]- الأصايل:جمع أصيلة بمعنى الأصيل.تاج العروس،ج1،ص103.
[2]- الهواطل:الأمطار الغزيرة.نفسه،ج27،ص450.

الفصل الرابع : في نسب الشيخ سيدي محمد الشرقي رضي الله عنه

اعلم أن نسب الشيخ يتصل بثاني الأصحاب الخاشع الأواب الناطق بالصواب الخاشع للآداب علم الأعلام وكهف الأنام وعمدة الإسلام الذي خضعت لفضله الرقاب أبي حفص سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن سائر الصحابة أجمعين والتصريح بهذه النسبة كثير شائع في أولاده المتقدين شائع ذائع في أولاده المتأخرين.

وجدت بخط الوالد رحمه الله كلاما في ذلك ولعله أراد أن يكتب في ذلك شيئا فلم يقدر له، قلت ووالدي رحمه الله تعالى لابد من ذكر شيء من أوصافه وهو أهل لأنيذكر وأجل من تكتب سيرته وتسطر، فنقول : هو العالم العلامة الدراكة الفهامة ذو الفهم الثاقب والنظر المصيب المتقن المشارك النحرير الأثير الحافظ الذي شاع حفظه عند أهل الخصوصية والعرفان أبو عبد الله محمد بن أحمد العروسي : كان رحمه الله تعالى وقدس الله روحه وجعله بأعلى عليين من العلماء الراسخينذا نية صالحة وظن جميل في المنتسبين للهكثير التصديق بأولياء الله كثير الصدقة بالمال .

وكان رحمه الله إعتمد الشيخ الإمام والقدوة الهمام أبا علي سيدي الحسن بن مسعود اليوسي[1] رضي الله عنه في الطريق وعليه أخذ و إليه انتسب، وأما العلم فأخذ عن مشايخ أجله من بلدته حتى حصل له منه حظ وافر ثم ارتحل إلى فاس وأخذ عن مشايخ منهم الشيخ العالم المحدث أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي[2]وأجازه في البخاري وغيره، ومنهم الشيخ الإمام القدوة أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد القسطنطيني[3]، ومنهم الشيخ العالم الفقيه سيدي الحسن بن رحال المعداني[4] وكان يقول في الوالد، هو يشبه المازري[5] لكثرة حفظه واتساع مجاله وكان آية الله في الحفظ حتى شاع عند الخاص والعام بذلك، وكان يحفظ كتبا عديدة عن ظهر قلبه رحمه الله ورضي عنه وأسكنه بجوار المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومن مخاطبته لبعض الفضلاء من أهل فاس طالبا منه رؤية شرح وضعه على الخزرجية سماه بالنفحات الأرجية .

---

[1]- اليوسي الحسن بن مسعود(1040-1102هـ).فاطمة خليل:رسائل أبي علي اليوسي.صص،40-43. والإفراني:صفوة من انتشر،ص43.محمد الضعيف الرباطي:تاريخ الضعيف.تح أحمد العماري،دار المأثورات،الرباط،1985،ط1،ص51 وما بعدها.

[2]- محمد بن عبد القادر الفاسي أبو عبد الله عالم مشارك في العلوم العقلية والنقلية 1042هـ-1116.هـ .معجم المؤلفين،ج10،ص132. 3

[3]- محمد بن أحمد القسنطيني الكمادالشريف الحسني،ت1161هـ،محمد حجي:موسوعة أعلام المغرب،ج5،ص 1901.

[4]- الحسن بن رحال المعدني،صاعقة العلوم توفي 1140هـ،1728م.تولي القضاء بالدار البيضاء وتوفي بمكناس.معجم المؤلفين،ج3،ص24.وعبد الرحمن بن زيدان:المنزع اللطيف في مفاخر المولى اسماعيل.تح عبد الهادي التازي،مطبعة إديال،الدار البيضاء،1413هـ،1993م،ط1،ص

5- المازري الإمام المهدوي،توفي536هـ.النجوم الزاهرة،ج5،ص570.وفيات الأعيان،ج4،ص285.الديباج المذهب.ج2،ص250. وشذرات الذهب6ص196

أحببت من مولاي إطلاعـي   على نفحاته الأرجـــــية الغر

ولقد جننت بدرها الـمكنون   فيصدق الطروس[1] فشتت فكر

فأجبر صبا غدا مـــــن حبه   اذا لوعة في القلب كالـــجمر

وانظر نظامي بالرضى متجاوزا   خط العبيد الـــجاهل الـغمر

أبقاك رب الناس تلقي فنـــونه   وتزيل عنها جلابيب الســـتر

ولما أراد الرحلة إلى فاس لأخذ العلم وراود والده على مساعفته بذلك وتشفع له ليسمح له بخاطره فشق على والده ذلك وصعب عليه فراقه ولم يقدر أن يسمح له بمفارقته فكتب له هذه القصيدة ليستعطفه بها لعله أن يجيبه إلى ما قصد ويكمل له هذا المراد وهي :

يا ذا المعالي يا كـــــــهف الفخار   ويا من ورث الـمجد عن آبائه الأول

يا مــــــن له الفـــضل قدما بين   إخوة فدام فيه لم يـــــحل ولم يزل

ياملجأ الضيق ان ضاقـــت مذاهبه   يا ذا التصدر في الـــمشاهد الجلال

أنت الـهمام مناخ الفصل قدشهدت   لك بذاك بنــــو الآفاق والــــسبل

أنت الــــمؤمل في كشف النوائب   إن جلت وصار بـها الركبان في الحلل

أنـــت الشـــجاع فما رأيت مثلك   في الاقدام والحلم والصفح عن الخطل[2]

لقد بهرت ذوي الأرحام فــــي كرم   فأعترف الكل بالـــعجز وبالكسل

وسلموا فضلك المعلوم وإعــــترفو   أنهم منك في خوف وفـــي خــــجل

إرى السيادة لـم ترض ســــــواك   ولمترض سواها ففقت الكل عن عـجل

قد إنفردت بذي الأوصــاف فـــي   زمن لم يلق فيه سوى الأوغاد والــسفل

[1]- الطروس: الطرس الصحيفة وهو الكتاب يمحى ثم يكتب فيه.لسان العرب،ج6،ص121.

[2]- الخطل: خفة وسرعة.نفسه،ج11،ص209.

إلا قليل رجال ربـــــما نظروا إليك	فاستغـــــنوا بـــالقول عـــن العمل
وقد تفردت بين القـــوم فأصــــغ	إذ لقول أولي النهى والفضل في الـــملل
فإنـــــما رجل الدنيا وواحـــــدها	من لا يعـــول فـــي الدنيا على رجل
كيف السبيل إلى استقصاء مـدحك	يا مولاي فأصفح عن التقصير والكسل
يا سيدي يا أبا العباس يا سنـــدي	ويا ملاذي ويا ذخري ويــــــا أمل
عبدك[1] يعجز عن شكر أيـــاديك	والعجز عن الشكر شكر للذي قـــبل
فكم تبختـــرت فـــي أفنية لكم	وكم لبست من الأثواب والـــــحلل
من نسج والدتي أو من شـــرا أبي	وكم أكلت بلا مــــن ولا مـــلل
وكـــــم ركبت جيادا في رفاهية	أمشي بـــــها في الأقارب على مهل
أمر بين الأعــــاذي كيف شئت	ولأرضاهم فـــتي لباس لا ولا جدل
فالشكل لله ذي الفضل العــــظيم	على ترادف النعم المقدور فـــي الأزل
من جعل المجد موروثا لنــــا أبدا	ولم يـــكن لسوانا فيـــــه من بلل
يا رب زدنا ولا تنقـــــص عبيدك	ما تعـــودوه من الإسعاف بالأمـــل
يا والدي لـــــقد أنعمـــتنا كرما	على العبيد فجودا برضاكــــما لـــي
وتـــــمما ذلك بالبعث إلى فاس[2]	كي أنال علما وعز القـــوم في النقل

[1]العبودية لا تكون إلا لله وحده.

[2]- فاس:قاعدة بلاد المغربأسست عدوة الأندلس عام 192هـ وعدوة القرويين 193هـ في عهد إدريس بن إدريس،مجهول:الاستبصار في عجائب الأمصار،ص180.

وساعـــداني على ذاك بـــفضلكما … وجاه خير الورى والآل والـــــرسل

وحـــــرمة الأب والأجداد كـــلهم … والأخـــــوين وأهـل العلم والعمل

قدمـــــــتهم بين يدي لــــكي … يساعد العبد بالـــمأمول عن عجل

ولست أرض سوى الإسعاف منك … فجد به وسل ربك العون على البدل

وإن مننت بذا فالسبت موعـــتدنا … به ولا تتــــــوهم كلـــفة الـسبل

إن الـمحب إذا اشتدت بلابــــله[1] … فلا يصيح إلـــى لوم ولا عـــــذل[2]

قد طار قلبي وسط الصبر وانفجرت … دمـــــوع عينـــي وفر النوم من مقل

وحاصل الأمر ودعنـــي إلهـــي كي … يردني عاجـــــلا قبل انقـضاء أجل

فلم أفارقكما بـــــالطوع منـــــي … كما علمت بــــــمقدور لنـــا أزل

وما تـــــحملت ما ألقاه من تعب … وغربة واشتياق مطـــــــرد جـــذل[3]

إلا لنيل رضى الـــمولى الكريم وأن … يـــــنيلني الفوز بـــــالعلم وبالعمل

أجاب ربي دعـــــائي ببقائكما لنا … ولأهل والإخـــــوان والـــــــخول[4]

فهو مـــــجيب دعاالـــمستغيث به … وهو متيح الــــــمنا والقصد والأمل

لقت تـــــكلفت نظم الشعر فـيك … ولـــم أكن لذاك بأهل لا ولا ذا كل

فغض طرفك يا مولاي عن خطابـي … وجـد بعين الرضى والصفح عن زلل

مني عليك سلام الله مـا هـــــتفت … جوانحي بــــــــمحاسن الأب البطل

---

[1]- بلابل: شدة الهم والوسواس. المعجم الوسيط، ج1، ص 68.

[2]- عذل: اللوم. العين: ج2، ص99.

[3]- جذل: الجذل الفرح. لسان العرب. ج11، ص 107. 4-الخول: حشم الرجل وأتباعه. نفسه، ج11، ص 107.

فلما وصل إلى فاس وأستقر بها طلب من الشيخ العالم الصدر الإمام شيخه القسطنطيني أن يكتب إلى والده كتابا ليستعطفه ويسمح له بخاطره ويزاوده بالدعاء فكتب له كتابا ما نصه :

بعد الحمد لله الفقيه الفاضل الحافل الكامل ذو المجد الراسخ الذي ليس لمحكم آياته ناسخ ولا لمبرم عقده فاسخ أبو السرور سيدي العروسي نجل الولي الصمداني[1] العارف بالله الرباني سيدي محمد الشرقي، السلام عليك ورحمة الله وبركاته، هذا وإنا نحمد إليكم الله الذي لا إلاه إلا الله عالم الغيب والشهادة الذي فضل العلم على مرتبة الشهادة وجعل درجة أهله أرفع الدرجات فقال أجل من قائل {يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات [2]} وجعل طلبه فريضة على كل مسلم من كان لتحصيله من أهل الرسوخ والتمكين فقال تعالى : {فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين[3]} وقال عليه الصلاة والسلام (أطلبوا العلم ولو في الصين فإن طلبه فريضة على كل مسلم)[4].

وقد قدم علينا ولدكم النحرير الدراكة الأثير الألمعي اللبيب ذو الفهم الثاقب والنظر المصيب أبو عبد الله سيدي محمد،بصدد تعلم العلم والعكوف على تحصيله ليكون من أهل الرسوخ والعرفان ،ولم يرضى لرفع رتبة همته برتبة التقليد بل أراد أن يرتقي لرتبة المعرفة الناتجة عن الدليل والبرهان فيكون إماما يقتدي به الجاهل في ظلمة ليل الشك الداج والهيمان،وذلك والله الشرف الدنيوي والأخروي الذي ليس له ثان ولله در الإمام السبكي حيث يقول :

كمال الفتى بالعلم لا بالمناصب   ورتبة أهـــل العلم أسنى المناصب

هم ورثوا علم النبيين فإقـــتدى   بهم كل سار فـــي الظلام وسارب[5]

فلا فخر إلا إرث شرعة أحـــمد   ولا فضل إلا في اكتساب المناقب

وبحث وتـحقيق وإيضاح مشكل   وتحرير برهان وقمع مـــــغالب

---

[1]- الصمداني:الصمد الذي يصمد إليه أي يقصد وقيل هو الذي لا يطعم وهي من صفات الله عزوجل.رفيق العجم:موسوعة مصطلحات التصوف،ص 151.

[2]- المجادلة 11.

[3]- التوبة 122.

[4]- رواه غير واحد من أئمة الحديث قال البزار في مسنده لا أصل له.ج1،ص164.وقال الألباني موضوع.ينظر ضعيف الجامع الصغير وزيادته،ج1،ص129.طبع المكتب الإسلامي بيروت.

[5]- سارب:مستتر ،تاج العروس ج3،ص54.

وإحكام آيات الكتاب والسنة أتت عن رسول من لؤي ابن غالب

إذا المرء أمسى للعلوم محالفا أضاءله منها جميع الغياهب

وينزاح عنه كل شك وشبهة وتبدوا له الأنوار من كل جانب

هي الرتبة العلياء تسامى بأهلها إلى مستقر فوق الكواكب

. فودنكها إن كنت للرشد طالبا تنل خير مرجو الدنا والعواقب

وقد أخبرنا أنه أتى بغير أمرك وحشى من تغير خاطرك فنريد منك أن تسمح له ولا تتغير عنه بقلبك وقالبك وتمده بدعائك فإنه والحمد لله لم يشتغل إلا بأعظم الطاعات ولم يأتي إلا لتحصيل أشرف القربات وأرفع الدرجات، وينبغي لك أن تحمد اللهالذي شرح صدره لذلك إذ مااشتغل به نفعه عائد عليك،وكثير من الناس يتمنوا ذلك في ولده ولو بجميع ماملكت يمينه لو كان الأمر بيده،لكن فضل الله يؤتيه من يشاء والله أعلم حيث يجعل رسالته .

وإذا حلت الهداية قلبا نشطت للعبادة الأعضاء

ورحم الله والد أعان ولده على بره وأخرج عنه لله فإن الله يرده إليك كما تشاء وتريد والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وكتب من محمد بن أحمد القسطنطيني الشريف الحسني . قلت ونحو قول الإمام السبكي قول الشيخ الإمام والقدوة الهمام سيدي صالح بن المعطي في مرح العلم قدس الله روحه :

تعلم فما للمرء كالعلم مقتنى وليس أخوا علم بكفء لجاهل

فذو علم محبوب على كل حال وذوالجهل محمول على غير طائل

وإن امرئ قد آثر الجهل والغنى على العلم عندي أخرق غير عاقل

وما العز كل العز إلا لعالم بهالحسن يبدوا في صدور المحافل

ألا إن أهل العلم قوم أجلة ونور ذويه بازغ غير آفل

فكن معتن بالعلم لا تنسى درسه نهارا وليلا وألزم سيد الأفاضل

ودع عنك ما يلهيك عنه ولا تكـن نواما[1] فما إختار الكرى غير سافل

وسامر دواويــــن العلوم فإنـــــها ألذ نديــــــم دافع بالـــــبلابل

تفـــــيدك علما لا ينال بدونــــها وتعرف عن شؤون القرون الأوائــل

فواضب عليها فهــــي أنس بوحدة وخير جليس كاتم السر كـــــامل

ومنها إكتســـاب الـــــمرء ظرفا[2] وحكمة يحل بها بل رقة وشـمائل

وأنشد الطرطوشى مؤلف سراج الملوك:

لنا جلساء لا يمل حديثـــــــهم ألباء مأمونون غيبا ومـــــشهدا

فلا فتنة تخشى ولا سوء عشــرة ولا تتقي منهم لسلنا ولا يــــدا

يفيدوننا من علمهم علم مـــــن مضى وحلما وأدبا ورأيا مسددا

فإن قلت أموات فلست بكاذب وإن قلت أحياء فلست مــفندا

وللفالي[3] رحمه الله : وقد كانت عنده الجمهرة[4] فإحتاج إلى بيعها فباعها فكتب على ظهرها هذه الأبيات :

أنست بها عشرين حولا وبعـــتها وقد طال وجدي بعدها وحنين

وما كان عندي أنني ســــــأبيعها ولو خلدتني في السجون ديـون

ولكن لضعف وافتقار وصــــــبية صغار عليهم تستهل عــــيون

فقلت ولم أملك سوى فيض عبرة مقالة مكوي الفؤاد حـــــــزين

فقد تخرج الحاجات يا أم مــــالك كرائم من ربهـــــن ضنـــين

---

[1]- في ب سؤوما.

[2]- في ب طرفا.

[3]- الفالي علي بن أحمد بن علي بن سلك المؤدبمن بلدة فالة وأقام بالبصرة،توفي448هـ.ابن الجوزي:تاريخ ابن الجوزي.ج10،16.

[4]- كتاب الجمهرة لإبن دريد.

وأنشدني بعض الأدباء له أيضا :

قالت وأبدت صفحة كالشمس من تحت القناع

بعت الدفاتر وهـــي آخر ما يباع من الــمبتاع

فأجبتها ويدي عـــلى كبدي وهمت بالصـــداع

لا تعجبي مـــما رأيت فنحن في زمن الضـــياع

وللحريري[1] وقد طلب منه إعادة كتاب كان يلازمه فأنشد ارتجالا:

سميري كتابي[2]منذ عشرين حجة وصقيل ذهني والمفرج من همي

فعار على مثلـــــــي إعارة مثله وآياته ألا يفارقه كـــمي

وأعلم أن الكتب إنما تفيد من كان أهلا لفهم ما فيها وإلاصاحبها كمثل الحمار يحمل أسفارا وأنشد صاحب " المسائل: الملقوطة " في هذا:

تصدرفي المجالس ثـــم تاها ومال إلى رياسة وإشتهاها

تعلم آية فصار يقـــــرئ ويلحن كل حين إن أتاها

وعند الشيخ أسفار كـبار مجلدة ولـــكن ما قراها

إذا سألوه يوما عن سؤال يحرك رأسه ويـــــقول آها

وأنشد في بعض الأدباء من أهل من مراكش

صاحب الكتب تـــراه أبدا غير ذا فهم ولكن ذا غلط

---

[1]- الحريري القاسم بن علي بن عثمان صاحب المقامات(446-516هـ).شهاب الدين بن عبد الله الرومي الحموي:معجم الأدباء.تح إحسان عباس،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1414هـ،1993م،ط1،ج5،ص2202.

[2]- في ب فؤادي.

كلما فتشته عن علمه قال علمي يا خليلي في سفط[1]

في كراريس جياد حكمت وبخط أي خط أي خـط

فإذا قلت له هات بـــها حك لحييه[2]جميعا وامتخط[3]

وللزمخشري[4] في مدح العلم :سهري لتحصيل العلوم ألذ لي من لثم غانية وطول عناق

وتما يلي طربا لحل عويصة اشهى إلي من تـــمايل ساق

وألذ من نقر الفتاة لـعوده انقري لألقي الرمل عن أوراق

يامن يحاول بالتواني رتبـتي كم بين منسفل وآخـــر راق

ولآخر في معناه:

شيئان أحلى من أعناق الخوذ[5] وألذ من شراب القداح الأسـود

وأجل من رتب الملوك عليهم وشي الحرير مطرزا بالعـــسجد

فهما إذا إجتمعا لشخص بارع نال المحامد في الحياة وفي الـغد

سود الدفاتر إن يكن نديـــمها طول الجبال[6] وظل برد المسـجد

ولآخر أيضا :

إذا ما خلا الناس في دورهم بخمر سلاف وخوذ كعاب[7]

---

[1]- سفط:وعاء من قضبان الشجر.المعجم الوسيط،ج1،ص 433.

[2]- لحييه:فكيه:لسان العرب،ج10،ص476.

[3]- امتخط:أزال مافي أنفه.نفسه،ج2،ص857.

[4]- الزمخشري :محمد بن عمر بن محمد بن عمر أبو القاسم النحوي(467-538هـ) النحوي اللغوي من خوارزم بقرية زمخشر.أنظر،الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،1417 هـ،ط1،ج21،ص172.

[5]- الخوذ:جمع خود وهي المرأة الناعمة. أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي: مجمل اللغة. تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط الثانية، 1406 هـ - 1986 م،ج1،ص306.

[6]- في ب الحياة

[7]- في ب وخوذ كعب.

خلوت وصحبي كتب العلوم وباتت عروسي بنت الكتاب

ودرس العـلوم شراب العقول فدوروا علي بذاك الشراب

ومـــا يجمع المرء في دهره سوى العلم يجمعه للتراب

وكان الشيخ سيدي صالح ابن المعطي قدس الله روحه ينشدنا ونحن صبيان تحريظا على طلب العلم :

العلم يبني بيوتا لا عمــــــاد لها والجهل يهدم بيت العز والشرف

وقوله : أخو العلم حي خالد بعد مــوته وأوصاله تحت التراب الرمــــيم

وذو الجهل ميت وهو يمشي على الثرى يعد من الأحياء وهو عديم

وقول بعضهم في مدح العلم :

تعلم فليس المرء يولد عالــما وليس أخو علم كمن هو جاهل

وإن كبير القــــوم لا علم له صغير إذا ردت له الـــــمسائل

وإن صغير القوم والعلم عنده[1] كبير إذا التفت إليه المـــــحافل

قلت : ومصداق هذا ما في صحيح البخاري عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجدفي نفسه، فقال لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله . فقال عمر إنه من علمتم، فدعا ذات يوم فأدخله معهم فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريحهم قال: ما تعلمون[2] في قول الله عز وجل {إذا جاء نصر الله والفتح [3]} فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لي : كذلك تقول يا ابن عباس . فقلت لا قال وما تقول، قلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه به . قال : إذا جاء نصر الله والفتح فذاك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا . فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول.

---

[1]- في ب وإن صغير القوم إن كان عالما.

[2]- في ب ما تقولون.

[3]- النصر 1.

وفيه أيضا عن عبيد بن عمير قال عمر لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيم ترون هذه الآية نزلت {أ يود أحدكم أن تكون له جنة[1]} قالوا الله أعلم، فغضب عمر فقال قولوا نعلم أو لا نعلم . فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين قال عمر : يا بن أخي قل ولا تحقر نفسك قال بن عباس ضربت مثلا لعمل،قال عمر أي عمل، قال ابن عباس لعمل، قال عمر لرجل غني يعمل بطاعة الله . ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله نسأل الله العافية والسلامة، ولبعضهم أيضا :

إذا ما شئت أن تحيا سعيدا　　أو تلقى الله بالعمل الكريـــــم

فلا تصحب سوى الأخيار　　وأقطع زمانك في مدارسة العلوم

ولبعضهم أيضا :

العلم نور فكن للنور مقتــــبسا　　ولا تــزل طالبا للعلم مــلتمسا

اجهد لتدركه وانهض لتـــلحقه　　فليس مثلين مــرؤوس ومن رأسـا

ترشح للعزم في تـــحصيل شارده　　واستعذب الملح في اجلابه فعسى

وأخفض جناحك ذلا فـي تطـــلبه　　فالعلم إن تلتمسه خير ما التمسا

وطالع الكتب واجهد فـــي دراستها　　فطالما فاز بالمطلوب من درســـا

وأرغب عن النوم[2] في تحصيل جـوهره　　فليس يظفر بالمأمول من نــعسا

وليقوى ظنك في إدراك غـامضه　　فالظن معتبرالعقبى لما مـــجسا[2]

ولا تكن يائسا من أن تفـــوز به　　فليس من يرتجى شيئا كمن يئـسا

يرعى العليم وإن رثت ملابـــسه　　وصاحب الجهل مرعى بـما لبسا

---

[1]- البقرة 266.

[2]- مجس:حس اللمس أو اللمس. رينهارت دُوزِي:تكملة المعاجم العربية.تر محمَّد سَليم النعَيمي، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية،1979.ط1،ج2،ص210.

وللقرطبي رحمه الله :

نور الحديث مبين بـــــادر وأقتبس   واحدوا الركائب نحو الرضى النـدس

وأطلبه بالصين فهـــــــو العلم إن   رفعت أعلامه برباها يا ابن أنـــدلس

ولا تضع في سوى تقييد شــــارده   أيفوتك بين اللــــحظ والنفـــــس

وخل بسمعك عن بلوى أخـي جد   لشغل اللبيب بها ضربا من الـــهوس

ما إنسمعت بأبـــــي بكر ولا عمر   ولا أتت عن أبي هر ولا أنـــــــس

إلا هوى وخصومة ملفقة لـــيست   بـــــــرطب إذا عدت ولا يبــــس

ولا يغرك من أربـــــابها هــــدر[1]   أجرى وجدك مـــــنه نغمة الجرس

أعرهم أذنا صمـــــاء إن عـــذلوا   لكن إذا ســـــألوا تعزى إلى خرس

ما العلم إلا كـــــتاب الله أوأثـــر   يـــــجلوا بنور هــــداه كل ملتبس

ربح لــــملتمس نور لـــــمقتبس   حمـــى لمحترس نعمى لمبـــتئتس

ورد بقلبك عذبا من حياضـــــهما   تغسل بماء الهدي بما كان من دنـس

فأعكـــــف ببابـهما على طلابهما   تمحو العمى بهما عن كل ملتـمس

ورد بقلبك عــــذبا بـــــرياضهما   تغسل بماء الهدي ما كان من دنـس

وافق النبي وأتباع النبـــــي وكـــن   مـــن نورهم أبدا تـــدنوا إلى قبس

وألزم مجالسهم تكن مــــجالسهم   وأندب مدارسهم بـــالأربع الدرس

واسلك طريقهم واتبــع فريقـــــهم   تكن رفيقهم فـــي حضرة الــقدس

تلك السعادة إن تلمــــم بساحتها   فحط رأسك قد عوفيت مـن التعس

---

[1]- هدر:الهدر ما يبطل.العين، ج4،ص 22.

قلت وفضل العلم أجل من أن يذكر وأكثر من أني يعد ويحصر والآيات الدالة على ذلك كثيرة والأحاديث الشاهدة بذلك شهيرة، ثم المراد بالعلم الذي دلت على فضل صاحبه والأحاديث التي دلت على ماله ومن الفضل عند الله والأجر والشرف الذي له في الآخرة والثواب الأوفر الذي صاحبه العمل وقارنته الخشية وإلا فليس لصاحبه إلا زيادة الإثم قال بعضهم زيادة العلوم في الرجل السوء كزيادة الماء في أصول الحنظل، وقال ابن عطاء الله : العلم إن قارنته الخشية كان لك وإلا فعليك وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه

وفي صحيح البخاري عنه صلى الله عليه وسلم قال (يجاء برجل فيطرح في النار فيطحن فيها كما يطحن الحمار برحى فيطاف به أهل النار فيقولون أي فلان كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول إني كنت آمر بالمعروف ولا أفعله، وأنهى عن المنكر وأفعله)[1] نسأل الله العافية .اللهم إنا نسألك بذاتك العالية وبجاه نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبأصحابه وبكل ولي لك وحبيب وفقنا لما تحب وترضى ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك فكما مننت علينا بما علمتنا فتمم لنا ذلك بالعمل به إلى يوم لقاك بجاه النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا يقول الشاعر :

اعمل بعلمك تؤتى حكمة　　　إنما جدوى علوم المرء نهج الأقوم

وإذا الفتـــى قد نال علما　　　ثم لم يعمل به فكأنه لـــم يعلم

وفي هذا يقول الآخر :

من كان منتفعا به وبعـلمه　　　يقضا و في عمل حليف نعاس

فمثاله المسكين عند تأمـل　　　وتفكر كزبالة النـــــــــبراس

يأتي عليها الاحتراق ودأبها　　　أبدا تزايد ضوئها للـــــــناس

وقال الشاعر وهو في المدخل لابن الحاج[2] نفعنا الله به :

أيها العالم إياك الزلل　　　وإحذر الهفوة فالخطب جلل

---

[1]- رواه البخاري في صحيحه رقم7098.ج9،ص55.

[2]- محمد بن محمد بن محمد بن الحاج أبو عبد الله العبدري الفاسي نزيل مصر،صاحب المدخل،ت737هـ.ابن حجر:الدرر الكامنة،ج5،ص 507.

هفـــــوة العالـم مـستعظمة إن هفا أصبح في الخلف مثل

وعــلى زلـــته عمـــــدتهم فبها يحتج من اخــــطأ وزل

لا تقل يستر علـمي زلتـــي بل بها يحصل في العلم الخلل

إن تكن عندك مستــــحقرة فهي عند الله والناس جبــــل

ليس ما يصــنعه العالـــم في كل مادق من الأمر وجــــل

مثل مــن يدفع جـــهله إن أتى فــــاحشة قيـــل جهل

أنظر الأنــجم مهما سقطت من رءاها وهي تـــهويلم ييل

وترامت نحوها أبـــــصارهم بإنـــزعاج واظـــطراب ووجل

فإذا الشمس بدت كاســـفة وجل الـخلق لـــها كل الوجل

وسرى النقص لهم من نقصها فـــغدت مــظلة منها السبل

فكــــذا العالــــم في زلته يفتن العالم طـــرا ويظـــــــل

يقــــتدي منه بــما فيه هفا لا بما استعصم فيه واستـــقل

فهو ملح الـــخلق ما يصلحه إن بدا فيه فسادا أو خــــلل

وكان بعض العلماء رحمه الله رأى في المنام كأنه جالس للاشتغال وكتبه حوله، إذا بخطاب من فوق رأسه يقول له أكتب فقلت له وما أكتب قال أكتب:

تعلم ما استعطت لقصد وجهي فإن العلم من سفن النجاة

وليس العلم في الدنيا بمــــجز إذا ما حل في غير التـــقاه

ومن طلب الـــعلم لغير وجهي[1] بعيد أن تـــراه من الهداة

[1]- الضمير يعود لله عز وجل.

وللشيخ تقي الدين ابن دقيق العبد رحمه الله تعالى :

قالوا فلان عالم فاضـــل فأكرموه مثل ما يرتضـي

فقلت لما لم يكن ذا تقا تعارض المانع والمقتضى

وفي الحديث : (صنفان من أمتي إذا صلحا صلح العالم كله الأمراء والعلماء)[1]. قال أبو علي فكيف بهما وقد فسدا وفي ذلك يقول عبد الله بن المبارك[2] رضي الله عنه :

وهل أفسدالدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبـــانها

وباعوا النفوس ولم يرتجوا ولم تغل في البيع أثمـانها

لقد وقع القوم في جـيفة تبين لذي اللب أنتانها

وقال الإمام مالك رضي الله عنه : ينبغي للعالم إذا كان يشار إليه بالأصابع إذا خلا في بيته أن يحثوا على رأسه التراب فإنه إذا وضع في القبر يسوءه ذلك. نسأل الله العافية والسلامة بجاه النبي صلى الله عليه وسلم .

قال المزني[3] رضي الله عنه دخلت على الشافعي في علته التي مات منها فقلت له كيف أصبحت ؟قال أصبحت من الدنيا راحلا ولإخواني مفارقا وكأس المنية شاربا ولسوء أعمالي ملاقيا وعلى الله عز وجل واردا،فلا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها ثم بكى وأنشد :

إليك إله العرش أرفع رغبتــــي وإن كنت يا ذا المن والوجود مجرما

ولما قسا قلبي وذاقت مذاهبـــي جعلت الرجم من لعفوك ســـلما

تعاظمني ذنبــــي فلما قـــرنته لعفوك ربي كان عفوك كان أعظما

وما زالت ذا عفو عـــن الذنب كله تجود وتعفوا منة وتـــــكرما

فإن تعفو عني تعفوا عن متــمرد ظلوم غشوم ما يزايل مأثـــــــما

---

[1]- حديث موضوع أورده الألباني في الضعيفةرقم 16. ج1،ص 70.

[2]- عبد الله بن المبارك المروزي العالم الحافظ المحدث(118-181هـ):البغدادي:تاريخ بغداد،ج11،صص،388-400.

[3]- توفي 264هـ ينظر:عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي، تاريخ ابن يونس. دار الكتب العلمية، بيروت، 1421 هـ،ط1، ج1،ص44.

وإن تنتقم مني فلست بـــآيس   وإن دخلت نفسي بجرمي جهنما

فجرمي عظيم من قديم وحادث   وعفوك يا ذا العفو أعلى وأجسـما

اللهم إنا نسألك بجاه النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تخالف بنا عن نهج الأئمة المقتدى به ولا تحاسبنا على شيء وهب لنا كل شيء فأنت الجواد الكريم وصلى الله على سيدنا محمد وآله . وقد آن أن نرجع إلى نسب الشيخ ونص ما وجدت بخط الوالد .

ذكر نسب سيدنا وجدنا وبركتنا ووسيلتنا إلى ربنا وربه و نبينا ونبيه. قطب زمانه، وغوث أوانه على الهداية وشمس الولاية الذي نفع الله به كثيرا من خلقه وهداهم به إلى أقوم طرقه أعترف بفضله فضلاء أهل وقته وجعله الله تعالى إماما لهم في حياته وبعد مماته، مروي العطاش من بحره الزلال و مدني البعدا وموصلهم إلى حضرة مولاه ذي الجلال،كل ذلك بإذن الله الكبير المتعالي، سيدنا وسندنا المرقي، أبي عبد الله سيدي ومولاي محمد الشرقي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به دنيا وأخرى .

هو محمد بن سيدي أبا القاسم بن سيدي الزعري يتصل نسبه بثاني الخلفاء وتالي أفضل الحنف الخاشع الأواب المحدث من وراء حجاب، من أعز الله به الإسلام ونصر بمنبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، وعلى أصحابه الأعلام، المؤتى الحكمة وفصل الخطاب، مولانا وسيدنا أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأرضاه عنا، ويسر على أيدينا وفتح علينا ما يقبله هوو ولده المذكور، عنا وعن سائر الصحابة الفضلاء الأخيار الذين بذلوا نفوسهم وأموالهم في إعلاء دين الله الواحد القهار، وذلك شائع على نسبة أولاده المتأخرين موجود بخط كثير من المتقدمين،انتهى المراد منه .

ثم سرد من وجد بخطه التصريح بتلك النسبة من أولاد الشيخ وأحفاده، فمن أولاده الفقيه النزيه المحترم الوجيه أبو العباس سيدي أحمد المرسي رضي الله عنه وجد بخطه التصريح بهذه النسبة، ووجدت في إجازة الولي الفاضل العالم الواصل المحدث العارف الطود الكاشف سيدي الحاج محمد المكناسي[1] رحمه الله، والمجيز له أحد الفضلاء من ذرية الولي العارف بالله ابن أبي جمرة نفعنا الله به،قال الوالد رحمه الله : ولا خفاء أن اعتماد المجيز في هذه النسبة على المجاز للجهل بأنساب الغرباء غالبا، فهو بمنزلة التصريح من ولد الشيخ بهذه النسبة.

[1]- محمد بن عبد الله ابن القاضي المكناسي توفي 917أو918هـ. الكتاني،سلوة الأنفاس.ج2،ص91.

قلت :ووجدت بخط سيدي وحدثنا بهارضي الله عنه وأرضاه أما نسب سيدنا ولي الله تعالى الكامل المكمل سيدي محمد بن أبي القاسم الشرقي المتصل بسيدنا ومولانا عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ما وجد بخط عمنا الفقيه النبيه سيدي محمد التونسي بن الشيخ سيدي محمد الشرقي، في آخر كتاب نسخه ثم ذكر النسب وسيأتي إن شاء الله ثم قال :هكذا وجد بخط ولد الشيخ المذكور قائلا : كتبت هذه السلسلة المباركة أواخر شعبان عام خمسة وتسعين وتسعمائة انتهىمن أحفاد الشيخ الأستاذ الولي أبي عبد الله سيدي محمد المفضل بن الشيخ المرسي المتقدم ومنهم الأستاذ المقرئ أبو عبد الله سيدي الشرقي بن عبد القادر رحم الله الجميع.

قلت : وهذا كثير موجود بخط أولاد الشيخ وأحفاده في غير ما موضع والتصريح بهذه النسبة وظهورها أكثر من نار على علم وبدرها أشهر من البدر في الظلم وإنما احتيج إلى التنصيص علىوجودها بخط أولاد الشيخ المتقدمين،لأن بعض الناس توقف في ذالك إما شك فيها أو لم يكتفي بما سمع من عند الناس وهو مردود عليه بأمور،أحدها ما تقدم عن أولاد الشيخ من التصريح بتلك النسبة وثبوتها بخطوطهم رضي الله عنهم وهم علماء أئمة فضلاء أهلة يقتدي بهم من لا علم عنده، وحاشاهم أن يقتحموا ذلك الأمرو يجترءون عليه ويختلقونوهم شاكون في ذلك وليس عنيدهم تحقيق،أعاذهم الله من ذلك لأنهم رضي الله عنهم كانوا على درجة من العلم والصلاح والهداية والرشد والخوف فيمنعهم ذلك من التقولومن القدوم على أمر مشكوك فيه وإثبات شيء لأنفسهم لم يتيقنوه[1] ويدعون تلك النسبة لأنفسهم وهم في ذلك على حذر متمسكين بالغرر فكل هذا بعيد من جانبهم ومن ديانتهم رضي الله عنهم بل ما قالوا ذلك حتى حققوه وصححوه .

وثانيها : أنهم المعاصرون للشيخ والدهم والمخالطون له والعارفون بأحواله وسيرته فكيف يمكن منهم خلاف ما كان عليه الشيخ وينتسبون لغير ما كان ينتسب إليه فهم أعرف بحال الشيخ من غيرهم وأهل مكة أعرف بشعبها وهم أقدم من غيرهم وما أصح على من تقدم .

وثالثها : ما ورد من النهي عن ابن عباس عن الطعن في الأنساب والناس مصدقون في انتسابهم، إذ هذا الأمر يكفي فيه الظن ولا يطلب القطع في ذلك إذ قل أن يوجد ويسلم من التداخل والوهن ولهذا قال صلى الله عليه وسلم (كذب النسابون)[2]فلما كان كذلك أكتفي فيه بالنقل من الثقة ونسب الشيخ رضي الله عنه محفوظ مصون لا يمكن فيه تداخل ولا وهن على ما هو العادة في مثله ممن له نسب مخصوص كالعلوية رضي الله عنهم.

[1]- في ب لم يتفننوه.

[2]- أورده الألباني في السلسلة الضعيفة رقم 111وقال حديث موضوع.ج1،ص 228.

رابعها : هل عند المناقض لما ادعوهأولئك الأعلام والسادات الكرام أجلة الأنام حجة أو دليل أو برهان من كتب أوسنة أو نص صريح استند إليه وبني عليه قوله،فيصار إليه فبأي كتاب أم بأية سنة يناقض ما تقدم فيذهب إليه ويعول عليه فإذا لم يكن شيء مما ذكر ولم يجد المنكر دليلا، فاعلم إنما يتبعون أهواءهم {ومن أظل ممن إتبع هواه بغير هدى من الله [1]} لكن الجاهل ينكر ما ليس له به علم ومن جهل شيئا عاداه { وإذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم}[2]{بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه}[3]

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمـد ‏ ‏ ‏ وينكر الفم طعم الـــماء من سقم

وقال أبو علي في داليته: والماء ينكره السقيم وقـــــــد حلا ‏ ‏ ‏ ويمر في فيه الطـــــــــعام وقد قر

وقول آخر : ما ضر شمس الضحى في الأفق طالعة ‏ ‏ ‏ أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وقول الأخر : وقد يزدري بالشمس وهي مضـــــيئة ‏ ‏ ‏ على حسنها أعــمي البصيرة والبصر

وعلى تقدير كون المنكر عندهشيء على أنهلاشيء عنده فليبده {قل هل لكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن}[4]{ قل هاتوابرهانكم إن كنتم صادقين}[5] ويرحم الله من قال :

تأهب لتذكار إذا رمت نـــقده ‏ ‏ ‏ وبرهن عليه كي تناقض عقده

فـــهذا لعمر الله باب مفـــتح ‏ ‏ ‏ فيا عجبا ممن يعالــج شره

يريد إله العرش يسرا بـــــفضله ‏ ‏ ‏ ويأباه أقوام يـــريدون ضده

فأعجب بهذا القوم كل عـجيبة ‏ ‏ ‏ عطاء من الرحمن يبغون رده

مع أن المنكر لا مستند له ولا دليل ولا حجة إذا هذا الأمر لا يحتاج إلى ذلك وإنما يحتاج إلى صحة الأخبار من الثقة إن كان عنده خبر فما عندنا أصح منه لما قدمنا :

[1]- القصص50.

[2]- الأحقاف 11.

[3]- يونس39.

[4]- الأنعام 148.

[5]- البقرة111.

أعـــــالـم أنت قل لي أم أنت ناقل ‏ ‏ ‏ ‏ فبالله أنـــصف مالك اليوم صامت

ويا أيها المرء الـــــجهول بـنسبة ‏ ‏ ‏ ‏ تعديت فأرجع إنـــــما أنت قانت

فمثلك من أوهن السبيل على الورى ‏ ‏ ‏ ‏ لقد أصبحت تغزو البزات الفواخت

وقوله : أيا عجبا حتـــى البـــزات تصيدنا ‏ ‏ ‏ ‏ ونحن بزات شامخات الـــمخالب

وهل يـــحمل البيـــزان إلا ملوكها ‏ ‏ ‏ ‏ أرى المجد مجدي والـمؤيد صاحب

وقوله : أتمشي القوافي تـــــحت غير لوائنا ‏ ‏ ‏ ‏ ونحــــن على قوالها أمـــــــــراء

فهلا حسن هذا المنكر، الظن بالمسلمين وامتثل حديث النبي صلى الله عليه وسلم (خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير حسن الظن بالله وحسن الظن بالناس وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بالناس)[1]وأيضا، لو كان هذا المنكر ممن يراعي الحرمة ويحافظ على المروءة لكان إلى ذلك الأمر مبادرا وبما سمع مصدقا غاية الأمر أن المسألة تحتمل وتحتمل لكن يبادر هو إلى المسموع الحسن فيتبعه فينخرط في عموم قوله تعالى {شر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه}[2].

وإن قيل و لعل الشيخ كان لا يذكر تلك النسبة قلنا ذلك لا ينافي ما تقدم من ثبوت تلك النسبة إذ يكون الشيخ قدترك تلك النسبة لأمرين، أولهما الورع فكان الشيخ يترك ذلك تورعا منه رضي الله عنه وليس ذاك بعيد من أمثاله،فهذا زين الدين عبد الرحيم[3] العراقي رحمه الله كان نسبه متصل بالفاروق رضي الله عنه وكان لا يذكره تورعا منه، والثاني أن الشيخ كان ينسب إلى الوطن لأنه أشتهر به وبهذا انتسب كثير من العلماء لأوطانهم وتنسيب نسبتهم إلى قبائلهم قال العراقي في ألفيته رحمه الله :وضاعت أنساب في البلدانفنسب الأكثر للأوطانوحدثتني بعض الناس عن والده أنه كانذات ليلة راقد فرأى في عالم النوم الشيخ سيدي محمد الشرقي، فقال له أنتم من أولاد سيدي عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قلت فثبوت النسبة المذكورة صحيح شهير وإن لم يراها أعمى البصيرة والبصر فقد رآها واعترف صحيح النظر .

---

[1]- لم أجده بهذا اللفض.

[2]- الزمر17-18.

[3]- الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي المصري الشافعي725 – 806هـ. يوسف بن تغري بردي :المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي.تح محمد محمد أمين،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج7،245.

وكم عائب ليلى ولم ير وجهها   فقال له الحرمان حسبك ما فاتا

وقوله :وكم من عائب قولا صحيحا   وآفـــته من الـــفهم السقيم

اعلم أن فوائد إثبات النسب أمور أحدها ليقف عليه الجاهل به والشاك والمنكر أما الجاهل فيستفيد وأما الشاك فيحصل له اليقين ويزول عنه الريب وأما المنكر فيرد عليه بأخبار الثقاة.

وثانيها :أن يعرفه من يقف عليه وذوي القرابة للتوصل إلى صلة الرحم والموارثة وغير ذلك من أحكام وهذا ما لا بد منه وقد قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا من الأنساب ما تصلون به أرحامكم وقد حمل الأمر في كلامه على الوجوب وذلك أصله .

وثالثها : أن يعلم انقطاع النسب عند انتهائه إلى القوي فيظهر قول عمر رضي الله عنه فيما يؤثر عنه " تعلموا أنسابكم ولا تكونوا كالقبط ينتسبون إلى القرى .

ورابعها : الفوز بشرف تلك النسبة السامية ونيل على تلك الدرجة العالية وتحصيل فخر تلك المرتبة الفائقة، لأشرف الأباء والأجداد وصف محمود ومجد معهود و كانت العرب تعد مفاخر أبائها وأجدادها وكرمهم وشرفهم وهو المراد بالحسب في لسانهم، فكل واحد عندهم حسبه هو ما يعد من مفاخر آبائه ومن ليس له ما يعد فلا حسب له، وكرم النسب فضيلة قال تعالى {وكان أبوهما صالحا }[1] .وقال صلى الله عليه وسلم في بنت حاتم[2] أن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، وقد أكثر الشعراء في مدح النسب والافتخار به، وتعداد مناقبه وبعضهم لا يلتفت إليه ولا يقيم للمفتخر به وزنا. قالأبوعلي والحق أنه فضيلة لكن وصف الإنسان وسعيه المحمود هو الشأن فإلغاء النسب رأسا جور، والاقتصار عليه عجز والصواب ما قال عمروا بن طفيل :

فإني وإن كنت ابن سيد عامر   وفي السر منها والصريح المهذب[3]

فما سودتني عامر من وراثة   أبـــــى الله أن أسمو بأم ولا أب

---

[1]- الكهف82.

[2]- سفانة بنت حاتم،أخت عدي بن حاتم أسرها المسلمون وعفى عنها النبي صلى الله عليه وسلم وأسلمت وحسن إسلامها. ابن حجر العسقلاني :الإصابة في تمييز الصحابة.تح عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض **دار** الكتب العلمية، بيروت،1415 ه،ط1،ج8،ص 180.

[3]- الصحيح أن الشطر الثاني هو:وفارسها المشهور في كل موكب.وعامر بن الطفيل فارس بني عامر وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في قومه وعرض عليه الإسلام،فطلب قسمة الأمر مع رسول الله،فدعى عليه صلى الله عليه وسلم فمات في الطريق بالوباء في بيت سلولية سنة 10ه.أنظر أبو عمروا الجاحظ:الحيوان.دار الكتب العلمية بيروت،1424ه،ط2، ج2،ص302.والكامل في التاريخ: ج2،ص 163.

ولكني أحمي حماها واتقي أذاها وأرمي من رماها بمنكب

فقوله : وأن كنت ابن سيد عامر تعريض بالنسب وبمكانته منه وقوله أبى الله أن أسموا بأم ولا أب، أي فقط دون شيء يكون مني ليوافق ما قبله، فمراده أني لا أكتفي بالنسب وأخلد عن استحصال الحمد الثناء و المجد انتهى .

قلت : والحمد لله الذي جعلنا من ذرية هذا الولي القطب الرباني الغوث الرحماني، سيدي محمد الشرقي وجعلنا من نسل خليفة نبيه ومؤيده وناصر دينه ومشيده ومظهر شريعته والذاب عن سنته أبي حفص رضي الله عنه ،اللهم حقق لنا ذلك وتممه لجميع الإخوة وتوفنا على سنته وسنة نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . هذا وكرم النسب وفضيلته المذكوران لا ينفعان إذا لم يكن المنتسب جاريا على مقتضى الشرع ونواهيه و مقتضيا سنة النبي وشرائعه، فهذا نوح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام تبرأ من ابنه لما تبين له أنه على خلاف المراد {قال ربي إن ابني من أهلي وأن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قاليا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك إن تكون من الجاهلين قال رب أن أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم }[1]الآية وقال تعالى { فإذا نفخ في الصورفلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون}[2] وقال الله تعالى {يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه}[3]. وأشار أبو علي في داليته إلى هذه الآية بقوله

ويفر فيه من الخليل خليله ويود فيه المرء لو لـم يولد

ويود لو كانت له الدنيا بما فيها فأعطاها هناك فافتد

وهذا سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم الذي أعطي المقام المحمود والشفاعة في اليوم الموعود لما نزل قوله تعالى { وأنذر عشيرتك الأقربين}[4] جعل يدعوا قريش بطنا بطنا ، ويقول يا صفية لعمته ويا فاطمة لابنته اشتريا أنفسكما لا أغني عنكما من الله شيئا[5]. إلى غير ذلك مما ورد وغير هذا إنما يظهر شرف النسب وكرمه

[1]- هود45-47

[2]-المؤمنون 101.

[3]- عبس 34-37.

[4]- الشعراء 214.

[5]- الحديث رواه مسلم في صحيحه رقم 350 بلفض(يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ)صحيح مسلم،ج1،ص192.

وفائدته فيمن كان تقيا نقيا جاريا على نهج السنة المحمدية وهو الذي أعتبر صلى الله عليه وسلم لما سئل،من أكرم الناس؟ فأجاب بقوله (الكريم بن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب ابن اسحاق ابن ابراهيم نبي بن نبي بن نبي)[1] وهو موافق لقوله تعالى { إن أكرمكم عند الله اتقاكم }[2] فمن كان تقيا يحصل له المجد الراسخ والشرف الباذخ بنسبته إلى أبائه الأتقياء السادات الأولياء ويحصل له أيضا شرف التقوى وشرف الخصائل الحميدة والمزايا العطرةكالعلم والحلم والصبر والجود، ويرحم الله القائل:

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه فلا تترك التقوى اتكالا على النسب

فلقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد وضع الكفر الشريف أبا لــهب

فإذا علمت فضيلة النسب وشرفه وكونه معتبرا علمت فضل الشيخ سيدي محمد الشرقي ومزيته وعلو مرتبته لكونه له الفخر المؤثل والمجد الصميم والشرف الجسيم لما أعطاه الله من المناقب الباهرة والمزايا الظاهرة والمنزلة الفائقة بالولاية والقطبانية والمحبة العالية، ثم زاد بتلك النسبة الرفيعة والرتبة الشريفة فله المجد الأثم والفخر الأعم حققالله لنا ذلك. هذا وله أيضا رضي الله عنه نسبة أخرى أعلى مما تقدم وأرفع مما مضى وأعم فله بها أسنى المناصب وأكمل المناقب من جهة أمه الولية الفاضلة الخيرة الصالحة لأنها رضي الله عنها شريفة النسب متصلة بسيدنا الحسن رضي الله عنه ،وعن أبيه وحدثني بعض الناس أن الشيخ سيدي محمد الشرقي كتب لجدنا أبي النصر سيدي عبد القادر بن الشيخ المذكور رسالة وفيها : إلى ولدنا عبد القادر الشريف الحسني[3] ففرح الجد المذكور بذلك أشد الفرح وبقيت عنده الرسالة إلى أن توفي وأوصى بأن توضع على وجهه،وقال لهم نلقي الله بشهادة الشيخ .

قلت : والاختلاف في هذه المسألة بين العلماء معلوم شهير، وتكلم عليها غير واحد، هل يثبت الشرف من جهة الأم أم لا، وألف بعضهم فيها وصحح أنه إنما يثبت من جهة الأب ومن أراد ذلك فليطالعه من محله.قلت : والاختلاف بين العلماء رحمة والحمد لله الذي جعل في الأمر سعة جعلنا الله ممن انتظم في سلك آل البيت بجاه خير المرسلين صلى الله عليه وعليهم أجمعين .

[1]- الحديث رواه البخاري في صحيحه رقم 3390 بلفض عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالالكَرِيمُ، ابْنُ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ».ج4،ص 151.

[2]- الحجرات 13.

[3]- عبد القادر أحد أبناء الشيخ الشرقي.

فائدة : أما نسب الشيخ المذكور على ما وجدت بخط سيدنا ناقلا من خط الشيخ سيدي التونسي[1] فهو أبو عبد الله محمد الملقب بالشرقي ابن أبي القاسم بن الزعري ابن عمر ابن حم بن المهدي بن حمامة بن سعيدبن عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن سليمان بن سمير بن يعقوب بن فاضل بن عمر بن موسى بن احمد بن محمد بن مرداس بن هلال بن عمر بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه هكذا وجدت بخط سيدنا

قلت : ولو لم يكن في ثبوت هذا النسب إلا وجوده بخط هذا الولي العارف بالله ذي الأحوال الربانية، والمقامات العرفانية والأسرار النورانية أبي عبد الله سيدي محمد صالح بن محمد المعطي رضي الله عنه لكان كافيا في صحته وثبوته لأن هذا الشيخ بلغ مبلغا في التحري لا تدرك غايته ولا يعلم في ذلك قعره ولكن لا يعلم ذلك منه إلا ذو الفهم الثاقب .

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

رزقني الله رضاه ونظم الأديب الفاضل حاج بيت الله الحرام أبو العباس أحمد بن فتوح التازي أمنه الله هذا النسب في مقصودة نظمها في هذا الشيخ فقال :

إمامنا الشرقي السنـــــي رتـــبة العمري القرشي الـــــــــمنتما

نجل أبي القاسم خير ســـــالك الطيب الأصل رئيس البـــــدلا

والده الزعري محـــــمد الـذي آباؤه غرا سرات نـــــــــجبا

ابن عمر الـــمقتني ســـماحه نجلا لسري حم مانع الـحما

والده مــــــــهدي الزكي نسبه نجل حمامة الـمحلي بالسخا

نـجل سعيد الليث فأعرف حقه وهو ابن عبد الله كامل الحجا

ابن عمر اللوذعي الألمـــــعي نجل عبد العزيز حامل[2] الــقرا

نجل محمد الــــــحميد فعلهما أجمل الفخر بـــــمنصب التقا

---

[1]- هو أحد أبناء الشيخ محمد الشرقي

[2]- في ب باذل القرا.

ابن سليمان الســـــديد رأيـه	والده يـــــــحي المحلى بالحيا
نـجل يعقوب خير رهط رهـطه	وهو ابن الفاضل ابن المفضل الـفتا
والده نجل الكرام عـــمرنخبة	مجــــد من عناصر الصـــــــفا
ابن مسعود العدوي القـــرشي	نـــجل الكمي موسى مانح الندا
وهو ابن أحـــــمد الندي كفه	نـــجل مــــــحمد سليل النبلا
ابن مرداس الـحمي مجده هو	ابن عـــــبد الله واضح الــــسنا
فأعـــظم بعبد الله ما أكــرمه	أبا له من صلب فخر قد نــــشا
الصحابي الـحبر خير ســالك[1]	لواء عـــلم وكـــمال وتـــــقى
فاسلك سبيله تفـــوز إنـــه	غـــــزير فضــــل وصلاح وولا
نجل أميــــــر المؤمنين عـمر	العـــــدوي الأصل شــامخ الذرا
من شيد الـحق وأوهــى ضده	وجدل الكـــــفر بــالسيف والقنا
به أعز الله دين أحـمدحتــــى	ســـــقي الـــــهوان ملك قيصرا
وكــــم غــدا لربه موافــقا في	مــــــحكم الذكر الحكيم امهتدا
إذا ذكرت الصالـحين حـيهل[2]	به فإنه الــــــهمام المـــــرتضى
من حبه ديني وروح ومـــهجت	يــــالسيد الأواب مــــسقط الثنا
جلت مآثر الإمام رتـــــــبة	خير الصحابة الكرام الـــــفضلا
بعد أبي بكر السمي مـنــصب	افعظم قدره على جــميع الـــملا

---

[1]- في ب حامل.

[2]- حيهل: أي ابدأ بِهِ واعجل بِذِكرِهِ.أبو القاسم محمودالزمخشري: الفائق في غريب الحديث والأثر،تح علي محمد البجاوي،محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان،ط2، ج1،ص342.

فيـــــا لها من نسبة جليلة　　يا حبذا الفخر الجليل المقتنى

قد ناله الشرقي الهمام غوثنا　　وكهفنا من كل كـــرب وبلا

انتهى المقصود من المقصودة . قلت هكذا وجدت هذه النسبة بخط أبي العباس المذكور لكنها مخالفة في بعض المواضع لما ذكر سيدي علي، ما وجد بخط ولد الشيخ سيدي التونسي،و تلخيص ما ذكر أبو العباس في نسب الشيخ : هو الشيخ سيدي محمد الشرقي ابن أبي القاسم ابن الزعري بن عمر بن حم بن مهدي بن حمامة بن سعيد بن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن محمدبن سليمان بن يحي بن يعقوب بن فاضل بن عمر بن مسعود بن موسى بن احمد بن محمد بن مرداس بن هلال بن عمر بن عبد الله بن عمرابن الخطاب رضي الله عنهم، ففي نسخة سيدي إسقاط عمر بن عبد الله وعبد العزيز، وعند أبي العباس زيادة وعند سيدي،سمير في موضع يحي الواقع في المقصودة وفي نسخة سيدي، إسقاط مسعود وعند أبي العباس زيادته، وهكذا شأن الأنساب الزيادة والنقصان على ماهو المعروف والمعهود.

قلت والأبيات الأخيرة من المقصودة فيهم إشارة الى ذكر من ذكر مناقب سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، ولا بد أن نورد شيء من ذلك رجاء بركته فنقول : هو الإمام أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العز بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر فهو يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كعب. أسلم رابع أربعين رجلا وقيل بعد بضع وأربعين رجلاوإحدى عشرة امرأة، وسببه فيما ذكر أهل السير أنه قال يوما للناس أتحبون أن أعلمكم كيف كان إسلامي؟ قالوا نعم، قال : كنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما أنا في يوم حار شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة إذ لقيني رجل من بعض قريش . فقال : أين تذهب يا ابن الخطاب؟ أنت تزعم أنك هكذا وقد دخل عليك هذا الأمر في بيتك . قال : قلت وما ذاك قال : أختك قد صبت قال:فرجعت مغضبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين إذا أسلم عند الرجل به قوة فيكونان معه ويصبان من طعامه .

قال : وقد ضم الزوج وأختي رجلين، قال: فجئت حتى قرعت الباب، فقيل من هذا قلت ابن الخطاب، وكان القوم جلوسا يقرؤون صحيفة معهم قال فلما سمعوا صوتي تبادروا واختفوا وتركوا أو نسوا الصحيفة من أيديهم . قال فقامت المرأة ففتحت لي الباب قال فقلت لها يا عدوة نفسها قد بلغني أنك صبوت قال فارفع شيئا في يدي فأضربها به. قال فسال الدم قال : فلما رأت المرأة الدم بكت ثم قالت يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد أسلمت قال فدخلت وأنا مغضب قال فجلست على السرير فنظرت فإذا بكتاب في ناحية البيت فقلت ما هذا

الكتاب أعطنيه ، لا أعطيك لست من أهله أنت لا تغتسل من الجنابة ولا تتطهر وهو لا يلمسه إلا المطهرون ،قال فلم أزل بها حتى أعطيتنيه فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم، قال فلما مررت بالرحمن ذعرت ورميت بالصحيفة من يدي ثم رجعت إلي نفسي فإذا فيهما {سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم}[1] فكلما مررت بإسم من أسماء الله ذعرت ثم رجعت إلي نفسي حتى بلغت { آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه}[2] حتى بلغ إلى قوله إن كنتم مؤمنين قال : فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

قال فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشارا بما سمعوا مني وحمدوا الله عز وجل ثم قالوا يا ابن الخطاب أبشر فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الإثنين فقال اللهم أعز الإسلام بأحد الرجلين إما بأبي جهل وإما بعمر بن الخطاب، وإنا نرجوا أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك فابشر قال :فلما عرفوا مني الصدق قلت لهما أخبروني بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا هو بيت في أسفل الصفا وصفوه.

قال فخرجت حتى قرعت الباب قيل من هذا ؟قلت ابن الخطاب قالوا وقد عرفوا شدتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا إسلامي قال فما اجترأ أحد منهم أن يفتح الباب قال،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتحوا له الباب فإنه إن يرد الله به خير يهده قال ففتحوا لي وأخذ رجلان بعضدي حتى دنوت من النبي صلى الله عليه وسلم فقال أرسلوه ،قال فأرسلوني ، فجلست بين يديه قال فأخذ بمجمع قميصي فجذبني إليه، قال أسلم يا ابن الخطاب اللهم إهده.

قال أشهد أن إله إلا الله وأنك رسول الله، فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة،وكان الرجل إذا أسلم استخفى ثم خرجت فكنت لا أشاء أرى رجلا إذا أسلم ضرب، رأيته قال فلما رأيت ذلك قلت لا أحب أن لا يصيبني ما يصيب المسلمين قال فذهبت فأتيت خالي وكان شريفا فيهم فقرعت عليه الباب فقال: من هذا قلت ابن الخطاب، قال: فخرج إلي فقلت له أشعرت أني صبوت قال :نعم فقلت :نعم .قال :لا تفعل قال :قلت بلى فعلت قال: لا تفعل وأجاف الباب دوني وتركني.

قال :قلت ما هذا بشيء قال فخرجت حتى جئت رجلا من عظماء قريش فقرعت عليه الباب قال :من هذا قال عمر بن الخطاب قال فخرج إلي فقلت له أشعرت أني قد صبوت قال أو فعلت؟ قلت نعم. قال فلا تفعل قلت قد فعلتها ،ثم قام ودخل وأجاف الباب دوني قال: فلما رأيت ذلك إنصرفت.

---

[1]- الحديد 1.

[2]- الحديد 7.

قال لي : رجل تحب أن يعلم إسلامك؟ قال قلت نعم .قال إذا اجتمع الناس في الحجر واجتمعوا أتيت فلان رجلا لم يكن يكتم السر، فأصغ إليه فقل له فيما بينك وبينه إني قد صبوت قلت نعم، فإنه سوف يظهر عليك ذلك و يصيح ويعلنه .قال فلما اجتمع الناس في الحجر جئت إلى رجل فدنوت منه فأصغت فيما بيني وبينه فقلت له أعلمت أني قد صبوت ؟قال فقلت صبوت؟ قال قلت نعم ، قال فرفع صوته بأعلاه فقال ألا إن بن الخطاب قد صبأ، قال فمازال الناس يضربوني وأضربهم قال ، فقال خالي ما هذا؟ فقيل ابن الخطاب ،قال فقام على الحجر فأشار بكمه فقال ألا إني قد أجرت ابن أختي فانكشف الناس عني، قال وكنت لا أشاء أرى واحدا من المسلمين يضرب إلا رأيته وأنا لا أضرب ، قال فقلت ما هذا شيء حتى يصيبني ما يصيب المسلمين قال فأمهلت حتى إذا جلس الناس في الحجر وصلت إلى خالي فقلت اسمع فقال ما أسمع ؟ قلت جوارك عليك رد ،قال فقال لا تفعل يا ابن أختي .قال قلت بل هو ذاك فقال ما شئت ،قال فما زلت أضرب حتى أعز الله الإسلام انتهى، من ابن سيد الناس اليعمري[1] وذكر غير واحد من أئمة السير قصة إسلامه وفيه زيادات والله أعلم .

وأخرج أبو نعيم عن عمر قال كنت جالسا مع أبي جهل وشيبة ابن أبي ربيعة[2]، فقال أبو جهل يا معشر قريش إن محمد شتم آلهتكم وسفه أحلامكم وزعم أن من مضى من أبائكم يتهافتون في النار ألا ومن قتل محمد فله علي مائة ناقة حمرا وسود وألف أوقية من فضة.قال عمر فخرجت متقلدا السيف أريد النبي صلى الله عليه وسلم فمررت على عجل يذبحونه فقمت أنظر إليهم فإذا صائح من جوف العجل : أو ريح أمر نجيح رجل فصيح يدعوا إلى شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنه أرادني ثم مررت على صنم فإذا هاتف يهتف يقول : يا أيها الناس ذووا الأجسام ما أنتم وطائش الأحلام ومسندو الحكم إلى الأصنام، فكلكم أراه كالنعام،أما ترون ما أرى أمام،وساطع يجلوا دجا الظلام قد لاح للناظر من تهام،أكرم به يا له من إمام قد جاء بعد الكفر بالإسلام والبر والصلة للأرحام.

قال عمر فقلت والله ما أراه إلا أرادني، ثم مررت بالضمار[3] فإذا هاتف من جوفه :

ترك الضمار وكان يعبد وحده بعد الصلاة مع النبي محمد

[1]- ابن سيد الناس اليعمري أبو الفتح الشيخ العلامة المحدث الأندلسي الأصل المصري،توفي734هـ.شمس الدين الذهبي :تذكرة الحفاظ. دار الكتب العلمية بيروت-لبنان،1419هـ، 1998م.ط1، ج4،ص197.

[2]- من رؤوس الكفر بمكة ومن أعتى أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلا في بدر سنة 2هـ.

[3]- الضمار وثن كان يعبد بمكة..البداية والنهاية،ج3،ص581.

إن الذي ورث النبوءة والهدى   بعد ابن مريم من قريش مهتد

سيقول من عبد الضمار ومثله   ليت الضمار ومثله لـــم يبعد

فأصبر أبا حـــــفص فــإنك   من يأتيك عز غير عز بني عد

لا تعــــجل فأنت ناصر دينه   حقا يــــــقينا باللسان وباليد

قال عمر فوالله لقد علمت أنه أرادني فجئت حتى دخلت على أختي فإذا خباب بن الإرث[1] عندها وزوجها فقال خباب ويحك يا عمر أسلم فدعوت بالماء فتوظأت ثم خرجت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي قد أستجيب لي فيك يا عمر فأسلمت وكنت رابع أربعين رجل ممن أسلم ونزلت { يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين}[2] انتهى .

وقوله في المقصودة من شيد الحق وأوهى ضده ، وجدل الكفر بالسيف والقنا يبشر إلى ما وقع من نصرته الإسلام ونصرة أهله وعدته وإظهاره وإعلاء كلمته وفشوه وإعلاء دين الله بسببه و صدعه بالحق وحمايته للإسلام وذبه عنه، ويشير إلى ما وقع منه لخفض دين الكفرة بعد علوه وأجلاء فئامه وإذهاب ظلامه وهدم بنيانه الواهي وإطفاء ناره وكشف دياجيه وذل أهله وتشتيت جمعهم وتبدد ملالهم وتفرق كلماتهم وهذا كله وقع بعد إسلامه وفي خلافته .

أما بعد إسلامه ، فقد وقعت منه النصرة الكاملة والحماية التامة للإسلام ولأهله بدعائه صلى الله عليه وسلم وأخباره في ذلك مشهورة ،ومآثره فيه مأثورة . وقد روي أنه لما أسلم هو وحمزة رضي الله عنهما ، وكان تقدم إسلام حمزة عليه بمدة قليلة ،كان النبي صلى الله عليه وسلم يمر هو وأصحابه على أعين الكفار أخزاهم الله ، ولا يخفى أحد من أصحابه عليهم ويكون هو في ناحية وحمزة في ناحية والنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بينهما ويشهد لذلك حديث (مازلنا أعزة منذ أسلم عمر)[3] وكانت له الدرجة القصوى في نصرة دين الإسلام والغاية القصوى[4] في ذلك مما يدل على إختصاصه من الله بمنزلة وخصلة في إظهار الحق ونصرة الإسلام وبذل قوته فيه والذب عنه ويرحم الله البوصيري إذ يقول في همزيته :

وأبو حفص الذي أظهر الله   بـــــه الـــــــــدين فأرعوا الرقباء

[1]- خباب بن الأرت شهد بدر وجميع المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي بالكوفة 37هـ.ابن الجوزي:المنتظم،ج5،صص138-139.

[2]- الأنفال 64.

[3]- رواه البخاري في صحيحه.رقم 3684.ج5،ص 11.

[4]- في ب الغاية البعدا.

والذي تـــــقرب الأباعد فـــــي الله إليه وتـــــــبعد القرباء

عمر بن الخطاب من قوله الفصل ومن حكمه السوي السواء

فر منه الشيطان إذا كـــان فاروقا فـــــــللنار من سناه انبراء

وأما بعد الخلافة فذلك ظاهر فقد اتسع الإسلام في خلافته وفتحت الأمصار ولم تفتح قبل أعز الله به الإسلام وبذل جهده في نصر دين الله، وجاهد أهل الكفر والضلالة، وقاتلهم بالسيف واجتياح أصلهم وملك المسلمين أرضهم وديارهم كدمشق الروم والقادسية وحمص وعسقلان وطرابلس وما بينهما من السواحل وبيت المقدس واليرموك ومصر وأصبهان وبلد فارس وغير ما ذكر من البلدان، كل هؤلاء فتحت على يده وبذل قوته وجهده ونصرته في إظهار الإسلام وتأسيس خير الأنام عليه الصلاة والسلام وبهذا أخبر صلى الله عليه وسلم وأخبر به في الحديث المروي في صحيح البخاري عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :(بينما أنا نائم على قليب وعليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذ بن أبي قحافة فنزع من البئر ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم استحالت غربا فأخذها عمر بن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر ابن الخطاب حتى ضرب الناس بعطن)[1] أو كما قال صلى الله عليه وسلم ،قال العلماء في هذا الحديث اشارة إلى أمر الخلافة، فأشار إلى مدة خلافة أبي بكر رضي الله بقوله ذنوبين،وقد أولوا الذنوبين بالسنتين التي هي مدة خلافته وثلاثة اشهر، ولما كانت خلافة ابو بكر رضي الله عنه قصيرة لم يمكث فيها إلا يسيرا من الزمان كما تقدم لم يكثر فيها افتتاح الأمصار.

و كان رضي الله عنه قاتل أهل الردة حتى أهلكهم وقطع دابرهم فانقضت أيامه في قتل أهل الردة فلم يتسع لافتتاح الأمصار و جباية الأموال مع أنه في تلك المدة اليسيرة لما ارتدت العرب إلا القليل منهم جاهدهم الصديق رضي الله عنه حتى استقاموا وفتح اليمامة[2] وقتل مسيلمة الكذاب[3]

والأسود العنسي[1] الكذاب صاحب صنعاء وبعث الجيوش إلى الشام والعراق رضي الله عنه .

---

[1]- رواه البخاري في صحيحه رقم 7475.ج9،ص 139.

[2]- اليمامة:سميت باسم اليمامة بنت سهم بن طسم وهي معدودة من نجد وقاعدتها حجر. ياقوت الحموي:معجم البلدان. دار صادر، بيروت1995 م،ط2،ج5،ص 441.

[3]- مسيلمة الكذاب:من بني حنيفة رأس النفاق ومدعي النبوة قتل في اليمامة بقيادة خالد بن الوليد سنة 12هـ.وقيل أن وحشي من قتله.الذهبي تاريخ الإسلام. ج2،ص36.

وقالت عائشة رضي الله عنها لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب و اشرأب النفاق ونزل بأبي ما لو ينزل على الجبال الراسيات لرضها. وقال أبو هريرة رضي الله عنه والذي لا اله إلا هو لو لا استخلاف أبي بكر ما عبد الله تعالى .

فقوله صلى الله عليه وسلم يغفر الله له ليس فيه حطا من قدره الرفيع ولا فيه نقص وإشارة إلى أنه وقع منه ذنب إنما هو إشارة إلى قصر مدة خلافته. وقيل هي كلمة كانوا يقولونها يدعمون بها عقب الكلام ،ونعمت الدعامة فهو رضي الله عنه قد بذل جهده وطاقته في دين الله ونصره وجاهد في الله حق جهاده وكيف لا وهو أفضل الصحابة رضي الله عنه وفيه يقول البوصيري رحمه الله:

بأبي بكر الذي صح للناس　　به فـــي حياتك الاقتداء

والمهدي يوم السقيفة لـــما　　أرجف الناس أنه الـــرداء

أنقــــذ الدين بعدما كان　　للدين على كل كربة إشفاء

أنفق المال في رضـــاك ولا　　من و أعطى جما ولا إكداء[2]

وقوله ثم أخذها عمر بن الخطاب رضي الله عنه من يد أبي بكر،في إشارة إلى أن خلافة عمر بعهد منه صلى الله عليه وسلم ، وقوله حتى ضرب الناس بعطن المقصود به أن الناس انبسطوا في ولاية عمر وفتحوا البلادحتى قسموا الأموال بالصاع ،وأستوقف الإسلام بعرى لم تنفصح وأسست قواعده على مرور الدهر ولم تنهدم،ومهد منه ما كان وعرا وعاد ظلامه بدرا وفيه إشارة إلى طول مدة خلافته وهو كذلك وقع ،فكانت مدة خلافة عشر سنين فاتسع الإسلام وأسس دين الأنام وجعلت كلمة الذين آمنوا هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى جزاه الله وسائر الصحابة عنا وعن جميع المسلمين خيرا وقوله :

وكما غدا لربه موافقا　　في محكم الذكر الحكيم المهتد

يشير إلى أقضيته في الموافقات وقوله وافقت ربي ووافقني ربي، وقدروى منها البخاري منها مسائل كقوله : يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت {واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى}[1] فقلت يا رسول الله

---

[1]- الأسود العنسي المرتد في صنعاء قتل سنة 11هـ من قبل فيروز الديلمي وقيس بن مكشوح وداذويه .أبو عمر يوسف عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب.تح علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت،1412 هـ، 1992 م،ط1، ج3،ص1265.والذهبي:تاريخ الإسلام.ج2،ص36.

[2]- إكداء:الإكداء البخل والإمساك.عبد الحميد عمر:معجم اللغة العربية المعاصرة.ج3،ص 1265.

يدخل عليك البر والفاجر لو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت {يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي}[2] وقال بلغنا معاتبة النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه فدخلت عليهن فقلت:إن تنتهين أو ليبدلن الله لرسوله خيرا منكن،حتى أتت إحدى نسائه قالت يا عمر أما في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعض النساءه حتى تعظهنأنت،فانزل الله عز وجل {عسى ربه إن طلقكن إن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات}[3] الآية ومنها لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلي على عبد الله بن أبي، رأس المنافقين لعنه الله .جذبه بردائه وقال له إن الله نهاك إن تصلي عن المنافقين فنزلت { ولا تصل على أحد منهم مات أبدا و لا تقم على قبره }[4] وغيرما ذكر .

وقد جمع الجلال السيوطي جملة من موافقته في جزء سماه " قطف الثمر في موافقات عمر" فقال: الحمد لله وصلى الله على نبيه الذي إجتباه .

ياسائلا والحادثات تـــكثر   عن الذي وافق فيها عمر

وما يرى أنزل فـــي الكتاب   مـــــوافقا لرأيه الصواب

خذ ما سألت عنه في أبيات   منظومة تأمن فـي شتات

ففي الــــمقام وأسرى بدر   وآيتــــــي تظاهرا وستر

وذكر جبريل لأهل الـــعذر   وآيتين أنزلا فـــي الخمر

وآية الصيام فـي حال الرفث   وقوله نساؤكم حرث بيت

وقوله لا يـــؤمنون حـتــــى   يـــحكموك أوبقتل أفتى

وآيـــة فيـــها لبدر أو بـــه   ولا تصل آية فـــي التوبة

وآية النور هـــــــذا بهتان   وآية فيها بـــها الاستئذان

1- البقرة125 .

2- الأحزاب 53.

3- التحريم 5.

4- التوبة84.

وفي خـــــتام أية لـلمومنين تبرك الله بـــحفظ المتقين

وثلة من في صفات السابقين وفـــــي سوى آية للسائلين

وعددوا من ذاك نسخ الرسم وأيـــــة قد نزلت في الرجم

وقال قولا هو فـــــي التوراة قد نبه كعب علـيه فسجد

وفـــي الآذان الذكر لـلرسول رأيـــــــته في حيز موصول

وفي الفرقان جاء بالتـــحقيق ما هو من موافق الصـــديق

كقـــــوله هو الذي يـــصلي عليكم إنتظم به من فـضل

وقوله في آخر الـــــمجادلة لا تجدوا الآية في المجالسة

نظمت ما رأيته مـــــــــنقولا والحمد لله على مـــــا أولا

انتهى ما جمع السيوطي من موافقته رضي الله عنه .وكان على ما أعطاه الله من الشدة والقوة والنصرة والغلظة على أهل الظلم والتعدي على المسلمين،وأهل الذمة على أكمل وصف في الرحمة والرفق بالضعفاء وأهل السلامة والدين والقصد ولين الجانب لهم والتودد لهم والعطف عليهم. له في ذلك المناقب العظيمة والمفاخر الجسيمة والأخبار المأثورة والحكايات المشهورة. ولما استخلف رضي الله عنه هابه الناس هيبة عظيمة حتى تركوا الجلوس في الأفنية فلما بلغه هيبةالناس جميعهم قام على المنبر حيث كان أبو بكر رضي الله عنه يضع قدميه ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال :

بلغني أن الناس قد هابوا شدتي وخافوا غلظتيوقالوا قد كان عمر يشد علينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا، ثم اشتد علينا وأبو بكر رضي الله عنه والينا دونه، فكيف الآن وقد صار الأمر إليه. ولعمري من قال ذلك فقد صدق، كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم،كنت عبده وخادمه حتى قبضه الله عز وجل وهو علي راض و الحمد لله وأنا أسعد الناس بذلك ثم توليت أموركم ، اعلموا أن تلك الشدة قد تضاعفت ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين،وأما أهل السلامة والدين والقصد فأنا ألين إليهم من بعضهم لبعض، وإن رأيت أحدا يظلم أحد أو يتعدى عليه لا أدعه حتى أدع خده بالأرض وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن بالحق .ولكم علي أيها الناس أن لا أنقص لكم من خراجكم شيئا وما عندي لا يخرج إلا

بحقه و لكم علي أن لا ألقيكم في المهالك، فإذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعون أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

ومما روي عنه في رحمته بالضعفاء والمساكين ما روي أن أبا طلحة[1] خرج في ليلة مظلمة فرأى عمر خارجا من بيت فذهب إلى ذلك البيت فإذا عجوز عمياء مقعدة فقال لها أبو طلحة : ما بال هذا الرجل يأتيك؟ فقالت : يتعاهدني من كذا وكذا ويصلحني ويخرج عني الأذى يعني القذر.

ولما رجع رضي الله عنه من الشام إلى المدينة انفرد عن الناس ليتعهد أخبار رعيته فمر بعجوز في حبائها[2]، فقصدها فقالت له : يا هذا ما فعل عمر رضي الله عنه فقال : لها قد أقبل من الشام فقالت : ولا جزاه الله عني خيرا قال : ولم قالت: لأنه ما أنالني من عطائه منذ ولي أمر المسلمين دينارا ولا درهما فقال: وما يدري عمر حالك وأنت في هذا الموضع فقالت : سبحان الله ما ظننت أحدا يلي على الناس ولاية ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها، فبكى عمر رضي الله عنه وقال وعمراه كل أحد أفقه منك يا عمر حتى العجائز. ثم قال يا أمة الله كم تبيعيني ظلامتك من عمر فأني أرحمه من النار .فقالت : لا تهزأ بنا يرحمك الله فقال عمر رضي الله عنه لست بهزاء فلم يزل بها ، حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرون دينار ، فوضعت العجوز يدها على رأسها وقال واسوءتاه شتمت أمير المؤمنين في وجهه، فقال لها عمر رضي الله عنه لا عليك يرحمك الله[3]

ثم طلب قطعة جلد يكتب فيها ، فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها،بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولي كذا وكذا بخمس وعشرين دينار، فكلما ادعت عليه يوم وقوفه بالمحشر بين يدي الله تعالى، فعمر برئ منه، شهد بذلك علي وابن مسعود ،ثم دفع الكتاب إلى بعض الحاضرين وقال له إذا أنا مت فاجعله في كفني ألقى به ربي،فهذا من سيره وأخباره كثير وأمر عدله شهير رضي الله عنه ونفعنا به وحشرنا في زمرته وزمرة صاحبه صلى الله عليه وسلم .وقول أبي العباس في المقصودة :

جلت مآثر الإمام رتبةخـير   الصحابة الكرام الفـضلاء

بعد أبي بكر السمي منصبا   فعظم قدرة على جمع الملا

---

[1]- أبوا طلحة من كبار الصحابة رضي الله عنه شهد المشاهدزمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب البحر غازيا زمن عثمان،توفي 34هـ.ابن سعد:الطبقات الكبرى.ج3،ص ص382-385.

[2]- في ب خبائها

[3]- قال ابن حجر حديث منكر وروي بإسناد ضعيف عن مالك.ابن حجر:لسان الميزان. تح دائرة المعرفة النظامية،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،بيروت،1930هـ،1971م،ج6،ص.176.

يعني أن مآثره رضي الله عنه وأخباره وسيره ومكارمه ومزاياه فاقت على ما لغيره من الفضائل، ومناقبه رضي الله عنه لا يأتي عليها الحصر ويكفي ذلك ما أخبر به صلى الله عليه وسلم في حقه وقد شهد له بالحق روى حديثه البخاري ،وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (عمر سراج أهل الجنة)وقال (إذا مر بالجنة يضيء وجهه لأهل الجنة كالسراج لأهل الدنيا).[1]

وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (جاءني جبريل عليه السلام فقلت : أخبرني عن فضائل فقال: يا محمد لو حدثتك بفضائل عمر في السماء مالبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ما نفذتفضائل عمر وإن عمر لحسنة من حسنات أبي بكر)[2] .

ويروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم هومتكئ على أبي بكر وعمر هو يقول (هكذا أحيى وهكذا أموت وهكذا أدخل الجنة)، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إذا كان يوم القيامة نادى مناد تحت العرش أين من كان له على الله حق يارسول الله ؟قال من أحب أبا بكر وعمر).

وهو رضي الله منه أول من تسمى بأمير المؤمنين ومن المهاجرين الأولين وصلى القبلتين وشهد بدرا وبيعه الرضوان وجميع المشاهد مع الرسول صلى الله عليه وسلموتوفي وهو عنه راض وقال فيه صلى الله عليه وسلم (يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا إلا سلك غير فجك)[3].وقال فيه (إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه).وفي حديث (لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب)[4]، وحديث(إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به)[5]وفي رواية أخرى (أتاني جبريل فقال اقرأ عمر السلام وقل له أن رضاه حكم وغضبه عز)[6]، وفي حديت (ما طلعت الشمس على خير من عمر).

وروى الإمام أحمد وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قال له :(يأأخي أشركنا في صالح دعائك ولا تنسانا)[7] وبالجملة فمناقب فضله كثيرة جدا وسيرته وزهده وشجاعته وإخلاصه ظاهرة رضي الله عنه ونفعنا به .

---

[1]- لم أجده بهذا اللفض.

[2]- أورده الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة وقال أحمد في نفس الكتاب موضوع.ص337.

[3]- رواه البخاري في صحيحه رقم3683.ج5،ص11.

[4]- رواه أحمد في مسنده ورواه غيره.أنظر مسند أحمد،ج10، ص،110 رقم519.وقال الألباني في صحيح الجامع حديث حسن تحت رقم 5284.

[5]- رواه أحمد في مسنده،ج35،ص362.وابن ماجه،ج1،ص40.وأبو داود،ج3،ص139. وقال الألباني في صحيح الجامع وزيادته صحيح،ج1،ص375

[6]- رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ج6،ص359،رقم 32019.

[7]- حديث صحيح سبق تخريجه،والأحاديث الأخرى لم أجدها في كتب الحديث المعتبرة.

وقوله : خير الصحابة الكرام الفضلا بعد أبي بكر يشير إلى مسألة التفضيل بين الصحابة ، وفيه خلاف مشهور،فقال قوم لا يتعرض بالتفضيل بينهم وهم كالأصابع في الكف وقال غيره أولئك القوم بالتفضيل ثم بعد هذا القوم مذاهب لفرق من الطوائف ومذهب أهل السنة رضي الله عنهم فضيلة أبي بكر رضي الله عنه، قال القرطبي في شرح مسلم لم يختلف السلف والخلف في أن أفضل الصحابة أبو بكر ثم عمر ولا عبرة بقول بأهل الشيع والبدع.

وقال القاضي عياض في الإكمال[1]، قال أبو منصور البغدادي[2]، أصحابنا مجموعون على أن أفضل الصحابة الخلفاء الأربعة على ترتيبهم في الخلافة ثم تمام العشرة ثم أهل بدر ثم أهل أحد ثم أهل بيعة الرضوان ومن له مزية من أهل العقبتين والأنصار وكذلك السابقون واختلف فيهم فقيل هم من صلى القبلتين وقيل هم أهل بيعة الرضوان وقيل أهل بدر ، واختلف فيما بين عثمان وعلي رضي الله تعالى عنهما .

فقيل هما على ترتيبهما في الخلافة وإليه مال الأشعري[3] وقيل فيهما بالوقف وإليه نحا مالك رحمه الله فقيل له في المدونة من أفضل الناس بعد نبيهم فقال أبو بكر وعمر أو في ذلك شك وحاصل ما تقدم أن أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم ثم أبي بكر وعمر والوقف بين عثمان وعلي .

وقيل على ترتيب الخلافة ثم باقي العشرة على الترتيب المتقدم فحصل بهذا أن مرتبة سيدنا عمر بعد أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين وهو المطلوب والمشار إليه بقوله بعد أبي بكر أسمى منصبا فعظم قدره على جميع الملا.

وتوفي سيدنا عمر رضي الله عنه في مستهل إكرام لسنة أربع وعشرين، وابن ثلاث وستين سنة مثل سن النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر،على الصحيح ،ودفن مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر في حجرة عائشة رضي الله عنها وصلى عليه صهيب ، طعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة[4]، واسم أبو لؤلؤة فيروز وكان مجوسيا .ويقال كان نصرانيا وكان المغيرة رضي الله عنه يستعمل أبا لؤلؤة كل يوم بأربعة دراهم لأنه يصنع الأرحى فلقي عمر رضي الله عنه ، فقال يا أمير المؤمنين قد أثقل علي يعني المغيرة، فكلمه ليخفف عني .فقال له عمر رضي الله

[1]- الإكمال على شرح مسلم للقاضي عياض.الزركلي:الأعلام.ج5،ص297.

[2]- أبو منصور البغدادي عبد القاهر الاسفراييني،توفي 429هـ،درس في أكثر من 17 علم وأخذ أكثر أهل خراسان عنه العلم.السبكي :طبقات الشافعية،ج5،صص136-139.

[3]- الأشعري:أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن أبي بشر ولد 260هـ وتوفي سنة نيف وثلاثمائة.ابن الجوزي:المنتظم في تاريخ الملوك والأمم14،صص29-30.

[4]- المغيرة ابن شعبة:من كبار الصحابة توفي 50هـ،أسلم قبل الحديبية وتولى البصرة والكوفة.ابن حجر :تقريب التهذيب.تح محمد عوامة،دار الرشيد دمشق،1406هـ،1986م،ط.،ج1،ص1406.

عنه اتق الله وأحسن إلى مولاك،فغضب لؤلؤة وقال يا عجباه قد وسع الناس عدله غيري، وأضمر على قتله واصطنع له خنجرا له لسانان وسمه ، فاحتال عليه فجاء عمر لصلاة الصبح،قال عمر ابن منصور[1]إني لقائم في الصلاة وما بيني وبين عمر إلا ابن عباس ،فما هو إلا أن كبر سمعته يقول قتلني الكلب حين طعنه، وطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا وشمال إلى طعنه حتى طعن ثلاثة عشرة رجلا مات سبعة وقيل تسعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنوسا فلما علم أنه مأخوذ نحر نفسه

فقال عمر قاتله الله لقد أمرته بمعروف، ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام، ولما توفي عمر رضي الله عنه أظلمت الأرض فجعل الصبي يقول يا أماه أقامت القيامة؟ فتقول يا بني لاولكن قتل عمر رضي الله عنه وأخرج حديث مقتله البخاري اللهم يا ربي يا سيدي يا مولاي أسئلك بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبحق الشيخين وبحق الصحابة كلهم رضي الله عنهم أجمعين بلغنا المأمون وأنجز لنا المسؤول وتفضل علينا بما شاء من النعيم .

وقول أبي العباس : فيا لها من نسبة جليلة يعني نسبة سيدنا عمر وقوله قد ناله الشرقي أي قد أعطيه الشيخ سيدي محمدالشرقي وحازه، وفاز به حقق الله لنا ذلك ولجميع أولاد الشيخ، بحرمة أشرف مخلوقاته صلى الله عليه وسلم وهنا إنتهى الكلام على نسب الشيخ.

[1]- كذا في الأصل والصحيح عمروا بن ميمون أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يلقه قدم من الشام واستقر بالكوفة توفي سنة 74هـ.انظر:ابن قتيبة المعارف.تح ثروت عكاشة،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1992،ط2،ج1،ص426.وأيضا:عبد الملك العصامي المكي:سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي. تح عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض،دار الكتب العلمية،بيروت،1419هـ،1998م،ط1،ج2،ص501.

البـاب الثالـث

في ذكر طريقة الشيخ وسلسلته وأشياخه رضي الله عنهم

اعلم أن طريقة الشيخ سيدي محمد الشرقي تداركنا الله برضاه تباعية جزولية وطريقة الشيخ سيد محمد بن سليمان الجزولي الشاذلية وهي الشائعة بالمغرب وسنتكلم عليها إن شاء الله بمحل آخر أليق بها .

فلنرجع إلى ذكر سند سيدي محمد الشرقي، فنقول أخذ الشيخ سيدي محمد الشرقي عن والده الشيخ سيدي أبي القاسم عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع وأخذ أيضا اخذ إرادة وانتساب عن الشيخ أبي محمد عبد الله بن ساسي[1] عن الشيخ أبي محمد عبد الله الغزواني عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع. وأخذ أيضا عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عمر المختاري[2]، انتهى من المرآة، فظاهر كلام صاحب المرآة أن الشيخ سيدي محمد الشرقي له أربعة أشياخ الأول والده سيدي أبو القاسم والثاني الشيخ أبو محمد سيدي عبد الله بن ساسي والثالث أبو محمد الغزواني والرابع : أبو عبد الله محمد بن عمر المختاري، والكل عن القطب سيدي عبد العزيز التباع .

أما الشيخ سيدي أبو القاسم فأخذ عنه بلا واسطة وأما سيدي عبد الله بن ساسي فبواسطة أبي محمد سيدي عبد الله الغزواني، وأما أبو محمد سيدي عبد الله الغزواني فهو ظاهر وأما أبو عبد الله سيدي محمد بن عمر المختاري فكذلك والشيخ سيدي عبد العزيز التباع عن القطب سيدي محمد سليمان الجزولي[3] رضي الله عنه وهو الأصل بالمغرب ومنه تفرعت طريقة الشاذلي. وباقي الأشياخ التي في سلسلة من الشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي أخذ عن الشيخ أبي عبد الله أمغار[4] عن الشيخ سيدي أبي عثمان سعيد الهرتاني عن الشيخ سيدي عبد الرحمن الرجراجي[5] عن الشيخ أبي الفضل الهندي عن الشيخ سيدي عنوس البدري عن الشيخ سيدي أحمد القرافي[6] عن

---

[1]- عبدالله بن ساسي البوسبعي صاحب الغزواني ت 961هـ،المرآة،ص 82.

[2]- محمد بن عمر المختاري: من صالحي أحواز مكناسة، توفي 970هـ.حجي:موسوعة أعلام المغرب.ج2،ص913.

[3]- محمد بن سليمان الجزولي،صاحب دلائل الخيرات،العالم العارف المحقق،مات مسموما ببلاد حاحة عام 870هـ ونقل جثمانه إلى مراكش.طبقات الحضيكي،ص234..أيضا حسن جلاب:الحركة الصوفية بمراكش،ظاهرة سبع رجال.المطبعو والوراقة الوطنية،مراكش،1994،ط1،صص159-160.

[4]- أبي عبد الله أمغارمحمد الصغير من رباط تيط توفي أواسط القرن التاسع الهجري.الكتاني سلوة الأنفاس.ج2،ص246.التشوف إلى رجال التصوف :ص209.

[5]- عبد الرحمن الرجراجي أبو زيد حافظ من أهل فاس توفي 718هـ أقام بالحرم المكي نحو 20 سنة وقبره بوادي شفشاوة من عمل مراكش وهو المعروف عند العامة بأبي زيد والياس.حجي،موسوعة أعلام المغرب،ج2،ص598.ابن القاضي:جذوة الاقتباس.ج2،ص401.ابن عسكر:دوحة الناشر.ص03.

[6]- جاء في المرآة،ص 256 ما يلي:وأما الإمام القرافي فلا أعلم هل هو العالم المتبحر صاحب الذخيرة والقواعد وشرح الأربعين والتاريخ يقبله إن كان هو المراد.

الشيخ أبي عبد الله المغربي عن القطب سيدي أبي الحسن الشاذلي عن القطب سيدي عبد السلام بن مشيش[1] عن القطب سيدي عبد الرحمن المدني عن القطب تقي الدين الفقير بالتصغير كان يسمي نفسه بذلك احتقارا لهعن القطب فخر الدين عن القطب نور الدين عن القطب تاج الدين عن القطب شمس الدين عن القطب زين الدين القزويني عن القطب إبراهيم المصري عن القطب أبي القاسم أحمد المرواني عن القطب سعيد عن القطب سعد عن قطب فتح السعود عن القطب سعيد الغزواني عن القطب جابر عن قطب الأقطاب سيدنا الحسن السبط رضي الله عنه سيد الوجود سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام[2]هكذا وجدت هذه السلسلة في غير ما موضع وإليها أشار في المقصودة أبو العباس بقوله :

أن كنت في هم وضيق وشـدة فنــــاد يا للشرق يا غـوث الورا

فأننـى المـرء الـمرجى دفع لسطوة الدهر وصـــدمة الـعدا

كان فضـــلي علم في رأسه نار أعـــدت للهـــداة والــقرا

جلت مآثري وجلت رتبتـــي عــن والدي نروي طريقة الـهدى

رويت عنه من صحيح لفظـه وهـــو بديل الـقوم نـــعم روى

سقاني من بحر الــمعاني وده أحيا فؤادي وطـــفرت بالمنـــى

يا حبذا الجاه الفســـيح نلته عن ابن ساسي الغوث كامل الحجى

وهو عن الغزواني القطب شيخه الكامل الـــمحبوب باذل الشفى

[1]- عبد السلام بن مشيش بن أبو بكر بن علي الحسني: مات مقتولا سنة622أو 626ه بعد انتفاضة المتنبئ ابن أبي الطواجن وشيخه عبد الرحمن المدني أبي محمد الشريف الزياتي.الذي كان يلقاه رغم بعد المسافة بينهما.محمد اعبيدو:المولى عبد السلام بن مشيش قطب المغرب.دار أبي رقرلق للطباعة والنشر،الرباط،2013.ط3،صص 4-11.

[2]- جاء في المرآة ما يلي،معلقا على سند الشاذلي: رفع المؤلف سنده في السلوك والتربية عن الشيخ عبد السلام بن مشيش عن عبد الرحمن المدني ثم باقي السلسلة إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما .وقد نقل المؤلف هذا السند عن تقي الدين سبط الشاذلي في كتابه النبذ المفيدة.قال صاحب المرآة:فلما أمعنت النظر لمّ أجزم فيها إلا للشيخ الشاذلي وشيخهابن مشيش وشيخه المدني،ثم الحسن وعلي.

قال الشيخ أحمد ابن الصديق الغماري: هؤلاء الرجال أي رجال السند لا يعرف لأحد منهم عين ولا حال إلا عبد الرحمن المدني العطارفهو معروف بأخذ ابن مشيش عنه وتصريحه أنه كان يأتي من المدينة للتربيةوالتسليك كما نقله عنه الشاذلي، والباقون قد بحثنا عنهم كثيرا نحن ومن قبلنا فلم نجد من ذكرهم ولا بعضهم .

وقد مال إلى إنكار هذا السند وأقترح سندا آخر وصله بالأسرة الإدريسية بالمغرب إلى عبد الله الكامل إلى الحسن المثنى إلى الحسن بن علي بن أبي طالب .ص20 وما بعده ا.

ونلت من بـــحر ابن عمر شربة المخـــــتاري الليث ذائـــد الردى

والــــكل قد نال كمال بــــغية عن التباع القطب نعم الــــمقتفا

وهو عن القطب الـــشهير فظله الــــجزولي الـــــحبر نخبة العلا

وقد روى من بـــحر شيخ هاشم أبـــــي عبد الله المغاري المرتضا

عن شيخه أبــي عثمان فاستغث بجـــــاهه تـــــنال عزا وارتـــقا

وهو عن الشيخ إمـــام الرجرجي عبد الرحمن الليث تـــارك الـــدنا

عن شيخه الهندي أبـــي الفضل الذي قد فاح من زهر ريــاضه شذا

عن شيخه البـــــــدري عنوس الذي فـــاق وساد بطريق الإقتدا

وهو عن الشيخ الــــقرافي نسبة عبد الرحمن المقتفى نـــــهج التقا

عن شيخه أبي عـــبد الله الإمام المغربي الطود الـــــمحلى بالوفا

عن شامخ الـمجد العتيق شيخه الشاذلي القـــطب مـــنار الاهتدا

وقد كساه ابن مشـــــيش حلة الـــهاشمي القطب الذي قد رسما

عن شــيخه القطب الزياتي المدني عبد الرحمن العلوي الـــــمعتلا

وهو عن القطب الفـــقير شيخه تقي الدين الــــمرتقي روض المنا[1]

عن فخر الدين شيخه القطـــب السري المقتفي نهج معالم الـــهدا

عن نور الدين شيخه الـــقطب الشهير السالم الصدر إمام النقــبا

عن تاج الدين شيخه الـــقطب الذي توجه المولى بتاج الســـــعدا

عن شمس الدين شيخه القطب الذي قد ارتقى حتى جن ثمر النها

[1]- المذكورون في السند ممن لم أترجم لهم، لم أجد تراجمهم.

عن زين الدين شيخه القـــــطب   الإمام القزويني الماسك أوثق العرا

وهـــــو عن القطب الإمام شيخه   ابراهيم المصري الذي يشفي الظما

وعن أبــــــي القاسم الشيخ احمدا   المروانـــي القطب اســـتفاء ورو

عــــن شــــــيخه القطب سعيد   الذي نال السعادة وفاز بالــــهنا

عن شـــــيخه القطب الإمام سعدهم   فأعرفه حـــــقه وقل يا حـــــبذا

وهو عن الـــــقطب الإمام شيخه   فتح السعود السامي مجدا وإرتقا

وهو عن القطب ســــعيد شيخه   غزوانــــهم بحر المعاني والتقـــا

عن جابر[1] القطب الإمام التابـعي   أستــــاذه ابن زيد خير مقــــتفا

وهو عن الفـــــجر المنير ضوء   بـــــحر المعـارف ومنبع الصفا

سبط الرسول وسلـــــيل مجد هو   وارث الأســــرار قطب الـــقطبا

كـــــــنز المواهب مولانا الحسن[2]   نــــــجل البتول بنت سيد الورا

عـــــــن روضة الـــعلم أبيه خير   مـــــــن أشاد للمجد منارا وسما

أخـــــي الرسول وابن عمه الـــذي   له الـــــــــمزايا في مواطن الوغا

أبـــي السبطين مسقط الفخر علي   من حبه الحصن الحصين الـــمقتنا

رحب الــــــــمكارم السنى مجده   شـــــمس المفاخر ختام الخلفا

فإنه البحر الغــــزير فـــــــضله   الهاشمي السيف الصقيل الـــمنتقى

وهــــو عـن البـــــدر المنير رحمة   محمد شـمس الـــمعالي والعلا

---

[1]-جابر بن زيد الأزدي مات سنة ثلاث ومائة وقيل: سنة ثلاث وتسعين وهو من التابعين تزعم الإباضية أنها أخذت عنه. إبراهيم بن علي الشيرازي :طبقات الفقهاء.ته محمد بن مكرم ابن منظور تح،إحسان عباس،: دار الرائد العربي، بيروت، لبنان،1970،ط1، ج1،ص88.

[2]- الحسن بن علي بن أبي طالب(3-58هـ).أنظر أبو نعيم الأصبهاني:معرفة الصحابة.تح عادل الفزازي،دار الوطن للنشر،الرياض،1419هـ،1998م.ط1، ج2،ص654.

الصادق الـــمصدوق وخير شافع عين العناية الـحبيب المصطفى

قطب السعود رحمة الخلق الذي قد جـــــاءنا بالبينات والهدى

المــــــصطفى من قبل كون آدم روح الوجود المجتبى سر النها

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه انتهى محل الحاجة من المقصودة. اللهم يا أرحم الراحمين ويا رب العالمين بحرمة سر الأسرار ومنبع الأنوار، مولانا محمد صلى الله عليه وسلم وبحرمة هؤلاء الشيوخ جد علينا بما رجونا وبلغنا ما أملنا من غير منحه ولا مشقة يا سيدي يا مولاي وصلى الله على سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه.

قلت : ولابد من التعرض للكلام على أشياخ الشيخ وذكر شيء من مناقبهم وعلى شيخهم عبد العزيز التباع وعلى شيخه سيدي محمد بن سليمان الجزولي وذكر شيء من أحوالهموفضائلهم رجاء بركة ذلك والفوز بما هنالك مرتبا لهم كما رتبهم صاحب المرآة[1] فنقول : أما والده الشيخ سيدي أبو القاسم فقد تقدم الكلام عليه ويبقى الكلام في الأشياخ الثلاثة فلنتكلم عليهم والله المستعان .

فصل أما الشيخ ابو محمد سيدي عبد الله بن ساسي البونسفي بفتح الباء وهو اللغة المنحرفة في السبع بضمها فقال فيه صاحب الدوحة كان من أهل الخير والفضل والصلاح له مآثر جمة وأحوال سنية وكانت النصارى أسرتهم بمدينة أزمور[2] وافتكه المسلمون انتهى .وقال فيه صاحب المرآة كان من أكابر المشايخ الأعيان وجلة المشاهير من أهل هذا الشأن صحب الشيخ أبامحمد عبد الله الغزواني وأبو الحسين علي بن ابراهيم البوزيدي[3]،فقال الشيخ أبو الحسن أنا أحق به فقد عينته في بطن أمه فقال له الشيخ أبو محمد أنا أحق به فقد عينته وهي في صلب أبيه انتهى .

قال صاحب ممتع الأسماع حدثني الثقة أن السيد العالم الصالح أبا العباس أحمد بن أبي القاسم الزمراني الشاذلي الصومعي التادلي ذكر أنه أخذ عن صاحب الترجمة وأنه من أصحاب التباع بلا واسطة . وأن ذلك عنده بخط الشيخ أبي العباس المذكور انتهى، قال في المرآة توفي رضي الله عنه ليلة ذي الجمعة السادس والعشرون من شعبان

---

[1]- هو أبو حامد العربي الفاسي.

[2]- أزمور:مدينة في دكالة من بناء الأفارقة على مصب نهر واد أم الربيع في البحر المحيط.الحسن الوزان:وصف إفريقيا.تح محمد حجي ومحمد الأخضر،دار الغرب الإسلامي بيروت،1983،ط2،ج1،ص 157.

[3]- علي بن إبراهيم البوزيدي الولي الصالح توفي 956أو 957هـ دفن بأوكرط بنواحي تادلة.طبقات الحضيكي،ص567.

سنة احدي و ستين وتسعمائة انتهى، وفي الدوحة ودفن بزاويته على ضفة وادي تانسفت[1] بمقبرة مراكش وقبره مزارة عظيمة هنالك انتهى. .

فصل وأما الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن ولي الله سيدي عجال أو عجال الغزواني القطب الغوث الجامع الوارث الرباني فقال أبو العباس المرابي[2] في حقه ،هو الشيخ الإمام العالم الرباني المحقق الصوفي ذو الأحوال السنية و المقامات العلية قطب زمانه وفريد وقته وأوانه، ثم قال : كان من الأكابر و كان في أحواله كان بحر لا يجارى وآية لاتبارى ثم قال له الكرامات الكثيرة التي لاتحصو المنارات التي لا تستقصى بلغ بها التواتر في أقصى البلاد ولم تزل متداولة بين العباد ثم قال، وبالجملة فقد كان رضي الله عنه من أعظم الأئمة في وقته في تربية المريدين وممن له فيه راسخ في الطريق وتخرج له جمعة من صدور المشايخ انتهى . قال أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أبي محلي[3] وبالجملة فالغزاواني رضي الله عنه ظهر عليه المدد وسرى في المغرب سهله وجبله في وقته انتهى .

وقال ابن عسكر صاحب الدوحة : وهو الشيخ المشايخ العارف بجلال الله وجماله الداعي إلى حضرة الربوبية بجميع أقواله وأحواله،ثم قال ن هذا الرجل آية من آيات ربه في ملكه وبهجته عند الأولياء وواسطة سلكه عجز اللسان عن العبارة، التي توفي بحقه وما هو الإيماء بالإشارة إلى علو مجده ثم قال في آخر الترجمة على الجملة فأخبار سيدي أبي محمد الغزواني أكثر من أن تحصى ومناقبه لا تستقصى ولو تتبعنها لكانت في مجلدات، وقال وهو مما لاشك في ولايته وبركاته أشهر من أن تذكر وقال في أوائل الترجمة أصله من غزوان قبيلة من العرب بالمغرب ومن الناس من يجعل نسبه علويا كان يتعلم العلم بفاس فسمع بالشيخ صالح الأندلسي[4]. فذهب إليه ولزمه أياما فرأى من بركاته ما حرك بلبابه وأنهض إلى حضرة القدس أحواله فسأل منه أن يسلك به طريق التربية النبوية، فقال له يا ولدي صاحب الوقت بمراكش فاذهب.

وأمره بالرحلة إلى الشيخ أبي فارس عبد العزيز التباع المعروف بالحرار نسبة إلى صنعة الحرير فرحل إليه ولازمه فأمره الشيخ برفع الحطب إلى الزاوية ورعاية الدواب فبقى في ذلك مدة ثم استعمله على حياطة بستانه وخدمته فاستمر على ذلك الحال إلى أن قال الشيخ يوما لأصحابه ،قوموا بنا إلى بستان الغزواني ومهما وجدتم فيه غرة فاضربوه

---

[1]- على بعد 3 أميال من مراكش يصب فيه واد نفيس وواد وريكة.الحميري:الروض المعطار في خبر الأقطار.تح إحسان عباس،مكتبة بيروت،1984،ط2،ص540

[2]- أبو العباس المرابي الأندلسي أحمد بن موسى،صحب أبي المحاسن الفاسي،توفي 1034هـ،طبقات الحضيكي،ج1،ص79.

[3]- ابن أبي محلي(967-1023هـ) تغلب على المغرب بدعوى أنه المهدي المنتظر وقتل في أحواز السوس الأقصى.أبو القاسم الزياني: البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف.تح رشيد الزاوية،مطبعة المعارف الجديدة،الرباط،1992،ط1،ص38.

[4]- الصحيح هو علي صالح الأندلسي،أخذ عن التباع بفاس ثم بنى لنفسه زاوية توفي 907هـ.سلوة الأنفاس،ج2،ص243

وانهبوا ثمار البستان، فذهبوا إليه وهم أمامه والشيخ خلفهم فلما وصلوا إلى البستان وجدوه مصونا وبابه عتيق[1]وصوره حصين فلم يستطيعوا أن يتصوروا عليه فكلموه أن يفتح لهم الباب فقال أما إليكم فلا، فوقفوا إلى أن وصل الشيخ فقال لهم ما منعكم من الدخول فقالوا لم نجد سبيلا إليه فقال مثل الغزواني من يحمي حماه ثم قال له اذهب فقد كمل حالك .

ثم توجه غلى قبيلة في الهبط تسمى بني فزكان[2] فأقبل الناس إليه من كل جهة وضجت الأرض بهيبته وشاعت وذاعت كرامته فبلغ ذلك السلطان أبا عبد الله محمد بن الشيخ المريني[3] أنها إليه الفقيه ابن عبد الله الكبير[4] فوجه السلطان إلى الشيخ لما خشي منه على ملكه فلما وصل إليه أمر سجنه وجعله في سلسلة وبعثه إلى فاس وأوصى به [صاحب شرطته بقصبة فاس البالي، فلما أقبل السلطان إلى فاس لقيه ابن شقرون صاحب شرطته[5]] وأخبره عن الشيخ بأمور عجيبة منها أن أهل السجن أخبروه عنه ينزع السلسلة من عنقه في أول الليل ويخرج عنهم حتى إذا طلع النهار دخل إلى موضعه ورد السلسلة في عنقه.فأمر السلطان بسراحه واعتذر إليه وطلب منه الدعاء ورغب منه أن يكون سكناه بفاس فأجابه إلى ذلك وبنى زاوية بداخل باب الفتوح وهي التي دفن بها تلميذه أبو عبد الله محمد بن علي الطالب[6].

وأقام هنالك مدة ثم إرتحل إلى مراكش وقال انحل الأمر عن بني مرين برحيلي عنهم، فكانت حركة السلطان المذكور وأخيه الناصر إلى مراكش وحصرا بها السلطان أبا العباس أحمد بن محمد الشريف[7] وأخاه أبا عبد الله محمد الشيخ ونصبت الأنفاض على سور البلد. فقيل للشيخ إن أهل البلد ضجروا وخشوا على أنفسهم فركب مع أصحابه وخرج عل باب فاس المعروفة بباب الشيخ أبي العباس السبتي فوجدوا رماة السلطان المريني يرمون فوقف الشيخ يعتبر، فجاءت كرة رصاص من مدفع في صدره ثقبت قشابةصوف ووقفت على لحمه ولم تدخل فيه على

---

[1]- في ب غليق.

[2]- بلاد الهبطتبدأ من نهر ورغة جنوبا وتنتهي عند المحيط شمالا وتتاخم غربا مستنقعات أزغار عرضهل ثمانون ميلا وطولها مائة ميل.وصف إفريقيا، ج1،ص306.

[3]- أبو عبد الله محمد البرتغالي الوطاسي(910-932هـ).سمي كذالك لأنه أخذ رهينة في عهد أبيه محمد الشيخ رهينة لدى البرتغال.إبراهيم حركات:المغرب عبر التاريخ.دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء،1420هـ،2000م.ج1،ص172.

[4]- ابن عبد الله الكبير البادسي السفياني الفقيه كان يصحب الولاة والعمال ويخرج معهم قاضيا.الاستقصاء، ج4، ص145.

[5]- زائدة في ب.

[6]- أخذ عن الغزواني توفي 965هـ ودفن بالقليعة بفاس.ابن عيشون:الروض العاطر.ص126.وطبقات الحضيكي،ص604.

[7]- أبو العباس أحمد حكم بعد أخيه أبو حسون وقد واجه السعديين لكنهم هزموه واعتقلوه سنة960هـ وأخذوه إلى مراكش إلى أن مات بها في نفس السنة .وكان السعديون قد استولوا على مراكش بقيادة أبو العباس أحمد الأعرج سنة 930هـ في عهد أبي عبد الله البرتغالي.

أنها صارت قرصة كأنها ضربت في حجرة صمائم ثم قبض عليها الشيخ بيده وقال لا إله إلا الله ، هذا خاتمة خرابهم ثم رجع إلى البلد فجاءت الأنباء على المريني في تلك الليلة بأن أولاد عمه قاموا بفاس ونبذوا دعوته فأصبح راحلا و لم تقع له قائمة ولله الأمر من قبل ومن بعد، ثم إستقر الشيخ بمراكش إلى أن توفي سنة خمس وثلاثين ودفن بزاويته الكائنة بالقصور انتهى.

وقال العباس بن أبي محلى : كان أبو محمد عبد الله الغزواني من جملة الطلبة بحضرة فاس ثم جذبه الله إليه عن حكاية غريبة وهو أنه فيما يقال عمر، في ذات ليلة في ثلاث نفر من الطللبة إلى زاوية لبعض أصحاب التباع لباب فتوح من حضرة فاس أمنها الله ليبيتوا عند صاحبها بقصد الفرصة لسوء المعتقد به وبنحوه، فما أصبح عليه الصبح إلا وقد أحيط بعوالمه العقلية فانجذب لحضرة مراكش من ساعته قالوا فكان يخدم الشيخ التباع عشر سنين في بستان له وبعد إتمام الأجل خرج عند إذنه شيخا واصلا موصلا انتهى .

وقال أبو عبد الله في المرآة، أن أبا محمد الغزواني كان يقرأ في مدرسة الوادي بعدوة الأندلس من فاس[1] وكانت جماعة من الفقراء تجتاز في عشية الخميس بباب المدرسة فتساءل الطلبة فيما بينهم إلى أين يجتازون، فقال بعضهم إلى زاوية قريبة منا، فقالوا هل لكم في مبيت معهم فنتفرج في حضرتهم إلى السماع ونشبع من الكسكس عندهم فساروا إلى الزاوية بهذا الشيخ وهو سيدي عبد الله ،فلما أخذ الفقراء في الذكر دخل معهم فيه فأدركه في باطنه أمر عظيم قال أنه كشف له فيه من العرش إلى الفرش، ويقال أنه غسل أيدي الفقراء بعد الطعام وشرب الماء الذي غسلوا فيه أيديهم، فلما نزل به ما نزل جلس بين يدي الشيخ أولئك الفقراء وهو أبو الحسن علي صالح وقص عليه قصته وطلب منه أن يقبله مريدا فقال له الفقراء،يا سيدي أقبله، فقال لهم هذا عربي قوي بالقاف القريبة من الكاف كما ينطق به أهل الأندلس بل أبعثه إلى الشيخ، فبعثه لمراكش للشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع فصحبه وخدمه وكان من أمره ماهو مشهور إنتهى. وفي المرآة أيضا أن الشيخ سيدي عبد العزيز التباع كان يقول للفقراء،إذا قيل لكم من زاهدكم فقولوا سيد عبد الكريم الفلاح[2] وإذا قيل من عابدكم فقولوا سيدي علي بن إبراهيم[3] وإذا قيل لكم من مجدوبكم فقولوا سيدي محمد بن داود[4] وإذا قيل لكم من مائدتكم فقولوا سيد

---

[1]- في ب باب مراكش المعروفة وهو غلط.

[2]- عبد الكريم الفلاح بن عمر الحاحي المراكشي خليفة التباع بمراكش ومعاصر الغزواني،توفي 933هـ.طبقات الحضيكيج2،ص433-434.

[3]- علي بن ابراهيم البوزيدي من بسيط تادلة من بلاد فشتالة،العابد الزاهد توفي 956هـ أو957. نفسه،ج2،ص567.

[4]- محمد بن داودالتمسناوي أخذ عن التباع توفي في العشرة الرابعة من القرن العاشرالهجري.نفسه،ج1ص264.

رحال الكوش[1] وإذا قيل لكم من عالمكم فقولوا سيدي سعيد بن عبد النعيم[2] وإذا قيل لكم من سلطانكم فقولوا سيدي عبد الله الغزواني إنتهى.

قال صاحب ممتع الأسماع : ولعل المائدة هو هو سيدي عبد الكريم الفلاح والزاهد هو عبد الرحمن الكوش، وحكى بعض من ينتمي إلى الفقر من الطلبة أنه لما توفي سيدي عبد العزيز التباع وكان قد أطلق من أطلق من المشايخ وأصحابه في حياته بقي الذين ترك بزاويته بعده في فترة مدة مديدة لا يدرون وارث شيخهم وقد كان عهد إليهم في حياته وسيدي عبد الكريم الفلاح خصوصا ان وارثه منهم وحاله لا يتعداهم وكان سيدي عبد الكريم هو خادمه الخاص به الموالي له الموكل بطعام زاويته الساعي في حوائج داره فانتدب لجمع أصحاب الشيخ وجعل يدعوهم ويبحث في طلبهم في نواحي مراكش نحو الخمسة أيام حتى اجتمعوا كلهم، وصنع لهم طعاما وأعده لهم فقال بعض الفقراء ما نرى سيدي عبد الكريم ألا يدعوا لنفسه ويريد أن يجمع الناس عليه فبلغها بعض الموالين له فقال ما نبالي بذلك، وما نؤاخذ إخواننا والله يعلم سرائرنا .

فلما حضر الجميع بزاوية شيخهم واجتمعوا عن آخرهم قدم إليهم الطعام ثم قال لهم لا تمسوه حتى تخبرونا، فإن الشيخ عهد إلينا أن وارثه منا وسره بيننا فنحن لم نعرفه فنقدم إليكم حق الشيخ لمن كان عنده وصف من أوصاف الشيخ ورثه منه يخبرنا به .وقد قيل أو قال الشيخ ،لا سر مكتوم بين الفقراء ولا مال مقسوم ،فتكلم سيدي سعيد بن عبد النعيم لعلمه وجعل يذكر ما يعرف من أوصاف الشيخ رحال الوارث وما سمعه في ذلك من الشيخ فقال سيدي رحال الكوش، أنا ركاب العرائس من لم أركب عرائسه لا تركب، وأنا صاحب الإغاثة في البر والبحر ،.ثم قال سيدي علي بن إبراهيم وأنا عابدكم أصلي الليل وأصوم النهار ثم قال سيدي السعيد بن عبد النعيم، وأنا عالمكم من احتاج إلى علم الظاهر والباطن فليؤمني فإني صاحبه وقال سيدي عبد الكريم الفلاح، وأنا مائدتكم من أحب الطعام فليأت لا يبقى عن طعامي خماس ولا مراس ،حتى قال كل واحد ما عنده وسيدي عبد الله الغزواني فيهم ساكن لا يتكلم ولم يتحرك له حال .

ولعل هذه القضية كانت بعد إنتقاله من فاس إلى مراكش ويحتمل قبل سكناه مراكش ذهب زائر إليها أو من بني مزكار أو من قبيلة الشاوية[3] والله أعلم .فقالوا له وأنت يا سيدي عبد الله مالذي عندك وماذا تقول؟ فحينئذ حركوا ما كان ساكنا وأظهروا من وجده ما كان كامنا،فقال لهم، وأنا سلطانكم وصاحب سكتكم، عندي تضرب فمن

[1]- رحال الكوش من الأولياء نزيل أنماي من حوز مراكش توفي آخر العشرة الخامسة من القرن العاشر الهجري نفسه،ج1ص 228.

[2]- سعيد بن عبد المنعم الحاحي أخذ عن التباع توفي في العشرة الرابعة من القرن العاشر ببلاد حاحة.نفسه،ج2،صص575-576.

[3]- الشاوية هي برغواطة قديما وهي منطقة تامسنا بالمغرب تمتد من نهر سالا إلى نهر أم الربيع. عبد الوهاب بن منصور:قبائل المغرب.ص323.

طبعت درهمه أو ديناره جاز ومن لا فلا، فسكتوا استنكارا لذلك، فقال لهم مالكم سكتم استنكرتم قولي فقالوا نعم ،فأخرج يده فمدها وقال الله مادا عليها وقبض بيده في الهوى وضم أصابعه فقال لهم ماذا تقولون وما عند كل واحد منكم، فأنكروا قلوبهم ولم يجدوا فيها شيئا مما كانوا يعهدون وما كانوا يخبرون عنه،فعلموا أنه الذي استفهم وأن قوله صحيح وأنه وارث الشيخ وأنه حاجتهم ومطلوبهم ومددهم منه فأذعنوا له وخضعوا فمد يده ثانية وقال الله فرد عليهم أحوالهم وأمرهم بالانصراف، فتفرقوا مجتمعين عليه.

ثم أن سيدي رحالا الكوش فيما يقال ظهر بمراكش ظهورا يضاهي سيدي عبد الله الغزواني فقال له سيدي عبد الله إما أن تتركها لي أو أتركها لك وأما حنشان في غار فلا يجتمعان. فقال له سيدي رحال بل أنا أخرج عنك فخرج إلى أنمي[1]فذلكالذي أسكنه هنالك إلى أن توفي رضي الله عنهم أجمعين انتهى.

قال في التحفة عن سيدي رضوان، وكان ربما سمع منه في بعض الأحيان صيحة تصيب السامع رعبا في قلبه وكنت أقول يا ترى ومن أي شيء يصيح، قال المؤلف المرابي وله كلام عال في المعارف والحقائق منه " نفحات المريدين " عند تلقيات السلوك والجذب المحيط بكل أين ولا أين له ،فمن ظهر ذلك فيه عالم بالسمع الأعلى وشربه الأدنى ومطالعة أهل الكشف عن حقائق التوحيد وهو الموصوف بخفي السر الرباني ومنهم من خصص بتخصيص التوحيد شهد الله أنه لا إله إلا هو.انتهى.

وله كلام كثير من الطريق نظما ونثرا إلا أنه غامض لا يفهمه إلا من فتح الله عليه . ومن كراماته ما حكى صاحب التحفة أنه كان من عادته أن يأمر أصحابه بالحراثة والغرس والخدمة وحفر السواقي، فحفر مرة ساقية مع بعض إخوانه وكانت عادتهم في ذلك الوقت أن من حفر ساقية حمل الطعام ويدعوا الناس لأكله فلما حفر الشيخ الساقية مع صاحبه صنع الصاحب طعاما ودعى الناس لأكله وأكلوا ،وقالوا للشيخ بقي طعامك يا سيدي فأي وقت نأكله؟ فقال لهم نرجو الله أن يفتح لنا غدا من عنده . فلما كان من الغد ونحن جلوس معه إذ سمعنا صياحا وضجيجا ونظرنا أمامنا فإذا شيء يعلوه غبار على بعد والناس خلفه وهو يقرب حتى دنا من الشيخ[2]فإذا هو واحد من بقر الوحش فبرك أمام الشيخ فقبضوه فأمرهم بذبحه ووضع لهم طعام فأكلوه فعلموا أنها كرامة له رضي الله عنه.

---

[1]- أنمي:بلدة صغيرة على سفح الجبا بينها وبين مراكش 40ميل في الطريق الذاهب إلى فاسيمر على بعد عنها ب15 ميل نهر أغمات.الوزان:وصف إفريقيا.ج1،ص137

[2]- في ب دنا منا.

ومنها ما حكى أيضا قال كان الشيخ يوما جالسا وأناس إما من فقرائه أو من سائر الناس أرادوا أن يجدوا قضيبا من قضب المعاصر، فلم يطيقوا عليه فأجمعوا على أن ينظروا أناسا آخرين يعينوهم فلما أرادوا الذهاب قام الشيخ سيدي عبد الله وبيده قضيب وأمر رجلين بجر القضيب فقاما فأخذا بالحبال وجاء الشيخ ووقف خلف القضيب وأخذ يضربه بالقضيب الذي بيده وكان يقول شيئا، قال : فرأيت القضيب يسير ولم يجره إلا اثنان من الرجال فاستغرب الناس من ذلك، وكانوا أول مرة لم يطيقوه فعلمواأنها بركة الشيخ إنتهى

وحكى صاحب الممتع أن أناسا كانوا في تدعيم داره بالخشب فقاسوا خشبة على موضع فوجدوها قصيرة لا تقدر لذلك وهو ينظر فأخذ الخشبة من أيديهم وأقامها في الموضع الذي تحتاج إليه فكانت قدر الحاجة ،وحكى أيضا أن سيدي عبد الله كان مرة مع أصحابه في زيارة خارج مراكش فقال لهم إذا لقيتم قافلة عنب فخذوها فلقوها فأخذوها وحازوها، فإذا أهل القافلة قد لحقوا فجعلوا يصيحون ويخاصمون ويقولون اصحبونا إلى الحاكم وهم لا يعرفونهم وجعلوا يكلمونهم ويستنزلونهم إلى أن قالوا لهم هي إنما هدية لسيدي عبد الله الغزواني، فقالوا لهم هو الذي أخذها، وهاهو ذاك فأذعنوا ،وقال مرة أخرى لا أدري في تلك الزيارة أو في غيرها سمع بعض أصحابه يقولون أنهم قد اشتهوا اللحم وكان ذلك ليلا، فقال لهم إذا لقيتم بقرا أوغنما غدا فخذوها فلقوها فأخذوها فجاء أربابها يفعلون فعل الأولين فلقوهم فإستنزلوهم فأخبروهم أنها هدية لسيدي عبد الله الغزواني فأخبروهم أيضا فأذعنوا كذلك .

ومن كرامته ما حكى أبو علي سيدي الحسن بن مسعود اليوسي رحمه الله ونفعنا به في تعليقه عن القصيدة الدالية التي هنأ بها الشيخ الإمام والقدوة الهمام سيدي محمد بن ناصر[1] نفعنا الله به لما أقبل من الحج ذكر في شرح قوله:

فالدهر نور ليله ونهاره   من نوره معط يدا المتعبد

حتى توهم سبع اخوان له   زوجن من روم بسبعة أعبد

ونصه: يحكى أن الشيخ عبد الله الغزواني دفين القصور من حضرة مراكش حرسها الله خرج ذات مرة إلى بعض القبائل لإيقاع صلح في أمر وقع فلما راح إليهم افتتح الذكر فتواجد الناس كلهم حتى اختلط الفريقان، ولم يزل ذلك دأبهم جميع الليل وكان ذلك رمضان فلما على الفجر صاح الناس، وأشفقوا من بقاء الناس بلا سحور

[1]- محمد بن بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن ناصر الدرعي اشتهر باسم جده بن ناصر.توفي 1085هـ.الإفراني:صفوة من انتشر.،صص،299-303.

وأعلموه فقام وقال وأمري بأمرالله أرجع أو كما قال فذهبت تباشير الصبح التيظهرت وأقبل الليل بظلامه كما كان حتى تسحر الناس واكتفوا وفرغوا فعند ذاك جاء الفجر انتهى .

وقوله وأمري بأمر الله هو قول مولاي عبد القادر الجيلالي[1]في تائيته نفعنا الله به:

وأمري بأمر الله ان قلت كن يكن وكل بأمر الله فاحكم بقدرتي.

وتقدم تاريخ وفاته عن ابن عسكر وهو أنه توفي سنة خمسة وثلاثين وتسعمائة. وذكر صاحب التحفة سبب موته أنه خرج يوما على عادته للبادية في صلح وخرج معه أصحابه فغالوا ما شاء الله ثم رجعوا فلما كان قريبا من البلد وهو راكب على فرسه سائر في الطريق،إذ رأوه قد مال على فرسه فأسرعوا إليه فأذا هو ميت فحملوه إلى المدينة ودفنوه بزاويته بحومة القصور داخل مراكش وبنو عليه قبة حافلة وهي مزارة عظيمة مشهورة رضي الله عنه ونفعنا به .

فصل وأما الشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر بن داود المختاري من أحواز مكناسة[2] فقال فيه صاحب الدوحة كان من الصالحين وكانت أحوال من الجذب تغلب عليه فيكاشف بالغيب، وكان كثيرا ما يذهب إلى الولوع بالصيد، وسمعت القائد أبا العباس أحمد بن غظيفة، يقول والله ما رأيت مثل سيدي محمد بن عمر، كاشفني بأمور لم يطلع عليها أحد إلا الله سبحانه ولقد صنعت صنيعا لم يعلم به إنس ولا جان، فجئته وقلت في نفسي إن كان من الأولياء يفضحني بما صنعت، فلما دخلت عليه أخذ بيدي ودخل بي إلى موضع خال وقال لي ياأخي النصيحة واجبة والتوبة لازمة وأنت لا تقبل الإشارة ولكنك صنعت كذا وكذا وذكر لي القصة كأنه حاضرا معي. فقلت أتوب إلى الله سبحانه فقال أستر ما سمعت ولا تحدث به أحدا .

لقيت هذا الشيخ مرتين أحدها في تامسنا[3] في محلة الغالب بن السلطان أبي عبد الله الشيخ والثانية بفاس سنة

---

[1]- عبد القادر الجيلاني أو الجيلي أو الكيلاني بن موسى بن عبد الله أبو صالح مؤسس الطريقة القادرية(470-561هـ) من جيلان وراء طبرستان وتوفي ببغداد. طبقات الأولياء، ج1،ص246.والأعلام: ج4،ص47.

[2]- مكناسة: مدينة بالمغرب في بلاد البربر عهلى البر الأعظم بينها وبين مراكش أربع عشرة مرحلة نحو المشرق وهي مدينتان صغيرتان الأولى أسسها يوسف بن تاشفين والأخرى قديمة وأكثر شجرها الزيتون،ومنها إلى فاس مرحلة واحدة. الحموي،معجم البلدان. ج5،صص181.

[3]- تامسنا: اقليم تابع لمملكة فاس يبتدئ غربا عند أم الربيع وينتهي إلى أبي رقراق شرقا والأطلس جنوبا وشواطئ المحيط شمالا.الوزان:وصف إفريقيا. ج1،ص194

سبعين وكنت نجتمع معه بمسجد القرويين[1] في كل ليلة مرة من شهر ومعنا الشيخ أبو القاسم بن منصور الغمري[2] فكان نعم الفاضل ونعم العارف حسن الأخلاق غزير المعرفة عظيم اليقين كثير الأدب والتواضع وله مناقب كثيرة ينقلها المرابطون من أصحابهوغيرهم توفي في العشرة السابعة ودفن بموضع يقال أجدوا بإزاء واد الكل على مرحلة من مكناسة رحمة الله عليه انتهى .

قال صاحب ممتع الأسماع :قوله في العشرة السابعة صوابه الثامنة، لأنه ذكر أنه لقيه سنة سبعين وهذا يقع له كثيرا يعبر عن العشرة بالتي قبلها ثم قال: ومن أخباره ومكاشفته أنه كان مارا مع أصحابه يوما بموضع وكان به غنم ونعجة تبعير وتصيح ،فقال لهم ألا تسمعون ما تقول هذه النعجة . قالوا فما تقول يا سيدي قال تقول أسرعوا بهذا الموضع لتخلفوه فإني بهذا الموضع أكل الذئب ولدي عام أول ،فتخلف رجل ممن كان معهم فسأل الراعي هل رعا بهذا الموضع عام أول وهل أكل له الذئب شيئا فقال له نعم، هنا أكل الذئب عام أول ولد تلك النعجة وأشار إليها فرجع وأخبر بذلك .

وزار بعض الناس من معارفه بعض الصالحين النائين من بلادهم فلما رجع أتى الشيخ يسلم عليه فسأله كيف زيارتكم فقال حسنة الطعام كثيرا ،والناس يقبلون علينا وجعل يذكر نحو هذا فما استحسنه، فسبه وقال أنا أسألك عن قلبك وما ازداد فيه من خير ونور وأنت تذكر الطعام وحشو البطن ألهذا تعبت وأتعبت نفسك، رضي الله عنه وأنفعنا ببركاته.

قال في المرآة حدثني أبو عبد الله يعني ابن سيدي أبي بكر[3] أن الشيخ أبا عبد الله الشرقي أخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عمر المختاري، وأنه قال له كنت مع سيدي محمد بن عمر مثل والدك سيدي أبي بكر معي،وقال لي ضيق الباب وقل أنت لسيدي أبي بكر ضيق الباب، فقلت للشيخ أبي عبد الله ما قصدهم بذلك قال التقليل من جموع الناس ،انتهى .وصحب الشيخ ابن عيسى[4] الولي الكبير، والشيخ ابن عيسى من اصحاب الشيخ التباع .انتهى .الكلام على شيوخ القطب الكامل سيدي محمد الشرقي نفعنا الله به وبجميع شيوخه أما والده الشيخ ابو القاسم والشيخ أبو محمد عبد الله بن ساسي والشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر المختاري فهم

---

[1]- القيروان :المسجد الجامعة يعود أصل تأسيسه إلى أيام الأدارسة بفاس.وقد وضعت أسسه عام 245هـ امرأتين من أسرة فهرية من القيروان هاجرت إلى فاس.ثم تطور جامع القرويين بمرور الزمن وتعاقب الدول.عبد الهادي التازي:جامع القرويين،المسجد والجامعة بمدينة فاس.دار نشر المعرفة الرباط،2000،ط2،ج1،صص46-47.

[2]- عالم فقيه صاحب زاويةتوفي في أواخر العشرة السابعة.دوحة الناشر،ص66.

[3]- أبو عبد الله محمد بن أبي بكربن محمد بن سعيد المجاطي الدلائي(967-1046هـ).أبي حامد العربي:المرآة،ص295.

[4]- ابن عيسى الفهدي سبق التعريف به.

المذكورون في السلسلة وإليهم اشار صاحب المقصودة بقوله :عن والدي تروى طريقة الهدى. وأشار إلى الشيخ بن ساسي بقوله :

يا حبذا الجاه فسيح نلته عن　　　ابن ساسي الغوث كامل الحجا

وأشار إلى الشيخ ابن عمر المختاري بقوله :

ونلت من بحر بن عمر شربة　　　الـــــمختاري الليث ذائد الردى

وأما الشيخ أبو محمد الغزواني أفاض الله بركته فلم نجده في بعض التقاييد ، وجدت فيها هذه السلسلة وقد عده صاحب المرآة من أشياخه، وهو الأصح ، و كلام صاحب المقصودة يحتمل ويحتمل لأنه قال بعد البيت الذي ذكر فيه ابن ساسي رضي الله عنه، وهو عن بالغزواني القطب شيخه الكامل المحبوب باذل الشفا ، فيحتمل أن يعود الضمير في قوله وهو على الشيخ عبد الله بن ساسي ، فيكون الشيخ عبد الله الغزواني شيخ شيخ سيدي محمد الشرقي،والشيخ أخذ عن سيدي عبد الله الغزواني بلا واسطة والله أعلم وما نقل صاحب المرآة هو الصحيح فصل وأما شيخ الجماعة بالمغرب وشيخ هؤلاء الأشياخ الأربعة منهم الاثنان وهما الشيخ عبد الله الغزواني والشيخ سيدي أبو القاسم بلا واسطة والباقيان وهما الشيخ سيدي عبد الله بن ساسي بواسطة سيدي عبد الله الغزواني و سيدي أبو عبد الله محمد بن عمر المختاري بواسطة سيدي محمد بن عيسى الفهري كما تقدم وهو المشار إليه في المقصودة بقوله :

والكل قد نال كمال بغية　　　عن التباع القطب نعم المقتفا

فهو القطب الكامل والغوث الواصل الولي الوارث والحسام الفارثالشيخ أبو محمد أو أبو الفارس عبد العزيز بن عبد الحق الحرار عرف به وبالتباع والحرار نسبته إلى صنعة الحرير، إذ كان حرفته في أول أمره ، كان رحمه الله عالما عاملا وشيخا كاملا بحر العرفان ومجمع المآثر الحسان، شيخ المشايخ وأستاذ الأكابر وجبل[1] الفضل الشامخ وجرثومة[2] المفاخر، قطب وقته ووارثه وغوثه النفاع وإمام أئمة الطريق في عصره من غير اختلاف ولا نزاع.

قال أبو العباس المرابي في تحفة الإخوان: كان رضي الله عنه في إمامته وجلالته بمكانة يعز الوصف بلوغ مداها ، ويعلوا في ارتفاع الشأن وشهرة نداها وقد تخرج عليه من المشايخ ما لا يكاد يحصيه عد ويحصره حد .وبالجملة

---

[1]- في ب حبل.

[2]-جرثومة:أصل كل شيئ ومجتمعه.أيوب بن موسى أبو البقاء الحنفي:الكليات.تح عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.ص331.

فقد عمت أقطار المغرب أنواره وملأت صدور رجاله معارفه وأسراره حتى كان يشتهر من بعض الصالحين من أقطار المراكشية بسيدي عبد العزيز الشيخ الكامل ،وكان يقال النظرة فيه تغني انتهى.

ووصفه شيخه بالكمياء وذلك أنه خدمه مدة وفتح له على يده فلما حان أجله أوصى به سيدي الصغير وقال له صغير، الله الله في عبد العزيز فإن عبد العزيز كمياء، فصار إليه بعد موت الشيخ فخدمه سنين بمنزله من خندق الزيتون، وكان إذا رقد بالليل غطاه سيدي الصغير بثوبه الذي عليه وقعد يحرسه، وكان على ذلك إلى أن كان ذات يوم وكان شديد المطر والريح والطين وكان في خدمة الشيخ ورعاية ماشيته ،فنظرت زوجة الشيخ إليه على بعد وكان اسمها تاتوا وهو حامل شيء على عنقه وشيئا بيده فأشفقت منه على تلك الحال في ذلك اليوم فقالت للشيخ : أنظر فيما هو عبد العزيز لو كان بيدي شيء لأنلته إياه اليوم ومكنته منه فلما وصل قاله الشيخ يا ولدي أدعوا لأمتك[1] تاتوا فدعا لها، ثم قال له سر ينتفع بك الناس فأطلقه من ثقاف الإرادة وسار فأستقر بمراكش وطنه وأقبل الناس إليه من كل مكان واشتهرت كرامته وانتشرت تباعته وعم خيره من المغرب الزوايا والأركان. ذكروا عنه أنه احتجب مرة في داره أياما ثم خرج لباب الدار فسمع الناس بخروجه أو أمرهم بدعائهم إليه فجعلوا يأتون إليه فيسلمون عليه وينظر إليهم، فلما انقضى ذلك أخبرهم أنه ولي في ذلك خمسمائة ولي وظهر بهذا ومثله مصداق قول شيخه فيه أنه كيمياء توفي سنة أربع عشرة وتسعمائة وقبره بمراكش مزارة عظيمة مشهورة بالموضع المعروف بين الثلاثة فحول يزدحم عليه الرجال والنساء وأثر الجمال عليه ظاهر رضي الله عنه ونفعنا به

فصل وأما أبي محمد عبد العزيز المذكور فهو الولي الصالح القطب الناصح البدر اللائح مصباح المصابيح ومفتاح المفاتيح علم الأعلام وشمس الأنام أستاذ الطريقة ومعدن الحقيقة والشريعة كنز العلماء العالمين ، وطود الأئمة المهتدين مربي المريدين ونخبة السالكين محي الطريقة بالمغرب ومجدد رسومها ومشيد بنائها وناشر أعلامها ذو الأحوال الربانية المنيفة والمقامات العلية الشريفة والهمة العالية السماوية والأخلاق الزكية الرحمانية والطريقة السنية والعلم اللدني والتصريف الرباني والسر النافذ التام والخوارق العظام والكرامات الجسام الولي الواصل [ابن الأماجد الأماثل [2]] سيدي ومولاي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بأن أبي بكر بن سليمان بن سعيد بن يعلى بن يخلف بن موسى بن علي بن يوسف بن عيسى بن عبد الله بن جندور[3] بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن حسان بن اسماعيل بن جعفر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم .

---

[1]- في ب أمك.

[2]- ساقطة من أ.

[3]- جندور ساقطة من ب.

هكذا ذكر هذا النسب صاحب المرآة وصاحب الممتع وفيه إختلاف ذكراه ويعرف بالجزولي لكونه في عداد جزولة هي قبيلة من البربر سوس الأقصى ويقال جزوله وقزولة بالجيم والقاف المعقودة ، ويكتب في نسبه السملالي أيضا وسملالة قبيلة من جزولة ،ونسب إلى سليمان فيقال سيدي محمد بن سليمان وهو جد أبيه كما تقدم وكثيرا ما ينسب المرء وينتسب قديما وحديثا إلى من فوق والده المباشر لشهرته ولحصول التعريف به أكثر وهو المشار إليه في سلسلة عند أبي العباس في المقصودة بقوله :

وهو عن القطب الشهيرفضله الجزولي الحبر نخبة العلا .

كان رحمه الله في ابتداء أمره يطلب العلم بفاس بمدرسة الصفارين[1] وبيته اليوم بها معروف وبها ألف كتابه دلائل الخيرات. نص على ذلك أبو العباس في كفاية المحتاج، وذكر أنه خرج من بلده لقتال كان بها، فدخل فاس وبها لقي الشيخ زروق .

قال الشيخ صاحب ممتع الأسماع، فمحتمل أنه في هذه السفرة كان يطلب العلم بها ويحتمل أنها سفرة ثانية .وقال : ويذكر أنه لما كان في المدرسة المذكورة كان له بيت يخلوا فيه بنفسه لا يدخله معه أحد فبلغ ذلك والده ببلده وظن أو قيل له أنه لا يسده ويمنع من دخوله إلا لكونه له مال به فقدم عليه ثم طلب منه أن يدخله ذلك البيت فأجابه إلى ذاك وأدخله إياه فرأى حيطانه كلها مكتوبا فيها الموت،الموت، الموت وعلم ما هو فيه ولده فرجع على نفسه باللوم يقول أنظر أين هذا وأين نحن ثم تركه وانصرف إلى بلده .

ويذكر أن سبب جمعه لدلائل الخيرات أنه شاهد من امرأة بفاس أمرا عظيما من خرق العادة فسألها بم بلغت هذا قالت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم،وجمع كتاب المذكور ويقال أنه جمعه من كتب خزانة القرويين[2] ثم رجع من فاس إلى الساحل فلقي به أوحد وقته الشيخ أبا عبد الله محمد بن عبد الله أمغار الصغير من أهل رباط تيط[3] ،وهو عين الفطر قرية ساحل بلد أزمور لقيه ببلد دكالة فأخذ عنه ثم دخل الشيخ الجزولي الخلوة للعبادة نحو

---

[1]- مدرسة الصفارين: بفاس أسسها أبو يعقوب بن عبد الحق المريني ،ينظر حسين مؤنس:تاريخ المغرب وحضارته،دار العصر الحديث بيروت،ج2،ص 175.

[2]- القرويين:المسجد والجامعة بمدينة فاس من أقدم الجامعات بإفريقية تم الشروع في بنائه على عهد الأدارسة سنة 245هـ وتطور بمرور الزمن وتعاقب الدول.عبد الهادي التازي:جامع القرويين،المسجد والجامعة بمدينة فاس.دار نشر المعرفة،الرباط،2000،ط2،ج1،صص 46-47.

[3]- ربا تيط: يق في بلاد أزمور من دكالة أسسه الأمغاريون خلال القرن 5هـ وقد تحول من مركز ديني صوفي إلى مركز اقتصادي وهو ما عرضه للتحرشات البرتغالية التي فرضت على المنطقة الحماية وهو ماجعل محمد البرتغالي السعدي يقوم بحملات بين 920-924هـ ويخرب المنطقة بما فيها الرباط.وكان الرباط منطلقا لكثير من المتصوفة من الأمغاريين وغيرهم كأبو العباس السبتي ومحمد بن سليمان الجزولي. محمد المازوني:رباط تيط من التأسيس إلى

أربعة عشر عاما ثم خرج للانتفاع به ،وكان بثغر أسفي فأخذ في تربية المريدين وتاب على يده هناك خلق كثير وانتشر ذكره في الآفاق وكان واقفا عند حدود الله عاملا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كثير الأوراد.ثم أخرجه صاحب آسفي[1].

قال الشيخ القصار[2]: أخرج صاحب أسفي الشيخ الجزولي فدعى عليهم فسئل منه العفو فقال أربعين سنة، فأخذها النصارى بعدها، فانتقل إلى الموضع المعروف بأفوغال[3] من بلد مطارزة فقام به على حالته من تربية المريدين وإرشادهم إلى سبيل الهدى فاستنارت لهم ببركته الأنوار وظهرت له المعالي والأسرار وانتشر به الفقر واللهج بذكرالله والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم في سائر بلاد المغرب وسار ذكره في جميع آفاقه وصار أتباعه في كل نواحيه وحييت به البلاد والعباد وجدد الطريقة بالمغرب بعد دروس آثارها وخبو أنوارها وخلف كثيرا من المشايخ.

قال بعضهم وأكثر انتشارا الطائفة الجزولية وتفرع شجرتها من إرث الشيخ سيدي عبد العزيز التباع ووارث وارثه الشيخ سيدي عبد الله الغزواني، شيخ هذا الولي سيدي محمد الشرقي وكان الشيخ الجزولي رحمه الله فياض الإمداد والمدد كثير النفع للعباد وكان يبعث أصحابه للبلاد منهم الشيخ أبو عبد الله محمد الصغير السهيلي[4]والشيخ أبو محمد عبد الكريم المنزاري كل واحد في ملأ من أصحابه يدعون الناس إلى الله ويجلبونهم إلى طريق الله فكثر دخولهم في طريقه وتزاحموا عليه وأتوه من كل ناحية حتى قد ذكر بعضهم أنه ورد على شيخ من طالب الغرب إلى الله تعالى وابتغاء ثوابه خلق كثير حتى اجتمع من المريدين بين يديه اثنا عشر ألف وستمائة وخمسة وستين كلهم ممن نال منهم خيرا جزيلا على قدر مراتبهم وقربهم ثم توفي رضي الله عنه.

قال الشيخ أبو العباس أحمد بابا في نيل الابتهاج: قال صاحبنا محمد بن يعقوب الأديب مات مسموما في الركعة الأولى من صلاة الصبح سادس عشر ربيع الأول عام سبعين وثمانمائة انتهى.

ظهور= الحركة الجزولية.مقال منشور ضمن كتاب: الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط.مطبعة النجاح الجديدة1997.ط1،ص26 وما بعدها.وأيضا الحسن الوزان :وصف إفريقيا.ج1،ص152.

[1]- آسفي:إحدى مدن دكالة بناها الأفارقة الأقدمون على شاطئ البحر المحيط.الوزان:نفسه،ج1،ص 147.

[2]- أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار،الغرناطي الأصل الفاسي الدار تولى الإمامة والخطابة في عهد المنصور السعدي في مسجد القرويين،ت1012هـ.طبقات الحضيكي،ج2،صص،335-336.

[3]- أفوغال:الموقع العالي في اللغة،وهي منطقة من بلاد حاحة دفن به محمد بن سليمان الجزولي والسلطان أبي عبد الله القائم السعدي.وهو اليوم موضع على بعد 35 كلم عن مدينة الصويرة.معلمة المغرب.ج2،ص566

[4]- أبو عبد الله محمد الصغير السهيلي من أصحاب محمد بن سليمان والشيخ أبي المحاسن الفاسي كان بأحواز فاس توفي 918هـ.المرآة،ص 277.

-وقال الشيخ زروق أنه مات مسموما في صلاة الصبح إما في السجدة الثانية من الركعة الأولى أو في السجدة الأولى من الركعة الثانية عام سبعين وثمانمائة ودفن لصلاة الظهر من ذلك اليوم بوسط المسجد الذي كان أسسه هنالك.

قال صاحب ممتع الأسماع : وجدت بخط بعضهم أنه لم يترك ولدا ذكرا ثم بعد سبع وسبعين سنة من موته نقل من سوس الأقصى إلى مراكش فدفن برياض العروس منها، وبني عليه بيت ولما أخرجوه من قبره بسوس وجد كهيئته يوم دفن ولم تتعد عليه الأرض ولم يغير طول الزمن من أحواله شيئا، وأثر الحلق من شعر رأسه ولحيته ظاهر كحاله يوم موته، إذ كان قريب عهد بالحلق ووضع بعض الحاضرين أصبعه على وجهه، حاصر بها الدم عما تحته فلما رفع أصبعه رجع الدم كما يقع ذلك في الحي. وقبره بمراكش عليه جلالة عظيمة ومهابة كبيرة وسطوة ظاهرة والناس يزدحمون عليه ويكثرون من قراءة دلائل الخيرات، وثبت أن رائحة المسك توجد من قبره من كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

قال صاحب ممتع الأسماع قال،يعني سيدي محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه: قيل لي يا عبدي، فضلتك على جميع خلقي بكثرة صلاتك على نبيي، يا عبدي من تكبر عليك من أولياء الزمن سلبته من نوري انتهى.

ثم قال : ثم وجدت فيها قيد عن الشيخ رضي الله عنه من الكلام بلفظ يا عبدي فضلتك على جميع خلقي بكثرة صلاتك على النبي، يا عبدي من أطاعك من الأولياء فقد أطاعني ومن عصاك من الأولياء فقد عصاني ومن تكبر عليك من أولياء الزمان سلبته من نوري. قال صاحب الممتع : قوله على جميع خلقي الذين في عصره، ويحتمل أن يكون معنى فضلتك خصصتك وآثرتك بكثرة الصلاة على نبي فلا يصلي عليه أحد من العباد[1]. ما تصلي عليه أنت، فالتفضيل واقع بنفس الإكثار من الصلاة والله أعلم .

ومن كلامه قال رضي الله عنه: قيل لي يا عبدي تاهت العقول فيما أعطيتك، وما بقي لك عندي أكثر وأعظم من قبل إقدامك بالحب والشوق .أتيته يوم القيامة بالعفو والصفح يا عبدي تنافست الأولياء فيما أعطيتهم ولا يبلغ أحد ما أعطيتك من كرامتي، يا عبدي لو كانت الملائكة كتابا والأشجار أقلاما والبحار مداد لا يكتبون من أحوالك السنية إلا مقدارما يكتب الولد الصغير في اللوح من الأسطار .يا عبدي لا يبلغ أحد مقامك من أوليائي، سبق ذلك في علم الغيب عندي وعزتي وجلالي لأعطينك يوم القيامة حكما على أوليائي إنتهى[2].وله

[1]- في ب من العدد.

[2]- لم يذكر من نقل هذا الكلام عن الشيخ،كيف تلقى خطاب الله عز وجل؟

كلام كثير في طريق القوم قيده الناس عنه يوجد مفترقا بأيدي الناس ، وله تأليف في التصوف وحزب الفلاح وحزبه الموسوم سبحان الدائم لا يزول ومما ينسب له رضي الله عنه :

إذا شهدت يوم العقاب جوارحي فكيف خلاصي من ظهور قبائـحي

إذا قالت العينان تـــذكر ساعة نـــظرت بها للمنكرات القـــبائح

وقال لساني كم لـــفظت بباطل وكـــنت للعصيان أول رائــــح

وقالت يداي كم تـناولت مأثما فوا أســفي إن كنت غير مسامح

وقالت لي الرجلان محرم مامشت إليه ولــــم تسمع مـــقالة ناصح

فإني إلى نار تلظـــى وقـــودها أســــاق ذليــلا خاسرا غير رابح

فإن من ذو الإحسان بالعفو والرضا نــــجوت وإلا كنت رهن قبائح

ومما ينسب ويقال أنه وجد بخطه على ظهر نسخة من دلائل الخيرات:

كتبت كتابي قبل نطقي بخاطري وقلت لحالي أنت بالشوق أعلم

فبلغ سلامي يا كتابـــي وقل لـهم مقامكم عند عزيز مكرم

وفي رواية معظم، وأما كرائمه رضي الله عنه لا تنحصر ومناقبه لا تنضبط قال سيدي علي بن محمد صالح رضي الله عنه في تأليف له، فلو تكلمت بطرق من كرامات شيخناسيدي محمد بن سليمان الجزولي تداركنا الله برضاه لحارت الأذهان والعقول الذكية .وقال الشيخ أبو العباس أحمد بن موسى[1] في تحفة الإخوان ومواهب الامتنان، وكفاه هذا التأليف العظيم يعني "دلائل الخيرات " شهادة على سمو قدره ونمو مجده.

قال صاحب ممتع الأسماع : وأثر كسوة قلب مؤلفه عليه ظاهر ومنه لائح وشدة شغفه بالنبي صلى الله عليه وسلم وتهالكه في حبه منه واضح، قال: والكتاب المذكور قد نفع الله به العباد وأقبل الناس عليه وسار فيهم مسير الشمس والقمر واشتهر في البدو والحضر وأكبو عليه في مشارق الأرض ومغاربها دون غيره من كتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على كثرتها وسبقيتها ويجدون له بركة ونور انتهى.

[1]- أحمد بن موسى المرابي سبق التعريف به.

ولنقتصر هنا في الكلام على هذا الشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه لأن أخباره كثيرة ومآثره شهيرة قد ذكرها غير واحد من العلماء رضي الله عنهم اللهم يا غياث المستغيثين يا مجيب السائلين جد علينا بحوائجنا وأقض مآربنا ونجنا من فتنة الدنيا والآخرة بحق هذا الولي عندك والنبي وآله وأصحابه صلى الله عليه وعليهم أجمعين .

فصل : في طريقة الشيخ الجزولي رضي الله عنه وهي طريقة سيدي القطب الشهير الغوث الكبير سيدي محمد الشرقي نفعنا الله به كان طريقته طريقة غزوانية تباعية جزولية وطريقة الشيخ الجزولي شاذلية فطريقة الشيخ الجزولي رضي الله عنه فاضلة مفضلة لأنه كان على محبة عظيمة ومزية شريفة في محبة المصطفى صلى الله عليه وسلم والإكثار من الصلاة عليه ولأنه شريف النسب.

قال الشيخ الإمام أبو عبد الله القصار : كان سيدنا محمد بن سليمان الجزولي الشاذلي على محبة عظيمة له صلى الله عليه وسلم، فقد قيل له فضلتك على أهل عصرك بكثرة الصلاة على حبيبي محمد وساداتنا الشاذلية رضي الله عنه مخصوصون بزيادة محبة فيه صلى الله عليه وسلم، لأن طريقتهم مبنية على كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي تفيد ذلك، وأيضا فإن شيخهم وشيخه من ذريته صلى الله عليه وسلم فاجتمعت فيهما المحبتان الدينية والطينية فتضاعفت فيهما المحبة فاستمد أصحابه من مادة قوته جدا . قال شيخنا سيدي أبا العباس المرسي: لو حجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما أعددت نفسي من المسلمين.وكان سيدنا ابن وفا رضي الله عنه يراه صلى الله عليه وسلم ويراه في اليقظة انتهى[1].

---

[1]- يعتمد من يثبت رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة على الحديث الذي رواه مسلم وغيره(من رآني في المنام فقد رآني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي) وقد ألف في ذالك السيوطي رسالة في ذالك أسماها –تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك– وقد رد على ذالك بأمور منها:أ– المراد به من آمن به في حياته ولم يره لكونه حينئذ غائبا عنه.ب– أنه سيرى تأويل تلك الرؤيا في اليقظة ويجد صحتها وخروجها على الوجه الحق.ت– وقيل على أنه تشبيه وتمثيل ويدل على ذالك الرواية الأخرى ولفظها (فكأنما رآني في اليقظة).ث–وقيل أنه يراه يقظة يوم القيامة وهذه بشارة لمن رآه في النوم أنه سيموت مسلما.

أما من قال يراه حقيقة ويخاطبه ففاسد لأمور منها:لأنه مخالف للنصوص الشرعية كقوله تعالى{ إنك ميت وإنهم ميتون}الزمر30. والأمة مجمعة على موت الأنبياء وأما ما ورد بأن روحه الشريفة صلى الله عليه وسلم ترد إليه ليرد على من سلم عليه من أمته، فهذه حياة برزخية ولا تقاس على الحياة الدنيا، والكثير من السلف رأوه مناما ولم يروه يقظة وكان يجب عليهم ذالك بنص الحديث

ولو كان ذالك لوجب مشاركة النبي صلى الله عليه وسلم الأمة في حياتها ومشاكلها،وأن يخلوا القبر من جسده،كما أن ذالك مخالف لختم الرسالة بموته صلى الله عليه وسلم.عبد الرءوف محمد عثمان:محبة الرسول بين الإتباع والابتداع.رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد،إدارة الطبع والترجمة،الرياض،السعودية،1414هـ،ط1،صص،248-251.

والشيخ الجزولي شريف أيضا، وكذا شيخه سيدي محمد بن عبد الله أمغار شريف أيضا قاله صاحب ممتع الأسماع ناقلا عن الشيخ القصار وتلميذه أبي العباس أحمد بن يوسف[1] وصاحب الدوحة والشيخ أبي عبد الله الغربي ،وكذا الشيخ سيدي عبد السلام بن مشيش شريف أيضا و سيدي عبد الرحمن بن الحسين الشريف العطار المدني المشهور بالزيات سكناه بحارة الزياتيين ، فمن كان في هذه الطريقة الجزولية كان في سلسلة خمس مشايخ شرفاء أولهم شيخه سيدي محمد بن سليمان الجزولي وثانيهم شيخه سيدي محمد بن عبد الله أمغار وثالثهم شيخ الطريقة سيدي أبو الحسن الشاذلي ورابعهم القطب أبو محمد عبد السلام بن مشيش وخامسهم شيخه السيد عبد الرحمن المدني .قلت: وتقدم لنا أن الشيخ رضي الله عنه سيدي محمد الشرقي له نسبة في الشرف على قول بعض العلماء فمن دخل في سلسلته فله ست مشايخ كلهم شرفاء رضي الله عنهم جميعا .

واعلم أن طريقة الشيخ الشاذلي رضي الله عنه هي أعلى الطرق وأرفعها . قال الشيخ أبو الحسن علي ابن محمد صالح الأندلسي : ليس في الوجود أعلى من طريقتين :طريقة سيدي عبد القادر الجيلالي وطريقة سيدي أبي الحسن الشاذلي، تداركنا الله برضاهما ثم قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شيخ مولانا علي،ومولانا علي شيخ الطريقة الشاذلية وهي طريقة شيخنا سيدي محمد بن سليمان الجزولي تداركنا الله برضاه فاتصلت إليه بصحبة التواتر خلفا عن سلف ومنه إلى سيدي يعني سيدي عبد العزيز التباع ومن سيدي إلينا ومنا إلى من شاء الله إلى قيام الساعة .

وقال أيضا : وقد تكلم عن السر الرباني أو العلم اللدني[2] أو النور النبوي[3] ونحو هذا مما اندثر من أول الكلام وأظهره الله في الوجود على طريقتين : طريقة سيدي عبد القادر الجيلالي ، وطريقة سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهما وأظهر دوامه إلى الآن على طريقة سيدي محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه وإمداده من الطريقة الشاذلية انتهى.

كيفية إتصال الشيخ الجزولي بالشيخ أبي الحسن الشاذلي :وهو ما تقدم لنا في المقصودة وهو المشار إليه بقوله :

---

[1]- هو أبو العباس أحمد،بن يوسف أبي المحاسن الفهري الفاسي(971-1021هـ).المرآة،ص 220.

[2]- العلم اللدني:أقوى من العلوم المكتسب و بالتعلم،ولا واسطة في حصوله بين النفس والباري عز وجل إنما هو كالضوء من سراج الغيب يقع على قلب صاف فارغ لطيف.رفيق العجم:موسوعة مصطلحات التصوف.ص273.

[3]- النور النبوي:عند الصوفية أول صادرعن الله عز وجل من لا شيء وسمي القلم الأعلى والدرة البيضاء والأب الأكبر وإنسان عين الوجود والعقل الأول وروح الأرواح.نفسه،ص 1000.

عن شامخ الـمجد العتيق شيخه الـــــشاذلي القطب منار الإهتدا

وهـــو عن القطب الشهير فضله الجزولـــي الـــحبر نخبة الـعلا

وقد روى من بـــحر شيخ هاشم أبي عبد الله أمغار المــــــرتضى

عن شيخه أبـي عثمان فاستغث بــــجاهه تنــــل عـــزا وارتقا

وهو عن الإمام الشيخ الرجـرجي عـــــبد الرحمن الليث تارك الدنا

عن شيخه الـــهندي أبي الفضل الذي قد فاح من زهر رياضه شدا

عن شيخه الـبدوي عنوس الذي فـــــاق وســـــاد بطريق الإقتدا

وهـــو عن الشيخ القرافي نسبة أحـــــمد ذلك المقتفى نهج التقا

عن شيخه أبي عبد الله الإمام الـــــــمغربي الطود المحلى بالوفا

هذا كيفية الاتصال، وتلخيصه أن الشيخ الجزولي ، أخذ عن سيدي محمد أمغار عن سيدي أبي عثمان سعيد الهرتاني عن سيدي عبد الرحمن الرجراجي وأقام بحرم الله عشرين سنة عن سيدي أبي الفضل الهندي عن سيدي عنوس البدوي راعي الإبل عن الإمام أبي العباس القرافي عن أبي عبد الله المغربي عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه هكذا ذكره صاحب ممتع الأسماع قائلا : وهو الذي وجد بخط سيدي علي صالح شيخ الجماعة التباعية بفاس وهو الذي مشى عليه الشيخ جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الوزروالي[1] في نظمه المشهور وذكره صاحب الدوحة عن شيخه الولي أبي الحجاج يوسف ابن عيسى الشريف الفجيجي[2] وهو من أصحاب الشيخ الغزواني والشيخ بن عيسى والحطاب المكي[3] وغيرهم انتهى.

---

[1]- محمد بن عبد الرحمن الوزروالي:المعروف بابن الفقير توفي بمكة بعد الألف صاحب شمس القلوب لكل محبوب.عبد السلام بن سودة دليل مؤرخ المغرب الأقصى.دار الفكر للطباعة والنشر،1418هـ-1997م.ص 162.

[2]- الشيخ الكبير والولي الصالح ممن لقاه صاحب الدوحة عام 955هـ أخذ عن الغزواني وعيسى الفهدي والشيخ الحطاب بمكة ذهب إلى مكة حاجا ومكث 16 سنة ثم عاد وسافر من جديد إلى المشرق وبلغ مكة ولم تدرى سنة وفاته.دوحة الناشر،ص 3.

[3]- الحطاب المكي:محمد بن عبد الرحمن بن حسين الرعيني المالكي الأندلسي الأصل قدم مكة مع عائلته،أخذ عن محمد الفاسي وزروق والسخاوي كان حيا 944هـ.طبقات الحضيكي،ج1،ص 278.

ثم ذكرما يصحح كيفية الإتصال المذكور من الشيوخ كهؤلاء الذين ذكرنا، ثم ذكر كلاما بعد هذا حاصله: أن الأشياخ المتقدمين المذكورين في السلسلة منهم من لم يعثر لهم على تعريف يكشف عن أسمائهم ونسبهم وغير ذلك مما يحصل المعرفة التامة والشهرة البينة. قال الشيخ أبو العباس أبن الشيخ أبي المحاسن الفاسي ، هكذا رأيت هذا السند عند فقراء العصر وشيوخهم الذين في معد أشياخنا وأشياخ أشياخنا ،كالشيخ أبي الحسن علي بن محمد صالح الأندلسي في ما رأيته بخطه ،إلا أنه قال عن الإمام القرافي ولم يسمه ولم أر عندهم غيره ولست أعرف من هؤلاء الأشياخ أحدا سوى الشيخ أبي عبد الله أمغار ، فلم نزل نسمع أنه لقيه الشيخ أبو عبد الله الجزولي ببلد دكالة وأخذ عنه ، وكثيرا ما يذكرونه باسم الشيخ في بعض ما جمع عنه من الكلام والمناقب.

وأما الإمام القرافي فلا أعلم هل هو العالم المتبحر صاحب الذخيرة والقواعد وشرح الأربعين وشرح المحصول وغيرهاوالتاريخ يقبله إن كانهو المراد وأما المغربي،فما نجد له ذكرا في "لطائف المنن"[1] وكتاب ابن الصباغ[2]وكتاب السيد الشريف أبي محمد عبد النور[3]، ولا شك أنهم لم يستوفوا ذكر أصحاب الشيخ أبي الحسن ،وقد تخرج في المغرب رجال من الصديقين و الأولياء ثم ارتحل إلى مصر وأخذ منه عالم من الناس ، وقال رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا علي انتقل إلى الديار المصرية ، تربي بها أربعين صديقا ولم نذكر هذا العدد من أصحابه ولا ما يقرب منه، فلعل المغربي من الذين لم يذكروه انتهى كلام أبي العباس ابن الشيخ أبي المحاسن .

ثم قال وفي دوحة الناشر أن أبا زيد عبد الرحمن الرجراجي المذكور في السلسلة، هو معروف عند العامة بأبي زيد وإلياس وقبره بوادي شفشاوة وقد انتهى مقامه إلى القطبانية انتهى . وحاصل ما تقدم في معرفة الأشياخ أن الشيخ أبا عبد الله أمغار معروف من أهل رباط تيط وهو عين الفطر وهو مذكور مشهور والشيخ عبد الرحمن الرجراجي ذكره صاحب الدوحة ابن عسكر معرفا به،وأبو العباس الفاسي توقف في القرافي ولم يقف على ذكر للمغربي وباقي الأشياخ مسكوت عليهم ولم يذكروا له تعريفا وليس في ذلك قدح يدخل الشك في الاتصال المذكور وبل اتصال الشيخ الجزولي وأتباعه متحقق مقطوع به .

قال أبو العباس أحمد بن موسى المرابي في التحفة بعدما ذكر الشيخ الجزولي والشيخ عبد العزيز التباع، والشيخ الجزولي، اعلم أن لاشك في تحقق نسبة هؤلاء الأئمة إلى الإمام الشاذلي وطريقته بل نقطع بذلك قطعا لا يتصور

[1]- لطائف المننفي مناقب المرسي وأبي الحسن،لابن عطاء الله السكندري.

[2]- كتاب ابن الصباغ هو :درة الأسرار وتحفة الأبرار في مناقب الإمام الشاذلي.

[3]- سبقت ترجمته توفي خلال القرن 8 هـ.سلوة الأنفاس،ج2،ص51.وجذوة الاقتباس،ج2،ص685.

معه ريب أصلا وإنما خفي علينا أعيان المشايخ بعد وكيفية الاتصال به لكن ليس هذا الخفاء بالذي يوجب تغييرا في مذهب أو تكدير المشرب،وسأتلو عليك من ذلك نبأ يسهل عليك من خطبه و يجلوا عليك نقاب ريبه ثم ذكر الأشياخ التي في السلسلة، وقد ذكر صاحب ممتع الأسماع[1]أن الشيخ سيدي عبد الله الغزواني ذكر في جواب له نظما ونثرا أن الشيخ الجزولي أخذ عن سيدي عبد العزيز العجمي بالجامع الأزهري من مصر عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه.

قال ولا مانع أن يتصل به من كلا الطريقتين لكن قال صاحب المرآة أن التاريخ يأبى أن تكون الواسطة بينهما رجلا واحدا، فإن الشيخ الجزولي توفي سنة سبعين وثمانمائة والشيخ الشاذلي توفي سنة ست وخمسين وستمائة،وقال أخوه أبو العباس هذه الطريق لا تخلو من انقطاع لبعد ما بين العجمي والشاذلي.

قلت وهذا الاختلاف الذي ترى لا يدخل ريب في اتصال السند المذكور بالشاذلي بل هو مقطوع به مشهور معلوم في سائر الأعصار والدهور كما تقدم، وهنا انتهى الكلام على طريقة الشيخ الجزولي ولم نقف في ذلك على من عرف ما ذكر تعريفا واضحا حتى يذكر الأشياخ،وأنسابهم وكيفية الأخذ واللقاء وغير ذلك مما يذكرفي مثل هذا وقد تكلم على شيء من ذلك صاحب الدوحة وأبو العباس المرابي صاحب التحفة، والشيخ القصار والشيخ علي بن محمد صالح الأندلسي وأبو العباس أحمد بابا السوداني[2] وممنأتى بعدهم كالشيخ أبي عبد الله العربي[3] صاحب المرآة وصاحب ممتع الأسماع ولكن لم يستوعبوا تلك الأخبار ولم ينقلواجميع ما وقع ولكن جازاهمالله خيرا على ما نقلوا وأورثهم فسيح جناتهعلى ما فعلوا ولولا ما خلدوا وقيدوا ولتنوسي ما قالوا فالله يجزل أجرهم على جميل صنيعهم ونحن معهم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

فصل في ذكر شيء من مناقب الشيخ أبي الحسن الشاذلي ونسبه ومدح طريقته رضي الله عنه ونفعنا به:

وهو الإمام الفاضل الشيخ الكامل الوارث الجامع الغوث المانع أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين،هكذا وجدت هذا النسب المذكور بخط سيدي رضي الله

[1]- هو أبو عيسى مهدي بن أحمد الفاسي الفهري وكتابه: ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع.

[2]- صاحب نيل الابتهاج وكفاية المحتاج،أبي العباس أحمد بابا السوداني توفي 1036هـ.الاستقصاء،ج5،ص 129.

[3]- أبو حامد العربي صاحب المرآة،(988-1052هـ) المرآة،صص39-225.

عنه[1] وهو الذي مشى عليه البوصيري في داليته التي جعل في مدح الشيخ أبي العباس المرسي ومدح شيخه أبي الحسن الشاذلي وسيأتي ذكره إن شاء الله.ونسب إلى شاذلة[2] لأنه كان يتعبد فيها وليس منها كما توهم صاحب القاموس[3] ومولده بغمارة وشيخه[4] محمد سيدي عبد السلام بن مشيش تداركنا الله برضاهما وكان من خبر لقياه معه أنه لما دخل العراق وفيه اجتمع مع الشيخ الصالح أبو الفتح الواسطي[5]اشتغل يفتش على القطب ويطلبه، فقال له بعض الأولياء تطلب القطب بالعراق وهو ببلدك ارجع إلى بلدك تجده، فرجع إلى بلاد المغرب فاجتمع بأستاذه الشيخ الولي العارف الصديق القطب الغوث أبي محمد عبد السلام بن مشيش الشريف الحسني رضي الله عنه ونفعنابه .

قال رحمه الله :لماقدمت عليه وهو ساكن بمغارة في رابطة في رأس الجبل، اغتسلت في عين في أسفل ذلك الجبل وخرجت عن علمي وعن عملي وطلعت عليه فقيرا و إذا به هابط إلي وعليه مرقعة[6] وعلى رأسه قلنسوة من خوص،فقال لي ياعلي بن عبد الله بن عبد الجبار فذكر نسبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعلي طلعت إلينا فقيرا عن علمك وعملك فأخذت من اعز الدنيا والآخرة.قال رحمه الله فأخذني منه الدهش وأقمت عنده أياما إلى أن فتح الله على بصيرتي ورأيت له خرق العادات منها، أني كنت عنده جالسا بين يديه وفي حجره ابن له صغير يلعب، فخطر ببالي أن أسأله عن اسم الله الأعظم قال فقام إلي الولد ورمى بيده في طوقي[7] وهزني وقال لي يا أبا الحسن أنت أردت أن تسأل الشيخ عن اسم الله الأعظم قال إنما الشأن أن تكون أنت هو اسم الله الأعظم يعني أن سر اسم الله الأعظم مودع في قلبك .

قال فتبسم الشيخ وقال جاوبك عني فلان وكان إذ ذاك قطب الزمان، ثم قال لي يا علي ارتحل إلى إفريقية واسكن ببلد بها تسمى شاذلة فإن الله تعالى يسميك الشاذلي وبعد ذلك تنتقل إلى مدينة تونس ويؤتى عليك من

---

[1]- يقصد به شيخ المؤلف أبو محمد صالح الشرقي.

[2]- شاذلة قرية قرب تونس،اليافعي :مرآة الجنان.ج4،ص 111.

[3]- الفيروزآبادي صاحب القاموس المحيط.وقد نسبه إلى متصوف الاسكندرية.11، ص1018.

[4]- غمارةإسم دال على حلف قبلي، تابع لبربر مصمودة تمتد من المتوسط شمالا وبوغاز جبل طارق غربا وبادس شرقا وبسائط الغرب وورغة جنوبا.معلمة المغرب.ج19،ص 6358.

[5]- أبو الفتح الواسطي: شيخ مشايخ البلد الغربية بمصر المحروسة من أصحاب أحمد الرفاعي سافر إلى الإسكندرية وتوفي بها سنة 580هـ.الشعراني:الطبقات الكبرى.ج1،ص171.

[6]- المرقعة:لباس من شعار المتصوفة وهو جامع لكل مقامات الطريق والفقر والصفوة، والخروج من هذا الثوب والتبرؤ منه تبرؤ من الكل ويلبس بداية من مقام الزهد .رفيق العجم:موسوعة مصطلحات التصوف.ص874.

[7]- الطوق:حبل يلف على العنق وكل شيء استدار فهو طوق.العين،ج5،ص193.

قبل السلطان وبعد ذلك تنتقل إلى الديار المصرية وبها ترث القطبانية، قلت يا سيدي أوصيني فقال لي يا علي الله الله، والناس الناس، نزه لسانك عن ذكرهم وقلبك عن التماثيل من قبلهم وعليك بحفظ الجوارح وأداء الفرائض وقد تمت ولاية الله عندك ولا تذكرهم إلا بواجب حق الله عليك وقد تم ورعك وقل اللهم أرحني من ذكرهم ومن العوارض من قبلهم ونجني من شرورهم واغنني بخيرك عن خيرهم وتولني بالخصوصية من بينهم إنك على كل شيء قدير .ثم توجه رضي الله عنه إلى وجهته ودخل إلى البلاد التي ذكر له الشيخ ووقع له ما أخبره فكان من أخباره.

ومن كراماته التي ظهرت له لما دخل أخر إفريقية عن أمر أستاذه وفي توجهه إلى شاذلة قال: أتيت ليلة إلى غار لأبيت فيه فسمعت حس رجل فقلت والله لا أشوش عليه في هذا الليل فبت على فم الغار فلما كان عند السحور سمعته يقول "اللهم إن قوما سألوك إقبال الخلق عليهم وتسخيرهم لهم اللهم إني أسألك إعراضهم عني واعوجاجهم علي حتى لايكون ملجأي إلا إليك.

ولما توجه إلى شاذلة مرب مصلى العيدين من خارجها،فلقيه حطاب من أهل شاذلة فخرج معه متوجها إليها،فنسي الحطاب حاجة في السوق فرجع قاصدا إليها وترك الحمار عنده فلما توجه قال هذا رجل غريب، يهرب لي بالحمار وأبقي في عدمه،فناداه الشيخ فرجع إليه وقال،يابني خذ حمارك معك وأنتظرك حتى تعود إلي لئلا أهرب لك بالحمار وتبقى في عدمه،فناداه ،قال فبكى الحطّاب وقال والله ماأطلع على هذا إلا الله فعلم بولايته،فجعل يقبل يديه ويسأله الدعاء، ثم أنصرف لحاجته وعاد إليه فحلف له أن يركب الحمار فركبه وأردفه خلفه وقال والله ماكان الحمار يحملني إلا بعد جهد لضعفه وقلة علفه، قال ومشينا قدر الميل وإذا بالشيخ نزل وإذا نحن على الساقية بطرف شاذلة قال فأخذني الدهش ثم لحجت عليه وقلت له ياسيدي أنا مبتلى بالفاقة أحتطب الحطب فأبيعه فما أهل إلى القوت إلا بعد جهد .وكان في طرفي شعير اشتريته بقصد قوت العيال وعلف الحمار فقال لي، هات ذلك الشعير فحللت طرفي فأدخل يده وقال لي اجعله في قفة وأغلق عليه وأدخل يدك فيه وكل منه،مابقيت أن تشتكي بالفاقة أبدا ،أسأل الله أن يغنيك ويغني ذريتك فلم يرى من ذريته فقيرا ،قال وجعلت أدخل يدي وأخرج وأتصرف وحرثت على الحمار وزرعت منه ووجدت صابة كثيرة وحللت عليه وكيلته فوجدته على نحو ماكان فلما دخلت عليه قال لي لولم تحله لأكلتم منه مادام عندكم.

قلت وفي حكاية هذا الرجل أربع كرامات ظهرت له مع الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه، أحدها إخباره بما حدث به نفسه وما وقع له والثاني طي الأرض وانزوائها له حتى بلغ شاذلة في أقرب ساعة والثالث إجابة دعاء الشيخ في هذا الرجل ونفي الفقر عنه والرابع :وضع البركة في الزرع ونموه له،وكل هذا من بركة هذا الشيخ رضي الله

عنه ونفعنا به،ومن كرامته التي ظهرت له لما دخل شاذلة أنه كان يقرأ يوما على جبل يقال له غزوان سورة الأنعام إلى أن بلغ قوله تعالى {وإن تعدل كل عدل لايؤخذ منها[1]}فأصابه حال عظيم وجعل يكررها ويتحرك ،فكلما مال إلى جهة مال الجبل نحوها حتى سكن فسكن الجبل.

ومنها ماحدث به تلميذه الشيخ أبوعبدالله بن سلامة[2] وهو أول من صحبه بشاذلة وكان يتعبد معه وقتا طويلا في جبل غزوان، قال رضي الله عنه أقمت مع الشيخ بجبل غزوان أربعين يوما أفطر على العشب وورق الدفلى حتى تقرحت أشداقنا، فقال لي ياعبد الله كأنك اشتهيت الطعام ،فقلت ياسيدي نظري إليك يغنيني عنه ،فقال غدا إن شاء الله نهبط إلى شاذلة وتلقانا في الطريق كرامة،قال فهبطنا من صبيحة الغد فلما هبطنا في وطأالأرض،قال لي يا عبد الله إذا خرجت عن الطريق فلا تتبعني ،قال فأصابه حال عظيم وخرج عن الطريق حتى بعد عني ،فرأيت طيورا،قدر البلارج نزلت من السماء وصفت على رأسه ،ثم جاء على كل واحد منها يحدثه ثم طار طيور منهم على قدر الخطاطيف وهي تحف به منالأرض إلى عنان السماء وتطوف حوله ،ثم غابت عني فرجع الي وقال لي ياعبد الله هل رأيت شيئا .فأخبرته بما رأيت فقال لي :أما أشكال الخطاطيف فأرواح الأولياء أتوا إلينا يتبركون بقدومنا ،وأما الطير الذي وقع منقاره في فمي .فهو الملك عبدوس صاحب فلك القمر سألني علما يختص به،وأقام رضي الله عنه بجبل غزوان زمانا طويلا وانبع الله عينا تجري ماءعذب وله هناك مغارة كان يسكنها ،ويسمع من أسفل الجبل الأذان عندها فلا يوجد فيها أحد، يعمرها أصحابها من الجن المؤمن .

قال رضي الله عنه قيل لي يا علي اهبط إلى الناس ينتفعون بك ،فقلت يارب اقلني من الناس فلا طاقة لي بمخالطتهم[3] فقيل لي انزل فقد أصحبناك السلامة ورفعنا عنك الملامة ،فقلت يارب تكلني إلى الناس آكل من دريهماتهم فقيل لي،انفق ياعلي فانا الملي إن شئت من الجيب وان شئت من الغيب ،فدخل إلى مدينة تونس وسكن بها مسجد البلاط وصحبه جماعة من الفضلاء بها رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم آمين،ولمااستقر بتونس

---

[1]- الأنعام 70.

[2]- في درة الأسرار لابن الصباغ،عبد الله بن سلامة الحبيبي.ص26.

[3]- لم يذكر الشيخ من كان يكلمه واسطة عن الله عز وجل،أم كان يكلمه مباشرة؟ ولم يحدث ذالك إلا لموسى بن عمران عليه السلام فيما أعلم فحتى نبينا صلى الله عليه وسلم لم يكلمه الله مباشرة.وهل أصبح ذالك وحيا؟

وقع له مع السلطان أبي زكريا[1] ماوقع له كما خبره به الشيخ أبومحمد عبد السلام ،والذي وشى به القاضي ابن البرا[2]،فنجاه الله منه .

ومن تونس توجه رضي الله عنه إلى الديار المصرية قال رضي الله عنه ،رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام،فقال لي يا علي انتقل إلى الديار المصرية ،تربى بها أربعين صديقا وكان في زمن الصيف وشدة الحر ،فقلت له يارسول الله الحر شديد فقال لي إن الغمام تضلكم ،فقلت له أخاف العطش فقال أن السماء تمطركم في كل يوم ،وقال فوعدني في طريقي سبعين كرامة.

وبالديار المصرية ورث القطبانية كما أخبره بها الشيخ ،قال أبو علي السطاط ،وكان قد التقى مع الشيخ أبي الحسن في تلك السفرة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرني بأن القطب كان بالديار المصرية ومات البارحة ،وأخلفني بأبي الحسن ،قال أبو علي ،فبايعته بيعة القطبانية . وبالجملة فأخباره رضي الله عنه ونفعنا به كثيرة ومناقبه مشهورة وكلامه قد طرزت به الدفاتر واعتمدته الأئمة الأكابر الأجلة المشاهر وصار لديهم هو المعول ،ومنه تستفيد وتنقل وفيما ذكرناه من أخباره كفاية لأن غرضنا التبرك و أن لايخلوا هذا الخبر من أخباره،ومن أراد استيفاء ذلك فليطالعه في محله وكانت وفاته رضي الله عنه سنة ستة وخمسين وستمائة وهوابن ثلاث وستين سنة .

وكان من خبر موته كما ذكره تلميذه أبوسلطان ماضي[3] قال لما توجه الشيخ في سفره الذي توفي فيه كنت تزوجت امرأة من الإسكندرية ،وكانت حاملا فجعلت تبكي وتقول كيف تتركني على ولادة وتسافر عني قال فأخبرت الشيخ بذلك فقال لي أدعها إلي ،فأتيت بها إليه فلما دخلت قال لها يا أم عبد الدائم أترك لي ماضي يسافر معي ،وأرجوا لك من الله خيرا،فقالت له السمع والطاعة ياسيدي فدعا لها بخير وانصرفت فولدت ولدا ذكرا ونحن مسافرون فسمته عبد الدائم ،قال فما تجهزنا للسفر قال احملوا معكم فأسا ومسحاة فإن توفي من أحد وارايناه التراب قال ولم تكن له بذلك عادة متقدمة في جميع ماسافرت معه فكان ذلك إشارة إلى وفاته.

[1]- أبو زكريا يحي الحفصي:(599-647هـ) مؤسس الدولة الحفصية،ولد بمراكش وبويع عام 625هـ.محمد بن الشماع الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية.تح الطاهر بن محمد المعموري،الدار العربية للكتاب،1984.ص ص،54-60.

[2]- ابن البرا أبو القاسم بن علي بن عبد العزيز التنوخي(580-677هـ). قاضي الجماعة الإمام الهمام أحد علماء الإسلامتوفي بتونس. مخلوف:شجرة،ج1،ص 191.

[3]- أحد أصحاب الشيخ أبي الحسن.ابن عطاء الله السكندري،لطائف المنن فيمناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن.تح محمد بن علي بن الحسن،مكتبة القاهرة.1425هـ-2004م،ط3،ص 63.

ويقال أن الشيخ لما كان بالديار المصرية قال يارب أسكني ببلاد القطب أدفن بينهم حتى يختلط لحمي بلحمهم وعظمي بعظمهم فقال لي ياعلي بل تدفن في أرض ماعصي الله عليها قط ،فرحل إلى حميرة[1] وبها توفي ومرض بالطريق رضي الله عنه ونفعنا به.

وقال رضي الله عنه :لما مرضت قلت: إلهي متى يكون اللقاء، فقيل لي ياعلي إذا وصلت حميرة فحينئذ يكون اللقاء ،وقال رأيت كأني أدفن إلى ذيل جبل بإزائه عين قليلة الماء مالحة فيكثر ماؤها ويعذب انتهى اللهم ياسيدي ويامولاي جد علينا وتفضل بحقه عندك بحق جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ،قلت وفضله رضي الله عنه أعظم من أن يذكر وأكثر من أن يحصر تكل عنه الألسنة والأقلام وتضيف عنه بطون الدفاتر وصدور الأعلام وحاله رضي الله عنه أوضح من نار علي علم ،قد طرزت الكتب والدفاتر وزينت بمآثره الألسنة والأقلام والصحف والمحابر وطريقه رضي الله عنه تقديمها على الطرق ظاهر وفضلها ليس ينكره جاهل أو ناكر ،وتقدم قول الشيخ على بن محمد صالح الأندلسي ليس في الوجود أملا من طريقتين ،طريقة سيدي عبد القادر الجيلاني وطريقة سيدي أبي الحسن الشاذلي تداركنا الله برضاهما وقال، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شيخ مولانا علي ومولانا علي الشيخ الطريقة الشاذلية.

وقال الجلال السيوطي:وطريق الشاذلي أحسن الطرق في التصوف ثم قال ،وقال تاج الدين ابن السبكي في كتابه "جمع الجوامع": وإن طريقة الشيخ الجنيد وصحبه طريق مقوم ،وماأحسن قول إبن وفا رحمه الله:

تمسك بنهج الشاذلية تـلق ما تروم فحقق ذا الرجا وحصل

ولاتعدو عيناك عنهم فإنهم شموس هدى فـي أعين المتأمل

قلت والى مدحه وشرف طريقته وذكر نسبه أشار البوصيري رحمه الله في الدالية بقوله:

وأسمع مدائح آل بيت المصطفى مني ودونك جمعها فـي مفرد

صنو النبي أخو النبي ووزيـره ووليه فـي كل خطب مـؤيد

جد الإمام الشاذلي ،الـمنتمي شـرفا إلـيه بسيد عن سيد

أسماؤهم عشرون دون ثلاثـة جاءت على نسق كأحرف أبجد

---

[1]- لعلها حميثرا وهي منطقة بصعيد مصر في صحراء عيذاب.ابن بطوطة:رحلة ابن بطوطة.ج1،187.

لعلي الحسن أنتما فـــــمحمد	عيسى وسر محمد في أحمد
وأختار بطال الورد يـــــوشعا	وليوسف وفـــــي قصد يقتد
وبخاتم ختمت ســـــيادة هرمز	وغدا تميم للمكارم يــــهتد
وبعبد جبار السماوات اقتـضى	للفضل عبد الله بن مـــــهند
وأتى علي فـــــي العلا يتلوهم	فأختم به سور العلا والـسؤدد
أعني أبي الحسن الإمام المجتبي	ابن هاشم والشاذلي الـــمولد[1]

. فهذا نسبه رضي الله عنه وهو الذي قدمت أوَلا ووعدنا بذكره عن البوصيري وأشار إلى مدح طريقته رضي الله عنه فقال:

إن الإمـــام الشاذلـــي طـــــريقه	فـــــي الفضل واضحة لعين المقتد
فأنــــــقل ولـــو قدما على آثاره	فــــإذا فعلت فذلك أخذ بــــاليد
واسلك طـــــــريق مـــــحمدي	شــــرعة وحـــقيقة ومحمد المـحتد
من كـــــــل ناحية سناه يـــــلوح	مــــــن مــــصباح نـــور نبوة متوقد
فتــــــح أتـــــى طوفانه بمعارف	تــــــنورها جـــــــودي كل موحد
وقـــــد نال غاية مايـروم المنتهي	مـــــن ربـــــه وله اجتهاد الــمبتد
متمكن فـــــي كل مشهد دهـــشة	أو وقـــــــفة ما فوقها من مـــشهد
من لامــــــقام لـــــه فإن كماله	فـــــــي الناس يرجعه رجوع مـــقلد
قل للمحاول فـــي الدنو مـــقامه	مــــــالعبد عنـــــد الله كالـــمتعبد
والفــــضل ليس يناله متــــــوسل	بــــــتورع حــــــرج ولا بتـــــــزهد

[1]- بل كان مولده ببلاد غمارة.

إذ قـــال ذاك هو الدواء فـــقل له	كحل الصحيح خلاف كحل الأرمد
يمشي المصرف حيث شاء وغـيره	يمشي بـــحكم الـحجر مشي مصفد
من كان منك مبصر وبـــــمسمع	أتـــخال منه على حـــديث مسند
لكليهما الـــحسن وإن لم يستووا	رتبــــة وقــد استووا في الـــموعد
كـــل بـــما شاء الإله مـــيسر	فـــــالناس مابين مـــقرب ومبعد
وإذا تحـــققت الـعناية فأسترح	وإذا تـــحققت العناية فـــاجهد
افـــــدي عــــليا بالوجود وكلنا	بوجوده مـــن كل سوء يـــفتد
قـــطب الزمان وغـــوثه وإمامه	عين الوجود[1] ولسان سر الـموجد
ســاد الرجال فقصرت عن شأوه	هـــــمم المآرب للعلى والمسرد[2]
فتـــــــلق مايلقى إليك فنطقه	نــــطق بـــروح القدس[3] إلى مؤيد
فإذا مررت على مكان ضـريحه	وشممت ريـــح الند من ترب ند
ونزلت أرضا فـــي العلا مخضرة	مخـــضلة منها بـــــقاع الفرقد[4]
والـــوحش آمنة كـــأنها حشرت	إلـــــى حــــرم بـأول مسجد
ووجدت تعظيما بقلبك لو سرى	فـــي جلمد سجد الورى للجلمد[5]
فقل السلام عليك يا بـــحر الندا	الطامي[1] ويا بـــحر العلوم الـــمزبد

[1]- عين الوجود هو الإنسان الكامل المتحقق بحقيقة البرزخية الكبرى لأن الله ينظر بنظره إلى العالم فيرحمه بالوجود.الكاشاني: مصطلحات الصوفية.ص 105.

[2]- المسرد:اللسان. المعجم الوسيط.ج1. 426.

[3]- روح القدس:هو المعبر عنه بالعقل الفعال وهو نور إلهي مجرد وهو الروح المقدس عن النقائص الكونية والمعبر عنه بالوجه الإلهي للمخلوقات. رفيق العجم:موسوعة مصطلحات التصوف.ص 423.

[4]- الفرقد:النجم الذي يهتدى به.تاج العروس،ج8،ص 491.

[5]- الجلمد: الصخر.لسان العرب،ج3،ص 129.

يا وارثا بـــــالفرض عـــــلم نبيه   شـــرفا وبـــــالتعصيب غير مفند

انتهى ويكفيك من فضله ومدده الساري ومن علوم فيضه النوراني وتشعشع أنواره في سائر البلدان وشروقها في أقاليم المغرب والمشارق كالقمران وإزالة ظلمات الأحزان ،وكدرات الأكوان، وحوامه على مرور الأزمان وإجلاؤه الدياجي من الأذهان،ما تخرجت على يديه من الأقطاب وما أنجب من التلامذة والأصحاب ،وما ثبت من العلوم في صدور أولى الألباب، وما كتبت في بطون الدفاتر من كلامه أيد الكتاب، وما طرزت بكلامه التآليف العجيبة والمسائل الغريبة وما نقلت الأئمة من مآثره الفائقة، وأخباره الرائقة وأنبائه الصادقة، وما خلف من أجلة المشايخ الأطواد الشوامخ، وما تفرع من نوره اللامع وفجره الساطع ،فهو اشتهر في الغرب أشهر الاشتهار وانتشر أي انتشار، وبعد ذاك انتقل إلى المشرق يسقي المدام ويربي من سبقت له العناية من خالق الأنام .

ومن كرائمه التي هي كالبحر الزاخر وعدد الرمل والنجوم الزواهر قال رضي الله عنه، أطلعني الله عز وجل على اللوح المحفوظ، فلو لا التأديب مع جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقلت هذا سعيد وهذا شقي، نقل ذلك صاحب الكواكب الزاهرة، ويكفيك أيضا ما شوهد في وارثه الولي الصالح القطب الناهج سراج الطريقة ومصباح الشريعة والحقيقة وما نقلت الأئمة من فيضه الملآن المزيل خلة الجائع والضمآن واعتمدته صدور الجماهر، وأثبتته في صفائح الدفاتر وجعلته من كنوز الذخائر، منه البدء واليه العود في الأوائل والأواخر شمس القلوب الصافية وشفاء الأفكار الصافية أبي العباس المرسي رضي الله عنه.[2]

وكان من خبر لقياه معه أن الشيخ لما سكن تونس ووقع فيها ما وقع مع ابن البرا، ارتحل منها ثم رجع فقدم عليه أبو العباس المرسي هناك من بلاد الأندلس وهو إذ ذاك شاب، وكان أخوه أبو محمد بالديار المصرية مؤدبا يعلم الأولادبالإسكندرية،فلما اجتمع الشيخ به ورآه قال ماردني إلى تونس إلا هذا الشاب فرباه وأوضح له طريق السلوك ثم سافر الشيخ منها كما تقدم فكان ذلك الشيخ سيدي أبا العباس المرسي حجة الله في أرضه وآية بين خلقه.

قال : رضي الله عنه ونفعنا ببركاته صليت خلف سيدي أبي الحسن رضي الله عنه صلاة الصبح فقرأ سورة الشورى فبلغ إلى قوله تعالى { يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناو إناثاويجعل من

---

[1]- الطامي: الغزير.تاج العروس،ج38، 508.

[2]- أبو العباس المرسي الأندلسي :وارث الشاذلي وتلميذه توفي بالاسكندرية ودفن بها عام 686هـ.الحسن بن محمد الكوهن الفاسي:طبقات الشاذلية الكبرى.دار الكتب العلمية، بيروت.1426هـ-2004م،ط2،صص،61-64.

يشاء عقيما إنه عليم قدير }[1]فوقع في نفسي شيء من ذلك من طريق المعنى، فلما سلم الشيخ من الصلاة قال يا أبا العباس {يهب لمن يشاء إناثا } العبادات والمعاملات {ويهب لمن يشاء ذكورا } الأحوال والعلوم والمقامات {أو يزوجهم ذكران وإناثا} يجمع ذاك فيمن يشاء من عباده ويجعل من يشاء عقيما بلا علم ولا عمل ثم قال والله ما هجس في خاطر أحد شيء في تلك الصلاة إلا وقد أطلعني الله عليه.

ويحكى أن الشيخ أبا الحسن لما قربت وفاته أوصى أصحابه فكان من جملة وصيته لهم أن قال لهم ،عليكم بحزب البحر وقال لهم حفظوه لأولادكم فإن فيه اسم الله الأعظم، وخلى بسيدي أبي العباس المرسي وحده وأوصاه بأشياء اختصه بها فيما خصه الله به من البركات. وقال لأصحابه إذا أنا مت فعليكم بأبي العباس فإنه الخليفة من بعدي وسيكون له بينكم مقام عظيم وهو باب من أبواب الله سبحانه والشيخ أبو العباس هو الذي غسل الشيخ أبا الحسن وصلى عليه رضي الله عن جميعهم ونفعنا بهم وإلى مدحه أشار البوصيري:

شرف لمرسية رست فأسـاسها   بعلا أبي العباس فوق الـفرقد

وليهن أحـــمد كيمياء سعادة   ضحت فلا نار عليها تــعتد

جعلته لم ير للحقيقة طــــالبا   لايمد إليه راحة مــــحتد[2]

ألــــفاظه مـــبذولة بذل الحيا   ومصونة صون العذارى الخرد[3]

كل يــــروح بشرب راح علومه   طربا كغصن البانة[4] الـمتأود[5]

خمر الوقار لها اعــتدال مزاجها   فــــشرابها لا ينبغي لـمعربد

فضحت معارفها معارف غيرها   والزيف مـفضوح بنقد الجيد

كشفت له الأسماء عن أسرارها   فـــإذا الوجود لمقلتيه بمرصد

وقال أيضا :

---

[1]- الشورى 49-50.

[2]- محتد:إحتد فهو محتد إذا غضب. تاج العروس:ج8،ص 10.

[3]- الخرد جمع خريدة وهي اللؤلؤة التي لم تثقب.تاج العروس.ج8،ص56

[4]- البانة:شجرة لها ثمر يصنع منها الطيب.لسان العرب.ج13،ص70.

[5]- المتأود :المرتفع. علي بن سيده المرسي :المخصص.تح خليل ابراهيم جفال،دار إحياء التراث العربي بيروت،1416هـ،1997م،ج3،ص 123

أفنته في التوحيد هـــمة ماجد   سدت مقاصدها عن الـــمتشيد

ساحت رجال في القفار وإنه   يسيح في الملكوت طرف مسهد[1]

وله سرائر فـــي العلا خطارة   خطارها وركابـــــها لم تشدد

وانظر إلى تلميذه الشيخ الكامل العارف الواصل الإمام المحقق الهمام المدقق صدر أهل هذا الشأن وصدر الأكابر الأعيان وشمس العرفان الساطعة على مر الأزمان الولي أبي الفضل، تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري[1] رحمه الله ونفعنا به فقد كان من الأئمة الأكابر وقطب الفضلاء الأخاير عين أعيان الحقيقة وطود فضلاء الطريقة، قد استولى على قصب السبق وسار كالشمس في الغرب والشرق قد أتى فيها بالتآليف العديدة والتقاييد المفيدة وانتفع بها في جميع البلاد فضلاء العباد.

فتبين لك مصداق دعوة شيخه أبي العباس رضي الله عنه وإظهار مزية فضله وقدره فإنه حكى في لطائف المنن أنه قال: قلت لبعض أصحاب الشيخ يعني أبي العباس، أريد لو نظر إلي الشيخ برعايته وجعلني في خاطره فقال ذلك للشيخ، فلما دخلت على الشيخ رضي الله عنه قال : لا تطلبوا أن تكونوا في خاطر الشيخ بل أطلبوا أن يكون الشيخ في خاطركم فعلى مقدار ما يكون عندكم تكونون عنده،ثم قال لي أي شيء تريد أن تكون والله ليكونن لك شأن عظيم والله ليكونن لك كذا لم أثبت منه إلا على قوله ليكونن لك شأن عظيم، قال فكان من فعل الله سبحانه وتعالى ما لا أنكره .

قال : وأخبرني سيدنا جمال الدين ولد الشيخ، قال قلت للشيخ هم يريدون أن يصدر ابن عطاء الله[2] في الفقه، فقال الشيخ هم يريدون أن يصدرونه في الفقه،وأنا أريد أن أصدره في التصوف. وقال دخلت عليه،فقال إذا عوفي الفقيه ناصر الدين نجلسك في موضع جدك ويجلس الفقيه من ناحية، وتتكلم إن شاء الله في العلمين فكان كما أخبربه رضي الله عنه، قال وجاء يوما من السفر فخرجنا للقائه فلما سلمت عليه قال يا أحمد كان الله لك ولطف بك وسلك بك سبيل أوليائه، وبهاك بين خلقه، قال فلقد وجدت بركة هذا الدعاء وعلمت أنه لا يمكنني الانقطاع عن الخلق وإني مراد لهم لقوله : وبهاك بين خلقه،إلى غير هذا مما ساقه في الكتاب المذكور.

---

[1]- مسهد:قليل النوم.تاج العروس ج8، ص238.

[2]- ابن عطاء الله السكندري توفي 709. عبد الرؤوف المناوي:طبقات المناوي الكبرى. تح عبد الحميد صالح حمدان المكتبة الأزهرية للتراث، ج3،ص75.

وبالجملة فهذا الولي أبو الحسن رضي الله عنه، مدده هو الساري في أرباب القلوب الصافية والمعارف السامية والأحوال المستقيمة وهو الأصل للسر الرباني والعلم اللدني والنور الرباني قد أحيا الله ذلك على يده، فجرد أساسه واصل بنيانه ودعم قواعده فتوارثته الأفاضل عن الجماهر والأصاغر عن الأكابر وإلى هذا يشير أبو علي لقوله في ممدوحه في داليته رحمه الله .

ســـــر شهادته مشايخ قاده كطوالع الزهر الدراري الموقد

أعظم بأعـلام الهدى إطلاع في سبل المفاز المرشدين الرشد

التائبين الـــعابدين لربـــــهم والـــقانتين الراكعين السجد

والسائحين الحافظين حدوده والآمرين بـــــها النهاة العبد

كل له ضرب بـــــقدح فائح فيها وحمل بـالحديث المسند

شرف يطرز بالنجوم ويستمى فــوق السما على مرور السند

يهدي بـــها هاد رشيد بعدما هـــاد ويحمل سيد عن سيد

فطريقة الشيخ الشاذلي هي الطريقة التي ورث الشيخ الجزولي رضي الله عنهما ،فهو المجدد لها بالمغرب والمؤسس لها والمدعم لقوائمها واتصلت به بصحة التواتر خلف عن سلف إلى زمانه ،ومنه الشيخ سيدي عبد العزيز التباع ومنه إلى السيد الشيخ عبد الله الغزواني ،ومنه إلى هذا القطب الأكبر والغوث الأشهر، فتناهى فيه ذلك السر الرباني وكمل فيه ذلك العلم اللدني فصار الخليفة في وقته والوارث الذي يرجع إليه والقطب الذي منه تمتد الأنوار وتستفاد الأسرار وأشرت إلى هذا في قصيدة في مدح الشيخ سأثبتها إن شاء الله بجملتها في باب الكرائم بقولي :

حاز المواهب كـلها مجموعة مـــن منهج بـــين الأنام معدل

أعني طريقا للإمام المـرتضى العارف الحرار ذاك الجـــحفل[1]

ورث الجزولي محمد المنتمي نسبا لأشمخ ذروة وعـــلا عل

نعم الرجال أولئك الأشيـاخ هم بهم الجليس عن الشقا يحول

[1]- الجحفل:الرجل العظيم القدر.اسماعيل الفارابي:الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،ج4،ص 1652.

ورثوا المحامد كلها من شاذل　　قطب الوجود وغوث كل مؤمل

وغدا ينـــــاول سيدا لسيد　　والفرع وارث أصله الــــمتجمل

حتى أتى سر الملا بجميعه　　لمحمد الشرقي الفياض المـمتل

قد قـــــام بعد أئمة في سنة　　شـــدوا لتلك مآزرا لم تـــــحلل

وبقطبنا كملت معالم شاذل　　فـــــــألتذ بفرد ماله من ممثل

اللهم يا سيدي،يا مولاي يا أكرم الأكرمين توسلنا إليك بهؤلاء الأشياخ المذكورين هنا وبجميع أهل الله كافة وبعين العيون ومعدن السر المصون سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، تفضل علينا وسامحنا وألطف بنا في الدارين ، وأنلنا من فضلهم مانسعد به دنيا وأخرى، اللهم يا منقذ الغرقى بعدما آيسوا أنقذنا من هذه الظلمات ونجنا من جميع الفتن والمحن وأسلك بنا مسالك أوليائك المتقين يا دليل الحائرين دلنا على ما يرضيك وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

الباب الرابع :

في ذكر بعض الكرامات لهذا الشيخ سيدي محمد الشرقي رضي الله عنه

اعلم رحمك الله أن كرائمه شتى لا يأتي عليها حصر ولا يستقصيها عد إذ استيعاب ذلك إنما يكون للمعاصر الملازم الحاضر وأما من أتى بعد وفاة الشيخ بمدة مقدارها مائة سنة وثمانية وعشرون سنة فمن أين له استيعاب ذاك، وإنما أذكر ما انتهى إلينا علمه ووصل خبره وتلقاه واحد عن واحد حتى انتهى إلينا من وراء.

ثم الكرامات الواقعة لأولياء الله تعالى حق واقعة ثابتة بالعقل ومعلومة قطعا قال بها إمام المتكلمين القاضي أبو بكر الباقلاني[1]، وقال المعجزات تختص بالأنبياء والكرامات للأولياء، وقال إمام الحرمين[2] المرضي عندنا تجويز خوارق العادات في معارض الكرامات وذكره أبو حامد[3] رضي الله عنه وقال بها الشهرستاني[4]، قال أمن كرامات الأولياء فجائزة عقلا وواردة سمعا.

ومن أعظم كرامات الله تعالى تيسير أسباب الخير وإجرائه على أيديهم وتعسير أسباب الشر عليهم وحيث ما كان التيسير أكثر كانت الكرامات أوفر .قال تاج الدين ابن السبكي[5] في جمع الجوامع : وكرامات الأولياء حق ولا ينتهون إلى نحو ولد دون والد وقال الضرير في باب إثبات الكرامات من منظومة،

والله يدي اللطف والكـرامة	للطائعين أهل الاسـتقامة
كرامة خـــــــــارقة للعادة	تقضي لهم بصحة العبادة
وإنـما تقضي لهم في الحال	ولا تـــدلهم على المآل
فإنــــه انسلخ مـــن آياته	من كان قـــد أتـــــاه بنياته
وهـــــي من مجوز العقول	لبـــــــعدها عن كل مستحيل

[1]- القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتكلم المشهور كان على مذهب الأشعري وسكن بغداد توفي 403هـ.وفيات الأعيان، ج4،صص269-270. و شمس الدين ابن الغزي:ديوان الإسلام.ج1،ص 243. و ابن قطلوبوغا السودوني:الثقات ممن لم يذكر في الكتب الستة.ج8،ص 351.

[2]- الجويني: عبد الملك بن عبد الله ابن يوسف الجويني أبو المعالي إمام الحرمين من أهل نيسابور.(417-478هـ).البغدادي:تاريخ بغداد وذيوله.ج43،صص43-47.

[3]- أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي،الملقب حجة الإسلام زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي(450-505هـ)،تلميذ الجويني.وفيات الأعيان.ج4،ص 216.

[4]- الشهرستاني تاج الدين محمد بن عبد الكريم العالم صاحب الملل والنحل(479-548هـ).أبو الحسن البيهقي:تاريخ بيهق.دار إقرأ،دمشق،1425هـ،ط1،صص29-30.وأيضا عثمان تقي الدين ابن الصلاح:طبقات الفقهاء الشافعيةتح محي الدين علي نجيب،دار البشائر الإسلامية بيروت،1992،ط1،ج1،ص212.

[5]- قاضي القضاة تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي.توفي 771هـ.الذهبي:سير أعلام النبلاء،ج1،ص 2

وكونها عن معـــجزة مميزة　　إذا التحدي من شروط المعجزة

وفي الكرامات دلـيلي كف　　يـــنبأ مريم وأهـــل الكهف

ولو تتبعنا حديث المصطفى　　وصحـــبه وجدت فيه ماكفى

كشأن أهل الغار وانـطباقه　　وكشـــف ما جرى من انغلاقه

ونـــبأ الصبي إذا نـــطقه　　للــــعابد البـــري من خلقه

ونبـــأ الطعـــام للصديق　　ونبـــأ فـــي التمر للفاروق

وجـــمل لسائر الصحابة　　أهـــل التقى والفضل والـمهابة

وجـــمل كثيرة التفـصيل　　عـــن الأفـــاضل لكل جيل

فما استفاض نـــقله فـي　　المعنــى علمه من كان به يعنى

قلت : وهذه الوقائع والحادثات التي استبدل بها الضرير معلومة مشهورة أما خبر مريم وأهل الكهف فقد أفصح الكتاب بذلك وهما من أقوى الأدلة على ذلك .

قلت وقد جاء فيه غير هذين وأما ما ورد في الحديث كحديث الغار فقد أخرجه البخاري في صحيحه في غير موضع قال: بينما ثلاثة نفر من قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه .فقال الأول اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل على فرق من أرز فذهب وتركه وإني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره إني اشتريت منه بقرا وإني أتاني يطلب أجره،فقلت له اعمد إلى تلك البقر فسقها، فقال إنما لي عندك فروق من أرز فقلت له اعمد إلى تلك البقر فإنه من ذلك الفرق فساقها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذاك من حشيتك ففرج عنا فانساخت[1] عنهم الصخرة.

فقال الآخر اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم فأبطيت عنهما ليلة فجئت وقد رقدوا وأهلي وعيالي يتضاعون من الجوع وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي،كرهت أن

[1]- انساخت:اندفعت واتسعت.ابن الأثير:النهاية في غريب الحديث. ج2،ص 433.

أوقضهما وكرهت أن أدعهما فيسكتا لشربتهما، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساحت عنهم الصخرة نظروا إلى السماء .

فقال الآخر اللهم إن كنت تعلم أنه كانت لي بنت عم من أحب الناس إلي وإني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرت فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها، فلما قعدت بين رجليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركت المائة دينار، فإن كنت تعلم أني فعلت ذاك من خشيتك ففرج عنا، ففرج الله عنهم فخرجوا[1] أو كما قال صلى الله عليه وسلم . قلت وإن هنا الواقعة في المواضع الثلاثة ليست على بابها من الشك لأنهم متيقنون أن الله يعلم ذلك فلاشك عندهم فيه وأجابوا عنه بما هو مذكور في شراحه.

فأما نطق الصبي للعابد فأخرجه حديث البخاري أيضا، قال كان رجل في بني إسرائيل يقال له جريج يصلي فجاءته أمه فدعته، فقال أجيبها و أصلي ، فقالت اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات،وهم الزواني وكان جريج في صومعته، فتعرضت له امرأة فكلمته فأبى فأتت راعيا، فأمكنته من نفسها، فولدت غلاما فقالت من جريج، فأتوه فكسروا صومعته و أنزلوه وسبوه،وتوضأوصلى ثم أتى الغلام فقال من أبوك يا غلام فقال الراعي ، فقالوا نبني صومعتك من ذهب قال لا إلا من طين[2]. قلت والنفر الثلاثة أيضا من بني إسرائيل، وما بقي في كلام الضرير معلوم أيضا قلت وفي هذا و مثله يقول الشاعر :

لاتسترب في كرامات يخص بهامن شاءه الله في سرو إعلان

وأصغ سماعا لما يروي أئمتنا عن من مضى من أولي المقدار والشأن

وأمر مريم يكفي المستدل به	في شأن محرابها في آل عمران
توتي الفواكه أنواعا منوعة	بلا محاولة بغير إبان
وفتية الكهف في إيقاظهم عجب	بعد المبين كما نتلوا بحسبان
وعرش بلقيس في إيصاله عجب	ما بين سرعة جني وإنسان

[1]- الحديث رواه علماء الحديث كالبخاري في صحيحه رقم2215، ج3،ص79 .ومسند أحمد رقم 5973، ج10،ص182.

[2]- البخاري في صحيحه رقم 2482. ج3،ص 13

جاءت بـه قدرة الرحمن فـي زمن حتـــى استقر بمرأى من سليمان

عـــلم الكتب وأعـــمال بموجبه أعـــاد واصف ذا قول وإيـــقان

كانـــت مسارعة الـجني سابقة فأحـــرز السبق هذا العالـم الشأن

و كـــم دليل بـــأقوال الرسول له فيهـــا وكـــم حجة فيها وبرهان

ثـــم الكرامات أنواع إذا نظرتك الـــزهر في حسن أنفاس وألـوان

مشي على الماء وفي الجو قد نقلا وشـــبع ذا سغب[1] أو ري ضمآن

وكـــم أجـــيب ولي حين دعوته وكـــم أغيث ولـــي عند إذعان

ومنهـــم مـن يحييه الجماد ومن يغيب عن درك أســـماع وأجفان

ومنـــهم من يرى المختار من ملك ومن يـــجالسهم في حال إخوان

وكـــــم لهم من مقامات مكرمة هذا الذي قلته مـــنها كـــعنوان

صافوافصوفوا ونالوا ضعف سعيهم والـــمرء يكسب إحسانا بإحسان

في عيش أرواحهم ماتت نفـوسهم وقد تـــــموت نفوس دون أبدان

فأفعل كفعلهم تـــقرب كـــقربهم فالفضل عم في القاصي وفي الـدان

وإن عجزت عـــن الـجد الذي لهم فأصمت فليس مـجد القوم كالران

فصل في الفرق بين المعجزة والكرامة والسحر وحدودهما : اعلم أن المعجزة هي فعل الله تعالى الخارق للعادة مقارن لدعوى الرسالة متحد به قبل وقوعه غير مكذب، قوله فعل الله احترز به من فعل الله القديم، فلا يكون معجزة لعدم اختصاص بعض المتحدين به دون بعض ،ويشمل ما تعلقت به القدرة الحادثة كالمشي على الماء وما لم تتعلق به كانفجار الماء من بين الأصابع ،وإحياء الموتى، إذ الكل فعل الله تعالى بلا واسطة، وأما إيراد بعضهم على الحد كعدم إحراق النار سيدنا إبراهيم عليه السلام فإنها معجزة وليست بفعل،بل عدم فعل فيكون الحد غير

[1]- سغب: سغب الرجل أي جاع والساغب الجائع.لسان العرب، ج1،ص468.والعين، ج4،ص380.

جامع، فالجواب أن العدم كف والكف فعل يصدق على عدم الإحراق أنه فعل فالحد جامع، ومن أراد أن يخرج من هذا الاعتراض يقول بدل قوله فعل أمر فيشمل ما ذكر،والكرامة كما قال بعضهم أمر خارق للعادة غير متحد به ولا مقارن بدعوى الرسالة ،تظهر على من عرفت ديانته واشتهرت ولايته بإتباع نبيه في جميع ما جاء به والسحر حده ابن زكري في محصل المقاصد بقوله :

وخارق مـــرتبط بسبب مطرد ويخصه في مطلب

يأتي الخبيث ذاك السحر يمكن علمه وفيه الكفر

قال المنجور[1]: ورسمه ابن عرفه[2]، بأنه أمر خارق للعادة مطرد الارتباط بسبب خاص به، قال : وهذا مقصود المؤلف فيخرج بقوله مطرد الارتباط، المعجزة والكرامة، قال وزعم القرافي أنه غير خارق للعادة وغرابته إنما هي بجهل أسبابه بعيد وحده السيفي في نكتة في قوله تعالى : بسحر مثله، حاكيا عن شيخه بقوله : هو أمر ينشأ عنه بقصد فاعله،على أوضاع مخصوصة، إثر خارق للعادة بذاته أو بنسبته إليه، فقولنا بذاته كالطيران في الهوى والمشي على الماء فإنه خارق للعادة بذاته،وقولنا أو بنسبته إليه فكالتمريض، فإن المرض بذاته أمر معهود وإنما هو خارق بالنسبة إلى حدوثه عن أفعال فعلها الساحروقال قال اللخمي[3]

حاكيا عن أبي المواز[4] فيمن يخيل للناس أنه يضرب نفسه بحجر أو يقطع به الحبل، أنه ساحر يقتل

وقال القسطلاني في شرحه لصحيح البخاري : السحر أمر خارق للعادة صادر عن نفس شريرة لا تتعذر معارضته، واختلف هل له حقيقة أم لا ،والذي عليه الجمهور أن له حقيقة وعلى هذا، فهل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج ويكون نوعا من أنواع الأمراض وينتهي إلى الإحالة بحيث يصير الجماد حيوانا مثلا وعكسه،فالذي عليه

---

[1]- الشيخ العلامة أبو العباس أحمدبن علي المنجور (926-995هـ).كان متبحرا في العلوم خاصة الأصول .ترجمته في عبد الحي الكتاني:فهرس الفهارس.ج5،ص 191. و ابن زيدان السجلماسي:إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس. تح علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،1429هـ،2004م ط1،ج1،ص372.وأحمد بن محمد المقري: روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس.المطبعة الملكية الرباط،1403هـ،1983،ط2،ص285.و أحمد بابا التنبكتي:كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج،تح محمد مطيع،مطبعة فضالة،المحمدية،المغرب،1421هـ،2000م.ج1،ص 139.

[2]- ابن عرفة أبو عبد الله محمد بن محمد الورغمي(716-803هـ)،إمام تونس وعالمها وخطيبها تولى الخطابة بالجامع الأعظم سنة 775هـ.الأعلام.ج7،ص43.

[3]- أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي عرفة اللخمي العزفي السبتي (557-633هـ)فقيه مالكي أندلسي درس بجامع سبتة.الأعلام.ج1،ص218.

[4]- أبو عبد الله محمد محمد بن ابراهيم الإسكندراني المالكي،ابن المواز ت281هـ.السيوطي:حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة،تح أبو الفضل ابراهيم ،دار إحياء التراث العربي،مصر،1387هـ-1967م.ج1،ص 310.وأيضا تاريخ الإسلام للذهبي،ج21،ص 250.و الصدفي:الوافي بالوفيات.ج1،ص 250

الجمهور هو الأول، و قال أيضا في حاشيته على الشفا، حاكيا عن سعد الدين التفتازاني[1] في حاشيته على الكشاف : السحر من أدلة خبيثة لأقوال وأفعال يترتب عليها أمور خارقة للعادة واختلفوا هل له حقيقة أم لا؟ والصحيح الذي قطع به الجمهور وعليه عامة العلماء أن له حقيقة ويدل له الكتاب والسنة، والحق أن تعلمه للعمل حرام وليتوقاه ولا يغتربه فمباح كما قيل، عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه، وفعله من الكبائر واعتقاد حله كفر انتهى.

والفرق بين السحر والكرامة والمعجزة أن السحر مطرد الارتباط ويتوقف على تلك الأفعال التي يفعلها الساحر ليتم له مراده ، وليست الكرامة والمعجزة كذلك قال الضرير :

وليس هكذا سبيل المعجزة لأنها بشرطها مميزة

وأشار إلى ذلك المنجور فيما تقدم عنه وقال القسطلاني في شرحه البخاري بعد كلامه المتقدم وفرقوا بين المعجزة والكرامة والسحر، فالسحر يكون بمعناه أحوال وأفعال حتى يتم للساحر ما يريد والكرامة لا تحتاج لذلك وإنما تقع غالبا إتفاقا ،فأما المعجزة فتميز عن الكرامة بالتحدي انتهى. وقال الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد اللخمي ثم العزفي رحمه الله في تأليف له في مناقب الشيخ أبي يعزى ما نصه قال قوم الفرق بين المعجزة والكرامة وأن الكرامة تقع على حكم الاختيار للولي لكن لا يجوز وقوعها قضية الدعوى فلو أدعى الولي الولاية واعتقد في دعواه ما يخرق العادة لم يقع ذلك وامتنع ،

قالوا فهذا الفرق بين الكرامة والمعجزة وهذا الفرق غير مرضي عندنا ولا يمتنع ظهور الخارق مع الدعوى المفروضة ،وقال آخرونالفرق بين المعجزة والكرامة أن ما وقع معجزة لنبي لا يجوز تقدير وقوعه كرامة لولي فيمتنع عند هؤلاء أن ينفلق البحر و أن تنقلب العصا ثعبانا وأن يحيي الموتى، إلى غير ذلك من معجزات الأنبياء كرامة لولي، وهذه الطريقة غير سديدة أيضا، والمرضي عندنا تجويز جملة خوارق العادات في معرض الكرامات، وقال آخرون الفرق بين المعجزة والكرامة ان الأنبياء مأمورون بإظهارها الولي يجب عليه سترها وإخفاؤها ، والنبي يذيع ذلك ويقطع القول بها والولي لا يذيع بها ولا يقطع بكرامته لجواز أن يكون ذلك مكرا.

---

[1]- مسعود بن عبد الله سعد الدين التفتازاني(712-793هـ).من أئمة العربية والمنطق ولد بتفتازان من بلاد خراسان وأقام بسرخس وأبعده تيمور لنك إلى سمرقند فتوفي بها .والكتاب المقصود هو شرحه لكتاب الكلم النوابغ للزمخشري.الأعلام.ج7،ص 219.

وقال آخرون، المعجزات تختص بالأنبياء،[والكرامات تكون للأولياء ولا تكون للأولياء معجزة لأن من شرط اقتران دعوى النبوة [1]] ولم تكن المعجزة معجزة لعينها، وإنما كانت معجزة لحصولها على أوصاف كثيرة فمتى اختص شرط من تلك الشروط لا تكن معجزة وأحد تلك الشروط: دعوى النبوءة والولي لا يدعي النبوة، فالذي يظهر عليه لا تكون معجزة، قاله سيف السنة القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني، وحكاه الأستاذ أبو القاسم بن هوازن[2]، وقال هذا الذي نعمده وتقول به .

وقال إمام الحرمين، فإن قيل ما الفرق بين الكرامة والمعجزة، قلنا لا يفترقان في جواز العقل إلا بوقوع المعجزة على حسب دعوى النبوءة ووقوع الكرامة دون إدعاء النبوة .وقال في موضع أخر وليس في وقوع الكرامة ما يقدح في المعجزة فإن المعجزة لا تدل لعينها، وإنما تدل لتعلقها بدعوى النبوة ونزولها منزلة التصديق بالقول والملك الذي يصدق مدعي الرسالة بما يوافقه ويطابق دعواه ولا يمنع منه أن يصدر مثله إكراما لبعض أولياءه ثم اعلم أن كل كرامة وقعت لولي، هي معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لأن الولي في معاملاته تابع للنبي صلى الله عليه وسلم.

فكل ما ظهر على يديه من خوارق هو دليل على صدق صاحب الشريعة بل هي مؤيدة لها دالة عليها عائدة إليها ،لأن مدده صلى الله عليه سلم هو الساري في الأرواح وبنسيمه تتنسم، ونوره صلى الله عليه وسلم هو الذي اقتبست منه البصائر وبه تنورت قلوب خواص عباده، فكل ما صدر على أيدي الرسل من المعجزات فمنه صلى الله عليه وسلم قال البوصيري :

وكل أي أتى الرسل الكرام بها　　　إنما اتصلت من نوره بـــــهم

فإنه شمس فضل هم كـواكبها　　　يظهرن أنوارها للناس في الظلم

وما ظهر على أيدي خواص أمته وأوليائها فإنها منه صلى الله عليه وسلم، قال سيدي أبو مدين رضي الله عنه ونفعنا به، كرامات الأولياء نتائج معجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقال البوصيري في همزيته :

والكرامات منهم معـــجزات　　　حازها من نوالك الأولياء

فانقضت أي الأنبياء وآياتك　　　في الناس ما لهن انقضــاء

---

[1]- ساقطة من أ.

[2]- عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة أبو القاسم القشيري (376-465هـ)،صاحب الرسالة .رافق الجويني والبيهقي في سفرة لهما إلى الحج وسمع معهما الحديث.ابن الجوزي:المنتظم.ج16،ص 148.وابن الأثير:الكامل في التاريخ.ج8، ص245.

فهو مع غيبة صورته الكريمة وذاته الشريفة لم يغب الاستمداد منه ولم تنقطع آياته ولم تفن معجزاته بما يظهر الله على أيدي أوليائه ويجري عليهم من الكرامات في كل وقت وعصر، فهي في الحقيقة من معجزاته صلى الله عليه وسلم دالة على صدقه، فلا تكون الكرامات قادحة في المعجزات، قال ابن حجر : وظهور الخوارق على غير الأنبياء لا يخل في قدرهم بل يزيد في جلالة أقدارهم والرغبة في إتباعهم حيث نالت أمتهم وأتباعهم مثل هذه الدرجة ببركة الإقتداء بشريعتهم والاستقامة على شريعتهم وتقدم هذا.

قلت فإذا فهمت ما تقدم وعلمته علمت فائدة ذكرنا لبعض المعجزات عند ذكر بعض الكرامات لهذا الشيخ ليعلم أنها الأصل لها وفي المعجزات مثلها . **تنبيه** : ضابط الولي أنه المداوم على أفضل الطاعات واجتناب المعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات وقيل هذا ضابط الولي الكامل، وأما أصل الولاية فتحصل لمن وجدت فيه صفة العدالة الباطنة بالشروط المذكورة عند الفقهاء،واختلف في الولي فقيل هو على وزن فعيل بمعنى فاعل لأنه والي الله ورسوله فلم يخرج عن أمرهما ونهيهما إلى ما يغضبهما، وقيل على وزن مفعول لأن الله والاه بخوارق ونعمه ورسوله ولاه بمزيد أمداده وكرمه، جعلنا الله ممن أمده بإكرامه وأنعامه ووالاه بمزيد أفضاله وإحسانه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

فصل من كرائم هذا الولي الشيخ سيدي محمد الشرقي رضي الله عنه : ما حدثنا به عمنا الفاضل خير الدين التقي النقي سيدي عبد السلام بن عبد الخالق[1]، قال لي رضي الله عنه، حدثني بعض الفضلاء أنه لا يزال اثنان في دار الشيخ سيدي محمد الشرقي داعين إلى الله مرشدين إلى عبادة الله . قلت : وما ذكر هذا السيد يدل على أمرين أحدهما ماحدثني به بعض الثقاة أن الشيخ سيدي محمد الشرقي قال: يأتي واحد من أولادي من جريي هو مشيه أي جري الشيخ هو مشيه، الآتي بعده وتكلم على هذا العالم العلامة أكبر الفهامة الولي الصالح التقي الناصح الجامع بين الحقيقة والشريعة سيدي محمد المعطي[2] رضي الله عنه ونفعنا به، وقال أنه ليس ذلك على عمومه بل إنما ذلك لمن سبقت له العناية وتوفرت فيه شروط النيابة وكان مقتفيا للسنة النبوية ومتخلقا بأخلاق الشيخ، لأن من شروط النيابة والمتابعة أن يكون قدم التابع على قدم المتبوع فإن حاد القدم عن قدم فهو مدحور

[1]- لم أجد ترجمته.

[2]- سبق التعريف به.

2- والد المؤلف، محمد بن أحمد العروسي من سلالة الشيخ محمد الشرقي كان فقيها عالما مشاركا أخذ العلم في زاوية الشرقي ثم رحل إلى فاس فأخذ عن عبد القادر الفاسي والحسن بن رحال المعداني وغيرهم ومن المرجح أنه عاصر مرحلة تجديد زاوية الشيخ الشرقي بعد تخريبها من قبل العلويين خلال القرة الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر الهجري. وقد ضمن المؤلف بعض الأخبار عن والده في كتابه المرقى.أحمد بوكاري:الزاوية الشرقاوية.مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،1406هـ،1985م،ج1،ص 194 وما بعدها.

ومدفوع ويقال هو المقصود لكلام الشيخ والمعنى به والمشار إليه وكتب في ذلك رضي الله عنهم حتى لا يطمع فيه كل جاهل منحرف أو طامع متكلف ويدعي ذلك لنفسه ويتطاول إليه بعنقه قلت ووجدت أيضا في بعض التقاييد ما يدل عليه من كلام الشيخ سيدي محمد الشرقي وسأذكره إن شاء الله

والثاني وجدت بخط الوالد[2] رحمه الله ما يقتضي ذلك ويدل عليه في رؤية رآها بعض الإخوان، ونص ما وجدت: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه خرجنا لعيادة شيخنا العلامة الصالح الناسك أبي عبد الله سيدي محمد بن محمد الوراق أبقى الله بركته، أواسط ذي القعدة الحرام سنة ثمان ومائة وألف، فحدثنا عن بعض الإخوة القاطنين في فاس، واثني عليه خيرا وبالغ في وصفه بالصدق ،أنه رأى ذات ليلة كأنه جالس بباب الدرب الذي هم فيه فسمع حساوهزا كثيرا فقال ما هذا؛ فقيل له النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سيدي محمد الشرقي رضي الله عنه، وراءهم الملائكة فقام لذلك وراءهم واقفين بموضع هناك ثبت عليه ووصفه وهم بالوصول إليهم، فخجل ثم تقوى عزمه بحضور الشيخ المذكور في الجمع ،فلحق بهم وراء الشيخ بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتذلل ويخضع بين يديه ويبثه الشكوى بلسان التذلل والخضوع[والخشوع[1]]ويقول له: يا رسول الله جملي قد حملوه الناس وثقلوا عليه حتى برك ولم يستطع النهوض، فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم وقال له : أنا أمدك بمائة من أولادك ،فأخذ الشيخ رضي الله عنه صفحة كاغد وجعل يسطر المائة ويعين آحادها وذلك بين يدي المصطفى الكريم صلى الله عليه وسلم، فأول ما سطر ونطق به ما نصه :واحد من أولادي الطنجي أحد أولاد الشيخ، ثم تمادى على التسطير حتى بلغ خمسة وسبعين، فقال يارسول هذا نهاية ما يبلغ أولادي، فقال له المصطفى الكريم صلى الله عليه وسلم أكمل المائة من أهل محبتك، فجعل الشيخ يعين من أراد الله تعالى له خيرا منهم وتمنى الرائي المذكور أن يذكر الشيخ قبيلة يعرفها ويعرف محبتها لهم، فلم يذكر ثم أجرى الله تعالى على لسانه أن يذكره إياها، فقال له يا سيدي بنو فلان من أهل محبتك ،فقال الشيخ نعم. فسطرها وختم التسطير وختم الرقعة وبعثها للرائي، فأخذها بثوبه تعظيما لها وطواها وجعلها في ثوبه، ثم انصرف فرحا مسرورا بفضل الله ورحمته فلقي بعض أولاد الشيخ وجعل بشره وبقول البشرى بباب فلان ويكرر ذلك عليه حتى استيقظ وهو يبشره، فأطعم شكرا لله وتحدث بها انتهى ما وجدت بخط الوالد رحمه الله وجعلني من المقتفين لسنة النبي صلى الله عليه وسلم ومن العاضين عليها بالنواجذ حتى نموت ونبعث عليها آمين يا رب العالمين .

[1]- ساقطة من أ.

قلت وفي هذه الحكاية أمران أحدهما ما حدثني به الأخ المذكور وما تواتر عن الشيخ في ذلك وأنه لا يزال مرشدا إلى الطريق في أولاده ولا يفهم من هذه الحكاية الحصر في العدد المذكور لأن قول الشيخ هذا نهاية ما يبلغ أولادي أي ممن يكونون بصفة مخصوصة أو ممن لهم منزلة خاصة ن فيحتمل كلامه هذا وغيره فلا ينافي العدد المذكور والزيادة لأنه ليس فيه ما يأذن بالحصر ففي كل زمان سادة، وفي كل قطر قادة ولكن أين هو ذاك المخصوص الذي تثبت له مزية الخصوص

وإذا صفا لك من زمانك واحد فأشدد عليه وأين ذاك الواحد

فهذه كرامة لهذا الشيخ ظاهرة للعيان مستمرة على مرور الأزمان بارزة في كل وقت وأوان ،فمدده رضي الله عنه مبذول مهيأ ميسر لمجتنب الفضول ،وفيض بحره دافق وعرف مسكه عابق للمجتهد والمجد والمقتفي سنن النبي الأمجد صلى الله عليه صلاة لا تحد، ففضله رضي الله عنه ظاهر وجوده باهر في الأوائل والأواخر ولكن لا يكون ذاك إلا لمن وفي الشروط التي هنالك وسلك أحسن الطرق والمسالك وتجنب الدعاوي التي توقع في المهاوي وجمع الحطام الواهي، نسال الله التوفيق الدائم .

قلت ولي في سيدنا الإمام وقدوتنا الهمام الولي الصالح المحب الناصح سيدي ومولاي صالح[1] بن الولي الكامل الشيخ الواصل سيدي محمد المعطي قصيدة :كنت مدحته بها لما أردت الدخول في سلسلته والانخراط في سلكه والاعتماد على فضله والانتساب إلى قدره وكان ابتداؤها من إقامتي برباط الفتح لطلب العلم ،فلما رجعت من هناك أتممتها وأرسلتها إليه فلما دخلت بيده وطالعها كتب إلي على ظهرها كلاما، وفي أثنائها الحث والأمربأن نقلب فيها ما يحتاج إلى القلب، وتجعل في هذا الولي سيدي محمد الشرقي ،وكتب لي بعد ذلك أبياتا ونص ما كتب: الحمد لله وحده وصلى الله عليه وسلم على سيدنا محمد بن عبد الله وعلى أخينا الشاب الأديب، السيد عبد الخالق أزكى السلام ورحمة الله وبركاته على الدوام أما بعد فقد طالعت القصيدة من أولها إلى آخرها فوجدت بها نفسا طيبا إلا أنك أجلستني بذاك على بسط هي من قدري أعلاه، وحليتني يا أخي بما لست له أهلا فالله سبحانه يجازيك بخير على ظنك الجميل ويجعلك ممن يلازمه التوفيق ويكون لك الرفيق، في كل مسلك وطريق ويصلح قلبي وقلبك ويغفر ذنبي وذنبك، ويمدني وإياك بمدده الرباني ويسقينا وإياك من شرابه الألذ النوراني، ويجب عليك أن تقلب ما يحتاج فيها للقلب وتصيرها في شيخ المشايخ وطودنا الشامخ الراسخ، فهو أحق بها وأهلها وكتب العبد الفقير إلى الله الغني محمد صالح عامله الله الكريم بلطفه الخفي وكتب بعد ذلك : بلغ الله قصدكم

[1]- هو شيخ المؤلف وأحد ورثة الشيخ محمد الشرقي على رأس الزاوية سبق التعريف به.

وحباكم محبة وحماكم من الردى وكفاكم من صوله، وكساكم بفضله ،وسقاكم من الصفا، وهداكم محبته، فلما رأيت منه الإلحاح على ذلك الأمر كان لابد من امتثاله، وهو مقتضى الخدمة فشرعت فيها حتى أتيت عليها .قلت وهذا الأمر يعني مدح الأشياخ والصالحين هو باب مسلوك في الأعصار والأمصار وقد تعاطته الفضلاء الأخيار فغير واحد من الأكابر فعل ذلك .

قلت والأصل في هذا فعله صلى الله عليه وسلم فقد كان يقبل المدح ويثيب عليه وكان من شعرائه حسان بن ثابت الأنصاري[1]، وكان يقول له أجب عني اللهم أيده بروح القدس ،وفي رواية أهجم أوهاجهم الشك من الراوي و جبريل معك، وقالت مولاتنا عائشة رضي الله عنها فيه أنه كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من شعرائه عبدالله بن رواحه الأنصاري[2] رضي الله عنه وكان صلى الله عليه وسلم يقول لعامر بن الأكوع[3]يا عامر ألا سمعتنا من هنيهاتك ومنهم كعب بن زهير[4] رضي الله عنه صاحب بانت سعاد، ولما مدحه بها من عليه بعدما أهدر دمه ،ولما وصل إلى قوله فيها:أن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

رمى له بردة كانت عليه صلى الله عليه وسلم وبذل لها فيها معاوية عشرة آلاف فقال له ،ما كنت لآثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فلما توفي كعب رضي الله عنه بعث معاويةإلى ورثته عشرين ألفا فأخذها منهم.

قلت فمن هنا اقتدت السادات في سماع الثناء عليهم وأصغوا إليه ،و أما ماورد من النهي عن ذالك كقوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي سمعه يثني على رجل :(أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل فذلك)[5]إما لأنه مدحه بما ليس فيه وذلك من الباطل المنهي عنه، وإما محمول على أنه جاوز الحد في المدح، وأما مخافة أن يدخل على الممدوح العجب والكبر وتضييع العمل وترك الزيادة من الخير، أما إذا انتفى ما ذكر فلا بأس به بل ربما كان مصلحة إذاكان الممدوح كامل العقل راسخا في تقواه.

---

[1]- حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمروا شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم توفيسنة 54هـ في خلافة معاوية وله 120 سنةعاش في الجاهلية 60 سنة وفي الإسلام 60 سنة .الطبري،ج11، ص535.والذهبي :تاريخ الإسلام.ج 4،ص 100.

[2]- عبد الله بن رواحة بن ثعلبة ابن امرئ القيس بن عمروا بن امرئ القيس:مات شهيدا في مؤتة سنة 8 هـ .ابن قتيبة:المعارف.ج1،ص163.الطبري،ج3،ص 37.المنتظم:ج350،3.أبو جعفر البغدادي:المحبر.تح إليزة ليختن شتيتر،دار الآفاق الجديدة بيروت،ص269.

[3]- عامر بن الأكوع:مات يوم خيبر سنة 7 هـ ضرب رجلا من اليهود فارتد إليه السيف فجرحه فمات من ذالك وبشره النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة .الطبقات الكبرى،ج4، 227. معرفة الصحابة لأبي نعيم،ج4،ص 2053.الاستيعاب،ج2،ص 785.الوافي بالوفيات.ج16،ص 332.

[4]- كعب بن زهير أسلم سنة 9هـ وتوفي سنة 26 هـ.الكامل،ج2،ص 143.ابن قانع:معجم الصحابة.تح صلاح بن سالم المصراتي،مكتبة الغرباء الأثرية،المدينة المنورة،1418هـ،ط1،ج2،ص 380.الأعلام،ج5،ص 226.

[5]- حديث رواه البخاري في صحيحه رقم 2663،ج 3،ص 177.ومسلم في صحيحه رقم 67-3001. ج4،ص 2297.

ثم أحوال الرجال في ذلك مختلفة، فمنهم من يرى ذلك من الحق جل جلاله ويعلم أنه المنشئ والمجري والفاعل فينبسط لذلك ،وهم العارفون لأنهم حاضرون مع ربهم فلا يشاهدون سواه فهم في غيبة عن الثناء الصادر من الخلق فإذا مدحوا شهدوا الثناء من ربهم انبسطوا لذلك، وكان ذلك مزيدا في حالهم ومقامهم لغيبتهم عن أنفسهم كان أحدهم يمدح وهو ساكت فقيل له في ذلك،وما علي في ذلك ولست أغلط في نفسي بل ليسن،والمجرى المنشئ هو الله عز وجل، وقيل هذا المعنى في الخبر المروي : إذا مدح المؤمن ربي في قلبه الإيمان.

ومنهم من يفيدهم ذلك القبض وهم الزهاد ولأنهم مستوحشون من الخلق في غيبة عن الله لا يشاهدون إلا الخلق ،فإذا مدحوا وأثني عليهم شهدوا ذلك من الخلق فانقبضوا عند ذلك لأنهم يخافون من فوت نصيبهم من ربهم لأجل ما يتوقعون من الاغترار من ذلك. قلت ورأيت سيدي لا يقبل من أحد المدح والثناء عليه في بعض الأوقات حتى إنه إذا أتاه إنسان بقصيدة في مدحه يأمره بقلبها وجعلها في الشيخ سيدي محمد الشرقي ووقعت لي هذه المسألة ولغيري من الطلبة وأتوه جماعة من فقهاء رباط الفتح من أعيانهم لزيارة الشيخ سيدي محمد الشرقي فلما جلس معهم وكنت حاضرا معهم أنشدهم هذه الأبيات وهي:

يظنون بي خيرا وما بي من خير	ولكنني عبد ظلوم كـــــما تدري
سترت عيوبي كلها عن عيونهم	وألبستني ثوبا جـــميلا من الستر
فصاروا يحبوني ولست أنا الذي	أحـــــــب ولكن شبهوني بالغير
فلا تفضحني في القيامة بينهم	ولا تخز يارب في موقف الحشر
فحقق رجاءي يا إلهي وسيدي	بحق الذي أنزلت من طيب الذكر

ولا تظن أن سيدي رضي الله عنه ليس من أهل الحالة الأولى بل هو رضي الله عنه جامع للحالتين والمقامين وكنت قد أتيته بقصيدة أخرى في مدح سيدي محمد الشرقي فلما جلست بين يديه قال لي رضي الله عنه حاكيا للفظ الحكم[1]، العارفون إذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق، قلت ووجه ما صدر عنه فيما تقدم لأمرين إما من باب التحذير وعدم الاغترار وهضم النفس وذمها واحتقارها والاعتراف بعيوبها ولاشك أنها مطلوبة

[1]- الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري.

من العبد، لأن بذلك تصلح أعماله وتستقيم أحواله وإلا فسدت عليه واعتلت لدخول الآفات عليها ولا يصونه عن ذلك ثناء الناس عليه ومدحهم له لأنه يعلم من نفسه مالا يعلمه غيره .

قال بعضهم من فرح بمدح فقد أمكن الشيطان أن يدخل في قلبه، وقال أخر إذا قيل لك نعم الرجل أنت، فكان أحب إليك من أن يقال بئس الرجل أنت فأنت والله بئس الرجل، وأما أنه لا يرى لنفسه شيئا مبالغة في احتقارها وعدم إثبات صفة محمودة لها و والمؤمن لا يثبت لنفسه من الأوصاف المحمودة ولا يرى شيئا من ذاك ولو كان موجودا لأن ذاك من الله عز وجل فيستحي من الله عز وجل أن ينسب لنفسه شيئا أو يراه لها، فلا شهد من نفسه صفة محمودة يستحق بها أن يحمد أو يثنى عليه، وإنما يشهد ذلك من ربه عز وجل فإذا أثنى الناس عليه وذكروا محاسنه استحيى من الله تعالى استحياء تعظيم وإجلال أن يثنى عليه بصفة ليست منه، فيزداد بذلك مقتا لنفسه واحتقارا لها ونفورا عنها.

وفي الحكم العطائية :المؤمن إذا مدح استحي أن يثني عليه بوصف لا يشهده من نفسه،قال ابن عباد رحمه الله وللمؤلف قصائد في مدح شيخه أبي العباس المرسي رضي الله عنهما وكان ينشدها بين يديه ويقع ذلك منه موقعا عظيما وكان يستفيد منه بعضها ويقول له في بعضها أيدك الله بروح القدس، نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لشاعره حسان ابن ثابت رضي الله عنه انتهى.

وحدثني بعض الثقاة أن الشيخ سيدي محمد الشرقي يطيب بالمدح ولي في مدحه قصائد نفعنا الله به وحدثني سيدي أن بعض الطلبة مدحه بقصيدة وأتى فيها ببيت غير مرضي عند أرباب هذا الفن ولم يبالغ في ذلك، فكان ذلك سببا في انحطاطه فسأل الله العافية. قلت وتوجيهنا لفعل سيدي المتقدم من كونه لا يقبل المدح فهو بحسب ما يظهر لجامد القريحة مثلي وعدم النباهة والفطنة والخبرة بسيرة القوم وأما من كان من أهل هذا الشأن وكان له معرفة بحال الشيخ مخالطا له متبصرا بأحواله فيعلم موجب ذلك ويتحققه والقصيدة المتقدمة هي :

لذ بالكرام إذا أصابك هـــــــائل   وفزعت من أمر مهم مشـــــغل

وأنخ ركابك في المراسم شــــــاكيا   خطب الزمان وصولة لـــمعطل

وألزم ربوعا يـــــهتدي بمـــــنارها   مصباحها في الغرب باد لشعل

وأثـبت نوائب مـــــــبرق أو مرعد   وأفض دموعا من جفون تكحل

واستعطفن تلك الـــــــمنازل إنها تسلوا الخليل عن الخليل ومنـــزل

والـــــثم ثـــراهم فهو مسك أذفر واستنشقن من عنبر و قــــرنفل

وأسغ بشربة عذبهم غصصا دهـت يا ذا الذي يشكوا مرارة حنــظل

وتــــمنين ماشئت منهم وأحتكم فالقوم هم أهل للعطاء الأكـمل

بالله بـــــــلغ إن وصلت تـــحية والقي عليهم ما بقلبك وأنـــزل

طـــــود أو قل يا سيدي ذا غربة ألف السهاد عن الـمنان بـمعزل

والـــــقلب في الأحشاء منه مضرم و دائم الأنين مجرح بالـــــمنصل

والـــــــعين تجري بالدموع صبابة والوجد يقلقني ولـــــوني يـذبل

والـــــنفس تجنح للمعاهد واللقا والجسم مبدي مشية للـــــموتل

فنــــت أحبة مهجتـــي وتباعدت فالصبر مذ فارقتهم لا يــلف لي

يا عاذلي كن عــاذري ذاك الدوى أنصحت لكن للأصم الأغـــفل

فـــودادهم أعطيت مـــن قبل أن يكن الورى بل في الـزمان الأول

أســـــرفت في عدل الولوع بالهوى لو قمت تنصح أعصرا لم تـقبل

سكن الجرائح ودهم واحـــــلفي جسمي مسالك نفسه والمفصل

أكـــــــــفف ملامك عن كئيب هائم وأنظر لحالة مولع ومكبل

فرأيت ما لم تر أعين وعلمت ما لم تعلمن وشهدت ما لم يــجهل

وعرفت صدق أحبة ووفـــــائهم وتــــــواضعا وصفاء سر أكمل

وشهدت حلما وافرا عن بـاذئ ودوام صبر للأذى متن عــضيل[1]

قوم كرام لا يهان حـــــماهم جيرانهم لا تـختشي من معضل

لهــم الـكرائم تنتمي ولديهم سر نـــفيس لـــم ير لمبجل

احفـــظ مدائح مـــفرد وأحظر لها قلبا تتفز بعناية وتـــــجمل

مـــا رمت من وطر فلذ بمحمد تـــحظى بكل غنيمة من أبطل

زيـــن الـــخليقة لين متواضع جم الفضائل والـــفواضل أسهل

وتواضع وســـمو قدر زانــــه وحلائل لا مسمد وعـــــفنجل

ونباهة ووفـــــور حلم صــانه ونـــــزاهة عـــن كل فعل مرذل

ورزانة وعــــفاف عن جاف له وفـــساح بيت للغريب الـموصل

يــغضي الـجفون من الـــحياء سليقة يغظى له لـــوقاره وتبجل

حـــامي الديار وليث كل كتيبة كـــــهف الكماة ومنقذ المقلل

قـــــطب السماحة والـــمروءة[1] والتقى والبر والمجد الرفيع الأطـول

سعد الزمان وقـــطبه وغـــياثه وإمامه ومـــــلاذه لـــــمؤمل

غوث الورى نــــجل ابن قاسم الذي ساد الرجال بهمة وتــفضل

قل للبسيطة والســـموات العلا تعلوا بممشاه وروح مفـــــضل

فلتادل الفخر الذي لم ينــفصم بــــمحمد محلي سراج لمقلل

والغرب بان فضله إذ ضـــــمهم تـــــمجدا متبسما بـــمهلل

والتشرق حز فضائل مــــن غربنا ولـــــسائر الأقطار مجد مؤثل

---

[1]- عضيل:ضيق. محمد الهروي:تهذيب اللغة،ج1،ص301.

فـــــهو الذي يرشدك الكنز الذي إن نلـــته لم تفتقر في المسدل

هـــــو للخلائق حرمة ومـــــهابة يـــــوم الـــمضيق ونكبة لمزلزل

بدر السما شمس الضحى تسامات وتزخرفت شهب الثرا بالـمخضل

بـــــــحر إذا ما جئته ألقيته غذبا يـــــــزيل عطاش قـلب مغفل

إذا انتميت لغيره أو لـــــم تـــرى تلك المحاسن والسنا من أجمـل[1]

أو لـم تشد العيس وأقصد نـــحوه رحلا وتـــــحدوا بالركاب وترمل

فـــــي مــــهمة مـــغبرة أرجاؤه يشجي القلوب بوحشة وتـململ

وتـــــحرسن في أرض قفر موحش وتلاق ووعثاء النوى بتـــــحمل

وتـــجاف وصل أحبة وديـــارهم وتــــــعوض منه الرحيل لكمل

مازلت في طي الـــــحشا متسترا مـــــا راقبت عيناك أدنى خردل

بـــادر بعزم تــــــغتنم بـــــزيارة فـــــتفوز بالكنز الذي لا يعطل

واركـــــب جوادا سابقا واعمد له وأنـــــــح ديار أحبة بهم وجل

لا تــــبخلن عنه فإن مــــــقامه من زاره لا يـــــختشي أن يسأل

قـــــل للمشاهد شخصه أفرح فقد نلت المنا والـــربح عند الأفضل

ما شئت من نور يلوح لـــــمبصر إن لاح تـــستحي البدور وتأفل

وســــنا له يـــــضيء قلبا قاسيا مــــتوحشا مضى بجسم مهمل

وعصاة رشد لو غدت لــــك جلمد لان الأصم ولم يبر بالجندل[2]

---

[1]- في ب والمودة.

[2]- الجندل:ما يقله الرجل من الحجارة وقيل هو الحجر كله.تاج العروس.ج28،ص 245.

إن جاءه من يشتكي إحساسه وتكاثرت أســـقامه بـــتسلسل

يشفيه من أضراره في لـــحظة يغدواخفيف الحمل غــــير مثقل

أنت المؤمل في الشدائد كـلها إن باهرت وتعاظمت في مــحفل

أنت الذي جاريت أربا العــلا فتقاصرت لعلاكم لم تـــوصل

أنت الذي أحييت رسما قد عفا وأقمت مجد أساسه الـــمتأصل

وحميته عن كل فــعل ناقص وأذدت عنه شــــقاشق[1] المتقول

ومنعت صولة باغي متلصص وردت كبر مــــعاند متــــكسل

وفتحت معــــلق بابه بعوارف وحــــللت عنه كل قيد مثـــقل

وأزلــت ديجور الزمان الحالك بسنائك الباهي البديع الــمشمل

فلتهنــى بالشرف الأثيل الدائم وفـــقت لديه كرام قـــوم كمل

ولتهـــن يا فرد الزمان الأوحد شمس الهداية للعمات الـــضلل

فـــلتهن بالمجد العميم القعد ولتهن بالنخر[2] النفيس الأشـــهل[3]

قـل للمحاول ماله دع عنك ذا من قد اتى ما ليس يدرك يـــملل

فـــالفضل ليس يناله متكلف بـــتصوم وتـــزهد وتـــنفـــل

إن رأى ذاك سبيـــله أفــــكل من رام الوصول يعد بالـــمتوصل

سبقت لذاك عناية من مـــالك ما تاحه لـــلمرء غـــير مـــحـــول

سيف الكمي خلاف سيف رابع فـــعل الـــهزبر خلاف فعل الفرعل[1]

---

[1]- شقشق:العصفور صوت،والجمل يخرج من فمه شيء كالرئة إذا هاج وهدر.القاموس المحيط،ج1،ص 489.

[2]- النخر:أجود الغناء. وقيل هو الرخو.تهذيب اللغة،ج7،ص 191.

[3]- الأشهل من الشهلة وهي حمرة في سواد العين.لسان العرب،ج11،ص 373.

ماالكحل في جفن الـــــصحيح   السا لم كالكحل في جفن عليل أحول

حاز المواهب كلها مــــجموعة   من مـــــنهج بين الأنام مــــعدل

أعني طريــــقا للإمام المرتضى   العارف الـــحرار ذاك الـــجحفل

ورث الجزولي مـــحمد المنتمي   نسبا للأشـــــمخ ذروة وعـــلا عل

ورثوا الفـــضائل كلها من شاذل   قطـــب الـــوجود وغوث كل مؤمل

وغـــدا يـــناول سـيد السيد   والــــفرع وارث أصله الـــمتحمل

نعم الرجال أولئك لأشـــياخهم   بـــــهم الجليس عن الشقا يـــحول

حتى أتى سر الملا بـــــجميعه   لـــمحمد الشرقي الـفياض الممتل

قـــــد قام بعد أئمه في سنة   شدوا لـــتلك مآزر لـــــم تحلل

الذائــــدين عـن الشرائع شبهة   الـــفاتحين لـــها بـــلفظ مسهل

السباقين ذوي الـــمعالي رتـبة   الـــمانعين عـــن الورى بـتوكل

القـــانتين[2] الصادقين لربـــهم   الصــــابرين الخـــائفين تـــزلزل

الصائمين الـــحافظين حدوده   الــذاكرين لربــــهم فـــي الليل

يا حبذا ذاك السبيل ونعم منقذ   حـــاز حظا مـــن طريق الأعذل

يعزى إلى ثاني الصحابة جده   أعـــــظم بـــه صاحب متـــقبل

أعنـــي أبا حــفص رفيق نبينا   المصطفى المجتبى من مـــرسل

صلـــى عليه الله ثـــم سلامه   ما هب في الأغصان نـسمة شمال

---

[1]- الفرعل:ولد الضبع .لسان العرب، ج11، ص518.

[2]- القانتين ساقطة من ب

وبـــقطبنا كملت معالم شاذل	فالتـــــذ بفــــرد حاله من ممثل
يــــا حصن من هو هائم وأمان	من هو خائف وملاذ كل منـــقل
وذخيرة لــــمؤمل ووســــيلة	لـــــمعوص ووظيـــفة للـخنشل [1]
وغنـــــيمة لــــمعسر وجبيرة	لـــــمكسر ومـــــزادة للمربل[2]
امنحتني بنفـــــائس فــــرجوت	منذاك العطاء بلوغ حظ يـكـمل
ليس العلوم يـــــنالها مـــتفكر	بتـــــدبر وتــــجهد وتـــوسل
ماهي إلا منة يـــــــحضى بـــها	مــــن شاءه مولى المشيئة يوصل
لـــــــكنه سـبب ففز بتجهده	وتـــــفرد وتـــــقرب وتـــنفل
ولـــــتشركن كــــل العلوم وللكرا	كن جافيا لا تسامر مـــــن أطول .
فاضمن له درك العلوم مــصاحبا	تـــــقوى الإله وســـيرة المتبتل .
فإذا مددت حجاه فليس بضامن	وإذا ضمنت له فليس حــــنظل[3]
وامنن على العاني بعطفة مـــرشد	يحي بها أشطار قلب مـــــوجل
يا من يرد وصل الذين تـــقدموا	وهـــو المكب على الدنيا مرسل
فــــتكاثرت[4] أوزاره وتــــثقلت	أحـــماله وتـــــرادفت للقصعل[5]
وتـــــراكمت ظلماته وتدعمست	أسبابه وتعوصت عن مـــــنجل
أيـــــــصح من هذا الظلوم إنابة	طـــــمعا بسعي صالح مسترسل

[1]- الخنشل:الرجل القوي المسن.العين، ج4،ص 225.

[2]- المربل، رجل ربلة وامرأة مربلة كثيرة اللحم والشحم،تاج العروس، ج29،ص 28.

[3]- في ب ليس بماطل.

[4]-في ب تداركت.

[5]- قصعل: لئيم.الفرابي:الصحاح تاج اللغة.ج5،ص 1802.

لـــكنه حط الرحيل وراء منحاز العلا في حـــــــــداثة وتكهل

فإذا منحت له الأمان فلم يخف[1] مـــن حاضر في هذه أو مقبل

مولاي سامح ذا قريـــيض هازل نـــسج البرود مضاهيا للممثل

جـــاءتك بنت من حجا متحير تسعى الفكاك لداهش بـــمهول

جاءت بــــها من خامل عطفاته لـــــجنابكم مسترجيا للمدخل

عذبت ورق نسيجها من كامـل إذا شابها مدح الولي الأجـــمل

إن نــــــلتها الإقبال فاح عبيرها وغدت لناشدها خلاص معسل

وضده خابت وخـــــاب أمالها حـــاش الكريم يذود كفا تسأل

رحمـــى الإله ألمس تغيث مذنب وشفاعة الماحي لكل مـــجهل

اللهم يارب إنا نتوسل إليك بأشرف مخلوقاتك عندك وأحبها إليك وأكرمها عليك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من علينا بنفحة من نفحاتهم وعطفة من عطفاتهم تبيح لنا التعلق بأذيالهم وجنبنا فتنة ماخشينا يامجيب دعاء المضطرين اسمع ندائي بما سمعته به عبدك زكريا ،ياأكرم الأكرمين لا إله إلاأنت سبحانك إني كنت من الظالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

الثاني من الأمرين المتقدمين في الحكاية رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ،وهي أسنى المواهب وأرفع المواهب والمناقب ،وهي معدودة من الكرائم العظام والفضائل الجسام، لأنها من أنفس المبشرات وأزكى الخيرات لمن رآه صلى الله عليه وسلم ،فطوبى لعين رأت تلك المحاسن الزواهر والمعاطف النواظر وهنيئا لمقلة نظرت لذالك الوجه النائر الذي هو أضوء من الشمس والبدر الباهر وينشد هنا :

هنيئا لعين قد رأت عين أحـــمد وفازت جهارا منهبالحسن والرؤيا

وقل أسعد الرحـــمن عبدا دعا له فأضحى سعيدا في الممات والمحيا

[1]- في ب نحب.

وبدل بعد البؤس بالنور والــهدى   وبلغ ما يهوى من الدين والدنـيا

وفاز برؤيى المصطفى سيد الورى   نبي حباه الله بـــــالرتبة الـــعليا

عليه صلاة الله ما طاف طــائف   بـمكة بيت الله قصدا أتى سعيا

وصلى عليه الله مـــا سرت الصبا   ومـــــا يسر مشتاق برؤياه واللقيا

صلاة شذاها عطر الكون[1] فـمن   قاسها بالمسك يوما فما استحيا

فلما كان الأمر كما ذكر أردنا أن نتكلم على رؤيته صلى الله عليه وسلم هل ذاك مناما فقط أم تكون مناما ويقظة، وما معنى رؤيته صلى الله عليه وسلم، هل ذالك للذات الكريمة حقيقة أو لمثاله أو غير ذالك مما يتعلق به ويتوقف الكلام عليها في أمور.

الأول: جواز رؤيته صلى الله عليه وسلم ووقوعها ،دل عليه الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وأبوداود ودلت عليها أخبار وحكايات[تواترت[2]]عن الصالحين وأرباب الأحوال، أما الحديث فهو(من رآني فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي)[3] وأختلف في معنى قوله سيراني في اليقظة، قيل سيراني يقظة يوم القيامةوتعقب بأنه لافائدة في هذا التخصيص لأن كل أمته يرونه يوم القيامة من رآه منهم ومن لم يره.

وقيل المراد من رآني في المنام ولم يكن هاجر يوفقه الله للهجرة والتشرف بلقائي ويكون الله تعالى جعل رؤيته في المنام علامة على رؤيته في اليقظة والقولان حكاهما القسطلاني في شرح البخاري، وحكاهما الجلال السيوطي في كتابه الموسوم "بتنوير الحلك فيإمكان رؤية النبي والملك" وزاد قولا أخر فقال قوم هو على ظاهره فمن رآه في النوم فلابد أن يراه في اليقظة بعيني رأسه وقيل بعين قلبه،

حكاهما القاضي أبو بكربن العربي[4] .

---

[1]- في ب عطر الكون جهرة.

[2]- ساقطة من أ.

[3]- حديث صحيح سبق تخريجه والتعليق على معناه.

[4]- أبو بكر بن العربي محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي المالكي(468-543هـ) سافر إلى الشام والعراق و تفقه على الغزالي وأبي بكر الشاشي والطرطوشي وتوفي بفاس.الذهبي:العبر في أخبار من غبر2، 468.تاريخ الإسلام،37، 199. مجير الدين بن عبد الرحمن بن محمد:الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل.تح عدنان يونس عبد المجيد نباتة،مكتبة دنديس،عمان،ج1،ص 302.شذرات الذهب،6،ص 232.الإستقصاء،2،ص 117.وفيات ابن القنفذ،ج1،ص 279.أحمد بن يحيى الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس.دار الكاتب العربي القاهرة،1967، 179.ابن بشكوال

وقال العارف بالله أبو محمد عبد الله ابن أبي جمرة نفعنا الله به وفي تعليقه على أحاديث البخاري،هذا الحديث يدل على أن من رءاه في النوم فسيراه في اليقظة،وهل هذاعلى عمومه في حياته وبعد مماته أو هذا كان في حياته وهل ذالك لكل من يراه مطلقا بمن فيه الأهلية والإتباع لسنته عليه السلام اللفض يعطي العموم ومن يعطي الخصوص لغير مخصص منه صلى الله عليه وسلم فيتعسف انتهى.

قال الجلال السيوطي على قول الشيخ ابن أبي جمرة ،وهل ذالك لكل من يراه مطلقا أو[خاص[1]] بمن فيه الأهلية والإتباع لسنته عليه السلام مراده وقوع الرؤية الموعود بها في اليقظة على الرؤية في المنام ولو مرة واحدة تحقيقا لوعده الشريف الذي لا يخلف .

وأكثر ما يقع للعامة قبيل الموت عند الاحتضار فلا تخرج روحه من جسده حتى يراه وفاءا بعهده وأما غيرهم فتحصل لهم الرؤية في طول حياتهم ،إما كثيرا وإما قليلا بحسب اجتهادهم ومحافظتهم على السنة ،وإخلالهم بالسنة مانع كبير وأما الأخبار والحكايات المصرحة بذالك الصادرة من أرباب الأحوال فكثيرة جدا واشتهار رؤيتهم له صلى الله عليه وسلم معلوم مأثورا، أما مناما فهو الواقع كثيرا،قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي، يا علي طهر ثيابك من الدنس تحضى بمدد الله في كل نفس. فقلت يا رسول الله وما ثيابي ،فقال لي يا علي إن الله تعالى قد كساك حلة الإيمان وحلة المغفرة وحلة التوحيد وحلة المحبة ثم حلة الإسلام، فمن عرف الله صغر لديه كل شيئ، ومن أحب الله هان عليه كل شيء ،ومن وحد الله لم يشرك به شيئا، ومن آمن بالله أمن منكل شيء، ومن أسلم لله قل ما يعصيه،وإن عصاه اعتذرإليه قبل عذره. قال فهمت حينئذ قوله سبحانه{وثيابك فطهر}[2]

وحكي عن علي ابن الموفق[3] رضي الله عنه أنه حج حججا فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لهذه يد لك عندي أكافئك بها يوم القيامة،آخذ بيدكفي الموقف فأدخلك الجنةوالخلائق في كرب الحساب.

:الصلة في تاريخ أئمة الأندلس اعتنى به ونشره عزت العطار الحسين،مكتبة الخانجي،مصر1374هـ،1955م،ج1، 558.ابن الأبار :التكملة لكتاب الصلة.تح عبد السلام الهراس،دار الفكر للطباعة،لبنان،1415هـ،1995م،ج2، ص114. السيوطي:طبقات المفسرين العشرين.تح علي بن محمد عمر،مكتبة وهبة القاهرة،1396هـ،ط1،ج1،ص 105.الداوديمحمد بن علي:طبقات المفسرين.مراجعة لجنة من العلماء بإشراف الناشر،دار الكتب العلمية،بيروت،ج2، ص167. المقري:أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض.ج3، ص63.وفيات الأعيان،ج4، ص296.

[1]- ساقطة من أ.

[2]- المدثر 4.

[3]- علي بن الموفق العابد ورد أنه حج نحو 60 حجة توفي 265 هـ .ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.ج1،ص202.

وحكي عن ولد الفقيه أبي الفضل عياض رحمه الله عن ابن عمه محمد ،وكان من أهل الفضل والدين وكان يدعى بأبي محمد الفاضل انه قال: رأيت عمي القاضي الإمام أبا الفضل عياض ابن موسى في المنام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا على سرير من ذهب ،وكانت تعتريني دهشة في السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا من كون عمي معه على السرير، فكأن عمي فهم مني نظر التعجب فقال لي ،يا محمد أشدد يدك على كتاب الشفاء وتمسك به ،فكأنه إشعار منه بأنه إنما نال تلك المرتبة الرفيعة والمنزلة الشريفة بسببه .

وحكى القاضي عياض رضي الله عنه ونفعنا به لما فرغ من تصنيف الشفاء ،رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فقال له :عياض أبشر فقال لماذا يا رسول الله؟قال بدخول الجنة وبشر من قرأ هذا الكتاب أو سمعه بالأمن من العمى. وحكى شيخ طائفة أهل القرن العاشر سيدي محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي أنا زين المرسلين وأنت زين الأولياء.

وحكى الأستاذ ابن هشام أبو محمد خبر عن محمد بن سعيد بن مطرف الخياط الرجل الصالح، قال كنت جعلت على نفسي كل ليلة عند النوم إذا أويت إلى مضجعي عددا معلوما أصليه على النبي صلى الله عليه وسلم، فأنا في بعض الليالي قد أكملت العدد وأخذتني عيني وكنت ساكنا في غرفة، فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم قد دخل علي من باب الغرفة فأضاءت به نورا ثم نهض نحوي وقال: هات هذا الفم الذي يكثر الصلاة علي أقبله ،وكنت أستحي منه أن أقبله في فمه، فاستدرت بوجهي فقبلني في خدي فانتبهت فرحافي الحين ،وانتبهت صاحبتي إلى جنبي وإذا البيت يفوح منه مسكا من رائحته صلى الله عليه وسلم وبقيت رائحة المسك في خدي نحو ثمانية أيام تجدها زوجتي كل يوم وليلة انتهى.

قلت ولو لم تكن في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلمإلا هذه الحكاية العظيمة والمنقبة الجسيمة لكانت كافية على ما عداها، ولله در البوصيري رحمه الله حيث يقول في داليته:

وتزود التقوى فإن لـم تستطع فمن الصلاة على النبي محمد

صلى عليه الله إن صـــــلاة من صلى عليه ذخيرة لــم تردد

اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى أل سيدنا محمد عدد ما علمت وملئ ما علمت ومداد كلماتك.

وأما رؤيته صلى الله عليه وسلم فهو محل النزاع بين العلماء، والصحيح وقوعها كما نص عليه أئمة المتقدمين ،وقال الغزالي في كتابه" المنقذ من الظلال": ثم إني لما فرغت من العلم أقبلت بهمتي على طريق الصوفية إلى أن

قال،حتى إنهم وهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق انتهى.

قال الجلال السيوطي هذا كلام الغزالي أي من الشواهد على ذالك كما قال، وقال تلميذه القاضي أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية في كتابه "قانون التأويل": ذهبت الصوفية إلى انه إذا حصل للإنسان طهارة النفس وتزكية القلب وقطع العلائق وحسم أسباب مواد الدنيا من الجاه والمال والخلطة بالجنس والإقبال على الله تعالى بالكلية علما دائما وعملا مستمرا كشفت له القلوب ورأى الملائكة وسمع أقوالهم واطلع على أرواح الأنبياء وسمع كلامهم.

ثم قال ابن العربي في رؤية الأنبياء والملائكة وسماع كلامهم ممكن للمؤمن كرامة وللكافر عقوبة انتهى.ثم قال السيوطي، وقال ابن الحاج[1] في المدخل : رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة باب ضيق وقل من يقع له ذالك، إلا من كان على صفة عزيز وجودها في هذا الزمان بل عدمت غالبا مع إننا لا ننكر من يقع له هذا من الأكابر الذين حفظهم الله في ظواهرهم انتهى.فبان لك بهذه النصوص أن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة جائزة وذكر الجلال السيوطي حكايات عن أرباب الأحوال، تدل على أن رؤيته صلى الله عليه وسلم يقضة واقعة، قال حكى سراج الدين ابن الملقن[2] في "طبقات الأولياء" قال الشيخ عبد القادر الكيلاني:رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الظهر فقال لي يا بني ألا تتكلم، قلت يا أبتاه أنا رجل أعجم كيف أتكلم على فصحاء بغداد، قال افتح فاك ففتحه فتفل فيه سبعا، وقال لي تكلم على الناس أدعوا إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، فصليت الظهر وجلست فحضرني خلق كثير فارتج علي، فرأيت عليا رضي الله عنه قائما بإزائي في المجلس قال يا بني ألا تتكلم؟ قلت يا أبتاه قد ارتج علي، فقال افتح فاك ففتحته فتفل فيه ستا ،فقلت لمل لم تكملها سبعا؟ قال تأدبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.ثم توارى عني فقلت غواص الفكر تغوص في بحر القلب على ذر المعارف فتستخرجها إلى ساحل الصدر فينادي عليها شمسا، وترجمان اللسان فيشتد بنفائس أثمار حسن

[1]- ابن الحاج، أبو عبد الله بن محمد بن محمد العبدري الفاسي. صاحب المدخل،أحد العلماء المشهورين بالزهد والصلاح، من أصحاب أبي محمد بن أبي جمرة، كان فقيهًا عارفًا بمذهب مالك، وصحب جماعة من أرباب القلوب. مات بالقاهرة سنة سبع وثلاثين وسبعمائة .السيوطي:حسن المحاضرة.ج1، ص459.ابن الملقن:طبقات الأولياء.ج1،ص 470.

[2]- سراج الدين ين الملقن،عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي(723-804هـ) من أكابر العلماء في الفقه والحديث وأحوال الرجال أصله من واد آش بالأندلس ومولده ووفاته بالقاهرة له نحو 300 مصنف منها، طبقات الأولياء. علي الشوكاني:البدر الطالع بمحاسن من بعدد القرن السابع.دار المعرفة، بيروت،ج1،ص 511.وطبقات الحفاظ للسيوطي.ج1،ص 542.محمد بن محمد الأصفوني المكي:لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ.دار الكتب العلمية 1419هـ،1998م،ص129.الذهبي: الكاشف فيمن له رواية في الكتب الستة،تح محمد عوامة،دار القبلة للثقافة الإسلامية،مؤسسة علوم القرآن،جدة،1413هـ،1992م،ط1،ج1،ص 109.الأعلام:ج5،ص 57.

الطاعة في بيوت أذن الله أن ترفع . وقال أيضا: في ترجمة خليفة بن موسى[1]، كان كثير الرؤيا له صلى الله عليه وسلم يقظة ومناما،ورآه في ليلة واحدة سبع عشرة مرة قال له في إحداهن،يا خليفة لا تضجر مني، كثيرا من الأولياء مات بحسرة رؤيتي. قال وقد صح عن كثير من الأولياء رؤيتهم له وتحدثهم معه.

وكان الشيخ أبو العباس المرسي إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم رد عليه السلام ويجاوبه إذا تحدث معه .

قال الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله في "لطائف المنن" قال رجل للشيخ أبي العباس المرسي صافحني بكفك هذه فإنك لقيت رجالا وبلادا ،فقال والله ما صافحت بكفي هذه إلا رسول الله صلى الله عليه. و قال،قال الشيخ لو حجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين .

وقال الشيخ أبو العباس الطنجي[2] وردت على سيدي أحمد الرفاعي[3] فقال لي ما أنا بشيخك شيخك عبد الرحمن بقباء فسرت إلى قباء فدخلت على الشيخ عبد الرحيم، فقال لي عرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت لا ،قال رح إلى بيت المقدس حتى تعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فرحت إلى بيت المقدس فحين وضعت رجلي وإذا بالسماء والأرض والعرش مملوءة برسول الله صلى الله عليه وسلم، فرجعت إلى الشيخ فقال لي عرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت نعم، قال الآن كملت طريقتك ، لم تكن الأقطاب أقطابا ولا الأوتاد أوتادا ولا الأولياء أولياء إلا بمعرفته صلى الله عليه وسلم .

وقال في الوحيد[4] وممن رأيته بمكة الشيخ عبد الله الدلاصي[5]أخبرني أنه لم تصح له صلاة في عمره إلا صلاة واحدة وذالك أني كنت بالمسجد الحرام في صلاة الصبح فلما أحرم الإمام وأحرمت أخذتني أخذة، فرأيت رسول الله

---

[1]- خليفة بن موسى:لم أجد ترجمته.

[2]- أبو العباس الطنجي أحمد بنعبد الرحمن كان يعرف بالحرمل توفي 612هـ من طنجة وسكن مراكش وقتا،فقيه صوفي زار بيت الله الحرام وطاف بالبلد حتى وصل بيت المقدس ودخل مصر فاستقر بالاسكندريةوكون علاقة متينة مع أحمد الرفاعي.وتوفي بمصر ودفن بالفسطاط.عباس بن ابراهيم:الإعلام بمن حل بمراكش.ج2،ص 126.ومعلمة المغرب،ج17، ص 5777.

[3]- أحمد الرفاعي أبو العباس أحمد بن علي بن يحى صاحب الطريقة الرفاعية،(512-570هـ) الكوهن:طبقات الشاذلية،ص 76.والمصادر التالية جعلت سنة وفاته 578هـ،ابن الملقن:طبقات الأولياء،ج1،ص 93.الأعلام،ج2،ص 126. موفق الدين اين العجمي كنوز الذهب في تاريخ حلب.دار القلم،حلب،1417هـ،ط1،ج1،ص 407.

[4]- الشيخ ينقل عن السيوطي من كتابه الحاوي في الفتاوي،ولم يذكر كل الآثار إنما تخير ما يخدم موضوعه.كما كانت تعوزه الدقة في النقل، فعند السيوطي مثلا يقول:قال الشيخ عبد الغفار في الوحيد، وقد ذكر إسمه كاملا قبل ذالك وهو عبد الغفار بن نوح القوصي.

[5]- عبد الله بن عبد الحق بن عبد الله عفيف الدين أبو محمد الدلاصي(630-721هـ).أبو الطيب المكي الحسني الفاسي،تح كمال يوسف الحوت،دار الكتب العلمية،بيروت،1410هـ،1990م، ج2،ص 38.والبداية والنهاية، ج14،ص 115.الأعلام، ج2،ص126.

صلى الله عليه وسلم يصلي إماما، وخلفه العشرة فصليت معهم وكان ذالك في سنة ثلاث وسبعين وستمائة،فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركعة الأولى سورة المدثر وفي الثانية عم يتساءلون ،فلما سلم دعا بهذا الدعاء اللهم هداة مهديين غير ضالين ولا مضلين لا طمعا في برك ولا رغبة فيما عندك، لأن لك المنة علينا بإيجادنا قبل أن لم نكن،فلك الحمد على ذالك لا إله إلا أنت. فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام فعقلت تسليمه فسلمت .

وقال الشيخ صفي الدين[1] في رسالته ،قال الشيخ أبو العباس الحرار، دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فوجدته يكتب مناشر الأولياء الولاية ،فكتب لأخي محمد منهم منشورا،، قال وكان الشيخ كبيرا في الولاية كان وجهه نورا لا يخفى على أحد أنه ولي ،فسأله الشيخ عن ذالك فقال نفخ النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه فأثرت النفخة فيه هذا النور.

قال وممن رأيته بمصر الشيخ أبا العباس القسطلاني[2] أخص أصحاب الشيخ القرشي[3]، زاهد مصر في وقته وكان وفاته في آخر عمره بمكة يقال أنه دخل مرة على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الله بيدك يا أحمد. وفي كتاب "المنح الإلهية في مناقب السادة الربانية"لابن فارس قال :سمعت سيدي عليا رضي الله عنه يقول ،كنت أنا ابن خمس سنين أقرا القرآن على رجل يقال له الشيخ يعقوب ،فأتيته يوما فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لامناما وعليه قميص أبيض قطن ،ثم رأيت القميص علي، فقال لي اقرأ فقرأت عليه صورة الضحى وألم نشرح، ثم غاب عني فلما بلغت إحدى وعشرين سنة أحرمت لصلاة الصبح بالقرافة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قبالة وجهي فعانقني فقال، وأما بنعمة ربك فحدث ،فآتيت لسانه من ذالك الوقت وفي بعض المجاميع حج سيدي أحمد الرفاعي فلما وقف اتجاه الحجرة الشريفة أنشد:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها   تقبل الارض عني وهي نائبتـــــي

وهذه وقفة الأشباح قد حـــــظرت   فامدد يمينك كي تحضى بها شفتي

---

[1]- صفي الدين الحسين بن علي بن أبي المنصور الصوفي المالكي نزيل مصر توفي 688هـ وله رسالة في أحوال من لقاه من الصوفية.كحالة:معجم المؤلفين.ج4،ص 37.

[2]- أبو العباس أحمد بن علي القسطلاني المصري الفقيه المالكي(559-636هـ) تلميذ أبو عبد الله القرشي،تولى التدريس بالمدرسة المالكية بمصر وتوفي بمكة.الذهبي:العبر في أخبار من غبر.ج3،ص 226.

[3]- أبو عبد الله محمد بن أحمد القرشي الهاشمي من الجزيرة الخضراء انتقل إلى مصر ثم الشام واستقر ببيت المقدس إلى أن مات 599هـ.علي بن محمد الكتاني:انبعاث الإسلام في الأندلس،دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.1426هـ،2005م.ص 407.و قطب الدين اليونيني :ذيل مرآة الزمان،دار الكتاب الإسلامي القاهرة،1413هـ،1992م،ط2،ج4،ص 333.وتاريخ الإسلام،ج46،ص280.،الديباج المذهب لابن فرحون.ج1،ص 239.

فخرجت اليد الشريفة من القبر الشريف فقبلها[1].وفي معجم الشيخ برهان الدين البقاعي[2] قال حدثني الإمام أبو الفضل ابن أبي الفضل أن الشيخ نور الدين ابن[3] الشيخ عفيف الدين[4] لما ورد على الروضة المشرفة وقال السلام عليك أيها االنبي ورحمة الله وبركاته سمع من كان بحضرته قائلا يقول من القبر، وعليك السلام يا ولدي. قال أبو سعيد الصوفي الكرخي[5]: حججت وزرت النبي صلى الله عليه وسلم فبينما أنا جالس عند الحجرة إذ دخل الشيخ أبو بكر الديار بكري ،ووقف بإزاء وجه النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله ،فسمع صوتا من داخل الحجرة يقول، وعليك السلام يا أبا بكر . وسمعه من حظر انتهى من الكتاب المذكور[6].

وللسيوطي قلت فهذه الحكايات تدل على رؤيته يقظة كرؤيته مناما كما تقدم.الثاني من الأمور رد حجة من أنكر رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة وحجته أن الحي لايرى الميت في عالم الشاهد ،وأن العين الفانية لا ترى العين الباقية ،والرد عليه أن قوله لا يرى الميت ليس كذالك بل هو حي أعطي التصرف في العالم العلوي والسفلي وكذالك سائر الأنبياء أحياء دلت على ذالك الأحاديث الواردة[7]في شأن ذالك .

---

[1]- يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى.ج13،ص 78:وَالَّذِي لَهُ عَقْلٌ وَعِلْمٌ يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا لَيْسَ هُوَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَارَةً لِمَا يَرَاهُ مِنْهُمْ مِنْ مُخَالَفَةِ الشَّرْعِ مِثْلَ أَنْ يَأْمُرُوهُ بِمَا يُخَالِفُ أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَارَةً يَعْلَمُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا كَانَ يَأْتِي أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي الْيَقَظَةِ وَلَا كَانَ يُخَاطِبُهُمْ مِنْ قَبْرِهِ فَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا لِي وَتَارَةً يَعْلَمُ أَنَّ الْمَيِّتَ لَمْ يَقُمْ مِنْ قَبْرِهِ وَأَنَّ رُوحَهُ فِي الْجَنَّةِ لَا تَصِيرُ فِي الدُّنْيَا هَكَذَا.

وفي فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة السعودية،ج2،ص 282 مايلي:هذه القصة باطلة لا أساس لها من الصحة؛ لأن الأصل في الميت نبيا كان أم غيره أنه لا يتحرك في قبره بمد يد أو غيرها، فما قيل من أن النبي صلى الله عليه وسلم أخرج يده للرفاعي أو غيره غير صحيح، بل هو وهم وخيال لا أساس له من الصحة، ولا يجوز تصديقه، ولميمد يده صلى الله عليه وسلم لأبي بكر ولا عمر ولا غيرهما من الصحابة فضلا عن غيرهم، ولا يغتر بذكر السيوطي لهذه القصة في كتابه: (الحاوي) ؛ لأن السيوطي في مؤلفاته كما قال العلماء عنه: حاطب ليل يذكر الغث والسمين.

ومما قاله الألوسي في كتابه غاية الأماني في الرد على النبهاني،ج1،ص 291 وما بعدها:أنه قد ترجم أحمد الرفاعي هذا جماعة من المؤرخين على اختلافهم المذهبي، ولم يذكروا هذه القصة في ترجمته، ولو كانت ثابتة لعدّوها من أعظم مآثره وأكبر مفاخره، لاسيما التاج السبكي لتعصبه للمتصوفة، ولاسيما من هو على مذهبه ونحلته، ومع ذلك لم يذكر هذه القصة في ترجمة أحمد الرفاعي و أن كثيراً من أهل العلم والأدب نسب البيتين إلى غير أحمد الرفاعي. قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في تذكرته: حكي أن ابن الفارض لما اجتمع بالشهاب السهروردي في مكة أنشده البيتين السابقين.

[2]- إبراهيم ابن محمدبن إبراهيم بن أبي بكر برهان الدين البقاعي الحنبلي (885-935هـ):صاحب كتاب تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربيأو مصرع التصوف.نجم الدين بن محمد الغزي:الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة.دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1418هـ،1997م،ط1، ج2،ص 76.

[3]- في ب والد وهو الصحيح.

[4]- عفيف الدين الإيجي أبو بكر محمد بن محمد بن عبد الله الحسيني ابن نور الدين ابن جلال الدين ابن قطب الدين الشافعي (790-855هـ).السيوطي:نظم العقيان في أعيان الأعيان.تح فليب حتي،المكتبة العلمية،بيروت،ص162.

[5]- عبد الواحد بن عبد الملك بن محمد بن أبي سعد الكرخي،أبو نصر،(494-569هـ)كان يرى الخضر ويرى الجن.تاريخ الإسلام،ج39،ص 346. وتاريخ بغداد،ج15،ص 267.

[6]- حياة الأنبياء حياة برزخية لا يعلمها إلا الله عز وجل وليس معناه أنهم يحيون مثل حياتنا الدنيا.

[7]- محمد بن يوسف بن علي بن سعيد شمس الدين الكرماني(717-786هـ)،عالم بالحديث أصله من كرمان واشتهر ببغداد،وأقام مدة بمكة.الأعلام،ج7،ص 153.

وقد ألف في ذالك الجلال السيوطي جزءا أسماه" الأذكياء بحياة الأنبياء"وقوله إن العين الفانية لا ترى العين الباقية فجوابه ما قال ابن الحاج في المدخل ناقلا عن الشيخ ابن أبي جمرة ونصه: قد كان سيدي محمد ابن أبي جمرة يحل هذا الإشكال ويرده بأن المؤمن إذا مات يرى الله تعالى وهو لا يموت ،والواحد يموت منهم في اليوم سبعين مرةانتهى. الأمر الثالث ما يلزم المنكر لذالك ،قال العارف بالله ابن أبي جمرة وفي هذا القول، أي قول من نفى رؤيته صلى الله عليه وسلم من المحذور وجهان خطران ،أحدهما عدم التصديق لقول الصادق عليه السلام الذي لا ينطق على الهوى.قلت وقد رأيت الكرماني[1] قال : ومن جملة استظهاري أني رأيته صلى الله عليه وسلم فسألته عن هذا الحديث أيقوله (من رءاني فقد رءاني) الخ أصحيح هذا أم لا؟ فقال عليه الصلاة والسلام صحيح[1].والثاني الجهل بقدرة القادر وتعجيزه انتهى.

ثم ذكر قصة البقرة، وقصة إبراهيم مع الأربعة من الطير، وحاصله أن الله تبارك وتعالى كما هو قادر على الإماتة قادر على الإحياء. الأمر الرابع اختلاف أحوال الناس في رؤيته صلى الله عليه وسلم وأن بعضهم أرفع من بعض على قدر مراتبهم ومحافظتهم ومتابعتهم لسنته الشريفة ومحبتهم له صلى الله عليه وسلم، فإنما يحصل الاتصال به بتمكن حبه صلى الله عليه وسلم من القلب.

قال الشيخ أبو عبد الله الساحلي [1] رضي الله عنه فإذا تمكن حب النبي صلى الله عليه وسلم في النفس لم تغب صورته الكريمة [عن عين البصيرة لمحة وهي الرؤية الحقيقية لان رؤية البصر إنما هي لتأدية حقيقة المبصر إلى[2]] عين البصيرة فيحصل عند البصيرة الإطلاع على حقيقة ما أداه إليها البصر[3].

ثم ساق كلاما وحاصله تفضيل رؤية البصيرة على رؤية البصر [لأن رؤية البصر[4]]ربما أختلتهاالأوهام ورؤية البصيرة الصافية لا وهم فيها ولا خيال، ثم قال والناس في انطباع صورته الكريمة على طبقات بحسب مشاربهم وأذواقهم في الصدق والحضور فمنهم من لا تثبت الصورة الكريمة في نفسه إلا بعد تأمل وتثبت وإعمال فكر، وهو أضعف القوم لتعلق بعض البقايا الخاصة بهذا المنزل بالنفس وهذا قليل لرؤيته إياه في النوم ،وإن رآه فإنما يراه عل غير كمال الرؤية ومنهم من تثبت الصورة الكريمة في نفسه أحيانا[ذكره إياه[5]]لاسيما في الخلوات عندما يتمخض

---

[1]- أبو عبد الله الساحلي محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم الأنصاري المالقي المعروف بالمعمم (678-754هـ).تولى الخطابة بالجامع الأعظم بمالقة وبه توفي. ابن الخطيب:الإحاطة في أخبار غرناطة. ج 3،ص 145.والأعلام،ج7،ص 36.

[2]- ساقط من ب.

[3]- في ب البصيرة.

[4]- ساقطة من أ.

[5]- ساقطة من ب.

الفكر في معنى التصلية، فإذا فتر غابت عنه وهذان أنهض من الأول، لكن مع بقية فيه مما تقتضيه منزلته وهذا يراه في النوم على صورته الكريمة، ومنهم من إذا سد عينه يقظة ونوما رآه بعين بصيرته على كل حال، وهم أهل النهايات الذين اطمأنت قلوبهم بذكر الله حتى رقت أنفسهم إلى فراديس التقريب ،وظفروا بالمجاورة رضي الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

ومنهم من هو أعلى درجة من هذا وهو أن يراه من عيني رأسه عيانا ومباشرة صورته الكريمة في عالم الحس ولا سيما في أوقات الذكر ،وذالك أن الأرواح إذا ائتلفت ائتلافا بليغا بكثرة الصلاة عليه فإن روحه الكريمة تتشكل بجسده الطاهر حتى ينظره المصلي عليه تارة عيانا وتارة إدراكا بالباطن بحسب قوة ائتلاف الروحين وضعفه، مع أن رؤية البصيرة أقوى من رؤية البصر انتهى.وقوله: فإن روحه الكريمة تتشكل بجسده الطاهر حتى ينظره المصلي عليه فهو ما ثبت عن الأولياء من رؤيته يقظة كما تقدم عن الشيخ عبد القادر كما تقدم،رضي الله عن الجميع.

الأمر الخامس ما معنى رؤيته صلى الله عليه وسلم هل هي الذات الشريفة وجسمه وروحه أو لمثاله، ولمثاله قولان ،قال الجلال السيوطي: الذين رأيتهم من أرباب الأحوال يقولون بالثاني وبه صرح الغزالي فقال، ليس المراد أن يرى جسمه وبدنه إنما يرى مثاله انتهى. وبقي شيء من كلامه تركته لما وجدت فيه من التصحيف .

قال السيوطي، وفصل القاضي أبو بكر ابن العربي فقال ،رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بصفته المعلومة إدراك على الحقيقة ورؤيته على غير صفته المعلومة إدراك للمثال، قال الجلال، وهذا الذي قاله في غاية من الحسن ولا يمتنع رؤية ذاته الشريفة بجسده وروحه ،وذالك لأنه صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء أحياء ردت إليهم أرواحهم بعدما قبضوا وأذن لهم في الخروج من قبورهم، والتصرف في الملكوت العلوي والسفلي انتهى .ونقل القسطلاني في كتابه"إرشاد الساري" كلام القاضي ابن العربي وزاد فقال: والصواب أن الأنبياء لا تغيرهم الأرض ويكون إدراك الذات الكريمة حقيقة وإدراك الصفات إدراك للمثال قلت وأنت خبير بما تقدم من نقل أبي عبد الله الساحلي ونصه حيث قال فإن روحه الكريمة تتشكل بجسده الطاهر حتى ينظره المصلي وهذا قول من يقول أن الرؤية للذات الكريمة مع الجسم والروح.

الأمر السادس أن رؤيته صلى الله عليه وسلم على حق لا يمكن فيها تلبيس ولا تشبيه للشيطان به ولا سبيل له حتى يتمثل به لقوله صلى الله عليه وسلم (ولا يتمثل الشيطان بي) قال الكرماني[1] في معنى هذا الحديث

---

[1]- محمد بن يوسفبن علي بن سعيد شمس الدين الكرماني (717-786هـ)عالم بالحديث أصله من كرمان واشتهر ببغداد حيث نشر العلم 30 سنة وأقام مدة بمكة.الأعلام،ج7، ص 53.

أي لا يتصور بصورتي . ثم قال قال القاضي عياض، خص الله النبي صلى الله عليه وسلم برؤية الناس إياه صحيحة وكلها صدق ومنع الشيطان أن يتصور بخلقته لئلا يكذب عليه ثم قال، قال محي السنة، رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في المنام حق ولا يتمثل الشيطان به وكذالك جميع الأنبياء والملائكة عليهم السلام لا يتمثل بهم انتهى.

وقال القسطلاني في معنى قوله لا يتمثل الشيطان بي ما نصه:أي لا يحصل له،أي الشيطان مثال صورتي ولا يشبه بي فكما منع الله الشيطان أن يتصور بصورته الكريمة في اليقظة كذالكمنعه في المنام لئلا بشبه الحق بالباطل وما قاله القسطلاني قاله المناوي[1] في "شرح الشمائل"وقول الإمام البخاري: إذا رءاه في صورته يقتضي أن من لم يره في صورته لم تكن رؤيا حقيقة بل رؤيا تأويل بل الصحيح أن رؤيته صلى الله عليه وسلم رؤية حقيقية لا يمكن فيها تأويل.

قال القسطلاني والصحيح أن رؤيته صلى الله عليه وسلم حقيقة سواء كانت على صفته المعروفة أو غيره إلا أنه إن كانت على غير صفته المعلومة تؤول بحسب الرائي. وقال الحافظ ابن حجر[2]بعد كلام له طويل ونحى الشيخ أبو محمد ابن أبي جمرة إلى ما اختاره النووي[3]، وأن الشيطان لا يتصور على صورته أصلا، فمن رءاه على صورة حسنة فذاك حسن في دين الرائي،وإن كان في جارحته شيء أو نقص فذاك خلل في الرائي من جهة الدين، قال وهذا هو الحق وقد جرب ذالك فوجد على هذا الأسلوب وبه تحصل الفائدة الكبرى في رؤياه ،حتى يتبين للرائي هل عنده خلل أم لا، لأنه صلى الله عليه وسلم نوراني مثل المرآة الصقيلة، ما كان في الناظر إليها من حسن أو غيره يتصور فيها وهي في ذاتها على أحسن حال لا نقص فيها ولا شيء .كذالك يقال في كلامه صلى الله عليه وسلم في النوم أنه يعرض على السنة فما وافقه فهو حق وما خالفها من سمع الرائي فرؤيا الذات حق، والخلل إنما هو في سمع الرائي أوبصره انتهى.

---

[1]- محمد عبد الرؤوفبن تاج العارفين بن علي ابن زين العابدين الحدادي، المناوي القاهري، الشافعي (زين الدين)،(952 - 1031 هـ)عالم مشارك في انواع من العلوم.من تصانيفه: غاية الارشاد في معرفة الحيوان والنبات والجماد، الروض الباسم في شمائل المصطفى ابي القاسم. معجم المؤلفين،ج5،ص 220.

[2]- أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل،(773-852هـ) الإمام الحافظ المؤرّخ الحافظ المؤرّخ الكبير، صاحب «فتح الباري بشرح صحيح البخاري»، و «الإصابة في تمييز الصحابة»، و «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة»، وغير ذلك من المصنفات النافعة المفيدة القيّمة.شذرات الذهب،ج 1،ص 74.

[3]- يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام النووي الدمشقي، أبو زكريا،(631-676هـ)، الإمام الحافظ المؤرّخ الفقيهولد فينوى من أرض حوران في الجنوب الغربي من سوريةوتولى مشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق حسبة لوجه الله.وتوفي ودفن ببلده وقبره مشهور بها. المصدر نفسه،ج1،ص 55.

فبان لك بهذا أن رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم حق سواء كانت على الصفة المعلومة أم لا، وأن الشيطان لا يتمثل به،وإليه يشير العراقي في ألفيته،ومن رءاه نوما قد رءاه ، لم يك للشيطان من تمثل بصورة النبي أو تخيل ،ثم تنبه هنا لفوائد الأولى، الرؤية أمر يخلقه الله تعالى ولا يشترط فيه عقلا مواجهة ولا مقابلة ولامقارنة ولا خروج شعاع ولا غيره ،ولهذا جاز أن يرى أعمى العينين بقعة الأندلس فإذا تقرر هذا فيجوز أن يرى الواحد والجماعة النبي صلى الله عليه وسلم في مكان واحد أو أمكنة متعددة، فإذا أراد الله رفع الحجاب عمن أراد كرامته برؤيته رآه على هيئته التي هو عليها، وسئل بعضهم وكيف يراه الراءون المتعددون في أقطار الأرض فأنشد :

كالشمس في أفق السما وضوءها يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

الثانية لا يقال أن الصحبة تثبت لمن رءاه واجتمع معه ويقال فيه صحابي، لأن الصحبة ،كما قال ابن السبكي في "جمع الجوامع" الصحابي من اجتمع مؤمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وإن لم يروي وإن لم يطل بخلاف التابعي مع الصحابي، وحده العراقي في ألفيته التي في اصطلاح الحديث بقوله:رآى النبي مسلما ذا صحبة وقيل إن طال ولم يثبت.وحد ابن السبكي أجود لشموله من اجتمع معه ولم يره كابن أم مكتوم لأنه كان أعمي وغيره.

وزاد القرافي قيدا آخر وهو أنه لا يقال في الصحابي صحابيا إلا إذا مات على ذالك، وهو غير صحيح لأنه يلزم منه ألا تثبت الصحبة ولا تقال لمن أجتمع معه ما حيا لأنه لا يدري ماتكون العاقبة وهو خلاف ما صحح.

فإذا علم ما تقدم،يقال فيمن أجتمع معه الآن في اليقظة أو رءاه في النوم أنه صحابي لأنا نقول في المرادبالاجتماعالإجتماع العرفي. قال الكرماني[1] فإن قلت إذا قلنا أنه رءاه حقيقة فمن رآه في المنام فهل يطلق عليه صحابيا أم لا؟ قلت لا إذ لا يصدق عليه حد الصحابي إذ المراد بالرؤيا المأخوذة في رؤية الصحابي الرؤية المعهودة الجارية على العادة والرؤية في الدنيا،لأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المخبر عن الله تعالى وهو ما كان مخبرا للناس عنه إلا في الدنيا لا في القبر انتهى.

وقال الجلال السيوطي أن ذالك أي ثبوت الصحبة ليس بلازم أما إن قلنا المرئي المثال فهو واضح، لأن الرؤية تثبت برؤية ذاتها لشريفة جسدا وروحا ،وإن قلنا المرئي الذات فشرط الصحبة أن يراه في عالم الملك ،وهذه رؤية في

[1]- سبقت ترجمته.

عالم الملكوت، وهذه رؤية لا تثبت صحبة ويؤيد ذالك بأن الأحاديث وردت بأن جميع أمته عرضت عليه فرآهم ورأوه ولم تثبت الرؤية للجميع ،لأن رؤيته في عالم الملكوت فلا تفيد صحبة انتهى.

الفائدة الثالثة: اعلم أن مدار حصول رؤية المصطفى صلى الله عليه وسلم علة التخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه ،واستعمال سنته والوقوف معها ويحب بحبه ويبغض ببغضه والإكثار من الصلاة عليه ويعظم ما عظمه ويجتنب ما أمر باجتنابه ،فمن كان بهذه الصفة ربما يحصل له المقصود ويظفر بالمرغوب :

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه ويحل له مر المنايا ويعذب

وإلا فبينه وبينها مراحل صعاب وشتى ما بين مشرق ومغرب

أتطمع في ليلى وتعلم إنما تقطع أعناق الرجال المطامع

قال الشيخ كمال الدين البارزي[1] الحنفي في "شرح المشارق" في حديث من رءاني، الاجتماع بالشخصين يقظة ومناما لحصول مابه الإتحاد وله خمسة أصول كلية،الاشتراك في الذات أو في صفة فصاعدا أو في حال فصاعدا أو في الأفعال أو في المراتب وكل ما يتعقل من المناسبة بينه وبين أرواح الكمال[بين شيئين أو أشياء لا تخرج عن هذه الخمسة ثم قال ومنحصل الأصول الخمسة وثبتت المناسبة بينه وبين أرواح الكمال[2]]الماضين،اجتمع معهم متى شاء انتهى.

فاجتهد أخي فيما يصلح قلبك واعمل بما يرضيه كي تحضى بما هناك وتخلق بالأخلاق الحميدة فعسى تغنم الوصال وطهر ثيابك لعلى أن تسقى كؤوس الجربال ،وأزل بالتوبة أدرانك تحضى أرفع المنازل، وتكلف سير أولي التشمير والاجتهاد أهل المدد والإمداد، فعسى أن تنخرط في سلك أولئك الأفراد، وزاحمهم لعلهم ينظروا إلى ضعفك فيرقوا إلى بعدك فيبدلوه بالقرب ودرهمك المغشوش بخالصهم، فتضمحل رداءته في جودتهم واستمع إلى حكايتهم وما ظفروا به من الخصائل الحميدة والمناقب النفيسة ،وما حصلوا من التمتع بحبيبهم والمجالسة معه في أي

---

[1]- :في ب البابرتي وهو الصحيح. وهومُحَمَّد بن مَحْمُود بن أَحْمد البابرتي الشَّيْخ أكمل الدّين الْحَنَفِيّولد سنة بضع عشرَة وَسَبْعمائة و توفي سنة 867هـ، أخذ عَن أبي حَيَّان والأصفهاني، وَسمع الحَدِيث من الدلاصي وَابْن عبد الْهَادِي، وَكَانَ عَلامَة، فَاضلا، ذَا فنون، وافر الْعقل، قوي النَّفس، عَظِيم الْهَيْئَة، مهيباً، عرض عَلَيْهِ الْقَضَاء مرَارًا فَامْتنعَ. وَله من التصانيف: التَّفْسِير، شرح الْمَشَارِق، شرح مُخْتَصر ابْن الْحَاجِب، شرح عقيدة الطوسي، شرح الْهِدَايَة فِي الْفِقْه، شرح ألفية ابْن معطٍ فِي النَّحْو، شرح الْمنَار، شرح الْبَزْدَوِيّ، شرح التَّلْخِيص فِي الْمعَانِي. السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة.تح محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – لبنان / صيدا، ج1،ص 239. وابن تغري بردي:حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور.تح محمد كمال الدين عز الدين،عالم الكتب،1410هـ،1990م،ط1، ج2،ص 358.

[2]- ساقطة من أ

وقت شاء، أو تلذذوا برؤيته وإغتنموا قربه لكي ينهظك حال، فتظفر بلذائذ الوصال ،وتغتنم الابصار برؤية كريم الفعال واستغفر الله العظيم وأتوب إليه بأمري لك بما لست به متصفا، ومن القول الذي صرت له متكلفا ،ومن المنزل الذي أنا عنه بمعزل، ومن الوصل الذي أنا عنه مفصول، ومن الفضل الذي عنه معضل ومن القرب الذي منه مبعد ومن النهي عن إرتكاب الذنب الذي أنا له مرتكب {أتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون[1]}. ويرحم الله من قال :

يا آمر الناس بالمـعروف مجتهدا	وإن رأى عاملا بالمنكر انتهره
ابدأ بنفسك قبل الناس كـلهم	فأوصها واتلوا في سورة البقرة
أتأمرون ببر تـاركين له ناسين	ذالك فعل الخيب الـخسره
وإن أمرت ببر وكـنت على	خلافه لم تكن إلا من الفـجره
من كان بالمعروف أمارا وتاركه	فليس يسبق منه سيله مـطره

وقول الآخر ويقال هو أبو الأسود الدؤلي[2] رضي الله عنه:

يـا أيها الرجل الـمعلم غيره	هـلا لـنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي	الضنى كي ما يصح به وأنت سقيم
وتـراك تـلقح بالرشاد عقولنا	وأنـت مـن الرشاد عديـم
فـابدأ بنفسك فانهها عن غيها	فإذا انتـهيت عـنه فأنت حكيم
فهـناك يقبل ما تقول ويقتدى	بـالعلم منك ويـنفعك التعليم

[1]- البقرة 2.

[2]- ظالم بن عمربن سفيان، أبو الأسود الدؤلي توفي 69هـ:استخلفه عبد الله بن عباس لما خرج من البصرة، فأقره علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان يحب عليا رضي الله عنه الحب الشديد، وهو أول من وضع النحو. قال محمد بن سلام: أول من أسس العربية ووضع قياسها، فوضع باب الفاعل والمفعول به، والمضاف، وحروف الرفع والنصب والجر والجزم، ابن الجوزي:المنتظم.ج6،ص 96.

1– سفيان بن سعيد بن مسروق. ويكنى: أبا عبد الله. ونسب إلى: ثور بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة بن اليأس بن مضر: ويقال لثور: ثور أطحلوهو جبل. مات بالبصرة سنة 161هـ.ابن قتيبة:المعارف.ص 497.و محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي، أبو العرب :المحن .تح عمر سليمان العقيلي،دار العلوم،الرياض، 1404هـ،1984م،ط1،ص 434.

لا تنه عن خلق وتأتـــــي مثله عـــار عليك إذا فـــعلت عظيم

ولهذه الأبيات حكاية وهي أن سفيان الثوري رضي الله عنه كان يعظ الناس ويشوقهم إلى الله ويرغبهم في ثوابه ويحذرهم من عقابه ،وكان الناس يختلفون إليه ،فصعد يوما على منبره كعادته فلما استقربه الجلوس وأراد أن يتكلم رفعت إليه امرأة رقعة فلما قرأها تغير لونه وبكى بكاء شديدا ثم نزل ولم يتكلم، فسأله أصحابه ومن يعز عليه أن يخبرهم بما في الرقعة فقرأها عليهم فإذا فيها الأبيات المتقدمين، فلما قرأ ذالك بكى بكاء شديدا حتى أغمي عليه فلما أفاق قالوا ،يا سيدي أنت كلامك موزون وعرضك مصون تشفى القلوب بوعظك وتسلي المحزون فكيف يؤثر هذا الكلام في قلبك وأنت إمام وأي إمام، فبكى وقال لهم ما أصلح أن اتكل على رؤوس الناس فانا أعرف بنفسي من غيري ،ثم فاضت عيناه واشتغل بوجده وجواه ولا عاد لأحد بعد ذالك يسمع كلامه ولا يراه حتى مات رحمه الله.

قلت وهذا سفيان الثوري[1] أحد الأئمة الأعلام وصدور أئمة الحديث المقتدى بهم في الظلام وإمام الزهاد ورأس الآجلة العباد وسئل عنه الإمام أبو حنيفة النعمان، فقال هو يحفظ على هذه الأمة دينها ولو مات لدخل على الناس فقده، وحدث بعض تلامذته أن مجلسه رضي الله عنه كان أكثره في ذكر الموت والنار حتى أصابهمرض ألزمه الفراش فذهبوا بماء بوله لطبيب ذالك الوقت فقال لهم هذا بول راهب فتت الحزن كبده، ليس لهذا عندي دواء وحدث عن الزاهد شعيب ابن حرب[1]أنه قال إنيلا أحسب انه يجاء بسفيان الثوري يوم القيامة حجة من الله تعالى على هذا الخلق فيقال لهم،إن لم تدركوا نبيكم صلى الله عليه وسلم فقد رأيتم سفيان ألا اقتديتم به .وحكى شمس الدين ابن قيم الجوزية[1] عن الولي قبيص بن عقبة قال،رأيت سفيان الثوري بعد موته في المنام فقلت له ما فعل الله بك يا أبا عبد الله فانشأ يقول :نظرت إلى ربي عيانا فقال ليهنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد

لقد كنت قواما إذا الليل قد دجا بعبرة مـحزون وقلب عميد

فدونك فاختــــر أي قصر تريده وزرني فإني منك غير بعيد

رحمه الله ونفعنا به وجعلنا من من المحسوبين عليه وعلى أمثاله. قلت لكن لي في ترداد ذالك الفضل والتحدث به والتشبث بأهله ما يعذب مسامعي ويلذ القلب الكئيب القاصي ويدني من مقام أهل الله، العاصي فإن

[2]- شعيب بن حرب المدائنيّ البغداديّ الزّاهد العابد، نزيل مكّة. تُوُفّي سنة 197هـ.تاريخ الإسلام،ج13،ص 224.و يوسف بن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.ج2،ص 155.

الانتساب إليهم والتعلق بأذيالهم يفضي إلى عطف جنابهم و ويهدي إلى صوابهم ويرشد إلى محبتهم وإن لم يعمل بعملهم لم أكن للوصال أهلا ،ولكن أنتم بالوصال أطمعتموني وأتمثل أيضا بقول الآخر:

لي سادة من عزهم أقدامهم فوق الجباه

إن لـــم اكن منهم فليذكرهم عز وجاه

وقول الآخر :أحب الصالحين ولست منهم رجاء أنال منـــهم شفاعه

وأكره من بضاعته الـمعاصي وإن كنا سواء في البضاعه[1]

لاسيما وبحر جود النبي صلى الله عليه وسلم فائض لا يكدره العصيان من مثلي ولا يخوضه خائض مبذول للمسرف مثلي القاصر الكئيب العادم القاصر الذليل الحقير فلأنشد قول من قال :

قـــد كنت أحسب أن حبك هين تفنى عليه كـــرائم الأرواح

وظننت جـــــهلا إن وصلك يشترى بنفائس الأموال والأرباح

حتى رأيتك تصطفي وتـخص ومن تختاره بلطائف الأمـــــناح

فعلمت أنـــك لا تنال بحيلة فلويت رأسي تحت طي جناح

وجــــعلت في عش الغرام إقامتي فيــــــه غـــدوي دائما ورواح

بل قول الآخر:قـــــد كنت أحسب حـــــبك متــباعد لعلوه متعاظم الإدراك

وظننت جـــــهلا ان وصلك لـم يكن إلا لمخصوص رفيع سالك

حتـى نظرت عميم جودك الذي عم الـــــخلائق منة من حالك

فطمعت في نيل الـمنا من نوركم يــــجلي دياجير القلب الحالك

ورجوت من ذاك العطاء الكامل أن تسمحوا بـــــلقاكم للهالك

---

[1]- أبيات لأبي المكارم شهاب الدين التلعفري

مـــــنوا على رمقي بوصل طيب عاداتكم أن تـــحسنوا للفاتك[1]

ولأنشد قوله أيضا: امنن علتي بزورة الطيف إن لاح تــــستحي البدور وتـــختفي

بل قول العارف بالله إبن الفارض رضي الله عنه :

فإن اكتفى غيري بطيف خياله فأنا الذي بوصاله لا أكتف

وقد ورد في الخبر في الحث على الإنسان إذا طلب وتمنى أن يستكثر ولا يستعظم شيئا فإنما يدعوا كريما .،اللهم يا ذا المن الذي لا يكافى امتنانه، والكريم الذي لا تحصى أنعامه والمنعم الذي لا يجازى إحسانه والغفور بلا موجب والمتفضل بلا سبب، أنت المتفضل علينا فلك المنة والمحسن الرؤوف الرحيم ،جد علينا وكمل قصدنا وامنحنا فضل ألائك و أوزعنا شكر نعمائك. اللهم إننا ارتكبنا ذنبا عظيما ووزرا قبيحا يهوي بنا إلى حلول العقوبة بنا ويفضي بنا إلى الطرد والبعد والمجازات بأنواع الهوان، اللهم إننا ضاقت بنا أنفسنا إن لم تغفرلنا وترحمنا لنكون من الخاسرين ،اللهم يا أرحم الراحمين يا أكرم الأكرمين ويا رب العالمين بجاه أشرف مخلوقاتك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أزل حجاب الغفلة عن قلوبنا وامنحنا حلة التوفيق والهداية ووجه لنا نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فنحظى بالعناية من جوده والتنعم بقربه وارزقنا رضاه ومحبته ومرافقته وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

فصل من كرائم هذا الولي سيدي محمد الشرقي رحمه الله ورضي عنه ونفعنا به ما ذكرأبو علي سيدي الحسن ابن مسعود اليوسي رضي الله عنه في محاضراته قال رضي الله عنه : بلغنا أن جماعة قدموا على سيدي محمد الشرقي التدلاوي، فخرج إليهم وتحرك سماع فلم يشعروا به إلا وهو في وسطهم يتواجد وليس عليه إلا القميص فقال بعض الجالسين لآخر هذا رجل خفيف، فإذا هو على الفور تكلم على خواطرهم فقال الله الله يا الله الله الله يا لطيف، الحب يهز الرجال لا والله ماني خفيف. هكذا ذكر أبو علي هذه الحكاية ورأيتها بخط بعض الطلبة من إخواننا فيها زيادات ونص ما وجدت .

ومما حدثني بعض ورثة تلامذة الشيخ سيدي محمد الشرقي عن أبائهم وأجدادهم من أبي عباد ما وقع للشيخ سيدي محمد الشرقي مع العالم سيدي عبد الواحد الحميدي[1] حين أتى إليه مع رفقة من الطلبة، فسأل عنه فأعلم

[1]- الفاتك :الجريء.زين الدين محمد بن أبي بكرالحنفي الرازي : مختار الصحاح. تح يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت،صيدا،1420هـ، 1999م،ج1، ص234.

بذالك فخرج في أحسن من الثياب فسألوه عن الشيخ من غير معرفة لهم به فقال لهم ما تريدون به فقالوا له أردنا ملاقاته فحين خاضوا في الكلام مع الشيخ ظنوا أنه هو فأنشدهم:

أنارجل ديناوينصلح ديني بالدنيا   نكتم سرا معنوي من سادتنا الصوفية

فأمر بدخولهم وأكرمهم وجلس معهم وقامت الحضرة[2]أي السماع[3] فقام ودار في المجلس فقالوا في نفوسهم هذا رجل خفيف فأنشد قوله الله الله يا الله الله الله يا لطيف الخ فلما اشتد السماع تواجد سيدي ومولاي سيدي محمد الشرقي وأنشدهم أيضا

إذا اشتاقت الأرواح   سلم إن كان بغيت تريح

ما علينا جناح كـان   قـــمن بالوجد نشطح

انتهى ما وجدت. قلت وهذا الولي الجامع العالم العلامةسيدي أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي كان من أهل محبة هذا الشيخ ومن المعتنين به و أثبت له كرامات في كتابه "المحاضرات"وسأذكرهم واحدة بعد واحدة. وكان الشيخ سيدي محمد الشرقي من أهل ضمانته مع الباقين وهما سيدي محمد بن مبارك.[4]وسيدي الغازي[5] حدثني بذالك سيدي وقدوتي رضي الله عنه.

وذكر لي في ذالك حكاية،قال لي رضي الله عنه، لما أراد سيدي الحسن أن يسكن في بلاد أراق أرسل رجلا إلى سيدي محمد الشرقي كأنه يستشيره في النزول هناك وأثنى على الرجل بخير وسماه إلا أني نسيت اسمه،وقال لي أنه مدفون بمكناسة وقبره بها معلوم وكان الرجل يشاهد سيدي محمد الشرقي عيانا فلما أتاه وتلاقى معه وافقه على

---

[1]- عبد الواحدبن أحمد الحميدي:الشيخ العالم العلامة قاضي الجماعة بفاس وخطيب جامع السلطان بالمدينة البيضاء والحميديون بيت فقه بفاس وهم من صنهاجة ورغة.ابن براهيم:الإعلام.ج8، 2، ص 525.

[2]- الحضرة حضرتان ربانية وشيطانية أما الربانية فهي حضرة الذكرويصحبها الرقص والتصفيق قال علي بن عبد الرحمن الدرعي الحضرة سيرتنا وسيرة أسلافنا ولها شروط عند أربابها الزمان والمكان والإخوانوعدم حضور الولدان والنساء.وأما الشيطانية التي يحضرها أهل اللهو واللعبوالعناد.محمد المنالي الزبادي:سلوك الطريقة الوارية في الشيخ والمريد والزاوية.تح عبد الحق اليملاحي، مطبعة الخليج العربي،تطوان،1433هـ،2012.ص84 .

[3]- والسماع هو فهم ما كوشف به من البيان والإرتفاع عن الوهم إلى روح العيان وهو سفير الحق لما أظهره من الحق. ويدخ في ذالك سماع الذكر والمواعظ.أنظر: أبو نصر السراج الطوسي :اللمع،تح عبد الحليم محمود وعبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة مصر،1330هـ،1960م،ص370.أبو القاسم القشيري:أربع رسائل في التصوف،مطبعة المجمع العلمي العراقي،1963،ص.ص68-69.

[4]- محمد بن مبارك الزعري: كان أميا لا يقرأ،كان يحاول القراءة في مكناسإلى أن جاءه النبي صلى الله عليه وسلم في رؤياه وقال له:إنك لن تقرأ ولكنك شيخ فاخرج.كان أعجوبة في دقائق التصوف.توفي 1006هـ. دفن بتاستاوت.نفس المصدر،ج5،ص 188

[5]- أبو القاسم بن محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد السوسي الهرغي مولدا السجلماسي دارا وقرارا و قبرا المعروف بسيدي غازي (901-981هـ) الولي الكبير الصالح.طبقات الحضيكي،ج1،ص 148.

النزول بالبلاد المذكورة، فنزل سيدي الحسن و أقام بها، فلما أقام بها مدة تسلط عليه الأمير فقال للرجل اذهب إلى صاحبك يعني سيدي محمد الشرقي وقل له ما هذا؟ فذهب الرجل فلما وصل إلى سيدي محمد الشرقي تلاقى معه على العادة المعلومة بينهما فقال له يا سيدي سيدي الحسن يقرؤك السلام ويقول لك ماهذا الذي أصابني؟ وأين الضمان الذي أعطيتني ؟فقال له قل له من جيرانك أصابك الذي وقع بك انتهى.

وبقي على بالي والله أعلم أن سيدي قال لي إثر هذه الحكاية، أن سيدي محمد الشرقي قال للرجل ما ترى أبا الجعد القديم يعني المنزل الذي كان ساكنا فيه أول مرة لما لم يحسنوا الجيران الذي كانوا به الجورة ،كيف تركته خاليا. وحدثني بعض الأقارب أن الشيخ لما دعى عليه وكان في دعائه أن قال له: اذهب يا أبا الجعد الله يخليك حتى يحرثك عبد أعور على ثور أكحل وحمار، وقال لي المخبر وقد شاهدوا فيه دعوة الشيخ بعد مضي زمان .

وحدثني سيدي أيضا بحكاية عن أبي علي رحمه الله قال لي رضي الله عنه وردت على سيدي أبي الحسن اليوسي وكان إذ ذاك بمدينة مراكش حرسها الله، فذهبت إليه وكان نازلا بحومة المواسين، فلما وقفت بباب الدار اعلموه بخبري، فخرج ونصب له كرسي ليجلس عليه فلما رءاني جعل يستفهمني ويقول كيف قال؟ يعني سيدي محمد الشرقي يشير إلى البيتين المتقدمين، فأنشدهما وصاح صيحة عظيمة واهتز حتى فارق الكرسي الذي كان جالسا عليه . ولما رجع سمعته يتلوا قوله تعالى{وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب[1]} قلت ورأيت لأبي علي قصيدة في مدمح الشيخ سيدي محمد الشرقي وهي قوله:

إلى كـــــم ترى ماعشت في سائح البرق	وفـــــي كل عام أنت معتسف الطرف
كـــــــأنك وكلت بالأرض تـــــقتدي	مـــــــــقاديرها وتـــــــرتعي مزن الودق
أمــــــــا آن بعد الأيــــــن للبين تنثنير	كـــــــــائبه عـــــن جوف كل بلا حرق
أما آن للعافين أن يدركوا الغنا ويـــــلقوا	عصـــــــا التسيار بــــــعد النوى السحق
لقد هيجني والـــــجوا يبعث الــــــجوا	قبــــــــيل إنبلاج الصبح ساجعة الورق
تغنت على أفنان دوح كأنها تــــــحست	مــــــــن الصـــــــــهباء كأسا بلا مزق[2]

[1]- النمل 88.

[2]- مزق،المزق شق الثياب ونحوه.العين،ج5، ص94.

فـــــــقلت لـــها إن كان الفك نازحا   فـــــــــنوحي وإلا فالبكاء من الخرق

أتبـــــــــكي ومرعاها خصيب وألفها   قـــــريب ولا أبكي على الفقر والفرق

وقـــــــــد طال ما بين المناهل موقفي   وتحت السحاب الغرصديان[1] يستسق

وقـــــوفا بباب الكرام ولا فتى يقينـــي   مما أختشي الـــــــــــدهر أويـــــرق

وطــــــفت بـــأهل الله في الغرب كلهم   ولم يبـــقى لي بعد الطواف سوى الشرق

وقـــــــد جئت باب البدر والنور والسنا   مــــحمد الشرقي مــــصباح ذا الأفق

مجلي الدياجي عن صدور ذوي النـهى   وســـــــاقيهم غير النزور ولا الدنــــــق[2]

ونــــــاديته والأولـــــــياء جـــميعهم   بأقـــــــطارها أهـــل العناية والصدق

فـــــــيا لـــــــعباد الله جودوا بعطفة   يفك بــــــها العاني من الأسر والخنق

ويـــــــا لــــعباد الله من إغاثة   لضمآن يرجو مـــــــنكم لمحة البرق

الا عـــــــطفة لمنتمي لحماكم   ألا غيرة أن سيم بالهلك والـــــمحق

تـــــوسلت بالمولى الكريم إليكم   وبالـــمصطفى بحر الوفى صفوة الخلق

عــــليه صلاة الله ما هبت الصبا   وجـــــــــر إلى ألف نزوح أخو عشق

وبــــــالرسل طرا وبالنبيين كلهم   وأملاك رب العرش أهل العلا الــمرق

وبالصحب أهل الصدق والــدين   والنهى وأهل المعالي والمراتب والسبق

وبالأصفياء العارفين ذوي العــلا   وكل منيب خاشع طاهر الـــــــخلق

---

[1]- كذا في الأصل ولم أجد معناها.

[2]- الدنق: المقترين على أولاده وأنفسهم.لسان العرب، ج10، ص 106.

عند السماع فلا يحل له تعاطيه لان حفظ العقول واجب، ليس على عمومه بل إنما هو فيمن دام معه اختياره وأما من ليس معه اختيار فلا حكم عليه وبهذا يجمع بين ما ذكر وبين مايقع للصوفيةفي باب السماع وباب الوجد قاله أبو علي.

أما السماع، فالكلام فيه بين العلماء معلوم واختلافهم فيه مشهور ومذهب أهل الكمال منعه قال ابن المبارك: إن السماع ينبت النفاق في القلب، وقال بعض السلف السماع مرقاة للزنى، قال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه في قوله {سماعون للكذب أكالون للسحت[1]} نزلت في اليهود ومن كان من فقراء هذا الزمان آكلا لأموال الظلمة مؤثرا للسماع فيه نزعة يهودية قال الله سبحانه{سماعون للكذب أكالون للسحت}وقال محي الدين [ابن عربي [2]]السماع كله بطر ،و ما سمع الشيوخ إلا تنازلا لإصلاح أبدانهم لئلا تنتهك أو لإخوانهم حتى يلقوا إليهم الحق في قالب الباطل مع أنه لا نص للشارع بجواز ولا منع عند توفر الشروط انتهى.

قلت وأما إنهم يستفيدون من تلك الأصوات لأسرار ومعاني حكى الإمام أبو بكر ابن العربي في "سراج المريدين"

عن أبي الفضل الجوهري[3]. انه بات بجواره ذات ليلة أصحاب الآلات فشغلوه عن ورده بما هم عليه من لهوهم وباطلهم فلما أصبح وجلس في مجلسه قال أنه بات بجوارنا قوم ملأو مسامعنا علما وحكمة،قال أولهم لي لي لي. فقال الآخر لي ولك لي ولك، فقال الآخركذا ومثل ذالك بمتناظرين، وجعل يقرر مثل ذالك حتى قضي المجلس كله بأنواع الحكم واللطائف والأسرار، وهذا من أعجب ما يتحف الله به أولياءه فقد غيبهم الله عن صورتها الباطلة وأشهدهم سره الباطن فيها .

وإما أن ذالك يوافق حالة جمالية تخطر في الوقت ومن هذا الصنيع يقع الطرب وما يشهد من حالات أهل الوجد، وإما انه يكون قطبا فتناسبه النبوة الملوكية وهذه الثلاثة قالها أبو علي وبإثرها ذكر كرامة للشيخ سيدي محمد الشرقي، فيحتمل أن الأوجه الثلاثة كلها اجتمعت فيه وهو الذي يظهر،فظهر لك بهذا كله أن من سمع من

---

[1]- المائدة 42.

[2]- في الأصل أبو العرب وفي ب كما أثبته/ وهو محمد بن علي بن محمد بن أحمد محي الدين أبو بكر الطائي الحاتمي (560-638هـ) ولد بمرسية وكان انتقاله من مرسية لإشبيلية سنة 568، فأقام بها إلى سنة 598، ثم ارتحل إلى المشرق، وأجازه جماعة منهم الحافظ السّلفي وابن عساكر وأبو الفرج ابن الجوزي، ودخل مصر، وأقام بالحجاز مدّة، ودخل بغداد والموصل وبلاد الروم، ومات بدمشق وقبره على سفح جبل قاسيون. محمد بن شاكر بن أحمد صلاح الدين:فواتالوفيات.تح إحسان عباس، دار صادر – بيروت،1974،ط1،ج3،ص 435.وأحمد بن محمد المقري التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب.تح إحسان عباس، دار صادر،بيروت، لبنان،1997،ط1،ج2،ص 161.وأبو العباس الغبريني:عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية.تح عادل نويهض،دار الآفاق الجديدة،بيروت،1979،ط2،ص156.

[3]- حاتم بن الليثبن الحارث بن عبد الرحمن أبو الفضل الجوهري،الحافظ،توفي 262هـ .ابن الجوزي:المنتظم.ج12،ص 175.

الشيوخ رضي الله عنهم يوجه ذالك بخمس تأويلات، إما تنازلا لإصلاح أبدانهم لئلا تنتهك وإما لإخوانهم حتى يلقوا عليهم الحق في قالب الباطل وإما أنهم يستفيدون من تلك الآلات أسرارا ومعاني وإما أن ذالك يوافق حالة جمالية تحضر في الوقت ،وإما انه يكون قطبا فتناسبه النوبة الملوكية، هذا والخلاف مشهور بين العلماء قال ابن البنا في أرجوزته المسماة"بالمباحث الأصلية"[1] في فصل السماع، وللأنام في السماع خوض لكن لأهل الجذب فيه روض.قال بعض شراحها،قال العراقيون وهو أبو حنيفة بالتحريم وقال الحجازيون وهو مالك بالتسليم وقال ابن البنا:

وان للشيوخ فـــــيه فنا إذ جعلوه للطريق ركـــــنا

وإنـــــما أبيح لـلزهاد ونـــــدبه للشيوخ بـــــاد

وهـو على العوام كالحرام عند الشيوخ الأجلة الأعلام

قال الشيخ زروق ،وقد اختلفت المتصوفة في السماع على ثلاثة أقوال بالمنع والإباحة بشروطهاوالوقف، وكذالك الفقهاء اختلفوا فيه على ثلاثة أقوال ثم قال، ومن قال بجواز السماع فعند توفر شروطه الثلاثة التي هي وجود الزيادة في الإيمان ،والنشاط في العبادة والسلامة مما ينكره ظاهر الشرع كالاجتماع مع النساء وسماعهن مما يوجب تحريك الشهوة وكذالك، الأحداث والثالث أن لا يكون مقصودا من غير صراخ ولا رقص ولا إساءة أدب في الذكر وغيره مع كون ذالك مرة ولا يحضر مقتدى به إلا متخفيا .

وقول ابن البنا في الأرجوزة وهو للعوام كالحرام أي والسماع على كافة الناس كالحرام لبقاء حظوظ أنفسهم ووقوف عقولهم مع المحسوسات ولم يصرفوا لفهم المعاني بخلاف أولئك الأشياخ الأعلام الأطواد العظام فقد اضمحلت بشريتهم وتلاشت أنينيتهم وفنيت رسومهم وذهبت أوصافهم الكونية وغيبوا عن صورتها الظاهرة وأصواتها الحسية وشهدوا أسرارا فيها خفية ومعاني رائقة واستفادوا منها علوما رائقة،ونفائس دقيقة وأذواقا نورانية رضي الله عنهم ونفعنا بهم لآمين يا رب العالمين.

الثاني من الأمور:حال أرباب المناصب وأهل الجاه مع هؤلاء الخصوص كالقضاة وغيرهم والفقهاء فإن حالهم إنكار حال الأولياء الله والاعتراض عليهم والبحث عن أحوالهم وذالك عادتهم ودأبه مإلا من عصمه الله وسبقت

---

[1]- الكتاب هو "المباحث الأصلية في جملة الطريقة الصوفية"وهو نظم يقع في 467 بيت، لصاحبه أحمد بن محمد بن يوسف ابن البنا السرقسطي.ابن عسكر:دوحة الناشر.،ص 98.

لهم العناية وأراد الله بهم خيرا ،وليس ما وقع للشيخ سيدي محمد الشرقي هو أول واقع بل الأمر معهودسابق كما وقع للشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه مع الطلبة الذين كانوا مشتغلين بالإنكار عليه، فاتفق أن دخلوا يوما عليه فقال لهم رضي الله عنه أصليتم مستفهما لهم، فقالوا صلينا ،فقال لهم ما صليتم فإن ذاك الذي في قلوبهم عليه لكونهم صلوا ولم يشكوا في ذالك، فلما رأى منهم ذالك قال لهم الله تبارك وتعالى يقول في كتابه{ إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعاإلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون[1]} فهل أنتم بهذه الصفة فلما رأو ذالك تابوا إلى الله واستغفروا.

وقصته رضي الله عنه مع القاضي أبي القاسم ابن البراو كان الشيخ أبو الحسن لما ورد تونس اجتمع عليه خلق كثير بها ،فسمع به ابن البرا فدخله ما هو شان النفوس نسال الله العافية، فوشا به إلى السلطان أبي زكرياء،وقال له، إن ها هنا رجل من آهل شاذلة سرق الحمير يدعي الشرف، وقد اجتمع عليه خلق كثير ويدعي أنه الفاطمي ويشوش عليك في بلادك، فعقد له مجلس المناظرة وجمع ابن البرا جماعة من الفقهاء وجعل السلطان خلف حجاب . وحضر الشيخ رضي الله عنه وسألوه عن نسبه مرارا والشيخ يجيبهم وتحدثوا معه في كل العلوم فأفاض عليهم بعلوم أسكتهم بها،وما استطاعوا أن يجيبوه عنها وكانت مناظرتهم في العلوم التي يعرفونها ،فلما رأى السلطان ذالك قال لابن البرا هذا رجل من أكابر الأولياء ومالك طاقة معه، فقال ابن البرا والله لئن خرج في هذه الساعة ليدخلن عليك أهل تونس فيخرجونك من بين أظهرهم فإنهم مجمعون على ذالك، فخرج الفقهاء ومنع الشيخ من الخروج فدخل على الشيخ بعض أصحابه وقال، يا سيدي الناس يتحدثون في أمرك ويقولون يفعل بك كذا وكذامن أنواع العذاب وبكى بين يديه،فتبسم الشيخ رضي الله عنه وقال والله لو لا أني أتأدب مع الشرع لخرجت من ها هنا وها هنا فمهما أشار إلى جهة انشق الحائط .

ثم قال له ،ائتني بإبريق وسجادة،وسلم على أصحابنا وقل لهم ما نغيب عليكم إلا اليوم خاصة، وما نصلي المغرب إن شاء الله إلا معكم. فأتى الصاحب الشيخ بما أمر به فتوضأ وتوجه إلى الله تعالى وأراد أن يدعو على السلطان ،فقال رضي الله عنه ،قيل لي إن الله لا يرضى لك أن تدعوه بالجزع من مخلوق، ولما توجه رضي الله عنه إلى الديار المصرية راحلا من تونس كتب عليه ابن البرا عقدا بالشهادة على أن هذا الواصل إليكم قد شوش علينا في بلادنا وكذالك يفعل في بلادكم،وأرسله إلى السلطان بالإسكندرية .

[1]- المعارج: الآيات 19-23.

و وقع للشيخ أيضا ما وقع هناك وأهلك الظالمين المسلطين عليه وكان من خبر ابن البرا أن الشيخ لم يدعوا عليه ولم يذكره حتى كان واقفا بعرفات ،وقال الآن أمرت أن ادعوا على ابن البرا فأمنوا على دعائي، فقال اللهم طول عمره ولا تنفعه بعلمه في ولده واجعله في آخر عمره خديما للظلمة. ويقال أن الشيخ رضي الله عنه كان يوما مارا فلقيه ابن البرا فسلم فأعرض عنه ولم يرد عليه السلام،ولقيه بعض حجبة السلطان فلما رأى الشيخ ترجل عن بغلته وبادر إليه وجعل يقبل يديه ويبكي ويسأله الدعاء فدعى له وانصرف. فقال الشيخ رضي الله عنه خوطبت الآن في هذين الاثنين فقيل لي يا علي وسم عبد بالشقاوة علم الحق وأعرض ولو عمل ما يعمل. ووسم عبد بالسعادة علم الحق فأتى إليه ولو عمل و عمل. يعني بالأولا ابن البرا والثاني حاجب السلطان انتهى.

وكما وقع للشيخ سيدي أبي يعزى مع جماعة من فقهاء أهل فاس وكانوا ينكرون كرائمه ويعترضون كلامه فقدموا عليه فخرج إليهم مع جماعة من أصحابه للقائهم بالغابة القريبة من داره فلما رأوه ألقى الله في قلوبهم هيبته ونزلوا عن دوابهم ليسلموا عليه فبينما هم يسلمون عليه إذ سبع خرج من الغابة فوثب على دابة أحدهم فصاح عليه سيدي أبو يعزى ودنى منه إلى أن أخذ بأذنه، وهم ينظرون إليه ثم قال لأصحابه اركبوه فهابوا ركوبه، فقام أحد من أصحابه وهو السيد ميمون فركبه و أجراه مرات وأهل فاس الواصلون للإنكار عليه ينظرون إليه وهو على ظهره مقبلا ومدبرا، فأقدم[1] على ذالك ساعة ثم نزل عليه وذهب.

وكما وقع للشيخ سيدي أبي مدين رضي الله عنه ونفعنا به، جاءه رجل من الطلبة ليعترض عليه فوجده في مجلس تدريسه فجلس مع الطلبة من الحلقة، فأخذ صاحب الدولة في القراءة فقال له سيدي أبي مدين أمهل قليلا ثم التفت إلى الرجل فقال له لما جئت؟ قال له جئت لأقتبس من أنوارك، فقال له ما الذي في كمك قال المصحف فقال له افتح واقرأ أول سطر يخرج لك،ففتحه فقرأ أول السطر فإذا فيه { الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرون.[2]} وقال له سيدي أبو مدين أما يكفيك هذا،فاعترف الرجل وتاب إلى الله وصلح حاله.

وكما وقع للشيخ أبي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن العريف[3]، لما وشى به القاضي ابن الأسود إلى يوسف ابن تاشفين[1] الأمير المعروف فأمر عامله أن يرسله من مارية[2] مدينة بالأندلس وكان الشيخ ابن العريف إذ

---

[1]- في ب فأقام .
[2]- الأعراف 92.
[3]-

ذاك بها و كان أمر الأندلس إلى يوسف المذكور،فأمر به العامل فأدخل في القارب ليخرج به في البحر إلى سبتة، ثم إن القاضي أشار إلى العامل بتكبيله فبعث إليه من يقيده، فأدركه رسول العامل وهو في البحر لم يخرج منه بعد فكبله وذهب راجعا في البحر إلى مارية، فقال ابن العريف روعنا روعه الله تعالى، فلقيه العدو في البحر فحمله أسيرا، فلما وصل ابن العريف إلى سبتة، وافاه رسول السلطان بالأمان وأن تحل قيوده وأن يسرح .

ثم إن ابن العريف تلاقى بالسلطان ،فعظمه واحترمه وأبان حقه و أكرمه ثم أن ابن الأسود، لما خاب سعيه وتخلف ما نوى في الشيخ ابن العريف من الفساد وتحيل عليه في أن جعل له سما في طعام فأكله فمات من ذالك، ثم أن السلطان ندم على ما فات منه في جانب الشيخ، وجعل يبحث عن سبب موته فأخبر بأن الأسود أطعمه سما فحلف السلطان ليفعلن به مثلما فعل بالشيخ حتى يعذبه ويقتله بالسم،فبعثه إلى سوس مقيدا هنالك سقي سما فمات القاضي معذبا غريبا عن وطنه ،نسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.ومثل هذا من أحوالهم كثيرا وأمره شهير قلت وإنما ذكرت ما تقدم لأمرين أحدهما ليعلم أن الشيخ سيدي محمدالشرقي ليس هو أول من وقع له ما ذكر ولا من حدث له ما ذكر ولا ممن اتصف بذالك وأشتهر،ولا هو أول من أفتري فيه أولئك النفر :

ما أنت أول سار غره القمر ولا من خدعته خضرة الدمن

بل الأمر سابق معلوم جار في الأزمنة مرسوم وما من واحد من أولئك الخصوص إلا وقع له ذالك الأمرالمذكور[3]الثاني، ليعلم حال أرباب المناص بوالجاه من الإذاية والتسليط على هؤلاء الأئمة الأجلة إلا من عصمه الله وهداه وأرشده إلى أنجح طريقة ونجاه فينجى من التعرض لذالك ويسلم من الخوض في ما هنالك . وإن وقع شيء منه في جانبهم بادر لذالك بالتوبة والاستدراك لما فات بالندم والإنابة، فيهديه الله على أيديهم ويوفق إلى الهداية والرشد فيسلم من عذاب الدنيا والآخرة، ومنهم من يبقى على تلك الحالة ويستديم على الإنكار ويستمر

[1]- أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله أبو العباس بن العريف الصنهاجي الأند لسي الصوفي الزاهد من أهل ألمرية(458-536هـ) مات قرب سبتة راجعا من مراكش بعد أن عفى عنه ابن تاشفين و كان قد استدعاه من ألمرية،وقيل مات مسموما ودفن بمراكش. ابن الأبار:تحفة القادم.تح إحسان عباس،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1406هـ،1986م،ط1،ص 26.ايضا،تاريخ الإسلام،ج36،ص 404. واليافعي:مرآة الجنان،ج 3،ص204.و ابن الأبار البلنسي : معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي،مكتبة الثقافة الدينية، مصر 1420 هـ، 2000 م،ط1،ص 18.

[2]- يوسف بن تاشفين بن إبراهيم ابن تورقيت ابن ورتاقطن بن منصور الصنهاجي الحميري من أشهر أمراء الدولة المرابطية وهو مؤسسها الحقيقي حكم سنة 465هـ إلى وفاته سنة 500هـ.مجهول:الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية.تح سهيل زكار وعبد القادر زمامة،دار الرشاد الحديثة،الدار البيضاء،1399هـ،1979م،ط1،ص24وص 83.

[3]- في ب المذموم.

على الازدياد من الأشرار فيضل بذالك البهتان ويبوأ بالهلاك والخسران ،لأنه بارز أولياء الله بالمحاربة وقابلهم بالإنكار والمعاتبة.

ولم يعلم أن الله تبارك وتعالى لم يدع أولياءه لغيره قال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه :مثل الولي مع الله كمثل أولاد الليث مع أمهم ،أتراها تاركتهم لمن يريد أن يقتلهم ،قال تعالى {ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون [1]} وقال جل من قائل {ومن يتوكل على الله فهو حسبه [2]} إني كافيه وواقيه وناصره. فمن القسم الأول الطلبة الذين قدموا على الشيخ سيدي محمد الشرقي ،لأنهم تابوا إلى الله وصاحب الشيخ سيدي أبو مدين ،ومن الثاني القاضيان المسلطان على الشيخ أبي الحسن الشاذلي، والشيخ أبي العباس ابن العريف

قلت :وليس هذا مختصا بهؤلاء الأشياخ بل ذالك الجنس مازالوا يتحاملون على من توسموا فيه تفوقا عليهم أو مزاحمة أو رتبة أو حظا إلا من عصمه الله ،وقليل ماهم، كما وقع لسيف الدين الآمدي[3] لما برز على أهل مصر في العلوم أنكروه وكتبوا عليه رسما بذالك ،فكانوا يرفعونه بعضهم لبعض ليوقعوا فيه الشهادة على ذالك فكانوا يشهدون حتى انتهى إل ببعض من وفقه الله وعصمه فوضع تحت الشهادة.

حسدو الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم

وقد تناهى به ذالك حتى خرج من مصر . وأمثال هذا كثير أيضا ،ولو تتبعناه لطال وحكاياته مشهورة وجدير أن ينشد في المشتغلين بذالك :

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدا وبغضا إنه لذميم

---

[1]- المائدة 56.

[2]- الطلاق 3.

[3]- علي بن أبي محمد بن سالم التغلبي(551- 625هـ) وكان في مبتدأ أمره حنبلياً، ثم انتقل وصار فقيهاً شافعياً، واشتغل بالأصول، وصنف في أصول الفقه، وأصولالدين، والمعقولات عدة مصنفات، وأقام بمصر مدة، وتصدر في الجامع وفي المدرسة الملاصقة لتربة الشافعي، وتحامل عليه الفقهاء الفضلاء، وعملوامحضراً ونسبوه فيه إلى انحلال العقيدة والقول بالتعطيل ففر إلى حماة واستخفى بها ثم استقر في دمشق وبها مات.أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر.ج صص،156،155.و الذهبي:تاريخ الإسلام.ج46، ص 14.

والباعث على الإنكار والاعتراض وعدم الإنصاف سببه الكبر والحسد ،وهما الداء العضال الذي هلك إبليس اللعين ،نسأل الله العافية، وذالك معجون في طينة الآدمي ومبتلى به إلا من طهره الله من أصفيائه وقليل ما هم ،ولم يزل ذو الفضل محسود وقد أكثر الشعراء في ذالك من ذالك ما للكميت الأسدي[1] :

أن يحسدوني فإني غير لائمهم قبلي   من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لي ولهم ما بي وما بهــــــم   ومـــــات أكثرنا غيظ بما يجد

أنا الذين يجدوني فـــــي صدورهم   لا أرتقي صـــــدرا منـهم ولا أرد

وقول الآخر:

ألا قل لمن ظل لي حاسدا   أتدري على من أسأت الأدب

أســـأت على الله في فعله   لأنك لم ترضى لي ما وهـــب

فــــجازاك عني بأن زادني   وسد عليك وجــــوه الطلب

ولسيدي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم التنوخي الأندلسي[2] علامة أولياء الأندلس في وقته المجمع على زهده وفضله وعلو رتبته أبيات في ذالك من قصيدة له يذكر فيها حاله وحال حسدته الطاغين عليهوهي:

سلامـــة الصدر من خير الخلالف   من أتـــى بقلب سليم به سعدا

والحقد طبع ذميم عـــد عنه وعذ   بالله رب العلا من شر من حقدا

وجنب الحسد المذموم صاحبهما   رئي قط الحسود سادا ومـــجدا

نـــعوذ بالله من شر الحسود فما   يمسي ويصـــبح إلا ساخط أبدا

عادى مواهب ذي الفضل العظيم   فعاداه السرور فما هم من يرى أبد

[1]- الشاعر الكميت بن زيد بن الأخنس بن مجالد بن ربيعة أبا المستهل(60-126هـ) ومنزله الكوفة ومذهبه في التشيع ومدح أهل البيت عليهم السلام في أيام بني أمية مشهور.الكامل في التاريخ،ج4، ص330.

[2]- ابراهيم بن محمد بن علي بن محمد بن أبي العاص التنوخي(677-726هـ) أصله من جزيرة طريف ونشأ بغرناطة واشتهر ورحل عن طريف ودخل سبتة وقرأ بها ثم عاد إلى غرناطة وتولى الخطابة بجامعها 716هـ،كان صادعا بالحق غيورا على الدين مخالفا لأهل البدع.ابن الخطيب:الإحاطة في أخبار غرناطة.ج1، ص 197.

وقول الآخر :

قل للحسود أما ينهاك عن حـــسد   تعذيب قلبك والمحسود في نعمه

تهدي له الدهر ما جمعت من حسن   وصرت معترضا الله في حــكمه

وقول الآخر:

لا سعد الله حسادي وزادهـم   حتى يموتو ا بداء غير مكنون

إني رأيتهم فـــــي كل منزلة   أجل فقرا من الائي أحبوني

وهذه الأبيات الأخيرة كما قال أبو علي لما ذكر دخوله لفاس في كتابه المحاضرات، واشتغلبتدريس العلم وأقبل عليه الطلبة للقراءة وتخلفت جماعة وهم أو جلهم محتاجون إلى المجلس وفي ذالك أنشد قوله :

ما أنصفت فاس ولا أعـــلامها   علمي ولا عرفوا جلالة منـــــصبي

لو أنصفوا الصبوا[1] إلا كما صبا   راعي السنين إلـــى الغمام الصيب

وذكر الحسد والأبيات، ثم قال هذه الأبيات تخيل استحسان الحاسد واستحباب وجوده بل استحباب كثرته، ولم يزل الناس يكرهونه ويستعيذون من شره وقال تعالى { ومن شر حاسد إذا حسد }[2] فقد يقف القاصر على هذا فيحار لا يدري ما يختار، وفصل القضية في ذالك أن وجود الحسد كما مر دليل على وجود الفضل وذالك لما عرفت أن الحسد موجب زوال ما ظهر على الغير من خير ،إما ديني أو دنيوي حسي أو معنوي عاجل أو آجل،حقيقي أو إدعائي، فلزم من وجود الحسد وجود الخير ثم قال، فمن استحب وجود الحاسد فلم يحبه لذاته بل أحب ما يقارنه من الخير لا من حيث أنه محسود عليه بل من حيث كونه خير. وقال قبل هذا وكلما كثر الفضل كثر الحساد، فوجود الحساد دليل على وجود الفضل وعدمه على عدمه، فإذا قيل للشخص كثر الله حسادك كان دعاء له، وإذا قيل له قلل الله حسادك كان دعاء عليه، ثم قال ومن كره الحاسد فإنما كرهه لذاته إذ هو منقص بما فيه من أقواله وأفعاله ولما يتوقع من شره، ولا شك أنه جدير بذالك، ولذا أمر بالتعوذ منه بالله تعالى لا دواء له إلا

---

[1]- الصبابة الشوق ورقته وصب الرجل إذا عشق.تاج العروس،جج3، ص 180.

[2]- الفلق 5.

هي مع الصبر على ما يرى ويسمع ،وبذالك ينعكس على الحاسد البلاء فيموت غما كما قال تعالى{قل موتوا بغيضكم}[1]انتهى منه باختصار وتقديم وتأخير، ثم أنشدوا قول الشاعر :

أصبر على مضض الحسود فــــإن صبرك قاتله

فـــــــالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

ونحوه قول الآخر :

إني لأرحم حاسد لفرط مـــا ضمت صدورهم الأوغار

بطروا صنيع الله لي فعــيونهم فــي جنة وقلوبهم في نار

ذكرتني الاية المتقدمة وهي قوله تعالى {قل موتو بغيظكم } حكاية وهي ،أن بعض الناس كتب في منبر الحجاج ابن يوسف {قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار}[2]فرآها الحجاج يوما فكتب أسفلها {قل موتوا بغيظكم} وهذه يذكروها من الأجوبة المسكتة، قلت وسيأتي إن شاء الله فائدة وقوع الإذاية بالأولياء وتسليط أرباب المناصب عليهم وكون الناس لهم بين مصدق ومكذب.الثالث من الأمور التي في الكرامة المتقدمة ذكر المحبة وهي من أسنى المناصب وأرفع المواهب التي يمن الله بها على أوليائه وأصفيائه ولا بد من الكلام عليها لتقدم ذكرها ويتوقف الكلام عليها في أمور الأول في حقيقتها وحدها.

اعلم أن المحبة ميل روحاني يستجلب الود ويسلب البعد، وللناس في حدها اختلاف كثير وعبارتهم فيها كما قيل وإن كثرت فإنما هي في الحقيقة اختلاف أحوال وليست باختلاف أقوال، وأكثرها يرجع إلى ثمرتها دون حقيقتها وقيل أنها من المعلومات التي لا تحد وإنما يعرفها من قامت به وجدانا ولا يمكن التعبير عنها ولا تحد بحد واضح فمن حدودها قول الحارث المحاسبي[3] ميلك إلى المحبة بكليتك ثم إيثارك له على نفسك وروحك ثم موافقتك سرا وجهرا ثم علمك تقصيرك في حبه انتهى.

---

[1]- آل عمران 119.

[2]- الزمر 8.

[3]- الحارث بْن أسد، أبو عبد الله المحاسبيأصله من البصرة وسكن بغداد. سمي المحاسبي لأنه كان يحاسب نفسه، له كتب فِي الزهد والمعاملة. كَانَ الإمَام أحمد بْن حنبل ينكر عَلَى الحارث المحاسبي خوضه فِي الكلام، ويصد الناس عنه، فهجره أحمد فاختفى فِي داره ببغدادوقال المروذي: إن أبا عبد الله ذكر حارثًا المحاسبي. وقال: حارث أصل البلية، يعني حوادث كلام جهم، ما الآفة إلا حارث،، ومَات ببغداد سنة 243هـ. ابن الجوزي: المنتظم:ج11،ص 308.وابن تغري بردي:النجوم الزاهرة.ج3،ص 316.ومحمد بن الحسين سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي :طبقات الصوفية.تح مصطفى عبد

وقال القاضي عياض في الشفا[1]:قال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب . وقال آخر إيثار المحبوب، وقال آخر الشوق إلى المحبوب ،وقال آخر المحبة مواطأة القلب لمراد الرب يحب ما أحب ويكره ما كره، وقال آخر المحبة ميل القلب إلى موافق له انتهى ثم قال القاضي : وأكثر العبارات المتقدمة إشارة إلى ثمرة المحبة دون حقيقتها قلت وأقرب الحدود إليها كما قال بعضهم قول الشيخ زروق رضي الله عنه في أحد شروحه للحكم ،المحبة أخذ جمال المحبوب بحبة القلب حتى لا يجد مساغا للالتفات لسواه ولا يمكنه الانفكاك عنه ولا مخالفة مراده ولا[وجود الاختيار عليه[2]] لوجود سلطان الجمال القاهر للحقيقة بتجليه المستفيض عليه دون اختيار منه ولا مهله ،فإن مغازلة الجمال لا يشعر بها وأخذته لا يقدر عليها وحقيقة ما يتولد عنه لا يفر عنها، تنفي الأعراض والأغراض وتنفي الحقائق والأعواض فلا يبقى مع غير المحبوب قرارولا عما سواه اختيارانتهى.

الثاني من الأمور في علامة المحبة : قال القاضي عياض رحمه الله:

اعلم أن من أحب شيئا آثر موافقته وإلا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعي افالصادق في المحبة من تظهر عليه علاماتها ،ولحب المولى جل جلاله علامات، ولحب الرسول صلى الله عليه وسلم علامات. واعلم أن سبب محبة الله معرفته، فتقوى المحبة على قدر قوة المعرفة وتضعف على قدر ضعف المعرفة،فإن الموجب للمحبة أحد أمرين أو كلاهما إذا اجتمعا، ولا شك أنهما اجتمعا في حق الله تعالى على غاية الكمال،فالموجب الأول الحسن والجمال والآخر الإحسان والإجمال، فأما الجمال فهو محبوب بالطبع فإن الإنسان بالضرورة يحبكل ما يستحسن ولا جمال مثل جمال الله تعالى في حكمته البالغة وصنائعه البديعة وصفاته الجميلة الساطعة والأنوار التي تروق العقول وتبهج القلوب وإنما يدرك جماله تعالى بالبصائر لا بالأبصار ،وأما الإحسان فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وإحسان الله لعباده متواتر وإنعامه عليهم باطن وظاهر { وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها [3] } ويكفيك أنه يحسن إلى المطيع والعاصي وإلى المؤمن والكافر، وكل إحسان ينسب إلى غيره فهو في الحقيقة منه وحده فهو المستحق للمحبة وحده.

القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت،1419هـ، 1998م،ط1،ص 58.وابن الملقن: طبقات الأولياء.ج1، ص175.و أبو المعاطي النوري،أحمد عبد الرزاق عيد، محمود محمد خليل:موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله،عالم الكتب،1417 هـ،1997 م،ط1،ج1، ص211.ا

[1]- كتاب الشفا في حقوق المصطفى للقاضي عياض السبتي.

[2]- ساقطة من أ

[3]- النحل 18.

فصل في علامة محبة الله :منها تقديم أمره على هوى النفس ورعاية حدود الشرع والتزام التقوى والورع فمن التزم ماذكر حصل له ما ذكر ومن خالف ما تقدم حاد وبعد وندم ولقد أحسن القائل ويقال أنه القاضي رحمه الله :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه   هذا محال في القياس بـديع

لو كان حبك صادقا لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع

ومنها التشوق إلى لقائه لأن من أحب شيئا إشتاق لرؤيتهويتضمن ذالك الخلق عن كراهية الموت وينشد هنا :

إذا لـم يكن للقلب في اليوم راحـة   فإن غدى للعاشقين قـــــريب

أيا معشر العشاق ما أفـصح الهوى   إذا لم يكن يلقى الحبيب حبيب

وقول الآخر : سلام عــلى قلب تعرض للهوى   وسلام على من أحرقته شـــجون

وعــذبه حزن يهيج هـــــمومه   وللهم والأحــــــزان فيـــه فنون

الأهل على الشوق المبرح مـسعد   وهل لي على الشوق الشديد معين

ألام على فيض الدمـوع ولا أرى   محبا كمثلي للدموع يــــصون

أيبكي حمام الأيك من بعـد ألفه   وأصبر عنه كيف ذاك يـــــهون

ومالي لا أبـــكي لفرقة هيجت   نوازع أشواقل الضلوع الــــدفين

يحكى أن إبراهيم ابن أدهم[1] رضي الله عنه قال إلهي وسيدي ومولاي إن كنت قد أعطيت لأحد من المحبين ما يسكن به قلبه قبل لقائك فأعطني ما يسكن به قلبي لقد أضرني القلق ثم أنشأ يقول:

ولقد تجلدت حتى لم اطق جلدا   وقد وجدت مذاق الصبر كالقبر

---

[1]- إبراهيم بْن أدهم بْن منصور بْن يزيد بْن جَابِر العجلي، ويقال: التَّمِيمِيّ أصله من بلخ وَكَانَ من أولاد الملوك، واشتغل بالتزهد عَنِ الرواية، وَكَانَ يكون بالكوفة ثُمَّ بالشام.يحكى عنه أنهخرج يوما إلى الصيد مَعَ الغلمان والخدم والجنائب والبزاة فبينا إِبْرَاهِيم في ذلك وهو على فرسه يركضه، إذا هو بصوت من فوقه: يا إِبْرَاهِيم، مَا هَذَا العبث {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ } اتق اللَّه، وعليك بالزاد ليوم الفاقة، قَالَ: فنزل عن دابته ورفض الدنيا وأخذ في عمل الآخرة. قيل له تركت خراسان، قَالَ: مَا تهنيت بالعيش إلا فِي بلاد الشام أفر بديني من شاهق إِلَشاهق، ومن جبل إِلَى جبل، فمن يراني يَقُول: موسوس، ومن يراني يَقُول: حمال. توفي بالجزيرةسنة 160هـ وقيل 161هـ. وحمل إلى صور فدفن هناك. المنتظم،ج 8، ص240.أيضا:طبقات الاولياء،ج1،ص5. الصفدي:الوافي بالوفيات،ج5، ص205.وصلاح الدين:فوات الوفيات.ج1،ص 13

فما وجدت دواءا أستريح به   إلا التمتع في المحبوب بالنظر

ومن علامات محبة الله أيضا الرضا بقضائه، فكل ما يفعله به من أنواع البلايا يستحليه ويتلذذ به ويعرض به وقد حكي عن عمران ابن حصين[1] أنه استسقى بطنه فلبث على ظهره سقيما ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد، قد نقب له على سرير من جريد لا يقوم ،وكان تحته ثقب لغائطه و بوله فدخل عليه مطرف[2]وأخوه العلا ابن الشخير، فجعل يبكي لما رأى من حاله فقال له لما تبكي؟ فقال لأني أراك على هذه الحالة العظيمة، قال لا تبكي ثم قال أحدثك بشيء لعل الله ينفعك به واكتم علي حتى أموت، إن الملائكة تزورني فآنس بها وتسلم علي فأسمع بتسليمها .وروي عن عبد الواحد ابن زيد[3] رضي الله عنه ،أنه خرج مع بعض إخوانه إلى ناحية من نواحي البصرة فآواهم السيل إلى كهف جبل، فإذا به عبد مقطوع بالجذام يسيل جسده قيحا وصديدا، فقالوا له يا هذا لو دخلت البصرة فتعالجت من هذا الذي بك، فرفع طرفه إلى السماء وقال، يا سيدي بأي ذنب سلطت علي هؤلاء يسمطوني عليك ويكرهونك إلي ،سيدي لك العتبى من ذاك الذنب وأستغفرك منه لا أعود له أبدا، قال ثم أعرض عنا بوجهه فانصرفنا وتركناه وفي هذا قال قائلهم :

قل للحبيب الذي يرضاه سفك دمي   دمي حلال له في الــحل والحرم

إن كان سفك دمي أقصى مـــرادكم   فما غلت نظرة منكم بسفك دم

وقول الآخر:أبليت من أحببتب أحسن البلا   وخصصت بالبلوى رجال خشع

أحببت بلواهم وطول حنينهمأطلت بلواهم لكي يتخضع

---

[1]- عِمْرَانَ بْن حصين بْن عُبَيْد بْن خلف بْن عَبْد نهم بْن حذيفةبن جهمة ابن غاضرة بنى حبشية بْن كعب بْن عَمْرو الخزاعي الكعبي. يكنى أبا نجيد،أسلم عام خيبر، وغزى مع رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم غزوات، بعثه عُمَر بْن الخطاب إِلَى البصرة، ليفقه أهلها وكان من فضلاء الصحابة، واستقضاه عَبْد اللَّه بْن عَامِر عَلَى البصرة، فأقام قاضيًا يسيرًا، ثُمَّ استعفي فأعفاه.قَالَ مُحَمَّد بْن سِيرِينَ: لم نر فِي البصرة أحدًا من أصحاب النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم يفضل على عمران ابن حصين.وكان مجاب الدعوة، ولم يشهد الفتنة. روى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، توفي بالبصرة سنة 50هـ.ابن الأثير:أسد الغابة،ج3،ص 778.

[2]- مطرف بن عبد الله ابن الشخير، الإِمَامُ، القُدْوَةُ، الحُجَّةُ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الحَرَشِيُّ، العَامِرِيُّ، البَصْرِيُّ، أَخُو يَزِيْدَ بنِ عَبْدِ اللهِ.بَقِيَ إِلَى أَنْ خَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ الأَشْعَثِ بَعْدَ الثَّمَانِيْنَ. وَأَمَّا عَمْرُو بنُ عَلِيٍّ، وَالتِّرْمِذِيُّ: فَأَرَّخَا مَوْتَهُ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِيْنَ، وَقَالَ خَلِيْفَةُ بنُ خَيَّاطٍ: مَاتَ مُطَرِّفٌ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِيْنَ الذهبي:سير أعلام النبلاء.ج 5،ص 105.

[3]- – عبد الواحد بن زيد أَبُو عُبَيْدَة، الْقَاص البصري الزاهد شيخ الصوفية وواعظهمالذي قيل إنه صلى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة وهو متروك الحديث توفي 177هـ.الذهبي:العبر في خبر من غبر.ج1،ص208. الخطيب البغدادي: تالي تلخيص المتشابه. تح مشهور بن حسن آل سلمان ، أحمد الشقيرات، دار الصميعي،الرياض،1417،ط1،ج2، ص 360.أيضا الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال.تح علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،1382 هـ،1963 م،ط1،ج2، ص672.

وقول الآخر:أمــوت وما ماتت إليك صبابتـــي وما قضيت من صدق حبك أوطاري

منايا المنا كـل الــمنا أنت لي المنا وأنـــت الــغنا كل الغنا عند إقتاري

وأنت مدى سؤلي ومقصد رغبتـــي وموضع شكواي ومضنون إضـــماري

تـــحمل قلـــبي فيك مالاأبثه وإن طــــال سقمي فيك أوطال إضراري

ولي منك في الاحشاء داء مـخامر فــــقد هدمني الذكر إذ بث أسراري

ألست دليل القوم إذ هم تـــــحيروا ومنقـــــذ من أشفى على جرف هار

فــــــجد لي بعفو منك أحيا بقربه وواصل بـــقرب منك مطرود إعساري

وروي عن بشر الحافي[1] رضي الله عنه قال رأيت بعبادأن رجلا قطعه البلا وقد وسالت على خديه حدقتاهوهو في ذالك كثير الذكر عظيم الشكر لله تعالىفإذا هو قد صرع من جنته قال، فوضعت رأسه في حجري فجعلت أسأل الله أن يكشف مابه وأدعوا،فأفاق وسمع دعائي فقال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي ويتعرض علي في نعمه عليونحا رأسه من حجري فاعتقدت أن لا أعترض على عبد في نعمة أراها عليهمن البلا:

تحكم بقلبي كـــيف شئت فما أرى وحــــــقك لقلبي في ودك ثانيا

تحقق صدق الحب في جو خاطري وأصبح قلبـــي للحبيب مصافيا

وانسني بالسبط فــــي مجلس الرضا وأخجلني التعظيم إذ كـنت دانيا

وأجلسني في روضة الــحب سيدي فطالعه قلبـــــي وقد لاح باديا

ندمت على وصف أضعت لـسيدي وهل يصف العبد الفقير الــمواليا

[1]- أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله، وكان اسم عبد الله بعبور، وأسلم على يد علي أبي طالب رضي الله عنه، المروزي المعروف بالحافي، أحد رجال الطريقة رضي الله عنهم؛ كان من كبار الصالحين، وأعيان الأتقياء المتورعين، أصله من مرو من قرية من قراها يقال لها مابرسام ، وسكن بغداد، وكان من أولاد الرؤساء والكتاب.وكان مولده سنة 150هـ، وتوفي في سنة 226هـ، وقيل: 227هـ، بمدينة بغداد، وقيل: بمرو.ابن حلكان:وفيات الأعيان.ج 1، ص275.

إلى غير هذا مما يطول من حكاياتهم ووجوه الألطاف والمن في وقوع البلايا بهم لا يأتي عليها الحصر،فقال الإمام ابن عباد[1]: ولكن نذكر منها ما يزداد به المريد قوة وحسن الظن بربه تعالى ويحمله ذالك على القيام بواجبها، فنقول البلايا التي يبتلي الله تعالى بها عباده مناقضة لإرادتهم ومنقصة لشهواتهم وكلما أزعج النفس ونغصهاوآلمها فهو محمود العاقبة م،ن قبل أن ذالك رد إلى الله تعالى وملازمة بابه بصدق اللجا والافتقار إليه، وهذا هو أعظم فوائد البلايا ويجد ذالك من نفسه كل ما نزلت به بلية أو أصابته رزية ،وفيها أيضا ضعف النفس وذهاب قوتها وبطلان صفاتها إذ بوجود ذالك يقع العبد في الذنوب والمعاصي، وتتأكد منه الرغبة في الدنيا والحرص على إتباع الهوى وقد قيل لا يخلوا المؤمن من علة أوعيلة أو قلة أو ذلة،وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (الفقر سجني والمرض قيدي أحبس من أحببت من عبادي).[2]

وفيها أيضا يحصل له طاعة القلوب وأعمالها وذرة منها خير من أمثال الجبال من أعمال الجوارح بادي.

وفيها أيضا يحصل له طاعة القلوب وأعمالها وذرة منها خير من أمثال الجبال من أعمال الجوارح وذالك مثل الصبر والرضى والزهد والتوكل وحب لقاء الله تعالى وفي الخبر (إذا أحب الله عبدا ابتلاه فإن صبر اجتباه وإن رضي اصطفاه)[3]. وفيها أيضا يحصل له كفارة الذنوب والخطايا ويستوجب من الله تعالى جزيل الهبات والعطايا.

ولا سبيل له إلى ذالك إلا بما يردعليه من أنواع البلايا، لأن العبد قد يعجز عن القيام بوظائف الطاعات ويتكاسل عن المواظبة على نوافل الخيرات، وتكون حينئذ محرما من ثوابها غير حاصل له ،فتكفر سيئاته بها وإن قدر عليها ولم يتكاسل عليها من له بتخليصها عن الشوائب وتسليمها من الآفات والمعايب،وحينئذ يبطل عمله ويخيب من انتفاعه به أمله فليحسن العبد ظنه بمولاه وليعلم أن ما اختاره له خير مما يختاره لنفسه بشهوته

---

[1]- محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مالك بن إبراهيم بن محمد بن مالك بن إبراهيم بن يحيى بن عباد النفزي الحميري الرندي، أبو عبد الله، المعروف بابن عباد(733 - 792 هـ) متصوف، من أهل " رندة " بالأندلس.تنقل بين فاس وتلمسان ومراكش وسلا وطنجة، واستقر خطيبا للقرويين بفاس، وتوفي بها، له كتب منها " الرسائل الكبرى "في التوحيد والتصوف ومتشابه الآيات، و " غيث المواهب العلية بشرح الحكم والعطائية " ويعرف ب"شرح النفزي على متن السكندري"، و "كفاية المحتاج " و " الرسائل الصغرى" .و مؤلفات أخرى .كحالة:معجم المؤلفين.ج7،ص 177.

[2]- لم أجده بهذا اللفض.

[3]- وجدته بألفاض أخرى منها قوله صلى الله عليه وسلم:إ(اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا ابْتَلَاهُ فَإِذَا ابْتَلَاهُ اقْتَنَاهُ). قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا اقْتَنَاهُ؟ قَالَ: (لَمْ يَتْرُكْ لَهُ مَالًا وَلَا وَلَدًا) محمد بن أحمد الدولابي الرازي: الكنى والأسماء.تح أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم،بيروت، لبنان،1421،2000مط1،ج1،ص.136.وقوله صلى الله عليه وسلم:(إذا أَحَبَّ الله عَبْداً ابْتَلاهُ لِيَسْمَعَ تَضَرُّعَهُ) قال الألباني ضعيف.. زين الدين محمدالمدعو بعبد الرؤوف: فيض القدير شرح الجامع الصغير. المكتبة التجارية الكبرى،مصر،1356هـ،ط1،ج1،ص 245.

وهواه،وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال للرجل الذي قال له أوصني ،فقال له:(لا تتهم الله في شيء قضاه عليك)[1]انتهى.

ومن علامات محبة الله الطرب عند سماع اسمه ،ويكون ذالك بالانغماس في بحار أحديته الاستغراق في حضرة المشاهدة حتى لا تجد شعورا ولا انفكاكا يعزب عن فهمهما سوى الله تعالى،حتى حجب عن نفسه وأحوالها ومعاملتها وكان كالمدهوش الغائب في عين الشهود، كما حكي عن بعضهم أنه لقي واحدا منهم في البرية فقال له من أين أتيت؟ فقال هو .فقال أين تريد؟ فقال هو .فقال ما تعني بقولك هو؟ فقال هو. فقال الله تعني بقولك هو؟ فصاح وسقط ميتا .وفي هذه الحكاية الإشارة بهو، وفيها خلاف بين الأئمة، أما من كان مثل هذا الرجل فلا كلام عليه . قال الشيخ زروق في النصيحة الكافية: ولا يجوز يا هو إلا الرجل استغرق بالتعظيم حتى لم يبقى له من رسومه غير الإشارة،ولم يجد حاله إلا في الإبهام..فهذا محكوم عليه فيسلم له كما نص عليه أئمة الشأن وبالله التوفيق .

وقال بعض المتأخرين الحاصل أن الإشارة بهو[2] مختصه بأهل الاستغراق[2] والتحقق في الهوية الحقيقية لانطباق بحر الأحدية عليهم وانكشاف الوجود الحقيقي لديهم فقدوا من يشار إليه بهو إلا هو لان المشار إليه، لما كان واحدا ،كانت الإشارة مطلقة لا تكون إلا إليه لفقد ما سواه في شعورهم الفناء لفنائهم عن الرسوم البشرية بالكلية وغيبتهم عن وجودهم وإحساسهم وأوصافهم الكونية وذالك غاية في التوحيد والإعظام، وللناس في إطلاق هذا اللفظ بحث وإنكار على الصوفية والحق أن إطلاقه في محل الإثبات المطلق إساءة أدب و في مقام التعظيم بإشعاره واستشعاره أو شواهده وقرائنه لا بأس به لأهله والله أعلم .

فصل ومن كرائم هذا الشيخ سيدي محمد الشرقي نفعنا الله به :المسوق هذا الكتاب لأجله المجموع في فضائله ما يناسب ذكره هنا أي في مقام الغيبة والفناء والاستغراق وعدم الشعور بالوارد ماحدثنا به بعض الناس أن الشيخ

---

[1]- جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، فسأله أنْ يُوصيه وصيَّةً جامعةً موجَزةً، فقال: (لا تتَّهم الله في قضائه) وهو ضعيف. : زين الدين عبد الرحمن ابن رجب الحنبلي: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم.تح محمد الأحمدي أبو النور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع،1424 هـ، 2004 م،ط2، ج2،ص579

[2]- هو لفظ يطلقه الصوفية على الله عز وجل للتعبير عن حال الفناء .قال أبو يزيد البسطامي:أنا لا أنا أنا أنا لأني أنا هو، أنا هو أنا هو هو،كأني كأني أو كأني كأني هو أو هو إني :لا يروعني إن كنت أني يا أيها الضان لا تحسب أني أنا الآن أو يكون أو كان كأني هذا الجلد العارف أو هذاحالي.لا بأس إن كنت أنا ولكن لا أنا.

إذا تجردت عن عين وجودي كنت أنا الهو على الشهود

وكان كـــــوني لأن عـــيني عين شهـــــودي بلا مزية.

رفيق العجم:موسوعة مصطلحات التصوف.ص 1011.

كانت له زبيبة فوق خده فطالت، فقام إليه بعض الناس فقالوا له ياسيدي نأتي[1] إليك بالطبيب لعله يزيلها لك، فقال لهم افعلوا إن شئتم، فذهبوا وأتوا بالطبيب فلما أبصرها رأى زوالها متعذر إلا بكلفة لما في ذالك من الإضرار بالشيخ ،فقام الطبيب للشيخ وقال له،يا سيدي نناولك شيئا تأكله فيسهل عليك زوالها فلما رأى الشيخ ذاك وسمع كلامهم قال لهم ناولوني السبحة ،فناولوها له فلما قبض عليها أشتغل بالذكر غاب رضي الله عنه فقام الطبيب وفعل ما أمكنه في زوالها فأزالها وبعد ذالك فاق الشيخ رضي الله عنه.

كـــــرر علي الذكر من أســــمائه وأجـــــلو القلوب بنـــوره وضيائه

اســــم بـــه الكون استفاد ضياءه فـــــــي أرضه وسمائه وفضائه

لا يـــحصر الوصاف بعض صفاته كــــلا ولا يــــدرون كنه سنائه

حـــــارت عقول القوم عند صفاته أضاءت[2] قلوب الخلق من لآلائه

أعـــــــد اسمه للعارفين تـــــــلاوة تـــــلقى به المعروف من آلائه

[يارب باسمك أرتجي[3]]منك الرضـا أنـــــت المرجى دائـــما لشفائه

يـــــارب بـــالهادي البشير محمد الصـــــادق المصدوق في إثباته

ارحـــــــم غـــريقا في بحار ذنوبه وأجـــــره حقا من قيود عـــــنائه

يـــــارب صلي على النبـــي محمد ما لاح بـــــرق في دجى ظلماته

فصل ومما ينسب ذكره هنا من كرائم هذا الشيخ سيدي محمد الشرقي، ما حدثني به بعض الثقاة أن الشيخ سيدي محمد الشرقي، أرسل إلى الولي الصالح أبي العباس سيدي أحمد بن يحي دفين فشتالة في حياته رسولا،وقال له ،اقرأ له السلام وقل له: أين الوارث في أولادي والخليفة فيهم ؟فقال أبو العباس للرسول قل له حتى تعرف أولادك ونتكلم معك، يشير رضي الله عنه إلى أنه غائب عنهم، لا يعرف أحدا منهم رضي الله عنهم ونفعنا بهم .

[1]- الغرق مراتب وهو في مرتبة الحقائق الغرق في سكر الحال لشدة الاتصال وفي النهايات الاستغراق في عين الجمع الأحدية ومحق الرسوم بالكلية .الكاشاني:مصطلحات التصوف.ص 339.

[2]- في ب ضاءت.

[3]- ساقطة من أ

هـــذه الفضائل والمكارم والتـــي تصغي لـها أذن السميع وناشد

هاذي الـــــمناقب والمحامد التي تـــتلى على مر الدهور لعابد

لـــــو انـــــها تعطى لباذل روحه هانت عليه ولــم يكن بالزاهد

وقال الآخر :ترى الــمـــحبين صرعى في ديارهم كفتية الكهف لا يدرون مالبثوا

والله لو حلف العشاق أنهم صرعـى من الـحب أو موتى لـما حنثوا

فالحكاية المتقدمة عن الرجل الذي سقط ميتا ،وما تقدم للشيخ رضي الله عنه وأمثاله ،هو الحب الذي تعنيه هؤلاء الخواص رضي الله عنهم ،فأولئك السادات رضي الله عنهم استهلكوا في حقائق القرب باستيلاء ذكر الله على أسرارهم ،وامتحوا عن شواهدهم فضلا عن إحساسهم بمن سواه، وفنوا عن الرسوم البشرية وغيبوا عن وجودهم ورسومهم وأوصافهم الكونية ولم يبق لهم شعور، قد عزبوا عن كل شيء من نفس وحول وفعل فلم يبقى في نظرهم إلا الله، ولم يشاهدوا إلا هو ولم يخطر ببالهم غيره فقدوا مافي الوجود إلا هو[1] وفيهم ينشد :

تـــجلى لهم سرا فأفنى وجودهم ـ ولم يبقي من أجسامهم مـفصلا أصلا

وأضــــحوا نشاوى من مدامة حبه وأرواحهم تسموا إلى الــــملأ الأعلى

تـــفانوا على دين الغرام فأصبحوا بسيف الهوى في حب محبوبـهم قتلى

سقاهم كؤوس الحب صرفا وحـبذا كـــؤوس اتصال الود عن ذكره تـــملى

ونـــــاداهم والليل قــد مد ستره وأوردهم مــــن فضله المورد الأحلى

وأشهدهم أنوار حسن جـــماله وبوأهم من فضلهالفضل والـوصلا

فــهاموا به لــــما رأوه صبابة وقــد عدموا في حبه الذهن والعقل

وقال أبشروا ثـم أنظروا وتــمتعوا فهذا جمالي قد بدا لكم يـــجلا

فــــيا معشر الأحباب يهنيكم للقى فسعدكم وافـــى وحزنكم ولا

[1]- من فكرة الفناء والاستغراق نشأت فكرة وحدة الوجود المبتدعة.

فمن هنا ينشأ ما يشاهد من حلالات الوجد والطرب قد رفع التكليف عنهم وللقطب الجامع سيدي أبي مدين رضي الله عنه ونفعنا به في هذا :

فــقل للذي ينهى عن الوجد أهله إذا لم تذق معنى شرلب الهوى دعنــي

إذا إهــتزت الأرواح شوقا إلى اللقا تراقصت الأشباح ياجاهل الـــــمعنى

أما تنظر الطير المقفص يا فتـــى إذا ذكر الأوطان حن إلـــــى المغنا

فــــــفرج بالتغريد ما بـــــفؤاده فــتضطرب الأعضاء بالحس والمعنــى

فيرقص في الأقفاص شوقا إلى اللق أفــــــيهتز أرباب الــــعقول إذا غنى

كذالك أرواح الــمحبين يافـــــتى تــــــهززها الأشواق للــعا لم الأسنى

أتـــــــلزمها بالصبر وهــي مشوقة وهل يستطيع الصبر من شاهده المعنى

فيا حادي العشاق قم وأحد قـائما وزمـــــــزم لـنا باسم الحبيب وروحنا

وصن سرنا في سكرنا عن حسودنا وإن أنكرت عيناك شــــيئا فسامحنا

فإنا إذا طبنا وطابت عـــــــقولنا وخــمرنا خـــــــــمر الغرام تهتكنا

فلا تلم الســكران في حال سكره فـــــــقد رفع التكليف في سكرنا عنا

ويوجد بيت قبل هذه القصيدة وهو:

يحركنا ذكر الأحاديث عنكم ولولا هواكم في الحشا ما تحركنا

ومن هنا أيضا استهلك بعضهم ولم يشعر حتى قال :أنا الحق وما في الجبة إلا الله، وقول الآخر سبحاني.قلت وسبب هذه المقالة وقع للحلاج ما وقع.[1]

[1]- الحسين بن منصور بْن محمى الحلاج، ويكنى أبا مغيث، وقيل: أبا عبد الله وَكَانَ جده محمى مجوسيا من أهل بيضاء فارس، ونشأ الحسين بواسط، وقيل:بتستر، ثم تتلمذ لسهل التستري، ثم قدم بغداد وخالط الصوفية، ولقي الجنيد والنوري وغيرهما، وَكَانَ مخلطا ففي أوقات يلبس المسوح، وفي أوقات يلبس الثياب المصبغة،قالَ أَبُو بكر الصولي: قد رأيت الحلاج وجالسته ، فرأيت جاهلا يتعاقل، وغبيا يتبالغ، وفاجرا يتزهد، وَكَانَ ظاهره أنه ناسك

قال ابن خلكان : وجرى منه كلام في مجلس العباس[1] وزير المقتدر بالله[2]فأفتى القضاة والعلماء بإباحة دمه ،فأرسل المقتدر إلى محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة، فتسلمه بعد العشاء خوفا من العامة تنزعه من يده ثم أخرج يوم الثلاثاء لست بقين من ذي القعدة سنة سبع وثلاثمائة[3] عند باب الطاق وإجتمع عليه خلق كثير وأمر به الجلاد ألف سوط فما استغفر ولا تأوه ثم قطع أطرافه الأربعة وهو ساكن لا يضطرب ،ثم حز رأسه وأحرقت جثته وألقي رماده في دجلة ونصب الرأس ببغداد، ثم حمل وطيف به في نواحي البلاد ،وجعل أصحابه يعدون أنفسهم برجوعهم بعد أربعين يوما ،واتفق أن زادت دجلة في تلك السنة زيادة وافرة فادعى أصحابه أن ذالك بسببه إلقاء رماده فيها وادعى أصحابه أنه لم يقتل وإنما ألقى شبهة على عدوه فقتل ،و لما خرج ليقتل أنشد قائلا

طلبت المستقر بـــكل أرض فـــــلم أرى بأرض مستقر

أطعت مطامعي فاستبعدتني ولو أني قنعت لكنت حرا

ويحكى انه انشد عند قتله : لم أسلم النفس للألام يـــتلفها إلا لعلمي بأن الموت يشفيها

نفس المحب على الآلام صابرة لعل متلفها يـــــوما يداويها

وكان الحلاج صاحب الجنيد[4] ووقع بينه وبين الشبلي وغيره من مشايخ الصوفية رضي الله عنهم ،وذكر الإمام عز

=صوفي، فإذا علم أن أهل بلدة يرون الاعتزال صار معتزليا، أو يرون الإمام صار إماميا، وأراهم أن عنده علما من إمامتهم، أو رأى أهل السنة صار سنيا وَكَانَ خفيف الحركة مشعبذا، قد عالج الطب، وجرب الكيمياء، وَكَانَ مع جهله خبيثا، وَكَانَ يتنقل فِي البلدان.

قالعَلي بْن أَحْمَد الحاسب، يقول: سمعت والدي، يقول: وجهني المعتضد إلى الهند وَكَانَ الحلاج معي فِي السفينة،وهو رجل يعرف بالحسين بْن منصور، فلما خرجنامن المركب، قلت له: في أي شيء جئت إلى هاهنا؟ قال: جئت لأتعلم السحر، وأدعو الخلق إلى الله تعالى. صلب سنة 309هـ.

قال ابن تيمية في الفتاوى الكبرى، ج3، ص480: :. الْحَلَّاجُ قُتِلَ عَلَى الزَّنْدَقَةِ، الَّتِي ثَبَتَتْ عَلَيْهِ بِإِقْرَارِهِ، وَبِغَيْرِ إقْرَارِهِ؛ وَالْأَمْرُ الَّذِي ثَبَتَ عَلَيْهِ لِمَا يُوجِبُ الْقَتْلَ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ وَمَنْ قَالَ: إنَّهُ قُتِلَ بِغَيْرِ حَقٍّ فَهُوَ إمَّا مُنَافِقٌ مُلْحِدٌ، وَإِمَّا جَاهِلٌ ضَالٌّ. وَالَّذِي قُتِلَ بِهِ مَا اسْتَفَاضَ عَنْهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ، وَبَعْضُهُ يُوجِبُ قَتْلَهُ؛=فَضْلًا عَنْ جَمِيعِهِ. وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ؛ بَلْ كَانَ لَهُ عِبَادَاتٌ وَرِيَاضَاتٌ وَمُجَاهَدَاتٌ: بَعْضُهَا شَيْطَانِيٌّ، وَبَعْضُهَا نَفْسَانِيٌّ، وَبَعْضُهَا مُوَافِقٌ لِلشَّرِيعَةِ مِنْ وَجْهٍ دُونَ وَجْهٍ. فَلَبَّسَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ.الكامل في التاريخ،ج6، 670.والمنتظم،ج13،ص 201. والذهبي :تاريخ الإسلام،ج23،ص 33.

[1]- حامد بن العباس تقلد الوزارة عام 308هـ وعزل عنها سنة 311،وهي السنة التاي قتل فيها بواسط.تارخ الطبري،ج11،ص ص68-98

[2]- الخليفة العباسي المقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن المعتضد تولى سنة 295هـ وقتل سنة 320هـ.المنتظم.ج13،ص308.و : محمد بن علي ابن العمراني: الإنباء في تاريخ الخلفاء.،تح قاسم السامرائي،دار الآفاق العربية، القاهرة،1421 هـ، 2001 م،ط1،ص 358.

[3]- صلب سنة 309هـ كما عند ابن خلكان:وفيات الأعيان. ج2،ص142.

4 بن مُحَمَّد أَبُو الْقَاسِم الخزاز وَكَانَ أَبوهُ يَبِيع الزّجاج فَلذَلِك كَانَ يُقَال لَهُ القواريري أَصله من نهاوند ومولده ومنشؤه بالعراق كَذَلِك سَمِعت أَبَا الْقَاسِم النصراباذي يَقُول وَكَانَ فَقِيها تفقه على أبي ثَوْر وَكَانَ يُفْتِي فِي حلقته وَصَحب السّري السَّقطِي والْحَارث المحاسبي وَمُحَمّد بن القصاب الْبَغْدَادِيّ وَغَيرهم وَهُوَ من أَئِمَّة الْقَوْم وسادتهم مَقْبُول على جَمِيع الْأَلْسِنَة توفّي سنة 297هـ وقيل 298 هـ.السلمي:طبقات الصوفية. ج1،ص129.وابن الوردي،ج1،ص 144.وشذرات الذهب،ج3، ص416.

الدين المقدسي في" مفاتيح الكنوز "[1] ،انه لما أوتي به ليصلب ورأى الخشبة والمسامر ضحك كثيرا، فرأى إلى الجماعة فرأى الاولى وبعدها {ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين}[2]ثم قرأ في الثانية بفاتحة الكتاب ومن بعدها {كل نفس ذائقة الموت}[3] الآية ثم تقدم أبو الحرب السياف ولطمه لكمة هشم وجهه وأنفه ثم صاح الشبلي[4]ومزق ثيابه وغشي عليه وعلى أبو الحسن الواسطي[5]وعلى جماعة من المشايخ المشهورين.

وكان الحلاج يقول :اعلموا أن الله عز وجل قد أباح لكم دمي فاقتلوني، ليس للمسلمين اليوم شغل أهم من قتلي، وقال إن قتلي قيام بالحدود ووقوف مع الشريعة ومن يجاوز الحد أقيمت عليه الحدود .قال الإمام ابن خلكان، قلت وقد اضطرب الناس في أمره اضطرابا كثيرا فمنهم من يعظمه ومنهم من يكفره ،وقد ذكر الإمام قطب الوجود وحجة الإسلام[6]في" مشكاة الأنوار ومصطفيات الأسرار" فصلا طويلا في أمره واعتذر على إطلاقه كقوله أنا الحق ومافي الجبة إلا الله ،وحملها كلها على محامل حسنة،وقال هذا فرط المحبة وشدة الوجد وقال هو مثل قول القائل ،أنا من أهوى ومن أهوى، أنا فإذا أبصرته أبصرتنا . وقال الإمام أبو العباس ابن شريح[7]لا أدري ما أقول فيه، هذا رجل خفي علينا أمره. ثم قال ،وهذا تشبيه لقول عمر ابن عبد العزيز ،وقد سئل عن علي ومعاوية رضي الله عنهما، فقال دماء طهر الله تعالى سيوفنا منها فلا تطهر من الخوض فيها ألسنتنا ؟

---

[1]- محمد بن أحمد بن سعيد، عز الدين المقدسي(771 – 855 هـ): فقيه حنبلي، من القضاة. أصله من بيت المقدس، ولد في كفر لبدة (من جبل نابلس) وانتقل إلى صالحية دمشق سنة (879) وإلى حلب (سنة 791) وأقام مدة في القدس، وعاد إلى دمشق.الأعلام،ج 5، ص332.و"مفاتيح الكنوز المشتملة على الادعية المروية." هو ليوسف بن عبد الرحمن بن الحسن التاذفي، الحنبلي.

[2]- البقرة 155.

[3]- آل عمران 185.

[4]- أبو بكر الشبلي وقد اختلفوا في اسمه ونسبه، فقيل: دلف بن جعفر، وقيل: دلف بن جحدر، وقيل: دلف بن جعترة، وقيل: دلف بن جعونة، وقيل: جعفر بن يونس، وقيل: جحدر بن دلف، وهو من أهل أشروسنة، من قرية بها يقال لها: شبليةكان خاله أمير الأمراء بالإسكندرية وولد الشبلي بِسُرَّ مَنْ رَأَىوكان حاجبالموفق، وكان أبوه حاجب الحجاب، حضر الشبلي يوما مجلس خير النساج فتاب، ثم رجع إلى دماوند فقال: إن الموفق ولاني بلدتكم فأجعلوني في حل. ففعلوا.وصحب الفقراء وكان الجنيد يقول: تاج هؤلاء القوم الشبلي.توفي 334هـ.المنتظم،ج14،ص 50.الكامل في التاريخ،ج7،ص171.ومحمد بن يوسف بهاء الدين الجُنْدي اليمني: السلوك في طبقات العلماء والملوك. تح،محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحواليمكتبة الإرشاد،صنعاء،1995م،ط2، ج 2،ص 354.

[5]- الشيخ الصالح أبى الحسن بنان بن محمد بن حمدان بن سعيد الحمّال، واسطى الأصل نشأ ببغداد، وسمع بها الحديث ، ثم خرج إلى ديار مصر وأقام بها ومات فيهاسنة 316هـ. صحب الجنيد وغيره، وكان أستاذ النورى،ويكنى بأبى الحسن. موفق الدين محمد بن عبد الرحمن الشارعي: مرشد الزوار إلى قبور الأبرار.الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1415هـ،ط1،ج1،ص 155.

[6]- أبي حامد الغزالي.

[7]- أبو العباس أحمد ابن شريح، الفقيه توفي سنة 306هـ.ابن القنفذ:الوفيات.ج1، ص199.و أيضا زكريا بن محمد بن محمود القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد. دار صادر – بيروت،ص37

قال، وهذا ينبغي لمن يخاف الله تعالى أن لا يكفر أحدا من أهل القبلة بكلام يصدر منه يحتمل التأويل على الحق والباطل ،فإن الإخراج عن الإسلام عظيم ولا يسارع فيه إلا جاهل ثم قال، ويحكى عن شيخ العارفين قطب الزمان الشيخ عبد القادر الجيلاني أنه قال عثر الحلاج ولم يكن له من يأخذ بيدهولو أدركت زمانه لأخذت بيده ثم قال فهذا وما سبق عن الإمام الغزالي كاف في الاعتذار عنه لمن له أدنى فهم وبصيرة انتهى.

قلت وما أشار غليه ابن خلكان عن حجة الإسلام الغزالي ،نقله الجلال السيوطي في كتابه المسمى "بتنزيه الاعتقادعن الحلول والإتحاد" مستدلا على إبطالهما، قال ولم يقل به أحد ممن اتسم بسمة الإسلام ولم يتبدع أحد منهم هذه البدعة وحاشاهم من ذالك لأنهم ازكي فطرة وأصح إبراء من أن يمشي عليهم هذا المحال ،وإنما مشى ذالك عن النصارى لأنهم أبلد الخلق أذهانا وأعماها قلوبا،ثم قال وأحسن ما أعتذر به عمن صدرت منه هذه الكلمات الدالة على ذالك وهي قوله أنا الحق، فإنه قال ذالك في حال سكر واستغراق وغيبوبة عقل وقد رفع الله التكليف عمن غاب عقله وألغى أقوالهوأفعاله فلا تعد مقالاته هذه شيئا ويلتفت إليها[1] فضلا عن أن يعد مذهبا ينقل .ثم نقل كلام حجة الإسلام ونصه في باب السماع : من الإحياء[2]: الحالة الرابعة من جاوز الأحوال والمقامات فعزب عن فهمه ما سوى الله تعالى حتى غرب عن نفسه وأحوالها ومعاملتها وكان كالمدهوش الغائب في

---

[1]- يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى، ج5، ص155 مايلي:وَقَدْ يَقُولُونَ: مَنْ شَهِدَ " الْإِرَادَةَ " سَقَطَ عَنْهُ التَّكْلِيفُ، وَيَزْعُمُ أَحَدُهُمْ أَنَّ الْخَضِرَ سَقَطَ عَنْهُ التَّكْلِيفُ لِشُهُودِهِ الْإِرَادَةَ، فَهَؤُلَاءِ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ الَّذِينَ شَهِدُوا الْحَقِيقَةَ الْكَوْنِيَّةَ، فَشَهِدُوا أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ أَفْعَالَ الْعِبَادِ، وَأَنَّهُ يُدَبِّرُ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ، وَقَدْ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ مَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ عِلْمًا وَبَيْنَ مَنْ يَرَاهُ شُهُودًا، فَلَا يُسْقِطُونَ التَّكْلِيفَ عَمَّنْ يُؤْمِنُ بِذَلِكَ وَيَعْلَمُهُ فَقَطْ، وَلَكِنْ عَمَّنْ يَشْهَدُهُ، فَلَا يَرَى لِنَفْسِهِ فِعْلًا أَصْلًا، وَهَؤُلَاءِ لَا يَجْعَلُونَ الْجَبْرَ وَإِثْبَاتَ الْقَدَرِ مَانِعًا مِنْ التَّكْلِيفِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ.وَقَدْ وَقَعَ فِي هَذَا طَوَائِفُ مِنْ الْمُنْتَسِبِينَ إلَى التَّحْقِيقِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالتَّوْحِيدِ.

وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ ضَاقَ نِطَاقُهُمْ عَنْ كَوْنِ الْعَبْدِ يُؤْمَرُ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ خِلَافُهُ، كَمَا ضَاقَ نِطَاقُ الْمُعْتَزِلَةِ وَنَحْوِهِمْ مِنْ الْقَدَرِيَّةِ عَنْ ذَلِكَ، ثُمَّ الْمُعْتَزِلَةُ أَثْبَتَتْ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ الشَّرْعِيَّيْنِ دُونَ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ الَّذِي هُوَ إرَادَةُ اللَّهِ الْعَامَّةُ وَخَلْقُهُ لِأَفْعَالِ الْعِبَادِ، وَهَؤُلَاءِ أَثْبَتُوا الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ وَنَفَوْا الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ فِي حَقِّ مَنْ شَهِدَ الْقَدَرَ، إذْ لَمْ يُمْكِنْهُمْ نَفْيُ ذَلِكَ مُطْلَقًا.

وَقَوْلُ هَؤُلَاءِ شَرٌّ مِنْ قَوْلِ الْمُعْتَزِلَةِ؛ وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ فِي السَّلَفِ مِنْ هَؤُلَاءِ أَحَدٌ، وَهَؤُلَاءِ يَجْعَلُونَ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ لِلْمَحْجُوبِينَ الَّذِينَ لَمْ يَشْهَدُوا هَذِهِ الْحَقِيقَةَ كَوْنِيَّةَ، وَلِهَذَا يَجْعَلُونَ مَنْ وَصَلَ إلَى شُهُودِ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ يَسْقُطُ عَنْهُ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ، وَصَارَ مِنْ الْخَاصَّةِ.

وَرُبَّمَا تَأَوَّلُوا عَلَى ذَلِكَ قَوْله تَعَالَى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر: 99] وَجَعَلُوا الْيَقِينَ هُوَ مَعْرِفَةُ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ، وَقَوْلُ هَؤُلَاءِ كُفْرٌ صَرِيحٌ، وَإِنْ وَقَعَ فِيهِ طَوَائِفُ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ كُفْرٌ؛ فَإِنَّهُ قَدْ عُلِمَ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ أَنَّ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ لَازِمٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مَا دَامَ عَقْلُهُ حَاضِرًا إلَى أَنْ يَمُوتَ، لَا يَسْقُطُ عَنْهُ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ لَا بِشُهُودِهِ الْقَدَرَ، وَلَا بِغَيْرِ ذَلِكَ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ ذَلِكَ عُرِّفَهُ، وَبُيِّنَ لَهُ، فَإِنْ أَصَرَّ عَلَى اعْتِقَادِ سُقُوطِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ، وَقَدْ كَثُرَتْ مِثْلُ هَذِهِ الْمَقَالَاتِ فِي الْمُسْتَأْخِرِينَ.

وَأَمَّا الْمُسْتَقْدِمُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْمَقَالَاتُ مَعْرُوفَةً فِيهِمْ.وَهَذِهِ الْمَقَالَاتُ هِيَ مُحَادَةٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمُعَادَاةٌ لَهُ، وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَمُشَاقَّةٌ لَهُ، وَتَكْذِيبٌ لِرُسُلِهِ؛ وَمُضَادَّةٌ لَهُ فِي حُكْمِهِ، وَإِنْ كَانَ مَنْ يَقُولُ هَذِهِ الْمَقَالَاتِ قَدْ يَجْهَلُ ذَلِكَ، وَيَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ هُوَ طَرِيقُ الرَّسُولِ، وَطَرِيقُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُحَقِّقِينَ؛ فَهُوَ فِي ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تَجِبُ عَلَيْهِ؛ لِاسْتِغْنَائِهِ عَنْهَا بِمَا حَصَلَ لَهُ مِنْ الْأَحْوَالِ الْقَلْبِيَّةِ، أَوْ أَنَّ الْخَمْرَ حَلَالٌ لَهُ لِكَوْنِهِ مِنْ الْخَوَاصِّ الَّذِينَ لَا يَضُرُّهُمْ شُرْبُ الْخَمْرِ؛ أَوْ أَنَّ الْفَاحِشَةَ حَلَالٌ لَهُ؛ لِأَنَّهُ صَارَ كَالْبَحْرِ لَا تُكَدِّرُهُ الذُّنُوبُ؛ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

[2]- إحياء علوم الدين للغزالي.

عين الشهود الذي يضاهي حاله حال النسوة التي قطعن أيديهن في مشاهدة جمال يوسف، حتى بهتن وسقط إحساسهن ،وعن مثل هذه الحالة يعبرون الصوفية بأنه فنى عن نفسه فهو عن غيره أفنى كأنه فني عن كل شيء إلا عن الواحد المشهود، وفني أيضا عن الشهود فإن القلب إن التفت إلى الشهود وإلى نفسه بأنه شاهد فقد غفل عن الشهود ،والناضر إلى شيء لا التفات إليه في حال استقداره إلى رؤيته وإلى عينه التي بها رؤيته ،ولا إلى قلبه التي به لذته، فالسكران لا خبرة له من سكره والملتذ لا خبرة له من التذاذه إنما خبرته من الملتذ به فقط، ومثاله العلم بالشيء فإنه مغاير للعلم بالعلم بذالك للشيء ،فالعالم بالشيء مهما على بأنه عالم بذالك الشيء كان معرضا عن ذالك وكان صاحب هذه الحالة قد نظر إلى حق المخلوقين فنظر أيضا في حق الخالق .

ولكنها في الغالب تكون كالبرق الخاطف الذي لا يثبت ولا يدوم فإن دام لم تطقه القوى البشرية، فربما يضطرب تحت أعتابه اضطرابا تهلك فيه نفسه فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد ،وهي أعلى الدرجات لأن السماع على الأحوال وهي ممتزجة بصفات البشرية نوع قصور، وإنما الكمال بأن يفنى بالكلية عن نفسه وأحواله أعني أنه ينساها فلا يبقى له التفات إليها ،كما لم يكن للنسوة التفات إلى السيد والسكين، فليسمع بالله ولله ومن الله و هذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الأحوال والأعمال واتحد بصفة التوحيد وتخلق بمحض الإخلاص،فلم يبقى فيه منه شيء أصلا بل خمدت بالكلية بشريته وأفنى التفاته إلى صفة البشرية رأسا،إلى أن قالومن هنا نشأ خيال من إدعى الحلول والإتحاد ،وقال أناالحق وحوله يدندن كلام النصارى في دعوى إتحاد اللاهوت بالناسوت[1] أو تدرعها بها أن حلولها فيها على ما اختلف فيه عبارتهم وهذا غلط محض.

وقال في باب المحبة من قويت بصيرته ولم تضعف منته ،فإنه في حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله ولا يعرف غيره ويعلن انه ليس في الوجود إلا الله و أفعاله آثار من آثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه وإنما الوجود للواحد الذي به وجود الأفعال كلها، ومن هذا حاله فلا ينظر في شيء من الأفعال إلا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل، من حيث أنه سماء وأرض وحيوان وشجر ،بل ينظر فيه من حيث أنه صنع،فلا يكون نظره إلى الفعل بل إلى غيره كمن نظر في شعر إنسان أو خطه أو تصنيفه و رأى فيه الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث أنه أثره لا من حيث أنه عفص[2]

---

[1]- اللاهوت هو الله والناسوت هو الإنسان :إحسان إلهي ظهير: التَّصَوُّفُالمنشَأ وَالمصَادر. إدارة ترجمان السنة، لاهور – باكستان،1406 هـ، 1986 م،ص 95.بل هذه العقيد التي هي الحلول والإتحاد هي عين فكرة النصارى حول اتحاد الله والمسيح تعاى الله عن ذالك.

[2]- عفص:نبات يتخذ منه الحبر.لسان العرب،ج7، ص54.

وحبر وزاج[1] من قوم على بياض، فلا يكون قد نظر إلى غير المصنف وكذا العالم صنع الله تعالى فمن نظر إليه من حيث فعل الله وعرفه من حيث أنه فعل الله وأحبه من حيث أنه فعل الله لم يكن ناظر إلا بالله ولا عارف إلا بالله ولا محب إلا لله وكان هذا هو الموحد الحق الذي لايرى إلا الله، بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه بل من حيث أنه عبد لله ،فهو الذي يقال فيه أنه فنى عن نفسه وإليه الإشارة بقول من قال:كنا بنا فغبنا عنا فبقينا بلا نحن انتهى.

قلت فهذا الكلام كاف في الاعتذار عمن قال أنا الحق، لكن الإنسان يتقي موارد الغلط ويتجنب الألفاض الموهمة في جانب الكبير المتعال ،سبحانه لا إله إلا هو الحي القيوم. قال الشيخ زروق : فليتق المؤمن ذالك كله مشفقا على دينه، فإن أمر موارد الغلط راجع لأصول الاعتقاد قائما بالحق مع الكلام بالكلام في القول لا في القائل ،قائلا في مثل أولئك القوم ماكان من كلامهم موافقا للكتاب والسنة فأنا أعتقده وما لا فأنا أوكل علمه إلى أربابه منزها قلبي عن اعتقاد ظاهره وإياهم،كذالك قال وقد نص على ذالك ولي الدين العراقي[2] فانظره انتهى.

اللهم اجعلنا ممن يلازمه اللطف والتوفيق في كل مسلك وطريق وثبت أقدامنا وألسنتنا يا أرحم الراحمين اللهم افتح علينا حكمتك وانشر علينا خزائن رحمتك وأفهمنا بك عنك، فإنا لانفهمعنك إلا بك. اللهم افتح بصائرنا ونور، يا أكرم الأكرمين سرائرنا بحرمة النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه .

ومن كلام الحلاج، سبحان من لا يضله فوق ولا يقطعه تحت ولا يقابله حد ولا تزاحمه عند ولا يأخذه خلف ولا يناله أماmولا يسبقه قبل ولايلحقه بعدولا يجمعه كل ولا يفرقه بعض، بائن الخلق بقدمه كما باينوه بحدوثهم، إن قلت متى فقد سبق الوقت كونه أو قلت أين،فقد سبق المكانوجوده أو قلت هو فالواو والهاء خلقه، ما تصور في الأفهام فهو خلافه، علوه في غير توغل ومجيئه من غير تنقل ووصفه لا صفة له، وفعله لا علة له انتهى، نقله الإمام المقري[3]، وأنشدني الفاضل الزكي الخير التقي أبو العباس سيدي أحمد فتوح أبياتا له وهي :

أباحت دمي إذ باح قلبي بحبها وحل لها في شرعها ما استحلت

---

[1]- الزاج هو السب اليماني وهو من أخلاط الحبر.تاج العروس،ج6،ص 24.

[2]- ولي الدين العراقي أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين،أبو زرعة(762-826هـ).ابن تغري بردي:المنهل الصافي.ج1،ص 331.والسيوطي: ذيل طبقات الحفاظ.تح زكريا عميرات،دار الكتب العلمية،ج1،ص 249.و،أحمد بن محمد الأدنه وي : طبقات المفسرين.تح، سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – السعودية،1417هـ، 1997م،ج1،ص 314.

[3]- أحمد بن محمد بن احمد المقري التلمساني،أبو العباس (922-1041هـ) صاحب نفح الطيب وأزهار الرياض وغيرها ولد بتلمسان وتوفي بالقاهرة.محمد أمين بن فضل الله المحبي الدمشقي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. دار صادر، بيروت،ج1، ص302. ومعجم المؤلفين،ج2،ص 78.و،أحمد درنيقة:معجم أعلام شعراء المدح النبوي.دار ومكتبة الهلال،ط1، ص80.

وما كنت مــمن يظهر السر إنما عروس هواها في فؤادي تـجلت

سقوني وقالوا لا تغني ولو سقوا جـــبالا حنين ما سقوني لغنت

معـــتقة كانت قريش تـــهابها فلما استحلوا قتل عثمان حلت

وأنشدني الفقيه الصالح الخير الدين الطيبي الفلالي[1] أبيات له أيضا وهي:

عجبت منك و مني يـــــا بغية المتمنـــي

أدنيتني بـــــك حتى أفـــــنيتني بك عني

فـــــغبت من الوجد حتى ظننت أنـك أني

يا نعمتي في حياتي وراحتــــــي بعد دفني

ومن شعره أيضا

أ كل كــــــلي كن لي إن لم تكن لي فمن لي

إن لم تكن لي فمن لي عند انقطاعي وذلـــــي

مالـــــــي بغيرك أنس يا أكـــــــثري وأقلي

ومنه أيضا:

سبحان من أظهر نـاسوته سر سناء لاهوته الواجـب

ثــــم بدا فــي خلقه ظاهرا في صورة الآكل والشارب

حتى لقد عـــــاينه خلقه كلمح الحاجب بالحاجب

انتهى وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم.

[1]- سبقت ترجمته

ومن علامات محبة الله أيضا محبة كلامه ،والتلذذ بتلاوته وسماعه، وبذالك يقف عند أوامره ويجتنب نواهيه وفي الحديث ما معناه،أن النبي صلى الله عليه وسلم كان للقرآن أشد موافقه بسمعه وبصره وقلبه، وبذالك يجعل له أيضا تدبير معناه ومعرفة تفاصيله وما احتوى عليه ويحصل له بذالك استحضاره في القلب حتى أنه لا يغيب منه شيء عليه ،فما احتاج إلى شيء وجده .ولهذا كان الشيخ سيدي أبو مدين يقول ،لا يكون المريد مريدا حتى يجد في القرآن كل ما يريد. قلت وشاهدت بعض الأفاضل فيمن ذكر سيدي أبو مدين من أعاجيب الزمان، فكان يأتي في كل مسألة تعرض بآية من القرآن مستشهدا بها على وجه الاقتباس ،حتى كأنه حاضر نصب عينيه وهذا مما يتحف الله به عبده .

ومن علامات محبة الله أيضا أنه لا يرجى المحب من محبوبه بعمله شيء، وأن يقطع نظرا عن الإثابة على ذالك وأن لا يعمل بحصول الجزاء وإعطاء العوض على عمله ،ومهما عمل لحصول الجزاء ،أو ليدفع بذالك حلول العقوبة به ،كان غير محب لله إذ ذاك ليس من وصف المحبين وليس من شأن العارفين وكان عمله مدخولا فيه معلولا، إذ المحبة تقتضي من المحب بذل كليته وجزئياته في مرضاة محبوبه من غير طلب عوض يناله، وأيضا قيام العبد بحق أوصاف مولاه يقتضي أن لا يعمل لأجل حظه من جلب ثواب أودفع عقاب لأنه عبد يستحق عليه مولاه كل شيء ولا يستحق عليه هو شيئا.[1]

قال سهل ابن عبد الله التستري رضي الله عنه ،ما طالت شمس ولا غربت على أحد على وجه الأرض إلا وهم جهال بالله تعالى، إلا من يؤثر الله على نفسه وروحه ودنياه وآخرته .ومن ما يحكى عن نبي الله عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام في هذا المعنى، أنه مر بطائفة من العباد قد احترقوا من العبادة،كأنهم الشنان البالية، فقال ما أنتم؟ قالوا نحن العباد .قال لأي شيء تعبدتم؟ قالوا خوفنا الله من ناره فخفنا منها .فقال حق على الله أن يؤمنكم مما خفتم منه .ثم جاوزهم فمر بآخرين أشد عبادة منهم فقال لأي شيء تعبدتم؟ قالوا شوقنا إلى الجنان وما أعد فيها لأوليائه فنحن

[1]- ما ذهب إليه المؤلف يناقض الأدلة الصحيحة الصريحة من الكتب والسنة التي تثبت عكس ما ذهب إليه: فمن القرآن قوله تعالى:{وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} البقرة 201. وقوله تعالى{الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}آل عمران 16

وقوله تعالى {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}آل عمران 133.

ومن السنة مارواه أبو هريرة أنلما نزلت {وأنذر عشيرتك الأقربين} دعا النبي صلى الله عليه وسلم قريشاً فاجتمعوا ، فعمّ وخصّ ، فقال:

(يا بني كعب بن لؤيّ ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني مرة بن كعب ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد شمس ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد مناف ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني هاشم ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد المطلب ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة ، أنقذي نفسك من النار ، فإني لا أملك لكم من الله شيئا ، غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها).

نرجوها،فقال حق على الله أن يعطيكم ما رجوتم،ثم جاوزهم ومر بآخرين يتعبدون فقال ما أنتم؟ قالوا المحبون إلى الله عز وجل لم نعبده خوفا من ناره ولا طمعا في جنته ،ولكن حبا لله وتعظيما لجلاله، فقال أنتم أولياء الله حق معكم أمرنا أن نقيم فأقام بين أظهرهم.

وفي لفظ آخر قال للأولين مخلوقا خفتم،وللثانين مخلوقا أحببتم،وقال للآخرين أنتم المقربون. قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه :ومما روي عنه هذا القول وأقيم في هذا المقام جماعة من التابعين منهم أبو حازم المدني[1]، كان يقول إني لا أستحي من ربي أن أعبده خوفا من العذاب فأكون مثل العبد السوء ،إن لم يخف مولاه لم يعمل، وأستحي أن أعبده لأجل الثواب فأكون كالأجير السوء ،إن لم يعطى أجر عمله لم يعمل، ولكن أعبده محبة له .قال الشيخ أبو طالب المكي: وقد روينا معنى هذا الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون أحدكم كالعبد السوء إن خاف عمل ولا كالأجير السوء إن لم يعطى الأجرة لم يعمل.

وقال بعض إخوان معروف الكرخي رضي الله عنه له،أخبرني عنك يا أبا محفوظ أي شيء أهاجك على العبادة والانقطاع عن الخلق،فسكت فقلت ذكر الموت، قال وأي شيء الموت،قلت فذكر القبر، قال وأي شيء القبر، فقلت خوف النار ورجاء الجنة فقال وأي شيء هذان. إن ملكا هذان كله بيده، إن أحببته أنساك جميع هذا، وإن كان بينك وبينهما معرفة كفاك جميع هذا.

قال أبو طالب، وحدثونا عن علي ابن الموفق[2] قال رأيت في النوم كأني أدخلت الجنة، فرأيت رجلا قائما على مائدة وملكان عن يمينه وشماله ،ويلقمانه من جميع الطيبات وهو يأكل ،و رأيت رجلا قائما على باب الجنة وهو يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضهم الجنة ويرد آخرين ،قال ثم جاوزتهما إلى حظرة القدس، فرأيت في سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره إلى الله تعالى لا يطرق فقلت لرضوان من هذا؟ فقال هذا معروف الكرخي رضي الله عنه،عبد الله لا خوف من ناره ولا شوقا لجنته فقد أباحه النظر إليه إلى يوم القيامة. وذكر آخرين بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم جميعهم . قلت ولهذا كان النظر إلى وجهه الكريم غاية مناهم ونهاية مقصدهم وفائدة مطلبهم إذ النظر إلى المحبوب والوقوف بين يديه أشرف المطالب وأرفع المراتب. قال ذو النون المصري رضي

---

[1]- أبو حازم المدني سلمة بن دينار. مولى لبنى ليث بن بكر بن عبد مناة.وكان أعرجيقص في مسجد «المدينة»، وتوفى في خلافة «أبى جعفر» بعد سنة أربعين ومائة.ابن قتيبة: المعارف.ص479.

[2]- عليّ بْن الموفَّق الزّاهد.أحد مشايخ الطريق. له أحوال ومقامات.صحِب مَنْصُور بْن عمّار، وأحمد بْن أبي الحواري.حكى عَنْهُ أبو الْعَبَّاس السّرّاج: سمعت عليّ بْن الموفَّق يقول: خرجت على رَحْلي ستّين سنة، وقرأت نحو اثنتي عشر ألف ختمة، وضحيّت عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مائة وسبعين أُضْحِيَّة، وجعلت من حجّاتي ثلاثين عن النَّبِيّ صلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .توفي 265هالذهبي:تاريخ الإسلام.ج20، ص139.

الله عنه رأيت وليا من أولياء الله تعالى فقلت له ما علامة بلوغ محبة الله في القلب ؟فقال مبلغ محبته من قلبي لو حاسبني حساب الخلق كلهم ما أبالي بذالك ،قلت ولما ذالك ؟قال وهل رأيت أشرف مقام خيرا من مقام محبوب بين يدي حبيبه وهو يعاتبه، إن ذالك عندي أشرف عندي من جميع المقامات. وإلى هذا المطلب الشريف والمقام المنيف والمقصد الأسنى يشير أبو حفص عمر إبن الفارض رضي الله عنه بقوله:

أروم وقد طال المدا منك نظرة وكم من دماء دون مرماي طلت

وهذا البيت سمعه الشيخ برهان الدين إبراهيم الجعبري[1] رضي الله عنه ينشده قرب موته وذالك أن الشيخ برهان الدين ارتحل من جعبر[2] إلى زيارة الشيخ أبي حفص بعد اتفاق، بسبب له في حكاية يطول ذكرها ولكن نذكر ما توقفت عليه الحاجة، وحاصله أن الشيخ برهان الدين لما حظرت وفاة الشيخ ابن الفارض دخل عليه الشيخ برهان الدين، فسلم عليه ورد عليه السلام وقال له، يا إبراهيم اجلس فأنت من أولياء الله تعالى،فقال له الشيخ برهان الدين يا سيدي هذه البشارة جاءتني من الله على لسانك ،وأريد أن أسمع دليلا يطمئن له قلبي فإن اسمي إبراهيم ولي من سر مقام هذا الاسم أسمى نصيب، وقال {أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي}[3].

قال نعم سألت الله أن يحضر وفاتي جماعة من الأولياء وقد أتى بك أولهم فأنت منهم، قال الشيخ إبراهيم وكنت سألت جماعة من الأولياء عن مسألة فلم يجبني واحد منهم عنها، فسألته عنها فقلت له، يا سيدي هل أحاط أحد بالله علما، قال الشيخ برهان الدين، فنظر إلي نظرة المعظم لي وقال،نعم يا إبراهيم إذا حيطهم يحيطون وأنت منهم .قال الشيخ برهان الدين فرأيت الجنة وقد تمثلت له فلما رآه قال آه، وصرخ صرخة عظيمة مادا بها صوته وبكى بكاء شديدا وتغير لونه وقال، إن كانت منزلتي في الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضيعت أيام أمنية ظفرت روحي بها زمنا واليوم أحسبها أضغاث أحلام.

---

[1]- إبراهيم بن عمر بن إبراهيم برهان الدين أبو محمد الربعيالجعبري المقرئ الشافعي النحوي، ولد في حدود سنة640هـ أو قبلها بقلعة جعبر ، واشتغل ببغداد، ثم قدم دمشق، فنزل بالسميساطية، وأعاد بالغزالية ، ثم ولي مشيخة حرم الخليل بعد البديع، فبقي هناك إلى أن توفي في شهر رمضان سنة 732هـ . أحمد بن يحيى شهاب الدين: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: المجمع الثقافي، أبو ظبي1423 هـ ط1، ج5،ص 322.و محمد بن عبد الرزاقكُرْد عَلي :خطط الشام. مكتبة النوري، دمشق،1403 هـ،1983 م،ط3، ج4،ص 47.

[2]- قلعة جعبر على الفرات بين بالس والرّقّة قرب صفّين. ياقوت الحموي:معجم البلدان. ج2،ص 141.

[3]- البقرة 260.

فقلت يا سيدي هذا مقام كريم،فقال يا إبراهيم رابعة العدوية[1]تقول وهي امرأة، وعزتك وجلالك ما عبدتك خوفا من نارك ولا رغبة في جنتك، بل كرامة لوجهك الكريم وحبا فيك،وليس هذا المقام الذي كنت أطلبه وقضيت عمري في السلوك إليه .ثم بعد ذالك سكن خلقه وتبسم وسلم علي وودعني وقال احظر وفاتي وتجهيزي مع الجماعة ،وصلي علي معهم وأجلس على القبر ثلاثة أيام بلياهن، ثم بعد ذالك توجه إلى بلادك قال الشيخ ثم اشتغل عني بمخاطبة ومناجاة، فسمعت قائلا يقول له، أسمع صوته ولا أرى شخصه :يا عمر فما تروم؟ فقال:

أروم وقد طال المدى منك نظرة وكم من دماء دون مرماي طلت.

ثم تهلل وجهه فتبسم وقضى نحبه فرحا مسرورا، فعلمت أنه قد أعطي مرامه انتهى.ومما يناسب ذكره هنا أيضا في عدم الالتفات إلى الجنة والحور وغير ذالك من أنواع النعم، ما حكى أبو نعيم في الحلية ،عن ميسرة الخادم قال :غزونا في بعض الغزوات، فإذا شاب إلى جانبي وإذا هو مقنع في الحديد ،فحمل على الميمنة حتى تناهى وعلى الميسرة حتى تناهى، وحمل على القلب حتى تناهى ثم أنشأ يقول:

أحسن بمولاك سعيد ظنا   هذا الذي كنت له تمنى

تنح يا حور الـجنان عنا   ما لك قاتلنا و لا قتلنا

لكن إلى سيدكن اشتقنا   قد علم السر وما أعـلنا

قال، فحمل فقاتل فقتل منهم عددا ثم رجع إلى مصافه فتكالب عليه العدو فإذا هو قد حمل على الناس وأنشأ يقول:

قد كنت أرجوا ورجائي لم يخب   ألا يـــــضيع اليوم كدي والطلب

يا من ملأ تلك القصور بـاللعب   لولاك ما طابت ولا طاب الطرب

فقاتل فقتل منهم عددا ثم رجع إلى مصافه فتكالب عليه العدو وحمل الثالثة ثم أنشأ يقول :

[1]- رابعة العدويةالبَصْرِيَّةُ، الزَّاهِدَةُ، العَابِدَةُ، الخَاشعَةُ، أُمُّ عَمْرٍو رَابِعَةُ بِنْتُ إِسْمَاعِيْلَ، وَلاَؤُهَا لِلْعَتَكِيِّيْنَ، توفي 180هـ.زينب بنت علي بن يوسف فواز العاملي: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور. المطبعة الكبرى الأميرية، مصر،1312 هـ،ط1، ص203.و عبد الرحمن بن الجوزي: صفة الصفوة.تحمحمود فاخوري ،محمد رواس قلعه جي،دار المعرفة،بيروت،1399هـ،1979م،ط2، ج4،ص 27.وابن خلدون :شفاء السائل وتهذيب المسائل.تح محمد مطيع الحافظ،دارالفكر،دمشق،1417هـ،1996م،ط1،ص 69.وأيضا وفيات الأعيان،ج2،ص285.والذهبي:العبر ج1،ص 214.والسلمي:طبقات الصوفية،ج1،ص 387.

يا كعبة الخلد قفي ثــم اسمعي   مالك قاتلت فكـــفي وارجعي

ثم ارجعي إلى الجنان و أسـرعي   لا تطمعي لاتطمعي لا تطمعي

فقاتل رضي الله عنه حتى قتل انتهى. هؤلاء رضي الله عنهم هم المحبون فيه حقا والمخلصون صدقا وفي ضد ذالك يقول الشاعر :يا مدعي الحب أما تستحي   تنظر بعينيك إلى غيرنا

لو كنت فيما تدعي صادقا   أبصرت عـيناك إلا أنا

ومن علامات محبة الله أيضا محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى {إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله}[1]، فهذه الآية دلت على أن إتباع النبي صلى الله عليه وسلم علامة على محبة العبد لله، وشرط في محبة الله للعبد ،وإتباع النبي صلى الله عليه وسلم ناشئ عن محبته،فأحد المحبتين لا تكفي عن الأخرى بل أحدهما مستلزم للآخر، فمن أحب الله ولم يحب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يحب الله، وكذالك العكس ثم لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم [علامات واعلم أن ما تقدم لنا من الكلام وما سنذكره إنما [2]]هو كالإشارة على ذكر شيء في المحبة ،ومن أراد استيفاء الكلام في ذالك فليطالع كتب الأئمة المعلومة، وهذا الكتاب ليس موضوعا لذالك وإنما ذكرنا هذا الكلام لأن الحب الواقع في البيتين المتقدمين للشيخ سيدي محمد الشرقي جر إليه ويعطيه والله اعلم.

فصل: علامات محبة الرسول صلى الله عليه وسلم منها: أن تحب لحبه وتبغض لبغضه فلا تحب إلا من أحب ولا تبغض إلا من أبغض، فيكون هواك تابعا لهواه ولما جاء به . ومنها أن توالي بولايته وتعادي بعداوته لأن المحب ومحبوبه محبوبان ومبغضه وبغيظه مبغوضان ،ومنها الإكثار من الصلاةعليه صلى الله عليه وسلم والإقتداء به في أقواله وأفعاله و استعمال سنته ،فالمقتدي به والمستعمل لسنته هو المحب وغيرهما ليس بمحب ويرحم الله من قال :

ومن يدعي حب النبي ولم يــكن   بـــــسنته مستمسكا فهو كاذب

علامة صدق الحب للمرئ أن يرى   على مذهب كانت عليه الحبـائب

والتخلق بأخلاقه فيما جبل عليه من مكارم الأخلاق كالجود والإيثار والحلم والصبر في الدنيا والإعراض عن أبنائها، ومجانبة أهل الغفلة واللهو والإقبال على أعمال الآخرة والتقرب من أهلها، والحب للفقراء والتحبب إليهم

---

[1]- آل عمران 31.

[2]- ساقطة من أ

والتقرب منهم وكثرة مجالستهم اعتقاد تفضيلهم على أبناء الدنيا ،و الحب في الله لأهل العلم والدين والصلاح والزهد والبغض في الله للظلمة والمبتدعة والفسقة الملعنة ،وإتباعه في مقامات اليقين مثل الخوف والرجا والشكر والحياء والتسليم والتوكل والشوق والمحبة وإفراغ القلب لله عز وجل، وإفراد الهم به تعالى ووجود الطمأنينة بذكره سبحانه والرضى بما شرعه حتى لا يجد في نفسه حرجا مما قضى ،وإعتقاد نصرته لو كان حيا ،وكذالك نصرة دينه بإتباع سنته واعتقادها،وإيثارها على الرأي والهوى واجتناب البدائع كلها والذب عن شريعته والتسلي عن المصائب شغلا بحاله وجمعا في محبة محبوبه واغتباطا به، وتسلية بما أصاب محبوبه، وهذا كله في الشدة والرخاء أما في الرخاء فظاهر وأما في الشدة فكذالك أيضا لأن المحب لا اختيار له فهو كما قيل :

قالت وقد سألت عـن حال عاشقها　　بــــالله صفه ولا تنقص ولا تزد

فقلت لوكان وهن الــموت من ضمأ　　وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

وقول ابن الفارض رضي الله عنه:

لو قال تيها قف على جــمر الغضا　　لوقفت مــمتثلا ولــــم أتوقف

وكثرة ذكره صلى الله عليه وسلم لأن من أحب شيئا أكثر من ذكره ،ومن استحضاره في القلب وبذالك تزداد المحبة كما قيل:

كـــــــرر[1]ذكـر نعما نلنا إن ذكره　هو الــمسك إن كررته يتضوع

وقول الآخر :إســم إذا قرع القلوب تمايلت　　طربا وتظـــمت باللقا أسرارها

وإذا أحدى حاد بطيب حديثه　　طابت وفاحت بالرضى أزهارها

تــرتاح إن ذكر اسمها وتــهزها　　طربا إذا حفت بـــها أذكارها

وإذا تـــبدى ذكره في حظيرة　　حظر السرور بها وطاب مزارها

وقول الآخر: ذكر الـحبيب لا يـــمل أبدا　　علـــــــى الدوام دائما مؤبدا[2]

---

[1]- في ب أدر.

[2]- في ب مؤيد.

هـــو الحياة للقلوب به نرضى ونـــــرقى[1] لـــــمقام السعدا

وتمني رؤيته بجميع ما يملك أو بملئ الأرض ذهبا لو كان له وانظر إلى قول البوصيري رحمه الله كيف استعظم عدم رؤيته صلى الله عليه وسلم وعدها من أعظم المصائب قال:

إن كان عظم زلتـــــي حجب رؤيا كفقد عز داء قلبـي الدواء

وهو كذالك اللهم يا أكرم الأكرمين، أسألك بجاهه صلى الله عليه وسلم أن لا تحرمنا ذالك يا أرحم الراحمين عنده وتعظيمه ذكره وتوقيره وإظهار الخشوع والإنكماش عند سماع اسمه وفيه يقول :

علامة[2] من كان الهوى بفؤاده إذ ذكر المحبوب[حتما[3]]تغيرا

ويصفر منه الوجه بعد إحمراره وإن طلب الجواب منه تعذرا

قال القاضي عياض،قال إسحاق التجيبي[4]:كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا، وكذلك كثير من التابعين رضي الله عنهم منهم من يفعل ذالك محبة له وشوقا إليه ،ومنهم من يفعل ذالك توقيرا وتهيبا .قلت وحدثني سيدي عن الإمام العلامة سيدي محمد بن سعيد المرغني السوسي[5]رحمه الله قال لي: كان إذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم أوذكرههو تعتريه هزة ويظهر عليه انكماش وخضوع.

وحدثني أيضا رضي الله عنه بحكاية في هذا المعنى قال لي رضي الله عنه دخلت على سيدي الحسن اليوسي رحمه الله وسيدي أحمد بن ابراهيم العطار[6]، وجماعة من الناس معهم بحومة القصور وكانوا مجتمعين في دار[7] وهم يقرأون

---

[1]- في ب ترضى وترقى.

[2]- في ب علامات.

[3]- ساقطة من أ.

[4]- اسحاق التجيبي (257 - 352 هـ) اسحاق بن ابراهيم بن مسرة التجيبي مولاهم، الكتاني، الطليطلي، نزيل قرطبة المالكي (أبو ابراهيم) فقيه.توفي بطليطلةوقيل 354هـ . وَلهُ ديوَانٌ شريفٌ سَمَّاهُ "كِتَابَ النصائح" معجمالمؤلفين،ج2،ص 229.و الذهبي:سير أعلام النبلاء.ج 12، ص 193.

[5]- محمد بن سعيد المرغتي أبو عبد الله (1007-1089هـ(الفقيه المحدث الصوفي السوسي المنشأ المراكشي الدار والمدفن،له عدة مؤلفات منها كتاب " المقنع" و" الإشارة الناصحة لمن طلب الولاية بالنية الصالحة" و" المستعان في أحكام الآذان" وغيرها. طبقات الحضيكي،ج 2،ص 317.

[6]- أحمد بن ابراهيم العطار الأندلسيالمراكشي أبو العباس العلامة القدوة الإمام الهمامشيخ الإسلام والجماعة أخذ عن المرغتي وغيره وعرض عليه قضاء مراكش فأبى.توفي 1105هـ.طبقات الحضيكي،ج1، ص 118.

[7]- في ب دارهم.

مدحا للنبي صلى الله عليه وسلم، وكان ذالك في عيد مولد المصطفى ،فقال لي لما دخلت قام إلي أبو العباس سيد ،يتقلب ويتلون كما قال البوصيري في البيت وأشار إلي بإنشاد قوله:

و وجوه كأنما ألبستها　　　　من حياء ألوانها الحرباء

والحرباء دويبة ذات ألوان تستقبل الشمس قال لي وأما سيدي الحسنفكنت أراه يظهر التجلد ويتصبر قلت فهو كما قيل:

تجلدت حتى قيل لم يعد قلبي[1]　　　　من الوجد شيء قلت بل أعظم الوجد

قلت وقد يرتقي الحال من هذه المرتبة إلى ما فوقها إلى غاية قصوى ودرجة كبرى من درجات المحبة حتى أن الإنسان لا يملك نفسه عند سماع اسمه صلى الله عليه وسلم، ويغيب بل وربما يموت ،وهم شتى لا يحصيهم عدد، وقد حكى القاضي أن امرأة أتت إلى عائشة رضي الله عنها ،فقالت اكشفي لي عن قبر النبي صلى الله عليه وسلم فكشفته لها، فبكت حتى ماتت . وهذا ونحوه هو المقصود هنا والمقصود[2] عند أرباب الأحوال كما تقدم في قول الشيخ زروق، أخذ جمال المحبوب بحبة القلب حتى لا يجد مساقا للالتفات لسواه ،ولم يبقى معه اختيار ولا تروي ولا غير ذالك حتى أنه يغيب[أو يموت[3]] كما تقدم وإليه يشير الشيخ سيدي محمد الشرقي بقوله :

قالو لي الدوا　　في صاحب البرا

ويشير بقوله: الحب يهز الرجال لا والله ماني خفيف .

وكان الشيخ آية باهرة وحجة ظاهرة في هذا الباب رضي الله عنه[ونفعنا به[4]] ومن الحكايا في هذا المعنى أن بعض الصالحين كان يأكل مع ولده طعاما وكان على الطعام الدباء[5] فسأل الوالد ولده لماذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الدباء، وكلام جرى بينهما في هذا وقام الوالد وضرب عنق الولد فأزاله رضي الله عنه.[6] والتشوق إلى لقائه صلى الله عليه وسلم لأن كل حبيب يحب لقاء حبيبه،وقد روي عن أبي بكر وغيره من الصحابة رضي

[1]- في ب قلبه.

[2]- في ب والمعنى

[3]- ساقطة من ب

[4]- ساقطة من أ

[5]- الدباء القرع .ابن قتيبة الدينوري: غريب الحديث. تح عبد الله الجبوري، مطبعة العاني،بغداد،1397هـ،ج1،ص 299.

[6]- كيف يقتل ابنه ويرضى الله عنه إلا إذا كفره فاستباح دمه.

الله عنهم أنهم لا تطيب مجالستهم إلا بذكر الرسول صلى الله عليه وسلم،فيتذاكرون صفته وخلقه ويبكون لفراقه فيشتاقون إلى لقائه حتى ييبست جلودهم وتألمت أكبادهم،وحزن أبو بكر رضي الله عنه وأزداد حزنه واشتد كربه فلم يزل دمعه مصبوبا وجسمه يذوب حتى لحق بالمحبوب .

وقد روي عن خالد ابن معدان رضي الله عنه، أنه كان ما أوى إلى فراشه إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ويسميهم ويقول،أصلي وفصلي وإليهم يحن قلبي، طال شوقي إليهم فعجل ربي قبضي إليك حتى يغلبه النوم. وحب آله وأهل بيته و أصحابه صلى الله عليه وسلم لأنه ورد التنويه بشأنهم والحظ عليهم،فقد ورد في الحسن والحسين (اللهم أني أحبهما فأحبهما)[1]وفي روايات ي في سيدنا الحسن (فأحب من يحبه)[2] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(من أحبهما فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن أبغضهما فقد أبغضني ومن ومن أبغضني فقد أبغض الله)[3].

وقال في مولاتنا فاطمة:(إنها بضعة مني يغضبني ما أغضبها).[4] وقد جمع الجلال السيوطي أحاديث شتى في تأليف أسماه "إحياء الميت في فضائل أهل البيت" .تدل على التوصية بهم والأمر بتعظيمهم واحترامهم، ومن فضائلهم وبركاتهم ما يحكى أن بعض الناس كان عند بعض الملوك من جملة خدامه ثم أن امرأة الملك قد حملت بمولود فاشتهت لحم الذئب، فقام الملك وأرسل ذالك الإنسان يصطاد له الذئب، فذهب به فبينما هو مار به في طريق المدينة آتيا به إلى الملك، إذ عرضت له امرأة من آل البيت وقالت له أين تذهب بهذا الذئب ؟فقال لا،مرأة الملك قد اشتهته لكونها حاملا، فقالت له ما أصاب امرأة الملك أصابني وأنا من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم فأردت منك أن تعطيه لي، فأعطاه لها فذهب إلى الملك بلا شيء فوشوا به إليه وقالوا له أنه أتى بالذئب وطالبته امرأة فأعطاه لها فتغير الملك عليه وقال،نحن محتاجون إليه وأرسلناك إليه لتعطيه لغيرنا فما جزاؤك إلا أن تقطع

[1]- رواه البخاري في صحيحه رقم 3747،ج5،ص 26.وأحمد في مسنده رقم 5759،ج15،ص 478.وابن أبي شيبة في مصنفه رقم 157،ج1،ص 121.وابن حنبل: فضائل الصحابة.تح وصي الله محمد عباس،مؤسسة الرسالة بيروت،1403هـ،1983م،ط1،ج2،ص 775.

[2]- رواه أحمد في مسنده رقم 1407،ج2،ص 788. وأبو سعيد بن الأعرابي:معجم بن الأعرابي.تح عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني،دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1418 هـ، 1997 م،ط1،ج1، ص413.

[3]- رواه أحمد في مسنده رقم 7876،ج13، ص260.و أبو يعقوب اسحاق ابن راهويه:مسند اسحاق ابن راهويه.تح عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي،مكتبة الإيمان،المدينة المنورة،1412هـ، 1991م،ط1،ج1،ص 248.و أبو بكر محمد الآجُرِّيُّ : الشريعة. تح عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض، السعودية،1420 هـ،1999،ط2،ج5،ص 2181. وصححه الألباني في أحكام الجنائز. المكتب الإسلامي،بيروت،1406 هـ، 1986 م،ط4، ص 101.

[4]- رواه البخاري في صحيحه بلفظ (فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي).رقم3767،ج5، ص29.

يدك،فأمر به فقطعت يده وأرسله إلى السجن فبات به فبينما هو راقد إذ رأى النبي صلى الله عليه وسلم فرد له يده فبرئت ولصقت من ذالك الوقت،مكافأة له على ما فعل وعادت إليه كما كانت أول مرة.

فلما أصبح أخبر الملك بذالك، فأرسل إليه فأتوا به ولما رءاه قال له من رد يدك ؟فقال له النبي صلى الله عليه وسلم،وقف علي البارحة فردها علي، وتاب الملك وجعل يأخذ بخاطره لعله أن يعفوا عنه ويكلمه في البقاء معه، فقال له لا سبيل إلى ذالك ولا أخدم إلا النبي صلى الله عليه وسلم ،كم لي في خدمتك وقد جازيتني بقطع يدي والنبي صلى الله عليه وسلم خدمته مرة واحدة فأنت ترى ما أجازني به، فذهب من عنده ولم يخدمه بعد ذالك .

قلت: والحكايات في فضلهم كثيرة والأخبار في مناقبهم مشهورة وما تواتر عن الأئمة في ذالك ظاهر معلوم.وكان للإمام الشافعي رضي الله عنه في حب أهل البيت عليهم السلام اعتقاد كريم وود سليم، فنسب للرافضة تارة وللشيعة[1] أخرى وأنشد في ذالك رضي الله عنه:

يا راكبا قف بالمحصب[2] من منى واهتف بقاطن خيفها[3] والناهض

إن كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

وحكى عن بعضهم أنه قال: حججت مع الشافعي فما ارتقى نجدا ولا هبط واديا إلا وهو يبكي وينشد:

آل النبي ذريعتي وهم إليه وسيلتي .

أرجو بهم أعطى غدا بيدي اليمين صحيفتي[4]

ومن شعره رضي الله عنه في مدحهم :

---

[1]- هم الذين رفضوا إمامة أبي بكر وعمر وقالوا أنها في علي بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم،وأن معظم الصحابة ضلوا بعده لأنهم غصبوا حق علي، وأن الإمامة بعده في أولاد علي وحصروهم في اثني عشر فسموا اثناعشرية. أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين. عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، 1400 هـ، 1980 م،ط3،ص 16. والرافضة فرقة من الشيعة وهم الذين شيعوا عليا وفضلوه على سائر الصحابة.نفسه،ص 5.

[2]- المحصب: مَوضِع قريب من مَكَّة يبيت كثير من النَّاس فِيهِ عِنْد انصرافهم من منى.أبو عبد الله بن أبي نصر الميورقي الحميدي: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم،تح زبيدة محمد سعيد عبد العزيز،مكتبة السنة، القاهرة،مصر، 1415 هـ،1995م،ج1،ص 259.

[3]- الخيف هي الأرض إذا ارْتَفَعَتْ عَنْ مَوْضِعِ السَّيْلِ وانْحَدَرَتْ عن غِلَظِ الجبَلِ . عبد الملك بن محمد الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية.تح عبد الرزاق المهدي،إحياء التراث العربي،1422هـ، 2002م،ط1،ص 196.

[4]- بين البيتين البيت التالي: سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى دفعاً كملتطم الفرات الفائضِ.انظر، الحسين بن علي أبو القاسم الوزير المغربي: أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها. أعده للنشر حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض،1400 هـ، 1980 م،ص438.

أحسن من عود ومن ضارب ومـــــن فـــتاة ناهد كاعب

ومـــــن مـــدام في قواريرها يـــسقيها الساقي إلى الشارب

ومن جياد الخيل فـــي مهم هوضارب يسطوا على ضارب

أفـــــضل مـــن هذا وهذا وذا حـــب علي ابن أبي طالب

لــــو فتشوا قلبي أصابوا به ســــطرين قد خطا بلا كاتب

الـــعلم والتوحيد في جانب وحب آل البيت فـــي جانب

وقال البوصيري رضي الله عنه: آل بيت النبي طبتم وطاب الـــمدح لي فيكم وطاب الرثاء

أنا حسان مدحكم فإذا نحت عليكم فإننــي الخنساء

سدتم الناس بالتقى وسواكم ســــودته الــبيضاء والصفراء

وقال في الدالية أيضا: حسبي له حب النبي و آله عـــند الإله وسيلة لـــم تـــردد

فإذا أجيب سؤاله في آله سل تعطى واستمدد فلاحا تمدد

اللهم أني أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك، بأني أحب نبيك سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وأحب آله وأهل بيته فتقبل ذالك ونجنا من فتنة الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين .

ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم ،حب أمكنته ومعاهده ومواضع ممشاه ،والتشوق والإكثار من تمني لقاها وتعظيمها فقد كان الإمام [مالك][1] رحمه الله لايركب بالمدينة دابة،وكان يقول أستحي من الله تعالى أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة،ويحكى أن الفضل الجوهري، لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا:

ولـــما رأينا رسم من لم يدع لنا فؤادا لعرفان الرسوم ولا لـــبا

نـزلنا على الأكوان نمشي كرامة لـمن بان عنها إن ألم بها ركبا

[1]- ساقطة من ب

وحكى عن بعض المريدين أنه لما أشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلمأنشأ يقول متمثلا:

رفـــع الحجاب لنا فلاح لناظر   قــــــمر تألق دونه الأوهام

وإذا الـــــمطى بنا بلغن محمدا   فظهورهن على الرجال حـرام

قد بتنا من خير من قــد وطيء   الثرى فلها علينا حرمة وذمام

وحكي عن بعض المشايخ أنه حج ماشيا فقيل له في ذالك فقال، العبدالآبقلا يأتي إلى بيت مولاه راكبالو قدرت أنأمشي على رأسي ما مشيت على قدمي، وينسب للقاضي عياض، يقال والله أعلم أنه لما فاته الوقوف بذالكالمقام

وتحصيل ذالك المرام ورؤية معاهد خير الأنام عليه الصلاة والسلام أنشد متحصرا على ذالك وتأسفا على ما هنالك هذه الأبيات:

يا دار خير المرسلين ومن به   هــــدى الأنام وخص بالآيات

عندي لأجلك لـوعة وصبابة   وتشوق ومتوقد الـــــجمرات

وعلى عهد إن ناءت محاجري   من تلكم الجدرات والـعرصات

لأعــــفرن مصون شيبي منها[1]   مـــــن كثرة التقبيل والرشفات

لــــولا الـــعوادي والأعادي زرتها   أبــــــدا و لو سحبنا عـــلى الوجنات

لكن شاهدي من جـــميل تـــحيت   لـــــقطين تـــــلك الدار والعرصات

أزكى من الـمسك الــــمفتق نفحه   تـــــغشاه بــــــــالآصال والبكرات

وتــــــخصه بــــزواكي الـصلوات   و نــــــواحي الــــتسليم والبـــركات

ومثل ما وقع لأبي الفضل وقع للعارف بالله أبي العباس ابن العريف رحمه الله ورضي عنه وينسب له :

شـــدو الركاب وقد نالو المنا بـــمنى   وكــــــــلهم بــــألوم الـــشوق قد باحا

[1]- في ب بينها

راحـــت ركائبهم تبدوا روائحها طيب   لــــما طاب ذالك الـــوجد أشباحا

نـــــــسيم قبر النبي المصطفى لهم   روح إذا ســــمعوا مـــــن ذكره فاحا

يا راحلين إلى الـــــمختار من مضر   ســـــرتــــم جسوما وصرنا نحن أرواحا

إنــــــا أقــــمنا على عجز ومعذرة   ومـــــن أقــــام على عذر كمن راحا

ولآخر: شوقي إلـــــى خير خلق الله متصل   يـــــاليت شعري وهل أدنوا وهل أصل

قــــــصدي أزور النبي أرجو شفاعته   أســـــــــتنشق المسك منه ثم أكتحل

أم هــــل أرى روضة حال الكمال بها   مــــن كل أرض إليها تـــجهد الإبل

زوار قـــبر رسول الله لــــي أمل فيه   نـــيال الــــــمنايا حــــبذا الأمل

لو خف ظهري لكان الجسم مرتــحلا   لكـــن جسمي أمام الركب مرتــــحل

يا حـــــسرتي فاز غيري بالوصال إلى   قبـــــر الحبيب ودوني سدت الــــسبل

متـــى تنادي حدات الركب تسري له   بـــــــشراك يــــا أملي أنـــزل فقد نزلوا

هــــادي مراحل عيش الركب قد وقفوا   بالمنحنــــــى وقـــــبا يثرب قد وصلوا

أنــــزل بـــــطيبة طاب العيش فيها   لقد فزت بما ترجوا أنلا خوف ولا وجل

أنا عـــــبد له إذ نـــــادى وبشرني   وأنـــــت حر إذا بــــلغت يا جمل

وبالجملة فمن أحب شيئا أحب كل شيء يحبه، حتى في المباحات وشهوات النفس . قال القاضي عياض :وهذه سيرة السلف رضي الله عنهم ،فقد قال أنس رحمه الله حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدبا من حوالي القصعة،فما زلت أحب الدباء من يومئذ. وقال: وهذا الحسن بن علي وعبد الله ابن عباس وابن جعفر رضي الله عنهم

أتوا سلمى[1] وسألوها أن تصنع لهم طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ابن عمر رضي الله عنه يلبس النعال السبتية وهي التي لا شعر فيها، ويصبغ بالصفرة ولا يحرم إذا أهل هلال ذي الحجة، وإنما يحرم في التروية، وكان إنما يلمس الركنين اليمانيين،وكان يدير راحلته من المواضع الذي رأى النبي صلى الله عليه وسلم يدير راحلته فيه ويتحرى.

يلمس الركنين اليمانيين،وكان يدير راحلته من المواضع الذي رأى النبي صلى الله عليه وسلم يدير راحلته فيه ويتحرى الأماكن التي فيها صلى الله عليه وسلم .

وقد ثبت عن بعض السلف ويقا لوالله أعلم،أحمد بن حنبل أنه كان لا يأكل البطيخ فقيل له في ذالك، قال يمنعني من أكله أنه لم يثبت عندي كيف أكله النبي صلى الله عليه وسلم، وقال سيدنا عمر للحجر حين أتى إليه يقبله، لقد علمت أنك حجر لا تنفع ولو لا أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك.

ثم اعلم أن الحب لله وللرسول صلى الله عليه وسلم واجب على كل مكلف وهو المراد في باب الإيمان وأشار إليه صلى الله عليه وسلم بقوله (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده وواله والناس أجمعين) أخرجه البخاري في صحيحه،والقاضي عياض في الشفا، وهو معدودا من جملة الإيمان وإلا لم يكن مؤمنا.

قال بعض العارفين محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة على الخلائق أجمعين، لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها ومائلة لمن رحم بها وأشفق عليها،وقد أشفق صلى الله عليه وسلم إلى الوجود بإسره علوه وسفله أرسله الله رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا للخلائق أجمعين ويرحم الله من قال:

حب النبي على الأنام فريضة　　جبلوا على حب النبي الأكرم

إن الصلاة على النبـي وسيلة　　فيها النجاة لكل عبد مـسلم

وشاهده قوله تعالى : {قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالاقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا

---

[1]- مَوْلاةُ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم – وقد سمعت من يقول إنها مولاة صفية بنت عبد المطلب. وكانت سلمى امرأة أبي رافع مولى رسول الله وأم أولاده وهي التي كانت تقبل خديجة بنت خويلد بن أسد في ولادها إذا ولدت من رسول الله وتعد قبل ذلك ما تحتاج إليه. وهي قبلت مارية أم إبراهيم بإبراهيم ابن رسول الله وخرجت إلى زوجها أبي رافع فأعلمته أن مارية ولدت غلامًا فجاء أبو رافع فبشر رسول الله به فوهب له رسول الله غلامًا. وقد شهدت سلمى خَيْبَرَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. نفس المصدر. ج8،ص 181.

يهدي القوم الفاسقين}[1] .قال القاضي، فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على الدوام في محبته، والمراد بالحب هنا أي في باب الإيمان الحب الاختياري هو الذي يقتضي العقل رجحانه ويستدعي اختياره وإن كان على خلاف الطبع، ألا ترى أن المريض يكره الدواء بطبعه ومع ذالك يميل إليه باختياره ويهون تناوله بمقتضى عقله لما علم أو ظن أن صلاحه فيه.وكذالك المؤمن إذا علم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه صلاح دينه ودنياه[وآخرته وعقباه[2]].

تيقن انه صلى الله عليه وسلم أشفق الناس وأعطفهم عليه فحينئذ يرجح جانب الرسول صلى الله عليه وسلم بمقتضى عقله على من سواه من المخلوقات، وليس المراد به حب الطبع ،ومن ثم لم يحكم بإيمان أبي طالب مع حبه له عليه السلام.

قلت وهذا الحب المتقدم المأمور به واجب على كل مسلم كما صرح به الأئمة، وأما ما تقدم قبل عن أرباب الأحوال كالشيخ سيدي محمد الشرقي وأمثاله رضي الله عنهم ،فلم يكلف به بل هو منة منه سبحانه ومحض اصطفاء، وفضله يؤتيه من يشاء وهو والله ذو الفضل العظيم، نسأله سبحانه أن لا يحرمنا ذالك وكان الحب لله الوقع في الحديث هو مراد الخطابي بحب الاختيار في قوله، والمراد بالمحبة حب الاختيار لا حب الطبع ومعنى كون الحب اختياري أنه طارئ بعد ان لم يكن ومكلف به وينال بكسب فكان كذالك اختياريا.

قال بعضهم وهذا باعتبار ابتدائه وتحصيله ،ثم يصير اضطراريا لا يمكن الانفكاك عنه إذ لا تبديل لخلق الله وفطرته ولا زوال لصبغته ولا محو لكتابته ولإفراغ براح للقلب عما جبله عليه من محبته، ولا رجوع له تعالى في منته بفضله ورحمته انتهى.

الأمر الثالث : مما يتعلق بأمور المحبة كما قيل، أن تعلم أن مقام المحبة مقام عظيم ومنصب جسيم وبحر لا يخطر لإيناله[3] قلب شيب بشيء من علائق الدنيا بل ولا شيء من الحظوظ بل ولا غيرها ولله در من قال:

عـــــجبت لعبد يدعى حب ربـه   تـعالى وبالدنيا وبالناس مشتغل

فـــلو كان عبدا صادقا في إدعائه   لـــــفر من الدنيا وبادر بالعمل

[1]- التوبة 24.

[2]- ساقطة من أ.

[3]- في ب وبحر خطر لا يناله.

فيا صاحب الدعوى لحب مليكه   تجنب لحب الله عشرة من عقل[1]

ولهذا قال بعضهم، أول مايقول الله للعبد أطلب العافية والجنة والأعمال وغير ذالك،فإن قال لا أريد إلا أنتقال له من دخل معي في هذا، إنما يدخل بإسقاط الحظوظ ورفع الحدوث وثبوت القدم وذالك يوجب لك العدم. وقال بعض المريدين لأستاذه قد طولعت بشيء من المحبة،فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه إياه، فقال لا فقال لا تطمع نفسك في المحبة فإنه لا يعطيها أحد حتى يبلوه. وقال بعض العلماء رضي الله عنهم: كل أهل المقامات يرجى أن يعفى عنهم ويسمح لهم إلا من ادعى المعرفة والمحبة فإنهم يطالبون بكل شعرة مطالبة وفي كل حركة وسكون ونظرة وخطرة لله ومع الله.

فللمحبين دقائق خطرات ولطائف ملاحظات يظهر لهم بذالك الشوب[2]في صفاء حبهم والبعد في مواطن قربهم ،فهم يفرون منها و يخرجون عنها مخافة أن يسترق شيء من ذالك قلوبهم بأدنى ميل،فيوجب لهم ذالك السقوط من مقامهم الرفيع الذي أهل لهم وأهلوه له، ولذالك قال أبو محمد سهل ابن عبد الله رضي الله عنه: جناية المحب عند الله أشد من معصية العامة ،وهو أن يسكن إلى غير الله أو يستأنس بسواه. وقيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود إني حرمت على القلوب أن يدخلها حبي وحب غيري .ويحكى أن عابد عبد الله تعالى في غيضة دهر طويل،فنظر إلى طائر قد عشش في شجرة يأوي إليها ويصفر عندها قال لو حولت مسجدي إلى تلك الشجرة فكنت آنس بصوت ذالك الطائر ففعل، فأوحى الله إلى نبي ذالك الزمان قل لفلان العابد استأنست بمخلوق ،لأحطنك من درجة لا تنالها مني بشيء من عملك ،انتهى من ابن عباد رحمه الله .قلت وإن تأملت قصائد ابن الفارض رحمه الله وتدبرتها وجدت مقاما عظيماو منزلا قحوفا[3] لا يناله إلا الخصوص الذين لم يبقى من رسومهم شيء ولم يبقى خواطر ترد على قلوبهم ولا هواجس ولا وساوس تلم بهم ألا ترى إلى قوله، وإن خطرت لي في سواك أرادة على خاطري سهوا قضيت بردتي

فانظر إلى هذا المقام العزيز الوجود، والوصف الذي لم يكن إلا لأولئك الخصوص الذين سبقت لهم العناية من الملك المعبود.

[1]- في ب من غفل.

[2]- في ب الشوق.

[3]- قحوفا: واسع الجوف.علي بن اسماعيل ابن سيده:المخصص.تح خليل ابراهيم جفال،دار إحياء التراث العربي،بيروت،1417هـ،1996م،ط1،ج3،ص 199.

قلت ومما يشبه تلك الحكاية المتقدمة ما حكى الإمام أبو حفص عمر ابن الفارض،عن الرجل الذي حظر معه على جنازة الشيخ البقال[1] وكان الشيخ البقال أوصى أبا حفص بانتظار الرجل وإحضار جنازته، وقال أنه يهبط عليك من هذا الجبل وأشار إلى جبل معلوم هناك، فصل أنت وهو علي . قال الشيخ أبو حفص فلما توفي الشيخ البقال و جهزناه ووضعناه على الأرض للصلاة ،فإذا بالرجل هبط علينا من الجبل كما يهبط الطائر المسرع لم أره يمشي على رجليه، قال الإمام أبو حفص فعرفته كنت أراه يصفع قفاه في الأسواق، فقال لي يا عمر[تقدم[2]]فصلي أنت فتقدمت فصليت إماما فلما صليت رأيت طيورا خضرا وبيضا صفوفا بين السماء والأرض[يصلون معنا[3]]ورأيت طائرا أخضر منهم عظيم الخلقة وقد هبط على رجلي الشيخ البقال فابتلعه وارتفع إليهم وطاروا جميعا و[لهم[4]]جزل بالتسبيح إلى أن غابوا عنا، فقال أبو حفص لهم فسألت الرجل عن ذالك فقال، يا عمر اما سمعت أن الشهداء في أجواف طيور خضر تسير بهم في الجنة حيث شاءت ،هم شهداء السيوف أما شهداء المحبة فكلهم أجسادهم وأرواحهم في أجواف طيور خظر وهذا الرجل منهم، وأنا كنت منهم وإنما وقعت في هفوة فطردت عنهم فها أنا يصفع قفاي في الأسواق ندما وتأديبا على تلك الهفوة، ثم ارتفع الرجل إلى االجبل كالطير إلى أن غاب عنا

أسفا لأيام وإخوان مضوا ومنازل فارقتها مغلوبا

قلبت قلبي جمرة من بـعدهم ولبست ثوبي بعدهم مقلوبا

طالبت بعدهم الزمان بمثلهم فأجابني هيهات لا مـطلوبا

قلت وفي هذه الحكاية أمران، أحدهما أن مقام المحبة صعب وصاحبه على خطر، والثاني فضيلتهم وعلو مرتبتهم وعظيم أمرهم[5] وجزيل ثوابهم بدليل ما فعل بالشيخ ثم بعد هنا ما هو أرفع من ذالك، قلت ومما يشبه تلك الحكاية ما حكى الإمام بن عباد عن الرجل الذي قال لأبي محمد الحريري رضي الله عنه ،كنت على بساط الأنس ففتح علي طريق في البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامي فكيف السبيل ؟دلني على الوصول إلى ما كنت عليه، فبكى أبو محمد وقال ،يا أخي الكل في قهر هذه الخطة لكن أنشدك أبيات لبعضهم ثم أنشأ يقول:

[1]- البقال:علي أبو الحسن شيخ ابن الفارض صاحب الفتح الآلي،والفتح الوهبي .انظر،طبقات المناوي الكبرى،ج2،ص 143.

[2]- ساقطة من أ.

[3]- ساقطة من أ

[4]- ساقطة من أ

[5]- في ب أجرهم.

قـــــف بــالديار فهذه آثارهم تبكي الأحبة حسرة وتـــشوقا

كم قد وقفت بربعهم مستخبرا عن أهلها أو سائلا ومـــشفقا

فأجابني داعي الهوى في رسمها فارقت من تهوى فعز الملتقى

الأمر الرابع:من أمور المحبة أن تعلم ان الفرقة بين ثلاث أشياء المحبة والشوق والاشتياق، أما المحبة فقد تقدمت و أما الشوق فهو نزوع باطن المحب حال الفراق إلى وصال محبوبه ،وهو من الأحوال السنية والمقامات العلية وقيل فيه أنه عبارة عن هبوب قواصف رياح قهر المحبة بشدة ميلها إلى لحاق المشتاق لمشوقه ،فالشوق نتيجة المحبة وثمرتها فإذا استقرت المحبة ظهر الشوق فلا يكون المحب إلا متشوقا[1]فهو من ضرورة صحتها والصدق فيها فهو زيادة في وصف المحبة، فالعمل عليه عمل على المحبة الخاصة،وهو شوق واشتياق فالشوق هو شغف المحبة في حال منع المحب من المحبوب،والاشتياق هو زيادة الشغف في حال وصل المحب بالمحبوب مخافة القطعة بعد الوصلة، فالشوق يسكن بالتلاقي والرؤية والاشتياق لا يزول باللقاء ومن ثم قيل أن الاشتياق أعلى من الشوق لأنه يسكن بلقاء المشتاق إليه، وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه : الشوق على قسمين شوق على الغيبة لايسكن إلا بلقاء الحبيب وهو شوق النفوس،وشوق الأرواح على الحضور والمعاينة وكان شوق الأرواح هو الذي سماه غيره بالاشتياق والله أعلم . فالمحب أبدا مستغرق الهم بمحبوبه كما أشار إلى ذالك الشيخ ابن الفارض رضي الله عنه حيث يقول :

فما بين شوق وإشتياق فنيت في تولي بمحضر وتجلي بحضرة

فظهر لك بهذا أن المحبة سابقة والشوق ناشئ عنها، إذ هو نزوع في باطن المحب حال الفراق إلى لقاء الحبيب فهو زائد عليها، والاشتياق زيادة الشغف بعد التلاقي ولا يسكن صاحبه بالتلاقي، بخلاف الشوق فإنه يسكن والشوق أرفع من المحبة والاشتياق أرفع من الشوق، والاشتياق هو الواقع سيدي محمد الشرقي وهو قوله المتقدم:

إذا اشتاقت الأرواح ســـلم أن بـــغيت تريح

ما عــــلينا جـــناح كان قمنا بالوجد نشطح

[1]- في ب إلا شوقا أبدا

فظهر لك بهذا فضل الشيخ سيدي محمد الشرقي ومرتبته في المحبة رضي الله عنه ونفعنا به، اللهم ياسيدي ويا مولاي إنا تكلمنا وخضنا في ما لسنا له بأهل وتجاسرنا على ذالك بحسب ما توصلت إليه عقولنا وما أدركته أفهمانا، فسامحنا يا عظيم العفو وتب علينا يا من لا يأخذ[1] بالجريرة [كرما[2]]بحرمة أشرف مخلوقاتك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واستغفر الله [العظيم وأتوب إليه فإنه يحب من أذنب فاستغفر][3][وإنما ذكرنا ذالك على جهة مذاكرة العلم وإفادته[4]]

فصل ومن كرائم هذا الولي الشيخ سيدي محمد الشرقي تداركنا الله برضاه و رزقنا حضا وافرا من مناه، ما حكى أبو علي اليوسي رحمه الله قال: ولما وقع لسيدي محمد الشرقي في الظهور بعث إليه السلطان أحمد المنصور[5]نفرا من خواصه يختبرون أمره،فأظهر كل واحد منهم حاجته فأحدهم قال: تركت جارية لي مريضة وأريد أن يخبرني بأمرها وقال آخر اشتهي خبزا خالصا ودلاعة،وذالك في غير مكان ولا أبان، فلما انتهوا إليه خرج إليهم في لباس رفيع، فقال بعضهم هذا لباس الملوك فكيف يكون هذا وليا، فلما استقر المجلس بهم قال المتكلم أنا قطب وقتي وهذا هو اللباس اللائق بي أو نحو هذا . وأخبر الآخر عن جاريته وأنها عوفيت وكان رجل قد خبأ له دلاعة من الصيف فأتى بها ذالك اليوم واستحضر خبزا على الوصف المذكور، فقال للمشتهي طلبت مالا يكون فها هوذا قد جاء الله به انتهى.

فانظر هذه الكرامة العظيمة والمنقبة الجسيمة والفضيلة العالية والمنزلة السامية والمرتبة الفائقة فحق لها أن تتلى على مرور الجديرين لمثل هذا فليعمل العاملون وفي ذالك فليتنافس المتنافسون .

رجال لهم علم بما جهل الورى لهم	صـــار مكشوفا سريعا حجابه
وأسرار غــــيب عندهم علم كشفه	وقــد سكروا بما يطيب شرابه
أولـــئك هــــم أهل الولاية نالهم	مــــن الله فــيها فضله وثوابه
وقـــرب وأنـــس اجتلاء ومعارف	وأوراد تـــــكليم لذيذ خطابه

[1]- في ب يؤاخذ.

[2]- ساقطة من ب.

[3]- ساقطة من أ.

[4]- ساقطة من ب.

[5]- أحمد النصور(956- 1012هـ). من ملوك الدولة السعدية في قمة مجدها حكم في الفترة (986-1012هـ)-(1578-1603م) خاصة من خلال توسعاته في بلاد السودان.توفي بفاس ودفن بها. ابراهيم حركات:المغرب عبر التاريخ.ج2،ص 262 وما بعدها.

بترك الــهوى أمسوا يطيرون في الهوى ويمشون فوق الماء طوع جـنابه

ملوك عــــلى الـتحقيق ليس لغيرهم مـــن الملك إلا إثمه وعـقابه

قلت: وفي الكرامة المذكورة أمور،أحدها استفادة كون الشيخ سيدي محمد الشرقي رضي الله عنه هو القطب الذي عليه فلك الأولياء[يدور[1]]ومنه استمدادها وشرابه و بحرها الذي لا يغور ،وهي إحدى الكرامتين التي وعدنا بها عن أبي علي سيدي الحسن رضي الله عنه [في حكايتين أول الكتاب ،وقلنا أن قطبانيته صرح بها سيدي الحسن في حكايتين [2]]والأخرى تأتيإن شاء الله .

قلت: وهذا إنما يحتاجه قليل المخالطة لأهل الخير غير الباحثين عن الأحوال الصالحين وأخبارهم و كرائمهم وأما من له أدنى نصيب في ذالك فيعلم قطبانيته ولا يجهلها، لأنها بلغت مبلغا في الشهرة بحيث لاتجهل وظهرت ظهورا لكل من يعقل. الثاني عادة هؤلاء الملوك مع صلحاء زمانهم من عدم التصديق لهم واتهامهم في أحوالهم وعدم الوثوق بهم،فكم من واحد وقع له هذا الأمر و سبق له الخير من الله والهداية والرشد إلى الصلاح والتوفيق إلى أبواب النجاح، فيوفق لطريق الصواب ويفوز بالسعادة في الدارين وحسن المآب . ومن سبقت له الغواية والظلال وأريد به حلول الهوان والنكال وذوق الهلاك والخسران يشتغل بالاعتراض عليهم والبحث عن أعمالهم و التفتيش عن أحوالهم ويشتغل أهل بطانتهم بإذايتهم والسعي بهم،فأن وفق وأريد به خير نبذ ذالك وألقاه وراء ظهره فينجى وإن أصغي إليه وصدقهم في ذالك وتبعهم في رأيهم باء بالخسر.

كما وقع للشيخ أبي الحسن مع سلطان وقته،فإنه يحكى أنه كانت عنده جارية من أعز الجواري عنده فأصابها وجع فماتت فغسلها[3] في بيته ولما أخرجوها تركوا الجمر في البيت الذي[كانوا[4]]يجعلون البخور فيه فانتشرت النار في البيت فأحرقت الأثاث [وجميع الأمتعة][5]الذي في البيت ووقع به غير هذا ،وكما وقع للشيخ الجزولي رحمه الله لما أخرجه صاحب آسفي فدعى عليه، فسأل منه أن يعفو عليه فقال أربعين سنة وبعد ذالك أخذها النصارى.

[1]- ساقطة من ب

[2]- ساقطة من ب

[3]- ساقطة من أ.

[4]- ساقطة من ب.

[5]- ساقطة من أ.

وكما وقع للشيخ [أبي عبد الله[1]] محمدالغزواني مع السلطان أبي عبد الله محمد بن الشيخ المريني لما وشي به وخاف على ملكه ،فأمر به فسلسل وسجن فدعا عليه،فاتفق أن حرك السلطان من فاس إلى مراكش، فحصر بها السلطان أحمد بن محمد الشريف، ثم قام على السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ، بنو عمه ونبذوا دعوته فتشتت رأي السلطان المذكور وتفرق ملكه ولم تقم له قائمة كما تقدم. ونحو هذا ما وقع للشيخ أبي يعزى في قصته المشهورة وكرامته المأثورة مع الخليفة أمير المؤمنين أبي محمد عبدالمؤمن[2]، وذالك أنه لما اشتهر حال سيدي أبي يعزى وقصده الناس من الآفاق وأخبر بالمغيبات وطبق ذكره أقطار المغرب خوف منه الخليفة عبد المؤمن، وقال له بعض الحسدة من المتفقهة المنكرين لكرامات الأولياء،هذه الجموع التي ترد على هذا الرجل يخاف على الدولة منها فأصغى الخليفة لقوله وعزم على السير إليه ليختبر أمره.

فلما قرب بمحلته من زاوية أبي يعزى بعث إليه وطلب لقاءه، فلما وصله الشيخ سيدي أبو يعزى على قارعة الطريق توقف الخليفة في أمره ثم قال لحاجبه قل له يعرفنا بشيء من هذه الغيوب التي تؤثر عنه من المكاشفات، فقالوا له ذالك فقال لهم حماري يأكله السبع الليلة. فوجه الخليفة حمار الشيخ وجعله في مربط خيله وبات عين[3] الخليفة هناك يحرصونه فلما أصبح والعبيد[4]تفرقواعن أماكنهم فارين من السبع، و وجدوا حمار الشيخ عقير والسبع واقف هنالك ،وإذا بالشيخ أبي يعزى قد أقبل وعصاه في يده فتقدم إلى السبع وضربه بضربة واحدة بعصاه فخر ميتا .ونقل ذالك للخليفة وكان من الموفقين فقال لجلسائه اعتبروا بهذه القصة وإن كانت عجبا،فقد ضربت لكم مثلا وجعلها لنا أدبا. وكأنه يقول أنا رب الحمار وقتله الأسد فسلطت عليه،فقتلته وأنا عبد وربي الله فإن قتلتمون يغضب لي مولاي يفعل ذالك وأشد منه لمن قتلني قال العزفي ،وهذا منه اعتبار عجيب وخاطر من الفراسة مصيب ،قلت وهذا كثير أيضا إذ هي عادة الله في أنبيائه وأصفيائه من أوليائه.

فتأسوا بمن مضى إذ ظلمتم　　　　فالتأسي للنفس فيه عزاء

---

[1]- ساقطة من أ

[2]- عبد المؤمن بن علي الكومي التلمساني(487-558هـ): صاحب المهدي بن تومرت وخليفته بعد وفاته سنة 524هـ .حكم الدولة الموحدية بعد القضاء على المرابطين وسائر دول المغرب الإسلامي بين 541هـ-555هـ.عبد الواحد المراكشي :المعجب في تلخيص أخبار المغرب .تح صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا،بيروت،1426هـ،2006م،ط1،ص 148.

[3]- في ب عبيد.

[4]- في ب فما أصبح الا و العبيد تفرقوا

وكذالك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين ونحو هذ افي القرآن كثير،قال بعضهم عادة الله وسنته في أنبيائه وخاصته من أوليائه أن يجعل العباد لهم قسمين [قسم[1]]يعتقدهم ويصدق بهم وبعلومهم وأسرارهم وذالك من سبقت له السعادة واصطفاه الحق سبحانه لدار الحسنى والزيادة، وقسم يعتقد عليهم ويكذبهم فيما أخبروا به حسدا وبغيا وكراهية أن يكون لأحد عليهم شرف في منزلته و اختصاص في منته وذالك من سبقت له الشقاوة وغلب عليه الجهل واستولت عليه الغباوة، فتجد العموم منهم يستبعد كرامات الأولياء ويستغرب عقولهم نعم الله عليهم ثم يحملهم ذالك الحسد على إذاية أوليائه والتسليط عليهم وعلى من تعلق بهم من أحبائه وأصفيائه فيمد الله سبحانه [ذا[2]] الولاية العرفانية و العناية الربانية بالصبر لترفع أقدارهم وتزهى أنوارهم.

قال أئمتنا وفائدة ذالك وسر حكمته أن يخلص[3] له قلب وليه من إحسان الخلق ويتعلق نظره بالملك الحق لا إله إلا هو، إذ لو كان الخلق كلهم مصدقين للولي لفاته ثواب الصبر على تكذيب المكذبين منهم ولو كانوا كلهم مكذبين لفاته الشكرعلى نعمة تصديق المصدقين له، فالولي قائم بحق عبودية مولاه فيمن صدقه بالشكر وفيمن كذبه بالصبر إلا أن من أولئك القوم المعترضين من إذا أراد الله به خيرا يهديه إلى طريق الحق و يسلك به أحسن المسالك [جعلنا الله ممن أراد به خيرا [4]]في الدارين ويجعل له سبب الهداية على يد ذالك الولي .

قلت وما وقع للشريف أحمد المنصور مع الشيخ سيدي محمد الشرقي لعله والله اعلم ،كان في ابتداء الأمر وأما بعد ذالك فقد استمر الود بينهما والتعظيم [والاحترام[5]]والتوقير والتبجيل من السلطان المذكور لجانب الشيخ وبقي على ذالك إلى أن مات وكذالك بعد قيام السلطان زيدان قام على ما كان والده يفعل من تعظيم الشيخ واحترامه ومن طالع الرسائل التي كانت تقع من الشيخ إليهما ومنهما الى الشيخ وجد ماذكرنا واستدل به على أن المحبة كانت بينهما إلى أن توفي الشيخ وبقيت الرسائل بين أولاد الشيخ وبني زيدان .أخبرني عمناالفقيه النبيه[المحترم الوجيه][6]عبدالسلام بن عبد الخالق ،أنه اطلع على كتاب كتب فيه سيدي محمد الشرق يبخطه إلى الشريف

[1]- ساقطة من أ.

[2]- ساقطة من أ.

[3]- في ب أن يخلص الله.

[4]- ساقطة من أ

[5]- ساقطة من أ

[6]- ساقطة من ب

زيدان[1] بن أحمد المنصور وفيه ما يدل على أن الشيخ كان من أهل محبتهم ومن أهل ودادهم ولم لا يكون ذالك والله تعالى أمر بحب آل البيت وحظ على مودتهم وفيهم يقول الشاعر :

يا آل بيت رسول الله حـــبكم   فرض من الله فـــي القرآن أنزله

يكفيكم من عظيم القدر أنكم   من لم يصل عليكم لا صلاة له

وطالعت جملة من رسائلهم وهي مجموعة عندنا ولم يخرج منها إلا قليل، فوجدت فيها ما يدل على الاحترام العام والتعظيم التام ومثل هذه الكرامة التي حكى أبو علي وقعت للشيخ مع السلطان المذكور ولعل ذالك كله كان في ابتداء الأمر والله اعلم.

الثالث من الأمور أن الكرامة المذكورة معدودة من الكشف ومن الأخبار بالمغيبات، ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم الإخبار بالمغيبات، وقد أخبر صلى الله عليه وسلم رجالا بما حدثتهم أنفسهم وعدو من ذالك جملة وافرة، من ذالك ما روي أن رجلا جاء يشتكي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأبيه فقال له النبي صل الله عليه وسلم أنت ومالك لأبيك، فنزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له،يا محمد إذاجاءك الشيخ فسله عن شئ قاله في نفسه فلم تسمعه أذناه، فلما جاء الشيخ قال له أخبرني عن شيئ قلته في نفسك ولم تسمعه أذناك،فقال الشيخ، الحمد لله الذي لم يزل يزيدنا بك يقينا ثم يقينا،نعم يا رسول الله قلت شيئا في نفسي لم تسمعه أذناي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قل فقال :

غـــــدوتك مولودا وصنتك يافعا   تصل بما اجري عليك وتنهل

إذا ليلة تـــأتيك بالسقم لـم أبتل   سقمك إلا ساهرا أتـــململ

كأني أنا المطروق دونـك بالذي   طرقت به دوني فعيني تــهمل

تخاف الردى نفسي عليك وأنــها   لتعلم أن الموت دين موجل

فلما بلغت السر والغاية التـي   إليها مراما[2]كنت فيك أومل

---

[1]- الملك السعدي زيدان بن أحمد المنصور تولى العرش بعد وفات أبيه عام 1012هإلى وفاته عام 1037هـ.السلاوي:الاستقصاء لدول المغرب الأقصى.ج6،ص 72.

[2]- ف ب مدا .

جعلت جزائي غلظة وفظاظة كأنك أنت المنعم المتفضل

فليتك إذا لـم ترع حق أبوتي فعلت كما الجار المجاور يفعل

فأوليتني حق الجوار ولم تكن علي بمالي دون مالك تـبخل

فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بتلابيب المولود وأعطاهل أبيه وقال له:(أنت ومالك لأبيك.)[1]

فصل ومن كرائم هذا الشيخ سيدي محمد الشرقي رضي الله عنه الظاهرة وآية ولايته الباهرة ،ما حكى الإمام أبو علي سيدي الحسن ابن مسعود رضي الله عنه ونفعنا به وأسعدت[2]في الدارين آمين قال رضي الله عنه، لما قام على السلطان أحمد المنصور، ابن أخيه، وابن عمه الناصر بتازا[3]قال سيدي أحمد بن أبي القاسم الصومعي أن الناصريدخل تادلا[4] بمعنى دخول الملك، فلما بلغ الخبر سيدي محمد الشرقي قال، مسكين باب أحمد رأى رأس الناصر قد دخل تادلا فظنها الناصر يدخل ،فكان الأمر كما ذكروا أن الناصر هزم في نواحي تازا ثم قطع رأسه و جلب إلى مراكش ،فدخل تادلا في طريقه فكان الأمر كما أخبر سيدي محمد الشرقي رضي الله عنه. فانظر إلى الكرامة العجيبة والحكاية الغريبة والمزية الشريفة والمنقبة الرفيعة الدالة على بلوغ هدا الولي المرتبة الفائقة والمنزلة الرائقة وعلى تحققه وكشفه التام النافذ الذي لم يشب بأوهام ولا مناقصة كافر بها فهكذا هكذا وبعين الحسود القذا.

ومنفرد لله هام بـــحبه فليس له إن مـــس بشيء ســـوى الرب

فمن كان في دعوى المحبة صادقا تــجلت له الأنوار من غير عجب[5]

فيرتاض فـي روض الـمعارف دائما ولذتها أشهى من الأكل والـشرب

تخاطبه الأهوال[1]من كل جـانب فيفهم عنها بالـــضمير وبالقلب

---

[1]- حديث صحيح ذكره أصحاب الحديث دون الأبيات وقصة جبريل.أنظر مثلا،محمد بن حبان الدارمي البستي:الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان. حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه، شعيب الأرنؤوط،مؤسسة الرسالة، بيروت، 1408 هـ،1988 م، ط12،ج2،ص 142.

[2]- ف ب و أسعدنا

[3]- تازا:مدينة تبعد نحو 5 أميال عن الأطلس ونحو 80 ميل عن فاس وعن المحيط نحو 250 ميل وعن البحر المتوسط 75 ميل مرورا بصحراء كرط. نفس المصدر،ج2، ص354.

[4]- تادلا إقليم شاسع يبتدئ من نهر العبيد وينتهي عند نهر أم الربيع عند منبعه كما ينتهي جنوبا بين جبال الأطلس وشمالا في منطقة الواديين المذكورين.الوزان: وصف افريقيا.ج1،ص 176.

[5]- في ب حجب

فكاشف بالأسرار مـن ملكوتـها   فيأتي عليه الفيض من عا لم الغيب

وقول الاخر :هــــم الفقراء عنهـــــم فاروي   ذكـــــرا وحدث عنهم سرا وجــهرا

هـــــم الفقراء أهل الله حـــقا   وقــــــد حازوا برب و الفقر فجرا[2]

هـــــم الفقراء قـــد صبروا وذلوا   فـــعوضهم بدالك الصـــــبر أجرا

هـــــم الفقراء والسادات حـــقا   ومنـــــــهم تكتسي الأكوان عطرا

فــكم صبروا على ضيم الليالي   وكــــــم قد كابدوا ضـــيقا وعسرا

وقـــد كسروا النفوس له وذلـــوا   فـــــأعطاهم بــذاك الكسر جبرا

وقـــد زاروا الـحبيب وشاهدوه   وقـــــد ســجدوا له حمدا وشكرا

قلت وفي الكرامة المذكورة أمران أحدهما تفاوت مقام الرجال وتفاضلهم وأن بعضهم أعلى من بعض وأبلغ وهو كذالك وبهذا تعلى[3] رتبة سيدي محمد الشرقي وعلو منزلته وكون له الفضل العظيم والفخر الجسيم والتقدم على أهل زمانه واحتياجهم إليه ،ولبعضهم في مدحه رضي الله عنه :

يا منبع الــــــخيرات والإكـــــرام   يا مسلك الــفردوس للأنام

يـــــا طـــود سر قد تدفق سببه   يا مورد الإحسان والإنــعام

يا عنصر الفخر الزكي عـــــــرفه   نفحاته تــحكي بوبل غمام

أنت الذي أولاك ربـــــك مقلدا   لأهـــله فـــي الحل والإبرام

فقد الزمان كدا الخطوب جميعها   طـود الغصب المالك المقدام

والـــــــــحور مـــن رب السما هدية   جاءت إليك وهن فتي ابـــتسام

[1]- في ب الأحوال.

[2]- في ب فخرا

[3]- في ب تعلم

فـــــقبلتها وبـــــعثتها غوث الورى لمكانك الأســـــمـى بدار دوام

وأتـــــت لـــــنفحته ركائب غربنا والـــــشرق حتى بالعراق وشام

وإذا أطـــــاع الله يـــــوما عبده خـــضعت لطاعته[1]ذوو الأحلام

مـــولاي يا الشرقي أنت وســـيلتي فـــأكرم به من وافى به بـــزمام

قـطب الندى شمس الضحى نسيم الروا كهف الهدى بدر بدا بتمام

مـــــنه استـــــفاد الغرب كل غريبة نـــــور الولاية فـــي ربا و آكام

كأس بـــخمرتها تـــــخمر واغتدى ما بين ركـــع الـــورى وصوام

مـــــن نور خير الخلق قـــد ملئت له أكرم بـــها من خمرة بمدام

فـــسقى بهـا من خلقه أهل الصفا والأرض تعقبت شربـــها بطعام

حبر به اكتست الـــــولاية حسنها نـــعم الـولي كهف كل مضام

يـــــاغوث أقطاب الوجود ومـــن به سيف الشريعة قـــائم الأقـــدام

أنـــــت المـــؤمل للقاصد والـــمنا أنت الـــــمرجى لنيل يوم زحام

فـــــــي كل أرض من نداك سحابة تـــــنهل بالوبل الـــتوار السام

فـــــي كـــــل قطر من فخارك منبر يـــــعلوه خاطب فضلك المعلام

خـــــذها إليك خريدة ســـــحرية قـــــد فض عنها لثامها بـــختام

اللهم يا أكرم الأكرمين أفض على الكاتب والمنشد من بركة هدا الشيخ بحرمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وجميع الأحبة آمين يا رب العالمين.

[1]- في ب لدعوته.

الثاني أن ما يقع للأولياء من المخالفة لما أخبروا به لا يضن بهم الكذبو كذالك ما يقع من الاختلاف والنقصان لأهل الفراسة من الصالحين لا يضن بهم الكذب أيضا،وإنما يقع لهم ذالك من أجل عدم تمام التجلي لأن الشيء قد يتجلى بتمامه وقد ينتقص.قال أبو علي وقد ضرب الإمام حجة الإسلام الغزالي في الإحياء مثلا لهذا،وهو أن القلب[في مطالعة اللوح المحفوظ [1]]بواسطة التجلي يكون كما بينك وبين جدار أوإنسان أومتاع ستر مرخي،فاذا انسدل لم ترى شيء من ذالك الجدار أو نحوه، وقد تهب ريح فتحركه وترفعه حتى ترى الجدار بتمامه، وقد ترفعه حتى ترى بعض الجدار فترسله ولا ترى الباقي أو ترسله قبل أن يتبين ما رأيت.

وهكذا ثم ذكر حكايتين دليلا على أن التجلي يقع تاما وغير تام، مثل ماوقع للشيخ سيدي محمد الشرقي وسيدي أحمد بن أبي القاسم،أحدهما أن رجلا من رؤساء البحر جاء إلى سيدي علي أبي الشكاوي[2] فشاوره على السفر في البحر، فقال له لا تفعل وإن فعلت فلا ترج مالك ولا نفسك، وخرج من عنده وأتى سيدي عبد الله بن حسون[3] فشاوره، فقال له سافر تسلم وتغنم.فسافر فاتفق عند دخولهم البحر أن أسرهم الروم فذهبوا بهم إلى أن لقوا بعض سفن المسلمين فوقع بينهم قتال فظهر المسلمون، فاستمكن هؤلاء من سفينتهم التي أسرتهم فقبضوا عليها وغنموها ورجعوا سالمين غانمين.ثم ذكر الحكاية الأخرى عن الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله مع بعض الصالحين أيضا في هذا المعنى.

فصل ومما يشبه ما تقدم من اختلاف الناس وتفاوتهم في الكشف من كرائم هذا الولي الشيخ سيدي محمد الشرقي رضي الله عنه، ما حدثني به أحد الطلبة أن الشيخ سيدي أحمد بن أبي القاسم الصومعي المذكور آنفا قال يوما أن تادلا تخلا سنة، فبلغ الخبر سيدي محمد الشرقي[فقال[4]]لعلها منه تخلى، فوقع الأمر كما ذكر سيدي محمد الشرقي وأن السلطان أحمد المنصور أرسل إلى سيدي أحمد بن أبي القاسم يأمره بالقدوم إليه فقدم،أجلسه عنده سنة بقصد أن يؤلف له فأقام عنده بمراكش تلك المدة، فهذه الكرامة نظيرة ما تقدم وتدل على أن الناس يتفاوتون وتعلم بها كشف الشيخ القاطع والتجلي الناصع رضي الله عنه ونفعنا به.

---

[1]- ساقطة من أ.

[2]- علي بن منصور البوزيدي المعروف بأبي الشكاوي صوفي رحل إلى المشرق وله زاوية بشالة،توفي 1004هـ.طبقات الحضيكي،ج2،ص 482.

[3]- عبد الله بن أحمد بن الحسن الخالدي السلاسي نسبة لسلاس بلد من عمالة فاسعرف بابن حسونثم انتقل إلى سلا ولد بعد عشرين وتسعمائة وتوفي عام 1013هـ.نفس المصدر،ج2، ص492.

[4]- ساقطة من أ.

قلت :ومن وقع له نقص في خبره رضي الله عنه لا يوجب لهم قدحا في ولايته ولا غضا في مرتبته ولا كذبا في أخباره، بل إنما وقع له ما ذكر كما تقدم من أجل عدم التجلي التام، فكلهم على صواب إلا أن أحوال الناس متفاوتة فمنهم من رأى ذالك الشيء المخبر به ولكنه لم يكاشف بتمامه، فأخبر على حسب ما رأى لكون التجلي غير تام، ومنهم من اطلع ورأى ذالك الشيء بتمامه لكونه تجلى له بأكمل حال فأخبر فوقع الأمر موافقا لخبره ،كالشيخ سيدي محمد الشرقي والشيخ عبد القادر في حكايته التي ذكر أبو علي والشيخ عبد الله بن حسون مع صاحبه أيضا :

فـــــــهم أولياؤه حيث حلوا　　وهـــــم للقلوب برد وظل

قـــــد تفانوا عن الوجود فعزوا　　وأشاروا إلـــى الطريق فدلو

فلــــهذا قد أصبحوا في البرايا　　كل صعب ينالهم فهو سهل

لـم يزل ذكرهم على الدهر يتلى　　ولكل القلوب يجلو ويـحل

فبــــهم يدفع البلاء عن الخلق　　ويـهدوا مـــخافة أن يضل

فصل ومن كرائم الشيخ سيدي محمد الشرقي رضي الله عنهما، ذكر الإمام أبو علي رحمه الله عن الرئيس الأجل أبي عبد الله سيدي محمد الحاج[1]بن محمد بن أبي بكر الدلائي رحمهم الله تعالى،عن أبيه أن بعض الناس ممن كان [مملقا[2]]دوام حياته ذهب إلى سيدي محمد الشرقي فاشتكى إليه الفقر فقال له اذهب قد رفع الله عنك الفقر ،قال فذكر للوالد يعني سيدي محمد بن أبي بكر ما قال سيدي محمد الشرقي، فقال كلام الشيخ لا مطعن فيه ولكن يا عجبا أين يذهب الفقر عن فلان ؟فهذا لا بد له من مخرج، قال فلم يلبث ذالك الرجل أن مات عاجلا، فكان ذالك ارتفاع الفقر عنه واستراحته منه انتهى :

إن لله عبادا طلــــقوا الـــــــدنيا وهـاموا

فــــــله ذلوا وعـــــــزوا وله صلوا وصاموا

[1]- محمد الحاج الدلائي شيخ الزاوية عند ثورتها ضد محمد الشيخ ابن زيدان عام 1046هـ .وقد انهزمت الزاوية في عهد مولاي رشيد في معركة بطن الرمان،ودخل السلطان فاس وغرب الحاج الدلائي إلى تلمسان إلى أن مات بها عام 1082هـ ودفن بجانب محمد السنوسي.الإستقصاء،ج7،ص 36.

[2]- ساقطة من أ.

هجروا الأمر وساحوا وعلى الأوراد دامـــوا

فـــــــإذا ما رقد الناس ونام الخلق قاموا

فــــــلهم في الليل أحوال إذا جن الظلام

وعــــــلى الأفواه منهم حدر اللغو لجام

تــــــــركوا الشهوة زهدا وسواهم مستهام

فهـــي للعالم حلو على القــــــوم حرام

اخلصوا في الحب لله وعلى الخيرات داموا

فـــــعلى الدنيا إذا لم يوجدوا فيها السلام

قلت :يحتمل قول الشيخ للرجل اذهب قد رفع الله عنك الفقر أمرين، أحدهما أنه أخبره بما اطلع عليه من الغيب وأنه سيموت فيرتفع الفقر عنه بذالك ،والثاني أنه دعا له بارتفاع الفقر بما فيه استراحة منه فهو كقول الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله ورضي عنه:

وأمري بأمر الله إن قلت كن يكن وكل بأمر الله فاحكم بقدرتي

وقول الجامع بين الشريعة والحقيقة شيخ الطريقة أبي العباس أحمد زروق نفعنا الله بهفي قصيدة له:

فأرفـــع قدرا ثم أخفض رتبة فأرفع مقداري بما رفع حكمتي

وأعـــزل أقواما وأولي سواهم واعلي منار البعض فوق المنصة

وأبسط أرواحـا واقبض أنفسا وأحي قلوبا بعد موت القطيعة

وأجبر مكسورا وأشهر خاملا وأرفع مـــــوضوعا لرفع بهمة

وأقهـــر جبارا وأدحض ظالما وانصر مظلوما بسلطان سطوتي

إلى غير هذا من كلامهم رضي الله عنهم، مما يدل على التصرف التام والخوارق العظام . وذكر أبو علي حكايتين مما قال الشيخ سيدي محمد الشرقي، أي في إطلاق اللفظ وأراد به غير ظاهره، قال ومعنى هذا ما حدثونا عن بعض صلحاء مراكش القرباء العهد،أنه جاءه إنسان قال يا سيدي إن الصلاة تثقل علي فعسى أن ترفعها عني، فقال له على الفور قم فقد رفعها الله عنك،فلم يقم إلا مجنونا خارجا عن التكليف . قال وشاهدت أن بعض الناس من كان ذا رياسة ودنيا فنكب وذهب ماله فكتب معي إلى أستاذن االإمام بن ناصر[1]رضي الله عنه يشكوا له بما نابه وما تخوف من العيلة والضيعة، فأجابه الأستاذ بكتاب وفيه،فلا تخشى الفقر فاتفق أن مات ذالك الرجل عن قريب فكان ذالك راحته مما خاف منه.

فصل ومما حكى أبو علي سيدي الحسن بن مسعود نفعنا الله به عن سيدي محمد الحاج عن والده سيدي محمد بن أبي بكر رحم الله الجميع ونفعنا بهم وبأمثالهم ،أن الشيخ سيدي محمد الشرقي رحمه الله كان وقع بينه وبين ولده السيد الغزواني كلام وعتاب إلى أن قال سيدي الغزواني للشيخ،أأنت ترزقني؟ فقال له الشيخ نعم أنا أرزقك.فاستعظم الناس هذا الكلام ،فقال سيدي محمد بن أبي بكر، لا شيء في هذا [الكلام[2]]فإن الشيخ هو القطب في الوقت والقطب تجري الأرزاق على يده فصح بهذه الإضافة أن يكون رازقا انتهى.[3]

قلت انظر إلى فطنة هدا السيد و صفاء ذهنه وكيف اهتدى لذالك،فهذا يدل على صفاء شربه ونورانية قلبه وما ذالك إلا من كمال شيخه سيدي محمد الشرقي وعلو همته وارتفاع شأنه.

فأضاء من مصباحه مصباح　　　هو الفرع يزكوا عن طيب المحتدي

قلت:ونحو هذا حمله حديث (لا هجرة بعد الفتح)[4]على أن المريد إذا فتح له على يد شيخه لا هجرة له بعد ذالك وكان يستشكل حديث(وما انتقم صلى الله عليه وسلم لنفسه شيئا إلاأن تنتهك حرمة الله فينتقم لذالك)[5]أو كما قال صلى الله عليه وسلم، فإن نفسه صلى الله عليه وسلم هي أقوى حرمات الله وأعظمها.

---

[1]- سبقت ترجمته.

[2]- ساقطة من أ

[3]- من حق الناس أن يستعظموا ذالك لأنه لا رازق إلا الله،وما برر به المؤلف لموقف الشرقي لا أساس له من كتاب ولا سنة بل هو مخالفة صريحة لصحيح العقيدة.

[4]- من حق الناس أن يستعظموا ذالك لأنه لا رازق إلا الله،وما برر به المؤلف لموقف الشرقي لا أساس له من كتاب ولا سنة بل هو مخالفة صريحة لصحيح العقيدة.

[5]- رواه مالك في الموطأ: موطأ الإمام مالك،صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه، محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي، بيروت،لبنان،1406 هـ، 1985 م،ج 2، ص902.والبخاري في صحيحه رقم 3560،ج4،ص 189.

حدثني عمنا الحاج الفاضل الخير الصالح سيدي عبد السلام بن عبد الخالق عن الفقيه سيدي محمد بن عبد الرحمان الصومعي أن الشيخ سيدي محمد بن أبي بكر كان لا يتكلم إلا عن إذن ،ذكر ذالك في الصلاة المعلومة وهي ،اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله كما لا نهاية لكمال ،كوعد كماله ،قال وقراءتها عشرا فدية لصاحبها من النار. قلت والحكاية المذكورة هي الثانية التي وعدنا بها عن الشيخ أبي علي ليستفاد منها، وأن الشيخ كان هو القطب في الوقت هذا والذي تقدم في قوله للنفر القادمين من عند السلطان أحمد المنصور أناقطب وقتي وهذا هو اللباس اللائق في صريح قطبانيته، ولا يشك فيها أحد بل اشتهرت اشتهارا كالشمس ولم تخف على البصير والأعمى والأعمش، ومازال الأولياء العارفون الأتقياء الصالحون الذين بلغو تلك المرتبة وارتفعوا تلك الدرجة يصرحون بذالك كقول القطب سيدي ومولاي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه في قصيدته المشهورة :

أنا قطب أقطاب الوجودحقيقة على سائر الأقطاب قولي وحرمتي

وغيره من الأولياء رضي الله عنهم وهدا من باب النعم وأما بنعمة ربك فحدث قال الشاعر:

لك الحمد مولانا على كل نعمة ومن جملة النعماء قولي لك الحمد

فما الحمد إلاأن تـــمن بنعمة تعاليت لا يقوى على حمدي العبد

ولمحمود الوراق[1] رحمه الله : إذا كان شكر نعمة الله نعـــمة عليله في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلا بـفضله وإن طلت الأيام واتصل العم

إذا مس بالسراء عــــم سرورها وإن مس بالضراء أعقبهاالأجر

ومــــــــا منهما إلا فيه نعمة تضيق بها الأوهاموالبر والبــحر

وقال تعالى {لئن شكرتملأزيدنكم}[2] فهم السلاطين رضي الله عنهم والملوك المتصرفون حقيقة وليس لغيرهم من الملك إلا إثمه وعقابه ،فحق لهم إطلاق اللسان بها فقد شاهدوا سرا لو بدا إلى الجبال الشامخات لدكت

فقل لملوك الأرض تتجهد جهدها فذا الملك لا يباع ولا يهدى

[1]- محمود الوراق الشاعر، ابْن الحسن الوراق. أكثر القول فِي الزهد والأدب، روى عنه ابْن أبي الدنيا، وابن مسروق، وكان نخاسا يبيع الرقيق. توفي في حدود 230هـ.ابن الجوزي :المنتظم،ج1،ص 69.وابن المعتز:طبقات الشعراء،تح عبد الستار أحمد فراج،دار المعارف،القاهرة،ط3،ج1، ص366.

[2]- إبراهيم 7.

اللهم أفض علينا سحائب رحماتهم وأنزل علينا سوابغ فضلهم وأمطر علينا وابل ودقهم وأرزقنا حضا وافرا من صدقهم ونجنا من فتنة الدنيا والآخرة ،فأنت رب الأولين والآخرين وقدرتك لا يعجزها شيء في كل وقت وزمان وعصر وأوان بحرمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم آمين يا رب العالمين.

فصل ومن كرائم هدا الولي البارزة للعيان المتداولة على مرور الأعصار والأزمان المنتقلة من أكابرالأعيان وفضلاء الإخوان الشائعة عند الخاصة والعامة ونجباء الأبرار المشتهرة بين الكبراء والولدان ما وقع له مع الفقيه العا لم العلامة الحبر الفهامة التقي الدين الخير النير،أبي العباس أحمد المنجور الفاسي رحمه الله ورضي عنه النجاعة[في أمر البضاعة[1]]على ما سيأتي خبرها وحدثنا بها غير واحد من إخواننا ووجدتها بخط بعض الطلبة ونص ماوجدت على ظهر كراسة مكتوب فيها أبيات الشيخ سيدي محمد الشرقي المتقدمين التي خاطب بهم أبا المحاسن يوسف الفاسي وجوابهم والرسالة المتقدمة وفي أعلا الورقة بيتان وهما :

تعرضت لي بالجودحتى ملكتـني وأعطيتني حتى ظنـــــنتك تلعب

فأنت الندا وافر النداحلف الندا وما للندا عن باب فضلك مهرب

قال المنقول من خطه وهذان البيتان ذيلهما عالم وقته الصدر الجامع أبو العباس المنجور قدس الله سره في ولي وقته العارف بالله القطب الأوحد أبي عبد الله سيدي محمد الشرقي بن ولي الله سيدي أبي القاسم الزعري لقبا التباعي وسيلة نفع الله بالجميع فهذه الأبيات وهي :

وهذا محال في زمـــــــــاننا كله سوى فضل شيخهو في الغرب كوكب

إمام التقى وافر[2]التقى حلف التقى ولي الإله الحق قـــطب مـــــقرب

[فحرفه ميم ثــــم حـــاء وبعدها مـــشددة أخــــــــرى ودال مرقب[3]]

يلقب بالشرقي إن كـــنت جاهلا وفــــي حوله طيب ومسك مجيب

قال المنقول من خطه وما مدحه بهذه الأبيات حتى اتفقت له معه الكرامة المعروفة برد البضاعة، وذالك أن الشيخ المنجور رحمه الله أعطى لبعض أصحابه التجار مالا يجلب به لعيد الأضحى غنما من تادلا قدره ستمائة مثقال

[1]- ساقطة من أ

[2]- في ب وابن

[3]- ساقط من أ.

ذهبا،فورد البلاد التادلية فوقع له المال في وادي أم الربيع داخل الماء ،وأطال البحث في ذالك،فلم يقع على خبر ولا على أثر فرجع بيد صفر إإلى الشيخ المنجور فأخبره بالخبر وبضياع البضاعة، فقال لولد الشيخ الرباني وهو سيدي الغزواني وكان يلازم الفقيه المنجور للقراءة عليه،تأهب الساعة لتادلا وبلغ هذا الكتاب لوالدك ونص ما في الكتاب على ما أخبرني به الشيخ ولي الله مولاي محمد بن الشيخ سيدي أبي بكر المجاطي الدلائي نفع الله بهما وحفيد الشيخ سيدي محمد الشرقي نفع الله به وهو العالم الخير سيدي المفضل بن أحمد المرسي مع الحكاية كلها : الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله، عالم الوقت احتاج إلى ولي الوقتف ي مسألة وهي كذا وأعاد القصة المتقدمة، فوصل الكتاب إلى الشيخ وقرأه مع ولده سيدي الغزواني وقال لوالده الشيخ ما أجل لي إلا ثلاثة أيام فلما قضى الأجل جاء إلى الشيخ ليتوادع معه، فخرج الشيخ ليشيعه من داره بجعيدان بكرة فرأى رجلان في الطريق، فقال لولده سيدي الغزواني، ادع لي الرجلين فدعاهما له فاستخبرهما فوجد المال عندهما في زوادته، فقال لهما كيف الخبر في الاتصال بهذا المال من الوادي،فقالا كنا نصطاد الحوت فيه فأخرجناه في الشبكة فجئنا للغابة لندفنه فكلما حفرنا له لنرميه في الحفرة إذا برجل ينظر فينا وكلما أبعدنا وحفرنا تبدا لنا الرجل فجئنا به معنا كما هو، فعداه كاملا موفرا فبعث به في الحين،وبعث البشارة من عنده للرجلين نفعنا الله به. فلذالك مدحه بهذه الأبيات المتقدمة وهذه حكاية غريبة وكرامة عجيبة نفعنا الله بأوليائه في الدارين أمين:

للأولياء مـــناقب مـــشهورة فـــاشهد بها حق الشهادة واقطع

خـــرق العوائد ممكن لا سيما فــــي حق أصحاب المقام الأرفع

قـــــوم فـــرائضهم ومندوباتهم منهم إلـــــى غير الثواب الأنفع

قـــــطعوا الظلام تاما وتململا وعـــــيونهم تجري بفيض الأدمع

وتسارعوا نحو المدى ووراءهــم مني ومنــــك كواكب لم تسرع

وردوا بــــحار مواهب مختومة من ربــهم وحـــــرمت ري المهرع[1]

لـو كنت مثلهم لنلت مـــنالهم لـــكن نزعت خلاف ذاك لـلمنزع

أتقيس نفسك يا جبار بــمقدم أتقيس نفسك يا عمي بــــمقطع

[1]- المهرع:الحريص.القاموس المحيط،ج1،ص 982.

ومن المحال مع التفاوت أن ترى ماضي الجنان مع الجبار بـــموضع

لـــــم تلتحق أولئك الأقوام قد سبقوك أيام البطالة فـــــــــارجع

يا من تمادى في البطالة ساعيا فاردد حجاك إلى الكرائم و واسمع

قلت وذكر لي بعض الفضلاء أن الشيخ المنجور[1] لما وصلته البضاعة خطب بالشيخ فوق المنبر يوم الجمعة ونوه بذكره وعظيم شأنه ،فتأمل هده الكرامة وتأمل هذه الحكاية الغريبة والمنقبة النفيسة والمزية الرفيعة التي صدرت على يد هذاالولي الشيخ الكامل الذي لم يدع مقالا لقائل الطود الباذخ والركن الشامخ السابق التي لا تدرك غايته والبطل الذي تجمح رايته الحامل للواء أولياء ذالك الزمان وأهلذالك الشأن وليس الخبر كالعيان معدن صدور الكرامات وبروز الآيات وأحد ذالك القرن وقطب أوليائه وحرسهم الذي به الأمن.

حللت حلول الغيث في الزمن المحل على طائر الميمون والرحب والسهل

يـــــمينا بمن تعنوا الوجوه لـوجهه من الشيخ والطفل المعطب والكهل

لقد نشأت عندي لفضلك غـبطة تــــــنشي اغتباطي بالشبيبة والأهل

وودي لا يــــــــحتاج فيه لشاهد وفضلك لا يـحتاج لمثبت الفضل

ورأيت أن أنشد قصيدة لي في مدح هدا الشيخ سيدي محمد الشرقي أعاد الله علي من بركاته بما يسعد العبد في حركاته وسكناته في الدارين أمين يا رب العالمين واذكر فيها هذه الكرامة :

بلغ المنا من أمكم الحوائج يرجوا قضاهامن إمام فا

قد جاءكم متلوذا بحماكم متحققا أن تعطفوا في العاجل

حط الرحال لديكم ولأنتم قوم بهم عظمالنوائب تنجل

لوح الصريخ إليكم مستنصرا فأزيح عنه كل داء هائل

نجزت حوائجمن أتاكم قاصدا ظفرت يداه بالرفيع الشامل

[1]- سبقت ترجمته.

تـــــعطي الـــوفود ولم يكن أحدا	أتى لنداكم فرددته عن هــاطل
فــــــخصالكم شـــرقا وغرباحيرت	عقل الفهيم الحاذق المتكامل
وســـمت على كل الأكابر جملة	هماتكم فتعاظمت[1] عن كامل
أنـــــــت الإمام وقطبهم وغـياثهم	وجميعهم يرجون جود الفاضل
أنت الغياث لـــــمن غدا متعطلا	يرجوا الإغاثة من مـــهم شاغل
أنت الذي تنجلي بك كرب الورى	وتريحهم من كل خطب عـاطل
أنت الذي ترجى لدفع مـــــــلمة	وتعاظمت عن عارف متفاضل
أنت الذي تقضى حـــوائج راغب	نــــــاداكم عند اشتداد النازل
أنت الذي من جاءكم مستصرخــا	يعضد بعـــضب[2] باتر لتناضل
كــــــم كربة أجليتها عن داهش	فتـــــــــــحير متوغل متماطل
كــــــم من أسير آيس أنـــقذته	وفـــككته من غله وتـــــحامل
كم من فــــــقير لاحـــق أغنيته	ومـــــنحته بذخائر وشـــمائل
لكم الخصائص تنتـمي ولـــديكم	تعطى الركائب بـغية المتطاول
رد الـــــــــبضاعة أمرها مــتواتر	عنـــــــد الأواخر كلهم وأوائل[3]
رفعت لكم من فاسيا طـــود النهى	فـرددتها بعد الإياس الـــحائل
يا سيدي الشرقي يـــا قطب الورى	يـــا من غدا بدرا وشمس أفاضل
جـــــــد بالذي أملته يـــا سيدي	عـــــاداتكم أن تعطفوا للآمل

[1]- في ب فتقاصرت للكامل

[2]- العضب :السيف القاطع

[3]- القصيدة فيها غلو في الشيخ.

قد حبيتم بجاه النبي مستشفعا لمقامكم فاقضي حوائج سائل

صـــلى عليه الله ما دام الورى وتحركت تلك الصباب المائل

اللهم إنا نتوسل إليكبأوليائكوأحبائكمن عبادك وأصفيائكوأنبيائكوسيدنا محمد صلى الله عليه وسلمتفضل علينا بما تشاء من النعيموبالنضر إلى وجهك الكريموارزقنا العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرةوفيض علينا بحرا في الفيضسيدي محمد الشرقي واسقنا من مد يدهواجعلنا من المحسوبين عليهأمين يارب العالمينوصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبهوسلم تسليما.

فصل ومن كرائم هدا الولي الشيخ سيدي محمد الشرقي نفعنا الله ببركاته أمينماحدثني به سيدي رزقني الله رضاهقال رضي الله عنه،كانت امرأة واقفة عند ساقيةبئر وهي تسقي منهوكان ولدها في ظهرهافزلق الولد من الظهرفسقط وفزعت أمهوصرخت وقالت يا أهلالإغاثةوكان دالك في بلد بعيدوبينها وبين منزل الشيخ أبي الجعدأيام معلومات وأضنهاوالله اعلمأنذالك ببلد الصحراءفما أتمت صياحها إلاوالشيخ رضي الله عنه تعرض للولدوحال بينه وبين الأرضوقبض عليهوكان الشيختسابق إليه هو ورجل آخرمن الصالحين يقال أنهالشيخ بن احمد مولى البيض،فسبقه الشيخسيدي محمد الشرقي إلىذالكولما بادرهاسيدي محمد الشرقي بقي طرف عمامته يجر في الأرضلكونه والله اعلم سمع تلك الصرخةوهو يشدها على رأسهأوسقطت له فلم يلحق بسيدي الشيخ المذكورإلا طرف العمامةفرفعها من ورائه الشيخ وهو يقولخذ يا الشيخ الشرقي عمامتك.[1]

أهل الصلاح وأهــل البر قد سعدوا لــــــما لمولاهم دون الورى قصدوا

ما صدهم عن بلوغ القصد إذ رغـبوا فــــيه من الفوز الأهل ولا ولـــد

فـــــأصبح القوم في كد وفي تعب أحلا من الشهد بـل ما مثله الشهد

وكـــــأن ما كابدوا في سبيل سيدهم ومــا انثنوا عن ورود القرب إذ وردوا

فـــليس يرتحلون الدهر من بلد إلا ويبكي عليهم ذالك البصر في البلد

تنبه لهده الكرامةأيها الناضرواستخبر أيها الواقف وحدث بها أهل البوادي والحواضرفذالك الفضل الذي لا ينكروالمجد الذي لا يجهلوحقه أن يتلفي الأمصار على مرور الأعصار وأن تصغى إليه المسامع والقلوب لتزول عنها

[1]- القصة لا يصدقها العقل ولا يعضدها نقل .

الحجوب،وتنظر إلى قدرة علام الغيوب التي يجريها علي يد أوليائهالشموس التي لا تغيب وترويها ذو العقول الزكيةوالهمم العاليةوالمراتب السامية لتعرف قدر هذا الولي العارفبالله التقي القطب الجامعوالغوث الهامع والقطب والفجر الساطع والبدر اللائح والهمام الناصحوما أعطاه من المولى من التصرف في العوالموما أكرمه به من الكرائم وما أصبغه عليه من النعائم وقدر منزلته بين الأناومرتبته المخصوصةبين المراتب العظامومزيته الرفيعة بين جميع الكرام .

مـــحاسنك أضحت جنة عدن   لــــمن يرتاد إحسانا وحسنا

فـــــمهما حلها إنسان عينـــــي   فـــــللإنسان فيها ما تـــمنى

هـــزرت أيا سلطان الغرب دوحا   به ما شئت من ظل ومـــجنا

فكن حيث اقتظاه بك اعتدادي   وشد لي من كريم المرعى مبنا

وقلت هنا :

لم يبق لي سر الولاية شـــــاهدا   احتاجه لــــبيان فضل العارف

قد بان ما يكفي لكل مـــشاهد   مستبصر أفضائل ومــــــعارف

إن كان يحتاج الدليل فـقد غدت   شمس الورى تحتاج رد مخالف

فضل الإمام محمد الشرقي قـــد   فاق الجميع كل فضل ســالف

فان قلتكيف تمكن الكرامة المذكورةوذالك أن الشيخ سيدي محمد الشرقي كان ببلده والمرأة ببلدهاوبينهما مسافات معلومات وأيام معدوداتفكيف قطع تلك المسافة في تلك اللحظةولحق بها قبل أن تتم صياحها واعترضلولدهاوقبض عليهوحال بينه وبين الأرض وذالك في ساعة قليلة بل كاد أن يكون في لمح البصر وهذا لا يتفق لمن هو حاضر هناك أحرى لمن هو بعيدقلت هذاالأمر الذي ذكرت من كراماتهم رضي الله عنهمإذ منها أن الأرض تطوى لهم والطيران في الهوى فيقطعون المسافات في اللحظات أو يكون ذالكمن غير طيرانأصلا بل هو في موضعه ويفعل ما أراد في أي بلد .

ففي مناقب الشيخ أبي مدين أن رجلا كان يأتيه عند انصداع الفجر والرجل اسمه موسى الطيار ،لأنه كان يطير في الهوى ويمشي على الماء ،وكان سيدي أبو مدين يسمع به ولا يعرفه قال سيدي أبو مدين ،فكان الرجل يأتيني في ذالك الوقت فيسألني عن مسائل لا يفهمها الناس،فوقع في نفسي ليلة أنذالك السائل هو موسى الطيار الذي سمعت به وطال علي الليل في انتظاره، فلما طلع الفجر سمعت نقر الباب، فخرجت فاذا هو الرجل الذي يسألني فقلت أأنت موسى الطيار؟ قال نعم ثم سألني وأجبته وانصرف، قال ثم جاء بعد ذالك ومعه رجل آخر فقال لي: يا ابا مدين صليت أنا وصاحبي هذا الصبح ببغداد فقدمت مكة فوجدناهم في صلاة الصبح فأعدنا معهم وجلسنا حتى صلينا الظهر، وأتينا بيت المقدس فوجدناهم في صلاة الظهر فقال لي صاحبي هذا، نعيد معهم فقلت لا فقال ولما أعدنا الصبح بمكة، فقلت له كذالك كان شيخي يفعل وقد اختلفنا وأتيناك للجواب عن هذا السؤال قال سيدي أبو مدين فقلت لهما أما إعادتكما الصبح بمكة فالصلاة بمكة عين اليقين وببغداد علم اليقين وعين اليقين أولى من علم اليقين ،وأما صلاتكم الظهر بمكة فهي أم القرى[1]وما صلي في الأمهات فلا يعاد في البنات ،قال سيدي أبو مدين فقنعا بالجواب وانصرفا .

فصل ومن كرائم الشيخ سيدي محمد الشرقي في هذا ما حدثني به بعض الناس عن بعض الثقات أن بعض الناس كان ذاهبا في فلاة من الأرض فبينما هو يسير إذرأى طيورا مقبلة نحوه متفرقة في الهوى، فكلما لحقوا أحدا منهم ينزل ويرجع إنسانا حتى اجتمعوا وصاروا جماعة من الناس جلوسا ،ثم رأى رجل راكبا على فرس مقبلا فلما لحق إذ هو الشيخ سيدي محمد الشرقي عرفه الرجل،فنزل وقبض له الفرس وذهب إلى الجماعة وجلس معهم واشتغل بالكلام وكان يعرف الشيخ[2] من بينهم لكونه جهير الصوت رضي الله عنه، حتى قضوا من مجلسهم فطاروا ودهب الرجل لحاجته

وقال الشاعر في هدا :

لا ينكر الخرق[3] للمعتاد ذو بصر	بالعقل والشرع للأبدال في البشر
والطي للأرض مــــــعلوم تواتره	والـنص في ذاك في القران والأثر
وعــــــرش بلقيس برهان يدل به	على سواه رجال الفـــكر والنظر

[1]- في ب الأمهات.

[2]- في ب كلام الشيخ

[3]- في ب الخوف

هـــــذا وحالة ذا كفر ومعصية فكيف حال رجال الجد والحدر

فـــسلم الأمر تخفى عنك غايته من لـــــم يرد لبس لذة الصور

إن لم تعاين مقالة سمعت بها فـــــلا أقل من التصديق بالخبر

وقال الآخر : قطعت الأرض ذا سير حـثيث كـــــــلمح البرق حبا في التلاق

فــــقال لي العذول وقد رءاني ســـــبقت الخيل مضمرة العناق

ركـــــبت على البراق قلت كلا ولكنـــــــــي ركبت على اشتياق

قل وحكاية الشيخ أبي مدين مثل حكايتنا ألا ترى أنه ربما يقع في وهم من لا علم له ولا تحصيل عنده ،كيف يمكن للإنسان أن يصلي صلاة بموضع ويصلي تلك الصلاة بعينها بموضع آخر وبين هاذين الموضعين عدة أيام معلومة ،فان مابين بغداد ومكة أربعين رحلة فقد يستبعده ذو الجهل ،وجوابهما تقدم أنذالك جائز ممكن وقد ألف الجلال السيوطي في هذه المسالة تأليفا سماه " المنجلي في تطور الولي"وها أنا أنقل لك منه شيئا وسبب وقوع التأليف المذكور كما قال صاحبه، هو رجل حلف بالطلاق أن ولي الله الشيخ عبد القادر الكحطوطي بات عنده ليلة كذا ،فحلف أخر بالطلاق أنه بات عنده في تلك الليلة بعينها، هل يقع الطلاق على أحدهماأم لا ؟

قال السيوطي:فأرسلت قاصدا إلى الشيخ عبد القادر فسأله عن ذالك فقال،لو قال أربعة أني بت عندهم لصدقوا ،قال السيوطي فأفتيت بأنه لا يحنث أحدهما ثم وجه ذالك فعليك به إن أردته. ثم قال وقد وقعت هذه المسألة قديما وأفتى بها العلماء بعدم الحنث كما أفتيت،واستنادهم فيه إلى كونه ممكنا غير مستحيل ثم سرد من نص على عدم الحنث من العلماء،ثم قال وهذا هو المقصود من كلامه وحاصل ما ذكروه في توجيه ذالك أمور أحدهما أخذ من باب تعدد الصورة بالتمثل والتشكل كما يقع ذالك للجان.

والثاني من باب طي المسافة وزي الأرض من غير تعذر فيراه الرائيان كل في بيته، وهي بقعة واحدة إلاأن الله طوى الأرض ورفع الحجب المانعة [من الاستطراف[1]]فظن انه في مكانين وإنما هو في مكان واحد . قال هذا

[1]- ساقطة من ب.

أحسن ما يحمل عليه رفع بيت المقدس حتى رآه النبي صلى الله عليه وسلم حال وصفه إياه لقريش صبيحة الإسراء.والثالث أنه من باب عظم جثة الولي بحيث يملأ الكون فشوهد في كل مكان كما قرر ذالك شأن ملك الموت ومنكر ونكير حيث يقبض من مات في المشرق والمغرب في ساعة واحدة ويسألان من قبر فيهما في الساعة الواحدة ،فإن ذالك أحسن الأجوبة في الثلاثة . قال ولا ينافي ذالك رؤيته على صورته المعتادة فإن الله يحجب الزائد عن الأبصار ويدمج بعضه في بعض كما قيل بالأمرين في رؤية جبريل عليه السلام في صورة دحية[1] وخلقته الأصلية أعظم من ذالك بحيث إن[نشر[1]]جناحا من أجنحته يسد الأفق انتهى .

ثم قال السيوطي وها أنا أذا أذكر لك بعض كلام الأئمة في ذالك، قال العلامة علاء الدين[القزويني[2]في تأليف يسمى الإعلام، مانصه :ومن الممكن أن يخص الله بعض عباده في حال الحياة بخاصية لنفسه الملكية القدسية وقوة لها يقدر بها على التصرف في بدن آخر غير بدنها المعهود مع استمرار تصرفها في الأول،وقد قيل في الأبدال أنهم سمو أبدالا لأنهم قد يرحلون من مكان إلى مكان،ويقيمون في مكانهم الأول شبحا آخر شبيها بشبحهم الأصلي بدلا عنه وإذا جاز في الجن أن يتشكلوا في صور مختلفة ،فالأنبياء والملائكة والأولياء بذالك أولى وقد أثبتت الصوفية عالما متوسطا بين عالم الأجساد وأكتف من عالم الأرواح وبنوا على ذالك تجسد الأرواح وظهورها في صور مختلفة من عالم المثال .

وذكر حكايات أحدها حكاية الشيخ أبي العباس ابن الملثم أنه كانت عنده جماعة يوم الجمعة وهو يحدثهم فرأى غلاما يتوضآ ،فقال له الشيخ أين تريد ؟فقال الصلاة .فأخبره أنها قضيت . فخرج الغلام ووجدها كما قال الشيخ فخرج بعض الجالسين معه فسأل عنه الناس الذين كانوا في المسجد وحضروا الصلاة ،فقالوا له كان الشيخ في الجامع والناس يسلمون عليه، فرجع إليه فسأله فقال له أنا أعطيت التبدل،وكأن الشيخ قال للغلام صليت.

قال ابن السبكي لعل قوله صليت من صفة البدلية ،فإنهم يكونوا في مكان وشبحهم في مكان آخر، والثانية حكاية الشيخ مفرج[3]مع أصحابه وهو أن ذالك البعض حج فرأى الشيخ مفرجا بعرفة فلما قدم من الحج أخبر به

1– دحية بن خليفة بنفروة بن فضالة الكلبي:أسلم قديما وشهد المشاهد مع رسول الله عدى بدر كان أشبه بجبريل،وبقي إلى خلافة معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه.ابن سعد:الطبقات الكبرى.ج4،ص 189.وابن حجر:الإصابة في تمييز الصحابة .تح عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض،: دار الكتب العلمية،بيروت،1415 هـ،ط1، ج2،ص322.

[2]- ساقطة من ب.

[3]- في أ الغزنوي وهو قاضي قضاة دمشق، وكان فاضلاً في العلوم العقلية والنقلية، وعلم التصوف، وله مصنفات مفيدة رحمه الله تعالى توفي 729هـ.أبو الفدا:المختصر في أخبار البشر.ج4،ص 100.

[3]- مفرج ابن موفق عبد الله الدماميني أبو الغيث صاحب المكاشفات من مشاهير الصالحين توفي 648هـ.السيوطي:حسن المحاضرة.ج1،ص 519.

بعض أصحاب الشيخ مفرج فقال له ذالك الآخر،الشيخ ما فارق دمامين[1]. فتنازعا في ذالك فحلف كل منهما باليمي نفاختصما إليه وأخبراه بقصتهما فأقرهما على حالهما وبقي كل واحد منهما على زوجته،فسأله بعض الحاضرين عن ذالك وكانت جماعة عنده فقال لهم تكلموا وطلب منهم الاستكشاف عن سر ذالك الحكم فتكلم كل واحد من الحاضرين بوجه لا يكفي، فقال صفي الدين أبو منصور[2]،وهو الذي نقل عنه الجلال هذه المسالة،كانت المسألة ظهرت لي واتضحت فأشار إلى الشيخ بالإيضاح ،فقلت الولي إذا تحقق في ولايتهم كان من التصور في صور عديدة وتظهر على روحانيته في حال واحد في جهات متعددة، فأنه يعطى التطور في الأطوار والتلبس في الصور على حكم إرادته فالصورة التي ظهرت لمن رءاها [بعرفة[3]]حق وصورته التي رآها الآخر لم تفارق دمامين حق وصدق ،كل واحد منهما بر في يمينه فقال الشيخ هذا هو الصحيح .

والثالثة حكاية قضيب البان الموصلي[4]وانه أنكر عليه بعض الفقهاء عدم الصلاة في جماعة ثم اجتمع بذالك الفقيه وصلى بحضرته ثم أن ركعات في أربع صور ثم قال له أي صورة رأيتني لم أصلي فيها فقبل يد الشيخ وتاب

والرابعة حكاية الشيخ أبي العباس المرسي،أنه طلبه إنسان لأمر يعقده بعد الجمعة ،فأنعم له ثم جاء إليه أربعة كل منهم طلب مثل ذالك ،فأنعم للجميع ثم صلى الشيخ مع الجماعة وجاء وقعد بين الفقهاء، ولم يذهب لأحد منهم وإذا بكل من الخمسة يشكر الشيخ على حضوره عنده .

وحاصل ما تقدم أن الذي وقع له نحو ما تقدم ذكره أن تعظم جثته حتى يملأ الكون فمن رفع الله عنه الحجب يراه في كل مكان، ويفعل ما يشاء من غير تنقل من موضعه ولا تحول ،ويتصرف من غير تحول ولا تبدل ومن رءاه في صورته المعتادة فقد حجب الله عن بصره ذالك الزائد من جثته وإما أن يكون ذالك من باب تعدد الصورة بالتمثل والتشكل كما يقع ذالك للجان فتكون الصورة التي تنتقل أوتتصرف أو ترى بموضع أو بلد غير بلدها حق والصورة التي لم تنتقل ولم تتحرك حق وتتصرف هذه كما تتصرف تلك،أمدهما الله بقدره وروح تتصرف فيهما

---

[1]- دمامين:بفتح أوّله، وبعد الألف ميم أخرى مكسورة، وياء تحتها نقطتان، ونون:قرية كبيرة بالصعيد، فى شرقىّ النيل فوق قوص، وعليها بساتين ونخل كثير ابن شمائل القطيعي البغدادي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع. دار الجيل، بيروت،1412 هـ،ط1،ج4،ص 533.

[2]- صفيّ الدِّين الأنصاريّ،الْحُسَيْن بن عَليّ بن أبي الْمَنْصُور صفيُّ الدّين الأنصاريّ،صَاحب زَاوِيَة بالقرافة يُؤثر عَنهُ كرامات وكشف وَكَانَ الْوَزير وَغَيره من الأكابر يمشون إِلَيْهِ ويتبرّكون بِهِكتب فِي الإجازات وحدَّث عَن أبي الْحسن عليّ بن البنَّاء وَتُوفِّي سنة 682هـ.الصفدي:الوافي بالوفيات.ج13،ص 13.

[3]- ساقطة من أ.

[4]- قضيب البان الموصلي توفي بالموصل عام 566هـ. وهو أحد الصالحين المشهورين.تاريخ ابن الوردي: ج2، ص83.

جميعا فيقدرهما على خلاف المعتاد وفي قطع المسافة البعيدة كما بين السماء والأرض في لحظة واحدة إلى غير ذالك من الخوارق.ولا خصوصية لصورة كما مثلنا بل صور متعددة .

وإما أن يكون من باب طي المسافة وزي الأرض من غير تعدد للصورة فيراه الواحد والجماعة وهو في موضعه وهي بقعة واحدة ،إلآن الله أزال الحجب عن بصر من رآه فيظن انه في مكائن[1]وأمكن لكون الرائي متعددا مختلفا ككون أحدهما ببلد والآخر ببلد، فان قلت على ما يحمل ماوقع للشيخ سيدي محمد الشرقي مع المرأة هل صورته تعددت بتشكلها وتمثلها فتكون الصورة التي ظهرت بتلك البلد غير الصورة التي ظهرت بمحل إقامته وكون الأرض طويت له وزويت فرآه من رآه هناك وهو ببلده لم ينتقل من موضعه أو تكون جثته عظمت وملأت الكون وفعل ما فعل وهو بموضعه .

[قلت[2]] الأمر محتمل لكن ربما رجح هذا الأخير لما سنذكره وتكون هذه القضية كقضية الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، كان يوما يتحدث مع أصحابه في حقيقة الشيخ، قال وهو أن تكون يده على أصحابه يحفظهم حيثما كانوا فاعترض عليه بعض الحاضرين في نفيه[3]ذالك وقال لا يكون ذالك إلا لله عز وجل، فلما أصبح ذالك الرجل أصابه ضيق في نفسه فخرج إلى خارج الإسكندرية ليفرج، فجلس بساحل البحر فبينما هو كذالك ورأسه في حجره إذابإنسان يحركه فظن أنه بعض أصحابه من الفقراء[4]يمازحه ثم أخرج رأسه فإذا بها امرأة حسناء عليها لباس حسن وحلي، فقال لها ما تريدين؟قالت أنت، فقال أعوذ بالله، فقالت والله مالي عنك براح قال فدفعتها عن نفسي فأخذتني في حجرها ولعبت بي كما يلعب بالطائر وما ملكت من نفسي شيئا،فرمته بين فخديها فحنت نفسه إليها فإذا الشيخ أبي الحسن يناديه ويقول ما هذا الذي تقع فيه،ورماه عنها فظن الرجل مر بذالك المكان ثم رفع رأسه فلم يجد الشيخ ولا المرأة فبقي متعجبا من ذالك فعلم أنه أصيب باعتراضه على الشيخ في مقالته فاستغفر الله وتاب إليه.

ثم التقى بالشيخ بعد ذالك فجلس بين يديه يبكي فقال الشيخ أبو الحسن لما قلت أنا بالأمس كذا وكذا اعترضت علي،أين كانت يدي منك اليوم لما أردت أن تقع بالمعصية، ومن لم يكن كذالك ليس بشيخ انتهى مختصرا ممن ذكر هذه الحكاية .

---

[1]- في ب مكانين.

[2]- ساقطة من أ.

[3]- في ب نفسه.

[4]- في ب الفقهاء.

ويرجح الأخير لأمور ،أحدها ما حدثني به بعض الثقات عن الشيخ سيدي محمد بن أبي بكر رحمه الله أنه قال،كان هذا الشيخ يعني الشيخ سيدي محمد الشرقي لوسقطت شعرة في مشارق الأرض وغاربها إلا سمعها [3] والثاني ما حدثني به بعض الثقات،أنه سأل بحضرته بعض الصالحين عن الشيخ سيدي محمد الشرقي هل حج ؟ قال نعم الكعبة طافت به . والثالث أن الشيخ هو القطب في ذالك الوقت الذي عليه المدار وإليه المرجع عند اشتداد الخطوب وتفاقم الكروب، والقطب ينادى من كل مكان فيجيب ولهذا يقول الشيخ تاج الدين بن عطاء الله : لو دعي القطب من[حجر[1]]لأجاب.

وقال هذا القول في حكاية وقعت له، وهي أن رجلا من أصحابه حج فلما رجع قال رأيت الشيخ في المطاف وخلف المقام وفي المسعى وعرفة فلما رجعت سألت عن الشيخ فقيل هو طيب، فقلت هل سافر أو خرج من البلد؟ فقيل لا فجئت إليه فسلمت عليه فقال لي، من رأيت في سفرتك هذه من الرجال قلت يا سيدي رأيتك فتبسم، فقال الرجل الكبير يملأ الكون لو دعي القطب من حجر لأجاب.

قلت وما تقدم أن الشيخ طافت به الكعبة هو ما ثبت عن غير واحد من الأولياء،وانظر إلى عموم قول القطب الجامعال شيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله في قصيدته:

وطافت به الأكوان من كل جانب فصرت لها أهلا بتحقيق نسبتي

و قد صرح بذالك غير واحد من الأئمة وصح عنهم القول به كما حكى الشيخ برهان الدين الأنباسي[2]

في" تلخيص الكوكب المنير في مناقب الشيخ أبي العباس البصير"[3]، قال من كراماته أنه لما قدم مكة اجتمع بالشيخ أبي العباس الأنصاري[1] فجلسا في الحرم الشريف يتذاكرون أحوال القوم فقال أبو الحجاج، هل لك في طواف السبع ،فقال أبو العباس إن لله رجالا يطوف بيته بهم، فنظر أبو الحجاج فإذا بالكعبة طائفة بهم .

---

[1]- ساقطة من ب.

[2]- إبراهيم بن موسى بن أيوب برهان الدين الأنباسي الورع الزاهد (725- 802 هـ) ولد سنة خمس وعشرين وسبعمائة، وسمع من الوادي آشي، وأبي الفتح الميدومي، ومغلطاي، وبه تخرّج، وغيرهم، واشتغل في الفقه، والحديث، والأصول، والعربية، وتفقه بالإسنوي، والمنفلوطي، وغيرهما. ودرّس بعدة أماكن، واتخذ بظاهر القاهرة مدرسة فأقام بها يحسن إلى الطلبة ويجمعهم على الفقه، ورتّب لهم ما يأكلون، وسعى لهم في الأرزاق، حتّى صار كبار الطلبة بالقاهرة من تلامذته، وممن أخذ عنه الفقه ابن حجر العسقلاني.ابن العماد:شذرات الذهب،ج9،ص27.

[3]- الشيخ أبو العباس البصير أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن جزي الخزرجي الأنصاري الأندلسي. قرأ القرآن، واشتغل بالعلوم الشرعية إلى أن برع فيها، وصحب في التصوف جعفر بن عبد الله بن شيندبونة الخزاعي الأندلسي، ثم سافر على قدم التجريد، فدخل الصعيد، وأقام بالقاهرة يقرئ الناس وينفعهم. توفي سنة623هـ.، ودفن بالقرافة.السيوطي:حسن المحاضرة .،ج1،ص 517.

قال الأنباسي ولا ينكر ذالك فقد تضافرت أخبار الصالحين على نظير هذه الحكاية ونص على ذالك الشيخ خليل صاحب المختصر،الذي ألفه في مناقب شيخه عبد الله المنوفي، قال وقد حكى جماعة أن الكعبة رئيت تطوف ببعض أوليائه انتهى.وصلى الله على سيدنا محمدواله وصحبه وسلم .

فصل ومن كرائم هدا الشيخ سيدي محمد الشرقي رضي الله عنه ونفعنا بهما تواتر على السنة العامة والخاصة واشتهر عند الفضلاء وذالك أن الشيخ لما اشتهر صيته وتواترت أخباره وتحدث الناس بأمره سمع بخبره الشريف السلطان أحمد المنصور،فكأنه وقع منه في خاطره شيء فوقعت له معه الكرامة الباهرة والمنقبة الظاهرة وهي أن وزيره القائد السفياني، اصطنع طعاما وجعل فيه سم حية فقدمه إلى سيدي محمد الشرقي في المخفية مغطاة، فلما قدمها إليه رفع الغطاء عن المخفية فوجد الحية فيها قائمة على حالها صحيحة فكأنها لم يكن بها شيء، فوقع للسفياني ولمن حضر من الخدام العجب وفروا إلى السلطان أحمد ليخبروه بذالك ،فقال الشيخ ما هذا أردت أن تهلكني بالسم وأنت لا تموت إلا به ،ويقال أن الشيخ رفع الحية واشتغل يأكل فيها وهو ينظر ،ويقال أن الشيخ بقيت رباعية من أسنانه زرقاء من أثر ذالك السم وهذه الكرامة متواترة عند جل الناس مشتهرة في البلدان وعند الفضلاء الأكياس حتى الولدان والأصاغر والأجلة الأكابر ،متداولة عند القاصي والداني وعلى الكيفية المذكورة سمعت بها .ومات السفياني بالسم كما دعا عليه الشيخ.[2]

قلت:وفي الكرامة المذكورة أمورا ،أحدها أنمن بلغ هذه الدرجة في الولاية والفناء عن الأسباب العادية كالسم المذكور المجعول سببا للإماتة كيف يعتمد على الأسباب[و يعتبرها، فقد فني عن الأسباب[3]]في الواحد المختار المنفرد بالأفعال الذي لا شريك له فهو مشاهد للمسبب دون الأسباب فلذلك لم تضره ولم تؤثر فيه شيئا،قلت ونحو هذا ما وقع للسيد خالد مع أهل الحيرة ،وذالك أن السيد خالد لما حاصرهم وتحصنوا منه بقصرهم أرسلوا إليه رجلا يقال له عبد المسيح بن عمر بن قيس ،فتكلم معه وكان في يد عبد المسيح قرورة فيها سم،فقال له السيد خالد ما هذه القرورة وما فيها؟ فقال له عبد المسيح فيها سم ساعة . وقصدهم في ذالك أن يقع فيه السيد خالد فيقتله فلما فهم منهم ذالك تناوله فسمى الله تعالى فأكله ولم يضره .

---

[1]- أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس الأنصاري القرطبي(578 – 656 هـ) : فقيه مالكي، من رجال الحديث.يعرف بابن المزين. كان مدرسا بالإسكندرية وتوفي بها. ومولده بقرطبة.الزركلي:الأعلام.ج1، ص186.

[2]- سبب مقتل ابراهيم السفياني هو نصحه المتكرر لحاكم فاس وولي العهد محمد المأمون الذي كان فاسقا.وقد عزل المأمون من منصبه لفسقه.الإستقصاء،ج5،ص 169.

[3]- ساقطة من أ.

الثاني إحياء الموتى فكم من ميت حي بدعائه صلى الله عليه وسلم ،من ذالك ما أخرج البيهقي من طريق أنس قال: أدركت هده الأمة ثلاث لو كانت في بني اسرائيل لم تقاسمها الأمم ،قلنا ماهي قال كنا في الصفة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتته امرأة مهاجرة ومعها ابن لها قد بلغ ،فلم تلبث أن أصابه وباء المدينة فمرض أيام ثم قبض ،فغمضه النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بجهازه فلما أردنا أن نغسله،قال يا أنس ائت أمه فاعلمها، قال فأعلمتها،فجاءت حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما ثم قالت، اللهم إنيأسلمت لك طوعا وأخلعت الأوثان زهدا، وهاجرت إليك رغبة،اللهم لا تشمت بي عباد الأوثان ولا تحملني من هذه المصيبة، ما لا طاقة لي بحملها . قال فوالله ما انقضى كلامها حتى حرك قدميه وألقى الثوب عن وجهه وعاش حتى قبض الله رسوله،وحتى هلكت أمه[1] ثم ذكر الباقيتين .

ومن ذالك أيضا ما روي أن جابرا لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم فرأى وجهه متغيرا،فرجع إلى امرأته وقال قد رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم متغيرا وما أحسبه إلا من الجوع فهل عندك من شيء ؟قالت والله ما لنا إلا هذا الداجن وفضلته من زاد، فذبحت الداجن وطحنت ما كان عندها وخبزت، ثم تردت في جفنة ثم حملتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،فقال يا جابر اجمع لي قومك،فأتيته بهم فقال أدخلهم علي أرسالا فكانوا يأكلون فإذا شبع قوم خرجوا ودخل آخرون حتى أكلوا جميعا وفضل في الجفنة شبه ما كان فيها. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهم كلوا ولا تكسروا عظما ثم إنه وجد العظام في وسط الجفنة فوضع يده عليها ثم تكلم بكلام لم اسمعه فاذا الشاة قامت تنفض اذنيها فقال لي خذ شاتك فأتيت امرأتي فقالت ما هذا قلت، والله هذه شاتك التي ذبحناها دعا الله فأحياها قالت أشهد أنه رسول الله .

قلت فأي كرامة وقعت من إحياء الموتى وغيرهم للأولياء[1] فهي معجزة له صلى الله عليه وسلم فمعجزاته لا تنقضي على مر الأزمان والأعصار في جميع الأقطار والأمصار قال البوصيري رحمه الله :

والكرامات منهم معجزات حازها مـــــــن نوالك الأولياء

فانــــــقضت آي الأنبياء وآياتك في الناس ما لهن انقضاء

ولهذا يقول الشيخ أبو مدين رضي الله عنه كرامات الأولياء نتائج معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم وتقدم هذا ومن الكرامات في هذا ما يحكى أن الشيخ سيدي محمد بن مبارك التستاوتي أتاه بعض الناس وقال له يا سيدي

[1]- على الرغم من أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حيا إلا أن المرأة لم تستدعيه وتطلب منه أن يحي ابنها بل توجهت مباشرة إلى الله تعالى وتوسلت بصالح أعمالها.الله وحده من يحي ويميت أما ما ورد في حق النبي صلى الله عليه وسلم فمعجزة له وحده.

أي مقام أنت فيه اليوم، فقال له في مقام السيد عيسى ابن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام،فقال له السيد عيسى يحي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله ،وأنا وقع لي أمر عظيم فقال له الشيخ ابن مبارك وما هو؟ قال قتلت نفسا ظلما بغير حق والقتيل يأتيني كل ليلة يروعني ويفزعني وقد اشتد علي ذالك وبلغ مني الجهد فأردت أن يحيي ذالك الرجل تدعو الله فيحييه حتى يسامحني ويعفو عني، فقال سيدي محمد بن مبارك أفعل دلني على قبره، فذهبا معا فوقفا على قبره فقال له هذا قبره، فقال له ما اسمه؟ فعرفه باسمه فناداه الشيخ ابن مبارك باسمه فأجابه،فسلم عليه فأجاب السلام فقال له، يا فلان جئناك لتسمح لفلان قاتلك، فقال يا سيدي محمد بن مبارك كيف أسمح له وهو قتلني ظلما فقال له الشيخ لابد من ذالك،فقال لله يا سيدي إن أحببت أن أسمح له أدعو الله أن يغفر لهذه المقبرة فدعا الله لها ثم سمح له.[1]

الثالث أن الكرامة الواقعة للشيخ سيدي محمد الشرقي هي نتيجة المعجزة الواقعة في غزوة خيبر أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعوا من كان ههنا من اليهود ،فجمعوا له فقال إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي قالوا نعم قال من أبوكم ؟ فقالوا فلان .قال كذبتم،بل أبوكم فلان قالوا صدقت وبررت. قال أجعلتم في هذه الشاة سما قالوا نعم ،قال فما حملكم على ذالك ؟ قالوا أردنا إن كنت كاذبا استرحنا منك وإن كنت نبيا لم يضرك .وفي رواية البيهقي عن جابر بن عبد الله أن يهودية من أهل خيبر أهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة، فأخذ الذراع فأكل منها وأكل رهط من أصحابه فقال أرفعوا أيديكم ودعى اليهودية فقال،أسممت هذه الشاة ؟قالت من أخبرك قال أخبرتني هذه في يدي للذراع، قالت نعم. قال فما أردت إلى ذالك؟ قالت قلت إن كان نبيا لم يضره و إن لم يكن نبيا استرحنا منه، فعفا عنها و لم يعاقبها صلى الله عليه وسلم وفيه يقول البوصيري:

ثم سممت له اليهوديةالشاة كم سام الشقوة الأشقياء

فأذاع الذراع ما فيه من شر يـــــنطق إخفاؤه إبـــداء

وبخلق من النبـــي كـــــريم لم تعاقب بجرمهاالعجماء

[1]- هذه القصة إما موضوعة أو أن ما وقع تلبيس من الشيطان لعنه الله. ومقام الأنبياء لا يمكن لغيرهم بلوغه.

واسم هذه اليهودية لعنها الله زينب بنت الحارث[1]، وكان عفو النبي صلى الله عليه وسلم عنهاقبل موت بشر بن البراء[2]فلما مات قتلها .

وفي رواية أن أنس قال :ما زلت أعرفها في لهوات النبي صلى الله عليه وسلم،وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي مات منه ما زالت أكلة خيبر تعادني فالآن أوان قطعت أبهري. واللهوات جمع لهات وهي اللحمة بأعلى الحنجرة من أقصى الفم، و تعادني بتشديد الدال أي تراجعني ويعاودني ألم سمها في أوقات معلومة، وقوله فالآن أوان قطعت، بضم نون أوان وبفتح لأجل إضافته إلى مبني كقول علي،حين عاتبت المشيب على الصبا. وأبهري بهمزة مفتوحة وباء موحدة أي عرق مستبطن به في القلب إذا قطع لم يبقى معه حياة ،وقال بعضهم هو عرق من الرأس إلى القدم .قال بعضهم وفي الحديث التلويح بأنه صلى الله عليه وسلم قد نال الشهادة بما أكله من السم، وأجاب عن قوله تعالى في حقه صلى الله عليه وسلم{والله يعصمك من الناس }[3]أن المراد بالعصمة،من القتل انتهى.

فصل ومن كرائم سيدي محمد الشرقي رضي الله عنه ونفعنا بهما حدثنا به بعض الطلبة قال لي،كان بعض الناس من أصحاب الشيخ سيدي محمد الشرقي أتوا إليه وكان لحقت ليلة السابع والعشرين من رمضان ولم يجدوا من يصلي لهم صلاة التراويح في تلك الليلة لكونهم أهل بادية والطلبة عندهم قليلون، فلما قدموا إليه اشتكوا ذالك إليه فقال لهم رضي الله عنه اذهبوا إيتوني براعيكم الذي يرعى الغنم فذهبوا وأتوا به إليه، فلما وصل إليه قبضه وضمه إليه وأرسله فقال له اذهب،فاقرأ لهم فذهب وبات يقرأ تلك الليلةحتى ختم لهم الختمة، فلما أصبح لم يجد شيئا مما كان يقرأ من القرآن فرجع إلى سيدي محمد الشرقي وقال له، يا سيدي إن الكرام إذا وهبت شيئا لم ترجع في هبتها،فقال له الشيخ اذهب فقد سبقت لك الرعاية، ويقال أن الشيخ لما ضمه أول مرة ورجع إليه ضمه أخرى فعند ذالك لم يجد شيئا

صـــدق بأحوال الرجال ومـــــا تلقوا من فوائد

وإذا هـــويت شهودهم فاسلك سبيلهم وجـاهد

---

[1]- زينب بنت الحارث اليهودية أخت مرحب اليهودي وزوجة سلام بن مشكم. سير أعلام النبلاء،ج2،ص 437.

[2]- بشر بن البراء بن معرور بن صخر شهد العقبة وكان من الرماة المذكورين، وشهد بدرا وأحدا والخندق والحديبيّة وخيبر. وأكل مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الشاة المسمومة فمات مكانه، ويقال: بل بقي سنة مريضا ومات وقد قتلت زينب بنت الحارث اليهودية بعد موت بشر قصاصا..ابن سعد:الطبقات.ج3،ص 570.

[3]- المائدة 67.

فــــوراء ذالك لــــذة يعبأ بها من لـم يشاهد

صحت كرامات الرجال بنـــقل أرباب المساند

مـــا نائم ملئ الجفون كـــقائم لله ســـاجد

هــــل يستوي هذا وذا ما ناقص حال كـــزائد

فهذه الكرامة من أنفس الكرائم التي تؤثر ومن أرفع المناقب التي تعتبر ومن ألذ الحكايات التي تروي المسامع وأعذب الأحاديث التي تنقل وتراجع فهذا هو الفخر العظيم والمجد الجسيم والفضل المخلد والشرف المؤيد ولي في هذا الولي قصيدة أمتدحته فيها وهي :

أقول لصب طال ما يكتم الـهوى ودمع له يـبدي الـذي بالجوانح

إلى كم تقاسي الوجد والبدر طالع يـــزيل ظلام البدر كنز لـــمانح

وعطفته تـــحيي الرسوم التي أتت علـــيها السنون وشهبة[1] بجوانح[2]

وتغدوا بزهر يانع ونواضر[3] بـــعيد القثام[4] الذي غـدا فـي الأباطح

وأضحت قلوب يعتريها شـــواغل تـــجول بأقطار لـدى كل فاتح

وتـــنظر أين السير والعقل حائر وتـــجري عيون فوق خد بسافح

وتـــرجى ذوي السبق لدفع ملمة تـــصول صول السمهدد[5] فاتح

---

[1]- شهبة بياض يصدعه سواد من خلاله. المحكم والمحيط 4،ص 191.

[2]- الجوانح: رؤوس الضلوع مما يلي الصدر، الواحدة جانحة، سميت جوانح لاعوجاجها. : نشوان بن سعيد الحميرى اليمني: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم،تح حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية) 1420 هـ، 1999 م،ط1،ج2، ص 1184.

[3]- عكس ذوابل .أحمد بن عبد الوهاب المويري:نهاية الأرب في فنون الأدب،دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة،1423 هـ،ط1،ج1، ص 176.

[4]- قثام اسم للغنيمة الكثيرة.تاج العروس،ج33،ص 227.

[5]- السمهدد: الصلب الشديد.ابن دريد الأزدي:جمهرة اللغة.ج 2، ص1186.

تموج بـــــها الركبان في كل بلدة	وتسعى بها أرباب تلك الـنواضح[1]
تبث لهم شكوى النوائب والأسى	إن عتجزوا كنت الـــجواد تنافح
وتـــــسرع يا ليث الوغى لفكاك	مـــــن أتـاك يلوذ فازعا من قبح
وتـــنهض يـــا سعد الزمان بصولة	لـــفك الأسير الموثق بالصفائح
تــــشتت أحــزانا وتكشف كربة	وتــــنصر مظلوما وترجى لصالح
فأنــــــت الملاذ للعليل وللورى	إذا عـــمت الأهوال كل المسارح
فأنــــت المعد للخطوب وطود	من قوي شجوه ورام كل الـــمرابح
فأنت الذي تـــعطي وترقي بنظرة	وتــــسقي كؤوس العارفين لناجح
فكم من عليل أم مصباح فضلكم	فأمــــسى بضوء مرشد للمصابح
فــــأوليته ملكا وذخرا مــــؤيدا	وأنــــزلته في مقعد الصدق واضح
أمــــولاي يا قطب الزمان ببابكم	تــــحط الرحال لا سواكم بجامح
أغـــــوث الأنام اليوم إني نزيلكم	فـــترشد من أضحى غريقا لصالح
وتكفيه شر الدهر والـــمقبل الآتي	ويغنم فضل الشرقي معطي المفاتح
توسلت بالــــمولى الكريم إليكم	وبالـمصطفى ملجّأ الأنام وناصح
عـــليه صلاة الله ثـــــم سلامه	وأصحابه وأولي النهى والـــنواصح

وكان سبب إنشادي هذه القصيدة أني أصابني مرض ضائر فلازمته بالزيارة وألهمني الله لإنشادها وكان من منة الله أيضا أن اتفق لنا قراءة كتاب الشفا للقاضي أبي الفضل عياض فعافاني الله وشافاني من ذالك المرض.لله الحمد وله المنة، ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم،وكان ختمه بضريح الشيخ سيدي محمد

[1]- نواضح:جمع ناضح الدابة يسقى عليها الماء،مجمع اللغة العربية بالقاهرة:المعجم الوسيط.ج2، ص928.

الشرقي ولما ختمناه أنشدت قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ومدح أبي الفضل عياض رضي الله عنه ومدح الشيخ سيدي محمد الشرقي وهي:

وارده عـــلى من قد سلا شوقا به	ذكر الحبيب شفاء قلب الأكمد[1]
وأجـــــبر لـــصب قلبه متحيرا	مـــتوقد الأشـــواق مغرم أكبد
ذا لوعة ما تـــــــبردن جمراتها	ذا عبـــرة فوق الـــخدود تردد
ولــــقد سرى بين المفاصل حبه	تــحت الجوانح والحشا المتصهد
نـــــاءت ديار أحبتي و لقد غدا	مـــن بينهم سقم لجسم الـمبعد
مــــــاذا عليهم لو ءامنوا بعتقهم	عـــبدا يلوذ بأحمد في مقصد
فـــــهو الـمرجى للأنام إذ دعى	داع الإلــــه لهول يوم الموعد
وهـــو الذي لولاه ما خلق الورى	أبـــدا ولا شيء يرى في فدفد[2]
وهو الذي أرضاه في سورة الضحى	اشـــفع تــشفع للفتى المتوعد
يــــا عــــــاشقين محمدا وفوا له	حـــــقا تفوزوا بهديه والمقصد
إن رمـــتم إدراك ذالك فــــعند	من عالج السقيم شفاؤه من زرد
العــــــالم العلامة العدل الـرضى	عـــياض يهدي للطريق الأرشد
صحت روايته عن الـحبر الذي	قـــــــد حاز[3] علمافي حداثة أمرد
الفاضل بـــن الفاضل الغيث الربا	أعنـــي أبا العباس ذالك الـــمهتد

[1]- الكَمَدُ: هم وحزن لا يستطاع إمضاؤه.العين،ج5،ص 334.

[2]- الفدفد هي الفلاة من الأرض لا شيء فيها.عياض اليحصبي السبتي:مشارق الأنوار على صحاح الآثار. المكتبة العتيقة ودار التراث،ج2،ص 149.

[3]- في ب صار.

2– طما علا وارتفع: لسان العرب،ج15، ص15.

شهدت لـــه بالفضل أهل زمانه ورقـــــا لأعلى رتـــبة لـــــم تنفد

حـــييت به الأرضون بعد مماتها وغـــــدت بـــــروض يـــانع يتأود

إن الـــــمجالس كلها تسموا به بــــعلومه وبـــــــــذكره تتصعد

فـــــجزاه عنا إلهنا يـــــوم اللقا خـــيرا الجنان منعما لـــــــمقعد

ولـــــــيهننا ختم الشفا بوجوده بـــــضريح قطب العارفين محمد

بـــدر الدجا غوث الربا بحر طما[2] غـــيث الورى الشرقي مسقي الورد

ورث الـــولاية في الوجود بإسرها عــــن سيد عن عـــــارف متعبد

يـــا رب واجعل جمعنا في حزب من سمت السماء بذكره من موجد

ســـيد الأنام محمد ما مثله فوق الـــــبسيطة قـــد مشى من مفرد

صـــلى عـــليه الله ما هز الصبا غـــــصن النقا وتـــحركت في حيد

اللهم يا أكرم الأكرمين ويا رب الأولين والآخرينيا سيدي يا مولاي بجاه أشرف مخلوقاتك سيدي محمد صلى الله عليه وسلم أكمل المقصود وتفضل بالموعود فنحظى بالمطلوب ونفوز بالمرغوب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وقولي علج السقيم،شفاؤه من زردالزرد الشكوكوهذا كقول الآخر،في مدح كتاب الشفا:

من شاء طيبا يستديم بـه الشفا فـــليستمع حسن القراءة للشفا

نعم الدواءإلى القلوب لـصقلها وصــــفائها فتصير نورا في صفا

لازمه فــهو مبـــارك ومـجرب يشفي ولو كان العليل على شـفا

وقول الآخر :إذاضـــاق صدر المرئ واشتد داؤه فإن شفاء اليحصبـــــي شفاء[1]

كـــــتاب بديع بارع ذو جلالة يـــلوح عليه رونق وبــــــهاء

---

[1]- في ب دواء.

كروض رائض نضير الروح عاطر   تـــجود عليه في المساء سماء

بت ما شئت من نور أنيق منمق   كمـــاء من النور المبين ضياء

حدائقه الحداق[1] تجني ثـمارها   وكــــل فصول العلم فيه سواء

إذا رانحته ريـــــح فـــهم هنية   تـــــــضوع منها مندل وكساء

فدونكه فاجني الثمار تفز بـــها   فـــما هي إلا للقلوب غداء

وزر قبر عيـــاض بن موسى تبركا   فـــزورته مما دهاك وقـــــاء

توسل به إن شئت أن تـبلغ المنا   بـــــخشية مضطر عراه بكاء

فكيف يخاف من يزور ضريـــحه   وتـــــأليفه للمسلمين شــفاء

عليه رضا الرحمن مـا هبت الصبا   صباحا وما لاحت عـليه ذكاه

ولآخر في رثائه رضي الله عنه:

بكت السماء والأرض يوم وفـاته   وبـكى عليه الوحي والتنزيل

والشمس و القمر الــمنير تناوحا   حـــزنا عليه وللنجوم عويل

أيـــن الإمام التفرد فـــي آدابه   ما إن له في العالمين عديل

لا تـــخدعنك منا الـحياة فإنها   تلهي وتنسي والـمنا تضليل

وتـــــأهبن للموت قـــبل نزوله   فالــموت حتم والبقاء قليل

قلت :وبالكرامة المتقدمة للشيخ سيدي محد الشرقي رضي الله عنه يتبين لك مصداق قول الشيخ أبي العباس المرسي رضي الله عنه :لو أتاني أعرابي فيبول على ساقية لوصلته إلى الله من ليلته، قلت وهذا الكلام ربما يسمعه بعض الجهلة فيحمله على ظاهره ويقع في وهمه أن المشايخ رضي الله عنهم من أرادوا أن يوصلوه وصلوه ومن أرادوا أن يجذبوه لصحبتهم جذبوه ومن لا فلا، فيتخلى هو عن السعي والتكلف و الاجتهاد والطلب ويتكل

[1]- حدق به الشيء وأحدق استدار.لسان العرب،ج10، ص38.

عليهم،وهذا جهل عظيم وقد وقفت على كلام في هذا لأبي علي لا بأس في إثباته هنا، قال أبو علي بعد كلام له،وأعلم أيها المتكلم بحوله أن الهداية قلب المريد وجود الباعث لصحبة المشايخ والإذعان لهم ليس للمشايخ فيه كسب وعمل وإنما لله خالصا فمن سبق له ذالك ألقى بيده إليهم فانتفع ومن لم يرزقه الله ذالك فلا دواء له.

ولقد نصب الله الأنبياء على نبينا و على سائرهم صلواته وسلامه لهداية العباد ولم يهتدوا كلهم، بل من سبق له هدى أتاهم فأسلم،فقبل وعمل ومن لم يسبق له بقي على كفره، وقد ينظر إليهم الواحد وينظرون إليه فينشرح صدره وقد يعتنون بالواحد فيكمل الله رغبتهم فيه، وهذا كله في الخصوص لا للعموم، وإلا فكم من ناظر إليهم ولا يؤمن وكم من أرادوه ولم يرده الله فلم يقع ،كما قال تعالى لأشرف خلقه {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء}[1] الآية، ومشايخ الطريق[2]وأئمة الدين ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في هذا كله فهم دعاة الخلق إلى الله تعالى فمن سبقت لهالعناية أتاهم وأذعن لأمرهم ونهيهم وصبر لعلاجهم ومن لم يسبق له لم يفعل.

وقد ينظر إليهم الواحد أو ينظرون إليه فيصل إلى الله من فوره كما قال الشيخ أبو العباس، لو أتاني أعرابي يبول على ساقية لوصلته إلى الله ،وهذا أيضا ليس على العموم،فكم من واحد يلقى وليابالغا فلا ينتفع به ،بل قد يضحك منه ويؤذيه وإنما هو للخصوص وليست همة الشيخ بيده وإنما هي بيد مولاه، فمن سبق له الانتفاع أنهض الله همته إليه ومن لا فلا، وإنما هو كأس يسقي به من شاء من عباده والأمر للساقي لا للكأس، نعم قديكون لذالك أسباب كالملاقاة كما ذكرنا وكالخدمة والدعاء والعبد مأمور بتعاطي الأسباب والسعي فيما نصب من الأحكام الحكمة وشرع للجهوز فمن تعاطى الأسباب وتكلف قرع الباب فعسى أن ينال ،ومن أخلد إلى البطالة ويتمنى الظفر بما ظفر به الخواص فهوأحمق مغرور،كمن يترك أسباب الناس من تجارة وزراعة وحرفة منتظرالأن يظفر بكنز في خربة كما ظفر به فلان وفلان .

ومن أحال على الحقائق وترك الشريعة المعلومة الأسباب المرسومة فهو مخذول كما أخبر الله تعالى عن الكفار حيث قالوا{وقالو لو شاء الرحمن ما عبدنا من دونه آلهة}[3]نسأل الله التوفيق وسلوك الطريق ،ونعوذ به من استحواذ الشيطان انتهى. قلت خرج لك بما تقدم أن العبد مأمور بتعاطي الأسباب وتكلف قرع الباب ولا يخطر بوهمه اتكال على الأشياخ وهو غيرمشتغل بالسعي والطلب فصاحب ذالك مطرود من حيث يظن القرب ومقطوع من حيث يظن الوصل، وإلى هذا المعنى الذي ذكر أبو علي يشير إليه في داليته بقوله:

---

[1]- القصص 56.

[2]- لم ترد عبارة مشايخ الطريق لا في كتاب ولا سنة.

[3]- الزخرف 20.

فـــــإذا سمت بك همة سباقة　　لسلوك منهجهم فبادر تـرشد

مـــتن عنان الصدق واشدد فوقه　　كـرب المحبة واحتزم وتجرد

لتـــــدل عزما[1] من حجاك بمنة　　فـــإذا فعلت فغير مصطرد رد

وترحلن عـــــلى نجائب ضمر　　خرمد[2] المحسود ليس بـعند

واضبط مزاد الصبر محكمة العرى　　وبعون ربك والـــــتقى فتزود

وتـــــسلين عن أم دفـرى وابنها　　واستودعنها دار نكس معدد

واصرم حبال الوصل منها لا يقل　　لك ودها من بعد نضج رمد

وأشار البوصيرى رحمه الله في داليته بقوله

ماذا عزمت عـــــلى إتـــــباع سبيله　　اسمع [كلام [3]]أخي النصيحة ترشد

فنــــــــظام أعمال التقى آدابـــــها　　فاصحب بها أهل التقى والســـؤدد

وتـــــــجنب التأويل في أقوال مـن　　صـــــاحبت من أهل السعادة تسعد

قـــــــــد فرق الـــتأويل بين مقرب　　يـــــوم السجود لآدم ومـــــــبعد

وحذار أن يثق المريد بنفسه وأحــزم　　فـــــما الإصلاح شـــــأن المفسد

فالــحكم[4] يــبقى حكمه مع فقده　　والـــــمرء مردودا إذا لـم يـــــفقد

إن الـــضنين بـــــنفسه في الأرض　　لا يلوى على أحد فليس بـــــمصد

الــــــظن إن ركدت سفينته عـــــلى　　أمــــــواجها فــــــرياحها لم تركد

---

[1]- في ب غربا.

[2]- خرمد:الباقي في منزله وأيضا المطرق الساكت.

[3]- ساقطة من ب.

[4]- في ب فالوصف

فاصحب أبا العباس أحـــــمد آخذا يد عارف بــــــهوى النفوس منجد

فــــإذا سقطت على الخبير بوصفها فـــــاصبر لـــمر دواءه وتـــجلد

فعلى الإنسان تكلف الطلب والاجتهاد في نيل الرتب والوقوف بالباب فعسى أن يفتح فيدخل وعليه بالتحبب والتودد فبالمحبة ينال المطلوب ويحصل المرغوب وهو المشار إليه في قول أبي علي : واشدد فوقه كرب المحبة و احتزم وتجرد، فهي الأصل في كل شيء فبقدر ما أحب الشخص شيخه ووقع في قلبه يحبه الشيخ ويقع في قلبه، ولله در القائل: سلوا عن مودة الرجال قـــلوبكم فتلك شهود لم تكن تقبل الرشا

ولا تسألوا عنها العيون فربما أقرت بشيء غير ما أضمر الـــحشا

قال أبو علي،قال بعض المشايخ المتأخرين لمن قال له،أريد قلبك يا سيدي ،اجعل له يا ولدي شارة[1]. وقال الشيخ أبو العباس المرسي لإبن عطاء الله رضي الله عنهما،لا تطلب الشيخ أن تكون في خاطره بل أطلب أن يكون الشيخ في خاطرك، فبقدر ما يكون في خاطرك تكون في خاطره ثم قال أبو علي،ولا يظن الإنسان أن الصالحين في خاطره مجردما يجده من المحبة في قلب من ذكرهم فإن المؤمن مطلقا كذلك،بل المحبة المزعجة والخدمة الناشئة عنها وإلا فلا،انتهى.

يحكى أن الشيخ أبا عمر القسطلي المتقدم الذكر، لما ذهبوا إليه عرب زعير وصحبوه قال لهم،من أتى بها كلها يعني المحبة ذهب بها كلها،وكان سيدي محمد بن مبارك التستاوتي لم يصحبه في ذالك الوقت فلما رجعوا من عنده تحدثوا بذالك فسمع الخبر ابن مباركا لمذكور،فجمع جميع ما له من ماشية وغيرها، حتى جمع القدر التي كان يطبخ فيها وذهب بذالك كله هو وزوجته إلى الشيخ، فقال له يا سيدي قد سمعت عنك أنك قلت وقلت وقد أتيت بها كلها ،يعني ما يملك من الدنيا فقال له وأنت ذهبت بها كلها، فامتلأ منه مددا فلما رجعوا به ذهبوا به يحملونه على أربعة جمال إذاعيي هذا حملوه على هذا فما وصلوه إلا بعد جهد جهيد منثقل ما نزل.

ومن هذاحكاية السيدة رحمة بنت حمزة والدة الشيخ سيدي محمد الشرقي مع شيخها أبي عثمان المتقدمة.ومن هذا حكاية أبي علي سيدي الحسن[2] رحمه الله مع أستاذه شيخ الإسلام وعلم الأعلام أبي عبد الله

[1]- في ب سنارة

[2]- هو أبو علي الحسن اليوسي.

سيدي محمد بن ناصر[1] رحمه الله تعالى ورضي عنه،وذالك أن الشيخ أبي ناصر لما تهيأ للتشريق في حجته الثانية أرسل إلى أبي علي في حاجة يقضيها له ممايتعلق بسفره ذالك ،وكان أبو علي إذ ذاك بالزاوية البكرية[2]فقضاها له وسافر بها إليه .قال أبو علي: فلقيني بترحيب، ورأيت منه إقبالا خارجا عن المعتاد حتى أني متى ذكرت ذالك إلى اليوم يغشاني خجل وإشفاق على نفسي وأقمت معه حتى شيعته لوجهته إلى أن جاوزنا سجلماسة بمرحلة فرجعت إلى داري ولما كنت ببعض الطرق وألهمت الدعاء له، فاتخذت الدعاء له بعد أوراد الصبح أورادا فلما قفل من الحج ذهبنا إليه لنسلم عليه فخلوت به يوما فجعلت أطلب منه وأطلب فقال لي رحمه الله، أما الدعاء فإني في سفرتي هذه ما دخلت مقاما ولا مزارة ولا توجهت إلى الدعاء إلى أحد إلا جاء الله بك على لساني أولا ،ثم لا أدعوا لك إلا بهذا الدعاء،اللهم اجعله عينا يستقى به أهل المشرق والمغرب ،قال حتى كنت أتعجب في نفسي وأقول سبحان الله بماذا استحق هذا الرجل هذا،انتهى.

وقلت :وفي الحكاية المذكورة أمران من نتائج المحبة وثمراتهما أحدهما، بذل المال والآخر الدعاء أما بذل المال فلاشك أنه محبوب في الجملة وأن كل واحد مجبول على محبته ،وقد ورد القرآن بذالك قال تعالى {وتحبون المال حبا جما }[3] وقال تعالى { لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون}[4] وإنفاقه دليل على محبة المنفق عليه ،لأن الإنسان لا يهون بما يحبه إلا فيما هو أكثر منه محبة، وأما الدعاء فلا شك فيه أيضا، لأن من أحب شيئا أكثر من ذكره، ومن خطوره بالقلب واستحضاره بالذهن،ثم انظر إلى ما اتفق لكل واحد منهما ،فإن أبا علي لما اشتغل بالدعاء لشيخه وجعله وردا ألهم الله الدعاء للشيخ وأجراه على لسانه،لأن كل واحد اشتغل بحق الآخر اشتغل الآخر بحقه وبهذا يتبين لك قول الشيخ أبي العباس لإبن عطاء الله رضي الله عنهما،لا تطلب أن تكون في خاطر الشيخ بل أطلب أن يكون الشيخ في خاطرك فإنه بقدر ما كان في خاطرك تكون في خاطره .فهذا شاهد من أوضح الأدلة عليه.

---

[1]- محمد بن محمد بن ناصر الدرعي(1011-1085هـ.) الحافظ الجامع الزاهد قرأعلى جمع من العلماء منهم علي بن يوسف الدرعي ومحمد بن أبي بكر الدلائي والقصار حج مرتين والتقى ببعض أعلام مصر وبلاد الحرمين.طبقات الحضيكي،ج2، ص 320.

[2]- زاوية سيدي البكري بسجلماسة نسبة إلى محمد البكري الذي أسس زاوية عام1028هـ/1618م،ما لبث أن أصبحت قبلة لرجال الفكر والعلم ولم يخلوا نشاطها من تأثير سياسيوكان لها علاقات مع ملوك السودان.عبد العزيز بن عبد الله :معلمة التصوف الإسلامي.ج3،ص 23

[3]- الفجر 20.

[4]- آل عمران 92.

ولما كان المال محبوبا عند الناس والغالب في النفس أن تشح به وقع من بعض الأئمة استخبار بعض أصحابهم به [فتظهر منه المحبة أوعدمها وحكايتهم في هذا أيضاكثيرة مشهورة فلا نطيل بها[1]]وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

فصل ومن كرائم هذا الولي الشيخ سيدي محمد الشرقي رضي الله عنه الدالة على علو رتبته وسمو منزلته ورسوخ عقله وكمال تقواه ومعرفته بعيوب النفس وخبرته بعوائقها ومكائدها إذ هي الداء العضال و العدو الملازم والضر المداخل كما قيل:

نـــــــفسي إلى ضري داعي   تـــــــكثر أسقامي وأوجاعي

كيف احـتراسي من عدوي   إذا كـان عدوي بين أضلاعي

ثم انضم إلى هذا العدو أعداء أخر وهم الشيطان والدنيا والهوى المشار إليها بقول الشاعر :

إني بليت بأربع يـــــــرمينني   بــــــالنبل عن قوس لها توتير

إبليس والدنيا ونـفسي والهوى   يا رب أنت على الخلاص قدير

فكيف بالإنسان مع هذه الأعداء المنتصبة لحربه ورميه أناء الليل وأطراف النهار اللهم،نجنا من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة بحرمة النبي صلى الله عليه وسلم .

ما حدثنا به بعض إخواننا عن بعض الثقات أن سيدي محمد الشرقي قال يوما لأصحابه أن رجلا يقدم عليكم راكبا على أسد وبين يديه حية ،فإذا قدم عليكم ذالك فلا يهمنكم ما رأيتم ولا يروعنكم ولكن أنزلوه وأكرموا نزله ،فبينما هم جالسين في الغد إذ بالرجل أقبل راكبا على الأسدو بين يديه الحية كما أخبر الشيخ، فتلقوه وأنزلوه وأدخل أسده معه وحيته ،فلما وصل وقت العشاء أرسلوا إليه العشاء،فاتفق أن حضرت امرأتان في ذالك الموضع، فكان السيد القادم وقع بصره عليهما فعلقت نفسه بهما، فلما أصبح الصباح وأراد أن يرتحل أتى للأسد ليركبه على عادته المعلومة فاستصعب وهر فيه،وأتى الحية فنفرت منه وبقي متحيرا لا يدري ما يفعل، فأخبر سيدي محمد الشرقي بذالك، فأتى ووجده على تلك الحالة فقبض له الأسد حتى ركب عليه والحية حتى جعلها بين يديه هكذا حدثني بعض إخواننا.

[1]- ساقطة من ب

فـــــاز قوم رقوا سماء المعالي   بـــــاجتهاد لهم وحسن الـفعال

فــبهم تـدفع الخطوب عيانا   ولـــــهم قد بدت شموس الجمال

كــــــل من لم يكن دعاويه   حــــــقا فضحته شواهد الأحوال

قل لـــــمن أمسى قاصر العزم   هــــذا مورد الأسد مرتع الأشبال

مـا وصال الـــحبيب بسهل   ولكن أن ترد فابذل الـعزيز الغال

يا ضعيف السلوك هذا طريق   فــــــيه دون الوصال ذل السؤال

فــــتجرد عــــن الدنيا وتفرد   ذاك زاد من خــــــالص الأعمال

ثــــــم لا بد من دليل بصير   ومــــــعين على صـــروف الليالي

فإذا خفت من مولاك خافت   منــــك أسد الشوارع الأبــطال

قلت : وبهذه الكرامة يتبين لك أمورا،أحدها أن الكرامة الحقيقية والمنقبة الجسيمة و والمرتبة العظيمة هي الإستقامة وهي التي يجب لها مزيد الاهتمام ويحق لها التكلف والاجتهاد ،فهي أشرف مقام و أعظم مرام ويدلك على ذالك مخاطبة أكابر الرسل بها قال تعالى {فاستقم كما أمرت }[1] وقال جل من قائل مخاطبا لموسى وهارون {قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما[2]}، والاستقامة كما قالوا ترجع إلى أمرين،صحة الإيمان به عز وجل واتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا، وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه، أنهما كرامتان جامعتان محيطتان ،كرامة الإيمان بمزيد الإيقان وشهود العيان،وكرامة العمل على الإقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوي و المخادعة،فمن أعطيهما ثم جعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب خطأ في العلم والعمل،كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضى ،فجعل يشتاق إلى سياسة الدواب وإلى كون الكرامة الحقيقة الحقيقية هي الاستقامة أشار البوصيري رضي الله عنه في داليته بقوله في ممدوحه:

والمستقيم أخوا الكرامة عنده   لا كل من ركب الأسود بأسد

---

[1]- هود 112.

[2]- يونس 89.

قوله أخو الكرامة عنده أي صاحب الكرامة الحقيقية هو المستقيم لا غيره،وقوله عنده أي عند الشيخ أبي العباس المرسي وبهذا كان يقول رضي الله عنه، ليس الشأن من تطوى له الأرض فإذا هو بمكة وغيرها من البلدان، وإنما الشأن أن تطوى عنه أوصاف نفسه فإذا هو عند ربه،وفي الحكم لابن عطاء الله ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة .

ونقل عن سهل بن عبد الله وقد ذكر عنده الكرامات فقال وما الآيات وما الكرامات هي شيء تنقضي لوقتها ولكن الكرامات أن تبدل خلقا مذموما من أخلاق نفسك بخلق محمود، وقال بعض المشايخ لا تتعجبوا ممن لم يضع في جيبه شيئا فيدخل يديه في جيبه فيخرج منه ما يريد، ولكن تعجبوا ممن يضع في جيبه شيئا فيدخل يده في جيبه فلا يجد شيئا فلا يتغير،وقيل لأبي محمد المرتعش[1] رضي الله عنه أن فلانا يمشي على الماء فقال عندي أن من مكنه الله من مخالفةهواه.أعظم من المشي على الماء وفي الهواء.

---

[1]- هو عبد الله بن محمد.نيسابوريّ، من محلة الحيرة.صحب أبا حفص، وأبا عثمانٍ ببلده، والجنيد.وأقام ببغداد وصار أحد مشايخ العراق.قال أبو عبد الله الرازي: كان مشايخ العراق يقولون: عجائب بغداد في التصوف ثلاثة: إشارات الشبليّ، ونكت أبي محمد المرتعش، وحكايات جعفر الخُلْديّ توفي 328هـ.ابن العماد:العبر في أخبار من غبر.ج24،ص 252.والذهبي:تاريخ الإسلام.ج 24، ص 204.وتاريخ بغداد،ج 7، ص228.

وقال لأبوا زيد رضي الله عنه لوأن رجلا بسط مصلاه على الماء وارتفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه في الأمر والنهي، وقيل له فلان يقال أنه يمر في ليلة إلى مكة،فقال الشيطان يمر في لحظة من المشرق إلى المغرب وهو في لعنة الله،وقيل له فلان يمشي على الماء فقيل الحيتان على الماء والطير في الهواء وأعجب من ذالك .

الثاني من الأمور التعرض لهؤلاء الخواص وإظهار شيء أمامهم وبلوغ المراتب وإبداء المناقب لا ينبغي لأمرين أحدهما، ربما يكون الذي ظهر بحضرته ذالك رجلا غيورا فربما يعاقب ذالك المظهر بالسلب والثاني لعل أن يكون هناك وهو أرفع منه وأبلغ رتبة وأسمى درجة فيكون ما أبداه بالنسبة إلى مرتبة ذالك السيدشيئا تافها .

ومن الحكايات في الأول ما يقال أن رجلا من أهل المكاشفة وصل إلى تلاميذ الشيخ أبا مدين فأنكر عليهم بعض أمرهم فأعلموا أبا مدين ،فقال لهم يسلب ما وهب فسلب المكاشفة فتغير قلب الرجل وصار كأحد من العامة و،كان الشيخ رحمه الله تعالى في هذا بحر لا قعر له ،وفيض لا غور له وحكايته معلومة شهيرة فيه.

ومن الحكايات في الثاني ما يذكره عن الشيخ أبي الشتاء[1]آمرقوا من بلد فشتالة التي بغرب نهر ورغة بينه وبين نهر سبوا ويقال أنه اسمه محمدبن موسى، وهي أن رجلا أتاه يوما فوجده جالسا وكان الرجل ممن يدعي الفقر فجعل يدعي ذالك بحضرته ويظهره ،فقال له أدخل رأسك هاهنا فأدخل رأسه تحت جناح الشيخ فقال، ما ذاك الذي ترى؟ فقال خيمتي فقال له وما ذاك الذي فيها؟ قال زوجتي فقال له فما تفعل؟ فأخبره،فكانت تزني مع شخص وهو ينظر إليها،وحسبنا الله ونعم الوكيل،فقال له لم تحظ خيمتك فكيف تحظ أولاد الرجال كان هذا الرجل من أصحاب أبي الشتاء نفعنا الله به .

الأمر الثالث ممايتعلق بالكرامة [المذكورة[2]]لأن تعلم أن النساء أمرهن صعب وهي الفتنة العظيمة والعقبة الخطيرة و يدلك على ذالك أمران أحدهما قوله تعالى : {إن كيدكن عظيم}[3] فإذا تأملت هذه الآية وجدتها كافية في أمر النساء دالة على أن فتنتهن و كيدهن عظيم وحسبك فيهن أن الله عظم كيدهن في هذه الآية وضعف كيد الشيطان.

---

[1]- أبو الشتاء دفين أمركو شاوي النسب من أكابر الأحوال الربانية والجذب ودوام الغيبة لقي الغزواني مرة واحدة توفي عام 997هـ.طبقات الحضيكي،ج1، ص 170.

[2]- ساقطة من أ.

[3]- يوسف 28.

في آية : {إن كيد الشيطان كان ضعيفا }[1] ويرحم الله من قال :

إنــــــما النسوة فـــــتنة	فــاحذروا الفتنة صاح
لا تـــــــصاحبهن واعلم	تــــنشأ منهن القبائح
جـــــــنب الفتنة واحذر	كــــيد مركز الفضائح
واغــضض الطرف وباعد	ذالك المسخط رابـح
مـــــــــا رأينا ذا فلاح	راكنا يوما لـــــحاضر[2]
وكــــذا المنقوش جـنب	بــــه ترقى للمصالـــح
وإيــــــاك الحرص واعلم	مــــنه تعطر كل نازح
وسأل اللطف من الـمولى	وحــــفظا من جوائح
واطلب منه الرفق والتوفيق	مــــا دمت صالــــح

والثاني قوله صلى الله عليه وسلم:(ما تركت بعدي لأمتي أضر من فتنة النساء على الرجال)[3] أو كما قال، فعلى الإنسان غض بصره : {قل للمومنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذالك أزكى لهمإن الله خبير بما يصنعون}[4].وقال محمد بن سيرين[5] رضي الله عنه :إياك وفضول النظر فإنها تؤدي إلى فضول الشهوات.وقال بعض الأدباء[6]من كثرت لحظاته دامت حسراته،وقال أن العين سبب الجبن ومن أرسل طرفه اقتنص حتفه وأن النظر إلى الأشياء يوجب تفرقة القلب وأنشدوا في هذا :

---

[1]- النساء 76.

[2]- في ب لجانح.

[3]- رواه ابن أبي شيبة في مصنفه رقم 37282،ج7،ص 466،بلفظ «مَا تَرَكْتُ عَلَى أُمَّتِي بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»

[4]- النور 30

[5]- محمد بن سيرين: "بصري"، تابعي، ثقة، يكنى أبا بكر وهو مولى أنس بن مالك، ولد لسنتان بقيتا من خلافة عثمان وتوفي سنة 110هـ.البخاري:التاريخ الكبير،ج1،ص90. أبو الحسن أحمد العجلى :تاريخ الثقات. دار الباز،1405هـ-1984م،ط1،ص 405. والمنتظم لابن الجوزي،ج7،ص 138.وتاريخ خليفة بن خياط،ج1، ص340.والمعرف لابن قتيبة،ج1،ص 442.

[6]- في ب الفضلاء.

وأنـــت إذا أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوماأتعبتك المناظر

رأيت الذيلا كله أنت قادر عـــليه ولا عن بعضه أنت صابر

ومما يشبه تلك الكرامة المذكورة للشيخ من جهة أن ما يظهر للصالحين المتافنين لبلد العمران محل الفتنة ،هو الذي يعول عليه ما يحكى على الشيخ أبي الحسن علي بن حزرهم[1]، وهي أن رجلا كان من العشابين فذهب يوما ليأتي بذالك فأجنه الليل خارج مدينة فاس، فآوى إلى رابطة فأدخل فيها حماره فلما صل العتمة نام فلما كان السحر قام أهل الرابطة وهم بين ذاكر ومصلي وباك والعشاب نائم، فجاءه رجل فأيقظه وقال له :قم لا تكن كحمارك تنام الليل كله غافلا، وتوضأ وصلي واذكر الله . فخرج من الرابطة ليتوضأ في العين فوجد الأسد فرجع مرعوبا وأخبر ذالك الرجل، فخرج معه ،فتقدم إلى الأسد وفتل أذنيه وضربه بالقضيب وقال له، ألم أقل لك لا تروع أصحابي، ففر الأسد أمامه فتوضأ العشاب وصلى إلى طلوع الفجر، فركب حماره إلى أن وصل منزله فطرح به عشبه وذهب إلى أبي الحسن ليخبره، فلما دخل من باب المسجد ابتدره أبو الحسن قال، جئتني لتعرفني بما شاهدت من عابد الرابطة مع الأسد ،أقام في مكان خال لا يشاهد فيه فتنة وظن أنه جاء بشيء، لو أقام بفاس حيث يعاين المآزر الرزق على الأعين البلق علم هل يسير أم لا ثم أنشد ذاكر الترجمة :

دار الدنيا وإن راقتك حسنا فلا تغررك ربات الحجال

فليست فتنة في الأرض تخشى اضر منالنساء على الرجال

فصل ومن كرائم سيدي محمد الشرقي رضي الله عنه ،ما حدثني به بعض الطلبة عن رجل ثقة وهي أن بعض الناس أتى لسيدي محمد الشرقي وجعل يشتكي عليه مما أصابه من ولاة الأمر ويظهر من حاله التعدي عليه والشيخ يسليه ويصبره ويقول له، يا ولدي أين ما تقول العرب داري لا تدريك المداري ،وكان ماشيا معه في موضع فلاة فبينما هو كذالك يصبره ويأمره بالمداراة إذ أتوا على شجرة فقال له الشيخ يا ولدي، وأشار بيده إلى الشجرة ضاربا لها فقطعها، صاحب هذا الفعل القادر عليه يداري هكذا حدثني به المخبر عن الرجل المذكور وأثنى لي عليه خيرا،وبقي على بالي والله أعلم أنه قال لي،نقلها من كتاب عندهم في مناقب سيدي محمد الشرقي،قلت وهذه المداراة التي أمر بها الشيخ هي مسلمة مهمة يتوصل بها دفع ضرر يترقب وقوعه ويحصل بها مدافعة من لا يستطاع

[1]- الشيخ الفقيه الصالح أبو الحسن علي ابن حرزهم توفي بفاس 559هـ وعنه أخذ الشيخ أبي مدين. محمد حجي:موسوعة أعلام المغرب.ج1، ص363.

دفعه عن نفس ومال وغيرهما،وهي معدودة من مكارم الأخلاق وينسب للإمام الشافعي رحمه الله أبيات في هذا المعنى:

لما عفوت ولم أحقد على أحد   أرحت نفسي من هم العداوات

إنـــي أحيي عدوي عند رؤيته   أدفع الشر عنـــــي بالتحيات

وأظهر البشرى للإنسان أبغضه   كــــأنه قد ملأ قلبي مسرات

ولست أسلم ممن لست أعرفه   فكيف أسلم من أهل المودات

فسالم الناس تـــسلم غوائلهم   وكن حريصا على كسب النقيات

الناس داء دواء الناس تركـــهم   وفي الـــجفا لهم قطع الأخوات

فخـــالق الناس واصبر ما لقيت   منهم أصم أبكم أعمى ذا تقيات

ولابن دقيق العيد[1] رحمه الله :

عـــاشر الناس بأخلاق الرضى   تملك الأحرار من غير ثمن

لا تـقل في الــــحلم ذل الفتى   ساد أهل الحلم في كل زمن

إن التـــصبر عليه مـــسلكا   ليس يرضى فيه إلا من ومن

وقد جعلها[2] غير واحد من الأئمة، فكان الإمام مالك رحمه الله يأتي السلطان ويواصله، فقيل له تترك الجماعة والجمعة وإذا دعاك السلطان أسرعت إليه، فقال لولم أفعل هذا أ لم ترى في هذا البلد سنة قائمة . ولهذا كان مذهبه رضي الله عنه مبني على سد الذرائع .

---

[1]- الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْعَلَّامَةُ الْحَافِظُ قَاضِي الْقُضَاةِ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ الْقُشَيْرِيُّ الْمِصْرِيُّ، (625-702هـ)ولد بِسَاحِلِ مَدِينَةِ ينبع من أرضالحجاز،سمع الكثير ورحل في طلب الحديث وَخَرَّجَ وَصَنَّفَ فِيهِ إِسْنَادًا وَمَتْنًا مُصَنَّفَاتٍ عَدِيدَةً،، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَةُ الْعِلْمِ فِي زمانه، وفاق أقرانه ورحلإليه،وَلِيَ القضاء الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍومشيخة دار الحديث الكاملية.ابن كثير:البداية والنهاية.ج14، 31.وأيضاالسيوطي:حسن المحاضرة.ج1، ص317.

[2]- في ب فعلها.

وحكى المواق[1] في "سنن المهتدين"عن شيخه ابن سراج، عن الشيخ الزيات[2] ببلش وكانت فيه بعض الرؤساء البصريين وكان هذا الرئيس يأتي حلقة الشيخ المذكور فيتزحزح الشيخ له ويرحب به،فكان بعض الطلبة يجد في نفسه من ذالك فبينما ذاك الطالب يجيء من قرية بشخص حرير في يده،أخذه له صاحب الشرطة فجاء إلى الشيخ وشكى له ،فأمر الشيخ مؤذنا أن يأتي الرئيس،فما كان أسرع أن أتى الرئيس على عادته وتزحزح له الشيخ وجلس ثم بعد الفراغ من المجلس أراد القيام فقال للشيخ،أنت أرسلت في هذا وأخرج ما كان أدى للطالب ،فقال نعم هو لهذا الطالب فقال الرئيس للطالب خذ يا حبيبي متاعك وانصرف، فقام الشيخ وقال لذالك الطالب يا زيلح لهذا هو ذالك التزحزح .

وفي البخاري في كتاب الأدب، باب المداراة مع الناس، وأخرج فيه حديث أبو الدرداء رضي الله عنه(إنا لنكشر في وجوه قوموإن قلوبنا لتلعنهم)، وقوله نكشر بكسر الشين المعجمة وهو الكشف عن الأسنان وهو أول الضحك وهو التبسم،وحديث عائشة رضي الله عنها، عن الرجل الذي استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم،وهو عيينة ابن حصن، فقال النبي صلى الله عليه وسلم،اذنوا له فبئس ابن العشيرة أو بيس أخو العشيرة، الشك من الراوي، فلما دخل ألان له القول، فقالت له عائشةرضي الله عنها، قلت ما قلت ثم ألنت له القول ،فقال أي عائشة إن شر الناس عند الله منزلة يعني يوم القيامة من تركه الناس أو ودعه الناس اتقاء فحشه[3]. وحديث عبد الله ابن أبي مليكة،(أن النبي صلى الله عليه وسلم أهديت له أقبية من ديباج مزودة بالذهب فقسمها في أناس من أصحابه وعزل منها واحدة لمخرمة، فلما جاءها قال خبأت هذا لك وكان في خلقه رضي الله عنه شيء.)[4]

[وعند الحارث ابن أبي سلمة من حديث صفوان بن عساكر نحو حديث عائشة رضي الله عنها وفيه[وعند الحارث ابن أبي سلمة من حديث صفوان بن عساكر نحو حديث عائشة رضي الله عنها وفيه[5]]فقال،

---

[1]- محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي، أبو عبد الله المواق: فقيه مالكي: كان عالم غرناطة وإمامها وصالحها في وقته توفي سنة 897 هـ. له (التاج والإكليل في شرح مختصر خليل، و سنن المهتدين في مقامات الدين.الزركلي،الأعلام.ج7،ص 155.

[2]- أحمد بن الحسن بن علي، أبو جعفر الكلاعي البلشي، ابن الزيات: مقرئ، عارف بالأدب.كان شيخ مدينة بلّش (بالأندلس) قال الذهبي: كان ذا فنون وتواضع ومروءة. من كتبه (لذة السمع في القرآت السبع) قصيدة على نمط الشاطبية. وله قصيدة في (أصول الدين) . توفي عام 728هـ الأعلام،ج1،ص111.

[3]- رواه البخاري رقم 1311،وقال الالباني صحيح .البخاري:الأدب المفرد.تح،محمد فؤاد عبد الباقي،دارالبشائر الإسلامية،بيروت، 1409هـ،1989م،ط3،ص444.

[4]- رواه البخاري في صحيحه رقم 3127،ج4، ص86.

[5]- ساقطة من ب.

(لأنه منافق أداريهع ن نفاقه، يعني عيينة ابن حصن وأخشى أن يفسد على غيره)[1]،وفي حديث جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (مداراة الناس صدقة)[2]. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه :(رأس العقل بعد الإيمان مداراة الناس)[3]. قلت فهذه الأحاديث كله اتدل على الأمر بالمداراة، والمداراة الواقعة في هذه الأحاديث فسرت بلين الكلام وترك الإغلاظ في القول وهي من أخلاق المؤمنين .

والفرق بينها وبين المداهنة المحرمة أن المداراة الرفق بالجاهل في التعليم والفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر له ماهو فيه والإنكار عليه بلطف حتى يرجع عما هو مرتكبه،والمداهنةمعاشرة المعلن بالفسق وإظهار الرضى بما هو فيه من غير إنكار عليه باللسان ولا بالقلب، والمداراة عندالشيخ سيدي محمد الشرقي المأمور بها يحتمل أن تكون هي المفسرة في الحديث بلين الكلام وترك الإغلاظ الخ، ويحتمل أن يكون ما هوأخص من ذالك والله أعلم.

قلت: وفي حديث مولاتنا عائشة رضي الله عنها المتقدم أمران لا بد من التنبيه عليهما أحدهما،رأفته صلى الله عليه وسلم وشفقته ورحمته وحسن أخلاقه لمن يريد توليفه الإسلام وحرصهم على إنقاذ الناس من الكفر وشدة اهتمامه بإنقاذهم من الهلاك ،حيث أذن للرجل في الدخول وكان منافقا وفعل ذالك تأنيسا له وتأليفا وهذه عادته صلى الله عليه وسلم مع أمثاله . فقد قال لذي الخويصرة التميمي، حين قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائم حنين فقال له ذو الخويصرة أعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فقال ،ويحك من يعدل إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل[4].فانظر جوابه صلى الله عليه وسلم وقوله له فلم يزده أن بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال . ولما كسروا رباعيته وشجوا وجهه يوم أحد فدخلت حلقتان من المغفر في وجنتيه وكان الجرح بها وبالجبهة فنزعها أبو عبيدة ابن الجراح فشق ذالك على أصحابه وقالوا لو دعوت عليهم فقال (اللهم إني لم أبعث

---

[1]- هذه الزيادة وردت في إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للعلامة القسطلاني،ج9،ص 78. وعيينة بن حصن كان كافرا اشترك مع المشركين في الخندق وأسلم قبيل فتح مكةوارتد مع العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم والتحق بطليحة الأسدي وقد أسره المسلمون وحملوه إلى المدينة فكان الناس يضربونه ويقولون أي عدو الله كفرت بعد إسلامك،فيقول والله ما كنت آمنت .و قد رجع إلى الإسلام وعفى عنه أبو بكر رضي الله عنه.ابن عبد البر:الاستيعاب في معرفة الأصحاب.ج3، ص1249.

[2]- رواه ابن حبان في:الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان،ج2،ص 216،وقال شعيب الأرناؤوط ضعيف الإسناد.

[3]- قال العلامة القسطلاني في إرشاد الساري،ج9،ص 79. أخرجه البزار بسند ضعيف، لكن قال شيخنا الحافظ السخاوي: لفظ رواية البزار التودد إلى الناس وهو باللفظ الذي نقله في فتح الباري في رواية مرسلة،وفي رواية متصلة عند البيهقي في الشعب وبين أنها منكرة.

[4]- وفيه زيادة وهي: فقال عمر: إيذن لِي فِيهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبُ عُنُقَهُ. قَالَ: "دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاتَهُ مَعَ صَلاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ. الذهبي:تاريخ الإسلام.ج 2، ص 348.

لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم اهدي قومي فإنهم لا يعلمون)[1] وروي أن عمر رضي الله عنه قال في بعض كلامه،بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قوه فقال{ربي لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا }[2] ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطأ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا فقلت اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

قال أبو الفضل عياض: أنظرمافي هذا القول وجماع الفضل ودرجات الإحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم إنه لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفى ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعى وشفع لهم فقال، اللهم اغفر لقومي واهدي، ثم أظهر بسبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي قد اعتذر عنهم بجهلهم، فقال نعم لا يعلمون.

وحديث الأعرابي المروي في صحيح البخاري،في باب ماكان يعطى للنبي صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم وأخرجه القاضي عياض بلفظ، وعن أنس ،كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجذبه أعرابي بردائه جذبة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم قال: يا محمدأحملني على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فإنك لا تحملني من مالك ولا مال أبيك، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم وقال:(المال مال الله وأنا عبده ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي، قالا لا، قال لما؟ قال لأنك لا تكافىء بالسيئة) فضحك صلى الله عليه وسلم ثم أمر أن تحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر.

وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قلت للنبي صلى الله عليه وسلم، هل أتى عليك يوما كان أشد من يوم أحد ؟قال:(لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت يوم العقبة،إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل ابن عبد كلال فلم يجبني إلا ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم عن وجهي ولم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب[3]فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أضلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال،إن الله سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك

---

[1]- رواه البيهقي رقم 1375 وقال حديث مرسل.البيهقي:شعب الإيمان.تح عبد العلي عبد الحميد حامد،مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، 1423 هـ، 2003 م،ط1،ج3،ص 45.

[2]- نوح 26.

[3]- قرن الثعالب:جمع ثعلب وهو مكان تلقاء مكة على يوم وليلة. أبو عبيد عبد الله البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. عالم الكتب، بيروت،1403هـ،ج3،ص 1067

الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يامحمد ذاك بما شئت،إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[1]، قال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجوا أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لايشرك به شيئا). فانظر إلى هذه الأخلاق العظيمة والسجايا الكريمة التي يكل اللسان عن التوفية بحقها ويضيق النظام على من أراد أن يأتي بشيء من قدرها ويرحم الله البوصيري حيث يقول

مـــــا سوى خلقه النسيم ولا غير مـحياه الروضة الغناء

رحـــــمة كله وحزم وعـــزم ووقـــار وعـــــــصمة وحياء

لا تـــحل البأساء منه عرى الصبر ولا يـــــستخفه السراء

كـــــرمت نفسه فما يخطر السوء على قلبه ولا الفحشاء

عــــظمت نعمة الإله عليه فـــــــاستقلت لذكره العظماء

جــهلت قومه عليه فأغضى أخــــــوا العلم دأبه الإغضاء[2]

وسع العالمين علما وحـلما فهو بـحر لـــــم يعبه الأعباء

الأمر الثاني مما يتعلق بحديث مولاتنا عائشة رضي الله عنها، أن ماصدر عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد استئذان الرجل وقبل دخوله لا إشكال فيه مع ما فعل بعد الدخول، لأن مافعل معه صلى الله عليه وسلم ليس مخالفا لما قال عند الاستئذان، لأنه لم يمدحه ولم يثني عليه في وجهه ولم يقل له نعم ابن العشيرة، هذا وقد قال الخطابي[3]: قوله عليه الصلاة والسلام في أمته من الأمور التي يضيفها إليهم من المكروه ليس بحبه، وقد قيل أيضا مناطلع من حال شخص على شيء وخشي أن غيره يغتر بجميل ظاهره فيقع في محذور،فعليه أن يطلعه على ما يحذر من ذالك قاصدا نصيحته والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

1- الأخشبين جبلين بمكة.البكري: معجم ما استعجم.ج1، ص124.

2- الإغضاء:إدناء الجفون.العين،ج4،ص 431.

3- أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي؛ كان فقيهاً أديباً محدثاً له التصانيف البديعة منها " غريب الحديث " و " معالم السنن في شرح سنن أبي داود " و " أعلام السنن في شرح البخاري " وكتاب " الشحاح "وكتاب " شأن الدعاء " وكتاب " إصلاح غلط المحدثين " وغير ذلك توفي 388هـ.وفيات الأعيان،ج2،ص 214.

فصل ومن كرائم هذا الولي الشيخ سيدي محمد الشرقي الدالة على ولايته واختصاصه بارتفاع رتبته على أهل وقته وتقديمه عليهم عند نزول المهمات وافتقادهم له عند حلول المعضلات وتمكنه من المنزلة العظمى و المكانة الجسيمة ما حدثني به بعض الفضلاء من الطلبة، أن رجلا من الخياطين أصابته مصيبة تعذر خلاصه منها فشاهد إزهاق نفسه وعاين حلول رمسه وكان من خبره أنه كان ذات يوم مشتغلا بحرفته وكانت الإبرة في يده فجعلها في فمه بين أسنانه بشغل حصل له فناداه إنسان فأجابه فزلقت الإبرة إلى حلقه دخلت فيه وتمكنت منه فتعذر خروجها، وبلغ أهله الغاية في إخراجها وسعوا له بأطباء ولم يتركوا شيئا له مما يرجون برأه فيه إلا اصطنعوه له فلم تخرج،وأشرف الرجل على الهلاك ويقال أنهم أتوا به بعض الصالحين ممن كان معاصرا للشيخ سيدي محمد الشرقي فلم يقدر إخراجها،ثم أتوا به إلى الشيخ وكان ذالك الرجل من بلدة معلومة هنالك ذكرها لي المخبر، فلما وصلا إلى الشيخ قال لهم ما شأنه؟ فقصوا عليه أمره،فقال له تقبل شرطي إن عافاك الله فأومأ به برأسه أي نعم ،لأنه لم يستطع الكلام، فقال له شرطي أن لا تترك الصلاة،فالتزم ذالك.

فقال لهم اذهبوا به واغسلوا ثوبه وفي يوم الجمعة عند انقضاء الناس من الصلاة إيتوني به فلما لحقت يوم الجمعة وقضيت الصلاة أتوه به وأحضر بين يديه،فقبض الشيخ أذنه واشتغل يفتلها وهو يقول أضرت بك الإبرة يا ولدي حتى أخرجها من حلقه،هكذا سمعت بهذه الحكاية،وذكر لي بعض الناس أن الشيخ ناوله لقمة من الطعام وذكر لي أيضا أنه لما حدثه بها بعض الثقاة قال له، طعام الأحباء خير من عقاقير الأطباء ،فسألت المخبر هل هو من كلام سيدي محمد الشرقي قال لا أدري، إلا أن السيد الذي أخبرني بالحكاية ذكر لي ذالك بعد الحكاية،فانظر إلى هذه الكرامة التي تحار الأفهام فيها وتكل العقول الذكية في إدراكها .

فــــصدقهم بــــما فعلو وقالوا   فإن خلافهم محض اعتلاء

نــــقصر عنهم ونخوض فيهم   فلا نور لديك ولا ضــياء

عجبت لمن يصر على المعاصي   وينكر ما يـــقول الأولياء

وهذا أي شفاء ذوي العاهات من أمراضهم وإراحتهم من إحساسهم وإزالة أثقالهم وإنقاذهم من المهلكات بعد إشرافهم على الممات هو من كرامتهم رضي الله عنهم .وروي عن سهل بن عبد الله رحمه الله قال ،مرض رجل من أولياء ا الله مرضا مشكلا وكان الناس إذا رأوه قالوا مجنون فأكثروا عليه فلما عظم كلام الناس في أمره قالوا له نعالجك، فقال لهم يا قوم إن لي طبيبا إن سألته داواني ،ولكن لا أسأله ذالك فقيل له فلما وأنت محتاج إلى

الدواء،قال نخشى إن داواني طغيت فقيل له،إن لنا مجنونا فسل طبيبك أن يداويه فأتوه برجل مغلل[1] في قيد ثقيل فلما رآه قال حلو عليه وأدخلوه إلي، فأدخلوه إلى البيت الذي كان فيه وهم يظنون منه أنه يلحقه منه ما يكرهه،فلما كان من الغد خرج الرجل وهو يتكلم كلام عاقل، فقالوا له أخبرنا بقصتك،فقال لهم أدخلتموني على هذا الرجل وأنا كما علمتم من علتي فجعل يده على صدري والأخرى على رأسي فأحسست بالصحة تدب في جسمي حتى زال ما بي، فانصرفوا إليه يطلبونه فلم يجدوه وستره الله عن أعينهم .قال سهل بن عبد الله، وكان ذالك الرجل من أهل بيت المقدس يقال له إدريس بن أبي خولة رحمه الله، فنعم المجنون الذي أخفى حبه المكنون فيا لها من جنون اطلعت على السر المصون وأجرت مدامع الجفون وأحرقت الحشا بزفرة وجد كمين،واعترى الظاهر رقة ونحول وألبسته سربالا من صفوة وذبول وفي هذا ينشد :

حديث سـقامي عن غرامي يسند   وآية وجدي فـي الصبابة تشهد

ولـي مدمع جار من العين مطلق   ورايـة حزين في البواقي مخلد

وقـد عقد الإجماع يوم فراقكم   فـإن بـقاء النفس فيه تردد

علقت[2]معانيكم فأصبحت عبدكم   فكم عقل المعنـى وصح التعبد

أطيل مناحي في نواحي عراصـكم   وأحـسب أيام الحفا وأعدد

وبالـماء تطفى النار عند لهيبها   ونار ضلوعي بالـمدامع توقد

فـيا ملبس ثوب السقام فإنني   وحقك مظن أثواب صبري مجدد

قلت: وما تقدم من شفاء لهؤلاء الخواص لذوي الأمراض هو من معجزاته صلى الله عليه وسلم، إذ منها إزالة الأمراض وبرئ ما أعجز عن الإنتهاض وشفاء أهل الداء العضال وإماطة الأثقال وفيه يقول أشعر الشعراء وأعلم العلماء شرف الدين البوصيري في همزيته ،في مدح راحته الكريمة صلى الله عليه وسلم بعد أبيات له فيها:

وأزالت بـلمسها كل داء   أكدرته الأطباء والرؤساء

وعيون مرت بها وهي رمد   فأرتها ما لم ترى الزرقاء

---

[1]- في ب مغلول.

[2]- في ب عقلت

وأعـــــادت على قتادة عـــــــينا فهي حتـى مــــــماته النجلاء

وأشار ابن الخطيب إلى ذالك في مدحه صلى الله عليه وسلم:

وشفيت ذا العاهات من أمـراضهم وملأت كل الأرض من جدواك

ورددت عـــين قتادة بـــعد العما وابن الحصين شفيته بـــشفاك

وكــــــذا حبيب وابن جعفر بعدما جرحا شفيتهما بلمس يـــــداك

وعــــلي مــــن رمد بـــــه داويته في خيبر فشفي بطيب لـــقاك

أخرج البيهقي من طريق سماك عن محمد بن حاطب[1] قال،وقعت على يد القدر فاحترقت فانطلقت أمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يتفل عليها ويقول (إذهب الباس رب الناس)[2]فبرئت.

وأخرج البخاري في تاريخه عن سعد بن سليمان عن عبد الرحمن بن عثمان بن إبراهيم بن محمد بن حاطب عن أبيه عن جده محمد عن حاطب عن أمه أم جميل قالت : أقبلت بك من أرض الحبشة حتى إذا كانت من المدينة ليلة طبخت طبيخا،يعني الحطب فخرجت أطلب الحطب، فتناولت القدر فانكفأت على ذراعك فأتيت بك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتفل على يدك وهو يقول :(إذهب الباس رب الناس أشفي أنت الشافي لاشفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما)[3] فما قمن بك من عنده حتى برئت يدك.

وروى ابن وهب أن حبيب ابن يساف أصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم[بضربة على عاتقه حتى مال كتفه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم[4]]ونفث عليه حتى صح .

---

[1]- محمد بن حاطب بن الحارث، أبو القاسم الجمحي:وهو أول من سمي في الإسلام بمحمد بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وولد في السفينة حين ذهبوا إلى النجاشي، ومسح رسول الله صلَّى اللَّه عَلَيْهِ وسلم علي رأسه وتفل في فيه ودعا له بالبركة.روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوفي بمكة عام 74 هـ.المنتظم،ج6،ص 146.

[2]- رواه أبو داود في مسنده رقم 1290،ج2، ص 518.مع زيادة هي:وأحسبه قال:(واشف أنت الشافي.

[3]- رواه البخاري في صحيحه رقم 5675.ج7،ص 121. ومسلم في صحيحه رقم 46-2191،ج4، 1721.كما رواه غيرهما.

[4]- ما بين معقوفين ساقط من ب و الأثر أورده القاضي عياض في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى،ج1،ص 622. وبغير هذا اللفظ السيوطي في الخصائص الكبرى. الخصائص الكبرى. دار الكتب العلمية، بيروت.ج2، ص116. وحبيب بن يساف أراد أن يشارك في بدر مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم ذاك مشرك فقال له النبي، ارجع فلن أستعين بمشرك،فأسلم واشترك معه.ابن بشكوال: غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة. عز الدين علي السيد ، محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت،1407هـ،ط1،ج1، ص210.

ورمي كلثوم بن الحصين[1] يوم أحد في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرىء .وهذا هو الذي أشار إليه إبن الخطيب.

وأما قصة علي رضي الله عنه فهي مما أخرج الشيخان عن سلمة بن الأكوع قال :كان علي تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر لرمد له، فقال أنا أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم،فخرج فلحق به، فلما كان مساء الليلة التي فتح الله في صباحها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(لأعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه)[2] فإذانحن بعلي وما نرجوه، فقالوا هذا علي فأعطاه الراية ففتح الله عليه.

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن بريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خيبر، (لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يأخذها عنده) وليس ثم علي، فتطاولت لها قريش وجاء علي على بعير لهوهو أرمد، فقال أدنوا مني فتفل في عينه فما وجعها حتى مضى لسبيله. وهذا مراد ابن الخطيب بقوله،[و أشار إليها البوصيري بقوله :[3]]

[وعلي من رمد بـه داويته في   خيبر فشفي بطب شفاك[4]]

وعـيون مرت بها وهي رمد   فأرتــها ما لـم ترى الزرقاء

و أشار إليها أيضا بقوله:

وعلي لـما تفلت بــعينيه   وكلتاهـما مـــعا رمداء

فغدى نظرا بعيني عقاب   في غزاه لها العقاب لواء

وقوله الزرقاء هي زرقاء اليمامة المشهورة التي كانت ترى من مسيرة ثلاثة أيام وفيها يقول النابغة الذبياني[5]

---

[1]- أَبُو رُهْمٍ الْغِفَارِيُّ.واسمه كلثوم بن الحصين بْن خلف بْن عُبَيْد بن معشر بْن زَيْد بْن أحيمس بْن غفار بْن مليك بْن ضمرة بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ. أسلم بعد قَدُومِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – المدينة وشهد معه أحدًا ورمي يومئذٍ بسهمٍ فوقع فِي نحره فجاء إِلَى رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَفبسق عليه فبرأ. فكان أبو رهم يسمى المنحور.توفي 34هـ.المنتظم،ج5، ص 48. والطبقات الكبرى لابن سعد،ج4، ص184.

[2]- رواه البخاري في صحيحه رقم 2942.ج4، ص47.

[3]- ساقطة من أ.

[4]- ساقط من ب.

[5]- النابغة الذبياني:نحو 18 ق هـ،زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانيّ الغطفانيّ المضري، أبو أمامة: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. من أهل حجاز. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة. وكان أبو عمرو ابن العلاء يفضله على سائر الشعراء. وهو أحد الأشراف في الجاهلية. وكان حظيا عند النعمان بن المنذر، حتى شبب في قصيدة

وأحكم كحكم فتاة الحي إذ نـظرت إلـــى حمام شراع وارد الثمد[1]

قـــالت ألا ليت ما هذا الـــحمام لنا إلى حـــمامتنا ونصفه فقد

فـــحسبوه فـــألفوه كما ذكرت ستا وستين لـم تنقص ولـم تزد

فـــكملت مائة بها حـــمامتها وأسرعت حسبة في ذالك العدد

وقصتها أنها كانت لها قطاة ثم مر بها سرب من القطاني جبلين فقالت:

ليت الحمام ليه إلى حمامتيه

ونصفه فديهتم الحمام مائه

فنظر فإذا الحمام وقع في شبكة صياد فإذا هو ست وستون قطاة،ونصفها ثلاثة وثلاثون قطاة،فإذا ضم ذالك إلى قطاتها كان مائة.

وأما قصة قتادة ابن النعمان[2] رضي الله عنه ،فهي ما أخرج ابن سعد عن زيد بن أسلم أن عين قتادة بن النعمان رضي الله عنه أصيبت يوم بدر فسالت على خده فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده. ويقال أنه لما أصيبت عينه وأتى بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال، يا رسول الله إن لي امرأة أحبها وأخشى إن رأتني تقدوني، فأخذها صلى الله عليه وسلم بيده وردها إلى موضعها وقال، اللهم أكسها جمالا، فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظرا، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى،وقد وفد على عمر ابن عبد العزيز[3] رجلا من ذريته فقال عمر،من أنت،فقال

أبونا الذي سالت على الخد عينه فردت بكف المصطفى أيما رد

له بالمتجردة (زوجة النعمان) فغضب النعمان، ففر النابغة ووفد على الغسانيين بالشام، وغاب زمنا. ثم رضي عنه النعمان، فعاد إليه.الأعلام،ج3،ص 54.و رزق الله بن يوسف شيخو:شعراء النصرانية. مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين، بيروت، 1890 م،ج5، ص640 .

[1]- الثمد: الماء القليل يظهر في الشتاء ويختفي في الصيف.العين،ج8،ص 20.

[2]- قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ بنِ زَيْدِ بْنِ عَامِرِ بْنِ سَوَّادِ بْنِ ظَفَرٍ. وأمه أنيسة بِنْت قَيْس بْن عَمْرو،قد شهِدَ قَتَادَة بْن النُّعمان العقبة مع السبعين من الأَنْصَار،وشهد بدرا وأحدا ورميت عينه يوم أحد فسالت حدقته على وجنته.وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي سنة 23هـ.ابن سعد الطبقات الكبرى،ج3،ص 345.

[3]- عمر بن عبد العزيز: تولى المدينة سنة 87هللوليد بن عبد الملك ثم عزل عنها وتولاها زمن سليمان بن عبد الملك. وتولى الخلافة بين 99-101 هـ وتوفي سنة 101 هـ عن 39 سنة.وأخباره مبسوطة في كتب التاريخ والسير مثل الطبقات الكبرى لابن سعد،ج5، عبد الله بن عبد الحكم:سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه،تح أحمد عبيد،عالم الكتب،بيروت، لبنان،1404هـ، 1984م،ط6.

فـــعادت كما كانت لأول أمرها   فيا حسنما عين ويا حسن مارد

فوصله عمر، وأحسن جائزته، إلى غير هذا مما ذكر من هذا النوع من معجزاته صلى الله عليه وسلم وهوكثير. قلت واستحضر ما تقدم لنا من فائدة ذكر بعض المعجزات هنا. تنبيه: السيد عمر بن عبد العزيز[1] المتقدم هو الخليفة الثامن من بني أمية ،وهو المجمع على عدالته كل الناس ،واتفقت على فضله الأمة وعلى صلاح سيرته فأردت أن أذكر من أخباره شيئا هنا لأمور، الأولا لتبرك بذكره وفضله وشرفه لأنه كما قيل عند الذكر للصالحين تتنزل الرحمات وينشد:

أســـرد حديث الصالـــــحين   وسمهم فبذكرهم تتنزل الرحمات

وأحضر مجالسهم تنل بركاتهم   وقـــــبورهم زرها إذا مــــا ماتوا

حديث أبو نعيم الحافظ بسنده عن أبي العباس السراج عن أبي جعفر قال: نازلت قوما من أصحاب الفضيل ابن عياض ،وتذاكرنا كرامة المؤمن على الله فقلت،عند ذكر الصالحين تتنزل الرحمة، فمطرنا من تلك الليلة اللهم لا تحرمنا بركاتهم بحرمة النبي صلى الله عليه وسلم .

الثاني تقدم ذكره وجريانه ولا نشك أنه من أسباب الذكر، قال الصفدي رحمه الله ،ولا خفاء أن الشيء يذكر بالشيء أحيانا.

الثالث أن هذا الشيخ سيدي محمد الشرقي رضي الله عنه لنسبة بينه وبينه، لأن الشيخ رضي الله عنه عمري وسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه جد من جهة الأم لسيدنا عمر بن عبد العزيز، لأن أمه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، فإذا كان الأمر كما ذكر فنقول هو الإمام الفاضل العالم العادل أعلم الأعلام وطود الأنام أمير المؤمنين القائم بأمور المسلمين أبو حفص عمر بن الأصبغ واسمه عبد العزيز ابن مروان ابن الحكم ابن العاص ابن أمية بنت عبد شمس القرشي الأموي،وأمه كما تقدم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي،سمع أبا بكربن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وروى عنه أبو بكر بن محمد بن عمر بن حزم في"الاستقراض" وكان عالما عاملا صالحا تقيا قال رجاء بن حيوة[2]،كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه من أجمل الناس وأكيسهم وأجملهم

---

[1]- ساقطة من ب

[2]- رَجَاء بن حَيْوَة من أهل الْأُرْدُن وَكَانَ من أعبد أهل زَمَانه وَكَانَ مرضيا حكيما ذَا أَنَاة ووقار وَكَانَت الْخُلَفَاء تعرفه بفضله فيتخذونه وزيرا ومستشارا وقيما على عمالهم وَأَوْلَادهمْ وَكَانَت لَهُ من الْخَاصَّة والمنزلة عِنْد سُلَيْمَان بن عبد الْملك مَا لَيْسَ لأحد يَثِق بِهِ ويستريح إِلَيْهِ. وكان رجاء يأتي بأخبار عمر بن عبد العزيز إلى سليمان فيثني عليه خيرا مات سنة اثنتي عشرة ومائة. محمد بن حبان :مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار.تح مرزوق على

مشية ،تولى الخلافة بعد الوليد بن يزيد[1]وفي طبقات ابن سعد عن عمر ابن قيس أنه لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة رضي الله عنه سمع صوتا لا يدري قائله ومن هنا طابت وطاب[2]قرارها على عمر المهدي قام عمودها.

وكان رضي الله عنه قبل الخلافة وولاية أمور المسلمينمن أحسن الناس وأجملهم مشية ولبسة فلما أستخلف قومت ثيابه من عمامة وقميص وخف ورداء فإذا هو بعدل إثنا عشرة درهما، ويحكى أنه اشتريت له حلة قبل الخلافة بنحو أربع وسبعين ألفا فحسبها فقال ما أحسنها لولا خشونة فيها، ولما ولي اشتريت له حلة بنحو أربع دوانق فجسها فقال ما أحسنها لولا لينها، فقيل له ما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال نفسي ذواقة تواقة كلما تذوقت مكانة تشوقت إلى غيرها فلما حصلت الخلافة تاقت إلى ما عند الله . وهو أول من اتخذ دار المضيف وأول فرض لأبناء السبيل وأزال ماكانت بنو أمية تذكر على المنابر،و جعل مكان ذالك قوله تعالى {إن الله يأمر بالعدل والإحسان}[3] وقال فيه كثير عزة

وليت فلم تسب عليا ولـم تــخف   بـــــريئا ولـم تـــقبل مقالة مــــجرم

وصدقت بالقول الفعال مـع الذي   لقيت فأمسى راضيا كــــل مــــسلم

فـــــما بـــين شرق الأرض والغرب   كلها مناد ينادي من فصيح وأعجم

يـــــقول أمير المؤمنين ظلمتنـــــــي   بـــأخذك دينارا وأخـــــــذك درهم

وكتب إلى عماله أن لا يقيد مسجون بقيد فإنه يمنعه من الصلاةو ،كتب إلى عامله بالبصرة

ابراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، 1411 هـ،1991 م،ص189.وعبد الله بن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز.ص123.والتاريخ الكبير للبخاري،ج3،ص312.

[1]- كذا في الأصل وعمر تولى الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك.

[2]- في ب و قر.

[3]- النحل 90.

عدي ابن أرطأة[4]،عليك بأربع ليال من السنة،فإن الله يفرغ فيها الرحمة إفراغا، وهي أول ليلة من شهر رجب وليلة النصف من شعبان وليلتي العيدين، وكتب إلى عماله، إذا دعتكم قدرتكم على الناس إلى ظلمهم فاذكروا قدرة الله عليكم ونفاذ ما تؤمرون إليهم ونفاذ[1]ما يأتي إليكم من العذاب بسبب ذالك .

ولما فرغ من دفن سليمان بن عبد الملك وقضى من دفنه سمع للأرض هدة أو جلبة،والهدة الصوت وكذالك الجلبة فقال ما هذه؟ قيل هذه مراكب الخلافة قربت إليك يا أمير المؤمنين لتركبها، فقال مالي ولها،نحوها عني قربوا إلي دابتي،فقربت إليه فركبها، فجاء صاحب الشرطة يسير بين يديه بالحربة جريا على عادة الخلفاء قبل فقال، تنح عني مالي ولك ثم صار مختلطا بين الناس حتى دخل المسجد، فصعد المنبر فاجتمع الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه وسلم وقال، أيها الناس إني ابتليت بهذا الأمر من غير أمر مني ولا مشورة وإني قد خلعت مافي أعناقكم من بيعة فاختاروا لأنفسكم غيري، فصاح المسلمون صيحة واحدة قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك باليمن والبركة،فلما سكتوا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: أوصيكم بتقوى الله خلفا من كل شيء وليس من تقوى الله خلف واعملوا لآخرتكم فإنه من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه وآخرته،وأصلحوا سرائركم يصلح الله علانيتكم وأكثروا من ذكر الموت والاستعداد قبل أن ينزل بكم هادم اللذات،وإني والله لا أعطي لأحد باطل ولا أمنع أحدا حقا.أيها الناس من أطاع الله وجبت طاعته ومن عصى الله عز وجل لا طاعة له ،أطيعوني ما أطعت الله فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم .ثم نزل فدخل دار الإمارة فأمر بالستور فهتكت وبالبسط فرفعت وأمر ببيع ذالك وأدخل أثمانها في بيت مال المسلمين، ثم ذهب ليقيل فأتاه ابنه عبد الملك فقال ما تريد؟ أن تصنع يا أبي، قال أي بني آخذ راحة فقال، وأين حقوق المسلمين؟ قال يا بني سهرت البارحة من أمر عمك سليمان،إذا صليت الظهر اشتغلت بها .فقال يا أمير المؤمنين ومن لك أن تعيش إلى الظهر؟ فقال ادنوا مني يا بني،فدنا منه فقبل بين عينيه وقال: الحمد لله الذي أخرج من ظهري من يعينني على ديني. فخرج وترك القيلولة وأمر مناديه أن ينادي ألا من كانت له مظلمة فليرفعها،فتقدم إليه ذمي من حمص وقال له: يا أمير المؤمنين أسألك بكتبك، قال وما ذالك ؟قال العباس بن الوليد،غصبني أرضي والعباس جالس، فقال عمر رضي الله عنه ما يقول يا عباس؟ قال إن أمير المؤمنين الوليد أقطعني إياها وهذا كتابه، فقال عمر رضي الله عنه كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد،فاردد عليه أرضه يا عباس فرد عليه.

---

[1]- عدي" بن أرطاة الفزاري أخو زيد بن أرطاة من أهل دمشق من أهل الشام،في سنة 99 قدم عدي بن أرطاة واليا على البصرة من قبل عمر بن عبد العزيز وفي صفر سنة 102 قتل عدي بن أرطاة من طرفمعاوية بن يزيد بن المهلب .ابن حجر العسقلاني:تهذيب التهذيب. مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند،1326هـ،ط1، ج7، ص164.

ثم جعل لايدع شيء مما كان في يد أهل بيته من المظالم إلا ردها مظلمة مظلمة،فلما بلغ الخوارج سيرته وما رد من المظالم اجتمعوا وقالوا ما ينبغي لنا أن نقاتل هذا الرجل.وروي عنه أنه وقع في زمانه غلاء عظيم ،فقدم عليه وفد من العرب، فاختاروا رجلا منهم يكلمه فتقدم إليه فقال، يا أمير المؤمنين إنا وفدنا إليك من ضرورة عظيمة وراحتنا في المال، ومالك لا يخلوا إما أن يكون لله تعالى أو لعباده أولك، فإن كان لله فإن الله غني عنه، وإن كان لعباده فآتهم إياه، وإن كان لك فتصدق به علينا إن الله يجزي المتصدقين . فتغرغرت عينا عمر بالدموع رضي الله عنه وقال هو كما ذكرت،وأمر بحوائجهم فقضيت لهم.فهم الأعرابي بالانصراف فقال له عمر رضي الله عنه أيها الرجل كما أوصلت حوائج عبد الله فأوصل حاجتي وارفع فاقتي إلى الله عز وجل، فقال الأعرابي اللهم اصنع بعمر بن عبد العزيز كصنعه في عبادك،فما استتم كلامه حتى ارتفع غيم عظيم وأمطرت السماء مطرا كثيرا فجاء من المطر برادة فانكسرت فخرج منها كاغد مكتوب فيه، براءة من الله العزيز الجبار لعمر بن عبد العزيز من النار.

ويحكى عنه أنه لما أستخلف جاءته الوفود، فكان ممن ورد في ذالك وفد أهل الحجاز، فأراد غلاما منهم أن يتكلم ،فقال له عمر يا غلام ليتكلم من هو أسن منك، فقال الغلام يا أمير المؤمنين إنما المرئ بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا منح الله عبده لسانا لافض اوقلبا حافظا فقد جاد الاختيار، ولو أن الأمور بالسن لكان هنا من هو أحق منك بمجلسك، فقال له صدقت فتكلم فهذا هو السحر الحلال فقال،نحن وفد التهنئة لا وفد التعزية لم تقدمنا إليك رغبة ولا رهبة لأنا قد أمنا في أيامك ما خفناه وأدركنا ما طلبناه، وفي رواية أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضلك وأما الرهبة فقد أمننا منها عدلك،فتهلل وجه عمر رضي الله عنه وسأل عمر سن الغلام فقيل عشر سنين، ثم كأن عمر رضي الله عنه خاف العجب لما أثنى عليه الغلام فأقبل عليه وقال، عظمنا يرحمك الله فقال، يا أمير المؤمنين لا يغلبن جهال القوم معرفتك بنفسك فأجهل الناس من ترك يقين ما عنده الظن ما عند الناس، وإن قوما خدعهم الثناء وغرهم الشكر فزلت أقدامهم فهووا في النار أعاذك الله يا أمير المؤمنين أن تكون منهم، وألحقك بصالح هذه الأمة، فجعل عمر يبكي حتى خيف عليه.

قلت وهذه حكاية يذكروها في الأجوبة المسكتة ،ونحو ماحكي عن الغلام حكي عن إياس بن معاوية[1] رضي الله عنه لما دخل المهدي البصرة فوجده وهو صبي وخلفه أربعمائة من العلماء من أصحاب الطيالسي[2] فقال المهدي أف لهذا العثانين،أما كان فيها شيخ يتقدم غير هذا الحدث ثم أن المهدي التفت وقال لهكم سنك يا فتى،

[1]- إياس بن معاوية:قَاضِي البَصْرَةِ، العَلاَّمَةُ، أَبُو وَاثِلَةَ.وَكَانَ يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ فِي الذَّكَاءِ، وَالدَّهَاءِ وَالسُّؤْدُدِ، وَالعَقْلِ . تُوُفِّيَ: سَنَةَ 121هـ كهلا.الذهبي:سيرأعلام النبلاء.ج5، ص471.

[2]- أبو داود الطّيالسى هو: سليمان بن داود.توفى بالبصرة سنة ثلاث ومائتين،ابن قتيبة:المعارف.ج1،ص 520.

قال سني أطال الله بقاء أمير المؤمنين سن أسامة بن زيد بن حارثة[1] لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، قال تقدم بارك الله فيك،قال الصفدي هكذا ذكره المسعودي من شرح المقامات ،ثم ذكر خلاف ذالك ،وأن إياس بن معاوية لم يدرك دولة العباس وأنه توفي في دولة بني أميةسنة مائة وتسعة عشر،وأن الذي ولاه قضاء البصرة عمر بن عبد العزيز،وكان معروفا بالفطنة والذكاء والفراسة. قال الصفدي حسبك بمن يختاره عمر بن عبد العزيز لمثل هذا المنصب ،قلت وما يؤثر عن إياس في جانب الفطنة والذكاء كثير وهو مذكور في كتبالأدب.

قال الصفدي ويذكر الخطيب في تاريخ بغداد،أن يحي ابن أكتم[2] ولي قضاء البصرة وسنه عشرون ونحوه فاستصغروه فقالوا كم سن القاضي ؟ فقال أنا أكبر من عتاب بن أسيد[3]الذي وجهه النبي صلى الله عليه وسلم قاضيا لمكة يوم الفتح،وأنا أكبر من [معاذ بن جبل[4] الذي وجهه النبي صلى الله عليه وسلم قاضيا على اليمن[5]]وأنا أكبر من كعب [بن سداد][6]الذي وجهه عمر بن الخطاب على البصرة فجعل جوابه احتجاجا.

قلت وهذا كثير لا يأتي عليه الحصر فلنرجع لما نحن فيه فنقول ومن فضائل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ما يذكر عن العباس بن راشد رضي الله عنه قال، نزل بنا عمر بن عبد العزيز فلما رحل قال لي مولاي،أخرج معه شيعة فخرجت معه فمررنا بوادي فيه حية ميتة ملقاه على الأرض،فنزل عمر فدفنها ثم ركب فسرنا فإذا نحن بهاتف يقول: يا خرقاء يا خرقاء، نسمع صوته ولا نرى شخصه فقال عمر أسألك بالله أيها الهاتف إن كنت ممن يظهر إلا ما ظهرت وأخبرتنا ما الخرقاء، فقال هذه الحية التي دفنتموها فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها يوما يا،خرقاء تموتين بفلاة من الأرض فيدفنك خير مؤمن أهل زمانه،فقال له عمر من أنت يرحمك الله؟ فقال

---

[1]- أسامة بن زيد، أبو مُحَمَّد الحب ابن الحب: أمه أم أيمن واسمها بركة، حاضنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه حبا شديدا وقبض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأسامة ابن عشرين سنة.ت سنة59هـ.ابن الجوزي: المنتظم،ج5، ص306.

[2]- يحيى بن أَكْثَم القَاضِي في زمن المأمون، أَحْد الْأَعْلَام وَاسع التَّرْجَمَة مَاتَ سنة ثَلَاث وَأَرْبَعين وَمِائَتَيْنِ بعد مُنْصَرفه من الْحَج محيي الدين الحنفي :الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانه،كراتشي،ج 2،ص211.

[3]- عتاب بْن أسيدبْن أَبِي العيص بْن أُمَيَّة بْن عبد شمس القرشي الأموي، أسلم يَوْم فتح مكة، واستعمله النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مكة عام الْفَتْح حينخروجه إِلَى حنين، فأقام للناس الحج تلك السنة، وهي سنة ثمان، توفي 13هـ الإستيعاب3-1023

[4]- مُعَاذُ بْنُ جَبَلِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ أَوْسِ بْنِ عَائِذِ بْنِ عَدِيٍّ مِنْ بَنِي سلمةالأنصاري الخزرجيّ أبو عبد الرحمن شَهِدَ الْعَقَبَةَ وَبَدْرًا وَاسْتُشْهِدَ هو وابنه في طاعون عمواس سنة 18 هـ .الذهبي:تاريخ الإسلام.ج3،ص175.

[5]- ساقطة من ب.

[6]- ما بين معقوفين ساقط من أ والصحيح هو كعب بن سور، هو من الأزد. بعثه عمر – رضى الله عنه– قاضيا لأهل «البصرة»، حين استحسن حكمه بين المرأة وزوجها، وحكم لها في كل أربع ليال بليلة. وخرج مع «عائشة» يوم الجمل، ناشرا المصحف، يمشى بين الصفّين، فجاءه سهم غربفقتله .ابن قتيبة:المعارف.ج1، ص134.

أنا من الجن السبعة الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم[في هذا الوادي[1]] ، فقال آالله ألا سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدمعت عينا عمر وأنصرف.

وعن زيد بن أسلم[2] قال: كان لعمرسفط[3] فيه درع من شعر، وغل وكان له بيت في جوف بيت يصلي فيه ولا يدخل فيه أحد غيره فإذا كان آخر الليل فتح ذالك ولبس الدرع ووضع الغل في عنقه، فلا يزال يناجي ربه ويبكي حتى يطلع الفجر ثم يعيد الدرع والغل إلى السفط، فكان هذا دأبه مدة حياته رضي الله عنه . وقال الحارث بن زيد، جاز عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه،تا الله لقد سمعت عمر بن عبد العزيز رحمه الله لما أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وهو يتململ تململ السقيم ويبكي بكاء الحزين فكأني أسمعه وهو يقول، يا دنيا إلي تعرضت أم إلي تشوقت هيهات هيهات غري غيري قد طلقتك ثلاثا لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير و عيشك حقير وخطرك كبير وغنيك فقير ،آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريقو كان رضي الله عنه إذا صلى الصبح أخذ المصحف في حجره ودموعه تبل لحيته فكلما مر بآية تخويف رددها فلا يتجاوزها من كثرة البكاء حتى تطلع الشمس.

وعن زيد بن حوشب رحمة الله عليه قال، ما رأيت أكثر خوفا من الله من الحسن[4] ومن عمر بن عبد العزيز، كأن النار لم تخلق إلا لهما، وكان إذا ذكر الموت عنده اضطربت أوصاله،وروي عنه أنه رضي الله عنه قرأ قوله تعالى {ما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداإذ تفيضون فيه}[5]فبكى بكاءا شديدا حتى سمعه أهل الدار فجاءت فاطمة زوجته فجلست تبكي لبكائه وبكى أهل الدار لبكائهما فجاءه ولده عبد الملك فدخل عليهم وهم يبكون فقال يا أبت ما يبكيك؟ فقال يا بني ود أبوك انه لم يعرف الدنيا ولم تعرفه،والله يا بني لقد خشيت أن أكون من أهل النار .

---

[1]- ساقطة من أ

[2]- زيد بن أسلم العدويّ مولاهم الفقيه العابد، لقي ابن عمر، وجماعة، وكانت له حلقة للفتوى والعلم بالمدينة.توفي 136.ابن العماد:شذرات الذهب.ج2،ص 159.

[3]- السفط: ما يعبى فيه الطيب ونحوه. لسان العرب،ج7، ص315.

[4]- الحسن بن علي – رضي الله عنهماابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي(3-50هـ) وأمه فاطمة بنت رسول الله صوأمها خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصي.الطبقات الكبرى،ج1، ص225.

[5]- يونس 61.

وعن عطاء[1] رحمه الله،كان عمر رضي الله عنه يجمع الفقراء كل ليلة ويتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ولا يزالون يبكون حتى كأن بأيديهم جنازة ،وعن ابن حبان[2] رحمة الله عليه قال، صليت الصبح خلف عمر ابن عبد العزيز

فقرأقوله تعالى { وقفوهم إنهم مسؤولون}[3] فجعل يكررها ولا يستطيع أن يتجاوزها من البكاء.

وعن سفيان قال،كان عمر ابن عبد العزيز ساكتا وأصحابه يتحدثون فقالوا له مالك لا تتحدث يا أمير المؤمنين،قال كنت متفكرا في أهل الجنة كيف يتزاورون فيها و في أهل النار كيف يصطرخون فيها، ثم بكى .

وعن شيخ من أهل خراسان قال، لما أراد أبو جعفر[4] بيت المقدس،نزل براهب كان ينزل به عمر بن عبد العزيز إذا أراد بيت المقدس،فقال له يا راهب أخبرنا بأعجب شيء رأيته من عمر، قال نعم يا أمير المؤمنين بينما عمر ذات ليلة على سطح غرفتي هذه وكان السطح من رخامة وأنا مستلقي على قفاي، فإذا الماء يقطر من الميزاب على صدري، فقلت والله ما عندي ماء ولارمت سماء ماءا، فصعدت لأنظر فإذا هو ساجد ودموعه تنحدر من الميزاب .وعن الحسن بن الحسين رحمهما الله قال: رأيت عمر بن عبد العزيز بكى حتى رأيته بكى الدم . ويقال أنه رضي الله عنه لما ولي الخلافة سمع بداره بكاء، فدخل مسلمة بن عبد الملك إلى أخته فاطمة زوجته فسألها عن ذالك، فأخبرته أنه دخل عليهن فقال إني قد شغلني عنكن مل نزل بي يعني من أمر الخلافة،فمن أحبت منكم أن تصبر على ذالك فلتصبر.ويحكى عن زوجته فاطمة رضي الله عنها أنها قالت والله ما اغتسل عمر من حلم ولا جنابة منذ ولي هذا الأمر،كان [أمره[5]]في إشتغال الناس ورد المظالم، وليله في عبادة الله.

---

[1]- عَطاء بْن أَبِي رَباح، أَبو مُحَمد، مَولَى آل أَبي خُثَيم، القُرَشِيُّ، الفِهرِيُّ، المَكِّيُّ. سَمِعَ أَبَا هُرَيرةَ، وابْن عَبّاس، وأبا سَعِيد، وجابر، وابن عُمَر، رضي الله عَنْهُ توفي سنة114هـ.وقال أبو نعيم سنة 115هـ.البخاري:التاريخ الكبير.ج6، ص463.

[2]- لم أعرف من هو ابن حبان والإمام ابن حبان الشهير عاش في الفترة بين بضع وسبعين و مائتين و 354هـ.سير أعلام النبلاء،ج12،ص 183.

[3]- الصافات 24.

[4]- عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبو جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس بعد السفاح،ولد في سنة خمس وتسعين أو في حدودها.تولى سنة 136ومات عام 158هـ.البغدادي:تاريخ بغداد.ج11،ص 244.و الذهبي: تاريخ الإسلام،ج4،ص 106

[5]- في ب نهاره.

وعن عمر بن مهاجر[1] قال،قال لي عمر إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك على تلابيبي وهزني،ثم قل لي ماذا تصنع يا عمر.وكان رضي الله عنه يأتيه خراج اليمن فيدخله بيت المال ويبيت في الظلام وكان يقول، إذا سهرت في أمر العامة أشعلت سراجا من بيت المال، وإذا سهرت في أمر نفسي أسرجت علي من مالي، وروي أنه جاءه خراج اليمن ومعه عنبر حمل إليه على اثنا عشر بغلا، فأحظر المال بين يديه ثم أمربه إلى بيت المال فقيل له أن هذا العنبر لا ينقصه ريحه فقال إنما ينتفع به في ريحه.

وعن عيسى ابن سنان[2]. قال كان عمر بن عبد العزيز لا يبني بناءا فقيل له في ذالك فقال، سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من الدنيا ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة .وحكي عن مسلمة بن عبد الملك[3] أنه قال دخلت على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أعوده في مرضه الذي مات فيه ،فإذا عليه قميص وسخ فقلت لفاطمة بنت عبد الملك يا فاطمة اغسلي قميص أمير المؤمنين فقال نفعل إن شاء الله تعالى ثم عدت فإذا القميص على حاله فقلت يا فاطمة، ألم آمرك أن تغسلي قميص أمير المؤمنين فإن الناس يعودونه ،فقالت والله ماله قميص غيره .وعن الوليد ابن هشام[4] رحمه الله قال، لقيني يهودي وكان قد أخبرني قبل ولايته عمر أن عمر سيلي هذا الأمر ويعدل فيه قال، فلقيت عمر فأخبرته،فلما تولى عمر فلقيني اليهودي بعد مدة فقال، ألم أخبرك أن عمر يلي الخلافة وكان الأمر كما أخبرتك،فقلت بلى،فقال لي الآن إن هذا الرجل قد يسقى السم فمره بالتداوي ويدرك نفسه، قال فلقيته فذكرت له ذالك فقال له عمر، والله إن عرفت الساعة التي سقيت فيها السم فلو كان شفائي في مس شحمة لما مسستها ولو كانت عافيتي في يد طبيب ما رفعت قضيتي إليه.

1- عُمَر بْن مُهاجر بن أبي مسلم، أَبو حَفص، الأَنصاريُّ. كَانَ عَلَى بَيْتِ مَالِ الْوَلِيدِ بن عبد الملك وولى الحرس لعمر بن عبد العزيز. عَلي محمد الصَّلاَّبي: عمر بن عبد العزيز معالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة. دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر،1427 هـ، 2006م،ص 334.و الذهبي:تاريخ الإسلام.ج6،ص 17.و البخاري:التاريخ الكبير.ج6،ص 176.

2- عيسى بن سنان، أبو سنان القسلمي الْحَنَفِيُّ الْفِلَسْطِينِيُّ نَزِيلُ الْبَصْرَةِ. توفي بين(141 - 150 هـ) تاريخ الإسلام،ج3،ص948.

3- مسلمة بن عبد الملك ابن مروان الْقُرَشِيّ الْأُمَوِيّ، أَبُو سَعِيدٍ وَأَبُو الْأَصْبَغِ الدِّمَشْقِيُّ، قال ابن عساكر: وداره بدمشق في حجلة الْقِبَابِ عِنْدَ بَابِ الْجَامِعِ الْقِبْلِيِّ، وَلِيَ الْمَوْسِمَ أَيَّامَ أَخِيهِ الْوَلِيدِ، وَغَزَا الرُّومَ غَزَوَاتٍ وَحَاصَرَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَوَلَّاهُ أَخُوهُ يَزِيدُ إِمْرَةَ الْعِرَاقَيْنِ، ثُمَّ عزله وتولى أرمينية.توفي 120هـ أو 121هـ.الكامل في التاريخ،ج9، ص328.

4- كذا في الأصل وهو خطأ والصحيح هو أبو الوليد، هشام بن عبد الملك، الطيالسي، الباهلي، مولاهم، البصري، مولده سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وتوفي سنة سبع وعشرين ومائتين، من التاسعة، ثقة، ثبت. أكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري: المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري . تق، علي حسن عبد الحميد الأثري، الدار الأثرية، الأردن، دار ابن عفان، القاهرة،ج 2، ص611.

وعن مجاهد[1] قال سألني عمر بن عبد العزيز في مرضه قال ما يقول في الناس ،قال يقولون انه مسحور فقال ما أنا بمسحور ولكني سقيت السم،ثم استدعى بغلام فقال،ما حملك على أن سقيتني السم فقال، أعطيت ألف دينار ووعدت بالعتق ،فقال هات الألف دينار فجاء بها فألقاها في بيت المال، فقال للغلام اذهب حيث شئت فأنت حر لوجه الله تعالى.

وعن حازم رحمة الله عليه قال شاهدت عمر بن عبد العزيز رقد رقدة على وجد وجده فبكى ثم ضحك، فلما انتبه قال أبو حازم[4] يا أمير المؤمنين ما الذي اعتراك في منامك حتى ضحكت بعد البكاء، قال رأيت ذالك؟ قلت نعم. وجميع من حولك،قال رأيت كأن القيامة قد قامت وقد حشر الناس مائة وعشر ونصفا، أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثمانون صفا،وإذا المنادي ينادي أين عبد الله بن قحافة؟ فأخذته الملائكة ذات اليمين ثم نودي بعمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاءت الملائكة فأوقفوه بين يدي الله عز وجل فحوسب حسابا يسيرا فأمر به وبصاحبه إلى الجنة، ثم نودي بعثمان بن عفان رضي الله عنه فأجاب فأخذته الملائكة فأوقفوه بين يدي ربه عز وجل فحوسب حسابا يسيرا ثم نجا،ثم أمر به إلى الجنة،ثم نودي [بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فحوسب حسابا يسيرا ثم نجى ثم أمر به إلى الجنة[2]]قال عمر بن عبد العزيز فتصببت عرقا ثم أخذتني الملائكة فأوقفوني أمام الحق سبحانه فقال ،فسألني عن النقير والقطمير وكل قضية قضيتها، ثم غفر لي فأمر بي ذات اليمين فمررت بجيفة ملقاة فقلت للملائكة ما هذه الجيفة ؟فقالوا سله يجبك، فتقدمت إليه فسألته ووكزته برجلي، ورفع رأسه وفتح عينيه فقلت من أنت ؟فقال لي من أنت ؟فقلت عمر بن عبد العزيز فقال ما فعل الله بك؟ فقال تفضل علي ورحمني وفعل بي كما فعل لمن سلف من الأئمة. فقال ليهنك ماصرت إليه، فقلت له من أنت؟ قال الحجاج بن يوسف[3] قدمت على الله عز وجل فوجدته شديد العقاب والغضب قتلني بكل قتيل قتلته واحدة، وقتلني بسعيد بن جبير[4]

---

[1]- أبو حازم واسمه سلمة بن دينار مولى لبني شجع من بني لَيْثِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كنانة. وكان أعرج. وكان عابدا زاهدا. وكان يقص بعد الفجر وبعد العصر في مسجد المدينة. وقدم سليمان بن هشام بن عبد الملك المدينة فأتاه الناس. وبعث إلى أبي حازم فأتاه. وساء له عن أمره وعن حاله. وقال له: يا أبا حازم ما مالك؟ قَالَ: لي مالان. قَالَ: ما هما؟ قَالَ: الثقة بالله. واليأس مما في أيدي الناس. توفي بعد 140هـ.ابن سعد:الطبقات الكبرى. ج5، ص421.

[2]- ساقطة من ب.

[3]- الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتّب ابن مالك بن كعب- من الأحلاف- الثّقفي(42-95هـ)من ولات عبد الملك بن مروان تولى العراق وساهم في تثبيت الحكم الاموي والتخلص من الخصوم .تاريخ خليفة بن خياط،ج1، ص205.وابن قتيبة:المعارف،ج1،ص 398.

[4]- سعيد بن جبير هو مولى ل «بنى والبة»، من «بنى أسد» . ويكنى: أبا عبد الله، وكان أسود، وكتب ل «عبد الله بن عتبة بن مسعود»، ثم كتب ل «أبى بردة» .وهو على القضاء، وبيت المال، وخرج مع ابن الأشعث، فلما انهزم أصحاب ابن الأشعث، من «دير الجماجم»، هرب سعيد بن جبير إلى مكة، فأخذهخالد بن عبد الله القسري، وكان والى الوليد بن عبد الملك على مكة، فبعث به إلى الحجاج فأمر الحجاج، فضربت عنقه، فسقط رأسه إلى

سبعين قتلة وها أنا بين يدي ربي أنتظر ما ينتظر الموحدون من ربهم، إما إلى الجنة وإما إلى النار، قال أبو حازم فعاهدت الله بعدما سمعت هذا من عمر رضي الله عنه أني لا أقطع على أحد بالنار، ممن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال بعض الأئمة فإن قلت ما الحكمة في أن الله تعالى قتل الحجاج بكل قتيل قتله واحدة إلا سعيد بن جبير، وهو قتل عبد الله بن الزبير وهو صحابي،وسعيد بن جبير تابعي والصحابي أفضل من التابعي فالجواب، أن الحجاج لما قتل عبد الله بن الزبير[1]كان له نظر في العلم كثير كابن عمر وأنس بن مالك وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم. ولما قتل سعيد بن جبير لم يكن له نظيرا في العلم في وقته.

ويذكر عن الحسن البصري[2] رضي الله عنه لما بلغه قتل الحجاج،لسعيد ابن جبير أنه قال: والله لقد مات سعيد يوم مات وأهل الأرض مغربها ومشرقها محتاجون إلى علمه، فمن هذا المعنى ضوعف عليه العذاب لقتله إياه . وعن رجاء بن حيوه، قال لي عمر بن عبد العزيز في مرضه يا رجاء كن أنت فيمن يغسلني ويكفنني و يلحدني في قبري، فإذا وضعوني في لحدي فأحلل العقدة وانظر إلى وجهي،قد دفنت ثلاثة من الخلفاء كلهم إذا وضعته في قبره حللت العقدة ثم نظرت إلى وجهه فإذا هو مسود محول عن القبلة . قال رجاء فلما مات عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كنت فيمن غسله وكفنه ودفنه فلما ألحدته حللت العقدة فنظرت إلى وجهه فإذا هو يضيئ كالقمر ليلة البدر،متوجها إلى القبلة ففرحت له بذالك.

الأرض يتدحرج، وهو يقول: لا إله إلا الله. فلم يزل كذلك، حتى أمر الحجاج من وضع رجله على فيه، فسكت.وقتله الحجاج سنة 94هـ، وهو ابن 49 سنة. المعارف،ج1، ص445.

1- عبد الله بن الزبير بن العوام، أبو بكر:أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، وهو أول مولود ولد في الإسلام للمهاجرين بعد الهجرة.ولد بقباء على رأس عشرين شهرا من الهجرة، وحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمرة، وأذن أبو بكر في أذنه. ولم يزل مقيما بالمدينة إلى أن توفي معاوية، فبعث يزيد إلى الوليد بن عتبة يأمره بالبيعة، فخرج ابن الزبير إلى مكة، وجعل يحرض الناس على بني أمية، فدعى إلى نفسه، وسمي أمير المؤمنين، وولى العمال، واستوثقت له البلاد ما خلا طائفة من الشام فإنهم بايعوا مروان.وتمكن عبد الملك بن مروان من استرجاع ما فقده الأمويون وكلف الحجاج بالتكلف بأمر بن الزبير،ويروى أَنَّ الْحَجَّاجَ لَمَّا قُتِلَ ابْنُ =الزُّبَيْرِ عام 73 هـ، صَلَبَهُ عَلَى عَقَبَةِ الْمَدِينَةِ فَدَخَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ: كَيْفَ رَأَيْتِنِي صَنَعْتُ بِعَدُوِّ اللَّهِ؟ قَالَتْ:رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُعَيِّرُهُ فَتَقُولُ: يَا ابْنَ ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ والله ذات النِّطَاقَيْنِ/ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَنِطَاقُ الْمَرْأَةِ الَّتِي لا تستغني عنه، وأما النطاق الآخر فإنّي كنت أَرْفَعُ فِيهِ طَعَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَعَامَ أَبِي مِنَ النَّمْلِ وَغَيْرِهِ، فأي ذلك ويل أمك عيّرته به، أما إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفَ رَجُلانِ: كذاب، ومبير» . فأما الكذاب فقد رَأَيْنَاهُ ابْنَ أَبِي عُبَيْدٍ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَأَنْتَ ذَلِكَ.ابن قتيبة:المعارف،ج6،ص137.

2- هو: الحسن بن أبي الحسن (21-110هـ). واسم أبيه يسار، مولى الأنصار .واسم أمه: خيرة مولاة لأم سلمة زوج النبي- صلّى الله عليه وسلم. ولد بالمدينة وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب وسكن البصرة. كان الحسن كاتب الربيع بن زياد الحارثي ب خراسان، وقيل ل يونس بن عبيد، وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة. قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء، وأقربهم هديا من الصحابة. وكان غاية في الفصاحة، تتصبب الحكمة من فيه. ابن قتيبة:المعارف.ج1، ص410.و الزركلي،ج2،ص226.

وعن عبيدة بن حسان[1] قال :لما احتضر عمر بن عبد العزيز قال أخرجوا عني فلا يبقى عندي أحد، وكان عنده مسلمة بن عبد الملك ،فخرجوا وقعد مسلمة و فاطمة أخته زوجة عمرعلى الباب،فسمعوه وهو يقول مرحبا بهذه الوجوه ليست بوجوه إنس ولا جان،وسمعنا صوت من ناحية أخرى من ناحية البيت يقول {تلك الدار الآخرة نجعلهاللذينلا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين}[2] ثم دخلوا عليه وقد مات رحمه الله وقد استقبل القبلة وغمض عينيه وأطبق فاه،وروي عنه لما مات ووضع في قبره بدير سمعان[3]، هبت ريح متدبره فسقطت منها صحيفة مكتوبة بأحسن خط رؤي فيها: بسم الله الرحمن الرحيم براءة من الله العزيز الجبار إلى عمر بن عبد العزيز من النار.

فأخذوها ووضعوها في أكفانه، وبالجملة فمناقبه رضي الله عنه كثيرة وكرائمه شهيرة ومن أراد ذالك فليطالعه في محله كسيرة العمرين[4]والحلية[5] وغيرهما،و كان رحمه الله إليه المنتهى في العلم والفضل والشرف والورع والتلاوة ونشر العدل[فجدد[6]]الله تعالى به للأمة دينها وصار شبيها بسيرة جده لأمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه[وقيل للإمام مالك رحمه الله أيقاتل عن الإمام، قال إن كان كعمر بن عبد العزيز فنعم وإن لا فدعه[7]]حتى ينتقم الله من الظالم بالظالم حتى ينتقم من الجميع.

وقال الشافعي رضي الله عنه الخلفاء الراشدون خمسة،أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم. وفي مذهب الإمام مالك رحمه الله، قال قائل أن امرأته طالق إن لم يكن عمر بن عبد العزيز من أهل الجنة،توقف فيه الإمام وقال ابن القاسم، لا تطلق عليه لأنه متفق على عدالته وصلاحه جميع الناس، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من أثنيتم عليه بخير وجبت الخ، فدخوله الجنة مقطوع به كما في العشرة رضي الله عنهم، قال ولا وجه لتوقف الإمام مالك فيه وكان رضي الله عنه كثيرا ما يتمثل بهذين البيتين وهما :

نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نـــوم والردى لك لازم

[1]- عبيدة بن حسان بن عبد الرَّحْمَن الْعَنْبَرِي من أهل سنجار مَدِينَة بالجزيرة من أصحاب الحسن البصري وهو ضعيف عند أهل الحديث.ابن عساكر:تاريخ دمشق. ج38،ص152.وأيضا محمد بن حبان: المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين،تح، محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب،1396هـ،ط1، ج2، ص189.

[2]- القصص 83.

[3]- دير سمعان: على ميل من معرة النعمان بالشام.البكري:المسالك والممالك.ج1، ص459.

[4]- سيرة العمرين لابن الجوزي.

[5]- حلية الأولياء لابن أبي نعيم الأصفهاني.

[6]-في أ فرد .

[7]- ساقطة من ب.

يغرك ما يفنى وتفرح بالمنا   كذالك في الدنياتعيش البهائم

ومما ينسب له رضي الله عنه :

إن كنت تعلم أن الله يا عــمر   يرى ويسمع ما تأتـــي وما تــذر

وأنت في غفلة عن ذالك تركب   ما عنه نهاك فأين الخوف والـحذر

تـــجاهر الله إقـــــداما عليه   وفي حثالة الناس تستحي وتـستتر

فانظر لنفسك يا مسكين في   مهل مدام ينفعك التفكير والنظر

قم بالمقابر وانظر إن وقفت   بــــها لله ماذا تستر الـــحفر

ففيهم لك يا مغرور موعظة   وفـــيهم لك يـــا مغرور معتبر

توفي رضي الله عنه فيما قال الدهلي[1]عن يحي بن بكير[2] في رجب سنة إحدى ومائة،قال يحي يختلف في سنه فمنهم من يقول تسع وثلاثون ومنهم من يقول سنه ست وثلاثون ومنهم من يقول مابين الثلاثين إلى الأربعين ولم يبلغهاومما رثاه به بعضهم قوله :

عنا جزاك مليك الناس صـــالحة   في جنة الخلد والفردوس يا عمر

أنت الذي لا نرى عدلا نـسر به   من بعده ما جرت شمس ولا قمر

ورثاه جرير[3] فقال : تـــنعى الـــنعاة أمـير المؤمنين   لنا فقصد[4]بيت الله واعـــتمرا

---

[1]- سعيد بن عبد الله الدهلي بِكَسْر الدَّال الْمُهْملَة وَسُكُون الْهَاء الْبَغْدَادِيّ أَبُو الْخَيْر نجم الدّين(712-749هـ) رَحل إِلَى دمشق ومصر والاسكندرية وَمَات بالطاعون فِي سنة 749 وَله 37 سنة قَالَ الذَّهَبِيّ لَهُ رحْلَة وَعمل جيد وهمة فِي التَّارِيخ وَيكْتب الاجزاء وَهُوَ ذكى عَارِف بِالرِّجَالِ،كتب بِخَطِّهِ وَحصل الأجزاء وَحفظ الوفيات وَجمع التراجم لكثير من أعيان دمشق وبغداد، .ابن حجر:الدرر الكامنة.ج2،ص 269.

[2]- يحيى بن بكير هو محدث مصر الإمام الحافظ الثقة أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن بكير المصري:صاحب مالك والليث أكثر عنهما.. كان من أوعية العلم مع الصدق والأمانة. 231هـ. الذهبي:تذكرة الحفاظ.ج2، ص7.

[3]- جرير بن عطية بن الخطفى، واسمه حذيفة، والخطفى لقبه، ابن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم بن مر التميمي الشاعر المشهور؛ كان من فحول شعراء الإسلام، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض، وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم بهذا الشأن، وأجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثل ثلاثة: جرير والفرزدق والأخطل. توفي 110هـ. ديوان الإسلام:ج2، ص63.ووفيات الأعيان،ج1، ص321.

[4]- ف ب ففضل.

حملت أمرا عظيما فما اصطبرت له وقمت فينا بأمر الله يا عمرا

وقال الفرزدق لما مات عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه :

لـــو أعظم الموت خلقا أن يـواقعه لعدله لم يصبك الموت يا عمر

كم من شريعة حق قد بعثت لـــهم كانت تموت والأخرى تنـــتظر

يا لهف نفسي ولهف الواجدين مـعي على العدول التي تفنى له المذر

ثـــلاثة ما رأت عينـــي لهم شبها تضمأ عظامهم في المسجد الحفر

وأنــــت تـتبعهم إذ كنت مــــجتهدا للحق والأمر بالــمعروف تبــتدر

لو كنت أملك والأقـــــــدار غالبة تـــأتي رواحا وتبيانا وتـــــبتكر

صـــرفت عن عمر المرضي مصرعه بدير سمعان لكن يـــغلب الــقدر

فـــــالله يـــــكرم مثواه ويرحمـهما فـــرض الـــحج بل ما سنة العمر

وفــــي مصاب رسول الله تـــسلية لمن يموت وفـــي إثـــباته عبر

هـــــو الرسول الذي مــــن الإله به عـــلى الـــبرية وازدادت له السير

وخــــير من ولـــدت عدنان قاطبة وخـــير من شرفت من أجله مضر

المصطفى المرتضى للخلق يـنقذهم من الضلالالذي في طيه الـــخطر

أعـــطاه مولانا مـــالم يـــعطه أحد خـــزائن الغيب منها الخير ينتظر

هو الحبيب الذي أسرى بـــه عجلا إلـــى السماء وجنح الليل معتكر

صـــــلى عليه إلـه العرش ما طلعت شمس وما خالفتها الأنـجم الزهر

اللهم إنا نتوسل إليك بنبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبحرمة[أصحابه و بحرمة[1]]سيدي عمر بن عبد العزيز، احشرنا في زمرتهم ومن علينا بالعتق من النار وأسكنا معهم من غير مناقشة ولا حساب ولا توبيخ ولا عقاب وجد علينا بالعفو والعافية واللطف والستر في هذه الدار و في تلك الدار يا أكرم الأكرمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

فصل ومن كرائم الشيخ سيدي محمد الشرقي رضي الله عنه ونفعنا به هو ما وجدته بخط بعض الطلبة من إخواننا وحاصله، أن بعض وزراء السلطان أحمد المنصور ذهبت امرأته إلى دار سيدي محمد الشرقي [رضي الله عنه ونفعنا به][2]واحترمت بها، فأتى الوزير إليها وأراد إخراجها فامتنعت من ذالك ،فذهب شاكيا إلى السلطان المذكور و بسيدي محمد الشرقي فأخبر الشيخ بذالك رضي الله عنه فأنشد بيتين من الملحون وهما :

الصالحين أماليا الراكبين على الاهداد الزمان اغدر فيا و ابن هلال أداه الواد

وابن هلال هواسم الوزير المذكور، فكان كما قال الشيخ ،وإنه لما ذهب إلى مراكش يشتكي بالشيخ فمر بوادي أم الربيع في طريقه فدخل الوادي فغرق ومات، نسأل الله العافية من سخط أوليائه ومن معاداتهم ومن مبارزتهم بالمحاربة :

[قوم][3]إذا عبث الزمان بأهله كان المفر من الزمان إلـيهم

وإذا أتـــيتهم لـــدفع ملمة جادو عليها بما يكون لديهم

ولشيخنا الإمام وقدوتنا الهمام في مدح هذا الشيخ سيدي محمد الشرقي ونفعنا به هذه الأبيات وهي:

ألا عـــرج عـــلـى بـــــابي فـــإن سعيي لا يـخيب من أتاني[4]

وواصلنـــــي إذا مـــــا هـــــاله ولـــترى الفرج الجلي بلا تواني

ومرغ في مقامي الــــخد وأبشر بـــما تـــهواه مـــن نيل التهان

---

[1]- ساقطة من أ.

[2]- ساقطة من ب.

[3]- ساقطة من أ.

[4]- في ب : سخي لا أخيب من أتاني .

أنـــــــا الشرقي الذي قد طاب أصلي وقربني المهيمن واجتبـاني

أنـــا الطود الذي قد بان فضلي وزال الـــران عـــــن من رءاني

أنـــا الليث الهصور[1] بغير شك أذود الروع عـــمن جاء جـــاني

أنا الروض الأريض[2] هـلم نحوي فمالي في الندا والـــجود ثـاني

أنـــا فجر الهداة بـــكل قطر أنـــا العز المؤمل في الهوان

فـــكم فـــرجت منهم وكرب وكم فككت بعد اليأس عـان

وكم طهرت من قلبي فـأضحى بـــعيد البعد مـــن مولاه دان

فحط الرحل وأنزل فـي مقامي همــــام عـــزيز الناس شان

وقـــــــد أولاني ما أهواه ربي ومـــن كـــأس الصفا سقاني

فيـــا من رام أن يحضى بسؤل أنـــا مـــفتاح أبواب الأمان

فلا يـــخطر ببالك غـــير أني سخـــي لا أخيب من أتاني

فصل ومن كرائم الشيخ سيدي محمد الشرقي رضي الله عنه،ما يحكى أن السلطان المنصور المولى أحمد الذهبي لما وقع له الظهور بعث عليه عددا كثيرا من أصحابه ،بحيث أن العادة تقضي أن الواحد لا يقوم بمؤنتهم وقصد السلطان المذكور إظهار عجز الشيخ، ثم لماوصلوا إليه قالوا ما اشتهينا ولا نأكل إلا الدشيشة ،وهي القمح المكسور بالأرحى يطبخ ويأكل،وهو المسمى بالهريسة أيضا ،والزيت لكون الزيت في هذه البلدة قليل الوجود لأنه لا يأتي إلى من بادية مراكش لهذه البلاد، فلما وصل وقت العشاء قال سيدي محمد الشرقي للناس، اذهبوا إلى وادي أم الربيع فإنه لا يجري في هذه الليلة إلا بالزيت، فذهبوا ووجدوه على تلك الحالة يتقلب زيتا ،فاستقوا منه ورجعوا وقدموا إلى الناس العشاء وهوالدشيشة والزيت، فأكلوا وشبعوا من عند آخرهم،وشاع ذالك في الناس فكل

---

[1]- الهصور: الشديد الذي يفترس ويهرس.تاج العروس،ج14،ص 436.

[2]- الأريض: الموضع الحسن النبات. أبو عمر الزاهد المطرز الباوَرْدي، المعروف بغلام ثعلب: العشرات في غريب اللغة.تح يحيى عبد الرؤوف جبر،المطبعة الوطنية،عمان،ص 68.

من صدق بذالك وذهب إلى الوادي يستقي،ما أتى إلا بالزيت،ويقال أن الدسومة الباقية الآن التي توجد بالثياب بعد الغسل من حين إجرائها بالزيت والله أعلم .

فانظر إلى هذه الكرامة الباهرة والمنقبة الفاخرة التي أجراها الله على يد هذا الولي، وأكرم بها هذا القطب الجامع والبدر الساطع،وأظهرها الله معجزة لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فيه، يتبين لك فضل هذا الولي وتظهر لك علو مرتبته وسمو منزلته واختصاصه بمكانة لم ترى لأحد ممن له نصيب في هذا الشأن، فهي الكرامة التي حقها أن تكتب[1] في بطون الدفاتر وتعرفها أهل النهايات والبصائر ،إذ هي في الحقيقة معجزة لنبينا صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه وعلو مرتبته حيث أن معجزاته صلى الله عليه وسلم لا تنقطع على مرور الدهور وتوالي العصور ومعجزات غيره انقضت لوقتها اللهم بجاهه أسألك الفوز بدار النعيم وتفضل بما تشاء من النعيم ولي في هذا الولي قصيدة امتدحته بها وهي:

لـــقد حاز فضل الله من أتى قاصدا	ضريح الإمام المرتضى سـيدي الشرقي[2]
ولاح عـــــليه نـــــوره ورشـــــاده	فلم يختش كـــيد الظلال ولا الخرق
ومـــــد عـــــليه ظله وغدا له منار	الـــــهدى يغدوا[3]كما البدر في أفق
وأرخـــــى عـــــليه ذيـــل ستر مؤبد	فلا نكبة تخشى ولا خوف من سحق
ونال به ما يرتـــــجى مـــن مطالب	وفـــاز بفضل الله مـــن طيب الخلق
فـــقل لذوي الحاجات تقصد جنابه	وتلتذ به عند الخطوب و في الضيق
هنيئا لكم قد حــــبيتم باب حاتم	ظفرتـــم بما ترجون من قطبنا المرق

[1]- في ب تثبت.

[2]- قال العلامة بن باز رحمه الله:دعاء الأموات والأصنام والأحجار والشجر وغيرها من المخلوقات والاستغاثة بها أو الاستنصار بها والذبح لها والنذر لها والطواف بها كل ذلك من الشرك الأكبر؛ لأن ذلك كله من العبادة لغير الله ومن أعمال المشركين الأولين والآخرين، فالواجب الحذر منها والتوبة إلى الله من ذلك. عبد العزيز بن عبد الله بن باز: مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله. أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء،الرياض،السعودية، ج7،ص 428.

[3]- في ب يبدوا.

فما زال ترياقا[1] لأهل الحوائج ... ومنقذ أهل الغرق في آخر الرمق

وأتيتم إلى طود الوجود ملاذ من دعا ... خائفا من صولة الدهر والخنق

وسرتم إلى ركن المعالم والتقى ... دخلتم بحمد الله في أوضح الطرق

آويتم إلى حصن منيع فكل من ... أتى نحوه قد فاز بالأمن من ضيق

منيع الجنان لا يظام نزيلهم ... فوق الزمام في الشدائد والفرق

عظيم المزايا لا تسأ بين همامه ... كثير العطايا لا يضاهى بذي صدق

فكم من أسير فك عنه قيوده ... وكم من صريخ قد نجا به من غرق

وكم من عليل قد شفى بعلاجه ... غدا بريئا ما احتاج للضر من يرق

وكم من فقير قد أزال افتقاره ... وعوضه فضلا عريضا من الرزق

هو القطب لا قطب غيره [يدانيه[2]] في الورى ... هو الغوث لا غوث يماثل ذا العبق[3]

مكانته تعلى على كل فاضل ... ورتبته خصت لدى مقعد صدق

هو البحر أن تقبل إليه فلا تجد ... ببابه بوابا ولا كلفة الغلق

إمام به تقضى حوائج راغب ... ينال به كل المطالب بالرفق

سقاهم من الصهباء كؤوسا عتيقة ... وأضحوا نشاوى غائبين عن الخلق

تجاذبت الأقوام روح مدامه ... وفازوا به ماشابه كدر المذق[4]

1- تِرْياق :دَواءٌ شافٍ من السُّمّ، ما يضادُّ عملَ السُّمِّ في الجسم أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغةالعربيةالمعاصرة.ج1، ص292.

2- ساقطة من أ.

3- في ب ذا السبق.

4- إذا خُلط اللبنُ بِالْمَاءِ فَهُوَ المذِيق؛ وَمِنْه قيل: فلانٌ يَمْذُق الوُدَّ: إِذا لم يُخْلِصْه؛ وَهُوَ المذْقُ أَيْضا.الهروي:تهذيب اللغة.ج9،ص77.

هـــــــي الـــــخمر لا كـــالخمر هام بحبه اكــــــرام ولم تجعل بقدر ولا زبق[1]

بــــــها هـــــــــام وجدا مــــالك وابن أدهم[2] جنـــيد وشيخه السري[3] ذوي عشق

وطــــــــاب لـــــــــهم ذاك الشراب وحــبذا بـــــــشراب يحي النفوس عن الرق

إذا مــــــــا الـــــــفتى أضحى يدير كؤوسها تجـــلى بأوصاف الكمال وبالشوق

تـــــــجلت لـــــــــه الأسرار بـــــعد خفائها وخص بتوفيق وحفظ مــــــن الزلق

وتـــــــــهتز أرواح الـــــــجــــبال صبــــــابة تـــــحن إلى بدء النشو و تـــسترق

ويفنى ولـــــــــم يشعر بوصف فنائه ولا الـــغير مشهودا لذي عارف مسق

وتـــــــكسبه أنسا و حشا وغــــــيبة شـــــهودا ووجد الشاربين بـــل قرف

وســــــكر وصحوا وانقباض وبسطة ووجدا وفقدا واشتياق أهل الــــــذوق

فطوبى لمن قد حاز حضا من الشرقي إمــــــام ســـراج السالكين بذي الأفق

فلذ بجناب الشرقي إنت كنت طالبا تنـــــل خير ما ترجوا من ظاهر العرق

كــــرائمه أضحت تفوق ذوي النهى فــــضائله شاعت بين الغرب والشرق

ومـــــــــن فضله أن كان وارث سره هـــــــمام به تهوى الأنام إلى الحق

فـــــكان الإمام المعطي ركنا لراغب وملجأ ذوي الحاجات يعطي بلا نطق

بــــــه تنجلي أحزاننا وهـــــــمومنا بــــــه نبـــــلغ المأمول في لحظة يسق

---

[1]- زبق:هو الزئبقيهمز ويلين في لغة.العين،ج 5،ص93.

[2]- إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر العجلي ، وقيل: التميمي، أبو إسحاق البلخي الزاهد، سكن الشام.مات إِبْرَاهِيم بْن أدهم سنة 161هـ. ودفن بسوقين، حصن ببلاد الروم. جمال الدين ابن الزكي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال.ج2،ص 27.

[3]- السري بن المغلس، أبو الحسن السقطي صحب معروفا الكرخي، وحدث عن هشيم، وأبي بكر بن عياش، ويزيد بن هارون، وكان من العبادالمجتهدين.توفي 253هـ.ابن الجوزي: المنتظم،ج12، ص66. وشذرات،ج3، ص 240.

سـما مـجده فوق الثريا ونـهجه ... مـنير مزيل للحماية والـحمق

مـقام له في الحب والوجد فائق ... تـعاظم عن زيد وعمر وذي مرق

بنـجله ذي المقدار سيدي صالح ... سـراج الهداة السالكين ذوي سـبق

تنال الـمنا من فضل جوده والهنا ... ونقطف ما شئنا من روضه من منـق

مـزيل الظلام عن قلوب ذوي النهى ... غـياث أسير كـان فـي عـنق

كـريم السجايا ذو محاسن جمه ... كثير العطايا بـالبشاشة والـطـلق

وحـيد فـلا فـرد يـماثله ... ولا يدانيه ذو زهد كـثير ولا عـمق

تـكلف قـوم ثناؤه ومدامه ... فلم يبلغوا بعض الذي ليس في طـوق

رقـا رتـبة للمنتهى وهو مبتدي ... ولم يتكلف سعي مـجتهد مـرق

لـقد ساح قـوم في القفار وأنه ... يـسيح بطرف السماوات مـن فوق

بنـجل الإمام المعطي سـيدي صالح ... أرجو المنـى والفوز من وابل الودق

وإنـي لعبد للكرام بني الـمعطي ... بنفسي وعرضي دونـهم مثل الدرق

بـجدهم بحرا الـكمال مـحمد ... غياث الورى الشرقي ننجا من المحق

أيـا كرماء الغرب لا زال فـضلكم ... وبـحركم يشفى به غصص الحلق

ويـا سادة مـا للفقير سواهم ... بـهم يرتجى كشف النوائب والرق

فـجودوا لمن أضـحى عليلا بباكم ... وأمـسى رهينا راجيا عصمة الـخرق

بـجاه النبي المصطفى سيد الورى ... وبالآل والأصحاب طرا أولي الـحق

وعليه الصلاة دائما والسلام ما غـدى ... الريح يـجري في الغصون وفي الورق

وقولي سقاهم بكأس من سلاف عتيقة والنسخة المتقدمة هي من الصهباء كؤوس عتيقة لا زال الصالحون الأولياء و الفضلاء يصرحون بهذه الصهباء ويمدحونها وهي موجودة في كلامهم كثير كقول قطب الوجود سيدي ومولاي عبد القادر الجيلاني في قصيدة له :

سقاني بكأس من مدامة حبه   فكان من الساقي خماري وسكرتي

ينادمنـــــي في كل يوم وليلة   ومـــــا زال يرعاني بعين المودة

وكقول هذا القطب سيدي محمد الشرقي رضي الله عنه في أبيات له من الملحون سأذكرهم إن شاء الله :

واشتقت وأشغفت   وأشربت كأس التراق

وقد جعل فيهاسلطان المحبين أبو حفص عمر بن الفارض رضي الله عنه قصيدة وهي:

شربنا على ذكر الحبيب مـــــدامة   سكرنا بها من قبل أن يخلق الكريم

لها البدر كأس وهي شمس يـديرها   هـــلال ولم يبدو إذا خرجت نجم

ولو لا شذاها ما اهتديت لــحاقها   ولـــو لا سناها ما تصورها الوهن

ولم يبقي منها الدهر إلا حـــشاشة[1]   كأن خفاها في صدور النها[2] كـــــتم

فإن ذكرت في الحي أصبح [أهله[3]]   نشاوى ولا عتاب عـــــــليهم ولا إثم

ومن بين أحشاء الدنيا تــصاعدت   ولـم يبقى منها في الحقيقة إلا الاسـم

وإن خطرت يوما على خاطر أمري   أقـــــامت به الأفراح ارتحل الــــــهـم

ولـــــــو ناظر الندمان ختم إنائها   لأســــــكرهم من دونها ذالك الختم

ولــــو نضحوا منها ثرى قبر ميت   لـــــعادت إليه الروح وانتعش الجسم

1- الحُشَاشَةُ بضَمِّها: بَقِيَّةُ الرُّوحِ فِي القَلْبِ.تاج العروس، ج17، ص149.

2- النها جمع نهاة، ومصدر نهي.والنهامَقْصُور نهاء. محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني: إكمال الأعلام بتثليث الكلام.تح سعد بن حمدان الغامديجامعة أم القرى – مكة المكرمة – المملكة السعودية، 1404هـ، 1984م،ط1،ج2، ص730.

3- في أ ذكره.

ولـــو طرحوا في فيء حائط كرمها عليــــلا وقـــد أشفى لفارقه السقم

ولو قربوا من حانــها مقعدا أمشى وأنــــطق مـــن ذكر مدامتها البكم

ولو عبقت في الشرق أنفاس طيبها وفـــــي الغرب مزكوم لعادله الـــشم

ولـــو خضبت من كأسها كف لا مسلما ظل فـــي ليل وفي يده النجم

ولـــــو جلبت سراعلى أكمه غدا بـــصيرا ومن راو لــــها تسمع الضم

ولـــــو أن ركبا يمموا قرب أرضها وفـــي الركب ملسوع لما ضره السم

ولـــــو رسم الراقي حروفا اسمـــــها عـلى جبين مـصاب جن أبراه الرسم

وفوق لواء الـــجيش لو رقم اسمها لأسكر من تحت اللوا ذالك الـــرقم

تـــــهذب أخلاق الندامى فيهتدى بــــها لـــــطريق العزم من لا له عزم

ويـــكرم من لا يعرف الـــجود كفه و يــــــــحلم عند الغيظ لا له حلم

ولو لا نال قدم القوم لثم لثـامها لأ كـــــسبه مـــعنى شمائلها اللثم

يقولون لي صفها فأنت بـــوصفها خبير جل عندي بــــأوصافها علم

صفاء ولا ماء ولطف ولا هـــوى[1] ونـــــور ولا نار وروح ولا جــــسم

تـــــقدم كل الكائنات حـــديثها قديــــما ولا شـــكل هناك ولارسم

وقـامت بها الأشياء ثم لحكمة بها احــــتجبت عن كل من لا له فهم

وهامت بها روحــي بحيث تمازجا اتـــــحادا ولا جرم تــــــحلله جرم

فـــخمر ولا كــــرم وآدم لي أب وكــــــرم ولا خـــــمر ولأمــــها أم

وقـــــد وقع التفريق فالكل واحد فأرواحنا خـــــمر وأشـــــباحنا كرم

[1]- في ب هدى .

ولطف الأواني في الـحقيقة تابع   للطف المعانــي والمعاني بها تسم

فــــلا قبله قبل ولا بعدها بعد   وقـــبلية الأبعاد فهي لـــها ختم

وعصر المدامى قبله كان عـطرها   وعهدا بـــينا بعدها ولـــــها اليتم

محاسن تهدي المادحين لــوصفها   فيــحسن فيها منهم النثر والـــنظم

ويطرب من لم يدرها عند ذكـرها   كمشتاق ونعم كـــلما ذكرت نعم

وقالوا شـــربت الإثم كلا وإنـــما   شربت التــي في تركها عندي الإثـم

هنيئا لأهل الدين كم سكروا بـها   ومـــا شربوا منها ولـــكنه هــــم

فعنـــدي منها نشأة قـبل نشأة   معي أبدا فيبقى وإن بلى الـــعظم

عليك بها صرفا وإن شئت فرجها   فعدلك عن ظلم الـحبيب هو الظلم

ودونــكها في الحال واستحلها به   على نغم الألــحان فـــهي به غنم

فما سكنت والهم يوما بـــــموضع   كــــذالك لــم تسكن مع النعم الهم

وفـــي سكرة منها ولو عمر ساعة   تــرى الدهر عبدا طائعا ولك الحكـم

فلا عيش في الدنيا لمن عاش صـاحيا   ومن لم يمت سكرا بها فاته الـــحزم

عــــلى نفسه فليبك من ضاع عمر   هو ليس له فيها نـــصيب ولا سهم

وقال أبو علي رضي الله عنه في قصيدة له:

ومـــــشمولة صهباء ماقط شابها   بـــوارقه الـــحاني ولا حلت القدرا

بها هامـــت الأرواح من قبل خلقنا   ومــــن بعدما كنا وإذ نبلغ الـــحشرا

فـكم ولهت فكر ابن عيسى ومالكا   وكم أطربت سهلا وكم أشغفت بـشرا

إذا ما تخشاها الفتى لم يـخف بها   جـــناحا ولكن يبتغي عــندها الأجرا

تـــــحمله الأوزار غـــــير مـــــذمم بأعبائها العظمى ولــم يحمل الوزرى

وتـــــــــبرد علات الحشا وتشيبها أوارا[1]وتعطى الرشد والسفه الـــحجرا

وتورده قبضا وبـــــــــسطا وفـــرقة وجـــــمعا ولسانا[2]وتـــــورثه شـــــعرا

فـــــــــلو لا رجاء الفوز منها بشربة تداوي عقائل الهوى والجوى الـــغمرا[3]

لكانت أكف البين تصدع بالــــجوا[4] زجاجة أحشائي ولم أملك الـــــجبرا

والمراد بالخمر عند هؤلاء رضي الله عنهم وهي الراح والصهباء والمدامة أيضا، هي الخمرة الربانية القلبيةوهي لطف من

الله تعالى ونور يرد على القلب ،فاستعاروا له اسم الخمر للشبه الواقع في اللذة والانفعال وهي التي أشار إليها ابن الفارض في القصيدة المتقدمة بقوله:صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى ونور ولا نار وروح ولا جسم .فمهما أطلقت عند هؤلاء القوم فالمراد بها هذا وليس المراد بها الخمر المعلوم عند الناس، ولهذ لما خفي على بعضهم مرادهم بها و مقصود أرباب القلوب بالخمر أنكر على من أنشد قول القائل:

لو كان لي مسعد بالروح يسعدني لـما نضرت لشرب الراح إفطار

الراح شيء شريف أنـــت شاربه فاشرب ولو حملتك الراح أوزارا

وبعد البيتين :

يامن يلوم على صهباء صافية خذ الجنان و دعني أسكن النار

---

[1]- الأُوارُ، بِالضَّمِّ: شدَّةُ حُرِّ الشَّمْسِ وَلَفْحُ النَّارِ وَوَهَجُهَا والعطشُ، وَقِيلَ: الدُّخان واللَّهَبُ. لسان العرب،ج4،ص 135.

[2]- في ب و نسيان.

[3]- الغَمْر: الماء الكثير المغرق .العين،ج 4،ص416.

[4]- الجوى مَقْصُور وَهُوَ أَلم يجده الْإِنْسَان فِي قلبه من مرض أَو غم .ابن دريد:جمهرة اللغة .ج1،ص230.

وقصته كما ذكر تاج الدين ابن عطاء الله في "لطائف المنن"وذكرها ابن عباد[1] وأبو علي[2] أن إنسان انشد البيتين المذكورين بحضرة الشيخ مكين الدين الأسمر[3] رضي الله عنه فقال بعض الحاضرين لا يجوز إنشاد هذا الشعر وأنكر على المنشد فقال الشيخ مكين الدين للمنشد أنشد فإن الرجل محجوب.

قلت و في هذه الحكاية أمران، أحدهما ذكر الصهباء والآخر اختلاف أفهام الناس، فإن الرجل لما فهم مايعطيه اللفظ بظاهره وما توصل إليه بحسب عقله وحجب عن ما وراء ذالك من المعاني النفيسة والعلوم الرفيعة، أنكر على المنشد،والشيخ مكين الدين لما كان من أهل الفهوم اللدنية والأحوال الربانية والأذواق النورانية والمدد الإلهي والشراب العرفاني فهم بحسب مقتضى الحال، وهذا من أحوالهم كثير رضي الله عنهم، ينقدح في ذهنهم ما لم يخطر للمتكلم على بالولم يوضع له اللفظ بحال ولم يجعله الواضع أن يدله عليه ولا مطابقا له في الخروج،وهم في ذالك مختلفون أيضا بحسب تفاوت مقامهم واختلاف أذواقهم كما قال سبحانه وتعالى {يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل}[4] وقد قال{علم كل أناس مشربهم }[5]وذكر أبو علي في شرح أبيات مكين الدين ما نصه،الراح الخمر وفسرها بما تقدم، والجنان جمع جنة أي خذ جنان الشهوة وراحة النفس ودعني أسكن نار الشوق،والأوزار يفهم منه أعباء المحبة ،والشوق ما يتحمله أصحاب ذالك، وذكر حكاية النفر الثلاثة التي ذكر تاج الدين بن عطاء الله،وذكر ابن عباد في قوله،عبارتهم إما لفيضان وجد أو لقصد هداية مريد الخ .

هي أن ثلاثة سمعوا مناديا ينادي : يا سعتر بري. فسبق إلى فهم الواحد منهم أن الصائح يقول آسع ترى بري، وفهم الآخر أنه يقول،الساعة ترى بري .وفهم الآخر أنه يقول يا سعة بري،وكان سماع الثلاثة جميعا من الحق تعالى إلا أن كل واحد منهم فهم على حسب حاله،أما الأول فكان سالكا مبتدئا فورد عليه الأمر بالسعي والجد مع ما يفيد تنشيطه من الترجية برؤية البر بكسر الباء وهو الإحسان والتفضل من الله تعالى، وأما الثاني فكان

---

[1]- محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مالك بن إبراهيم بن محمد بن مالك بن إبراهيم بن يحيى بن عباد النفزي الحميري الرندي، أبو عبد الله، المعروف بابن عباد:(733 - 792 هـ) متصوف باحث، من أهل " رندة " بالأندلس.تنقل بين فارس وتلمسان ومراكش وسلا وطنجة، واستقر خطيبا للقرويين بفاس، وتوفي بها، له كتب منها " الرسائل الكبرى " في التوحيد والتصوف ومتشابه الآيات، و " غيث المواهب العلية بشرح الحكم والعطائية " ويعرف بشرح النفزي على متن السكندري.الزركلي.الأعلام.ج5،ص 299. ومحمد حجي:موسوعة أعلام المغرب.ج2،ص 705.

[2]- هو أبو علي اليوسي وذكر القصة في كتابه :المحاضرات في اللغة والأدب.

[3]- مكين الدين الأسمر عبد الله بن منصور الاسكندراني الشاذلي(610-692هـ). صاحب مكاشفات وأحوالوهو فقيه محدث،مولده ووفاته بالاسكندرية ودفن بجانب أبو العباس المرسي.الكوهن الفاسي:طبقات الشاذاية الكبرى.ص 85.

[4]- الرعد 4.

[5]- البقرة 60.

سالكا تطاول به السير فورد عليه التنفيس والتبشير برؤية البر الساعة، وأما الثالث فكان سالكا قد شهد الفضل فورد عليه الخطاب على وفق شهوده بأن برأ لله تعالى ما أوسعه.

قال أبو علي،فهذه فهوم اختلفت وفصلت من إلقاء الله تعالى عليها، فأفهمت بسبب مجرد مناسبة ما في اللفض المسموع،وإن لم يكن طبقا له لا إفرادا ولا تركيبا ولا حقيقة ولا مجاز، فإن القائل إنما أراد السعتر المعروف البري بفتح الباء أي غير البستاني، فسبحان اللطيف الخبير وذكر أمثلة من نحو هذامنها قول أبي نواس[1] في ممدوحه:

تغطيت عن دهري بظل جناحه   فعيني ترى دهري ولـــيس يراني

فلو تسأل الأيام عنــي ما درت   وأين مكاني ما عرفن مكانـــي

وقوله في الخمريات: إذا العشرون من شعبان ولـــت   فواصل شربك ليلك بـــالنهار[2]

ولا تـــــشرب أقـــــداح صغار   فقد ضاق الزمان عـلى الصغار

قال أبو علي فصار البيتان الأولان مشربا عندهم في حق أهل كهف الأيواء من الأصفياء الأخفياء، والبيتان الآخران صارا عندهم موعظة في الإكثار من العمل الصالح والتشمير للتزود للمعاد ولا سيما عند إيناس قرب الأجل، و خشية فوات الأمل، وذكر في "لطائف المنن" أن فقيها كان ببغداد يقرأ اثنا عشرة علما فخرج يوما قاصدا للمدرسة فسمع منشدا يقول :إذ العشرون الخ،فخرج هائما على وجهه حتى أتى مكة،ولم يزل بها مجاورا حتى مات.

قلت ومما يلحق بهذ ما قيل أن بعض الصالحين كان يوما جالسا مع جماعة من الطلبة،فأتاه بعض الناس يشتكي عليه من أمر الوالي بالبلد وأتى بكاغد ليكتب له فيها إلى ذالك الوالي، فأشار إلى بعض الحاضرين بإنشاد البيت المعلوم وهو :

---

[1]- أبو علي الحسن بن هانئ المعروف بأبي نواس الشاعر ولد سنة 136 أو 145هـ وتوفي سنة 195هـ أو 196 أو 198 هـ؛ ولد بالأهواز، ونشأ بالبصرة؛ وقيل: كان مولى للجراح بن عبد الله الحكمي والي خراسان.قال عمرو بن بحر الجاحظ: ما رأيت رجلاً أعلم باللغة من أبي نواس، ولا أفصح لهجةً وتوفي ببغداد. وفيات الأعيان،ج2،ص 103.

[2]- البيتين فيهما استهزاء بما شرعه الله وهو الصيام والجرأة على ما حرم الله وهو شرب الخمر.

قوم إذا سمعوا الصريخ رأيتهم   من بين ملجم مهره وسافع[1]

فوقع في خاطر بعض الحاضرين أنه أراد أهل الإغاثة، فقال الشيخ هؤلاء أهل الإغاثة ثم صاح صيحتين عظيمتين وقسم الكاغد على نصفين ونادى يا كريم مرتين، فقوله قوم يريد بهم أهل الإغاثة،وقوله إذا سمعوا الصريخ أتاهم، يعني المنادى عليهم،وقوله كما بين ملجم مهره وسافع، عبر به عن اختلاف مراتبهم بالسرعة والبطو،كما في قصة الشيخ سيدي محمد الشرقي مع سيدي الشيخ صاحب الفيض المتقدمة مع المرأة التي سقط ولدها من ظهرها،وهذا المعنى لم يقصده الشيخ ،وذكر أبو علي أبيات عبد الصمد بن المعذل[2] وهم:

يـــا بديع الدلو الغنج   لك سلطان على المـهج

إن بيتا أنت ســــاكنه   ليس محتاجا إلى الـسرج

وجهك المأمول حجتنا   يوم يأتي الناس بالحجـج

وصار هذا أيضا لهم فيه مشرب عظيم،وسمع صوفي هذا البيت من جارية فتواجد وصاح ولم يزل كذالك حتى مات. قال أبو علي في شرحه البيت، فيها عند السامع هو القلب والساكن فيه هو الحق تعالى شهودا وحضورا وفي

الحديث القدسي(لم يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن)[3]والوجه وجهه و الضمائر تعود عليه،وفي مناقب الشيخ أبن الحسن الشاذلي رضي الله عنه أنه في مسيره إلى المشرق كان في محفته، فكان فتيان ذات يوم يمشيان تحته في ظلها ثم جعل يتحدثان، فقال أحدهما يا فلان ما لي أرى فلان يسيء إليك وأنت تتحمل منه ،فقال والله ما كان ذالك إلا أنه من بلدي فكنت كما قال القائل:

رأى المجنون في البيداء كلبا   يجر له من الإحسان ذيــلا

---

[1]- ا سافع:آخذ بناصيته.لسان العرب،ج8، ص158.

[2]- المغربي الاشبيلي المعروف بالمعدل:عَبْد الصمد بْن المعذّل العْبديّ الْبَصْرِيّ، الشاعر المشهور، توفي بين 231 – 240 هـ.أخو أَحْمَد بْن المعذل الفقيهَ.انَ من فحول الشعراء.تاريخ الإسلام.ج5، ص871.

[3]- حديث لا أصل له. انظر زين الدين محمد الحدادي ثم المناوي القاهري :فيض القدير شرح الجامع الصغير. المكتبة التجارية الكبرى، مصر الأولى، 1356هـ،ج2،ص496. وانظر أيضا ابن حجر الهيتمي: الفتاوى الحديثية .دار الفكر،ص206. و الألباني: السلسلة الضعيفة،ج 11،ص176، رقم 5103.

فلاموه على مـــا كان منه　　فقالوا لما أنلت الكلب نبلا

فقال دعو الملام فإن عيني　　رأتـــه مرة في حيـــــي ليلا

فسمعه الشيخ فتواجد وجعل يقول دعوا الملام فإن عيني البيت ويكرره، ثم خلع غفاريته ورمى بها إلى الفتى المنشد وقال له أنت أولى بها يا بني،ثم قال وليلى عبارة عن المحبوب عند السامع إما خالقا[1] أو مخلوقا، وواحد أو جماعة كأهل الله وطائفة المحبين والمنتسبين أو للمصطفى صلى الله عليه وسلم أو سنته أو نحو ذالك مما يخطر بالبال،قال أبو علي بعد أبيات عبد الصمد وههنا مزلقة تقشعر منها الرؤوس وتشمئز منها النفوس.

وحكى الإمام الرازي في كتاب التعبير[2] قال أخبرنا أحمد بن عمرو الصوفي بمكة حرسها الله،قال أخبرنا أبو بكر الطوسي قال،قال عثمان تلميذ الحرار[3] رضي الله عنه : بات عندي أبو سعيد فلما مضى بعض الليالي صاح يا عثمان قم أسرج فقمت فأسرجت فقال ويحك رأيت الساعة كأني في الآخرة والقيامة قد قامت فنوديت فوقفت بين يدي الله تعالى وأنا أرتعد ولم يبقى على شعرة إلا وقد قامت فقال أنت الذي تشير إلي في السماع وإلى سلمى و بثينة ولولاأعلم أنك صادق في ذالك لعذبتك عذابا لم أعذب به أحدا من العالمين[4]

انتهى، قال أبو علي،فتعوذ بالله من جسارة تؤدي إلى خسارة ونحن نستعيذ به من ذالك ،نقلت ومما يناسب هذه الحكاية التنزيه في منصب الربوبية واجتناب كل ما يؤدي بالتجاسر على الحضرة الإلهية حكاية تذكر لكنها ليست من هذا الباب، لكنها تذكر لمراعاة الأدب وبها يتحفظ الإنسان ويتيقظ وينزه جانب الكبير المتعال عما لا يليق بحق المولى جل جلاله،وهي أن بعض العلماء قال أن سبب توبة أبي العتاهية[5] الشاعر المعلوم أنه قال في قصيدة له:　الله بيني وبين مولاتي　　أبدت لي الصد والموالاة

---

[1]- لم يذكر العلماء أن ليلى من أسماء الله، تعالى عن ذالك علوا كبيرا.

[2]- في كتاب المحاضرات لليوسي الذي ينقل عنه المؤلف،كتاب" الإشارات في التعبير"

[3]- في المحاضرات عثمان الأحول تلميذ الخراز.

[4]- جاءت القصة في موضع آخر كما يلي:روى عَن عُثْمَان تلميذ الشَّيْخ الشبلي قَالَ بَات عِنْدِي أَبُو سعيد فَلَمَّا مضى بعض اللَّيْل صَاح بِي عُثْمَان قُم أَسْرجفَقُمْت واسرجت فَقَالَ رَأَيْت السَّاعَة كَأَنِّي فِي الْآخِرَة وَالْقِيَامَة قد قَامَت فنوديت فوقفت بَين يَدي الله تَعَالَى وَأَنا ارتعد فَقَالَ أَنْت الَّذِي تُشِير فِي السماع إِلَيْهِ مُسلما لَوْلَا أعلم أَنَّك صَادِق لعذبتك عذَابا لَا أعذبه أحدا من الْعَالمين. خليل بن شاهين الظاهري: الإشارات في علم العبارات. دار الفكر، بيروت،ص 874.

[5]- إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، أبو إسحاق العنزي المعروف بأبي العتاهية الشاعر توفي(130- 211هـ)أصله من عين التمر، ومنشؤه الكوفة، ثم سكن بغداد وكان يقول في الغزل والمديح والهجاء، ثم تنسك وصار قوله في الوعظ والزهد. تاريخ الطبري،ج8، ص618. و المنتظم،ج10، 236ص.

فقيل له في المنام ماوجدت أن تجعل بينك وبين امرأة في الحرام إلا الله ،قال فاستيقظ مرعوبا مذعورا فتاب ولم ينظم بعد ذالك بيتا من الشعر إلا في الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والمواعظ، فمن محاسن شعره في الزهد في الدنيا قوله

هـــي دار[القذا[1]]والأذى وداراا لـــفناء ودار الـــغير

فــــــلو نلتها بحذافرها لمت ولم تقضي منها الوطر

أيـــا من يأمل طول البقا وطـــــول الحياة عليه ضرر

إذا ما كبرت وبان المشيب فلا خير في العيش بعد الكبر

وقوله :

ألا نــحن في الدنيا قليل بقاؤها ســـــريع تـــــعريها وشيك فناؤها

تزود من الدنيا التقى والـــنهى فقد تنكرت الدنيا وحان انـقضاؤها

تــــرقى من الدنيا إلى غير غاية ســــموت إليـــها فالمنايا وراءها

ومن كلفته النفس فوق كـفافها فـــما ينقضي حتى الممات عـناؤها

وقوله :

ألا إنـــــما الـــدنيا متاع غرور ودار صــــعود مرة وحدور[2]

كـــفى عبرة أن الحوادث لمتزل تصيرأهل الملك أهــل قبور

خليلي كم من ميت قــد حضرته ولكنني لم أنتفع بـــحضور

ومن لم يزده الدهر ما عـاش عبرة فذالك الذي لا يستنير بنور

[1]- في أ القرار.

[2]- حدور:هبوط.ابن دريد:تهذيب اللغة.ج4، ص236.

[و قوله[1]]:

إني سألت القبر ما فعلت بعدي	وجــــــوه فيك منعفره[2]
فأجـــابني صيرت ريــــــحهم	تؤذيك بعد روائح عطره
وأكـــــلت أجــــــسادا منعمة	كان النعيم يــزينها نظره
لــــم أبق غـــير جماجم عريت	بيض تلوح وأعـظم نخره

وقوله:

تفكر قبل أن تـــندم	فإنك ميت فـــــاعلم
ولا تغتر بـــالدنيا فإن	صـــــحيحها يـــسقم
وأن جديدها يبــــلى	وأن شبابـــــــها يهرم
[وأن نعـــــيمها يفنى	فترك نعـــــيمها أحزم[3]]
ومن هذا الذي يبقى	على الحدثان أو يسلم
رأيت الناس أتبـــاعا.	لذي الدينار والـــدرهم .
وما للمرء إلا ما أتى	مــــن الخير أو قدم

.وقوله :

بادر إلـــي يا ابن آدم فاستمع	ودع الركون إلى الــــــحياة تنتفع
لو كان عمرك ألف حول كامل	لم تذهب الأيام حتى تـــنقطع .
إن المنية لا تزال ملحة حـــتى	تشتت كل شمل مـــــــــجتمع.

---

[1]- ساقطة من أ.

[2]- عَفَرَه فِي التُّرَابِ يَعْفِرُه، بالكَسْر، عَفْراً، وعَفَّرَهُ تَعْفِيراً، فانْعَفَرَ وتَعَفَّر: مَرَّغَهُ فِيهِ أَوْ دَسَّهُ.تاج العروس،ج13، ص83.

[3]- ساقط من ب.

فاجعل لنفسك عدة للقاء من لـــــو قد أتاك رسوله لم تمتنع

يا أيــها الــــمرء المضيع دينه إحراز دينك خير شيء تـصطنع

فأمهد لنفسك صالحا تجزى بـه وانـــــظر لنفسك أي أمر تتبع

واعلم أن جـــــميع ما قدمته عند الإله مؤخر[1] لك لـــم يضع

وحكي أنه دخل على هارون الرشيد[2] حين بنى قصره وزخرف مجلسه واجتمع عليه خواصه فقال له صف لنا ما نحن فيه من الدنيا فقال له:

عش ما بدا لك آمـــــنا فتي ظل شاهقة الـقصور

فقال له أحسنت ثم ماذا ؟ فقال:يسعى إليك بما اشتهيت لـــــدى الرواح والبكور

فقال أحسنت ثم ماذا؟ فقال: فـــإذا النفوس تقعقعت في ضيق حشرجة الصدور

فـــــهناك تــعلم موقنا مــــا كنت إلا في غرور

بكى الرشيد بكاءا شديدا، فقال له الفضل بن يحي البرمكي[3]، بعث إليك أمير المؤمنين لتبشره فأحزنته، فقال له الرشيد دعه فإنه رآنا في عمى فكره أن يزيدنا عمى ومن شعره أيضا:

تلوم على التقوى وأنـت مقصر أيــــا من ينادي الناس وهو سقيم

وإن امرؤ لـم يجعل البر كـــنزه وإن كــــانت الدنيا له لعديــــــم

---

[1]- في ب موفر

[2]- الرشيد بْن هَارُون بْن مُحَمَّد بْن عَبْد اللَّهِ بْن مُحَمَّد بْن عَلِيّ بْن عَبْد اللَّهِ بْن عَبَّاس وَأمه الخيزران ولد هارون الرشيد بالري سنة 150هـ149 هـ وتولى الخلافة بعد الهادي سنة 170هـ ومات الرشيد بطوس من خراسان سنة 193هـ.تاريخ خليفة بن خياط،ج 1، ص447.و أبو جعفر البغدادي:المحبر.ص38. أحمد بن محمد مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم.تح أبو القاسم إمامي، سروش، طهران، 2000،ط2،ج 3، ص503.و أبو القاسم الرافعي القزويني التدوين في أخبار قزوين.تح عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية،بيروت،1408هـ،1987م، ج4، ص 187.

[3]- الفضل بن يحيى بن خالد بن برمكالبرمكي، ولد سنة 147هـ وقيل 148هـ، ولاه الرشيد الوزارة قبل جعفر، وأراد أن ينقلها إلى جعفر فقال لأبيهما يحيى: يا أبت – وكان يدعوه يا أبت – إني أريد أن أجعل الخاتم الذي لأخي الفضل لجعفر، وكان يدعوه الفضل يا أخي، فإنهما متقاربان في المولد، وكانت أم الفضل قد أرضعت الرشيد، واسمها زبيدة من مولدات المدينة، والخيزران أم الرشيد أرضعت الفضل، فكانا أخوين من الرضاع،وكان الرشيد قد جعل ولده محمدا في حجر الفضل بن يحيى، سجنه الرشيد بعد تغيره على البرامكةوتوفي بالسجن سنة 193هـ بالرقة، وقيل إنه توفي سنة 192هـ.ابن خلكان:وفيات الأعيان. ج4،ص 27.

ونحو هذا قول الآخر :

لا تلــــم الــــــمرء على فعله وأنـــــت منسوب إلـــــى مثله

مــــن ذم شيئا وأتـــــى مثله فإنـــــما يـــــزري عـــلى عقله

وقولي: وتـــــــهتز أرواح الجبال صبابة تحنو إلى بدء النشو لتسترق الجبال

يحتمل أن يراد به العقول،وهو الذي أشار إليه الشيخ سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه في قوله:

لو عاينت عيناك يـــوم تـزلزلت أرض الـــنفوس ودكت الجبال

لرؤية شمس الـحق يسطع نورها حــــين التزلزل والرجال رجال

قال رضي الله عنه الأرض أرض النفوس والجبال جبال العقول والشمس شمس المعرفة،والإشارة إلى هذا بينة،قلت فتكون الإضافة بيانية على أن الروح والعقل مترادفان وهو الصحيح،ومن قالمتعددان إنما اختلفا بالاعتبار وليس يعني تعدد مسمياتهما، وعجز البيت يشير بإيماءإلى ذكر شيء من الملكة النفسانية وهي مذكورة في كتب القوم فلا حاجة إلى ذكرها وأشار إليها أبو علي في الدالية بقوله:

ما المرء إلا ابن الثرى ولو ارتقى فـــــوق السماء بسلم لم يخلد

شـــــــخص تكنفه الثريا والثرا فالجسم كون من حسيس الحرمد

والـــــروح كان نـــشؤه ونزوعه من ذالك الملى العلي الأمجد

فيـــحن ذالك لأرضه بـتسفل ويـــــحن ذا لسمائه بتصعد

[والمرأ بينهما مخافة فرقة ونـدى مـــــزوق في الحقيم[1] مقعد[2]]

وأسفر عنها بقوله :

وخــــليفة يسير فـــيها ســـيره المستخلف المستحفظ المتعهد

[1]- الحقيم: مُؤخر الْعين مِمَّا يَلِي الصدغ.المعجم الوسيط،ج1،ص 188.

[2]- ساقط من أ.

ملك يـــؤازره الحجا ويمد من   جـــند بأنوار العيون مـــجند

والكائنات رعية تـــــــحي إلى   تصريف فكر عنده مـــــتسرد[1]

وهوى بـــــربة بيته خدع الهوى   وسطى يجمع لحظوظ مـــحشد

فتكلف الملك البغاة متى يرم نحيي   عاقر على السداد ويـــــحسد

وتلظت الحرب العوان فإن يكن   حظر المليك وزير صدق يعضد

مـــــستنصرا بالرشد والتوفيق في   غمراتـــــها وقراءة الجمع العد

فتنبي جـموعهم و فلل عربــــهم   بغرار سيف من حجاه مـــهند

وأشار إلى شرحها باختصار في تعليقه عليها، وقول الشيخ أبي العباس المرسي رضي الله عنه،و الشمس شمس المعرفة، المرادبالمعرفة عند هؤلاء القوم رضي الله عنهم والمعنى بها كما قال بعضهم، ما يقع من تجلي الحق تعالى لقلوب خواصه وتحقق أسرارهم بأحديته وذالكلما أفاض عليهم سبحانهمن أنوار الشهود وأطلعهم عليه من مكنون الجود فانغمسوافي بحار الأنوار وغرقوا في المعاني والأسرار وينشد:

طلعت شمس من أحب بليل   فاستضاءت فما لها من غروب

إن شمس النهار تغرب بالليل   وشمس القلوب ليست تغيب

والمعرفة بالله أعلى المطالب وأسنى المواهب و قد قيل في قوله تعالى:{ولمن خاف مقام ربه جنتان}[2]إنها جنة معجلة وهي جنة العارف وجنة مؤجلة وهي جنة القيامة، وأن من دخل إلى هذه لا يشتاق إلى تلك، يعنون بالنسبة إلى صورها وقصورها وبالنسبة إلى ما يحصل هناك من القرب والتعرف فشتى ما بين الحالتين، فإن ما يفتح على قلوب العارفين في هذه الدار إنما هي شمة مما أعد لهم أكرموا بتعجيله، قال مالك بن دينار رضي الله عنه،خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا أطيب الأشياء، قيل وما هي،قال المعرفة، ثم أنشد :

---

[1]- نجُومٌ سَرَدٌ: مُتتابِعَةٌ. وتَسَرَّدَ الدُّرُّ: تتابَع فِي النِّظَام. تاج العروس،ج8، ص190.

[2]- الرحمن 47.. وروى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " هل تدرون ما الجنتان قالوا الله ورسوله أعلم. فقال بستانان في أرض الجنة، كل بستان مسيرة مائة عام في وسط كل بستان دار من نور على نور، وليس منها شيء إلا يهتز (نعمة وخضرة) قرارها ثابت وشجرها ثابت. أبو عبد الله محمد القرطبي : الجامع لأحكام القرآن.تح أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة،1384هـ، 1964 م،ج 17، ص176.

إن عرفان ذي الـــجلال لعز   وضـــياء وبـــهجة وســـــرور

وعلى العارفين أيضا بـــهاء   وعـــليهم من الـــــــمحبة نور

فـــهنيئا لـــعارف بك ربي   هـــو والله دهـــره مـــــسرور

وقوله : ويفنى ولم يشعر بوصف فنائه   ولا الغير مشهودا لذي عارف مسقي

أنشدته بنفسه،والفنا ليكون الكلام مفيدا لشيئين،أنه فنا عن نفسه مفنى عن الفناء، وقال لي سيدي لما أتيته بها وكنت أقرأها عليه حتى أتيت إلى البيت،اجعل بدله،بوصف فنائه قلت،ولعل هذا الذي قال سيدي يكون أولى لأجل الاختصار ولأنه إذا فني عن الفناء،فمن باب أولى وأحرى أن يفنى عن نفسه، والفنا كما قال أبو سعيد إبن العربي[1] لما[سئل عن[2]]الفناء،أن تبدو العظمة والإجلال على العبد فتنسيه الدنيا والآخرة والأحوال والدرجات والمقامات والأذكار تفنيه عن كل شيء وعن عقله وعن نفسه وفنائه عن الأشياء لأنه يغرق في التعظيم انتهى.

والفناء على ثلاثة أوجه ،فناء في الأفعال ومنه قولهم لا فاعل إلا الله،و فناء في الصفات لا حي ولا عا لم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة إلا الله،وفناء في الذات لا موجود على الإطلاق إلا الله وانشدوا:

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى   فكان فناؤه عين البقاء[3]

وقولي :ولا الغير مشهودا لذي عارف مسقي، معناه أن غير الله لم يشاهدوهأصحاب هذاالمقام،قال الشيخ محي الدين،من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز ،ومن شهدهم لا حياة لهم فقد جاز ومن شهدهم، عين العدم فقد وصل ثم قال:

من أبصر الخلق كالسراب   فقد ترقى عين الحجاب

إلى وجود تراه يـــــرقى   بلا ابتعاد ولا اقـــتراب

إن لـم تشاهد بـــه سواه   هناك تهدى إلى الصواب

1- محي الدين ابن عربي.

2- في أ لما يحل عنه.

3- هذه عقيدة وحدة الوجود التي قال بها بن عربي.

فـــــــلا خطاب به إليه ولا مشير إلى الـخطاب

[فقال الاخر[1]] :

الله قل وذر الوجود وما حوى إن كنت مـرتادا بلوغ الكمال

فــــالكل دون الله إن حققته عدم على الـتفصيل والإجمال

واعلم بأنك والــــعوالم كلها لولاه في محو وفي اضمحلال

مــــن لا وجود لذاته من ذاته فوجوده لولاه عين الــــمحال

فالعارفون فنو و لـما يـشهدوا شيئاسوى المتكبر الــمتعال

ورأو سواه على الحقيقة هالكا في الماضي والحال والاستقبال

قلت والكرامة المذكورة أول الفصل لسيدي محمد الشرقي رضي الله عنه من قلب الأعيان، وهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم،قال البوصيري رحمه الله تعالى:

كلأمر تعنت قلب الأعيان فــــيه وتــــعجب البصراء

رب عين تفلت في مائها الملح فأضحى وهو الفرات الرواء

ورب هنا للتكثير،وذكروا منه أشياء، فمنها ما روي أنه صلى الله عليه وسلم مر على ماء فسأل عنه، فقيل اسمه بيسان وماؤه ملح، فقال هو نعمان وماؤه طيب، فطاب وأتى بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار أطيب من المسك ،وبصق في بئر كانت في دار أنس فلم يكن في المدينة أعذب منها، ومنها دفعه لعكاشة جزل حطب وقال له اضرب به حين انكسر سيفه في يوم بدر، فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة أبيض شديد المتن فقاتل به ولم يزل عنده يشهد به المواقف إلى أن استشهد في قتال أهل الردة، ومنها أن أبا هريرة شكى إليه النسيان، فأمره ببسط ثوبه وعرق بيديه ثم أمره بضمه فما نسي شيء بعد انتهى.

اللهم ياأكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين ويا رب العالمين أرزقنا رضا نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشفاعته ومحبته،وألطف بنا في هذه الدار وتلك الدار واسترنا بسترك الجميل ،اللهم يا منقذ الغرقى بعد أن آيسوا

---

[1]- ساقطة من أ.

أنقذنا مما نحن فيه ونجنا من هذه الفتن بحرمة أشرف مخلوقاتك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم آمين يا رب العالمين وهنا انتهى ما يتعلق بهذا الباب ونتكلم عن الباب الذي يليه فنقول :

الباب الخامس في ذكر فضلاء أولاد هذا الشيخ ومشاهرهم ومن ظهرت عليه خصوصية وانتفع به:

ونتكلم على تلامذته ومن أخذ عنه وأنا أعتقد أني لم أحط بعددهم كما سنذكره إن شاء الله ،ولا شك أن هذا من جملة كرائم هذا الولي سيدي محمد الشرقي،إذ الكل مغترف من بحره ومرتشف من عذبه ومدده هو الساري في قلوبهم، ومصباحه هو المقتبس منه، لأن ما ظهر على يد الأتباع هو للشيخ إذ هو الأصل فله عليهم المنة والفضل، وله منهم الأجر الذي لا ينقطع والهبة التي لا تنفصم، واعلم أنه تقدم لنا أنه لا يزال اثنان من أولاد سيدي محمد الشرقي يهدون إلى الله دالين عليه مرشدين إلى عبادته كماأخبرنا الفقيه الفاضل الخير الدين، سيدي عبد السلام بن عبد الخالق،و هذا العدد هكذ أذكره لهذا السيد ناقلا عمن نقل عنه.

وما يحكى عن الشيخ لا يفهم منه اجتماع الإثنين ،من ذالك ما أخبرنا به بعض الثقاة أن الشيخ سيدي محمد الشرقي قال، يأتي من أولادي من هو مسيد [جريي هو مشيه[1]]، وقد وضح الولي الفاضل الشيخ الكامل العال مالعلامة الحبر الفهامة أعجوبة دهره ونخبة وقته بقية المجدوبين وأمام المحبين سيدي ومولاي محمد الملقب بالمعطي بن سيدي عبد الخالق، حفيد هذا الشيخ نفعنا الله بجميعهم هذا الكلام وحمله على محمل حسن وأن ذالك ليس على عمومه، حتى يطمع فيه كل منحرف جاهل مقصر كاسل خالد في الهفوات مائل إلى الرعونات من السعي الصالح المملق متعرض متمشدق مفتر بظواهر الألفاض مكتفيا بها عن البحث، دأبه الإعراض بل ذالك لمن كان على صفة عزيز وجودها مقتفيا لأثر الشيخ تابعا لنهجه وطريقته وأين ذلك المعنى بتلك الكلمات كما قيل:

وإذا صفا لك من زمنك واحد فاشدد عليه وأين ذاك الواحد

ووضح ذالك غاية التوضيح ونقحه غاية التنقيح ،وسيأتي إن شاء الله قريبا في ابتداء ذكر هذا الولي في ترجمته، لأنه هو المبتدأ به،لأنه كما قيل هو الوارث لهذا الشيخ ومن ذالك الرؤيا المتقدمة التي رآها بعض إخواننا التي وجدتها بخط الوالد رحمه الله، ومن ذالك أيضا ما وجدت بخط بعض الناس حاكيا عن الشيخ سيدي محمد الشرقي وحاصل ما وجدت أن الشيخ سيدي محمد الشرقي اجتمع عليه أولاده صبيحة يوم فنظروا إليه ورأوه في حالة لم يعهدوها من السرور،وكان وجنتاه يبرقان من ذالك فقال له بعضهم،يا سيدي ما عندك اليوم؟ فقال لهم رضي الله

[1]- ساقطة من أ.

عنه، خوطبت فيكم البارحة بما خوطب به إبراهيم في بنيه أو خاطب إبراهيم أبنائه {يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون}[1]

قلت وهذا يدل على ما تقدم لمن تأمله وفهم مقتضاه، ففيه بشارة وعهد مأخوذ على تلك البشارة من وفى، ويذاد عنها من لم يوفي بوجود الداعي، والحال في أولاد هذا الشيخ كما تقدم ظاهر بين،وإنما قلنا أن ذالك ليس على عمومه لئلا يغتر به الواقف عليه فيطمع في ذالك وهو ليس من أهله وليست فيه شروط ذالك.

قلت: وقول الشيخ فيما تقدم خوطبت فيكم البارحة،هذاهو الذي تعني الصوفية رضي الله عنهم بالإذن والمحادثة والمكالمة وهو معلوم في حق أهل الله جائز صادر من غير واحد من الأئمة المقتدى بهم وشواهده من الكتاب والسنةكثيرة وشهيرة وناهيك بآية الوحي إلى أم موسى كما أخبر الله، وبموافقة الفاروق ،وهي معلومة ورتبت في غير ما قضية وبقضية تلقي الآذان نوما، وبقضية منع الزكاة، وجمع القرأن وإخبار الفاروق بعد مراجعته بأن الله شرح لذالك صدره وعلمه من أجل ذالك أنه الحق، وهذه كلها معلومة وهو عين الأذن التي تعنيه الصوفية .وفي صحيح البخاري أيضا (أنه كان فيمن كان قبلكم محدثون في رواية مكلمونمن غير أن يكونوا أنبياء في أمتي إن يكونوا في أمتي فعمر منهم)[2] أو كما قال عليه السلام . وفي حزب أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه،وهب لنا التلقي منك كتلقي آدم منك كلمات يشير إلى قوله تعالى {فتلقى آدم من ربه كلمات }[3] وقال أيضا،وهب لنا مشاهدة تصحبها مكالمة بعضهم، ولا يكون ذالك إلا لمن فنيت بشريته، وتجوهرت نفسه واضمحلت أنانيته كما يشير إلى ذالك الحديث الإلهي وهو (لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره)[4] يعني وسائر قواه وحينئذ يكون العبد إن صمت فمع الله وإن نطق بالله فتجري عليه علوم سمية وجواهر من الحكم سنية يحي بها سامعها ويستمد منها الأخذ بها. وحقيقة المكالمة عند أرباب الحقائق كما قيل : خطاب الحق

---

[1]- البقرة 132.

[2]- رواه البخاري في صحيحه رقم 3689،ج5،ص12.

[3]- البقرة 37.

[4]- روا البخاري في صحيحه رقم 6502،ج 8، ص105.وتمام الحديث:(أَنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ)

للعارفين [من عالم الملك والشهادة وهي دون المسامرة عندهم إذ هي عبارة عن خطاب الحق للعارفين[1]]من عالم الملكوت والأسرار انتهى.

قال الوربجي[2] في تفسيره، إذا أراد الله تعالى أن يسمع كلامه من أحد من الأنبياء و الأولياء يعطيه سمعا من أسماعه فيسمع بها كلامه كما حكى عليه السلام عنه تعالى قال:(فإذا أحببته كنت سمعه) الحديث، وليس هنا كالحروف والأصوات بل سمعه بحرف القدرة وصوت الأزلية الذي هو منزه عن همهمة الأنفاس، وخطرات الأصوات.انتهى

قال بعضهم وبالجملة فإذاذات الغيب الجارية في العبد [وعليهم منهى الخطابوبهذا الجواب وكان المكلم والكليم واحدا لا شعور للعبد[3]] بذالك ولانسبة له فيما هنالك إلا كالمرآة الملقاة إن فرضت له شعورا بما يظهر فيها مثلا فإنه آلة لا غير ومظهر لما يلوح فيه

وقد نبه الحاتمي رضي الله عنه على نكتة ينبغي الاحتفاظ بها حيث قال،اعلم أنكل ولي لله تعالى فإنه يأخذ ما يأخذ بواسطة روحانية النبي صلى الله عليه وسلم،فمنهم من يعرف ذالك ومنهم من لا يعرف ويقول قال الله وليس غير تلك الروحانية إنتهى.

وهذا موافق لما أشار إليه سيدي أبي العباس المرسي رضي الله عنه حيث يقول : أن الولي إنما يكاشف بالمثال يعني كما يرى مثل البدر في الماء وبواسطته وكذالك الحقائق الغيبية والأمور الإشهادية مجلوة وظاهرة في بصيرة النبي صلى الله عليه وسلم وله عيان لا مثال أو الولي، فقربه منه ومناسبته لهديه بهديه ومتابعته له يكاشف بمثل ذالك فيه، فظهر الفرق وثبتت مزية النبي صلى الله عليه وسلم وانتفى اللبس بين النبوة والولاية، وصح ما أطلق عليه الأولياء من المحادثة والمكالمة وقولهم قيل لي،ونوديت في سري،و إذا أحطت بهذا كله علما تحقق واسطة النبي صلى الله عليه وسلم وبرزخيته على الإطلاق في الغيب و الشهادة وذالك معلوم لأهل الله ذوقا ويتحقق لهم[4] كشفا، وفي هذه المسألة يعني المكالمة كلام كثير يستدعي الكلام على الإذن وأقسامه وإلى ما يتميز به الوسوسة عن هذه الأقسام [و تتميز الأقسام[5]]عنه افليطلب في محله .

---

[1]- ساقطة من ب.

[2]- كذا في الأصل ولم أعرفه.

[3]- ساقطة من ب.

[4]- في ب متحققا عندهم.

[5]- ساقطة من أ.

قلت وهذه المكالمة والمحادثة من أجل ما يتحف الله به من خواصه وأعظم ما يمنحهم بهمن مواهب فضله ونفائس جوده، وانظر إلى طلب الشيخ أبي الحسن ذالك فيما تقدم عنه في قوله، وهب لنا مشاهدة تصحبها مكالمة، قال بعضهم وإنما طلب مصاحبة المكالمة للمشاهدة لعزازة ذالك واختصاصه بأهل الكمال من الأولياء والغالب من أحوال الأولياء إنفراد أحدهما أو تعاقبهماكما هو مشهودمن أحوال الفقراء بالاستقراء قال تعالى:{ ولمن خاف مقام ربه جنتان}[1]قال بعض العارفين من المفسرين ،جنة المشاهدة وجنة المكالمة، قلت :فبان لك بهذا ارتفاع شأن هذا الولي سيدي محمد الشرقي رضي الله عنه واختصاصه بهذه المنزلة الرفيعة والمرتبة العظيمة أما المكالمة فهي التي فرغنا منها والحكاية المتقدمة شاهدة بذالك وهذا فيما وقفنا عليه أما المشاهدة فقد تقدمت في قوله:

شمس القلوب تشاهد المحبوب في عالم الغيوب

أما مصاحبتهما وجمعهما فذالك من مقام هذا الولي وعلو شأنه وجلالة منصبه قليل، اللهم يا سيدي ويا مولاي بحرمة النبي صلى الله عليه وسلم من علينا بنفحة من نفحاتهم لننخرط بذالك في سلكهم ويبدل درهمنا المغشوش بخالصهم ،وألبسنا حلة اللطف والتوفيق واجعله ملازم لنا في كل مسلك وطريق آمين يا رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

فصل ومن فضلاء أولاد هذا الولي سيدي محمد الشرقي رضي الله عنهم وأجلهم ووارث حاله الولي الصالح التقي الناصح الطود الراسخ والركن الشامخ مركز المصالح ومنبع المرابح ذو الأحوال الربانية والأسرار العرفانية والدين المتين وعظمة اليقين ذو المآثر السنية والمذاهب السنية والأخلاق الزكية والأحوال المرضية العارف بالله، سيدي أبي عبد الله محمد الملقب بالمعطي بن أبي محمد عبد الخالق بن أبي النصر سيدي عبد القادر ابن الولي الفاضل الشيخ الكامل القطب الجامع والغيث الهامع سيدي محمد الشرقي ،كان رضي الله من أولياءالله الصالحين وخيرته العارفين عالما عاملا متفننا متصوفا له اليد الطولى في كل فن، وكان ذا لفظ بليغ وقلم بارع رفيع أخذ ذالك عن مشايخ جمة أجازه في ذالك غير واحد، منهم العلم العلامة الحبر الفهامة سيدي عبد القادر بن علي بن أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي رحم الله الجميع بمنه،وعمم له بالإجازة فيما يصح عن روايته، ومن أشياخه الولي الصالح الفاضل الناصح سيدي محمد بن سعيد المرغثي السوسي،وكتب له بالإجازة ووقعت بينهما مكاتبة في مسائل من التصوف،وكان صاحب الترجمة إذا كتب، بحرا بعيدا قعره وفيضا لا يمكن غوره، وأما شيخه الذي اعتمد عليه وانتسب إليه وعول في شأنه عليه وأخذ عنه أخذ إرادة وانتساب فهو الفقيه الفاضل الولي الكامل ذو المآثر

[1]- الرحمن 46. أغلب المفسرين قالوا بأن الجنتين في الآخرة كما ذكرنا سابقا.

العظيمة والمزايا الفخيمة الفاضل،سيدي محمد بن ابراهيم[1] وكان هذا الشيخ سيدي محمد بن ابراهيم رضي الله عنه عالما عارفا وليا مكاشفا وطودا شامخا وركنا راسخا من أهل الخصوصية والعرفان ومن أكابر أهل الولاية الذين يرجع إليهم في هذا الشأن، حدثني سيدي الإمام وشيخنا الهمام قال لي، قلت لسيدي[محمد بن[2]]عبد الرحمن الصومعي[3] يوما كنا نقرأ على أبي علي سيدي الحسن بن مسعود اليوسي، وهو من أشياخ سيدي فدرس في الفاتحة شهرا كاملا ،فقال سيدي محمد بن عبد الرحمن،هذا سيدي محمد بن إبراهيم درس فيها ثلاثة أشهر،وتخرجت على يد السيد المذكور فحول من أكابر العلماء والصالحين ،و مشايخ من أهل الطريقة العارفين وكان عددهم قليلا وفضلهم كثيرا، يذكر أنهم كانوا نحو العشرة، ولكنهم كانوا رضي الله عنهم على غاية قصوى في الكمال والرفعة و أدركوا ما لم يدركه غيرهم من الأسرار والمعارف والأنوار واللطائف.

و يذكر أن الشيخ المذكور وقعت له حكاية مع أهل مراكش، وحدثنا بعض الطلبة من أهل مراكش بشيء من ذالك،وحاصلها أن الشيخ المذكور أبا عبد الله سيدي محمد بن ابراهيم، نام ليلة فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له تزوج آمنة، فلما أصبح الشيخ ذهب وأهله إلى امرأة معلومة هنالك وكان بعض الناس عقد عليها وأعسر عما يصدقها به فأخبر الشيخ بذلك وفشى الأمر في الناس و تحدث به،فقام بعض الحسدة من الطلبة وقال هذا لا يحل وكيف يتزوج رجلان امرأة واحدة، فاجتمع القاضي وغيره لينظروا ما يفعلوا بالشيخ ومايستحق في الشرع فاجتهدوا في طلب ذالك .

وحدثني بعض الناس أن بعض الطلبة من أولئك الحسدة،كان ينظر ليلة ويبحث لعله أن يجد فتوى في الشيخ فغفل وقرب من الشمعة فاتصلت بعمامته فاشتعلت فيها واشتد أمرها حتى أنها أتت عليها،ولم ينجو الطالب من ذالك إلا بعد جهد جهيد، ثم أولئك الطلبة بلغ من أمرهم أنهم طوفوا الشيخ في المدينة ثم قام بعض تلامذته و قال له، يا سيدي ابنتي اسمها آمنة ولعلها هي التي قال لك النبي صلى الله عليه وسلم تزوج، فزوجه إياها.

---

[1]- محمد بن ابراهيم بن احمد بن عثمان بن محمد بن يعقوب الصنهاجي التكركستي، الفاضل العالم العامل الورع الزاهد من كبار أصحاب أبي العباس بن ناصر الدرعي،حج ولقي أعلام الحرمين ومصر وأخذ علوم الحديث وغيرها وبنى المدرسة والزاوية وأطعم الطعام توفي عام 1134هـ.طبقات الحضيكي،ج2، 466.

[2]- ساقطة من أ.

[3]- الفقيه العلامة الصالح الحجة الناسك أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن التادلي الصومعي الزمراني أحد الأئمة المهتدين،وفد على زاوية الدلاء فأخذ العلم واتصل بأحمد بن عبد الله معن وأحمد اليمني،وحج بيت الله الحرام عام 1100هـ،توفي سنة 1123هـ محمد حجي:موسوعة أعلام المغرب.ج5،ص 1945.

ويقال أن الشيخ سيدي أبا عبد الله كان يقول، خيرنا الله في أمر الطلبة الذين آذوني بما شئت أن يفعل بهم فاخترت أن يكونوا في المجانين، نسأل الله العافية والسلامة في الدارين آمين بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. قلت: وليس بمستنكر ما وقع من هؤلاء الطلبة مع هذا السيد، إذ ذاك دأبهم وعادة أرباب المناصب التسليط على هؤلاء الخصوص وكلا أخذ الله بذنبه وما حملهم على ذالك إلا الحسد المذموم صاحبه فهم كما قيل:

كضرائر الحسناء قلن لوجــهها حسدا وبغضا إنه لذميم

حسدو الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم

وتقدم فائدة وقوع هذا بأولياء الله ونحوه، قلت وما وقع للشيخ في ذهابه إلى تلك المرأة لا يوجب نقصا في ولايته وغضا في مرتبته وكذبا في أخباره، بل ذالك من أمرهم شائع ومن أحوالهم يخبر الواحد منهم بوقوع شيء ويتخلف ذالك ولا يقال فيمن تخلف خبره ما يذهب عنه الخصوصية ويقدح في ولايته، وهذا معلوم شائع مشهور في مناقبهم رضي الله عنهم، هذا وان خبر السيد لم يتخلف بل ظهر صدقه فإن الرؤيا التي رأى وقعت وبرزت للعيان وتحقق مصداقها ولاح منارها.

وحدثني بعض الثقاة،أن الشيخ أبا عبد الله بات ليلة مع تلميذه صاحب الترجمة وكان المكان الذي باتوا به فيه بق كثير فشوشهم ذالك،فقام الشيخ إلى السراج ورفعه بيده وجعل يمر بحيطان البيت وينظر في البق ويقول، موتوا موتوا ،فلم ينظر إلى بقة إلا وماتت مكانها. ويحكى عنه[رضي الله عنه [1]]أنه كان مدة لا يقدر أن يسمع كلام الناس لأجل أنه سمع كلام حورة فبقي مدة لا يستطيع أن يسمع كلام الإنسي، وإذا سمعه فما يمثل له إلا كصوت الحمير، ويحول وجهه إلى قفاه من أجل ذالك فبقى على ذالك مدة ثم رجع . ويحكى عنه رضي الله عنه أنه أخذ عن أبي العباس سيدي[أحمد[2]] الخضر بلا واسطة، و بالجملة فهذا الولي قد بانت ولايته واشتهرت خصوصيته وظهرت مزيته وانتفع به

وكان قوته رضي الله عنه البيضة،ولو لم يكن من فضله إلا هذه الحجة الباهرة والآية الظاهرة سيدي محمد المعطي لكان كافيا، نفعنا الله به ورزقنا رضاه بحقه عنده،وكان سبب صحبة صاحب الترجمة لهذا الشيخ أبي عبد الله أن والده سيدي عبد الخالق المتقدم انتقل إلى حضرة مراكش بقصد السكنى فسكن هو وولده صاحب الترجمة هنالك، بحومة الكتبيين،وكان أبو عبد الله سيدي محمد بن ابراهيم ظهر بتلك المدينة بذالك الوقت،يقال أنه كان

[1]- ساقطة من أ.

[2]- ساقطة من أ.

يمر بدار صاحب الترجمة هو وأصحابه فيجدونه جالسا على أحسن هيئة، لابسا الثياب النفيسة و بيده ديوان المتنبي، فيسلم عليه الشيخ وأصحابه فيرد عليهم كغيرهم من المارين بالطريق،فكان أصحاب الشيخ يجدون في أنفسهم عليه من[أجل[1]]أنه لم يقع منه ما يأذن بتعظيم الشيخ وإحترامه ومزيدا من الاهتمام به لعدم معرفته به والمخالطة له،فقام أصحاب الشيخ وأخبروه بذالك فيقول لهم دعوه إنه من أصحابنا.

وكان يقول لهم ذاك أبو منقار من إخوانكم،يعني به سيدي محمد المعطي صاحب الترجمة .وكان أنفه رضي الله[2] عنه.هذه الأخبار من كرامات هذا الولي أبي عبد الله، فإن صاحب الترجمة لم يتقدم له معرفة به وكذلك الشيخ وكان يخبرهم أنه من أصحابه، فكان الأمر كما ذكر. وأن صاحب الترجمة ذهب في بعض الأيام إلى جامع المواسين بعد صلاة العصر وكان الشيخ يجلس بعدها في الجامع للذكر فيدخل المسجد فوجد الشيخ تحرك عليه حال وهو يدور من سارية إلى سارية، فبنفس مارآه قبضه وضمه إلى صدره وأرسله فلم يخرج من المسجد حتى خرج غائبا يميل كالنشوان لا يدري أين هو ،فهو كما قيل:

حملتنــي وجدا لغيري لم يكن   وسقيتني صرفا فلست أفيق

وجــــعلتني أصلى بنار تشوق   فأنا إليك مع الزمان مشوق

شهدت لـي الزفرات أن بباطني   كبدا ثوى جوى وحــــريق

إن لـم أرق دمعي عليك صبابة   فلأي شيء بعد ذاك أريــق

لا راحة للعاشقين مع الهوى   تـــقضي ولا قرب ولا تفريق

أرفق علي وداوي من أمرضته   إن الطبيب على المريض رفيق

حدثني سيدي أنه أقام بتلك الحالة ثلاثة أشهر لا يدري أين هو ولا يعرف أحدا غائبا فهو كما قيل:

غلــــب عليه الــــــغرام حتى   أنه ساوى هواه ليله ونــــهاره

وسطى عليه السكرحتى قد غدى   متهتكا في الحب بعد وقاره

---

[1]- ساقطة من أ.

[2]- كذا بياض في الأصل.

أضـــحى بخمرة حبه مـــتمائلا بخماره شوقا إلى خـــــماره

وكـــــليم شوق كم له من زورة يرجوا شفا أوزاره بـــــمزاره

في طور طور القلب حاول نظرة فبدا الهوى بالبعد عن أوطـاره

لاعار للمضطر أن يبدي الجوى ويــــبث ما يلقاه من أضراره

وكان والده رحمه الله يزوره به الصالحين فكان إذا ذهب وحمله على الدابة يبقى يميل يمينا وشمالا لايستقر عنها فكان يخاف من الخدام إذا رأوه بتلك الحالة أن يظنوا به السكر فيذهب به إلى الوالي[1] :

ودع عزله إن كـنت من أخوانه يـــــكفيك ما يخفيه من أشجانه

إن العذول هو الخؤون إذا محالا تـــــعذلنه فأنت من إخـــــوانه

نـــــشرت مطاوي[1] سره أنفاسه فـــــبكى وأعرب شأنه عن شأنه

نظـــــر الوشاة التـــي مدامعه وقدنطقت بما أخفاه صمت لسانه

و أعلم أن الـــــحب طار بلبه وتـــحكمت فـــــيه يدا سلطانه

فكـــــاثرت من حوله أعداؤه لــــما خــــــلا ناديه من خلاله

فإستوقف الحادي وسل أضعانه فـــــــفؤادك المأسور في أضعانه

إياك إياك الــــعقيق وإنما بلـــواي من وادي العقيق و بأنه

ثم بعد ذالك صحا و صار من جملة أصحاب هذا الشيخ كما أخبر أصحابه،وكان هذا الرجل سيدي محمدالمعطي أخص أصحاب هذا الشيخ و أجلهم حتى أن الفقيه الأجل الخير الأكمل الولي الصالح، سيدي أحمد العطار الأندلسي[2] أحد أصحاب هذا الشيخ كان يقول، سيدي محمد المعطيصبغت أنا وهوفي يوم واحد وجاءت صبغته أنظر وأحسن من صبغتي،وحدثني ولد صاحب الترجمة الفاضل الخير الفقيهالنزيه سيدي محمد بن محمد المعطي قال

---

[1]- مطاوي مكان الطي كالثوب ونحوه.نشوان بن سعيد الحميرى اليمني: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم.ج7، ص4181.

[2]- أحمد بن ابراهيم العطار الأندلسي المراكشي أبو العباسالعلامة القدوة الإمام الهمام شيخ الجماعة أخذ عن عبد القادر الفاسي وابن سعيد المرغيتي توفي 1105هـ.طبقات الحضيكي،ج1، ص118.و العباس بن ابراهيم:الإعلام.ج2، ص326.

:كان الوالد رحمه الله يوما مارا مع الشيخ وبعض أصحاب الشيخ وهم ذاهبون ليغسلوا ثياب الشيخ بموضع هناك فكان صاحب الترجمة تقدم أمام الشيخ فنظر الشيخ إليه وأشار بيديه وحرفها وقال، هذه البقية أزلناها منك فلم يبقى فيه شيءبعد ذالك اليوم.

رضيت بذلي فيك يا غاية الـمنى   إذا كان ذالك الذل يرضيك فعله

ويـعذلنـــــي فيك العذول بعلمه   وأعـــذره بــــما تـــبين جهله

وفي منك سر لست أفهم بـعضه   فاشرح حتى يفهم الـــحال كله

إذا كان من تهوى عزيزا مـــكرما   وفـــــي يده عقد القضاء وحله

فدع عنك ما تهواه إن كنت طالبا   رضاه فــــــإدراك المعان رضاءه

وكان هذا الولي سيدي محمد المعطي على ما وصل إلينا من خبره وانتهى إلينا علمه وحدثني به بعض الثقاة آية الله في أرضه وحجته السائرة بين خلقه بوصف يعز وجوده وسيرة يندر مثلها، بعدما جمع الله له فنونا من العلم ونفائس من الحكم وكان رضي الله عنه، جامعا مانعا واصلا مكاشفا وغيثا نافعا وودقا هامعا عارفا رحمانيا وإماما ربانيا من ذوي التشمير والحزم والاجتهاد والعزم.

حلف الزمان ليأتين بمثله   حنثت يمينك يا زمان فكفر

وما يؤثر عنه في باب الورع فحدث عن البحر ولا حرج، حدثني بعض الطلبة أنه مر بهم في سفرة سافرها فطلبوه للنزول ليبيت عندهم فأبى من ذالك وألحوا عليه وأقسموا له، فساعدهم ونزل بموضع بعيد وامتنع من الدخول في الخيام ،فشق عليهم ذالك وسعوا له بكل ما يظن به دخوله، فامتنع من ذالك كله وبات بإزاء ناذرتين ولما قدموا له الطعام امتنع من أكله أيضا حتى أتى بعض الناس بطعامه وحلفوا عليه أنهم لا يعلمون فيه شبهة ولا يعلمون للرجل تكسبا بوجه من وجوه الشبه[1]فعند ذالك أكل، ويقال أن بعض أولاده أكل من عند بعض الناس طعاما فلما قدم أخبره بذالك أو أخبره من كان هناك حاضرا فجعل يده في فم الولد حتى قاء جميع ما أكل، ونحو هذا ما فعل الصديق رضي الله عنه لما أكل عند رجل فبعد ذالك أخبره بأنه تكهن فيه فجعل الصديق رضي الله عنه أصبعه في فمه فقاء جميع ما أكل وقصته مذكورة في صحيح البخاري.

[1]- في ب شبهة.

قلت وهذا من باب الورع لأن من استهلك شيئا معينا فعليه قيمته،على أن مسألة سيدي محمد المعطي لعله والله أعلم أن ذالك الشيء المأكول لم يكن معينا لأحد،ولمامات هذا الولي سيدي محمد المعطي أسكنه الله في أعلى عليين،وقف غنما للمساكين يقال والله أعلم أنه قصد بذالك أن يقابل ما كان يؤتى إليه من الغنم في الهدايا، قلت هذا أيضا من باب الورع وإلا فإن الهدية من الأخ في الله معدودة من أوجه[1] الحلال مذكورة من الأصول العشرة في كسب الحلال وقد نظمها بعضهم حتى انتهى إليها فقال :

وموروث حل وماء الغدر ثم هدية المحب فأدر.

قلت وهكذا كانت سيرة شيخه السيد المتقدم، حدثني بعض الثقاة أنه كان إذا ذهب يغسل ثيابه لا يستعير من أحد ثوبا، وكان يفعل في بعض الأحيان أنه يغسل طرف ثوبه ويبقى حتى يجف ويغسل النصف الآخر، وورث بعض الديار من أقاربه فإذا دخل فيه يسمع الصياح عليه من نواحي المكان لكونها والله أعلم فيها شيء من الغصب فتركها،وكان صاحب الترجمة رضي الله عنه مؤثرا لجانب العزلة فارا بدينه ترك الأهل والبلد .

قلت والعزلة أحد أركان المريد الأربعة[2] التي من حصلها حصل على كلية الدواء والتحق بزمرة الأولياء والبدلاء ومنافعها لا تنحصر وفوائده الا تنضبط، وفي الحكم لابن عطاء الله:ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكره و مضار ضدها وهي الخلطة معلومة كثيرة ظاهرة شهيرة، وما زال الأئمة رضي الله عنهم يحضون على العزلة ويحذرون من ضدها.

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم:(خير[الناس[3]]منزلة يوم القيامة رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله يخيف العدو ويخيفونه في رواية حتى يقتل أو يموت والذي يليه رجل معتزل في شعب من الشعاب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعتزل شرار الناس)[4] وفي الخبر أيضا، مثل جليس السوء كمثل الكير إن لم يحرقك بشراره علق بك من ريحه.وفي الأخبار السالفة أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام، يا ابن عمران كن يقضانا واتخذ في لنفسك إخوانا[5]وكل أخ أو صاحب لا يوافقك فهو لك عدو.وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام ما لي أراك

[1]- في ب وجوه.

[2]- أركان المريد أربعة الجوع والصمت والسهر والخلوة يستعين بها المريد لتقوية إرادته والحفاظ عليها والمخالطة تضعف اليقين.أبو طالب المكي:قوت القلوب.ص 147 وما بعدها.

[3]- ساقطة من أ.

[4]- الحديث ذكره الطحاوي في شرح مشكل الآثار وفيه زيادة انظر:أبو جعفر الطحاوي:شرح مشكل الآثار.تحشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، 1415 هـ، 1994 م،ج14، ص156.

[5]- في ب أخدانا.

منتزا[1] وحدانيا، فقال إلهي خليت الخلق من أجلك، فقال يا داود كن يقضانا وارتض لنفسك أخدانا وكل خدن لا يوافقك على مسرتي فلا تصحبه فإنه لك عدو ويقصي قلبك ويباعدك مني.

وقد صح عن عمر رضي الله عنه أنه قال: العزلة راحة من خلطاء السوء، وقال أبو الدرداء[2] رضي الله عنه :[كان الناس[3]]ورقا لا شوك فيه وهم اليوم شوكا لا ورق فيه، وعن سفيان بن عيينة[4] قال قلت للثوري أوصني فقال، أقلل من معرفة الناس،قلت يرحمك الله أليس قد جاء في الخبر:أكثروا من معرفة الناس فإن لكل مؤمن شفاعة،قال لا أحسبك قط رأيت ما تكره إلا ممن تعرف، قال أجل، ثم مات فرأيته بعد موته في المنام فقلت يا أبا عبد الله أوصني، قال ،أقلل من معرفة الناس فإن التخلص منهم شديد.وقال الفضيل رحمه الله: هذا زمان أحفظ لسانك وأخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرفه ودع ما تنكر.وعن داود الطائي رحمه الله، صم عن الدنيا واجعل فطرك في الآخرة وفر من الناس فرارك من الأسد. وقال بعضهم، أنكر ما تعرف ولا تتعرف على من لا تعرف.وكتب بعضهم على باب داره جزى الله خيرا من لا يعرفنا ولا نعرفه ولا جزى الله خيرا أصدقاءنا فإنا لم نوت إلا منهم .

وأما الشعراء فقد أكثرو من مدح العزلة وذم الخلطة والزمان وأهله ومن ذالك ما وجدت بخط سيدي رضي الله عنه: إنما العزلة عز وسمو فارتكبها.

ودع الخلطة واعلم أن أصل الشر منها.

وإذا الحاجات عزت فمن الرحمن سلها.

وإذا أقبلت الدنيا فغض الطرف عنها

كذا إذا أدرت لا تسل يا صاح عنها.

وقول الآخر: الناس بحر عميق والبعد عنهم سفينة .

---

[1]- في ب منتبذا.

[2]- أَبُو الدَّرْدَاءِ واسمه عويمر.بْن زيد بْن قيس بْن عَائِشَة بن أمية بن مالك ابن عامر بْن عَدِيّ، وأمه محبة بنت واقد.من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي بالشام سنة 31هـ. الطبقات الكبرى،ج7، ص274.

[3]- ساقطة من أ.

[4]- سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَبْنِ أَبِي عِمْرَانَ ويكنى أبا محمد.كان سفيان بن عيينة محدثاً ومفسراً وفقيهاً، ولد بالكوفة 107هـ، ونشأ وتوفي في مكة 198هـ. وكان من شيوخ ابن سعد.طبقات ابن سعد،ج 6، ص41.

فـــــاقنع رغيف خبز وشــــربة ماء معينة.

فإنـي نصحتك فانظر لا تدركنـــك الملامة .

ومما ينسب لعبد الله ابن المبارك[1] رضي الله عنه :

قـــد أرحنا واسترحنا. مــــن غدو وراح .

واتـــــــصال بلئيم أو كريم ذي سماح.

بــــعفاف وكفاف .وقــــنوع وصلاح .

وجـعلنا اليأس مفتاحا .لأبواب النـــجاح .

وقال الآخر : أنست بالوحدة من بعد ما لم أكن بالوحدة مـــستأنس

فصارت الوحدة لي مجلس افدعني وانهض أيها الجالس

ومما كتب سيدي أحمد بن عقبة[2] لسيدي أحمد زروق رضي الله عنهما:

عش خامل الذكر بين الناس وارضى بهفذاك أسلم للدنيا وللدين

من خالط الناس لم تـــسلم ديانته ولم يزل بين تحريك وتـــسكين

وينسب للغزالي أيام سياحته :

قد كنت عبدا والهوى مـالكي فـــصرت حرا والــــهوى خادم

وصــــرت بالوحدة مستأنسا من شــــر أصــــناف بني آدم

مـــا في إختلاط النساء خير ولا ذو الـــجهل بالأشياء كالعالم

---

[1]- عَبد اللهِ بْن المبارك، أَبو عَبد الرَّحمَن، مَولَى بني حَنظَلَة، مَروزيٌّ(118-181هـ) وكان من الربانيين في العلم، الموصوفين بالحفظ، ومن المذكورين بالزهد.تاريخ بغداد،ج11، ص 388.التاريخ الكبير للبخاري،ج5، ص

[2]- أبو العبقاس شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن محمد بن عمر بن احمد بن عقبة اليمني الحضرمي(824-895هـ) ودفن بالبرقوقة.محمد العربي الفاسي:مرآة المحاسن.،ص 192.

يا لائمي فـــي تركهم جاهلا　　عـــــذري مـــــنقوش على خاتم

وكان نقش خاتمه،{ وما وجدنا لأكثرهم من عهدوإن وجدنا أكثرهم لفاسقين}[1] وكان سبب سياحة أبي حامد الغزالي وزهده أنه كان يوما يعظ الناس في مجلسه ودخل عليه[أبوه[2]]الفاضل الولي أبو الفتومجد الدين أحمد بن محمد الغزالي كان من أولياء الله تعالى فأنشده

أخــــذت بـــأعضادهم إذ　　ونـــوا وخلفك الـجهد إذا يسرع

وأصبحت تهدي ولا تـهتدي　　وتــــسمع وعــظا ولا تـــــسمع

فــيا حجر الشحذ حتى متى　　تسن الــــحديد ولا تـــــــقطع

فصاح أبو حامد وأخذته العبرة وترك المجلس وخرج فارا بنفسه سائحا على قدم التجريد والتوكل، وروي عن القاضي الإمامأبي بكر ابن العربي قال، لقيت أبا حامد الغزالي وعليه جبة صوف وقد أثر الدمع بخده، فقلت له يا سيدي هل لا اشتغلت بتدريس العلم فهو أفضل من ما أنت فيه فقال،لما طلع قمر السعادة في فلك الإرادة وأشرقت شموس الأصول:

تركت هوى سعدى وليلى بمعزل　　وصـــــرت إلـــى تصحيح أول منزل

ونادتني الأطلال أهـــلا ومرحبا　　ألا أيها الساري رويـــدك فـــــأنزل

غزلت لهم غزلا رقيقا فلم أجد　　له نـــــــاسجا غيري فكسرت مغزل

وأنشد أبو حامد أيضا في "منهاج العارفين ":

هـذا الزمان الذي كنا نـــحذره　　فــي قول كعب وفي قول ابن مسعود

إن دام هذا ول ميحدث له غير　　لـم يبك ميت ولــــم يفرح بمولود

وقول الآخر:

ومازلت مذ لاح المشيب بمفرقي　　أــــفتش عن هذا الورى وأكاشف

[1]- الأعراف 102.

[2]- ساقطة من أ.

فما إن عرفت الناس إلا ذممتهم　　جزى الله عنا خيرا من لست أعـرف

قلت والبيتان الأولان اللذان أنشد أبو حامد ليسا صريحان في المراد،إلا أن يقال إنما التحذير من الزمان إنما هو من جهة أهلهوإلا فليس فيه ما يوجب التحذير وإن أولع الشعراء بذمهوالتحذير منه، وما قيل في ذالك لا يضبط حسرا ولا يستقصى عددا والحق أن الذم إنما جاءه من جهة[أهله[1]]وهو بمعزل عن العيب كما قيل:

يقول أناس دهــــر سوء ليعذروا　　وهم عيبه عندي ولا عيب في الدهر

فهم أحق بالذم والتحذير و ينسب للإمام الشافعي رضي الله عنه في ذالك:

ليت السباع كانت لنا مـــــجاورة　　وليتنا لا نرى مما نرى أحــــدا

[إن السباع لتهدي في مـــرابضها　　والناس ليس بهاد شرهم أبـــدا[2]]

فأهر ببنفسك واستأنس بـوحدتها　　تعيش سليما إذا ما كنت منفردا

ولأبي بكر بن عطية الغرناطي[3] في هذا المعنى:

جفوت أناسا كنت آلف وصلهم　　ما بالحفا عــــند الضرورة من بــــاس

فلا تعذلوني في انقباضي فــإنني　　وجدت جـميع الشر في خلطة الناس

وقال الآخر وهو عبد الله الحميدي[3]عالم الأندلس :

لـــــقاء الـــناس ليس يفيد شيئا　　ســـوى الهذيان مــــن قــيل وقال

---

[1]- ساقطة من أ.

[2]- ساقطة من أ.

[3]- الإِمَامُ الحَافِظُ، النَّاقِدُ المجَوِّدُ، أَبُو بَكْرٍ غَالِبُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ غَالِب بن تَمَّام بن عطية المحاربي الأندلسي، الغرناطي المالكي(441-518هـ).،وهو من شيوخ القاضي عياض السبتي الفتح بن خاقان:قلائد العقيان،طبعة مصر، 1284هـ،1866م، ص205. المقري:أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض.ج3،ص99.سير أعلام النبلاءللذهبي،ج14،ص 401.

3- المحدِّث الإِمَام أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن فَتُوح الحُمَيْديّ الأندلسي من الْأَئِمَّة الْمَشْهُورين حجَّ وَسكن بَغْدَاد وصَنَّف فِيهَا "جذوة المقتبس فِي عُلَمَاء لأندلس" وفضلائهاوله أيضا" الجمع بين الصحيحين "صحب أبا محمد بن حزم مدّة بالأندلس، وابن عبد البرّ،، وسمع بالقيروان والحجاز ومصر والشام والعراق، وكتب عن خلق كثير، وكان ظاهريّ المذهب، دؤوباعلى طلب العلم، كثير الاطلاع، ذكياً.توفي 488هـ. بن سعيد المغربي الأندلسي: المغرب في حلى المغرب.ج2، ص467.والذهبي العبر في أخبار من غبر.ج2،ص359

فأقـــــــلل من لقاء الناس إلا　　لأخـــــــذ العلم أو إصلاح حـــال

وقال الآخر :

وزهـــدني في الناس معرفتي بـــهم　　وطول اختياري صاحب بعد صاحب

فلم تربي الأيام خـــــلا يـــسرني　　فـــــي مبادئه إلا خانني في العواقب

ولا قـــلت أرجوه لـــدفع ملمة　　من الدهر إلا كان إحدى الـــمصائب

ولأبي العتاهية في ذالك :

بــــرمت بالناس من أخـــلاقهم　　فـــصرت أســـــتأنس بـــالوحدة

ما أكـــــثر الناس لـــــعمري　　ومـــــا أقـــلهم فـــي حاصل العده

وقال الآخر :

ما أكــــثر الناس بـــل ما أقلهم　　والله يـــعلم أنـــي لم أقــــل فندا

إني لأفتح عيـــــــي حين أفتحها　　عـــــلى كثير ولكن لا أرى أحد

وقال الآخر :مخالط الناس في الدنيا على خطر　　وفـــي بلاء وصفوا شيب بالكدر

كراكب البحر إن تـسلم حشاشته　　فليس يسلم من خوف ومن حـذر

وقال الآخر :قـــد لزمت السكوت من غير غي　　ولـــزمت الـــفراش من غير علة

وهـــــجرت الإخوان لـــما أتتني　　مـــــنهم كـــل خصلة مضمحلة

وقال الآخر :غاض الوفى فما تـــلقاه من أحد　　وأعـوز الصدق في الأخبار والقسم

وقال الآخر :أيـــن الـخليل الذي يرضيك باطنه　　مع الخطوب كما يـــرضيك ظاهره

قال الآخر :ومـــــن يــــكن أصله ماء وطـــينا　　بـــــعيد مــــن جـــــبلته الصفا

وفي معناه للصفدي[1] رحمه الله :

دع الإخوان إن لــم تــــلقى منهم صـــــفاء واســـتعن واستغن بالله

أليس المرء مـــــن مــــاء وطـــين وأي صفاء لــــهاتيك الـــــجبلة

ولمحي الدين[2] ابن تميم :لك الخير كم صاحبت في الناس صاحبا فما نالني منهم سوى البؤس والعنا

وجـــــــربت أبناء الزمان فلم أجد فتى منهم عند الضيق ولا أبا

وحكي عن بعض العارفين أنه قال :طفت زمانا على من ينصفني فلما وجدته خنت أنا،وقال التهامي:

ذهـــــــب التكرم والوفا من الورى وتـــــــصرما إلا من الأشعار

وفشت جنايات الثقاة وغـيرهم حـــــتى اتـــهمنا رؤية الأبصار

وقال الآخر: وجدتهم بخط الوالد رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه:

وإخـــــــواني حـــسبتهم دروعا فـــــكانوها ولكن للأعادي

وخـــــــــلتهم سهاما صائبات فـــــكانوها ولكن في فؤادي

وقـــــــــالوا قد صفت منا قلوبا فقد صدقوا ولكن من ودادي

وقــالوا قد سعينا كل سعي نعم قـــد صدقوا ولكن في فساد

وقال طرفة ابن العبد[3]:كل خليل كنت خاللته لا يتـــــرك الله لــــه واضحه

1- خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين(696-764هـ): أديب، مؤرخ، كثير التصانيف الممتعة.ولد في صفد (بفلسطين) وإليها نسبته. وتعلم في دمشق فعانى صناعة الرسم فمهر بها، ثم ولع بالأدب وتراجم الأعيان. وتولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق فتوفي فيها.له زهاء مئتي مصنف، منها "الوافي بالوفيات "،و "الشعور بالعور "، و "نكت الهميان ". ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ج3،ص89.وابن حجر:الدرر الكامنة.ج2، 207.والزركلي :الأعلام.ج2،ص 315.

2- كذا في الأصل والصحيح هو مُحَمَّد بْن يعقوب بْن علي، المولى، مجيرُ الدين ابن تميم، سكن حماة، وخدم الملك المنصور. وكان جنديًا محتشمًا، شجاعًا،

مطبوعًا، كريم الأخلاق، بديع النَّظم.تُوُفّي بحماة عام 684هـ.الذهبي:تاريخ الإسلام.ج 15،ص531.وصلاح الدين:فوات الوفيات.ج4،ص 54.

3- طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، البكري الوائلي، أبو عمرو(نحو 86، 60 ق هـ = نحو 564،538 م): شاعر، جاهلي، من الطبقة الأولى. ولد في بادية البحرين، وتنقل في بقاع نجد. واتصل بالملك عمرو بن هند فجعله في ندمائه. ثم أرسله بكتاب إلى المكعبر (عامله على البحرين وعمان) يأمره

كلهم أورع من ثـعلب مـــــا أشبه الليلة بـــالبارحه

وغير هذا مما يقع في شعرهم مما يحسن ذكره ويعذب ترداده،وبالجملة فالعزلة راحة النفوس من كل كدر خفي ومحسوس وبها يتطهر الظاهر وتستنار البصائر ويكتسب بها الأخلاق الحميدة والأوصاف الجميلة ويسلم من الآفات التي تحصل عند المخالطات ويقطع بها طمعه عن الناس ويحصل منهم الإياس، وبها تحصل الفكرة فيطلع بها على عظمة الله وجلاله إذا تفكر في آياته ومصنوعاته ويطلع بها أيضا على آلائه ونعمه الجليلة والخفية فيستفيد بذالك أحوالا سنية ومنافع العزلة أكثر من أن تحصر وفضائلها أكثر وأجل من أن تذكر.

وأما كرائم صاحب الترجمة فقد تواترت عنه كرامات وظهرت على يديه علامات،منها ماحدثني به بعض الفضلاء قال: لما كان سيدي محمد المعطي قدس الله روحه ساكن برباط سلا ذهب نفر من الناس يزورونه من تادلة، فلما وصلوا إلى تلك البلد وجلسوا عند عين ماء قرب المدينة المذكورة ليتوضؤوا،قال بعضهم لبعض لم يبقى أحد في الأحياء[من الصالحين[1]] حتى يزار، وكأنه يذكر ما لقوا في تلك المفاوز والمسافات من المشقة وبعد ذالك هل يحصل له شيء من الخير أم لا، وقال كلمة جرت على ألسنة العامة هي، بعد محمد لا فقر وبعد أحمد لا سلطان ،والعوام يقصدون بهذا أنه لم يبقى صلاح بعد محمد الشرقي ولم يبقى سلطان بعد أحمد المنصور بالله. فلما وصلوا إليه رضي الله عنه خرج إليهم وتلقاهم بترحيب ونشر يديه كهيئة المعانق والتقت يده اليمنى مع اليسرى عليهم وضمهم إليه وهم كانوا عشرة، ثم قال لأحدهم: ما لأحدكم يقول بعد محمد لا فقر وبعد أحمد لا سلطان، لا تقولوا ذالك فإن الرجال باقية،قلت وفي هذه الحكاية كرامتان أحدهما إطالة اليد والثانية من باب الكشف .

ومنها ما حدثنا به بعض الناس أنه ذهب إلى رباط الفتح ،وكان قدم بزيت يبيعه هناك هو وواحد من أقاربه، فلما وصلوا وجدوا الزيت بتلك البلدة رخيصا فلم يجد من يساومه منهم،وبقيا مدة وهما كذالك فطال عليهم الأمر وخافا من الخسران فيه وكان من الصيف،قال المخبر وجعلت الجلود ترشح بالزيت فضاق عليهم الأمر فقام أحدهم وقال نذهب إلى سيدي محمد المعطي نزوره، فأتوا إليه فخرج إليهم وجلس معهم واشتكوا إليه ما أصابهم،فقال له ولم قدمتم به حتى تسألوا عن البلد هل يباع فيها أم لا،وإن بعتموه هل تعودوا لمثل هذا ؟ قالو له يا سيدي لا.فقال لهم يباع إن شاء الله، قال لي المخبر فخرجنا من عنده ومررنا على دار لبعض الصبانين بقرب دار هذا السيد فقام إلينا من غير معرفة له بنا وقال، هل عندكم شيء من الزيت تبيعونه، فأخبرنا بما عندنا وتبايعنا معه

فيه بقتله، لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها، فقتله المكعبر، شابا، في (هجر) قيل: ابن عشرين عاما، وقيل: ابن ست وعشرين.الزركلي:الأعلام.ج3،ص 225.

[1]- – ساقطة من أ

وظهرت منه غبطة فيه حتى كان الزيت لم تكن بتلك البلد، ودفع لنا الثمن قبل أن نمكنه من الزيت حرصا على إثبات البيع.

قـــوم على مولاهم أقبلوا	وأعـــــرضوا عن كل شيء سواه
وحـــــرموا نوم الرجا رغبة	فــــيما لديه كي يـــــنالوا رضاه
دمــوعهم فـوق خدودهم	تـــــجري اشتياقا مــــنهم للقاه
قد طلقوا الدنيا بلا رجـعة	وآثــــروا [فوق هواهم[1]]هـــواه

وقال الآخر فيهم رضي الله عنهم :

سبحان من يهدي العقول	جماله وبدت به أسرار كل كمال
فالواصلون رأو به أفـعالهم	والســـــالكون رأوه بـــالأفعال

ومنها ما حدثنا به شيخنا الفاضل العالم العلامة، أبو العباس أحمد بن عبد الله الغربي[2] رضي الله عنه وأنا إذ ذاك برباط الفتح لما قدمت عليه للقراءة هناك، قال لي لما كان سيدي محمد المعطي ساكنا هنا وكان بعض الناس من أهل المدينة يأخذ بيده في مآربه ويرسله في حوائجه، تسلط عليه الحاكم بالبلد فأرسل إليه سيدي محمد المعطي ليشفع فيه فامتنع عن ذالك،ثم أن الوالي وقع له أمر فعلم أنه من بركة هذا السيد .

ومنها ما حدثني بعض الطلبة من إخواننا عن والده قال :كان والدي أسلم على سلع من الزيت وغيره وكان رأسمال ذالك ثلاثمائة مثقال، فأخبر سيدي محمد المعطي بذالك وقال له، ياسيدي هذا العام نربح ويفضل لي كذا وكذاواشتغل، يذكر ربح[تلك[3]]السلع ويفرح بهوكان هذا المسلم من أقارب هذا الولي ومن دخلائه، وسيدي محمد

---

[1]- في أ وافرا وهواهم.

[2]- أحمد بن عبد الله الغربي الرباطي: مسند الرباط بل المغرب في عصره، حلاه الحضيكي في فهرسته ب " خاتمة علماء المغرب ومدرسيه ونساكه "، وحلاه ابن التهامي بن عمرو الرباطي في فهرسته ب " الحافظ ". روى في المغرب عن أبي الحسن عليّ العكاري وأبي الحسن عليّ بركة التطاوني والشيخ أبي العباس ابن ناصر وأحمد بن يعقوب الولالي وغيرهم، وحج عام 1146 ولقي أعلاماً بالمشرق كأبي طاهر الكوراني وسالم بن عبد الله البصري وأحمد العماوي وتاج الدين القلعي والشهاب أحمد الجوهري ومحمد بن الشيخ حسن العجيمي المكي وسليمان بن أبي سلهام الحصيني ومحمد بن عبد الله السجلماسي المغربي المدني وغيرهم، فأجازوه عامة مالهم، ورجع مملوء الوطاب، ومع ذلك قال عما حصل عليه من ذلك في إجازته للشيخ التاودي ابن سودة.الكتاني:فهرس الفهارس. ج1،ص119.

[3]- ساقطة من أ.

المعطي لا يزيد على أن يقول له مسكين مسكين سيدي فلان ويكرر عليه هذا اللفظ، قال لي المخبر فحدثني والدي أن السلطان الرشيد[1] ماتقبل حلول أجل السلم فاشتعلت الفتن وتفرق أمر الناس فلم يقبض رأس المال ولا السلع .قلت وفي هذه الحكاية أمران نحتملهما أحدهما أن قول صاحب الترجمة مسكين مسكين سيدي فلان فيه إشارة إلى أنه لا يحصل شيء لا رأس المال ولا غيره، فهو من باب الكشف، إلا أن المقول له لم يهتدي إلى ما أشار إليه السيد في تلك الحال ولكنه ظهر له بعد ذالك. الثاني يحتمل الإشارة بذالك إلى تحقير شأن الدنيا وإلى المصائب التي تعقبها وأن العاقل[لا ينبغي أن[2]]يفرح بها ويهتم بزخرفها ويظهر السرور بنعمها بلينظر إلى باطنه والمصائب التي تنوب من أجلها والحسرات التي تصيب عند فقدها كما قيل:

ومن سره أن لا يرى ما يـــسوءه   فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا

فإن صلاح المرء يرجع كله فسادا   إذا الإنسان جـــاز به الحدا

فبقدر العلائق تكون اللمصائب ،فإن كان للإنسان ألف محبوب نزلت به عند الموت ألف مصيبة في وقت والحد ما ذاك إلا إنه يحبها كلها وتتفاوت المصائب بالشدة والضعف بقدر تفاوت المحبة للأشياء كما قيل:

على قدر ما أولعت بالشيءحزنه   ويصعب السهم مهما تمكنا

وفي الحكم لابن عطاء الله ،ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه ،وذكر شارحها ابن عباد حكاية وهي أن بعض الملوك حمل إليه قدح من فيروز مرصع بالجواهرل م يرى له نظير ففرح الملك به فرحا شديدا، فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا فقال أراه مصيبة وفقر قال وكيف ذالك قال إن انكسر كان مصيبة لا جبر لها وإن سرق صرت فقيرا إليه لم تجد مثله، وقد كنت قبل أن يحمل إليك في أمن من المصيبة والفقر فاتفق أن انكسر القد فعظمت مصيبة الملك فيه وقال صدق الحكيم، ليته لم يحمل إلين افالفرح بالشيء مقدمة للحزن عليه فالعاقل ينظر إلى باطنه وإلى ما يعقبه فإذا نزلت به مصائب سهلت عليه تلقيها كما قيل :

يـــمثل ذو اللب في لبه   شــــــــدائده قبل أن تنزلا

---

[1]- السلطان الرشيد العلوي(1075-1084هـ)(1664-1672م) من مؤسسي الدولة العلوية بالمغرب من أهم أعماله بالقضاء على زاوية الدلاء خصومه الألداء 1079هـ ونقل رئيسم محمد الحاج مع أبنائه وعشيرته إلى فاس ثم تلمسان وش مدرسة الصفارين بفاس (1081-1087هـ) (1670-1678م) أيام أخيه مولاي اسماعيل.محمد الأخضر:الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية.دار الرشاد الحديثة،الدار البيضاء،1977،ط1،ص 67 وما بعدها.

[2]- ساقطة من أ.

فـــإن نزلت بغتة لـم ترعه لـــما كان فـــي نفسه مثلا

رأى الأمر يــــفضي إلى آخــــــره فيصير آخره أولا

وذو الـــجهل يأمن أيامه وينسى مصارع من قد خلا

فإن دهمته صروف الـزمان بــــبــعض مصائبه أعولا

ولو قدم الـحزم في نفسه لعلمه الــــصبر عند البلا

قلت ومصائب الدنيا أكثر من أن تذكر وكادت أن تكون كالشمس أو أظهر وقد أكثر الشعراء في التحذير منها و الاغترار بها والاغتباط بحبها لما يعود على صاحب ذالك من الغموم المثقلة والهموم ومن ذالك قوله:

ومــــن يحمد الدنيا لشيء يسره فسوف لعمري عن قريب يلومها

إذا أدبرت كانت على المرء حسرة وإن أقـبلت كانت كثيرة همومـها

وقال الآخر : أشــــد الــــغم عندي في سرور تـــيقن عـــنه صاحبه انتقالا

أرى الدنيا عــلى مـــا كان فـيها تـــدير فــــلا تديم عليه حالا

وقال الآخر: مـــــا قـــام خيرك زمان بشره أول بنا مــــا قام منك ومــا كفا

زمــــان إذا أعطى استرد عــطاءه وإذا استقام بنا التوى وتــــــحرفا[1]

وقال الآخر: إن الليالي لم تــــحسن لأحــــد إلا أســـاءت إلـــيه بعد إحسان

وقال الآخر: سرور الــــدهر مقرون بـــحزن فـــكن منــه على حذر شديد

ففي يــــمناه تــــاج من نظار وفـــي يــــــسراه قيد من حديد

وقال الآخر: هــــي الدنيا تقول بـــملىء فيها حـــذار حـذار من بطشي وفتك

فــــلا يــــــغررك مني ابتسام فـــقولي مـــضحك والفعل مبك

1- في ب كثيرا.

وقال أبو علي في قصيدة له:

فـــــلا تبتهل بالحادثات ولا تثق بـــــما وهبت يوما فموهوبها مغرا

مـــــقربها مقصى ومرفوعها ملقى ومنــــهلها مظمئ ومكسوها معرا

ولا تـــــركنن للدهر إن نــــعيمه ظلا لسحاب يمسح السهل والوعر

وقال الآخر: تـــــنح عن الدنيا ولا تــــخطبنها ولا تـــــخطبن قتــالة من تناكح

فليس يفي مرجوها بـــــــمخوفها و مــكروهها لـــما تأملت راجح

لـــــقد قال فيها الواصفون وأكثروا وعندي لـها وصف لعمري صالح

سـلاف[1] قصاراها[2] تعاف ومركب شــهي إذا استلذذته فهو جـــامح

وشخص جميل يوقر الناس حسنه ولـــــكنه أســـــرار سوء قـــبائح

ويقال لو وصفت الدنيا نفسها لما صحت بقول أبي نواس:

ألا كل حي هالك وابـــن هالك وذو نسب في الهالكين غـريق

إذا امتحن الدنيا لبيب تـكشفت[3] له عن عدو في ثياب صديق

والكلام في هذا الأمر الثاني الذي أشرنا إليه أولا كثير،فلنرجع إلى ما نحن بصدده فنقول، ومن كرائم هذا الولي سيدي محمد المعطي رحمه الله ما حدثني به بعض إخواننا عن أبيه قال،قال لي والدي أتى جماعة كثيرة لزيارة هذا الولي سيدي محمد المعطي فلما وصلوا إليه وأنزلهم دخلت إلى منزله لننظر ماذا يصنعون لهم من الطعام،فوجدت الأمة تطحن شيئا قليلا من القمح، فخرجت وأتيت إلى سيدي محمد المعطي وقلت: يا سيدي هذا القمح التي تطحن هذه الأمة لا يكفي في إطعام هذه الجماعة، فقال له صاحب الترجمة أسكت لا عليك في ذالك، قال فلما طحنته وجعلته في القدرة أتى إليها وجعل يحركها بيده، قال لي المخبر فلما جعل في القصعة وقدم للجماعة أكلوا

1- سلاف : السُّلاَفَةُ: الْخَمْرُ، كَالسُّلاَفِ بغيرِ هاءٍ.تاج العروس،ج 23،455.

2- وَيُقَالُ: المِتَمَنِّي قُصاراه الخَيْبةُ.وقصارها غايتها وآخر أمرها.لسان العرب،ج5، ص97.

3- في ب تكثفت .

من عند آخرهم وهو نحو السبعين، قلت وهذه كرامة ظاهرة ومزية باهرة وقد جاء من معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام وإشباع الجمع الغفير الكرام باليسير [من الطعام[1]]وهو كثير مذكور في كتب الأئمة وإليه أشار البوصيري رحمه الله بقوله:

فتغدى بالصاع ألف جياع   وتروي بالصاع ألف ضماء

ومن كرائم صاحب الترجمة أيضا ما حدثني به بعض إخواننا، تلف لي مهر من الخيل وبقي ثلاثة أيام وهو ضال، ثم أن سيدي محمد المعطي أتانا ضيفا فاشتكيت له بذالك وكنت أنا وهو جالسين في خيمة لنا فبنفس ما قلت له ذالك سمعت صهيل مهر لا يدرى لمن هو فقال، انظر لعله مهرك هو هذاقال فرفعت رأسي فإذا المهر الذي تلف لي حاضر،فقلت له يا سيدي هو ذاك فرأيت وجهه يستنير ويحمر .

وأما ما يؤثر عن صاحب الترجمة مما يؤذن بحبه العظيم ووجده الجسيم فكثيرا أيضا ،وحدثني بعض الثقاة أن صاحب الترجمة رضي الله عنه، رأى في عالم النوم كأن ملكا نزل من السماء يكتب أهل المحبة فأول ما كتب مالك بن دينار، واشتغل بكتب حتى انتهى الأمر إليه فسطر وراء الملك يقول محب المحب محبوب،محب المحب محبوب وهو يكرر ذالك إلى عشرة مرات ،اللهم إني أشهدك بأني أحب هذا الولي سيدي محمد المعطي وأحب جميع أهل محبتك فتقبل مني ذالك،

وحدثني بعض الثقاة أن صاحب الترجمة كان يقرأ صحيح البخاري هو وجماعة من الطلبة من رباط الفتح فعثروا على كلام لبعض العلماء فاختلفوا في فهمه، وصدر من بعض الطلبة كلام فيه محصله،أن بعض الصحابة فعل مع النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس هو من شأن الحبيب أن يفعله مع محبوبه في حالة الحرب، فصاح السيد صيحة عظيمة،وأغلظ على الطالب الصادر منه ذالك وقام رضي الله عنه غائبا ويشق[2]الصفوف وخرج من المجلس وهو على ذالك الحال[3] راجعا القهقرا حتى انتهى إلى سارية من سواري المسجد فضربته في رأسه وشجته وسقط على الأرض وحمل إلى داره مغشيا عليه، فما أفاق إلا بعد حين.قلت: ولعل حمل الطالب المتقدم لا يليق بجانب الصحابة رضي الله عنهم لأنهم بذلوا أنفسهم وأموالهم في نصرته وفدو نفسه بأنفسهم ولم يرغبوا بأنفسهم عن

[1]- ساقطة من ب.
[2]- في ب وشق .
[3]- في ب تلك الحالة .

نفسه وقلما يذكرونه إلا فدوه بأنفسهم،وأخبارهم في هذا شهيرة وقد أشار البوصيري رضي الله عنه إلى ذالك بقوله: أرخسوا في الوغا نفوس ملوك حاربوها أسلابـها إغلاء

فكيف يتصور منهم شيء خلاف ذالك،وحدثني أيضا بعض الثقاة أن صاحب الترجمة أغلظ على أمة له فاحترمت له بالنبي صلى الله عليه وسلم، ففات شيء من ذالك بعد الاحترام،فندم على ذالك وتأسف على ذالك غاية وأرسل إليها بعتقها[1]. جزاءا على ذالك وتكفير لتلك المخالفة وكتب لها ذالك في صك فقبضته الأمة وبقي عندها إلى أن أرسل السلطان إسماعيل[2]ليأتوا له بالخدم، فأتوا بها يضنونها منهم فأخرجت الصك إليهم .

وحدثني بعض الثقاة أن صاحب الترجمة قدم إلى فاس يطلب حق أمه من وارثها فقاموا إليه وأتوه بنعل النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت عند بعض الناس هناك، فسمح لهم وأبرأ ذمتهم، وهكذا يكون الاحترام والتوقير والإعظام .

غريب الوصف ذو علم غريب عليل القلب من حب الحبيب

إذا ما الليل أظلم قام يبكي ويـــــنطق فيه بـالعجب العجيب

فيقطع ليله ذكرا وفـــــكرا ويشكوا ما يكون من من الوجيب

به من حب سيده غـــــرام يـــــــحل عن التطبب والــطبيب

ومن يكن هكذا عبدا محبا يـــــطيب تـــــرابه من غير طيب

وحدثني بعض الناس أن صاحب الترجمة كان يصلي بالليل مدة وكانت زوجته جالسة بخارج البيت فسمعته يبكي ثم سمعته يضحك، ورأت البيت امتل أنورا حتى دخلها شيء من الروع لأجل ذالك النور، فلما أصبح الصباح ذهب إلى المسجد ليصلي الصبح أقام هناك حتى ركع الضحى،وكان من عادته أنه لا يخرج من المسجد حتى يقضي أوراده، فلما أتى إلى داره سألته زوجته وقالت له يا سيدي رأيت منك البارحة شيئا،سمعتك أولا تبكي

---

[1]- في ب يعتقها .

[2]- السلطان إسماعيل (1084-1139هـ)-(1672-1727م) تولى بعد وفاة أخيه السلطان رشيد وكان عاملا له بفاس، عانى من الفوضى والاضطرابات اتخذ من مكناس عاصمة له وتمكن من استرجاع بعض المدن من المحتل الأجنبي كالعرائش والمهدية وطنجة والعرائش وعجز عن سبتة.محمد الأخضر:الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية،ص 72.

ثم سمعتك تضحك ورأيت نورا عظيما في البيت. فقال لها لما سمعتني أبكي عرضت على الدنيا فأتيت منها وجعلت أتأسف على ذالك ولما سمعتني أضحك دخل علي المصطفى الكريم صلى الله عليه وسلم وبشرني بالجنة .

قلت وفي هذه الكرامة أمران، أحدهما رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة وهي أكبر الكرامات وأسن الدرجات وأرفع المراتب وأعلى المواهب،إذ رؤيته صلى الله عليه وسلم لنا كرامة ورؤيته يقظة من أزكى المناقب وأسمى المناصب كما تقدم لنا في الكلام على رؤيته صلى الله عليه وسلم عن ابن الحاج صاحب المدخل حيث قال: إن رؤيته صلى الله عليه وسلم باليقظة باب ضيق وقل من يقع له ذالك[الأمر[1]] إلا من كان على صفة عزيز وجودها في هذا الزمان بل عدمت غالبا مع أننا لا ننكر من وقع له هذا من الأكابر الذين حفظهم اللهفي ظواهرهم انتهى.

والثاني، بيان زهد صاحب الترجمة وغظ طرفه عن الخسيس الفاني وإعراضه عن زخرفه وتجافيه عن زينته وإقباله عن النعيم المؤبد وحرصه على الذخر المخلد وسروره بدار النعيم المقام الكريم،مع أنه ليس فرحه بها لذاتها وعمله لأجل حصولها ورجاء الثواب على عمله،ولكن لما يقع في ذالك من القرب الحاصل هناك والتعريف الزائد والتلذذ برؤية الحق سبحانه والتنعم بالنظر في المحبوب، لأن العمل لحصول العوض وإعطاء الغرض ليس من شأن المحبين كما قال صاحب الحكم، ليس المحب الذي يرجوا من محبوبه عوضا ولا يطلب منه غرضا،فإن المحب من يبذل

ليس المحب من يبذل له، بل المطلوب أمام كما أسفر عنه الكلام،ويرحم الله الشيخ أبا الحسن الشششتري[2] حيث قال:

فـــــــلا تلتفت في السير غير أو كلما سوى الله فاتخذ ذكره حـصنا

وكل مقام لا تقم به إنه حـجاب فـــــجد السير واســـــتنجد الـــعونا

ومهما كل الـمراتب تجتلي عليك فجـــــل عـــــــنها فعن مثلها جلنا

وقل ليس لـــي في غيرك[3]مطلب فـــــلا صورة تجلى ولا طرفة تجنـــى

---

[1]- ساقطة من أ.

[2]- علي بن عبد الله الششتري، النميري، الاندلسي (أبو الحسن) فقيه، صوفي، حكيم، أديب، ناظم، ناثر.توفي في دمياط بمصر عام 668هـ.من تصانيفه: العروة الوثقى في بيان السنن واحصاء العلوم وما يجب على المسلم ان يعملهويعتقده إلى وفاته، المقاليد الوجودية في أسرار الصوفية، الرسالة القدسية في توحيدالعامة والخاصة وغيرها كحالة:معجم المؤلفين.ج7،ص 135.

[3]- في ب في غير ذاتك.

وكان صاحب الترجمة رضي الله عنه آية في المحبة وكان له القدم الراسخ في الطريق وحجة في علم التصوف ،حدثني بعض الناس أنه كان إذا دخل رمضان يعتكف على كتاب الإحياء للغزالي رحمه الله ولما مات وجدت سبحته فيه،ويقال أن والده أبا محمد سيدي عبد الخالق[1] ذهب به يوما وهو صغير لبعض أهل الخير بقصد أن يدعو له، فلما أوصله إليه قال له أكسه جبة صوف فوقع في خاطر الوالد شيء وتعجب من ذالك،كيف يلبسه الصوف والكتان والملف موجود ،وكان ذا مال ولم يتفطن إلى أن مراد السيد بذالك الإشارة إلى أنه يكون من أهل التصوف.

وحدثني بعض الثقاة أنه كان حال قراءته مع الطلبة يختلف هو والشيخ في فهم مسائل أو في جواب عن سؤال يرد فيأتيهم بجواب لم يكن لهم به علم ،فيقول له الفقيه هذا من صوفك يعني به التصوف ثم بعد ذالك يجدونه الأصح ،وذكر لي المخبر أن سيدي محمد المعطي كان يقول لهم كنت ترى الجواب مكتوبا على جبين الفقيه، وحدثني بعض الثقاة أن الشيخ محمد بن ناصر، أستاذ أبي علي اليوسي أرسل إلى صاحب الترجمة كتاب و كأنه يدعوه إلى صحبته، فأجابه بأن شيخه لم يبقه محتاجا لأحد ،وقال له لكن أنت رجل متبع للسنة فاصرف لي شقه من الكتان واذخرها فتكون كفني فأرسلها إليه.

وحدثني بعض الثقاة وهو الفقيه الأجل أبو العباس أحمد بن الفتوح التازي ،أن بعض الناس رأى في عالم النوم الشيخ سيدي أبي العباس السبتي نفعني الله به،أتى إلى روضة الشيخ سيدي محمد الشرقي راكبا وقال للرائي،اذهب إلى فلان يعني به سيدي محمد المعطي، و قل له يتكلم للملك، فلما أصبح قصها على سيدي محمد المعطي فقال له حان الرحيل وقرب الأجل،و حدثني بعض الثقات أن بعض الناس من أصحاب صاحب الترجمة رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له المصطفى صلى الله عليه وسلم، أبشر بصحبتك للمعطي

وحدثني ولده الفقيه الخير الدين سيدي محمد قال لي، لما قربت وفاة الوالد رأى شيخه سيدي محمد بن إبراهيم فقال له تأهب للرحيل،قال لي المخبر فبنفس ما حدث لذلك اشتغل يتأهب للسفر، قال وكان يريد أن يقدم إلى مراكش فشاور الشيخ على ذلك فقال له لاتقدم حتى أذن لك، فلما أذن له علم أن أجله قرب و لما لحق مراكش مرض به.

1- عبد الخالق بن عبد القادر بن محمد الشرقي ذكره العباس بن ابراهيم في الإعلام ولم يذكر سنة وفاته،ج8،ص 49.كما ترجمه العيدوني في يتيمة العقود الوسطى في مناقب أبي عبد الله سيدي محمد المعطي .مخطوط المكتبة الوطنية،الرباط،305ك،ورقة 78.

وحدثني الفقيه المذكور، أن صاحب الترجمة لما ثقل حاله وتعطلت حركاته قال لبعض الحاضرين أن أنضروا لي قبرا يكون قريبا من قبر الشيخ، فقالوا له ما علمنا شيئا، فقال لهم أنظروا لعلكم تجدون شيئا فخرج الفقيه سيدي أحمد العطار من إخوان صاحب الترجمة و الشيخ يسأل عن ذالك، فلقيه بعض الناس فأخبره بأن بإزاء الشيخ قبر لبعض الناس أعده لأن يدفن فيه، فرجع إلى صاحب الترجمة وبشره بذالك فقال له صاحب الترجمة، لا شيء له فيه من جهة الشرع لأنه لا يملكه إلا بالدفن فيه وإنما له الأجرة .قال المخبر واستحضر صاحب الترجمة نص "مختصر خليل" في تلك الحال على ذالك،فلما توفي ذهبوا إلى القبر فوجدوه محفورا فدفنوه فيه.وذكر لي الفقيه المذكور، أنه اجتمع مع سيدي أحمد العطار بعد ذالك فأخبره بما قال لهم أبوه، وأن الشيخ أتى له وقال له تأهب للرحيل فقال له سيدي أحمد العطار، وهل تدري في أي حالة أتاه؟ أتاه يقظة لا مناما ،وحدثني بعض الثقاة أن صاحب الترجمة لما كان في حالة نزع وكان أبو العباس سيدي أحمد العطار جالسا عند رأسه فقال له يا سيدي فهل القرب إليه[1] حسن، فقال له نعم حسن.وكان صاحب الترجمة يقول لهم، إذا أنا مت فارفعوني وألقوني على المزبلة قلت :ولعل مراده بذالك أنه يشير إلى قول الشاعر:

مساكن أهل العشق حتى قبورهم   عليها تراب الزبل دون المقابر

ولهذا البيت حكاية ،وهي أن بعض الطلبة زار قبر الشيخ أبي حفص عمر بن الفارض رحمه الله، فوجد عليه التراب فلما رأى ذالك صاح وقال الله أكبر وأنشد البيت، فيكون صاحب الترجمة أشار إلى أنه نال درجة أهل المحبة ويؤيد هذا ما ذكرلي بعض الناس ،أن صاحب الترجمة قال لبعض أصدقائه من حدثك أني مت في بساط المحبين فلا تكذب، وكانت وفاته رضي الله عنه سنة 1070هـ [1]ودفن بخارج باب الدباغين من حضرة مراكش بجنان العفا بقرب شيخه وقبره بإزاء قبره.

وبالجملة فصاحب الترجمة رضي الله عنه من أهل الولاية والعرفان والخصوصية والتمكين وذوي التشمير والاجتهاد نفع الله به البلاد والعباد وظهرت عليه علامات واختص بخصوصية ،وهو وارث سر الشيخ، ويذكر عن الثقاة أنه لم يرث أحد الشيخ على الحقيقة إلا هو، وممن صرح أنه وارث الشيخ سيدي محمد الشرقي رضي الله عنه شيخه المتقدم، وقال له أنت المعني بقول الشيخ سيدي محمد الشرقي، يأتي من أولادي من جربي هو مشيه،

---

[1]- في ب، فهل الظن بالله حسن

.[1]- الصحيح أنه توفي سنة 1092هـ،انظر القادري: نشر المثاني.ج2، ص 301. واحمد بوكاري:الزاوية الشرقاوية.ج1،ص 100. والعبدوني: يتيمة العقود الوسطى في مناقب أبي عبد الله سيدي محمد المعطي.ورقة 63.والمعداني:الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله المدعوا بالصالح،مخطوط المكتبة الوطنية المغرب، رقم رقة163.

وسيأتي كلامه إن شاء الله على هذا قريبا .وكان شيخ صاحب الترجمة يقول ما ارتقيت لمقام إلا وجدت المعطي بإثري. حدثني الفقيه الأجل الأخ في الله الفاضل أبو العباس أحمد بن فتوح، أن صاحب الترجمةكان من الأوتاد وذكر لي في ذالك حكاية وهي، أن بعض الناس دخل يعود صاحب الترجمة وكانت الأمراض تعتريه غالبا لا تفارقه فسأله عن حاله وكيف هو،فقال له الوتد الذي خدشت رأسه الرزامةكيف يكون حاله، قال المحدث أشار بهذا الكلام ويفهم منه أنه كان من الأوتاد نفعنا الله ببركته في الدارين آمين .

قلت والكلام الذي كتب على الكلمة التي صدرت من الشيخ وهي،يأتي من أولادي من جريي هو مشيه وجدته بخط الوالد رحمه الله ونصما وجدت : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله مما وجد بخط العالم التقي الصالح الولي أبي عبد الله سيدي محمد المعطي بن عبد الخالق رحمهما الله وعفا عنهمأجمعين بفضله ونفعنا بالصالحين ،مشيرا إلى السفر عن بعض كلام الشيخ العارف [بالله[1]] سيدي محمد أبي القاسم الشرقي نفع الله بهما الكاتب والمستمع وجميع المسلمين في الخليقة من بعدهما نصه: قد بلغنا في قراءتنا أثناء الموصول وصلنا الله تعالى بصلة التوفيق وربضنا فيها[2]

بضمائر الرشدو التحقيق لنعرف المعرف بأداة التعريف المنزه عن مدركات الوهم والتكييف فتشرق علينا نواسم الاهتدا بكنائف الابتداء فنشاهد الفاعل في الوجود ونعلم وحدانيته في العزل والجود فيقع القرب والبعد والوجد والفقر الفناء والمحو والسكر والصحو، فتثبت المعارف بعد هبوب النواسف وتستحق الخلافة والنيابة وتتحقق الإصابة في الدعوة والإجابة{قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرةأنا ومن اتبعني}[3][يدعو إلى ذالك[4]]لأن قدم التابع على قدم المتبوع فإن حاد القدم فإنه مخذول ومرفوع[5]فيحمل عليها، لاختلاف وصايا النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه على حسب مراتبهم، فقال لبعض أنفق ولآخر أمسك، ولآخر استحي ولآخر لا تغضب، فمن سلك هذا المسلك فقد يقع عليه قول الشيخ المحدث بفتح الدال الداعي إلى الله تعالى .

والدال يكون في أولادي من يكون جري هو مشيه ،وبيان ذالك والله أعلم بمراده،أن الشيخ عبر بجريه على حافة جدبه لأن المجدوب من قطعت له الطرق القاطعة والموصلة من غير تعب ولا نصب،وأدرك غايتها في أقرب

---

[1]- ساقطة من ب.

[2]- يوسف 108.

[3]- ساقطة من ب.

[4]- في ب مدحور و مدفوع.

زمان ،فعبر الشيخ بالجري على الجدب بجامع ما في كل منهما من السرعة والبطش، وعبر بمشي الذي بعده عن سلوكه في قصده ،لأن السالك يقطع المقامات كلها لكن بحسب ما قدر لصاحبه أن يمكث ساعة أو أعواما وأياما، فعبر بالمشي على السلوك بجامع مافي كل منهما من البطو والمهلة، فكأنه يقول من بعدي من يروم ما قصدته ويقطع ما قطعت هو إن احتلفنا في السير ،وفي حالة الجاه والتشهير قد اجتمعنا في عوارف المعارف واتفقنا في شهادة المشهد السالف يوم {ألست بربكم قالوا بلى }[1]

فمن لبى منهم تلبيتي فهو بغيتي ومنيتي والظاهر بدعوتي من خاصة عترتي وإياه عنيت وبالإشارة إليه أتيت ومن اغترب ظاهر الأكوان فالحذر الحذر من التمسك بالغرر فقد قيل، فإن في كل واد بني سعد، فمن أطمأن لهم كشفوه ومن اعتمد عليهم أتلفوه،أعني الذين جعلوا الجهل عمادا والباطل المزخرف وسادا، واستمال قلوب الضعفاء مرادا، وأما من اكتفى بظواهر الألفاظواستند منها إلى نقي البحث والاعتراض وكانت منى قلبه واستبدلها من حضرة ربه، فإرثه مني محذوف والوارث معروف والعابث مقذوف ولا يرث الكاذب الصادق، كما لا يواري الغارب الشارق ووجد بعد يذالك.

أيا عجباحتى الجهول يسود	وأعـــــمى يقاد قد تولى يقود
وبدر الدجى أمسى يماريه في الجلا	نجيم[2] السها والحاضرون شهود

انتهى ما نقل من المبيضة بعد إمعان النظر فيها و كثرة المحو في حروفها، قال الوالد رحمه الله ،انتهى ما نقل من خط صاحب المبيضة رحمه الله ورضي عنه ونفعنا به ،قلت: وقد خطر[3]لي على البيتين المتقدمين أبيات كثيرة في انحطاط الرفقاء وارتفاع الوضعاء ولو لا خوف السئامة والملل لأثبتها بجملتها،ولما توفي صاحب الترجمة رضي الله عنه رثاه الأديب الفاضل الخير الدين أبو العباس سيدي أحمد بن عبد القادر التستاوتي رحمه الله بأبيات وهي :

قـــل للأحبة من بني الشرقي	الـــماجد الموسوم بالصدق
لوكان يـــــــنفعني اشتياقي	إلى فقــد الحبائب مت شوق
أو كـــان نثر المع يدرأ عن	الــــــمتأسفين مرارة الفرق

1- الأعراف 172.

2- النَّجيمُ: تصغير نجم.والسها:كَوْكَب صَغِير خَفِي الضَّوْء.المعجم الوسيط.ج1،ص 459.

3- في ب حظر لي.

بـــــادرتكم للحزن أبك على فقد الفتى المعطي ومن حـق

فـــــلتنبذوا ما كان من شجو ولتـــــطرحوا ما كان من حلق

أنتم نـــــــجوما يهتدى بكم لا تـــــعدلوا عن منهج الحق

وعليكم مني التحية مابزغت دراري الشعر مــــــن أفــــــق

ومن جملة نثر هذه المرثية من ما كتب به أبو العباس المذكور أما واللهلو كان يفتدى بالأموال والأنفس لسبقانكم لفداهوعجلناكم طلبا لبقاهولكن كان ذالك في الكتاب مسطوراوما في الأمر لي عما قضاالله معدلاوكتب

بعد ذالك أبياتا هي:

يـــــا راحلين قلوبنا لرحيلهم قـــــد فنت وزفيرنا قد أعلنا

خلفتمونا بعدكم في حـسرة وتـــركتمونا والهين فمن لنا

هــــــلا تربصتم علينا ساعة حتى نلاحظ مرة ذاك السنا

انتهى، ولي في صاحب الترجمة أبيات مدحته بها لما قدمت إلى مراكش زائرا سنة ألف ومائة وأربعة وثلاثون وهي:

ســــــقيا لأرض أنت فيها طود من أمسى غريبا قاصدا لــــنداكم

أنت مناه يرتـــــجى من جودكم جودوا له بكمال فضل مـــــناكم

يا سادتي أنتم حـــــــماة للورى لاسيما لمن انـــــتمى لـــــثراكم

أنـــــــتم شموس للأنام لم تفل فضياؤكم يجلي العمى وســناكم

لـــــــكم الـــركائب في الهامة تهتدي تجف المنام ليالها لعلاكم

حـتـــى ترى ذالك الحمى فتحط بـــــــربع الكرام رحـــــالها للقاكم

أنتــــــم غناء من أتاكم من ملأ تـــــعطوا بلا سؤل يرى لعطاكم

أمـــرر على ربع الأحبة إنــــــهم قـــــــــوم عزيز جارهم ومنادم

يا سيدي يا محمد الـــــمعطي ... عـــبد وفى غريق بالذنوب أتاكم

أنـــــزل بــــه متأدبا وأكرم به ... يـرجى لـــخطب منجز لرجاكم

ورث الإمام الشرقي في سر لـــه ... فــــــعلا بدا مـــــــن ماكم

مولاي جئت لبابكم مـــستعطفا ... عـــطفا ثـــم مستنجدا مغناكم

أممت بابكم غريبا مــــــحوجا ... مــتضيقا نـــرجوا بذالك رضاكم

لا بد من وافى الكرام من الـــقرا ... فـــــــنزيلكم ضيف أتى لقراكم

متوسلا بالـــــمصطفى وبصحبه ... وبـــــآله والساكنين حـــــماكم

وبغوثنا الشرقي وشيخكم الرضى ... مـــــقتفى الطريقة للغريب ملائم

صــــــلوا عليه ما تــــألق بارق ... وعــــــلى صـــحابته سلام دائم

ولي في مدح ولده[1] سيدي، قصيدة وذكرت فيها صاحب الترجمة وهي:

انـجل الكرام الصالحين بهذ العصر ... وقـطب الرحى للسالكين ذوي البر

وبدرا أضا فــــي أفقه فاهتدت به ... فحول هداة مهتدين ذوي الـــخير

وطـــــود الوجود الشامخ المقتدى[2] ... بــــه تشب لسار ناره ليلة الحصر

وتأتيه من كل النواحي ركائب تــأم ... الــــندا مــن كل مستخشن وعر

كريــــم السجايا فـــضله متواتر ... عـــــــظيم المزايا فوق ذروة منبر

---

[1]- سَيِّدي مُحَمَّد الصَّالح ابْن الشَّيْخ الْعَارِف بِاللَّه تَعَالَى سَيِّدي مُحَمَّد الْمُعْطِي ابْن سَيِّدي عبد الْخَالِق ابْن سَيِّدي عبد الْقَادِر ابْن الشَّيْخ الْأَكْبَر سَيِّدي مُحَمَّد الشَّرْقِيهو أبو محمد صالح ابن محمد المعطي. أخذعن شيوخ كثر منهم الحسناليوسي ومحمد بن سعيد الطرابلسي وأحمد العطار وعبد القادر الفاسيألف فيه الحسن بن محمد المعداني كتابا في ترجمته وذكر كراماته أسماه الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله المدعو بالصالح توفي سنة 1139هـ بين سنتي 1726 -1727م.الاستقصاء،ج7، ص114. والإعلام،ج6، ص37.أحمد بوكاري:الزوية الشرقاوية ص103. والمعداني: ورقة 20 وما بعدها.

[2]- في ب المهتدى.

محل الثنا أثني عليه بكل ماتطيق ولا تـــكسل فـــذاك غنا الفكر

تـــــرى له في كل القلوب محبة ومـــنزلة عظمى لدى كل ذي قدر

طـبيبب داء النفس يبرئ دسائس لديها وما تـــخفي الخبيثة من شر

تــــصبر أخي عند الدواء لضره فـــــعاقبة الصبر تنج من الأسر

ألا قـل لزوار الإمام ومن له انتماء إلى شـــمس العلى منتهى الفخر

هــنيئا لقد حزتم به قصب السبق على نهجكم فوق الثريا ومـــشتر

وجئتم إلى بحر الـــمعارف والتقى فطوبى لكم يا زائرين حمى البحر

دخلتم لوا حــــامي الديار وسراج مـــن تبلد لا يدري التوجه للأمر

نزلتم على آل المهلب[1]كـــل من أتى نحوه لا يـختشى ضرر العسر

فقيركم يغنى ومـــحطوطكم يعلى وأسيركم يـــفدى ومعلولكم يــــبر

أتيتم إلى كهف الأمان وفـــضله عليكم مـــديد لا تخاف من الهجر

فبشرى لمن قد جاز صحبه صـــالح لـــقد فاز بالـمجد الرفيع وبــالذخر

فما فاته بالفضل من كان ســـابقا زمــــانا ولا بالسبق يفضل من يدر

هو الحصن أن عم الخلائق شـاغل تـــــحصن به عند الشدائد والضير

هو الغيث عند وقع محل بأرضنا به يـــحتمي الملهوف فــي البحر والبر

سراج من اهتدى وكنز من استغنى فـــرات من استسقشفاء ذوي الضر

أخي أيها الإنسان إن كنت غافلا تــــنبه وإن كنت المباعد فاحضر

---

[1]- المهلّب: من أسماء الرجل. وتسمى البصرة بصرة المهلّبيعنون المهلّب بن أبي صفرة الأزدي، لأنه حماها من الخوارج، وكان من أشجع الناس وأجودهم وابنه يزيد كان جواداً.ومخلد بن يزيد كان سيداً شريفاً.نشوان بن سعيد الحميرى: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم.ج10،ص 6965.

قد لاح نـهج الرشد بين ظهوركم   فـكونوا من السباق تنجح في العمر

فلا تـعجزوا عنه فـتصبحوا مثل   مـن غدا صاديا والماء بقربه يـجر

فـجدوا لمغناه المسير واحموا   عـلاه ظفرتم بالمنى والعلا الوفر

فـمن أمه للخير ألفاه مانـحا   ومـن أمه للعسر أبدل باليسر

ومـن أمه للمعوصات انجلت له   وهان عليه الصعب في السهل والـوعر

ومـن يشتكي ظمأ وضيما وصولة   فـلم ينتصر ما دام ملاذا بالصدد

ومن يرم النهج القويم ولـم يكن   ذلـيلا له قد ظل بالمهمة الـقفر

ومـن يعتنـي بالضفر يعلق بذيله   فـينفق من كنز عظيم ومن بحر

إلـى صالح الأحوال يقصد عائل   مـعطل أسباب يـلاحظ بالشزر[1]

إليه ذو الـحاجات شد رحالـها   فما رجعت إلا بنيل الـمنـى الغر

ولـم لا وهو نجل بـحر الشريعة   وبـحر الـحقيقة المدفق بالدر

وفـضل الإمام المعطي قد كان باديا   غـربنا مثل النهار لـمبصر

غياث به تـجلى الكروب وتنقضي   حوائج من يرجو الفكاك مـن العسر

هـمام تجلى للعلوم فـنالها وقد   سـهل الولى الـعويص لذي السر

بـه يقتدى فـي ظلمة كل جاهل   وسـار بليل خـائف مـتحير

هو المعطي قد حاز النوال من الـشرقي   وخـص بسر منه أذكى من الـزفر[2]

---

[1]- شزر: الشَّزر: نظرٌ فيه إعراض، كنظر المعادي المبغض. العين، ج6،ص 231.

[2]- الزَّفْرُ والزَّفِيرُ: أَن يملأَ الرَّجُلُ صَدْرَهُ غَمًّا ثُمَّ هُوَ يَزْفِرُ بِهِ. لسان العرب، ج6، ص324..

إمـــــام له قـــــــاب قـــــوسين رتبة	تـــــنزه عن زيــــد هناك وعن عمر
لوابل ودق الشرقي جاءت ركابـــــــهم	مـــــن بحره تــــــسقى الركايا[1]الزور
بشمس الهدى قطب الزمان وســعده	وواحـــــــده تجلى الدواهي وتضمر
هـــــو الغوث هو النيل وقت انعطافه	يفيض على الزوار في السر والـــجهر
وجـــــاء الإمام الصالح الفاضل الذي	تـــناهى فيه سر الـمشائخ في العصر
يــــجدد هذا الرسم بعد عـــــــفائه	فـــأعظم به من مانح الخير بالبشر
فـــــيارب مــــــتعنا بــــــطول حياته	وفيض علينا بـــحره الشارح للصدر
أمـــــولاي قد يــــممت بابكم الذي	لــه الفضل في قدم الزمان بلا حصر
فجد للضعيف يرتـــــــجى منك وافرا	قـــصير بقي خلف الطوال مـــحقر
فيعظم أن يبقى بـــــجنبك مضمأ	وأنــــــت إمــام الوقت يا طيب النشر
أيــــا حاتما أشكوا إليك حوائجا	فأبدلـــها باليسر العريض وبـــــالعذر[2]
فـــحاشاك أن يأتي لبابك راغب	فيرجع مـــــــــــحروم النوال بلا ظفر
فسوغ لي الفضل الذي أنـت أهله	فأنت لذي الحاجات أندى من البحر
وأهدي إلى ذاك المحب تـــــحية	تـــهب بعرف الـــمسك والعنبر الشجر

قلت وما قيل في مدح سيدي الشيخ الإمام العارف بالله كثير، ولا يسعنا الوقت لإثبات شيءمنه هنا انتهى التعريف بهذا الولي سيدي محمد المعط ينفعنا الله به، اللهم يا سيدي يا مولاي يا أكرم الأكرمين يا أرحم الراحمين بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وبأحبائك وأوليائك ،تفضل علينا بما أملنا يا غياث المستغيثين وصلى الله على سيدنا محمد وآله

[1]- الرَّكي: جمع: رَكيَّة، بالهاء، وهي البئر، والجميع: الرَّكايا. نشوان بن سعيد الحميرى: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. ج4،ص 2612.

[2]- في ب الغزر.

فصل ومن فضلاء أولاد الشيخ سيدي محمد الشرقي ومشاهيرهم والمشار إليهم بالخصوصية بعد وفاته الولي الصالح العالم العلامة ذو المآثر الحسنة والأخبار المستحسنة أبو محمد سيدي الغزواني[1] بن القطب سيدي محمد الشرقي نفعنا الله بهما .

كان رحمه الله عالما عاملا ،تفقه في العلم الظاهر على الفقيه الأجل الخير الأكمل أبي العباس المنجور بمدينة فاس حرسها الله ،وهناك وقعت له مع القطب سيدي محمد الشرقي الكرامة المشهورة برد البضاعة المتقدمة، وكان صاحب الترجمة في ابتداء أمره يشوش على من يأخذ منه في الطريقة و كأنه لم يكتف بوالده ،وأراد أن يجمع بينه و بين غيره وبقي على ذلك [مدة[2]]وهو يدور بأقطار الأرض على علماء[3]ذالك الوقت المعاصرين للشيخ، فكلما وصل لأحد يمتنع عن ذالك ويقول له حاجتك عند أبيك، والحاجة التي لم تجدها عند أبيك لم تجدها عند أحد ويحكى أنه وصل إلى سيدي عبد الله بن حسون[4]

دفين سلا[5]وامتنع عن ذالك ووقعت له معه حكاية لم يحضرني كيفيتهما، وذكر لي بعض الطلبة من أهل سلا أن سيدي عبد الله بن حسون لما قدم عليه صاحب الترجمة،خرج إليه ولقيه بباب المعلا بسلا ،فرده من هناك إلى والده ودله عليه وحضه على الأخذ عنه ،فلما طال عليه الأمر وضاق عليه المتسع رجع إلى والده سيدي محمد الشرقي وأخذ عنه ،ومكنه من حاجته ويقال أنه لما رجع إلى والده أنشد هذين البيتين من الملحون وهما:

لوصبت من يسقيني هيا حنيني   ماراح قلبـي ميت يا بابا .

من علتي تبريني هيا حـــــنيني   قلبي عليك ميت يا بابا

فأجابه الشيخ رضي الله عنه ونفعنا به وبعلومه اللدنية وأذواقه النورانية بقوله:

الغابا العطشانا صبحـــت معانا   صابت الغدير ملان يا بابا.

---

[1]- ترجم له أيضاالفتح الوهبي في مناقب الشيخ أبي المواهب مولانا العربي،مخطوط المكتبة الوطنية الرباط رقم، ورقة 234.

[2]- ساقطة من أ.

[3]- في ب صلحاء.

[4]- السلاسي نسبة لسلاس من أعمال فاس وانتقل إلى سلا،مات ودفن بها عام 1013هـ أخذ عن الهبطي عن الغزواني عن التباع.طبقات الحضيكي،ج2، ص492.

[5]- سلا:ببلاد المغرب، بينها وبين مراكش على ساحل البحر تسع مراحل، وهي مدينة بناها الرومان واستولى عليها القوط وسلموها لطارق بن زياد أيام الفتح وبعد تأسيس فاس انضوت المدينة معها يحكمها حكام فاس،وقد بنيت على شاطئ المحيط قريبة من الرباط بينهما ميل ونصف ويفصل بينهما نهر أبي رقراق.الحميري :الروض المعطار.ج1،ص319. والحسن الوزان:وصف افريقيا.ج1، ص 207.

شربت مياه صفيانا ربي اعـطانا والـخير منها جـــانا يا بابا

ومن تلك الساعة تلاقى بحاجته، وحدثني بعض الطلبة أن الشيخ لما مات،قام سيدي عبد السلام بعده فكان يظن أنه الوارث، فكتب إليه صاحب الترجمة مخاطبا له وأجرى الكلام بينهما ببيتين من الملحون وهما :

الداعي بالـــمعالج من جاه اعليل صف قلب لا يصير إلا باداواه

أعشاب الطب كم هي يا مسكين الوارث فـمقام سيدي ما ريناه

فأجابه سيدي عبد السلام بقوله :

إذا قلت ناقتـــي ما تلحقش حتى التلب الكبير عادم تلقاح .

غير أنت ببصيرتك ما شفتش بيتك مغلوقولا وجدت مفتاح .

أعمى من لا يشوف الأنوار تلوح.

فأجابه صاحب الترجمة بقوله:

اعمى من لا يشوف من مدوار رفيق لاش يقول اناوريث أهل الزمان

لاش يقول بيدي مفاتح سبع أطبـاق لاش يقول أنا مـــخمر روحاني .

بعيني شفتك في الرديف لوراني

ويقال أن سيدي عبد السلام ،سلم بصاحب الترجمة،ويقال أن سيدي محمد الشرقي قال لهؤلاء الثلاثة وهم صاحب الترجمة وأخوه سيدي عبد السلام وتلميذه سيدي محمد بن أبي بكر المجاطي، أما الغزواني فأعطيته الشاقور ،يعني أنه لا يقدر واحد أن يترأس عليه أو يطوف بساحته[1] بقصد التعرض والإذاية ،وأما عبد السلام فأعطيته الفخار،يريد بذالك كونه يطعم الطعام للزوار، وأما محمدبن أبي بكر المجاطي فأعطيته العصا يريد بذالك الإمارة في بنيه.

---

[1]- في ب أن يترامى عليه أو يصلون بساحته.

قلت وكان الأمر كما أراد الشيخ نفعنا الله بجميعهم،ويحكى عن صاحب الترجمة كرامات منها، ما يقال أن الشيخ سيدي محمد الشرقي ،وجهه ليشفع عند بعض الحكام في أمر ويقال أن هذا الحاكم اسمه مسعود الدور فامتنع من ذالك وجرى بينهما كلام إلى أن قال هذا الحاكم، أنا مسعود الدور وكأنه يذكر شدته وغلظته، فقال له صاحب الترجمة، وأنا الغزواني الثور وأشار برأسه إلى ناحية القائد[1]فسقطت مصارين القائد ومات من ساعته .

ومنها ما يذكر أن صاحب الترجمة مر يوما بحي من العرب، فمر بامرأة تدعو على ولدها وكان اسمه على اسم صاحب الترجمة وهي تقول، فعل الله بالغزواني كذا وكذا، فقال صاحب الترجمة،لا أعاده الله لك، أو كلاما نحو هذا،فذهب الولد مع الصبيان يلعب فأتى لغار وأدخل يده فيه فقرصته حية فمات. ومنها ما يقال أن صاحب الترجمة ذهب ليخطب لبعض الناس زوجة من قبيلة معلومة هنالك ،فامتنع أهلها من تزويجها ولم يكترثوا بالسيد فقام بعض أصحابه القادمين معه وجعل يقول طكوك طكوك ويكرر ذالك، ثم قام صاحب الترجمة واشتغل يقول بارود بارود ،قال المخبرثم أن أولئك القوم تشتتوا و تفرقوا.

قوم جفوا لذة دنياهم   وآثروا خـــدمة مولاهم

فلا قـــرار لهم دونـه   ولا جنود اليوم يغشاهم

واصلهم والناس في غفلة   عنهم وقد أكرم مثواهم

[فـــهو ولي لـــهم دائما   أكـرم أولاهم وأخراهم[2]]

ومن كلام صاحب الترجمة مخاطبا لأبيه الولي العرفاني ،القطب الرباني ،الغوث الجامع ،البدر الساطع سيدي محمد الشرقي نفعنا الله ببركاته آمين :

حاح يا طير اسكن رأس البر جابوا   أبو جلجل من السما هو ذاالصيد

الفـــكر هنا اسكن أوهام البهجة   ويل دهر طويل مـــا ضلت ليد

مـــا جاءت طيور هادف من وطن   بعيد تأخذهم بالشيخ زوج وتـفريد

---

[1]- في ب بطنه.

[2]- ساقط من ب.

وسبب قوله هذه الأبيات أنه ورد على مدينة فاس حرسها الله للإسلام على بعض الناس من أهل الصلاح ،فتلقاه أهل المدينة بالإقبال فتزاحموا عليه وأسرعوا إليه ،فوقع في نفس صاحب الترجمة شيء من الغيرة،فكتب إلى الشيخ تلك الأبيات، فأجابه الشيخ رضي الله عنه بقوله:

من فاس خطبك جاني   وانبات بك فـــي فرحة

ونــحس بك في ديواني   كأنك عروس في دوحا

ويقال أن الشيخ رضي الله عنه، لما أنشد البيت الأخير أشار بيده كهيئة القابض على شيء وضمها لصدره ثم لما وصل الجواب للمكتوب له، قام المنادي في المدينة بزيارة سيدي محمد الشرقي ،فتجهزوا بألف خباء من المدينة ومن هناك والناس في الزيادة إلا أن وصلوا لسيدي محمد الشرقي رضي الله عنه بسبعة آلاف،قلت وبهذا تعلم غيرة هذا الولي الشيخ سيدي محمد الشرقي، وعلو همته وتصرفه التام وكونه أقوى أهل وقته.

وكان رضي الله عنه على وصف في الغيرة عزيز الوجود ونعت في ذالك الزمان مفقود. حدثني بعض الثقات عن هذا الولي سيدي محمد الشرقي بحكاية عنه في الغيرة قال لي،كان بعض الناس يأتي لزيارة سيدي محمد الشرقي وكان عنده مال كثير، وكان إذا أتى يقدم معه نسائه لزيارة الشيخ، وكن إذا أتين يلبسن ما لهن من الحلي وغيره مما هو معدود لزينتهن،فوقع في أنفس نساء الشيخ شيئا من الغيرة ،فكأنهم ذكروا ذالك للشيخ فنهى الرجل عن ذالك فلم ينتهي، يقال أن الشيخ والله أعلم إما دعى عليه أو قال يافلان العين التي كانت تفور[عليك[1]] سددناها عنك،فكان الأمر كما ذكر الشيخ وأن الرجل افتقر ،وبقي ذالك في ذريته إلى الآن، حتى شوهد في ذرية ذالك الرجل، نسأل الله العافية من دعوة الصالحين ونعوذ به سبحانه من التعرض لسخطهم.

فصل ومن صلحاء أولاد هذا الولي سيدي محمد الشرقي الولي الفاضل الماجد الكامل سيدي عبد السلام[2] بن محمد الشرقي نفعنا الله به ،كان رحمه الله آية في إطعام الطعام أعطاه والده ذالك، وتخرجت على يده جماعة من الأكابر ممن اشتهرت خصوصيتهم وانتشر صيتهم وانتفع بهم، ووجدت بخط الوالد رحمه الله في وصف صاحب الترجمة ما نصه: الشيخ الولي العارف التقي الزاهد السخي أبو عبد الله سيدي عبد السلام بن سيدي محمد الشرقي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به وبأصله وفرعه،حدث عنه رضي الله عنهأنه كان كثير الطعام ويسر له

1- ساقطة من أ.

2- ترجم له الحضيكي في طبقاته،ج2، ص519.والصغير الإفراني في صفوة من انتشر،ص 275.

ذالك بحيث بهر الأنام وبلغ كرمه مبلغا لا يحصره زمام وظهر من رسالتهالرائقة [ومخاطبته الفائقة [1]]بما أبهر الألباب وأخضع الرقاب ،وشهد بكمال عرفانه وكونه من أولياء زمانه ،وحكي أن الشيخ أبا العباس سيدي أحمد بن حظر[2]كان ينتسب إلى الشيخ المذكور انتهى.

فصل ومنهم العالم العلامة الحبر الفهامة، ذو المجد الراسخ والشرف الشامخ طود العلوم والعرفان وينبوع الفضائل ونخبة الأزمان الورع التقي المكاشف الولي أبو عبد الله سيدي محمد المكناسي[3] بن الشيخ سيدي محمد الشرقي كان رحمه الله عالما عاملا واصلا فاضلا. أخذ رحمه الله صحيح البخاري في طلعته للمشرق وعن بعض أعيان علماء مصر، من ذرية الولي العارف بالله أبي عبد الله سيدي محمد ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى ونفعنا به، وكتب له الإجازة في ذالك، وهي مشتملة على نحو كراسة وذكر له فيها أسانيده ،وعمم له الإجازة في جميع ما يصح له وعنه روايته، ووجدت بخط الوالد رحمه الله في وصف صاحب الترجمة :كان هذا الشيخ عالما صالحا ورعا مكاشفا حدث عنه انه أدرك العلم الظاهر والباطن وهو ابن بضع وثلاثين سنة،وأنه كاشف بعض أصحاب الشيخ والده سيدي محمد الشرقي رضي الله عنهما بأمر وقع له وحده ،بحيث لا يطلع عليه من الخلق إلا من أطلعه الله عز وجل ،عليه لكونه مرتضى عنده، وحدث عنه رضي الله عنه أنه كان كثير التأدب مع والده بحيث استوجب بذالك رضاه، وفي ضمن الرضا بلوغ مناه، لم لا والشيخ كان كثير الأيادي منتشر النفع في الحواضر والبوادي وارتوى من بحره كل ظمآن واهتدى على يديه كل حيران ممن سبقتله سابقة خير من الرحيم المنان سبحانه انتهى.

فصل ومنهم [السيد[4]]الفاضل الخير الكامل الدين النزيه العارف الفقيه ذو الإشارات السنية والمآثر السنية ،العالم أبو العباس سيدي أحمد المرسي ابن الشيخ الكامل سيدي الشيخ محمد الشرقي نفعنا الله ببركاتهما آمين،ووجدت بخط الوالد رحمه الله ورضي عنه في وصف صاحب الترجمة، هو العلامة النحرير الدراكة الأثير الأستاذ التقي العارف الولي المحدث النزيه الورع الفقيه، أبو العباس سيدي أحمد المرسي[5]أحد[أخيار[6]]أولاد الشيخ وفضلائهم

1- ساقطة من ب.

2- كذا في الأصل والصحيح أحمد بن خضراء أحد المجاذيب كان من الملامتية الذين يضهرون قبح ما هم فيه ويكتمون محاسنهم،دائم الغيبة أخذ عن عبد السلام صاحب الترجمة عن والده محمد الشرقي، توفي 1075هـ.طبقات الحضيكي،ج1،ص 80.

3- ترجم له صاحب الفتح الوهبي ورقة 240.

4- ساقطة من أ

5- ترجم له في الفتح الوهبي ورقة 241-241

6- ساقطة من ب.

،كان رحمه الله تعالى عارف بالحديث وأحكام الكتاب العزيز الذين هما أصل علوم الدين كلها ،وعنصر ينابيع المعارف ،حدث عنه بل وجد بخطه أنه ختم صحيح البخاري بضع وعشرين ختمة و كان ذا صوت حسن.

وزيادة حسن الصوت في الخلق زينة يزينها لحن القريض الــمحبر

ومن لم يـــحركه السماع لطيبه فذالك أعمى القلب أعمى التصور

تصيح إلى الحادي الجمال لواعب افتوضع فـــي ميدانها غير خسر

ولله في الأرواح عند ارتياحها إلى اللحن سر في الورى غـــير مظهر

وكــــل امرئ عاب السماع فإنه من الجهل في عشوائه غير مبصر

وأهـــــــل الحجاز وكلهم رأوه مبـــاحا عـــــــندهم غير منكر

وهـــــام به أهل التصوف رغبة في تهييج شوق في الحجا متسعر

وأن رسول الله قد قــــال زيـنوا بـــأصواتكم آي الكتاب المطهر

وزانـــــت لداود الـــنبي زابوره مزاميره بالنوح في كل مــــحضر

وفي الــخلد إسرافيل يسمع أهله فيسليهم المسموع فـــي كل منظر

أرى ذاك يغري بالسماع وحسنه وحسبي اقتداء بالكريم ابن جعفر

قال الوالد رحمه الله، حدث عنه أن بعض إخواننا مر بداره ليلا فسمعه يقرأ القرآن، فلما مرت به آية وعيد صاح صيحة عظيمة تؤذن بشدة خوفه وكمال يقينه رضي الله عنه ونفعنا بأصله وفرعيه.

منع القرآن بوعده ووعـــيده مـــقل العيون بليلها أن تهجعا

فهموا عن الملك الجليل كلامه فرقابـــــهم ذلت إليه خضعا

وفي معناه قول الآخر:

ألــــهتك اللذائذ والأماني عن البيض الأوانس في الــجنان

تـــعيش مخلدا لا موت فيها   وتلهوا في الجنان مع الـحسان

تنــــــبه من منامك أن خيرا   مـــــن النوم التهجد بـــالقرآن

البيتان الأولان لذي النون المصري رحمه الله ،والأبيات التي بعدهما يقال أن الإمام الزاهد مالك بن دينار، فتر ليلة عن ورده من قيام الليل قال،فرأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا وفي يدها رقعة فقالت :يا مالك أتحسن أن تقرأ، فقلت لها نعم . فدفعت إلي رقعة فإذا بها الأبيات المتقدمة نفع الله بجميعهم .

فصل ومنهم السيد الفاضل الخير الدين ذو الفضائل الذاتية والمزايا الحسية والمعنوية من له المآثر السنية والأخلاق الزكية أبو النصر سيدي عبد القادر[1] بن القطب الراسخ والغوث الشامخ مربي المريدين العذب المسقى سيدي محمد الشهير بالشرقي ،عرضنا الله لوابل ودقه ورزقنا حضا وافرا من صدقه، كان رحمه الله من أخص أولاد الشيخ وأعظمهم عنده ،وكان كثير التأدب مع والده الشيخ ساعيا في مرضاته ،متعرضا لعطفاته منتظرا لرحماته حتى درت عليه ناقة والده وهمعت عليه سحابة ودقه وفاض عليه بحره وانتشر عليه غيره ،وتوجهت إليه همته وكملت فيه رغبته،فبلغ بذالك المرامي وحصل على كنز من الكنوز العظام وحاز من فضله بذخائر جسام وفاز بشرف الدارين ولم ينسى حظه من المقامين ،وجعل الله له البركة في نسله بتقديم الشيخ له دون سائر نجله،يحكى عنه رضي الله عنه أن والده سيدي محمد الشرقي كان يوما سائرا في بعض الطرقات فرأى السائرون[2] وراءه أي الطريق التي كان مارا معها الشيخ امتلأت نوراحتى أضاء كل ما حولهم فأخذ الشيخ الحال

وجعل يقول: الكوكب الدري رأيـــته حقا

أضوء على نور مغربا ومشرقا

فتقدم إليه صاحب الترجمة وكان حاضرا هناك فجعل يطلب ويتطلب والشيخ يدعو له، وحدثني بعض الناس أيضا أن أولاد الشيخ اجتمعوا عنده [يوما وكان صاحب الترجمة جالسا معهم فلما تفرقوا من عنده [3]]وبقي صاحب الترجمة جالسا معه أتت إليه أمه وكأنها استقلته واستضعفته لما رأته من حالة إخوته، وكان صاحب الترجمة ضعيف فجعلت تستعطف الشيخ عليه وتسترحمه له وتذكر له من ضعفه فلم تزل به حتى قال لها،هذا يكون له كذا وكذا يشير إلى أن العمارة تكون في أولاده والله أعلم .

[1]- الفتح الوهبي ورقة241 وما بعدها.

[2]- في ب وفاز

[3]- ساقطة من ب.

وكان الشيخ يدعوا لصاحب الترجمة كثيرا بهذا الدعاء اللهم أكثر ماله وولده، واللهم بارك له في ماله وولده،قلت وهذه هي دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لأنس بن مالك رضي الله عنه ففي الحديث عن أنس أنه قال: دعى لي النبي صلى الله عليه وسلم فقال(اللهم أكثر ماله وولده وبارك لهفيما رزقته) قال أنس فو الله إن مالي لكثير وأن ولدي وولد ولدي يتعادون على نحو المائة، قال وحدثتني ابنتي آمنة أنه دفن من صلبي إلى مقدم الحجاج بالبصرة تسعة وعشرون ومائة، قلت وهذا من كرامة هذا الشيخ سيدي محمد الشرقي نفعنا الله به فقد شوهدت إجابة دعوته في ولده المذكور فجزاه الله خير عناوعن المسلمين وتمم له ذالك إلى يوم الدين.

وبالجملة فصاحب الترجمة رضي الله عنه من من توجه إليه الشيخ بعنايته ووجه إليه همته وفاز بدعوته وظهرت عليه خصوصيته من دون إخوته وبدت عليه كرامة والده، حدثني بعض الفضلاء من إخواننا عن أبيه قال كان العدو غار على حي من أحياء العرب الساكنين قرب زاوية هذا الشيخ، فقام الصريخ ولحق الناس من كل ناحية لينقذوا المال من يد العدو فمر بعض الناس المستنقذين[1]على صاحب الترجمة ،فسأل منه الدعاء ليحفظ من العدو فدعا له فلما وصل الناس للعدو واشتعلت الفتنة بين الفريقين كان من أمر المار بصاحب الترجمة أن تمكن منه العدو فسقط في الأرض ورماه بعضهم بالرمح ،فلما وصل إلى بطنه رأى يد صاحب الترجمة قابضة على الرمح منحية[2] له عنه ،فسلم من ذالك، وكان صاحب الترجمة لم يحضر في المعركة وإنما شوهدت اليد، وكان رضي الله عنه ،كثير الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلمكل يوم يختم دلائل الخيرات،وظهرت بركاته على أولاده، فكان منهم الفقهاء والصالحون كالعالم الولي الصالح التقي حاج بيت الله الحرام والطائف بذالك المقام أبي عبد الله سيدي محمد بن داود،حدث عنه رضي الله عنه أنه أدرك العلم الظاهر والباطن في أقصر مدة فتح الله له ذالك وسهله عليه .

وظهرت على يديه كرامة رضي الله عنه حين طلوعه إلى الحج،وذالك أنه حين وصل إلى مصر مع ركب المغاربة تلقاهم أمير الحاج وسألهم هل ورد معهم أحد من ذرية صلحاء المغرب، فأخبروه بسيدي محمد بن داوود فجاء إليه واشتكى عليه ما به من أنه نزع من الإمارة على الركب، فقال له اذهب أنت أمير الحاج إن شاء الله،فوقف عليه جده القطب الغياث أبو الفضل[3] سيدي محمد الشرقي في تلك الليلة وقال له، نحن كملنا لك فيما قلت لأمير الحاج أو كما قال ،فكان الأمر كذالك ولله الحمد. قال المخبر فأعطى أمير الحاج لسيدي محمد

[1]- في ب المستقرين .

[2]- في ب منجية.

[3]- في ب الفيض.

بن داود نحو الخمسمائة مثقال ذهب زيارة، فقال له اشتريها لي كلها كتبا ففعل له ذالك نفعنا الله به وبأسلافه . وكالأستاذ المقرئ الصالح أبا عبد الله سيدي محمد الشرقي وغيره رضي الله عنهم من إخوانه

فصل من أحفاد هذا الولي سيدي محمد الشرقي العالم العلامة الحبر الفهامة الأستاذ المقرئ الصالح الولي أبو عبد الله سيدي محمد المفضل[1]، بن الشيخ الإمام القدوة الهمام سيدي أحمد المرسي بن الشيخ القطب الأكبر والغوث الأشهر أبو الفضل المرقي مولاي محمد الشهير بالشرقي، كان رحمه الله على حسب ما انتهى إلينا خبره عالما عاملاصالحا خيرا دينا بوصف لا تدرك فيه غايته، ولا تلحق رتبته ،تفقه رحمه الله في علم القراءات على الفقيه الأستاذ سيدي عبد الرحمن بن القاضي، وكتب له بالإجازة في ذالك .وكان لصاحب الترجمة رحمه الله نصيب من العلوم مما سوى القراءة،ويقال والله أعلم أنه أخذ على سيدي محمد بن داود المتقدم أما شيخه الذي تواتر عنه أنه أخذ عنه وانتسب إليه في الطريق فهو الولي الفاضل الصالح سيدي محمد الحفيان الرتبي السجلماسي[2]أحد فضلاء أصحاب الشيخ سيدي محمد الشرقي وأخصهم، وسمعت فيما يقال أنه أخذ على عمه أبي محمد سيدي الغزواني المتقدم والله أعلم،وتخرجت على يد صاحب الترجمة نجباء من الطلبة في القراءة والعلم ومن الصالحين وفيهم من كان يطعم الطعام كثيرا، كالسيد عمر بن غانم، وكان رحمه الله كثير الطعام بزاوية جده سيدي محمد الشرقي، ثم انتقل إلى ناحية سلا فسكن بحوزها وبقي هناك إلى أن مات رحمه الله، فحمل إلى المدينة ودفن بها وقبره مشهور معلوم بها مزارة عظيمة عليه قبة جسيمة عليه أثر الجلال ظاهر. ومن كلام صاحب الترجمة رحمه الله،مخاطبا للمرحوم بكرم الله ،سيدي محمد الحاج بن محمد بن أبي بكر الدلائي رحم الله الجميع بمنه وفضله، لما مشت الوشاة بينهما ونقل عن كل واحد منهما كلام غير مرضي لصاحبه في جانبه، فوقعت بينهما مكاتبة في ذالك فخاطبه صاحب الترجمة بهذه الأبيات الملحونة

امــــن شرح الزمان ونسا كل أغيار   يـــــا من يحسب منزل مال تبـــــديل

الـــــسطو والعز كمقام أهل الدوار   يـــــــرحل أو يـــــــقيم سارا واقليل

شمس طلعت بالضيا ترمي الأشرار   لا بـــــــــد من النهار يعرض له الليل

---

[1]- الشَّيْخ أَبُو عبد الله سَيِّدي مُحَمَّد الْمفضل بن الشَّيْخ أبي الْعَبَّاس أَحْمد المرسي ابْن الشَّيْخ الْأَكْبَر أبي عبد الله سَيِّدي مُحَمَّد الشَّرْقِي كَانَ رَحمَه الله صَالحا خيرا من فضلاء عصره حَافِظًا لِلْقُرْآنِ بالسبع قد اشْتهر قدره فِي النَّاس كثيرا وَكَانَ يفر من ذَلِك وَإِذا سَأَلَهُ أحد أَن يَتَّخِذهُ شَيخا يَقُول نَحن إخْوَة فِي الله وَالدِّرْهَم الْكَامِلينْفق مِنْهُ .توفي 1071هـ .الإستقصاء،ج7،ص 103.

[2]- سبقت ترجمته .

لو لبست الأرضكل نوع من النوار   عداها جاها الصيف زرب والــتهرويل

أيـــــام الـــزهو والسرور أيام قصار   ولـــــي فـــيهم طامع يدوم غير هبيل

تــسقى الدنيا عذب وتكافي بأمرار   و تجف من كان عندها مقبول خليل

وترش أيام الزهو الشبوب النيل

ومن كلامه رحمه الله ورضي عنه:

أنا قلبي عزيز عند ابقاو بخير   حـــــــرمتكم لا تذكرها بلسان

إذا سمعها يكيد القلب يطير   هي قال إحراج في باطن الأمان

ظاهرها يعجبك باطنها قطران

ومن كلامه أيضا: الطير التي تنتزع منفرق مــحقور   ويـــــــعود من الفراق عداوا

اح يا من صوت الغراب والجور   عقب عقب سر لقبيلتك ياوا

خلهم خايبين معاهم تتاوا

ومن كلامه أيضا رحمه الله:

كان تسال على الزمان احال جــفاه   إذا يـــــــعقب بنكبات ليس ببال

واحـــــد دون ساعة لآخر يتـــــرجاه   شفت الشهمات العبت باش سالي

وكـدر مشرب الرضا من بعده أصفاه   ورخص فـــــي الناس من سوم غالي

أرض بالحكم كيف جاسخط وارضـا   واللي جاب الــجديد عارض البالي

ورياح الوقت ما تصير إلا الغالي

قلت وفي هذاالكلام الأخير وصف الزمان بالتغير وسرعة الانقلاب ،وقد أولع الشعراء بذالك قديما وحديثا وما قيل فيهلا يحد وما ذكر فيه لا يعد وهو مذكور معلوم مشهور وقد حضر لي فيه أبيات وقصائد تركت ذالك للتطويل.

فصل ومن فضلاء أحفاده فيما وجدته بخط الوالد رحمه الله ما نصه : التقي العارف الولي ذو الكرامات الباهرة والمقامات العطرة السنية غوث زمانه ونخبة أوانه أبو العباس سيدي أحمدالبداوي[1] بن الشيخ سيدي عبد السلام المتقدم رحمهم الله تعالى ورضي عنهما وأفاض علينا من بركاتهما، حدث عنه رضي الله عنه أن الناس قحطوا فبعث مناد ينادي من أصحابه في السوق الجامع للناس،أن الله تبارك وتعالى ينزل المطر في الليلة الفلانية ففعل الصاحب،فلما أتت تلك الليلة تأخر المطر عن أولها،فاستعجل الصاحب وقلق وكثر تردده إلى الشيخ،ولم يخرج الشيخ من مسكنه حتى أنجز الله وعده المنفذ بإيجاد الكائنات وحده لا شريك له .

وسمعت من بعض الطلبة أنه لما تأخر المطر عن أول الليلة جعل الشيخ يقول: يا رب ما قلت لهم إلى ما أمرتني به، ثم قال الوالد رحمه الله :وحدثني الثقاة أنه من الأهل الإغاثة بعد موته،وأنه أغاثه مع والده وجده في شدة نزلت به، فكان الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد الشرقي عن يمينه ووالده أبو محمد عبد السلام عن يساره والشيخ أبو العباس أحمد من خلفهوهم يقولون، تقدم ولا تخش ففرج الله تعالى عنه ببركاتهم رحمهم الله تعالى وأفاض علينا من بركاته[2]

هذي المكارم لا قعبان من لبن   شيب بماء فعادت بعد أبوالا

ولا غرو فمن الماء[3]تستخرج الدرر ومن الجياد تلتمس الغرر فالحمد لله الذي طيب لعبده العارف به سيدي محمد الشرقي الأصول والفروع وجعل مدده باقيا في خلفه الكرام السجايا والطبوع، يستقى منه الصدىء الضمآن ويهتدي به التائه الحيران ويشفى به القلب السقيم ويهديه الصراط المستقيم و يقرب به البعيد ويصل به المريد، لازال بفضل الله متماديا في المزيد إلى يوم يتميز الشقي من السعيد وفضله سبحانه عظيم وخزائنه لا تنقطع وهو حميد مجيد .

---

[1]- قال العبدوني في يتيمة العقود الوسطى ورقة130:استقر في قرية على ضفة وادي أم الربيع بتادلة ودفن بها.

[2]- الإغاثة من الله وحده لا شريك له، والأموات لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا فصلا عن اغاثة الخلق واأما الأحياء فيغيثون الخلقحال وفاتهم فيما يقدرون عليه في شؤون الدنيا .ولا يعلم الغيب إلا الله.

[3]- في ب البحر.

قال الوالد رحمه الله حدثني بعض الثقاة الفضلاء الأخيار انه رأى رؤية منام ،كأن وادي أم الربيع مال وسال سيلا عظيما بحيث لا يقدر أحد أن يتجاوزه ،فيسر الله تعالى عليه فجاوزه إلى الشاطئ الآخر فوجد محلةكثيره خيلا وجمعا كثيرا من الصالحين نفعنا الله بهم، والنبي صلى الله عليه وسلم في وسطهم وهم يحفرون ساقية كبيرة من الوادي المذكور،فسأل عن ذالك .فقالوا له هذه ساقية لولدي أبي عبيد القاطن بالموضع الفلاني، فسمو له السيد عبد القادر ولد صاحب الترجمة، فلما أصبح ذهب إلى السيد عبد القادر يبشره فتلقاه وبدأه بالسؤال وكاشفه بما أتى به وقال له، كل هذا رأيناه. وقال الوالد في وصف سيدي عبد القادر[1] المذكور: الولي المجدوب المقرب المحبوب أعجوبة دهره وفريد عصره أبو محمد سيدي عبد القادر ابن أحمد البداوي بن سيدي عبد السلام أبقى الله بركته،كان رضي الله عنه بقية المجدوبين

ونخبة المحبوبين، ظهرت عليه علامات الأنس والغيبة عن عالم الحسن في عالم حضرة القدس والفناء عن الأغيار حتى عن النفس، زاهد خاشع فحل خاضع فان عن الحظوظ البشرية،هذا ما وجدت بخط الوالد والله أعلم وهنا أقتصر على ما ذكرت من أولاد الشيخ القطب الواضح والغوث اللائح سيدي محمد الشرقي نفعنا الله ببركاته آمين وأما أولاد صلبه فلا تظن أن الذي لم نذكره لا رائحة له بل كلهم رضي الله عنهم اشتهروا بخصائص تقتضي التخصيص وظهرت عليهم سمات صلاح وأمارات فلاح وعلامات من الهدى والرشد.

قال الوالد رحمه الله،وما من أحد من أولاد الشيخ المذكور مع كثرتهم رضي الله عنهم ونفعنا بهم وجعل البركة في عقبهم إلا وظهرت عليهم أمارات من الهدى والرشد وكرامات وخصال توجب الشكر والحمد وأما غيرهم رضي الله عنهم فكذالك أيضا، وذالك كله برعاية[من بركة[2]] جدهم القطب العرفاني الغوث الرباني البحر المسقي سيدي محمد الشرقي، وتقدم لنا كما نقل عنه أنه لا يزال الداعي في أولاده وأن الذي ورث مقامه على الحقيقة وأسراره على الجملة وسيرته شبرا بشبر الإمام الجامع الغيث الهامع بحر الشريعة والحقيقة سيدي ومولاي محمد المعطي رضي الله عنه ونفعنا به الذي لم يصل أحد إلى علاه ولا بلغ مناهولا دنا مرماه .

فهو الوحيد بأرضه   ومن يكن لم يلقه فكأنه لم يوجد

[1]- استوطن دكالة وحين قرب أجله انتقل إلى زاوية جده حيث مات ودفن هناك.العيدوني:يتيمة العقود الوسطى، ورقة 130.

[2]- ساقطة من أ.

قلت وهذا العدد للمعلومين بالزاوية والمشهورين بالولاية، وأما غيرهم فلا يعلم عددهم إلا الله ثم اعلم أني لا أذكر في هذا التأليف إلا بعض الأفراد منهم[ذو عدد قليل وتركت منهم [1]]كثيرا مما أعرف منهم بأعيانهم وتواترت عنهم كرامات، لأن استيعاب ذالك يستدعي إلى زمان وفراغ من الأشغال ،وغرضنا أن لا يخلى الكتاب من ذكر بعض الأفراد منهم لما في ذالك من التبرك بهم وبأخبارهم والتحدث بكرائم الصالحين والتلذذ بمآثر فقراء الأنام ،وترداد مزايا مصابيح الظلام، المهتدى بهم عند طيش الأفهام وظلال الأحكام، إذ عند ذكره تتنزل الرحمات وتتزايد البركات ويرحم الله من قال :

هم الفقراء عنهم فاروي ذكرا   وقف واسمع لهم خبرا وخبرا

بذكرهم القلوب تـــهيم وجدا   ومنم تكتسيالأكوان عــطرا

إذا مــا الحب ناجاهم تراهم   يميلوا في الرحى طربا وسكرا

وإن سكروا لهم حال عجيب   يحير حالهم عقلا وفـــــكرا

عـــن الدنيا تجافوا فاستراحوا   وقد قطعوا بها الأعمار صبرا

على وجناتـــــــهم كتبوا إليه   بأدمعهم حروفا ليست تـقرا

وقــــــد شهدوا عن الأكوان   تيها واعجبا بحالهم وفـــخرا

إذا سهروا تراهم في الدياجي   يديمون الخضوع لديه جهرا

وإن نــــاموا[2]تولاهم حبيبب   أســـــرار القلوب إليه أسرا

حـــــبيب كـــلما راموا لقاه   تـجلى للقلوب وشال سترا

فدعهم يا عذولي لا تلمهم   فساقيهم بهم لا شك أدرى

هم الفقراء و الحقراءحقا   هم الأمراء إذا حققت أمرا

---

[1]- ساقطة من أ

[2]- في ب قاموا.

ويرحم الله القطب الجامع سيدي أبا مدين نفعنا الله به حيث يحض على صحبتهم ويذكر محاسنهم وأو صافهم وأخلاقهم في قصيدته المعلومة وهي:

ما لــــذة العيش إلا صحبة الـــفقرا   هـــــم السلاطين والسادات الأمراء

فأصحبهم وتأدب فـــي مجالسهم   وخـــــــل حظك مهما خلفوك ورا

ولازم الصمت إلا إن سئلت وقـــل   لا علم عندي وكن بالصمت مستترا

وراقب الشيخ فــــي أحواله فعسى   يـــــرى عليك من استحسانه أثـــرا

واعـــــلم بأن طـــــريق القوم دارسة   وحـــــال من يدعيها اليوم كيف ترا

فاستغنم الوقت واحضر دائما معهم   واعلـــــم أن الرضا يختص من حضرا

فإن أتى منك ذنب فاعترف وأقـــم   وجـــــه اعتذارك عما فيك منه أجرا

وقل عبيدكم أولـــى بــــــصفحكم   فــسامحوا وخذوا بـــــالعفو يا فقرا

هـــــم بالتفضل أولى وهو شيمتهم   فلا تـــــــخاف منهم كيدا ولا ضررا

وبــــالتفتي على الإخوان جد أبـــدا   حـــسا ومعنى وغظ الطرف إن عثرا

ولا تـــــرى الــــــعيب إلا فـــيك   مـــعتقدا بأنه بين لو لـم يكن ظهرا

وحـــــط رأسك واستقم بلا سبب   وقـــــم على قدم الإنصاف معتذرا

مـــــــتى أراهم وأنى لي بــــرؤيتهم   أو تـــــسمع الأذن عني منهم خبرا

من لي وأنى لـــمثلي أن يزاحمهم   عـــــــلى موارد لم يلق بـــــها كدرا

قـــــوم كرام السجايا أين ما جلسوا   يــــــبقى الـمكان على آثارهم عطرا

يهدي التصوف من أخـــلاقهم طرفا   حســـــنا التصوف فيهم راقني نظرا

فــــــكم تنشقت من أنفاسهم نسما   أزكى من المسك تـنفيسا إذا انتشرا

أحـــــبهم وأداريـــهم وأوثـــــرهم[1] بـــــمهجتي وخـصوصا منهم نفرا

هــــم أهل ودي وأحبائي الذين هم بــــهم أجر ذيول الـــعز مفتخرا

لازال شـــملي بـــهم في الله مجتمعا وحــــبنا فيـــــه موفورا ومغتفرا

بــــجاه سيدنا المختار صلى عليه الله من صادق وأوفـــى بـــما نذرا

ما هيــــجت شجنا ورق[2]مطارحها صبـــا يبيت يناجي الدمعو السهرا

وفي نسخة بدل قوله، بجاه سيدنا أبدا:

ثم الصلاة على الـــمختار ســــيدنا محمدخير من أوفى بــــما نظرا

ورأيت صاحب اللباب أنشدها على قوله تعالى{ وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه}[3] وقال في الآية أنها نزلت في أهل الصفة،وهم فقراء المهاجرين والأنصار، لم يكن لهم مال ولا سبب من أسباب الدنيا ،وكانوا من شدة الجوع ربما وقع أحدهم من وقفته في الصلاة، وربما تستر بعضهم ببعض في الصلاة من كثرة العري مخافة أن تبدو عوراتهم،وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجالسهم ويحبهم فكانت صناديد قريش و كبراؤهم يقولون لو طردت عنا الفقراء لجلسنا لنسمع قولك، فأوحى الله إليه: { و لا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشييريدون وجهه}[4] . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفارقهم إلا لضرورة، وبقيت سنة الله في محبة الفقراء ومجالستهم ومحبتهم .

وأين الفقر من الفقر، وأين الصبر من الصبر ثم أنشد القصيدة، قلت : الصفة، موضع في مسجده صلى الله عليه وسلم وأهلها قيل كانوا ثمانين وقيل غير ذالك،منهم أبو هريرة وأبو ذر وصهيب وخباب وغيرهم رضي الله عنهم،فسموا بذالك الموضع لكونه كان محلهم وموضع سكناهم ،ومنه اشتق التصوف[5] فكل من قال أنا صوفي

---

[1]- في ب أوقرهم.

[2]- في ب وذق.

[3]- الكهف 28.

[4]- الأنعام 52.

[5]- أول من انفرد به بخدمة اللَّه سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجل يقال لَهُ صوفة واسمه الغوث بْن مر فانتسبوا إليه لمشابهتهم إياه فِي الانقطاع إِلَى اللَّه سبحانه وتعالى فسموا بالصوفية . وقيل نسبة إلى أهل الصفة،وهؤلاء القوم إنما قعدوا فِي المسجد ضرورة وإنما أكلوا من الصدقة ضرورة فلما فتح اللَّه عَلَى المسلمين استغنوا عَنْ تلك الحال وخرجوا ونسبة الصوفي إِلَى أهل الصفة غلط لأنه لو كان كذلك لقيل صفي وَقَدْ ذهب إِلَى أنه من الصوفانة وهي بقلة

فيلزمه التخلق بخلق أهل الصفة ويلزمه أن يسير بمثل سيرهم،وقيل التصوف مشتق من الصفا لصفاء ظواهر أهله وبواطنهم من كدرات الأغيار[1] والله أعلم،اللهم بحرمة النبي صلى الله عليه وسلم أسألك أن تمن علينا باللطف والتوفيق وتجعله ممن يلازمنا في كل مسلك وطريق بحرمة النبي صلى الله عليه وسلم.

فصل ومن أ صحاب الشيخ سيدي محمد الشرقي رضي الله عنه الولي الصالح القدوة الناصح الشيخ الإمام وطود الأنام أبو محمد سيدي عبد الحق القيرواني،دفين جبل الموضع المسمى بتعزيط من بلد آيت عتاب[2] القبيلة المعروفة من البربر،كان رحمه الله ممن ظهر عليه مدد الشيخ الولي العارف بالله الشيخ الشرقي وممن فاز منه بحظ وافر وممن نال منه خيرا كثير وسرا نفيسا ،وكان سبب صحبته للشيخ في ما يقال أن وفدا قدم لزيارة الشيخ من تلك الجبال فقدم معهم صاحب الترجمة كأحد الناس، فلما وصلوا إلى الشيخ نزلوا بموضع هناك وذهبوا للقى الشيخ وزيارته وبقي صاحب الترجمة جالسا هناك لم يذهب معهم يحفظ لهم البهائم،فلما جلسوا عند الشيخ سألهم من خلفوا عند البهائم فقالوا له، واحد منا، فقال لهم ادعوه لي، فقام إليه أحدهم ودعاه فلما وصل إلى الشيخ أخرج له تفاحة وقال له، هذه تفاحة أرسلها لك النبي صلى الله عليه وسلم[3] ومن هناك دخل في أصحاب الشيخ وبقي في خدمة الشيخ.

وحدثني بعض الناس أن الشيخ لما كان يبني مسجده الذي بأبي الجعد القديم كان صاحب الترجمة يخدم فيه خدمة اجتهاد ليس كغيره ،حتى أنه كان ينقل الحجارة في ثوبه، وبعد ذالك رضي الله عنه صار من الأئمة الأعلام و هداة الأنام ومصابيح الظلام،ويحكى عنه رضي الله عنه أنه رأى القطبانية لما نزلت على الشيخ فأخبر الشيخ بذالك، فقال رضي الله عنه كلمة الحق من عبد الحق،وجعل يكرر ذالك وصاحب الترجمة هو صاحب الرجز المعلوم الموضوع في علم العقائد المبتدئ أولها بقوله:

الحمد لله الذي خـلقنا فلم يلد ولم يولد إلهنا .

سبحانه ليست له بداية ولا له الشبه ولا نهاية .

رعناء قصيرة فنسبوا إليها لاجتزائهم بنبات الصحراء وهذا أيضا غلط لأنه لو نسبوا إليها لقيل صوفاني وقال آخرون هو منسوب إِلَى صوفة القفا وهي الشعرات النابتة فِي مؤخره كأن الصوفي عطف به إِلَى الحق وصرفه عَن الخلق وقال آخرون بل هو منسوب إِلَى الصوف وهذا يحتمل والصحيح الأَوَّل.عبد الرحمن بن الجوزي: تلبيس إبليس.دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،1421هـ/ 2001م،ط1،ص145.

[1]- الأغيار يعني غير الله تعالى.رفيق العجم:موسوعة مصطلحات التصوف.ص 74.

[2]- آيت عتاب مدينة في تادلا على بعد 40 ميل من مدينة أفزا .الحسن الوزان:وصف إفريقيا .ج1، ص184.

[3]- هذه من غرائب القصص.

ويقال أنه جمعه من إملاء النبي صلى الله عليه وسلم عليه عند سارية معروفة في مسجده معلومة عند أولاده الآن، ويحكى أن صاحب الترجمة لا يقف عند قبره شقي، وهو متواتر على ألسنة الناس، وحدثني بعض الناس أن بعض الصالحين زار صاحب الترجمة ، فلما رجع من عنده فرح السيد بتلك الزيارة رجاء أن يحصل له ما قيل ويذكر أنه وقعت له في هذا حكاية،وهي أن بعض الناس من قبيلة هناك معروفة جاءه يدعوهو وأصحابه ليضيفهم فقال [له صاحب الترجمة لا تقدر على ذالك، وكأنه أراد يظهر له شيء من خوارقه ،فقال ذالك البعض بل نقدر يا سيدي فقال لهم [1]]هذا فلان لرجل من أصحابه يذهب معكم فإن قدرتم على ضيافته فتقدرون على الجميع ،وإلا فلا طاقة لكم بذالك، فذهب الرجل معهم فلما وصل ناولوه الماء ليشرب فلم يكفهما أتوه به، فناولوه أيضا فلم يكفه وناولوه أيضا فلم يكفه ،فدخلهم الجزع والفزع وفروا إلى صاحب الترجمة ليخبروه ما شاهدوا من العجب، فعند ذالك قال لهم لا يراني من هو شقي ،وإن شككتم فاذهبوا إلى فلان رجل معلوم هناك وقولوا له يتكلم لي فإنه لا يأتي معكم، فذهبوا إلى الرجل وراودوه على القدوم لصاحب الترجمة فأبى من ذالك،ثم أنهم لم يزالوا به حتى أنهم أوثقوه وأتوا به فلما قرب من زاوية الشيخ مات . نسأل الله السلامة هكذا سمعنا،قلت وكثيرا ما يؤثر عن الصالحين نحوما تقدم كان يقال عن أحدهم لا يسوق الله له إلا المقبول، أو يذكر عنه أن من مس لحمه لم تأكله النار،حتى أن الولي يسأل أهل زمانه كافة وحكايتهم في هذا معلومة مشهورة فلا غرابة فيما تقدم والله أعلم.

فصل ومنهم العالم العلامة الحبر الفهامة الدراكة الولي الخير الفاضل الكامل،سيدي أبو محمد صالح أخوا سيدي عبد الحق المتقدم،كان رحمه الله ممن ظهرت عليه علامات الصلاح ولاحت عليه أمارات الفلاح واشتهرت خصوصيته وبانت ولايته ،ويحكى عنه لما مات أخوه سيدي عبد الحق المتقدم أراد صاحب الترجمة أن يدخل داره ويرث ماله فقام إليه فقراءه [و أصحابه ومنعوه من الدخول فترافعوا إلى[2]] سيدي محمد الشرقي رضي الله عنه فلما وصلوا إليه وقصوا عليه الخبر قال لأصحاب سيدي عبد الحق،دعوه يرث مال أخيه وقال لهم الشريعة غلبت الحقيقة،وقبر صاحب الترجمة معلوم هناك بقرب قبر أخيه عليه قبة لكنهما متفرقان،فقبر صاحب الترجمة بالموضع المعروف بالقرية، وقبر سيدي عبد الحق بعيد منه والناس يقصدون سيدي عبد الحق بالزيارة ويقصدونه في الحوائج ولا سيما ذوي الجنون يقصدونه من كل ناحية،وهو مجرب عند الناس في برء أصحابه ويذكر أن سيدي عبدالحق لم يعقب وإنما العقب لأخيه صاحب الترجمة.

---

[1]- ساقطة من ب.

[2]- ساقطة من أ.

فصل ومنهم السيد الفاضل الولي الحافل سيدي عبد النعيم أخو صاحبي الترجمتين المتقدمتين كان رحمه الله ممن بان فضله واشتهر خيره رحمه الله ونفعنا به .

فصل ومنهم العالم العلامة الحبر الفهامة ذو الأحوال العرفانية والإشارات الربانية الولي االصالح والبدر اللائح سيدي محمد، ابن الولي الكامل الشيخ الفاضل الصالح المجمع على تبريزه الذي صاغه الدهر من خلاصة إبريزه أبو بكر بن محمد بن سعيد المجاطي الدلائي[1] كان رحمه الله عالما عاملا صالحا وليا مكاشفا ،ظهر عليه مدد شيخه وعلى ذريته وبان عليه اختصاصه بمقام رفيع وحظ عجيب بما شوهد في بنيه، من العلوم الرفيعة والفنون النفيسة والتآليف العجيبة، ويقال أن الشيخ سيدي محمد الشرقي لما أعطى لصاحب الترجمة العصى ولسيدي الغزواني الشاقور ولسيدي عبد السلام الكسكاس كما تقدم قال لصاحب الترجمة، يا صاحب العصى احذر من صاحب الشاقور ويا صاحب القدرة احذر من صاحب العصى، فيذكر أن صاحب الترجمة لم يتسع له الأمر ولم يتمهد له حتى توفي سيدي الغزواني هكذا قيل.

وكان صاحب الترجمة لا يتكلم إلى عن إذن وكان من العلماء العاملين ،ووقعت لصاحب الترجمة مع شيخه كرامة،وهي أنه قدم عليه ذات مرة ثم أراد أن يسافر من عنده لزيارة الولي الصالح سيدي عبد الله بن حسون دفين سلا،وكانت الوفود وفدت على الشيخ في ذالك الوقت كثيرة فاشتغل الشيخ يودع الوفود فأتى صاحب الترجمة للشيخ ليودعه ،وكأنه وجد رفقة يسافر معها إلى تلك البلد فقال له الشيخ،أجلس حتى آذن لك .فجلس حتى انصرفت الوفود كلها ولم يبق أحد ممن يذهب إلى تلك الناحية،ثم أن الشيخ قال لصاحب الترجمة الآن اذهب فذهب وحده، فبنفس خروجه من بلد الشيخ وانفصاله أبصر شخص إنسان أمامه فهرول لكي يدركه فبقي كذالك يعجل السير وهو لا يدركه حتى أقبل الليل،وكان وقت البيات فبات وبات ذالك الإنسان[بقربه فلما أصبح الصبح ارتحل فارتحل ذالك الانسان[2]]وجعل يسير أمامه إلى الليل، ولما بات أيضا بات بقربه وبقى كذلك إلى أن دخل مدينة سلا ولحق بالشيخ سيدي عبد الله بن حسون وجلس عنده فزار، فبينما هو جالس عنده إذ أتاه إنسان يشتكي عليه وكان تلفت له فرسه، فقال له سيدي عبد الله بن حسون خذ خبزة وخلطها بالزيت والعسل وكل حتى تشبع فإنك تجد فرستك ،فوقع في نفس صاحب الترجمة شيء وقال أي مناسبة بين الأكل

[1]- سبقت ترجمته.

[2]- ساقطة من أ.

ووجدان الفرسة،فذهب الرجل وفعل ما قال له السيد من الأكل والشبع فاحتاج إلى قضاء الحاجة فذهب إلى بعض الخراب ليستفرغ فدخل في خربة فوجد الفرسة فأخرجها وأتى السيد فأخبره بها[1]

قلت ولعل الحكاية الواقعة لصاحب الترجمة مع سيدي عبد الله بن حسون التي ذكر أبو علي عن ولده سيدي محمد الحاج ،وقعت له في هذه السفرة أو غيرها والله أعلم، وهي لما قدم عليه وجده قد مد رجليه والأعراب يتساقطون و يقبلون يديه ورجليه فخطر ببال صاحب الترجمة أنه كيف أطلق هذا الرجل نفسه للناس هكذا، قال فلم يتم الخاطر إلا وقد قال،أيها الناس رجل قيل له من مس لحمك لم تأكله النار أو نحو هذا ،فيبخل بنفسه ولحمه على المسلمين، قال صاحب الترجمة، فلما سمعت كلامه وعلمت أنه على خاطري تكلم تبت إلى الله تعالى في نفسي، فجعلت إذا مد إليه أحد كاغدا وكان يكتب الحروز تلقفته من يده وناولته الشيخ وقبلت يده، فإذا كتبه أخذته منه وقبلت يده فيحصل في كل حرز تقبيلتان .

وكان أبو الجمال سيدي أبو بكر، والد صاحب الترجمة من أكابر الصالحين و مشايخ الأنام، قال صاحب المرآة فيه،هو من أكابر مشايخ المسلمين وأولياء الله المقربين واحد عصره ونسيج وحده متوسم بالشريعة متحقق بالحقيقة ،بحر جود لا ساحل له يعطي عطاء من لا يخاف الفقر، فلو رأى من مضى بعض مكارمه لم يذكروا في الندى معنى ولا هرما،وأقام الله بهم رسم الجود وأفاض به نعمته على الوجود يكل اللسان عن استيفاء فضائله التي هي أشهر من نار على علم، وحسبك أن المغرب لما تداعت قواعده وانهدمت أركان الملك منه، فاختل النظام وهاج الناس كان موئلا لأهل العلم والدين ومورد الضعفاء والمساكين، فاعتصم الإسلام منه بربوة ذات قرار ومعين فهو الذي امسك رمقه وأبقى رواءه ورونقه انتهى.

ويحكى عنه أنه كان إذا رجع من عند شيخه سيدي أبو عمر القسطلي المراكشي[2] مر في طريقه ليلا لسيدي[3] محمد الشرقي وكان أبو الجمال وقع له الظهور وتحدث الناس بأمره فكان إذا قرب من بلاد الشيخ أحس بنقص في نفسه، فألهم أو رأى أن ذالك إنما يطرأ له من جانب الشيخ سيدي محمد الشرقي، فعاد يتجنب طريقه ويأتي على الجبل، وقيل أنه شكا ذالك لشيخه سيدي أبو عمر فأمره أن يتجنب طريقه،قال صاحب ممتع الأسماع بعد ذكره

---

[1]- أبو عمر المراكشي أصله من الأندلس له شهرة عظيمة بمراكش وسائر بلاد المغرب وللناس فسه اضطراب لأن له دعوى عريضة في مقام الأولياء وادعاء الغيب ودعوى القطبانية وأنه صاحب الوقت فمن قائل أنه على بصيرة ومن قائل غير ذالك.كان ممن صاحب عبد الكريم الفلاح وله همة في إطعام الطعام توفي في أول العشرة الثامنة.ابن عسكر:دوحة الناشر.ص 108،أيضا طبقات الحضيكي،ج1، ص168.

[2] في ب ببلاد سيدي.

ما تقدم،وكان الشيخ أبو عبد الله يعني به الشيخ سيدي محمد الشرقي رجلا قويا ذا عناية يغار إن ظهر معه أحد بتلك البلد.قلت لا خصوصية لبلده، بدليل ماوقع في مخاطبته مع ولده أبو محمد سيدي الغزواني رحمه الله. ويحكى عنه أنه ذهب إليه بعد ذالك زائرا في رفقة من زواره حاملا حزمة حطب على ظهره فتلاقاه بالترحيب والإقبال[1]ودعى له بخير وقال له :اذهب ياولدي فإن جميع الأولياء كسرت سواقيهم إليك،ويحكى عن الشيخ أنه قال له لما التقى معه هذه الحزمة تحتاج إلى حكمة، قلت وبهذا تعلم فيض الشيخ التام وخوارقه العظام وعنايته الفائقة ،و غيرته الخارقة وقوته العظيمة ومزيته الشريفة و تصرفه النافذ وكرمه الناقد، ومثل هذا من أحواله كثير ومن كرائمه شهير،كما تقدم من مخاطبة ولده العارف الولي المكاشف سيدي الغزواني له، ولما وصلت للشيخ والده رسالته وبلغته مخاطبته تحركت همته وفاضت غيرته وقويت عنايته فاستنهض من المدينة القادر والعاجز والمؤمل والفائز فأتوا لزيارة الشيخ لكونه أخذ مجامع قلوبهم ونفذ سره فيهم.

قلت وهذا الأمر فيما يؤثر عن الشيخ، باق حكمه مخلدا أصله لم يضعف وصفه ولم يخف فقده، حدثني بعض الثقاة بحكاية وقعت لأبي علي سيدي الحسن بن مسعود اليوسي نفعنا الله به مع الشيخ، لما قدم لزيارته وكان ذالك والله أعلم بعدما وقع لأبي علي الظهور،فلما لحق ببلد الشيخ دخل كواحد من الناس لم يتميز بشيء ولم يعرف حتى أن أصحابه أقروا وهو لم يقر وبات كذالك،ولما أصبح لم يجد الماء للوضوء فارتحل وذهب راجعا فسمعوا بخبره أهل البلدة فذهبوا يهرولون وراءه فلحقوه في الطريق فردوه وفرحوا به وأكرموه غاية الإكرام، فقال أبو علي عند ذالك الأمر الأول يعني الإهمال من الشيخ والثاني منه وهو الإكرام، وكان يقول الذي أعطاه صلحاء المغرب لي ضعفه سيدي محمد الشرقي نفعنا الله ببركاته آمين.

وكان أبو علي رضي الله عنه على محبة الشيخ عظيمة واحترام تام وتعظيم فائق، وحدثني الأخ في الله الفاضل سيدي محمد بن مبارك العيسوي أن أبا علي كان يقول، تعرض لنا الحوائج فنريد أن نرفعها للشيخ بن ناصر فنستحي من سيدي محمد الشرقي .

وحدثنا بعض الطلبة من أصحاب أبي علي رحمه الله من أهل تادلة أنه قال له،دلنا على حرم نختاره للسكن فقال له عليكم بحرم الشيخ سيدي محمد الشرقي نفعنا الله به،وكان صاحب الترجمة رحمه الله كثير التأدب مع الشيخ بحيث استوجب بذالك رضاه وعطفته وتوجهت إليه همته وبركاته واشتهرت بلده باسم الزاوية في أرض المغرب، وصارت محلا للعلوم والعرفان ومأوى أهلها دون سائر البلدان،بها يحي ما اندرس من العلوم وعفا رسمه

[1]- في ب والإجلال.

وتجدد فيها ما انهدم بنيانه، فاستوثقت دعائمه ولاحت أعلامه فتفرقت في سائر الأقطار وتخلدت في الأمصار والأعصار، وتوارثتها الأصاغر عن الأكابر وقام ولده الخير الفاضل ابن الاماجد الأماثل سيدي محمد الحاج فملك المغرب سنين كثيرة، فكانت أيامه كالأعياد من الأفراح والهنا وقلة الأتراح، وبقي على ذالك إلى أن قام الشريف السلطان رشيد بن الشريف فلقي جيوشهم ببطن الرمان فهزمهم،وذالك أوائل المحرم فاتح سنة تسع وسبعين وألف فتفرق جمعهم وتبدد ملكهم.

ومع هذا فلم يندثر العلم من أولاده فقد نفع بهم بلاده والعباد ولما وقع ما وقع بالزاوية من التفرق والشتات واستيلاء السلطان الرشيد عليها، رثاها أبو علي سيدي الحسن بن مسعود وذكر أيام أهلها وما كانوا عليه بهذه القصيدة العجيبة البديعة الغريبة التي أولها:

أكلف جفان العين أن يــنثر الدرر ... فيأبـــــى ويعتاض[1] العقيق[2] بها حمرا

وأسأله أن يـــــكتم الوجد ساعة ... فـــــيفشى وإن الـــــــقوم آوته أغرى

وقد كنت أصطحبه حتـــــى توقد ... تجذى[3] الوجد فاستسقيته يـطفئ الجمر

على أن دمع العين فضل حشاشة ... تـــــراب فماذا يـــــنفع الدمع أن يجرا

وكانت سروح الهم عنـــــي عوازبا[4] ... وبـــــعد النوى أضحت مراتعها الصدرا

وكـــــانت عيون الحادثات غوافلا ... زمـــــانا وقـــــطب الدهر كان بنا غرا

ليالي كان البين عن جيرة الـحمى ... صدودا ونظم الشمل لـــــم يستحل نثرا

وهي طويلة جدا تشتمل على أكثر من مائة بيت، ومن من رثاها أيضا الفقيه الفاضل العالم العامل سيدي محمد المرابط الدلائي رحمه الله بقوله :

---

[1]- اعتاضَ، ممَّا فَقَد: تعوَّض، أخذ بدلاً منه أو مقابلاً له.أحمد مختار عبد الحميد عمر:معجم اللغة العربية المعاصرة.ج2، ص1675.

[2]- العقيق: خرز أحمر معروف.يتكوّن ليَكُون مَرْجاناً، فيمنَعُه اليُبْس والبَرْد و يقال مَنْ تقلّده وتختّم به سكنت عنه حدة الغضب.نشوان بن سعيد: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم.ج7،ص 4297. وتاج العروس،ج26،ص167.

[3]- الجذوة: الجَمْرَة المتلهبة وَالْجمع جذى وجذوات.ابنن دريد:جمهرة اللغة.ج1، ص455.

[4]- عوازب :خَالِية بعيدَةُ.لسان العرب،ج3،ص 363.

[وابـــك الطلول منازل الإخوان واقـصر عروب الدمع في الاوطان[1]]

وابك الطلول وأهـــلها فـلربما يـــسقي المتيم من جواه العاني

واستخبرن هل من تلاق بعـدما نـــشبت بنا أيد من الـــحدثان

أم تـضحك الأيام بعد عـبوسها أم هــــل أفوز بفرصة وأمـــان

أم يـــرجع الأنس الأنيق ظلاله عــــذب الموارد ماله من ثـــان

ها أننـــي من بعدكم ذو حسرة مـــــــتراسل الأشواق والأحزان

ما هــبت الأرياح من جنباتكم أو رنـــــمت ودق بأيك[2] البان[3]

ألا هــــمت عيني بوابل ودقها تـــلظت الأحشاء بـــــالنيران

ذا لوعة لا تنطفي جــمراتــها ذا عبرة تـــــهمي مدى الأزمان

ما ذقت طعم النوم بعد فراقكم كلا ولا اكـــــتحلت به العينان

مــــــتفرق متقرب ما إن يرى خــــل يــــشاكل طبعه ويدان

ومن أجاد في ذالك الأديب البارع أبو العباس سيدي أحمد بن عبد الله البكرييخاطب بعض إخوانه ويتشوق إلى سلف من أيامهوزمانه لما رمته الأقدار إلى تلمسان وتخلف عن العشائر والخلانفقال

أريــــحا سرت بين الحدائق والنهر مــــعنبره الأذيال من نفحة الزهر

وبانت بوادي الغور تسحب ذيلها وللصبح غارات على الأنجم الزهر

وزارت رياض الحسن الظل قد غدا يــــقلدها عقدا نفيسا من الدرر

ومــــرت على أكناف داري فانثنت تفاوح عرف المسك والعنبر الشجر

1- ساقط من أ.

2- أيك، الأَيْكُ: الشجرُ الكثير الملتفُّ. الفارابي: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية.ج4،ص 1573.

3- البان نوع من الشجر.العين،ج2، ص203.

إذا ملت نـــحو الغرب يوما فـبلغي   تـــحية مشتاق إلى ابن أبي عمرو

وخـــليلي من صافيته الود في الهوى   وأرعى له في السرعهدي وفي الجهر

واهتاج شوقا إلى سرى الركب نـحوه   وأهـــفوا كما تهفوا الحمائم للوكر

وقــصي عليه ما لقيت مـــن الندى   غداة استقلوا والركاب بـــهـم تسر

وأنـــــي على عهدي القديم الثابت   وحـــاش لعهد أن يخون إلى غدر

وفــــرط اشتياقي نـــــحوه وتذكري   لأيــــامنا التــي غدت غرة الدهر

زمـــــان الصبا إذ عيشنا الغض رائق   يرق رفيـــق الزهر في عقب القطر

وإذ نـــــحن في ظل من العز ووافر   وغصن الصبا يهتز في حلل خضر

وقـــــولي له لا تنسى ما كان بيننا   فـــحفظ عهود الودمن شيم الحر

وعــــــرج على ربــــع الولاء وحيه   تحية مشغوف الجوانح والـــصدر

يـــــــمينا لقد خلفتموني بـعيدكم   أخـــا وله حيران فـــي فهمه فقر

كئيبا كأن الأرض حلقة خاتـم علي   ومن لي بـــعد بعدك بـــالصبر

فلو أبصرت عيناك ما بي من الأسى   وما بضمير القلب من لهب الجمر

لأحــــــزنكم حالي و فرط تشوقي   وشــــدة ما ألقاه من فادح الضر

يـــــــمثلك الفكر المروع من النوى[1]   فــأرتاح إذ يبدو وخيالك في فكر

ويـــدنيك مني الـــــهم حتى كأنني   أنـــاجيك من فرط التشوق والذكر

وحـــقك ما أرضى الـجدار بموطني   ولكن قضاء حـم[2] من مالك الأمر

---

[1]-النوى:البعد.جمهرة اللغة،ج1، ص249.

[2]- حم: حُمَّ الأَمرُ: قُضِيَ.العين،ج3،ص33.

ألا ليت شعري هل أرى ذالك الحمى   وأنـــتم بــــأملاك السيادة كالزهر

وهل أتركن يوم تلمسان راحلا عـــنها   إلـى تلك الـــمعاهد والـــوكر

فتدرك آمالي وتقضي مآربي ويـــنسخ   حـــكم البؤس والعسر بـــاليسر

علـى أنني لو سرت عنها لأصبحت   نـــوازع أشواقي بـها دائما تسر

ومـــالي ولـــي فـيها إمام معظم   أبـو مدين قطب المشايخ والعصر

إمـــام له فـي حضرة القدس مقعد   يـــنزه عـن زيد هناك وعن عمر

وإخـــوان صـدق يكرمون جليسهم   ويولينه ما يـــستحق من الـــبر

وخـــدما على ما فـي الحشا من كآبة   حـــديقة شعر جادها صيب الفكر

مـــن الأندلسيات طبـــعا ورقـــه   تحاكي اطراد[1] الماء في صفحة النـهر

تـــود الـــغواني لو ظفرن بـدرها   يـــجعلنه عقدا على [لبة[2]]النحر

كلاما كان[.......... [3].........]   صنيع الفتى قد فقنفي صنعة الـشعر

يـــميل ابن زيدون[4]لـــهاطربا بها   كما مال لنشوان نزيف مـن السكر

[1]- اطَّرَدَ الكلامُ: تتابَعَ، والماءُ: تتابَعَ سَيَلَانُه.تاج العروس،ج8، ص320.

[2]- في أكبة والصحيح ما جاء في ب لبة جمعها لبات وَهِي مَوضِع النَّحْر.

[3]- بياض في الأصل.

[4]- ابن زيدون: أحمد بن عبد اللهبن زيدون المخزومي القرطبي، ولد بقرطبة عام 394 هـ، وتوفي بإشبيلية عام 463 هـ، وكان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة، ولما قامت الفتن في أواخر حكم الأمويين أسهم فيها، إذ كان هواه مع الثائرين، ومن أجل ذلك قربه أبو الحزم جهور أمير قرطبة، إلا أن هذه المكانة لم تدم له طويلًا إذ نسبت إليه مؤامرة على السطان،،وبسعي من ابن عبدوس قام أبا الحزم بن جهور بحبسه،ثم يعفو عنه مستجيبًا فيه لشفاعةابن أبي الوليد، ولما ولي بعده سنة 435 اتخذه سفيرًا بينه وبين رؤساء الأندلسغير أن الأمور لم تلبث أن فسدت بينهما، ففر ابن زيدون على وجهه إلى إشبيلية عام 441 هـ، فلقيه أميرها المعتضد لقاء حسنًا، واصطنعه لنفسه، كما اصطنعه ابنه المعتمد من بعده، واستطاع المعتمد بفضل مشورته أن يستولي على قرطبة، وما زال يرعاه خير رعاية، حتى إذا كان عام 463 هـ أرسله إلى إشبيلية في مهمة إلا أن القدر عاجله. شوقي ضيف:الفن ومذاهبه في النثر العربي. دار المعارف،ط13،ص326.

ولـــــو راسل الأحباب ليعرف شعره لـــــما ذاق وولادة[1] مضض الهجر

ويهوى ابن عمار[2] صناعة حـــوكها وطــــبق مـــــعانيه لألفاظها الغر

هـــــــدية من قد شط عنكم قراره[3] تجوب إليكم كل مستخشن وعـــر

سباسب[4]جرد تعرف الجن حولـــها ويـخفق القلب فيها من شده الذعر

[صحاصح[5]]تشكي الخيل من طـولها الـرجى ظلت في فلاها القطا الكدر[6]

تـــحن إلـى مأوى السيادة والعلى فـــــقابلها من معهود برد بالبشر

وحـــي على بعد الـــمدى بتحية مـــــعطرة الأذيال طـــيبة النشر

أجـــــلة أعــــمامي وأهلي ومن لـه انتماء إلى غوث الورى ابن أبي بكر

وقل لهم إنــــــي على العهد ثابت مـــقيم عـليه ماحييت إلى الحشر

وعــــذرا فإن الشجو حير فكرتـــي ولله أشكوا من تـــضمنه صـــــدر

فلا زلت فــــــي أمــــن وعز مؤبد مــــرقا مدا الأيام من نكبة الدهر

وهذا كله من بركة هذا الشيخ سيدي محمد الشرقي ومن نفحاته وعطفة من عطفاته،فقد كان أولاد صاحب الترجمة رضي الله عنهعلى منزلة رفيعة في العلم وخصوصية ظاهرة في أقطار المغرب قد جبلهم الله على إنشاد الشعر

---

[1]- ولادة بنت المستكفي بالله؛ أمير المؤمنين، محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بت الناصر عبد الرحمن بن محمد المرواني، من بني أمية بأندلس؛ أديبة شاعرة؛ جزلة القول، حسنة الشعر؛ وكانت تخالط الشعراء وتساجل الأدباء، وتفوق البرعاء. ولم تتزوج قط، وعمرت عمراً طويلاً إلى أيام المعتمد توفيت سنة 484هـ.

ابن دحية الكلبي: المطرب من أشعار أهل المغرب. تح إبراهيم الأبياري وآخرون، دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،لبنان،، 1374 هـ، 1955 م،ص7.

[2]- بن عمار الأندلسيذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار، المهري الأندلسي الشلبي الشاعر المشهور. وكانت ملوك الأندلس تخاف من ابن عمار المذكور لبذاءة لسانه وبراعة إحسانه، لاسيما حين اشتمل عليه المعتمد على الله ابن عباد صاحب غرب الأندلس وكانت ولادته في سنة 422هـ قتله المعتمد في قصره ليلا بيده، وذلك في سنة 477هـ بمدينة إشبيلية.وفيات الأعيان،ج4،ص425.

[3]- في ب مزاره.

[4]- السَّبْسَب: الأَرْضُ الجَدْبَةُ. وَمِنْهُم من ضَبَطَ! سُبَاسِب بِالضَّمِّ.تاج العروس،ج3،ص40.

[5]- في أ،ضحاضح،والصحيح ما جاء في ب، وأَرض صَحاصِحُ وصَحْصَحانٌ: لَيْسَ بهَا شَيءٌ وَلَا شَجرٌ وَلَا قَرَارٌ للماءِ.

[6]- الكَدَرُ: نقيض الصفاء. العين،ج5، ص325.

وأركزه في خليقتهم ،بحيث اعترف بذالك المعاصر لهم وشهد بتقدمهم في ذالك الآتي بعدهم، ومن طالع قصائدهم وإنشاداتهم اعترف بذالك،وهذا كله من فيض مدد الشيخ ومن عنايته القوية وهمته النافذة وجهها الله لنا،حدثني بعض الفضلاء من فقهاء إخواننا أن الشيخ سيدي محمد الشرقي كان كثيرا ما يدعوا لصاحب الترجمة بالعلم، قال لي المحدث فاستجيبت دعوته.

ذكر لي ذالك ونحن نقرأ في كتاب الدعوات، من صحيح البخاري لما وصلنا لحديث أنس، لما أتت به أم سليم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت له، أنس خادمك فقال (اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته)[1]. فقلت له،يذكر أن الشيخ سيدي محمد الشرقي كان يدعو لجدنا سيدي عبد القادر صاحب الترجمة المتقدمة بهذا الدعاء.قال لي قد قيل ذالك. ثم ذكر لي دعوة الشيخ لصاحب الترجمة .نسأل الله سبحانه أن يفيض علينا شيئا منمدده وأن يسقينا من عذبه إنه ولي ذالك،وكان صاحب الترجمة لأولاد الشيخ بعده على محبة عظيمة وخلة شريفة حسبما رأيت ذالك في مخاطبته لهم وظهر على رسالاته الفائقة لهم نفعنا الله به آمين.

فصل ومن أكابر أصحاب الشيخ سيدي محمد الشرقي نفعنا الله ببركاتهم وأجلهم الفقيه الفاضل العالم العلامة صاحب السر الرباني والذوق الإلهي والشراب النوراني، أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أبي محلي السجلماسي ،أصل مدده شيخه الذي منه نال الشيخ سيدي محمد الشرقي ، حدثني الثقة عن بعض الصالحين من من جمع الله له العلمين، أن الشيخ سيدي محمد الشرقي قال،وقع لي مع أحمد يعني أبو العباس المتقدمين كرجلين ضرب أحدها الآخر،فذهب الضارب وخاف المضروب،فوجد إنسان آخر عند رأسه غير الضارب فتعلق به وقال أنت ضربتني يشير إلى أصل ما نال منه وما حصل على يديه، فلما أفاق من سكرته تعلق بالشيخ سيدي محمد بن مبارك

التستاوتينفعنا الله به .فإليه كان ينتسب صاحب الترجمة،به صرح في تآليفه وذكر غير واحد من العلماء أنه أخذ عن سيدي محمد بن مبارك نفعنا الله بهن، قلت وهذا كله لا ينافي أن أصل سره منالشيخ سيدي محمد الشرقي ومنه اكتسب ما اكتسب وحاز درج الرتب إذ كم من واحد يكون أصل مدده من شيخ وينتسب لآخر ويصرح بأخذه عنه وهذا معلوم،وكان صاحب الترجمة يرد على الشيخ سيدي محمد الشرقي .

فحدثنا بعض الثقاة من إخواننا عن والده أنه ورد على الشيخ بمنزله القديم فجلس معه بباب الدار فدخل الشيخ إلى الدار ،فلما خرج قال للجالسين هناك أين الرجل الذي كان هنا جالسا؟ يعني به أبا العباس،فقالوا له

[1]- سبق تخريجه.

ذهب فقال لهم ،لقيه الناس بوادي الساودة موضع بينه وبين موضع الشيخ عدة أيام معلومة،وفي تلك اللحظات قطع تلك المسافات.

وحدثني بعض الناس أنه ورد مرة أخرى على الشيخ سيدي محمد الشرقي ولا أدري قبل هذه المرة أو بعدها فوقع بينه وبين بعض الناس كلام، وجده يتوضأ فقام ودخل في إناء الوضوء ولم يدري أين ذهب،ولصاحب الترجمة التآليف العجيبة الدالة على صفاء شربه وخلوص لبه وظفره بنصيب من الذوق كالوضاح وغيره منكتبه المشهورة.وحدثني بعض الثقاة أن صاحب الترجمة ذهب مع ولد الشيخ،سيدي عبد القادر المتقدم إلى السلطان شريف زيدان ابن أحمد المنصور، فوجد أبا العباس سيدي أحمد بن أبي القاسم الصومعي عنده ،فاجتمع الثلاثة مع السلطان زيدان فتكلموا في مسألة من العلم،فدخل السلطان ليأتي بكتاب لينظروا فيه تلك المسألة، فقام أبو العباس أحمد بن أبي محلي واشتغل يقول، أنا أجلس على الأرض وزيدان يجلس على الكرسي،واشتغل يجعل على رأسه التراب وكأنه لم يرضى بذالك، فقام إليه سيدي عبد القادر وجعل يسكته ومضى معه حتى سكن .

قلت وكان من القضاء والقدرالسابق أن وقعت بينهما حروب عظيمة، لأن أبا العباس ذهب إلى ناحية القبلة وادعى لنفسه أنه المهدي المنتظر وأنه بصدد الجهاد فاستخف قلوب العوام وابتعد[1] فدخل بلد سجلماسة فهزم والي الملوك السعدية واستولى عليه، ثم أخرجهم من درعة ثم تبعهم إلى حضرة مراكش وفيها زيدان،المتقدم فهزمه وأخرجه منها فذهب فاستغاث بأهل سوس الأقصى فخرجوا إلى أبي العباس بن أبي محلي فقتلوه وهزموا عسكره شذر مذر وكان آخر العهد به ورجع زيدان إلى ملكه.

قال أبو علي سيدي الحسن اليوسي رحمه اللهبعدما تقدم، وحدثونا عنه أنه كان يوما عند أستاذه ابن مبارك فورد عليه وارد حال فتحرك وجعل يقول أنا سلطان أنا سلطان فقال له الأستاذ، يا أحمد هب أنك تكون سلطانا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا، وفي يوم آخر وقع للفقراء سماع فتحرك وجعلي قول أنا السلطان أنا السلطان فتحرك فقير آخر من ناحيته وجعل يقول ثلاث سنين غير ربع ثلاث سنين غير ربع، قال أبو علي وهذه هي مدة ملكه ،وقد رمزوا لذالك ،فقالوا قام طيشا ومات كبشا، أي قام في تسعة عشر بعد الألف ومات في اثنين وعشرين بعدها،قال أبو علي بعد كلام له في دعوى الفاطمية،وقد أنكر الفقهاء على من ادعى ذالك وضللوه ولا

[1]- في ب واتبعوه.

شك في ظلالهم عند كل من يعترف بوجود المهدي في آخر الزمان، وقد ألف بعد ذالك الجلال السيوطي كتابه "العرف الوردي في أخبار المهدي""والكشف في مجاوزة[1]هذه الأمة الألف" انتهىوالله الموفق.

فصل ومنهم الولي الصالح الشيخ العارف العالم العلامة الأثير الدراكة ذو المعارف والأسرار والمعالم و الأنوار من ذرية العارف بالله،أبي العباس سيدي أحمد بن موسى نفعنا الله به،ذكر لي بعض الثقاة أنه من أصحاب الشيخ سيدي محمد الشرقي وأنه ابتدأ تأليفا في رحلته وذكر فيه من لقي من الصالحين وسبب لقياه[2]للشيخ سيدي محمد الشرقي، و لكنه لم يكمل وكتب منه ثلاثة كراريس وبالغ في الثناء عليه بخير حسبما رأى ذالك في صدر رحلته،وسبب لقياه للشيخ واتصاله حسبما حدثني به بعض الثقاة أن صاحب الترجمة قدم إلى مدينة سلا فاجتمع بها مع جمع من الصالحين.

قال صاحب الترجمة :وكنا من أهل التخريب،سألت المحدث ما معنى قوله كنا من أهل التخريب، قال هم الذين يسكنون الخراب قال، وكان يأوي إلى الولي الصالح عبد الله بن حسون وأقام هناك أياما عديدة، فسمع بخبر سيدي محمد الشرقي فعزم على الرحلة إليه وسمع بخبر واحد من أصحاب الشيخ سيدي محمد الشرقي يقال له سيدي مسعود الأخضر يحتال لزيارته للشيخ بتلك البلد فلحق به ليأتي مع قال، فلما التقى معه قال له سيدي مسعود المذكور، لما قدمت من عند الشيخ قال لنا لعلكم تصيدون في سفرتكم هذه غزالا ،ولعل الشيخ إياك أراد بالغزالة،فقدموا جميعا للشيخ فلما وصلوا إليه تلقاهم بترحيب وإقبال وسأل صاحب الترجمة عن قدومه ومن أين أتى؟ فذكر له أنه قدم من عند سيدي عبد الله بن حسون وأنه أقام عنده أياما فسأله عن الأوراد هل لقنه شيئا أم لا، فقال له لقنني ،فقال له وما لقنك ؟فذكر له اسم الجلالة يعني الله، فقال له سيدي محمد الشرقي ذالك ذكر أهل النهاية وأنت من أهل البدايةفاللائق بك هو كذا وعلمه ثلاث أسماء وقال له أنت محجوري.

وأقام عنده أياما فبينما ذالك الرجل راقد ذات ليلة أعني به صاحب الترجمة، إذ رأى في عالم النوم كأنه الشيخ جالس وحوله جماعة فقدم عليهم صاحب الترجمة فلما رآه الشيخ قام من وسط الحلقة ومشى حتى انتهى إليه فقبضه من يده وذهب معه إلى باب المسجد ووقف معه، فرفع الشيخ يده ووضعها على حلقة دفة الباب فقال الشيخ لصاحب الترجمة، لما وضعت يدي على هذه الحلقة؟ رفعت رأس فرأيت من العرش إلى الفرش، فلما أصبح صاحب الترجمة ازدادت محبته في الشيخ ورغبته فيه و لازمه أياما عديدة إلى أن وجهه الشيخ إلى سيدي عبد الحق

---

[1]- في ب مجاورة.

[2]- في ب ملاقاته.

صاحب الترجمة المتقدمة، فلما بلغ سيدي عبد الحق التقى مع أخيه سيدي أبي محمد صالح صاحب الترجمة المتقدمة ،فذكر له أنه قدم من عند سيدي محمد الشرقي فأقام عنده، فقال له يوما سيدي صالح ،أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إذا قدم عليكم الغريب فزوجوه)وأنا أريد أن أزوجك،فقال له صاحب الترجمة ،يا سيدي ما لهذا قدمت إليكم،ثم انتقل إلى سيدي عبد الحق فالتقى معه فقال له ماقال لك أخي؟ فأخبره بما قال ثم قال صاحب الترجمة، فوقع في نفسي التوجه إلى مراكش فقدمتها فكنت بجامع دكالة منها نحضر التفسير وغيره من مجالس العلم إلى أن أرسل إلي سيدي محمد الشرقي يأمرني بالقدوم بموضع ببني عياط القبيلة المعروفة من البربر ،فقدمت إلى ذالك الموضع إلى هنا. انتهى ما حدثني به المخبر. وقال أنه من الرحلة المتقدمة ولعل ذالك ملتقط منها غير مرتب وإلى الآن لم تحضر بيدي الرحلة ولم أقف عليها والله أعلم .

فصل ومن مشاهير أصحاب الشيخ محمد الشرقي وأجلهم وأفضلهم ومن من نال منه حضا وافرا ونصيبا غزيرا الولي الفاضل الخير الكامل، ذو المآثر الحسنة والأخبار المستحسنة والمزايا الحسية والمعنوية والفضائل الذاتية أبو العباس سيدي أحمد الشريف الحسني ،كان رحمه الله من أخص أصحاب الشيخ وظهر عليه أمارات الصلاح وأمارات الهدى والرشد، حدثني الأخ في الله الأديب الفاضل سيدي أحمد بن فتوح أن صاحب الترجمة جاء يوما يزور الشيخ سيدي محمد الشرقي فلما اجتمع معه قال له،يا سيدي مثلي معك كمثل الرجل الفلاني مع الناس لرجل معلوم هنالك ،وكان إذا صنع لرجل شيئا يرسل بإثره من يأتيه بما صنع له لكونه لم يصنعه له على حسن المرادف يبقى له في الطريق ولا يلحق به إذا ما قصده، ومراده بهذا ما يحصل له من الانتفاع من الشيخ عند التلاقي بنفس صدوره [من عند الشيخ[1]] لم يجد شيئا فلما رأى الشيخ ذالك منه هش إليه وأشفق عليه فقال له ما تريد؟ قال له يا سيدي إذا مت ودفنت فكل ما كان بيني وبين القبلة يرحمه الله، فقال الشيخ لك ذالك .

وكان صاحب الترجمة إذا اشتغل بالذكر ببلده تامسنا يسمعه الشيخ من بلده ويتواجد وكان يقول لأصحابه[2]على جهة المزاح أعطوني الأجرة لئلا أقتل أباكم، والعوام يقولون المداح مسناوي يعنون صاحب الترجمة و والشطاح تدلاوي،يعنون به الشيخ نفعنا الله بهم، ومرادهم بالشطح الجدب والرقص وإليه يشير الشيخ فيما تقدم :

إذا اشتاقت الأرواح سلم كان بغيت تربح   ماعلينا جناح كان قمنا بالوجد نشطح.

وقال الشيخ أبو مدين رحمه الله :

---

[1]- ساقطة من أ

[2]- في ب لأولاد الشيخ.

إذا اهتزت الأرواح شوقا إلى اللقاء   وتراقصت الأشباح يا جاهل المعنى

رضي الله عنهم ونفعنا بهم .

فصل ومن أكابر أصحاب الشيخ سيدي محمد الشرقي نفعنا الله به ،الولي الصالح الخير الفاضل حاج بيت الله الحرام والطائف بذالك القائم أبوعبد الله سيدي محمد الحفيان السجلماسي، كان رحمه الله من أخص أصحاب الشيخ ومن ظهرت عليه بركته، وكان رحمه الله في ابتداء أمره من أصحاب السلطان أحمد المنصور ،وكان ممن له المكانة عنده،وحدثني بعض الثقاة أن سبب صحبته للشيخ أنهم نقصوا له من خراجه الذي كانوا يعطونه فأتى سيدي محمد الشرقي ليكتب له لمن هو متولي ذالك أن لا ينقص له شيئا، فكتب له ثم بعد ذالك قال له سيدي محمد الشرقي رأيتك في زمام الصالحين فأمره بفراق السلطان، فقال له يا سيدي أنا عنده من المعروفين لا يمكنني التخلف عنه،فقال له لا عليك في ذالك فأمره بإرسال حوائج المخزن فأرسلهم فبقي مع الشيخ، وحدثني أيضا بعض الثقاة أن الشيخ قبض على أذن صاحب الترجمة يوما وهو يقول ،بني محمد وهم قبيلة صاحب الترجمة،يعرف محمدا يعني النبي صلى الله عليه وسلم .يشير إلى أنه كان سببا في ذهابهم إلى بيت الله وحجهم له فكان الأمر كما أخبر الشيخ ،وأن صاحب الترجمة حج حججا متعددة تزيد على العشرين، وكان صاحب الترجمة إذا قدم لزيارة الشيخ يقدم بهدية عظيمة من كل ما يحتاج الشيخ وأهل داره حتى أنه يقدم بالمغازيل لأهل دار الشيخ .

وحدثني بعض الناس أنه ورد زائرا بعد وفاة الشيخ فلعله وقع بينه وبين أحد من أولاد الشيخ كلام في وارث الشيخ ثم ذهب بقصد زيارة الشيخ سيدي أبي يعزى، فبينما هو مار إذ لقي رجلا في الطريق فسأله فقال له أنا أبو يعزى أرجع إلى موضعك يعني به الشيخ سيدي محمد الشرقي،فرجع إلى حاله إلى زاوية شيخه ومن هناك ذهب إلى مكانه ،هكذا سمعت والله أعلم .**فصل** ومن أصحاب الشيخ سيدي محمد الشرقي الولي الصالح القدوة ذو الكرامات الباهرة والمزايا العطرة أبو عبد الله سيدي محمد بن سليمان الشاوي الزياتي من أولاد العباس دفين عين الشعراء موضع بتامسنا، وقبره بها معلوم اليوم عليه قبة عظيمة مزارة للناس، وشاهد الناس بركته وكان رحمه الله على محبة عظيمة بجناب الشيخ ،حدثني بعض الثقة أنه ورد عليه وهوببلده يهودي كان يعرفه ببلد الشيخ ،فقام إليه وأكرمه وأحسن مثواه فأنكر عليه بعض الناس ،فقال لهم ما فعلت له ذالك إلا لكونه من بلد سيدي ،يعني به الشيخ الشرقي رحمه الله ونفعنا به:

هكذا الأولياء ذلوا فعزوا   وأشاروا إلى الطريق فدلوا

فــــهم للأنام مـــزن وغيثهم　　للقلوب بـــرد وظـــــل

هجروا الخلق في رضاه وساحوا　　ليس للقوم في الخلائق خـل

واصلوا الصوم بالصلاة فـمهما　　مل ذو الكد كده لا يـمل

حسبوا أنهم كثير فـــلما طلبوا　　فــــي مهامه الأرض قلوا

بـــهم يدفع البلاء عن الخلق　　وهـــم أهلها حـيث حلوا

ولما توفي الشيخ رحمه الله وقع بين أولاده اختلاف في الوارث،فقام إليهم صاحب الترجمة وكان حاضرا هناك فقال لهم، يا سادتي سيدي ترك عندي لوح فمن عرف ما فيه هو الوارث، يشير إلى أن الشيخ ترك عنده سر فمن كشف له عن حقيقته هو الوارث، فقام إليه أبو محمد سيدي الغزواني وكشف عنه .هكذا يقال له والله أعلم.قلت وقد رأيت أن أقتصر هنا على ما ذكرت من أصحاب الشيخ وأعلم أنيت ركت منهم كثيرا ممن بانت خصوصيته واشتهرت كرامته، لأن استيعاب ذالك يستدعي فصولا وتمهيد أصول،وتقدم لنا ان للشيخ أربع مائة زاوية تخرجت على يده وكلها كانت تنسب إليه،وغرضنا بذكر من تقدم منهم التبرك بهم ولما في ترك ذالك من الأعمال المذمومة[1]والإهمال ولا تظن أيضا أن غير تلك الأربعمائة لا رائحة فيه كلا بل كل من أخذ عنه رضي الله عنه حصل له منه نصيب شريف و حظ عجيب، ولما لا والشيخ هو القطب الوارث والحسام الفارث ،وليس من رباه القطب كمن رباه أربعون بديلا كما قيل

ويحكى عن واحد من أصحاب الشيخ وكان هذا الرجل عند الشيخ مدة ينقل الحطب على ظهره وبقي على ذالك مدة طويلة ،والشيخ في تلك المدة لم يرد إليه البال حتى قيل أنه لم يتكلم معه في تلك المدة، فلما وقع للشيخ الظهور وأنكر عليه أهل مراكش ناداه يوما فوجهه إلى مراكش، فلما دخل المدينة فعل شيئا مما يستدعي الإنكار عليه [فدخل بتلك الحالة للمسجد واشتغل يصلي فرءاه بعض الفقهاء فأنكر عليه[2]]و قال له أنت مثل الرجل الذي بتادلا، فلما سمع كلامه قال له أدن مني أتكلم معك فدنا منه الفقيه فجعل يتكلم معه في العلوم وخاض معه في كل علم،فلما رأى الفقيه ذالك وقع له العجب من جهة أن العبارة عبارة أمي واللسان لسان أمي، ومن جهة العلوم بحر لا ساحل له .

[1]- في ب من الإغفال المذموم.

[2]- ساقطة من أ.

ثم ذهب الفقيه إلى فقهاء البلد وأخبرهم بذالك فشاع خبر صاحب الشيخ، فبلغ السلطان أحمد المنصور فعقد له مجلس المناظرة واجتمع عليه الفقهاء فجعل يتكلم معهم واحدا واحدا حتى أفحم الجميع، ولم يقدروا على مناظرته فسلموا له واعترفوا بالعجز له، فعند ذالك قال لهم، هذا عبد من تنكرون عليه يعني به الشيخ سيدي محمد الشرقي رضي الله عنه، فتابوا من ذالك ورجعوا إلى الله عز وجل ودخل في قلوبهم حب الشيخ .

ويقال أنه قال لهم هذا علم الأذواق لا علم الأوراق ،وكان هذا الرجل لا يعلم شيئا ولكن فضل الله يؤتيه سبحانه المتفضل المنان ذو العظمة والشأن الذي يمن على من يشاء من عباده، وإنما ذالك عطفة من عطفات هذا القطب وزفرة من زفراته،واسم الرجل المتقدم أبو الحسن علي بن موسى الشاوي رحمه الله ونفعنا به :

اصــطفاهم لقربه واجتباهم   وحماهم من فتنة الشيطان

ودعـــــاهم لبابه وسقاهم   بــكؤوس من خمرة العرفان

وجازاهم بـــــجنة ونعيم   وقصور والـــحور والولدان

فـــهم لا يرون هذا نــعيما   ولا شــوقهم لحور حسان

إنما قصدهم تجلي حبيب   لـيروا ذا الجلال رأي العيان

ويـــــناديهم عبادي هلموا   تــظفروا بالأمان والإحسان

فـــبهذا النعيم تاهوا إذلالا   وتـــباهوا به على الأكوان

فبهم يدفع البلاء عن الناس   وينجون مــن سائر الحدثان

وبـــهم يسقينا الإله تعالى   غــيثه عند حاجة الظمآن

فأجـــرنا بحقهم يـــا إلهي   مـــن أليم العذاب والنيران

وتـــجاوز عما آتيناه جهلا   من قبيح الذنوب والعصيان

وأعــفوا عنا فإننا قد أسأنا   ثــم سامح بالعفو والغفران

اللهم إننا نتوسل إليك بجاه أشرف مخلوقاتك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأنبياؤك وملائكتك وأصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وبأحبائك وأصفيائك وبجميع عبادك الصالحين وبجميع المسلمين والمسلمات، أن تتفضل علينا بفضلك العظيم وبما تشاء من النعيم وأن تمن علينا باللطف والتوفيق الدائم والستر والعافية في الدين والدنيا والآخرة وأن تجعل آخر كلامنا وكلام أحبتنا ،لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم آمين يارب العالمين .

فصل في ذكر شيء من كلام سيدي محمد الشرقي رحمه الله: وللشيخ رحمه الله كلام كثير يوجد محفوظا عند الناس فمن كلامه رحمه الله:

لجـــانب الله اهربت للحق لامع مـــولاي   لك قصدت بفضلك يستقم عـــــــواج

تــــهدي عبدك الظليل على طريق الصواب   نخاف مكرك ووعدك وأنت شديد العقاب

أحـزنت واهجرت وانظمتودخلت بحر اللجاج   راجـيتكم يا أهل الذوق وعييت وأنـــا نراج

تمكن لي الحب بالقلب عدا اســكن بأمزاج   امـــرضت من غير علا فرغ الدوا والعلاج

اعشقت واشتقت واشغفت واشربت كأس التراق وأشربت واسكرت اصحيت طلعت الشمس الأفاق

طــــــلعت شــــموس ونارت اسارت فـي   وغـــــــــــابت وأرقيت عذول المعان

والـــــنفس طــــابت ونارت والروح سلكت   أغــــــــــــــابت أشهدتها بالأعيان

واجمعت على جميعا الأجموع وافنيت عن كل فان   إن كنت عارف ذوقي تفهم رموز المعان

وتذوق ما ذاقت الناس وتفنى عن كل فان

ومن كلامه رضي الله عنه وجدته منسوبا له بخط بعض الناس :

انسالكم عيدلي أخبار الـملكوت   وأخبار الملك عد لي حتى نشفا

وابساط العز فين هـــو الجبروت   والدال مع الدليل هذا ما يخفا

وأخبار الروح فين تاوي بعد الموت   وأغصان العرش فاين هي مختلفا

والثور اللي رافد الدنيا بـــــنعوت قـــداش انهوا واش ال من صفا

كـــــــان عــــجزت سال العرفا والــــغتب والميزا غير أكشفا

ومن كلامه:الصبح قرب يصبح والرب يــــــفتح احسن البريح اسرح يـــا بابا

اقريت الم نشرح واحضرت في الطرح واحضيت راس المسرح يابابا

.ومنه :لا تصغش للمدعى كم من واحد ثم أبقى الصادق فيما يقول يبرز حال يوم اللقا

ومنه: اللـــــي زارني لا يـــــــــسالش جيرانو ادبــــغ تـــــرعت ما ضنيت يدبغ

الــــي ادواواه فـــــــــي ثـــــــــقل ميزاني اميـــــعادنا الرب من اصـــــفا يبلغ

لسيدي[1] رضي الله عنه في معنى البيتين :

شتموني وما دروا أنـــهم قد مدحوني وضعفوا حسنات

فيزد من يرد مذمات عرضي قد حبان أعـالي الدرجات

ومنه: أدخلت بيت الكراما صبت المداما اكيسانــــها تتسامى يـــابابا

الجـــــــــا يـــــتراما مـــــارا السلام اهـكذاك جايطاما يا بابا

ومنه : اركبت الشلوي اخباري قوق ادهاري اساوموكم من شاري يا بابا

انبات ليلي ساري نرعى الدراري حتـــــــى اعرفت الباري يا بابا

ومنه: ركبت فوق الشايف وابقيت واقف عيطت ماني تـــــالف يا بابا

سبع وسبعين ألف بوردي مكلف أين الـــسلف والسالف يا بابا

ومنه مخاطبا الشيخ سيدي محمد بن مبارك[2] نفعنا الله بهما :

---

[1]- يقصد به شيخه أبو محمد صالح الشرقي.

[2]- سبقت ترجمته.

يا الساكن في أرض البوادي لا تتعداش أعمى الموارد.

اصـــــحب هذه الطريقة يـــحصل لك الفوائد

فأجاب سيدي محمد بن مبارك بقوله :

تالله من كان هذا إلا من مجدوب سالك.

يسقى خمر للرجا لمملوك من الحق مالك .

وبهذا ونحوه تعلم فيض الشيخ التام وغيرته الفائقة وعنايته الرائقة وهمته النافذة إذ لم يسمع وأن أحدا من صلحاء وقته يبدو بالكلام ويتجاسر على منصبه الجسيم، ومخاطبته وحكايته في هذا شهيرة ومنه مخاطبا لأبي العباس سيدي أحمد بن ودادس بن الشيخ أبي الحسن علي بن براهيم نفعنا الله بهم ووقعت بينهما مكاتبة وخاطبه الشيخ رحمه الله بقوله.:

نجري جري الماء على الارض البكمـا نترج من صاحب الرحم تـوفيق

نـــــتقوت بالــــــما وانزيد اللقما . مـــولانا وسع على كل مضيق.

وأمري عند الإله صاحب الـــحكما. هون لي بأحسنات ميزان تحقيق.

بشرني بكا ما سويت اليق

والأبيات التي كتب سيدي أحمد بن ودادس لسيدي محمد الشرقي حتى كتب له الشيخ ما تقدم معي، قوله:

أجري جري الماء على الأرض الصما واترجي من صاحب الرحم توفيق

لا تـــــشرب جــغما ولا تاكل لقما .حتى توزنــــها بـــميزان التحقيق .

اتعرفها منين جات اللي تليق

فأجابه الشيخ بما تقدم .

قلت وهذه الأبيات التي كتب ابن ودادس،كأنه يحذر الشيخ مما يرد عليه من الفتوحات ويحضه على الورع وكان الشيخ سيدي محمد الشرقي يرد عليه من الفتوحات ،ولا يعلم عدده إلا الله ،وحدثني بعض الثقاة أنه ورد

إليه مرة من ناحية دكالة فقط سبعين قنطارا من السمن ،هذا من البلد وأما غيرها فالله أعلم بذالك. وللإمام مالك أبيات، في نحو ما وقع للشيخ سيدي محمد الشرقي مع ابن ودادس،رد بهم على الليث[1] حيث أعترض عليه في لبسه وأكله لأنه كان يأكل الرقاق ويلبس كذالك وهي:

حسن ثيابك ما استطعت فإنها   زين الرجال بها تعز وتـكرم

ودع الرثاث فـــي الثياب تعففا   الله يعـــــلم ما تسر وتكتم

فـــــرثاث ثوبك لا تزيدك رفعة   عند الإله وأنت عبد مـجرم

وجميل ثوبك لا يــضرك بعد أن   تـخشى الإله وتتقي ما يحرم

وحدثنا أبو العباس سيدي أحمد بن فتوح أن ولد الشيخ سيدي الطنجي لما طلع للمشرق حاجا بيت الله الحرام وكان الشيخ دله على لقاء سيدي أبي المكارم محمد البكري الصديقي رحمه الله، فلما وصل إلى مصر سأل عنه فدل عليه فلما لحقه وجده في لباس رفيع [ومقام عظيم[2]]حتى أن المماالك[تمشي[3]]وراءه وأمامه ،فلما رأى ولد الشيخ ذالك قال في نفسه ما هذا الذي دلني عليه الوالد، ثم أن أبا المكارم المذكور أدخل ولد الشيخ إلى الدار وأنزله وأكرمه غاية، ووجد الدار أيضا في أحسن زي من الفرش المرفوعة وغيرها، فلما فهم السيد المذكور ذالك من ولد الشيخ واطلع عليه قال له، إن الله يحب أن تظهر أثر نعمته على العبد يشير إلى الحديث المعلوم[4]، فلما رأى ولد الشيخ ذالك رجع إلى الله ولما رجع ولد الشيخ من المشرق كتب إليه رسالة إلى الشيخ سيدي محمد الشرقي يسأله عن حاله ويسأله الدعاء له نفعنا الله بهم .

---

[1]- الليث بن سعد(94-175هـ) أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن المصري.مولى بني فهم، ثم لآل خالد بن ثابت بن ظاعن، وأهل بيته يذكرون أنهم من الفرس من أهل أصبهان.ولد الليث بقرية من أسفل مصر يقال لها: قرقشنة وكان عالماً فقيهاً ثبتاً. وقال الشافعي رضي الله عنه: الليث بن سعد أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به.دفن بالقرافة بمصر. عُبَيْد الله بن علي ابن الفرّاء: تجريد الأسماء والكنى المذكورة في كتاب المتفق والمفترق للخطيب البغدادي.دراسة وتحقيق،شادي بن محمد بن سالم آل نعمان،مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن،1432 هـ،2011 م،ط1، ج2،ص 191. أيضا اب عساكر: تاريخ دمشق،ج50،ص 349. وابن خلكان:وفيات الأعيان. ج4،ص 127.

[2]- ساقطة من أ.

[3]- ساقطة من ب.

[4]- حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّعْفَرَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ) وقال الألباني حديث صحيح. محمد بن عيسى الترمذي:سنن الترمذي.تح وتع،وإبراهيم عطوة عوض،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر،1395 هـ، 1975 م،ط3، ج5، ص123.

ومن كلام الشيخ مخاطبا لأبي العباس سيدي أحمد بن ودادس[1] :

لو كانت بالقول والقال اكون عملت الكرارس ألا هي حال وأحوال هكذا قولوا لابن ودادس.

ووقعت بينه وبين أبي العباس حكاية محصلها أن الشيخ سيدي محمد الشرقي لما تلاقى معه غشي عليه وبدا نور عظيم فلما رأى بن ودادسذالك ذهب راجعا فلما أفاق الشيخ قال لهم أين هو؟ قالوا له ذهب[يا سيدي فقال[2]]مسكين مسكين أحمد الحاشي الصغير،يعني أن ابن ودادس ،والحمل كثير،يقال أنه لم يمكث إلا يسيرا فمات، هكذا يقال والله أعلم،نفعنا الله ببركاتهما آمين .

ومن كلام الشيخ مخاطبا للشيخ أبي الطيب بن يحي بن أبي القاسم اليحياوي[1] نزيل ميسور من بلا ملوية ودفينه :قل للساكن الرق الأبيض في أطراف غدير ،لا بد من ميسور يخلى ونا لكم نذير

حدثني بعض الثقاة عن بعض الناس أنه شاهد ما قال الشيخ.

ومن كلامه رضي الله عنه: رأيت المصور في لمح كع دور .والروض فتح وأرم بالعجايب

والضو فكهر والمغمور يظهر سال الـمخمر يريك غرائب

ومن كلامه رضي الله عنه مخاطبا لبعض أ صحابه وكان نال منه شيئا وظهر له خيرا، فأساء مع الشيخ الأدب فاستفه نسأل الله العافية من السلب بعد العطاء فأتى الشيخ يستعطفه فقال له[......................[3]]

من كلامه مجيبا لسيدي الغزواني عن أبيات له:

أسائلنـــــي عن لب الحكما نور لك أعلاجها من البيت المعمور

الشر يجـــــلا نقول ما فيه الما هذا كالقلب ما يسكنش فيه النور.

أعبد ربك بالصفا تصلح الأمور وتتحرك ناعورتك تـــــجري وتدور .

---

[1]- توفي سنة 988هـ، القادري:نشر المثاني.ج1،ص 167.

[2]- ساقطة من أ.

[3]- بياض في الأصل.

وكلام الشيخ رضي الله عنه كثير معلوم شهير ،وإنما ذكرنا ما ذكر للتبرك به،وللشيخ رضي الله عنه حزبا جعله لأصحابه يقرؤونه بعد صلاة الصبح ووجدوا له بركة ،حدثني بعض الناس أن بعض أهل محبة الشيخ كانوا مشتغلين بقراءته فأخذت اللصوص بقرهم فجاءهم الصريخ إليهم ليدركوا بقرهم فوجدهم يقرؤون، فقاموا وتركوا قراءة الحزب ،فقام رجل منهم وجعل يقول ارجعوا لقراءة الحزب فتراجعوا ولم يذهب،إلا رجل منهم فكان من قدر الله أن الذين جلسوا لم يذهب لهم شيء من البقر ولم تذهب إلا بقرة الذي قام وترك الحزب .

ومن كلامه مخاطبا لبعض الناس وكأنه اشتكى إليه شيئا فأومأ إليه بقرطاس ودواة فأتى به فكتب إليه ونصه : أيها الفقير ضع نفسك كأنها ليست لك فتجري عليها المقادير على وفق إرادة من هي له، فإنه سبحانه اشتراها منك فإن شاء نعمها وإن شاء عذبها انتهى.

قلت فإذا تأملت هذا الكلام وما احتوى عليه وجدته حام على أساس طريق القوم بل هو جملته وكليته ذالك أن كلام الشيخ مفهومه ومقتضاه وما دل عليه إسقاط التدبير للنفس والقلوب سلمى تجري عليها المقادير من غير منازعة لها في ذالك وفي الحكم لابن عطاء الله أرح نفسك من التدبيرفما قام به غيرك [عنك[1]]لا تقم به لنفسك أنت وقد ألفابن عطاء الله تأليف في هذه المسأله سماه" التنوير في إسقاط التدبير "وقال سهل بن عبد الله : ذروا التدبير والاختيار فإنهما يكدران على الناس عيشهم، وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه، إن كان ولابد من التدبير فدبر ،لا تدبر وقيل لبعضهم،فوض أمرك إلى الله ،قال ليس في أمري حتى أفوضه إليه،وهو أي ترك التدبير هو طريق الصوفية ومناط العبودية إذ به يحصل للعبد تجرده عن وجوده واقتطاعه عن كسبه وحوله وقوته ويتخلى عن تدبيره،واختياره الغيبة في الحقيقة والفناء في التوحيد والتجرد عن التعلق بالخلق وغيره فيلقى سلما بين يدي الله عزوجل من غير تدبير معه ولا منازعة فيما يجري عليه من تصاريف القدر كما قيل[2]:

فلا الرفع أرجوه ولا الخفض أتقي لأنني منصوب لكل العوامل

وتنبه لقول الشيخ رحمة المتقدم تفهم مسألتين دقيقتين أحدهما، قوله ضعها كأنها ليست لك فأرشده إلى إلقاء نفسه سلمى ويتجرد عن حوله وكسبه واقتطاعه عن ذالك كله، بفنائه وغيبته في التوحيد ويكون لتصاريف القدر

[1]- ساقطة من ب.

[2]- ترك التدبير بالكلية هو قريب من القول بالجبر أي أن الإنسان عليه أن يستسلم للقدر و أن مشيئة العبد ساقطة،وهذا مخاف لهدي الأنبياء والرسل فإنهم كانوا يتخذون الأسباب،فهذا نوح عليه السلام يصنع السفينة وهذا يوسف عليه السلام يتولي شؤون مصر ويدخر احتساب لسنوات الجفاف،ونبينا صلى الله عليه وسلم لم يترك التدبير في كامل سيرته،بل هو القائل:تداوو فإن الله ما أنزل داء إلا وأنزل معه الدواء علمه ممن علمه وجهله من جهله.

ونفوذه فيه وتحققه به ملقيا نفسه بين يدي خالقه يفعل فيه سيدهما يشاء ،فهذه هي العبودية الحقيقية فهي كقول الشيخ ابن وفا رحمه الله ونفعنا به :

لو لـم أكن عبدا كنت وهبت روحي وتلك هـــبة الـــــفقراء

ومن هذا قيل هذا أبلغ من قول أبن الفارض رحمه الله:

ماليسوى روحي وباذل نفسه في حب من يهواه وليس بمسرف

لأن فيه إشارة إلى نسبة شيء للعبد وثبوته له وذالك كله ينموا عن مذهب الصوفية أهل الحقيقة ،والثاني قوله أن الله اشتراها منك فيه إيماء إلى أن ماجرى عليها من القدر وما نفذ فيها من تصاريفه إنما هومن ذي الملك في ملكه فيفعل ما يشاء فيه وما يريد، لأنه اشتراها منه فأي اختيار يبقى له وتدبير؟ لا يقال إن في قوله اشتراها منك بنسبة شيء للعبد وثبوته له فهو كقول ابن الفارض المتقدم،لأننا نقول أرشده سيدي محمد الشرقي وأفاده بالأمرين رضي الله عنه ،وأفاده بالأول أنه عبد لاشيء له ،وأفاد بالثاني أن ماجرى عليه من المقادير إنما هو من المالك في ملكه فهو أبلغ مماتقدم والله أعلم انتهى، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه يقول عبد[1] ربه تعالى وأسير ذنبه عبد الخالق بن محمد بن أحمد العروسي ابن الشرقي بن عبد القادر بن الشيخ الكامل القطب الواصل أبو الفيض سيدي محمدالشرقي ابن الشيخ سيدي أبي القاسم بن الزعري ،كان الله له ولطف به بما لطف بأوليائه.

قد انتهى الغرض الذي قصدناه ونجز الوعد الذي وعدناه من ذكر شيء من مناقب سيدي محمد الشرقي، فأسأله سبحانه ،كما من بإكمال هوتفضل بإتمامه، أن يتقبل منا ذلك ويجعله سببا للفوز بما هنالك ورضاه عنا وأن يجود علينا بما أملناه وأن يجعل آخر كلامنا [وكلام أحبتنا][2]لاإله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم،ناطقين عالمين بها .

اللهميا غياث المستغيثين ويا مجيب السائلين ويا كاشف كرب المكروبين أسألك بجاه أشرف مخلوقاتك سيدي محمد صلى الله عليه وسلم وبأنبيائك وملائكتك وأحبائك وأصفيائك وجميع عبادك الصالحين ،أن تجيب دعاءنا

[1]- ترك التدبير بالكلية هو قريب من القول بالجبر أي أن الإنسان عليه أن يستسلم للقدر و أن مشيئة العبد ساقطة،وهذا مخاف لهدي الأنبياء والرسل فإنهم كانوا يتخذون الأسباب،فهذا نوح عليه السلام يصنع السفينة وهذا يوسف عليه السلام يتولي شؤون مصر ويدخر احتساب لسنوات الجفاف،ونبينا صلى الله عليه وسلم لم يترك التدبير في كامل سيرته،بل هو القائل:تداوو فإن الله ما أنزل داء إلا وأنزل معه الدواء علمه ممن علمه وجهله من جهله.

[2]- ساقطة من أ.

وتقضي حوائجنا لأنك قلت :ادعوني أستجب لكم ،فنحن ندعوك ونتضرع إليك فاسمع نداءنا بما سمعت بهنداء عبدك زكريا يا أكرم الأكرمين ،

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع و قلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ،وبطن لا تشبع أعوذ بك من شر هؤلاء الأربع، اللهم اجعله خالصا لوجهك الكريم غير مشوب برياء وسمعه، وإن كان شيء من ذلك فاعفوا عنا وتب علينا وتقبل توبتنا فإنك أنت التواب الذي تقبل التوبة عن عبادك وتعفو عن سيئاتي واستغفر الله العظيم وأتوب عليه.

ليعلم الواقف عليه أني ليس لي طاقة ولا جهد ولا استطاعة، وإنما ذالك من بركة سيدي وعطفة من عطفاته وغرفة من بحره ونقطة من ودقه وشمة من عرف سيدي وقدوتي العالم العلامة الحبر الفهامة النحرير الدراكة النحوي اللغوي العروضي الحيسوبي الأصولي المنطقي الفقيه الصوفي الولي الصالح البدر اللائح خاتمة المجدوبين وعالم الواصلين وإمام السالكين ذو الأحوال العرفانية والإشارات الربانية شيخي وأستاذي ومربيني بالعلوم في صغري وكبري سيدي ومولاي أبي محمد صالح،بن الولي العارف الغوث المكاشف سيدي محمد المعطي نفعنا الله بهما ورزقنا رضاهما، وإلا فالعبد ليس من[أهل[1]]ذالك المقام ولا ممن يروم ذلك المرام ولكن لما انتسبت إلى ذالكالجناب المنيع والمقام الرفيع.

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

رجوت بذلك الانخراط في سلكهم، وتبديل درهمي المغشوش بخالصهم، فتضمحل رداءته في جودتهم.

لما انتسبت إلى علاك تشرفت ذاتي فصرت أنا وإلا من أنا

كما يعلم الواقف عليه أني لم استوعب كرائم الشيخ الجامع ،ولم أستوف فضائل الغوث الهامع ولم نذكر جميع أخبار البدر الساطع،وإنما هو بعض البعض من ذالك ونزر النزر فيما هنالك، وأما كرائمه فكثيرة وفضائله فغزيرة ولما لا وهو قطب الأعصار وغوث الأمصار وإمام أئمة الوجود وحامل لواء[أولياء[2]]الملك المعبودومن غدا في سائر الأقطار لجميع الصالحين عليه المدار وقلت في هذا:

يا قطب هذا الغرب والشرق الذي شـــــرقت بــــه أنواركم للناظر

---

[1]- ساقطة من أ.

[2]- ساقطة من أ.

يا غـــوث أقطاب الوجود بإسرهم　　وغـــياثهم في كل خطب ثائر

ياطود هذا العصر والـكهف الذي　　أمنت به كل الورى من ضائر

يا شيخ أوتـــاد الأنام وجــــرصهم[1]　　وممد أهل عوارف وســــرائر

يـــــا بحر جود لا نظير له ومن　　قـــد حاز كل فضائل ومفاخر

يا مـجلي الكربات بعد إياسهم[2]　　وغــــياث أحـــوال الغريق الـــحائر

يـــا منقذا أهل المصائب منهم　　يـــا كاشف المعظلات عـند تحاير

يــــا منبع الخير الجسيم ومعدن　　السر المصون وخــــارق كالباهر

لكم الكرائم تنتمي ولقد غدت　　من علمها كـــــضروريات نواظر

وخصالكم شاعت بغرب مثلما　　شـــاعت بشرق ومن أجل الظاهر

أنـــــت الذي فقد فقت كل　　مفضل ذي رتبة أو نسبة أو مـاهر

أنــــت الإمام لكل فرد فاضل　　منــــك استمدت أهل فكر نائر

أنت الذي قد حزت مجدا فائقا　　وجــــمعت فـــضل أوائل وأواخر

وســموت للشرف الرفيع فحزته　　وعـــلا وعلاكم فوق ذالك الزاهر

يـا سيدي الشرقي يامن قد غدا　　قطب الوجود وغوث باد وحــاضر

جـــــد للكئيب وأذقه من ذاك　　الـــشرب كشراب أهـــل البصائر

وامــــنحه بالألطاف والتــوفيق　　جـــد بصلاح دنياه وحسن الآخر

يا وارث عـــلم النبــــي محمد　　أنـــت الملاذ لـــخائف متقاصر

---

[1]- في ب إمامهم.

[2]- جرص: الجُرَاصِيةُ: العظيمُ مِنَ الرِّجال.لسان العرب،ج7، ص10.

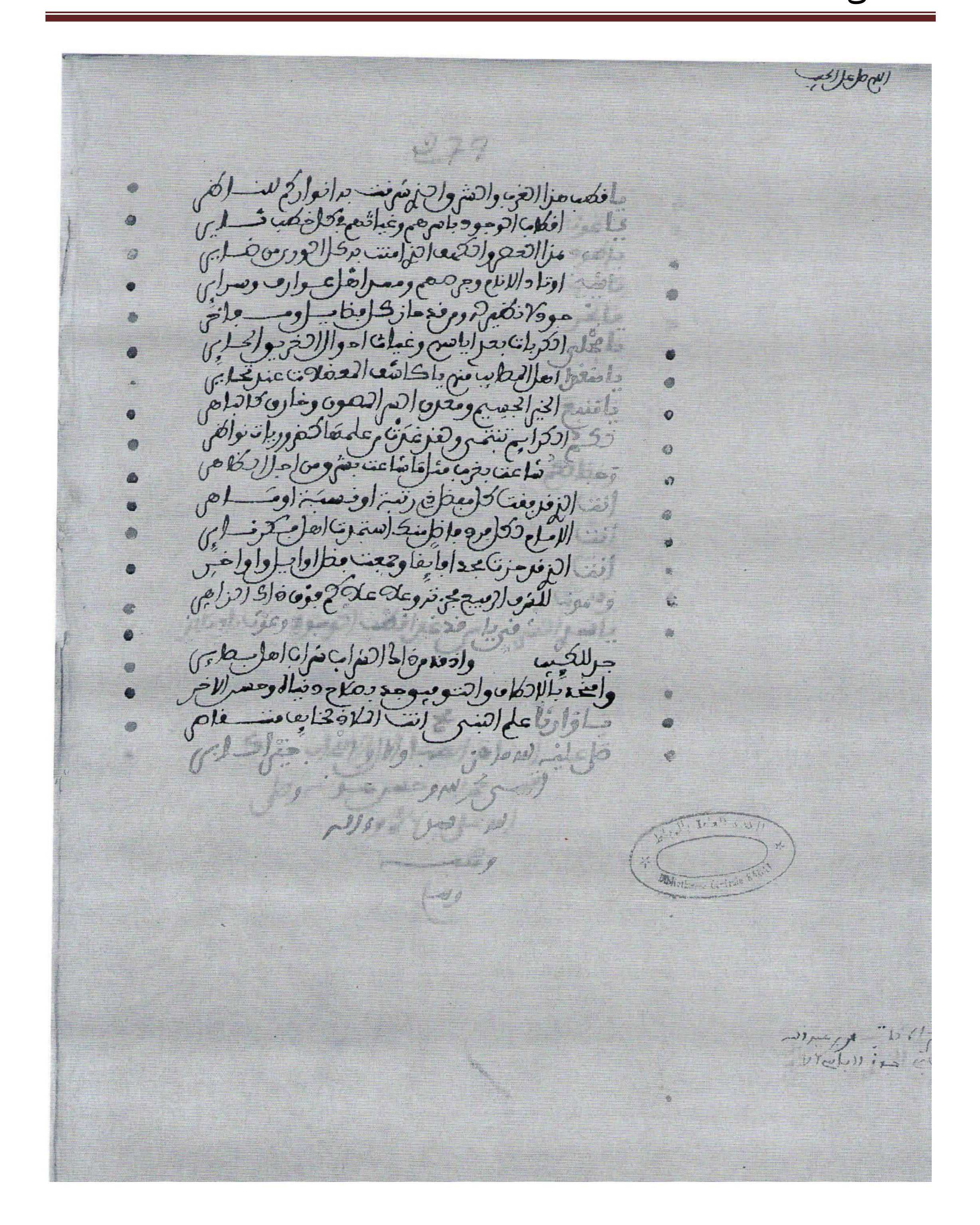
صـــــلى عليه الله ما هزا الصبا   والآل والأصـــــحاب خــير أكابر

انتهى بحمد الله وحسن عونهوصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

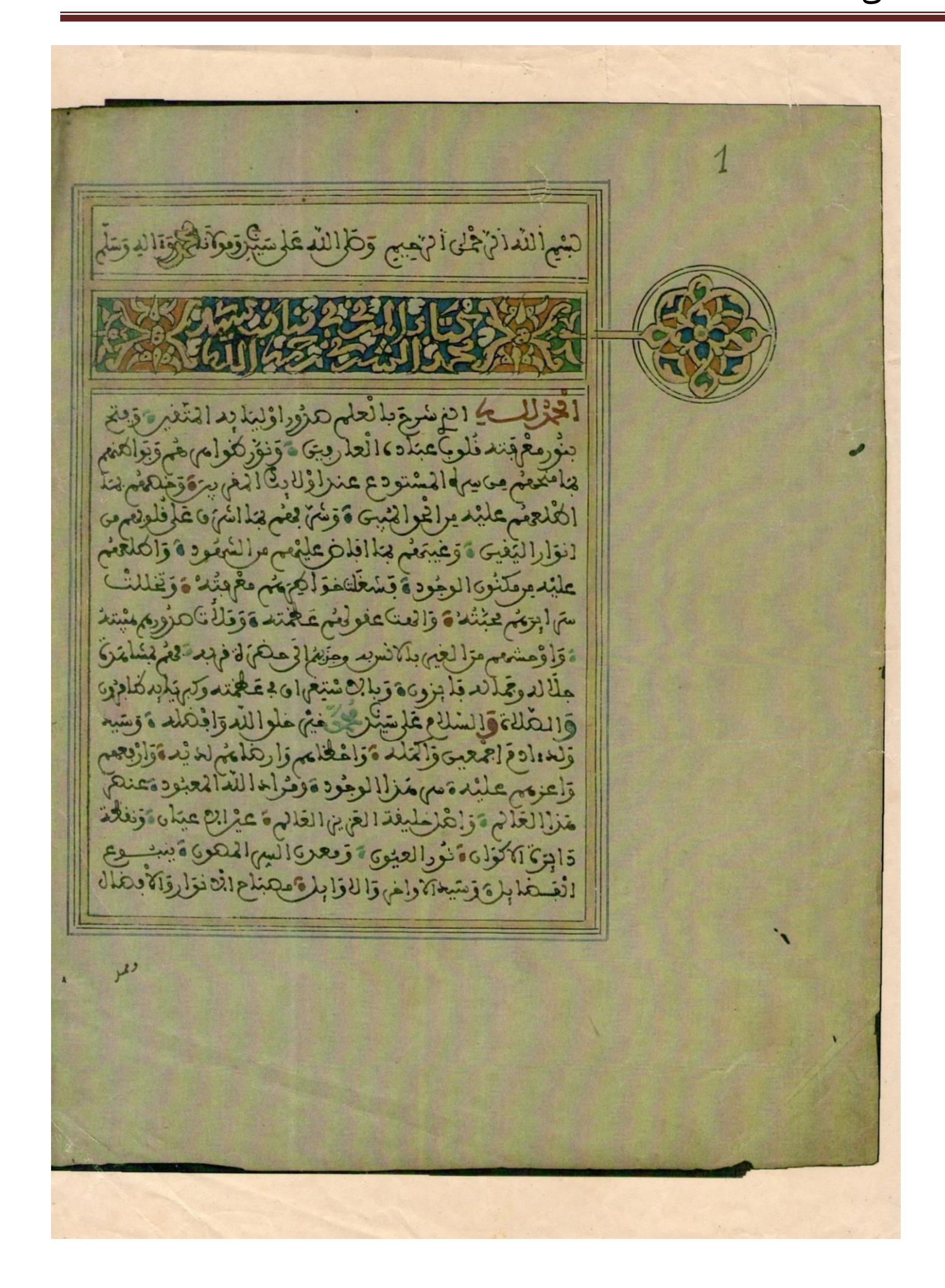
الملاحق

قائمة

المصادروالمراجع



ملحق 2: الورقة الأخيرة من مخطوط المرقي في بعض مناقب القطب محمد الشرقي لعبد الخالق العروسي.

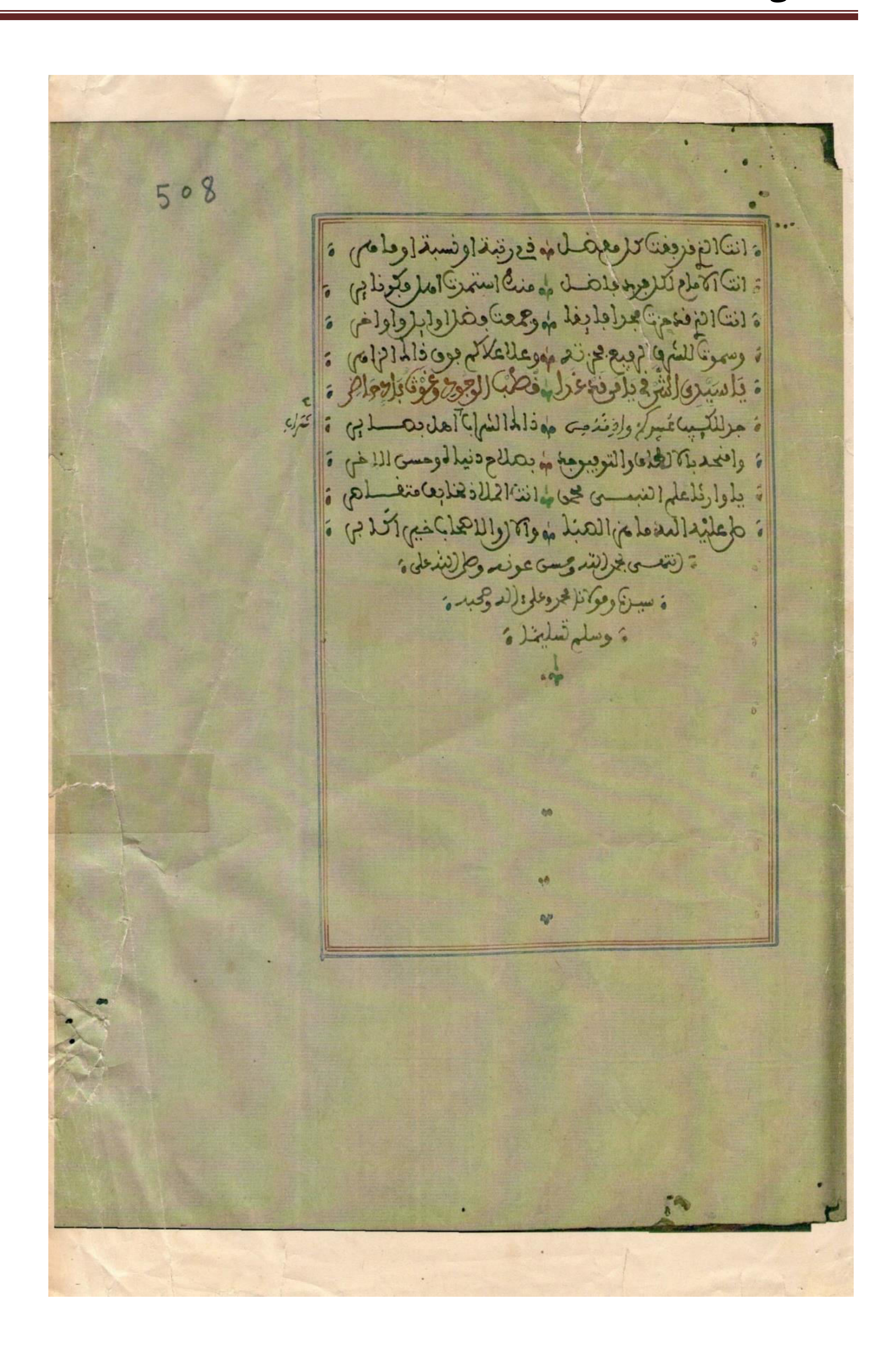


بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم

... مناقب سيدي محمد الشرقي رحمه الله ...

الحمد لله الذي شرح بالعلم صدور أوليائه المتقين وفتح بنور معرفته قلوب عباده العارفين ...

الملحق 3: الورقة الأولى من مخطوط المرقي في بعض مناقب القطب محمد الشرقي،نسخة ب .



508

انت الذي فرجت كل معضل * في رتبة او نسبة او مقام

انت الامام لكل مريد فاضل * منك استمدت اهل فكر [illegible]

انت الذي قدمت [illegible] * وجمعت فضلا وابلا [illegible]

وسموت للشرفا [illegible] * وعلا علاكم فوق ذا [illegible]

يا سيدي الشرفي يا من قد غدا * قطب الوجود وغوثا [illegible]

جد للكئيب [illegible] * ذا الحال [illegible] اهل [illegible]

وامدد [illegible] والتوفيق [illegible] * بصلاح دنيا له وحسن الاخير

يا وارث علم النبي محمد * انت الملاذ [illegible]

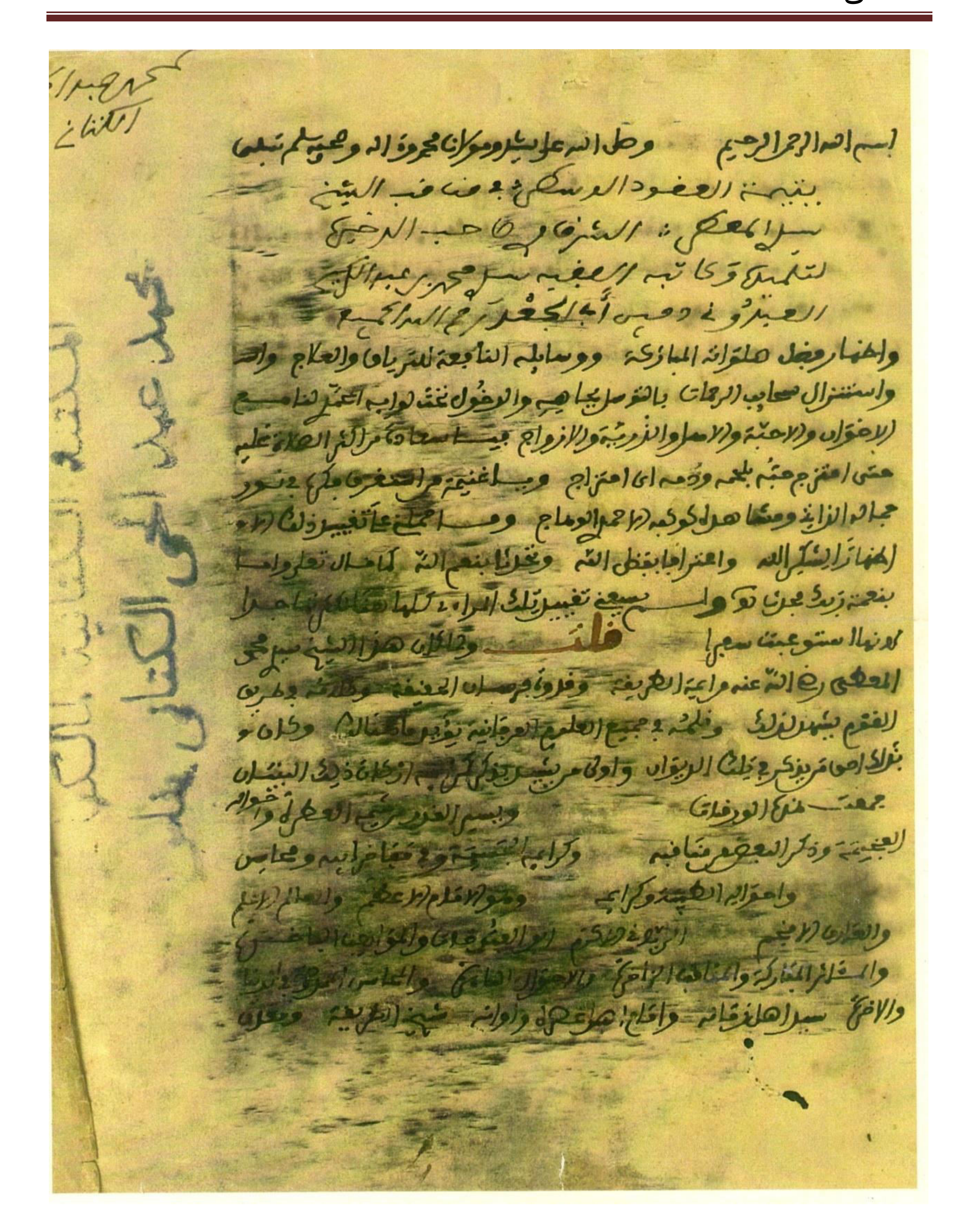
صلى عليه الله ما [illegible] * والال والاصحاب خير الكرام

انتهى بحمد الله وحسن عونه وصلى الله على

سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه

وسلم تسليما

الملحق 4: الورقة الأخيرة من كتاب المرقي ، نسخة ب



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

يتيمة العقود الوسطى في مناقب الشيخ

سيدي المعطي بن الشرقي صاحب الذخيرة

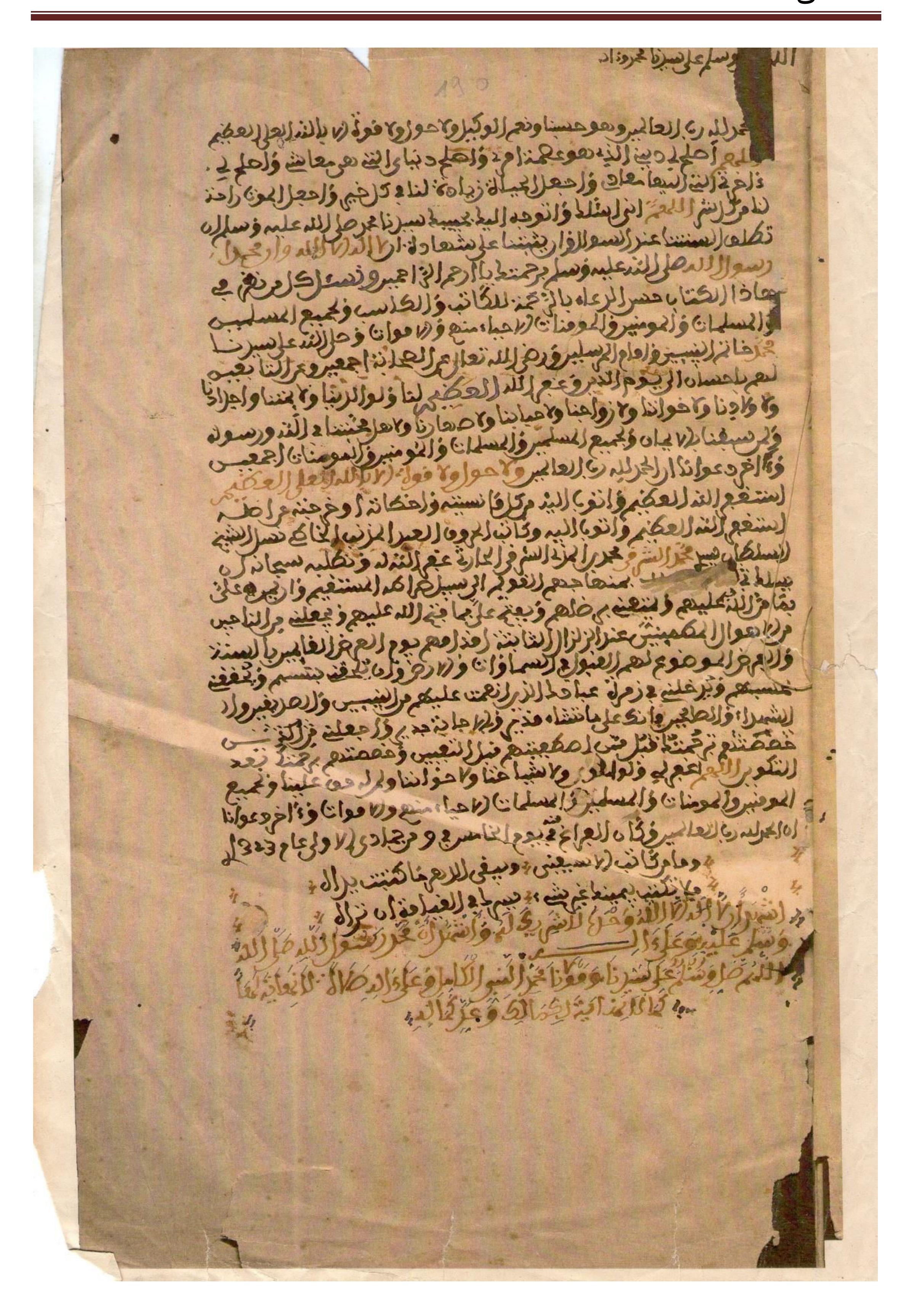
لتلميذه وكاتبه الفقيه سيدي محمد بن عبد الكريم

العبدوني دعي أبا الجعفر رحمه الله آمين

ملحق 5: الورقة الأولى من مخطوط يتيمة العقود الوسطى في مناقب الشيخ المعطي للعبدوني.

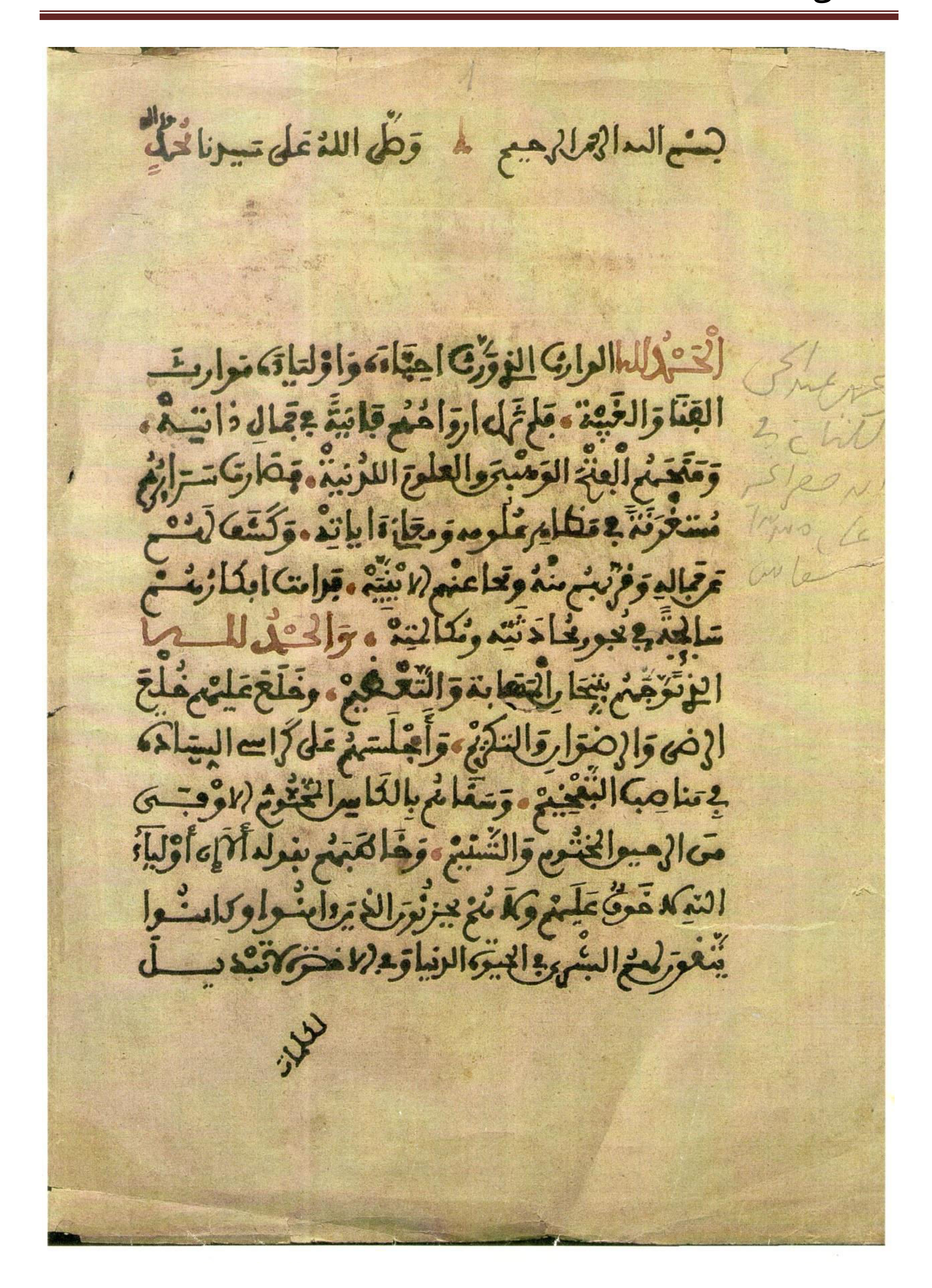

اللهم صل على الحبيب

الملحق 8: الورقة الثانية من مخطوط،الروض اليانع الفائح للمعداني.


اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله

الحمد لله رب العالمين وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي هي معاشي وأصلح لي
آخرتي التي إليها معادي واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير واجعل الموت راحة
لنا من كل شر اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بحبيبك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن
تطلق ألسنتنا عند السؤال وأن تثبتنا على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا
رسول الله صلى الله عليه وسلم برحمتك يا أرحم الراحمين ونسأل كل من نظر في
هذا الكتاب حسن الدعاء بالرحمة للكاتب والكاسب ولجميع المسلمين
والمسلمات والمومنين والمومنات الأحياء منهم والأموات وصلى الله على سيدنا
محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين ورضي الله تعالى عن الصحابة أجمعين وعن التابعين
لهم بإحسان إلى يوم الدين وعم الله العظيم لنا ولوالدينا ولمشايخنا وأجدادنا
ولأولادنا ولإخواننا ولأزواجنا ولأحبابنا ولأصهارنا ولأهل محبتنا في الله ورسوله
ولمن سبقنا بالإيمان ولجميع المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات أجمعين
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
أستغفر الله العظيم وأتوب إليه من كل ما نسيته وأخطأته [illegible]
أستغفر الله العظيم وأتوب إليه وكاتبه العبد الفقير المذنب الخائف [illegible]
[illegible] محمد الشريف [illegible] عفا الله له ونطلبه سبحانه أن
[illegible] منهاجهم القويم إلى سبيل طريقه المستقيم وأن يمن علي
بما من الله عليهم [illegible] عليهم ويجعلني من الناجين
من أهوال [illegible] يوم العرض [illegible]
[illegible] السماوات والأرض [illegible]
[illegible] الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين و
الشهداء والصالحين وإنك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير [illegible]
[illegible]
[illegible] اللهم اغفر لي ولوالدي ولأشياخنا ولإخواننا ولمن له حق علينا ولجميع
المومنين والمومنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات وآخر دعوانا
أن الحمد لله رب العالمين وكان الفراغ منه يوم الخامس عشر من جمادى الأولى عام 1323
وما من كاتب إلا سيفنى ويبقي الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه
أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله
عليه وسلم [illegible]
اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد النبي الكامل وعلى آله [illegible]
[illegible]

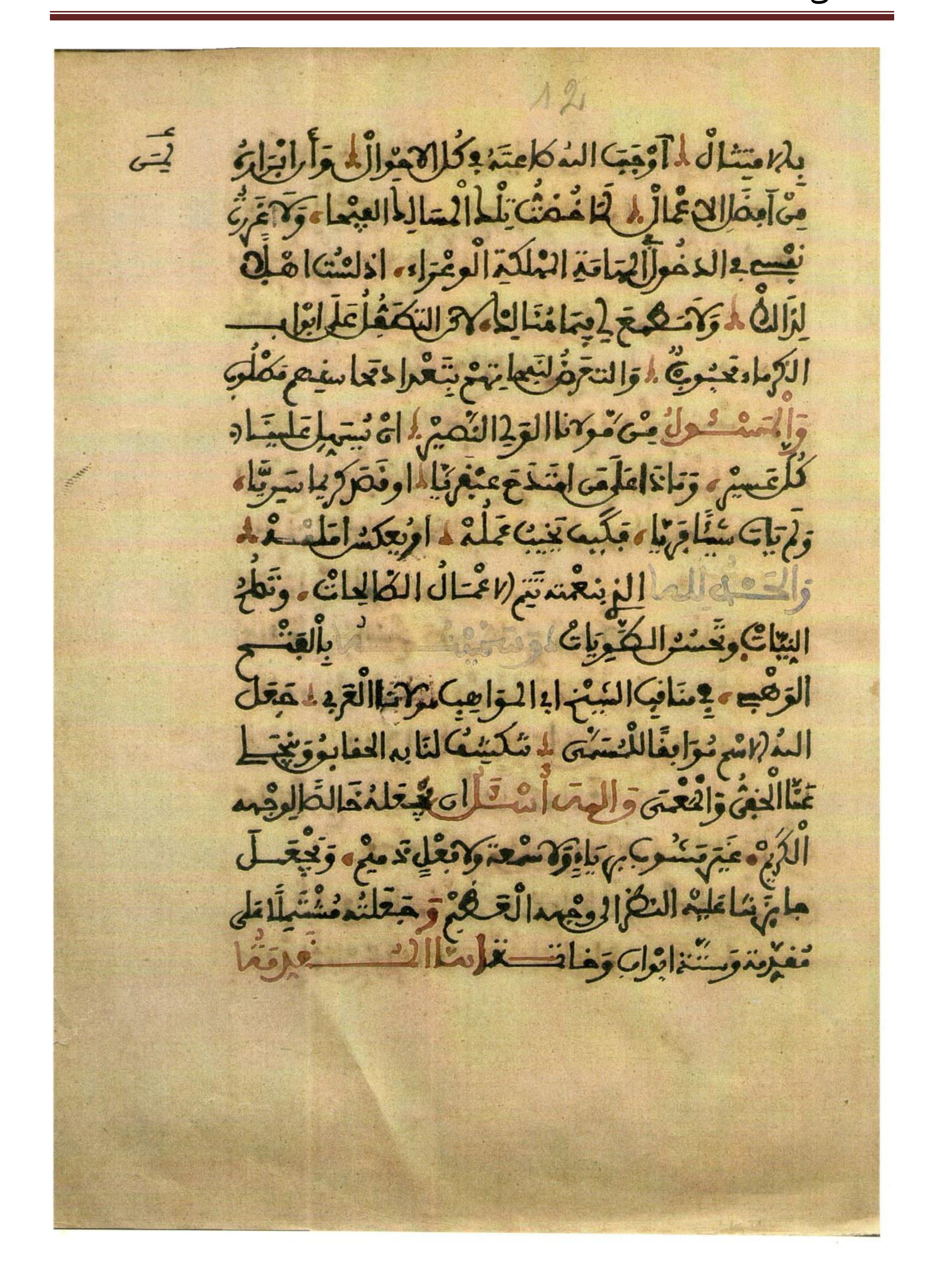
ملحق 9:الورقة الأخيرة من مخطوط الروض اليانع الفائح للمعداني.


بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لله الوارث الموروث أحباءه وأوليائه موارث
الفناء والغيبة فلم تهل أرواحهم قابلية في جمال ذاتية
ومنعهم الفتح الوهبي والعلوم اللدنية فصارت سرائرهم
مستغرقة في مطالع علومه ومجالي آياته وكشف لهم
من جماله وقربهم منه ونفى عنهم الأنانية فوافت أبكار منح
سابقة في نحور غاداتيه ونكاليته والحمد لله
الذي توجهم بتيجان المهابة والتعظيم وخلع عليهم خلع
الرضى والإصرار والتكريم وأجلسهم على كراسي السيادة
في مناصب التفخيم وسقاهم بالكاس المختوم الأوفى
من الرحيق المختوم والتسنيم وخاطبهم بقوله ألا إن أولياء
الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا
يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل

لكلمات

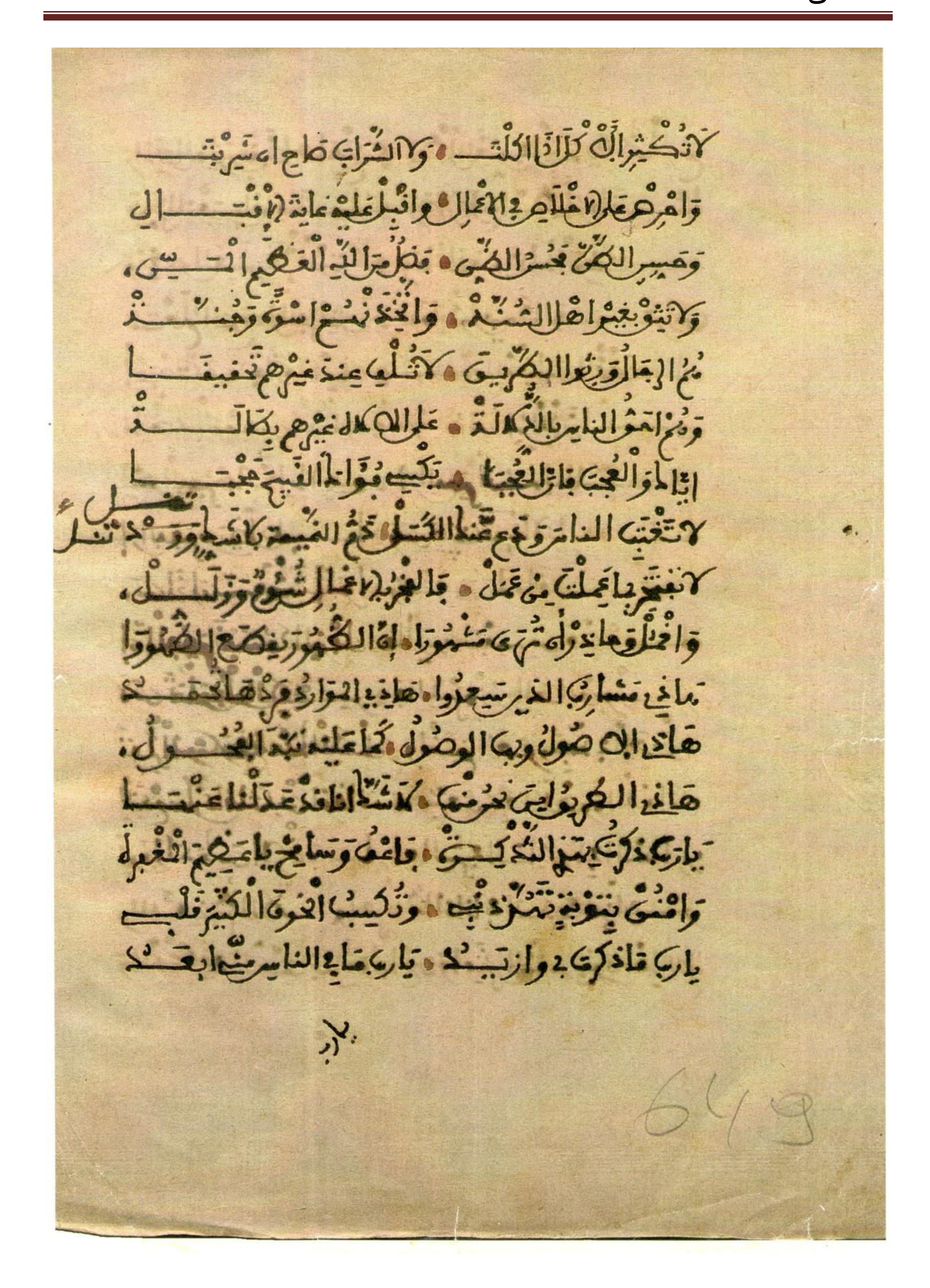
ملحق 10: الورقة الأولى من مخطوط الفتح الوهبي في مناقب الشيخ أبي المواهب مولانا العربي، للعربي بن داود بن العربي.



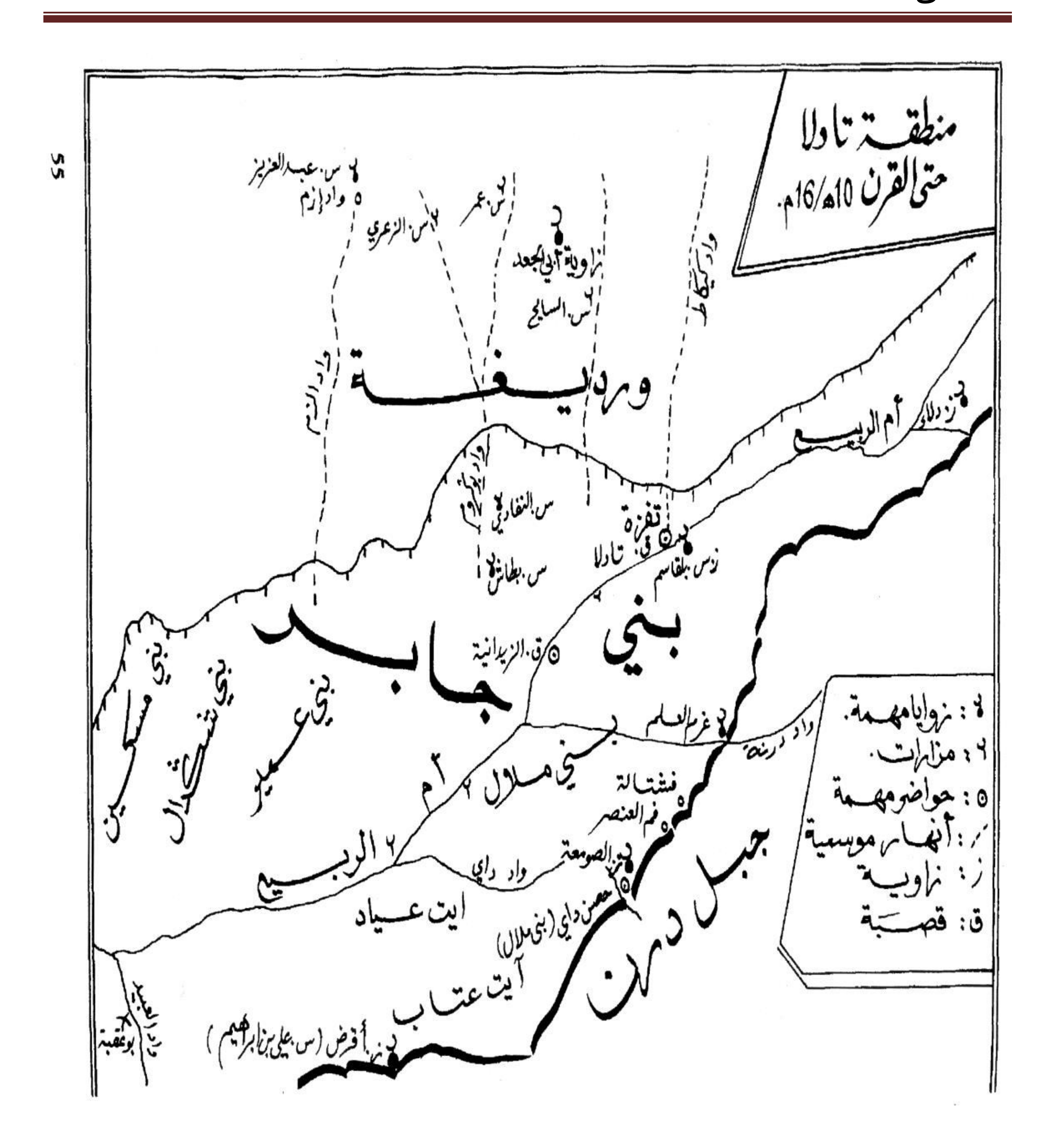
12

بالامتثال لما أوجب الله طاعته في كل الأحوال، وأراه
من أفضل الأعمال، فاغتنمت تلك المسائل العظيمة، ولا غرو
نفسي في الدخول في هامة المملكة الوعراء، إذ لست أهلا
لذلك، ولا مطمع في فيما منالنا، لأن التطفل على أبواب
الكرماء محبوب، والتعرض لنفحاتهم يتغمد هفوات سيئهم مطلوب
والمسؤول من مولانا القوي النصير، أن يسهل علينا
كل عسير، وماذا أعلم من اقتدح عبقريا أو قصر فيما سيرنا
ولم يأت شيئا فريا، فكيف نجيب عمله أو نعكس أمله
والحمد لله الذي بنعمته تتم الأعمال الصالحات، وتطهر
النيات وتحسن الطويات، وسميته بالفتح
الوهبي في مناقب الشيخ أبي المواهب مولانا العربي، فجعل
الله الاسم موافقا للمسمى، تكشف لنا به الحجاب ونحط
عنا الخفي والخطي، والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه
الكريم، غير مشوب برياء ولا سمعة ولا فعل ذميم، ويجعل
جانبنا عليه النظر إلى وجهه العظيم، وجعلته مشتملا على
مقدمة وستة أبواب وخاتمة، أما المقدمة ففي

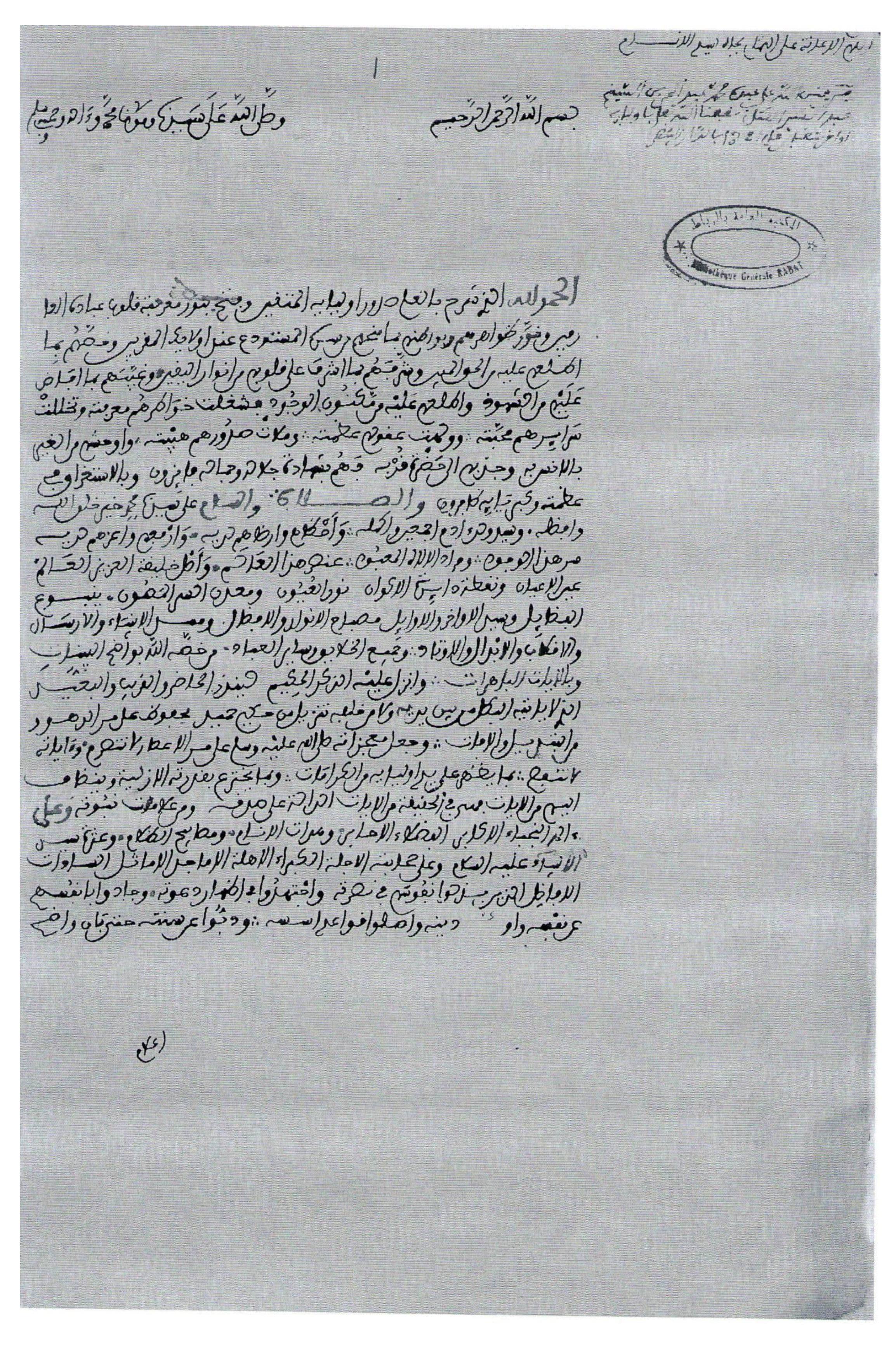
ملحق 11: الورقة الثانية من مخطوط الفتح الوهبي ،للعربي بن داود.


لا تكثرن الكلام اذا الكلم • ولا الشراب صاح ان شربته
وامر من على الاخلاص في الاعمال • واقبل عليه غاية الاقبال
وصبر النفس بحسن الظن • بفضل من الله العظيم المني
ولا تثق بغير اهل السنة • واتخذ منهم اسوة وجنة
من الجهال وتوقوا الطريق • لا تلق عند غيرهم تحقيقا
ومن احق الناس بالجهالة • على الله كلا غيرهم بطالة
اياك والعجب فان العجبا • يكسب فوائد الفتى حجبا
لا تغتب الناس ودع عنك الكسل • تحر النصيحة بالاشياء ودع تنل
لا تفتخر بما عملت من عمل • فالفخر بالاعمال شؤم وزلل
واحمل وهاذه الآن تهدى منثورا • إن الكبر يفضح الصدورا
فما في منازل الخير سيعرفوا • فهاذه الموارد قد قيدت
هادي الى الاصول وبها الوصول • كما عليه يبتنى المحصول
هاذي الطريق واين نعرفها • لاسيما اذا قد عدلنا عنها
يارب بذكرت بسر الذكر • فاعف وسامح يا عظيم المغفرة
وامنن بتوبة تمحو ذنبي • وتكسب الخوف الكبير قلبي
يارب فاذكرني وازيد • يارب ما في الناس من ابعد
649

ملحق 12:الورقة الأخيرة من مخطوط الفتح الوهبي ،للعربي بن داود.



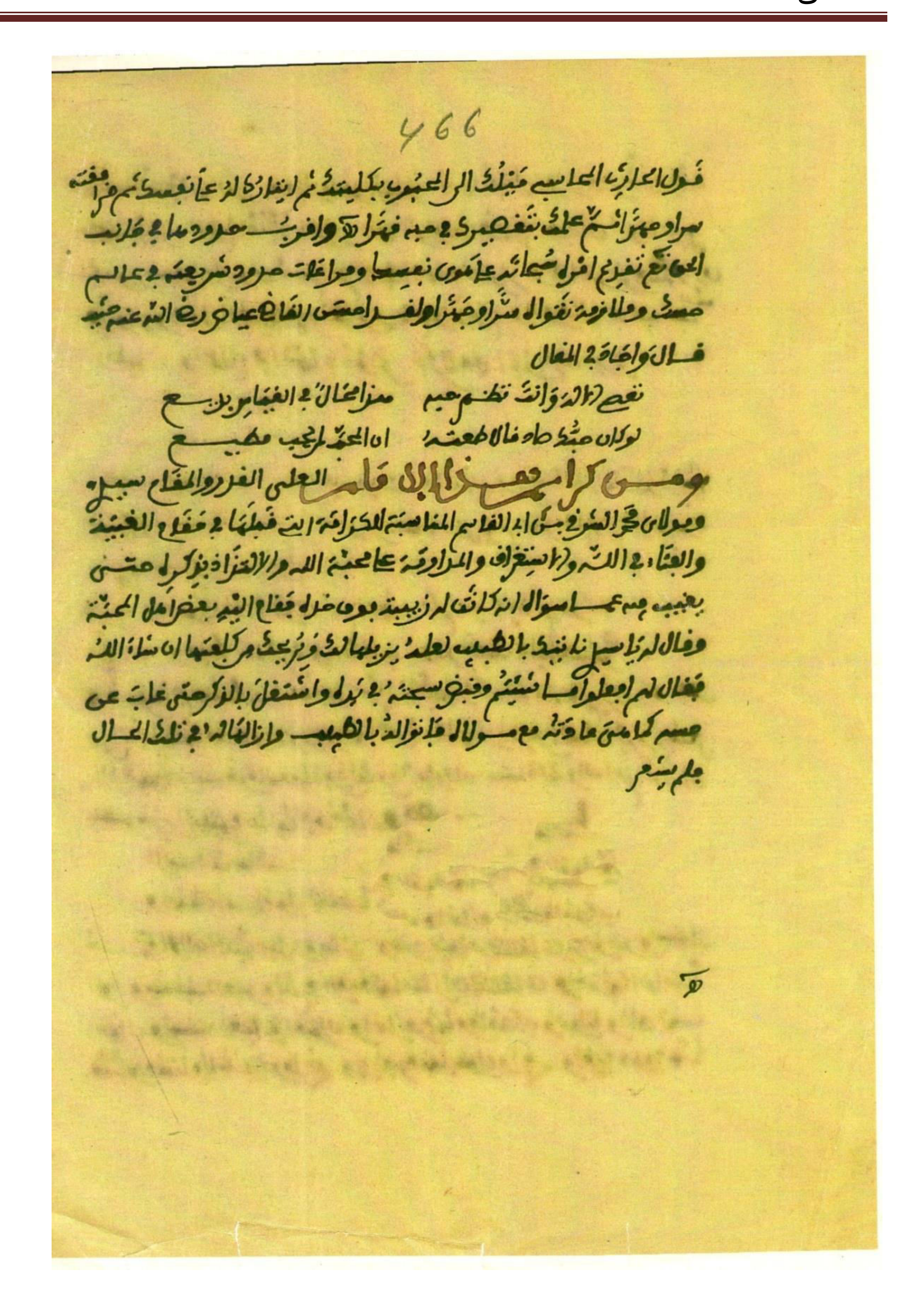
المصدر: أحمد بوكاري،الزاوية الشرقاوية،زاوية أبي الجعد،ج1،ص 55.



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

ملحق 1: الورقة الأولى من مخطوط،المرقي في بعض مناقب القطب محمد الشرقي لعبد الخالق العروسي،نسخة أ



466

قول الحارث المحاسبي ميلك الى المحبوب بكليتك ثم ايثارك له على نفسك ثم موافقته

سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه فهذا ذاك واقرب محدود ما في جانب

الحق تع تفويض امره سبحانه على هوى نفسه ومراعاة حدود شريعته في عالم

حسه وملازمة ذكره ليلا ونهارا وقد احسن القاضي عياض رضي الله عنه حيث

قال واجاد في المقال

تعصي الاله وانت تظهر حبه | هذا المحال في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته | ان المحب لمن يحب مطيع

ومن كرامات هذا الامام العلي القدر والمقام سيدي

ومولاي محمد الشريف بن ابي القاسم المناسبة للكرامة التي قبلها في مقام الغيبة

والفناء في الله والاستغراق والمداومة على محبة الله والانفراد بذكره حتى

يغيب عما سواه انه كانت له زبيبة بوق حوله فقام اليه بعض اهل المحبة

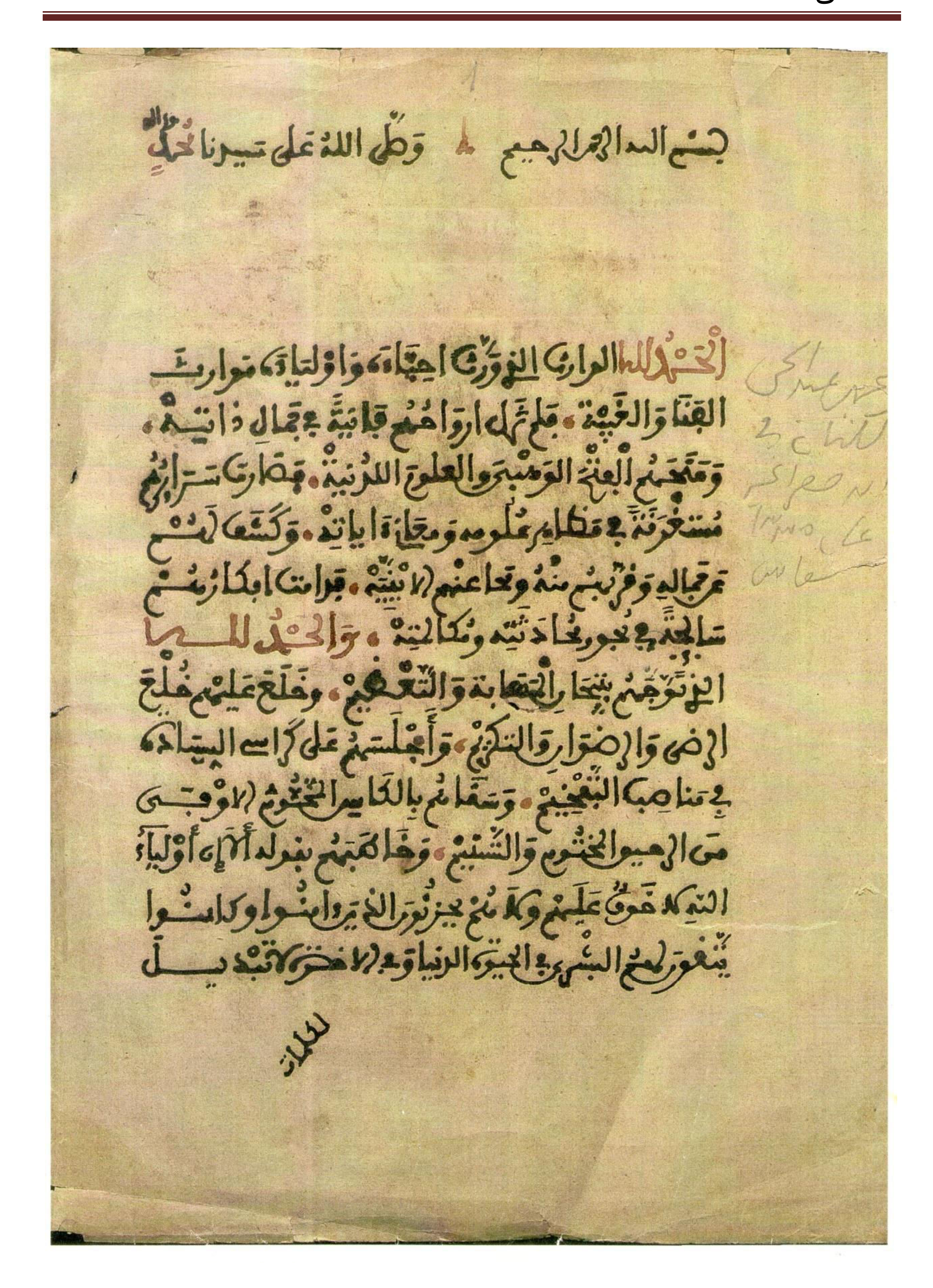
وقال له يا سيدي نادينك بالطبيب لعله يزيل ما بك ويريحك من كلفتها ان شاء الله

فقال لهم افعلوا ما شئتم وقبض سبحته في يده واشتغل بالذكر حتى غاب عن

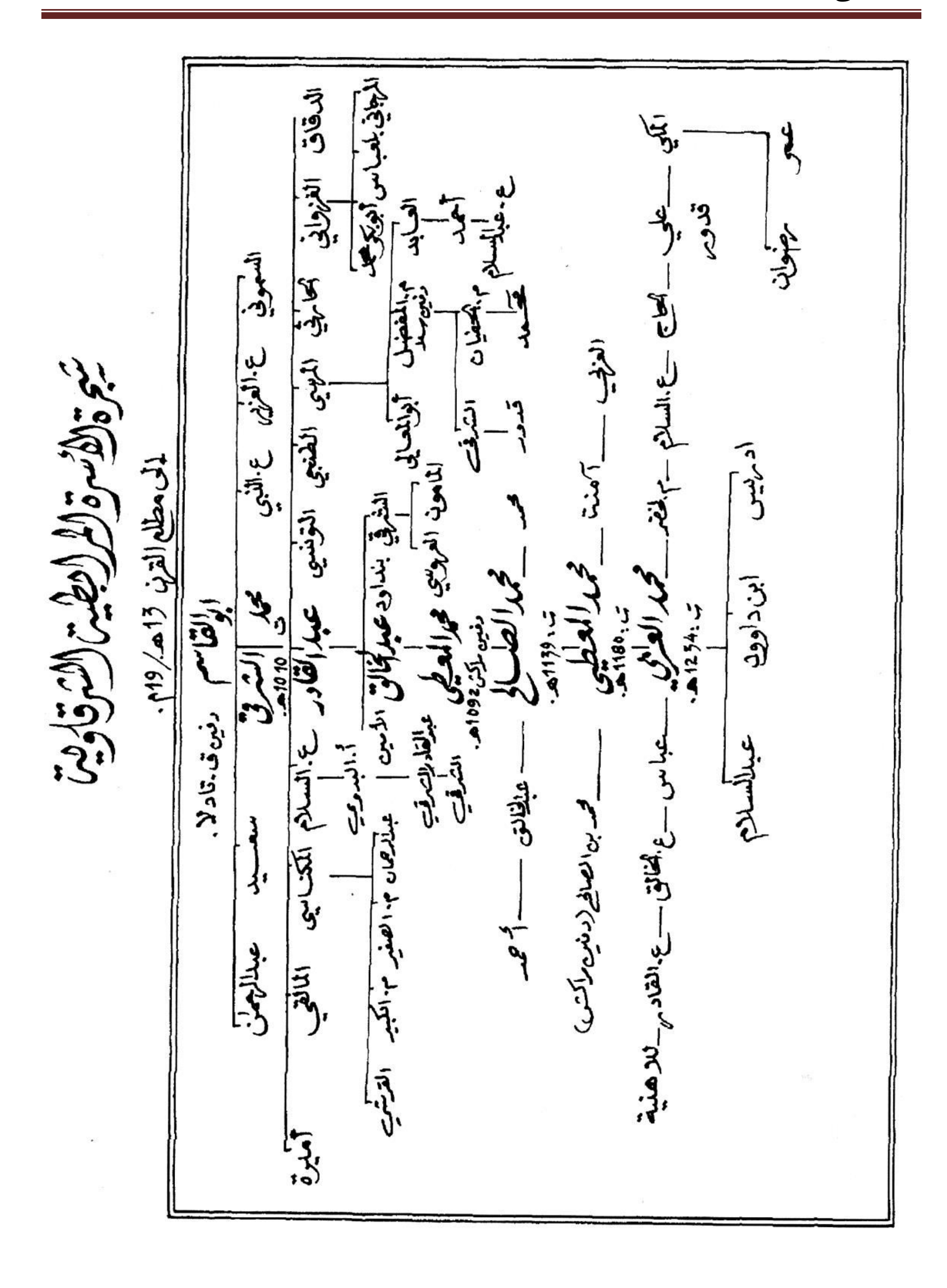
حسه كما هي عادته مع مولاه فلما نزل الطبيب وازال ما به في تلك الحال

لم يشعر

ملحق6: الورقة الأخيرة من مخطوط يتيمة العقود الوسطى للعبدوني وهو مبتور الآخر.



ملحق 7:الورقة الأولى من مخطوط ،الروض اليانع الفائح في مناقب أبي عبد الله المدعوا بالصالح،لمحمد المعداني



المصدر:أحمد بوكاري:الزاوية الشرقاوية ،زاوية أبي الجعد،إشعاعها الديني والعلمي.ج1،ص114.

فهرس الأعلام:

أ

س

ش

ص

ط

ظ

ع

ف

ق

ن

هـ

و

ي

فهرس الأماكن والبلدان:

أ

د

ر

س

ش

ص

ط

ع

غ

ف

ق

ك

م

هـ

و

ي

فهرس الموضوعات:

المبحث الأول:أدب المناقب

المبحث الثاني : التعريف بالشيخ محمد الشرقي وعصره الذي عاش فيه.

1) التعريف بالشيخ محمد الشرقي

أ/مولده ونسبه

ب/نشأته وتعليمه

ج/تأسيس الزاوية الشرقاوية ،زاوية محمد الشرقي بأبي الجعد

د/تلاميذ محمد الشرقي

هـ/علاقة الشرقي بصلحاء وعلماء عصره

2) عصره الذي عاش فيه

أ/ سياسيا

ب/ ثقافيا

ج/ اجتماعيا واقتصاديا

المبحث الثالث: التعريف بعبد الخالق العروسي وعصره الذي عاش فيه

أولا : التعريف بعبد الخالق العروسي.

1) مصادر ترجمة عبد الخالق العروسي
2) اسمه ونسبه ومولده.
3) تعليمه وثقافته.

أ/شيوخه.

ب/الزاوية الشرقاوية.

4)رحلاته العلمية وإنتاجه الفكري.

ثانيا :عصره الذي عاش فيه.

أ/ سياسيا

ب/ ثقافيا

ج/ الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية

المبحث الرابع : التعريف بكتاب المرقي في بعض مناقب القطب محمد الشرقي ومنهجية تحقيقه

أ/التعريف بكتاب المرقي وأهميته

1/ عنوان الكتاب ونسبته إلى صاحبه

2/ مضمون الكتاب

3/ أسباب تأليف الكتاب

4/ أهمية كتاب المرقي

5/ مصادره

ب/منهجية تحقيقه

1/وصف الشيخ

2/منهجية التحقيق

ثانيا، النص المحقق.

1- مقدمة

2- الباب الاول :في فضل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

3- الباب الثاني: التعريف بالشيخ سيدي محمد الشرقي

4- الباب الثالث:في طريقة الشيخ وسلسلته وأشياخه

5- الباب الرابع:في كرائمه

6- الباب الخامس:في ذكر صلحاء أولاده وبعض تلاميذه

قائمة المصادروالمراجع

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الأعلام

فهرس
الموضوعات



المقدمة

ملخص

الأطروحة عبارة عن تحقيق لمخطوط في أدب المناقب عنوانه المرقي في بعض مناقب القطب محمد الشرقي، دراسة وتحقيق،من تأليف عبد لبخالق العروسي التادلي والذي كان حيا سنة 1139ه والذي عاش في فترة الحكم العلوي لبلاد المغرب الأقصى . وقد ألف هذا الكتاب في ذكر مناقب الشيخ محمد الشرقي المتوفي سنة 1010ه-1602م وهو مؤسس الزاوية الشرقاوية بأبي الجعد في إقليم تادلا ، وقد بدأ عبد الخالق العروسي في تأليف كتابه سنة 1138ه . واحتوت الرسالة على قسم دراسي فيما يتعلق بأدب المناقب وقسم في تحقيق النص وإخراجه.

الكلمات المفتاحية:

وادي زم؛ الزاوية الشرقاوية؛ أدب المناقب المغربية؛ عبد الخالق العروسي؛ محمد الشرقي؛ التصوف؛ أبي الجعد؛ اقليم تادلا؛ الدولة العلوية؛ الدولة السعدية.

نوقشت يوم 9 يناير 2019

.